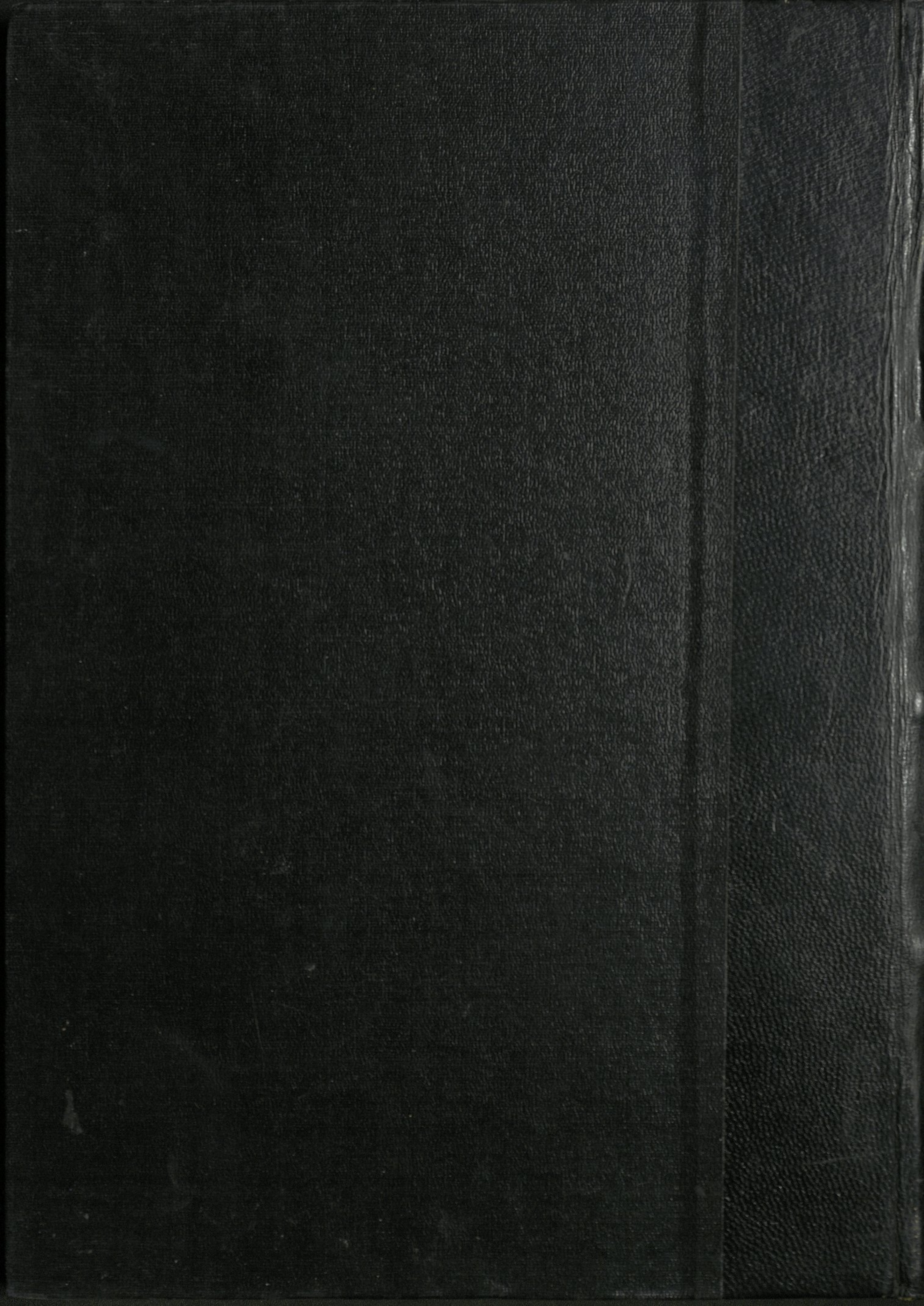
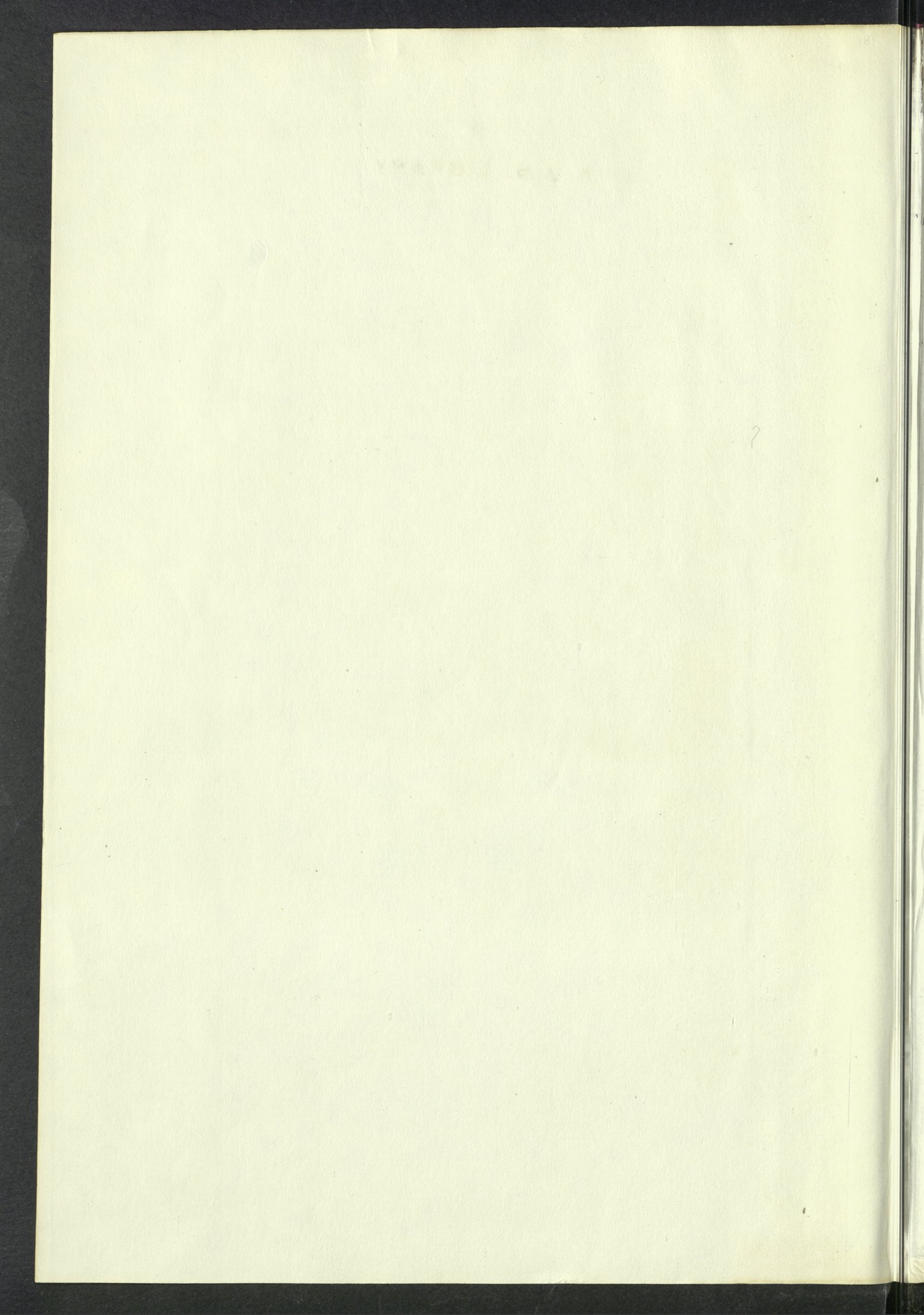
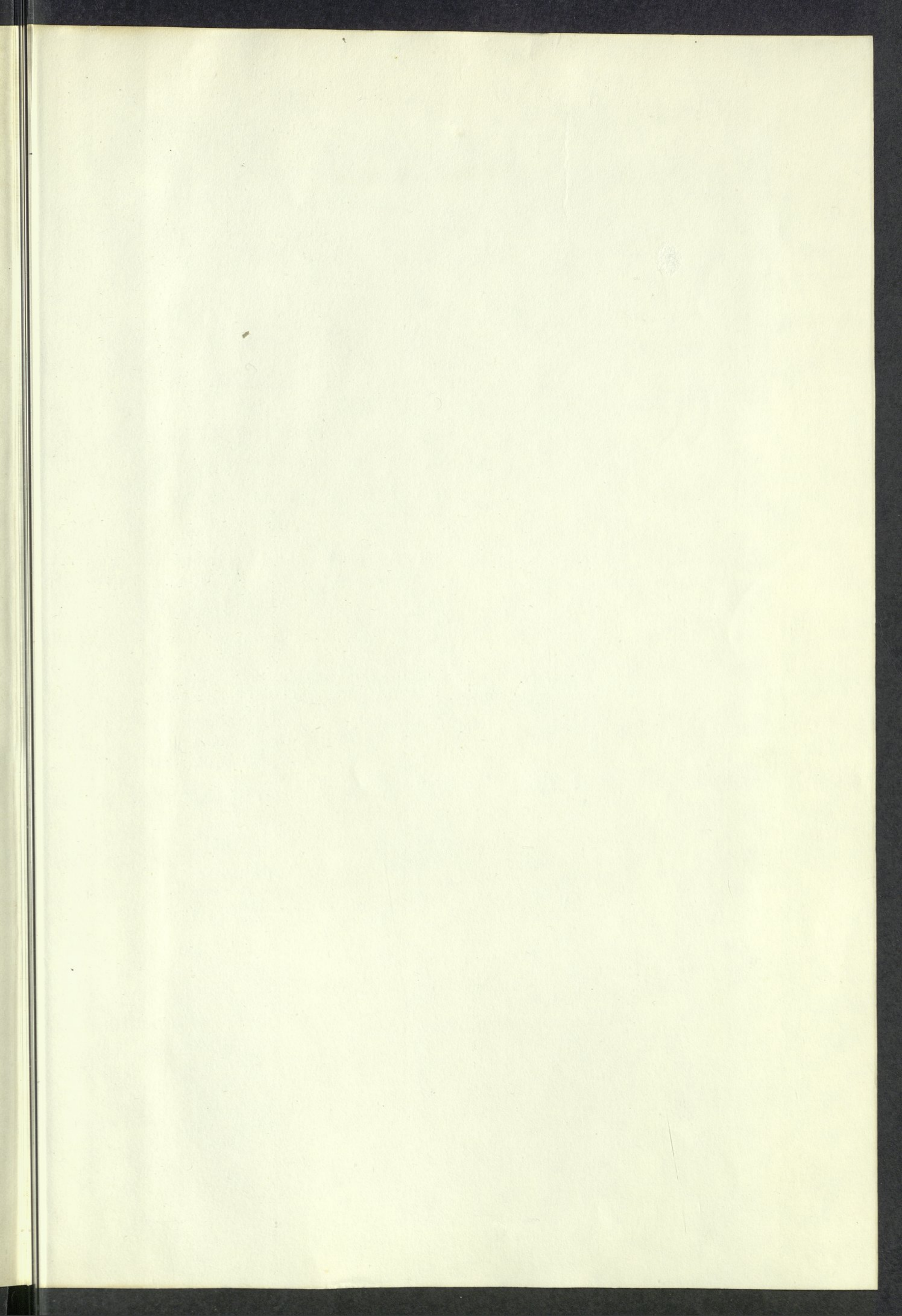






﴿ فهرس المسائل المهمة في الجزء السابع من تفسيري ابن كثير والبغوي ﴾

صفحة

صفحة

٧ بيان الخطأ المطبعي الواقع بالجزء السابع من تفسيري ابن كثير والبغوي

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٤	١٥	السماء	من السماء
٢٣	١٥	عمر	عمرو
«	٢	بطريق	لطريق
٥٠	٧	علم لله	علم الله
٥٧	٦	منقلة	مثقلة
٦٦	١٩	والساق	والسابق
«	١٨	آبؤهم	آباؤهم
٨٧	١١	ا.لك	الملك
«	٢٥	فوقينا	فقوينا
١٠٠	٢٣	راد	أراد
١٠١	«	أ:زق	أرزق
«	٢٦	ا يتمسك	مما يتمسك
١٢٠	١	وكا	وكان
١٣٢	١٥	سعد بن جبير	سعيد بن جبير
١٣٣	١١	لهو الفضل	لهو الفوز
١٤٧	١٧	فابشره	فلما بشره
١٤٩	٢٤	فلم تجرى	فلم تجر
١٨٢	١٩	إذ لأ مسكم	إذالأ مسكم
١٨٧	١	لعشي	بالعشي
٢٣٢	٢٣	فبشر عبادي	فبشر عباد
٢٣٣	٢١	«	«
٢٨٢	١٥	والذين اتبعهم	والذين آمنوا واتبعتهم
٤٩٣	٢٠	رية	قرية





من تفسير الحافظ ابن كثير

وهو الامام الجليل الحافظ عماد الدين أبو الفداء اسماعيل

ابن كثير القرشي الدمشقي المتوفى سنة ٧٧٤

قال الحافظ الذهبي في المعجم المختص : الامام المفتي المحدث البارع ، فقيه متفنن محدث متقن ، ومفسر ... وله تصانيف مفيدة . وذكر الحافظ ابن حجر في الدرر الكامنة أنه كان من محدثي الفقهاء وقال سارت تصانيفه في البلاد في حياته ، وانتفع بها بعد وفاته

طبع عن نسخة الطبعة الاميرية وصحح مقابلة على نسخة مكتبة الحرم المكي الشريف المصححة على نسخة المؤلف .

ويليه في أدنى الصحائف

معالم التنزيل

تفسير الامام البغوى المتوفى سنة ٥١٦

قال التاج السبكي في طبقات الشافعية : الحسين بن مسعود الفراء الشيخ أبو محمد البغوي صاحب التهذيب الملقب «محيي السنة» من مصنفاته شرح السنة والمصابيح والتفسير المسمى معالم التنزيل . . كان اماماً جليلا ورعا زاهداً فقيهاً محدثاً مفسرا جامعاً بين العلم والعمل ، سالكا سبيل السلف

من مطبوعات صاحب الجلالة السعودية ، ومحيي السنة المحمدية

الإمام عبد العزيز آل سعود

ملك الحجاز ونجد وملحقاتها

الطبعة الاولى في مطبعة المنار بمصر في سنة ١٣٤٧ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

(المجلد السابع من تفسير الحافظ ابن كثير)

تفسير سورة سبأ وهي مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى له مافى السموات وما فى الأرض وله الحمد فى الآخرة وهو الحكيم الخبير (١) يعلم مايلج فى الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو الرحيم الغفور (٢)

يخبر تعالى عن نفسه الكريمة أن له الحمد المطلق في الدنيا والآخرة لانه المنعم المتفضل على أهل الدنيا والآخرة ، المالك لجميع ذلك ، الحاكم في جميع ذلك كما قال تعالى (وهو الله لا إله إلا هو له الحمد في الاولى والآخرة وله الحكم واليه ترجعون) ولهذا قال تعالى ههنا (الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الارض) أي الجميع ملكه وعبيده وتحت تصرفه وقهره كما قال تعالى (وان لنا للآخرة والاولى) ثم قال عز وجل (وله الحمد في الآخرة) فهو المعبود أبدا ، المحمود على طول المدى . وقوله تعالى (وهو الحكيم) أي في أقواله وأفعاله وشرعه وقدره (الخبير) الذي لا تخفى عليه خافية ولا يغيب عنه شيء

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ سورة سبأ مكية وهي أربع وخمسون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الارض ﴾ ملكا وخلقا ﴿ وله الحمد في الآخرة ﴾ كما هو له في الدنيا لان النعم في الدارين كلها منه وقيل الحمد لله في الآخرة هو حمد أهل الجنة كما قال الله تعالى (وقالوا الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن ـ والحمد لله الذي صدقنا وعده) ﴿ وهو الحكيم الخبير ﴾

وقال مالك عن الزهري خبير بخلقه حكيم بأمره ، ولهذا قال عز وجل (يعلم مايلج في الارض وما يخرج منها) أي يعلم عدد القطر النازل في أجزاء الارض والحب المبذور والكامن فيها ، ويعلم مايخرج من ذلك عدده و كيفيته وصفاته (وماينزل من السماء) أي من قطر ورزق ، ومايعرج فيها أي من الاعمال الصالحة وغير ذلك (وهو الرحيم الغفور) أي الرحيم بعباده فلا يعاجل عصاتهم بالعقوبة الغفور عن ذنوب التائبين اليه المتوكلين عليه

وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة قل بلى وربي لتأتينكم علم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتب مبين (٣) ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة ورزق كريم (٤) والذين سعوا في آيتنا معجزين أولئك لهم عذاب من رجز أليم (٥) ويرى الذين أوتوا العلم الذي أنزل إليك من ربك هو الحق ويهدي إلى صراط العزيز الحميد (٦)

هذه إحدى الآيات الثلاث التي لارابع لهن مما أمر الله تعالى رسوله ﷺ أن يقسم بربه العظيم على وقوع المعاد، لما أنكره من أنكره من أهل الكفر والعناد، فاحداهن في سورة يونس عليه السلام وهي قوله تعالى (ويستنبئونك أحق هو قل إي وربي انه لحق وما أنتم بمعجزين) والثانية هذه [وقال الذين كفروا لاتأتينا الساعة قل بلى وربي لتأتينكم] والثالثة في سورة التغابن وهي قوله تعالى [زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير] فقال تعالى [قل بلى وربي لتأتينكم] ثم وصفه بما يؤكد ذلك ويقرره فقال [عالم الغيب لايعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الارض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين] قال مجاهد وقتادة لايعزب عنه لايغيب عنه أي الجميع مندرج تحت علمه فلا يخفى عليه شيء ، فالعظام وإن تلاشت وتفرقت وتمزقت فهو عالم أين ذهبت وأين تفرقت ثم يعيدها كما بدأها أول مرة فانه بكل شيء عليم ، ثم بين حكمته في

يعلم مايلج في الارض ﴾ أي يدخل فيها من الماء والاموات ﴿ وما يخرج منها ﴾ من النبات والاموات اذا حشروا ﴿ وما ينزل من السماء ﴾ من الامطار ﴿ وما يعرج ﴾ يصعد ﴿ فيها ﴾ من الملائكة وأعمال العباد ﴿ وهو الرحيم الغفور * وقال الذين كفروا لاتأتينا الساعة ؟ قل بلى وربي لتأتينكم ﴾ الساعة ﴿ عالم الغيب ﴾ قرأ أهل المدينة والشام عالم بالرفع على الاستئناف، وقرأ الآخرون بالجر على نعت الرب أي وربي عالم الغيب، وقرأ حمزة والكسائي علام على وزن فعال وجر الميم ﴿ لا يعزب ﴾ لا يغيب ﴿ عنه مثقال ذرة ﴾ وزن ذرة ﴿ في السموات ولا في الارض ولا أصغر من ذلك ﴾ أي من الذرة ﴿ ولا

إعادة الابدان وقيام الساعة بقوله تعالى (ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة ورزق كريم * والذين سعوا في آياتنا معاجزين) أي سعوا في الصد عن سبيل الله تعالى وتكذيب رسله [أولئك لهم عذاب من رجز أليم] أي لينعم السعداء من المؤمنين ويعذب الاشقياء من الكافرين كما قال عز وجل [لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون] وقال تعالى [أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الارض أم نجعل المتقين كالفجار]

وقوله تعالى (ويرى الذين أوتوا العلم الذي أنزل اليك من ربك هو الحق) هذه حكمة أخرى معطوفة على التي قبلها وهي أن المؤمنين بما أنزل على الرسل اذا شاهدوا قيام الساعة ومجازاة الابرار والفجار بالذي كانوا قد علموه من كتب الله تعالى في الدنيا رأوه حينئذ عين اليقين ويقولون يومئذ أيضاً (لقد جاءت رسل ربنا بالحق) ويقال أيضاً (هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون - لقد لبثتم في كتاب الله إلى يوم البعث فهذا يوم البعث) (ويرى الذين أوتوا العلم الذي أنزل اليك من ربك هو الحق ويهدي إلى صراط العزيز الحميد) العزيز هو المنيع الجناب الذي لا يغالب ولا يمانع بل قد قهر كل شيء وغلبه الحميد في جميع أقواله وأفعاله وشرعه وقدره وهو المحمود في ذلك كله جل وعلا

وقال الذين كفروا هل ندلكم على رجل ينبئكم إذا مزقتم كل ممزق إنكم لفي خلق جديد ؟ (٧) أفترى على الله كذبا أم به جنة ؟ بل الذين لا يؤمنون بالآخرة في العذاب والضلال البعيد (٨) أفلم يروا إلى ما بين أيديهم وما خلفهم السماء والارض؟ إن نشأ نخسف بهم الارض أو نسقط عليهم كسفاً من السماء ان في ذلك لآية لكل عبد منيب (٩)

هذا اخبار من الله عز وجل عن استبعاد الكفرة الملحدين قيام الساعة واستهزائهم بالرسول ﷺ

أكبر إلا في كتاب مبين * ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك ﴾ يعني الذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴿ لهم مغفرة ورزق كريم ﴾ حسن يعني في الجنة ﴿ والذين سعوا في آياتنا ﴾ في ابطال أدلتنا ﴿ معاجزين ﴾ يحسبون انهم يفوتوننا ﴿ أولئك لهم عذاب من رجز أليم ﴾ قرأ ابن كثير وحفص ويعقوب أليم بالرفع ههنا وفي الجاثية على نعت العذاب وقرأ الآخرون بالخفض على نعت الرجز وقال قتادة الرجز سوء العذاب

قوله تعالى ﴿ ويرى الذين ﴾ أي ويرى الذين ﴿ أوتوا العلم ﴾ يعني مؤمني أهل الكتاب عبدالله ابن سلام وأصحابه وقال قتادة هم أصحاب محمد ﷺ ﴿ الذي انزل اليك من ربك ﴾ يعني القرآن ﴿ هو الحق ﴾ يعنى أنه من عند الله ﴿ ويهدي ﴾ يعني القرآن ﴿ الى صراط العزيز الحميد ﴾ وهو الاسلام ﴿ وقال الذين كفروا ﴾ منكرين للبعث متعجبين منه ﴿ هل ندلكم على رجل ينبئكم ﴾ أي يخبركم

في اخباره بذلك (وقال الذين كفروا هل ندلكم على رجل ينبئكم اذا مزقتم كل ممزق) أي تفرقت أجسادكم في الارض وذهبت فيها كل مذهب وتمزقت كل ممزق انكم . أي بعد هذا الحال (لفي خلق جديد) أي تعودون أحياء ترزقون بعد ذلك وهو في هذا الاخبار لايخلو أمره من قسمين إما أن يكون قد تعمد الافتراء على الله تعالى أنه قد أوحى اليه ذلك أو انه لم يتعمد لكن لبس عليه كما يلبس على المعتوه والمجنون ولهذا قالوا (افترى على الله كذبا أم به جنة) قال الله عز وجل راداً عليهم (بل الذين لايؤمنون بالآخرة في العذاب والضلال البعيد) أي ليس الامر كما زعموا ولا كما ذهبوا اليه بل محمد ﷺ هو الصادق البار الراشد الذي جاء بالحق، وهم الكذبة الجهلة الاغبياء (في العذاب) أي الكفر المفضي بهم الى عذاب الله تعالى (والضلال البعيد) من الحق في الدنيا ، ثم قال تعالى منبها لهم على قدرته في خلق السموات والارض فقال تعالى (أفلم يروا إلى مابين أيديهم وما خلفهم من السماء والارض) أي حيثما توجهوا وذهبوا فالسماء مطلة عليهم والارض تحتهم كما قال عز وجل [والسماء بنيناها بأيد وانا لموسعون * والارض فرشناها فنعم الماهدون]

قال عبد بن حميد أخبرنا عبد الرزاق عن معمر عن قتادة (أفلم يروا إلى مابين أيديهم وما خلفهم من السماء والارض) قال انك إن نظرت عن يمينك أو عن شمالك أو من بين يديك أو من خلفك رأيت السماء والارض

وقوله تعالى (إن نشأ نخسف بهم الارض أو نسقط عليهم كسفا من السماء) أي لو شئنا لفعلنا بهم ذلك بظلمهم وقدرتنا عليهم ولكن نؤخر ذلك لحلمنا وعفونا ثم قال [إن في ذلك لآية لكل عبد منيب] قال معمر عن قتادة منيب تائب ، وقال سفيان عن قتادة المنيب المقبل إلى الله تعالى أي إن في النظر إلى خلق السموات والارض لدلالة لكل عبد فطن لبيب رجاع الى الله، على قدرة الله على

يعنون محمداً ﷺ ﴿ اذا مزقتم كل ممزق﴾ قطعتم كل تقطيع وفرقتم كل تفريق وصرتم ترابا ﴿ إنكم لفي خلق جديد ﴾ أي يقول لكم إنكم لفي خلق جديد ﴿ أفترى ﴾ ألف استفهام دخلت على ألف الوصل ولذلك نصب ﴿ على الله كذبا أم به جنة ﴾ يقولون أزعم كذبا أم به جنون قال الله تعالى رداً عليهم ﴿ بل الذين لايؤمنون بالآخرة في العذاب والضلال البعيد ﴾ من الحق في الدنيا

قوله تعالى ﴿ أفلم يروا الى مابين ايديهم وما خلفهم من السماء والارض ﴾ فيعلموا انهم حيث كانوا فان ارضي وسمائي محيطة بهم لايخرجون من أقطارها وأنا القادر عليهم ﴿ إن نشأ نخسف بهم الارض ﴾ قرأ الكسائي نخسف بهم بادغام الفاء في الباء ﴿أو نسقط عليهم كسفا من السماء ﴾ قرأ حمزة والكسائي ان يشأ يخسف أو يسقط بالياء فيهن لذكر الله من قبل وقرأ الآخرون بالنون فيهن ﴿ إن في ذلك ﴾ أي فيما ترون من السماء والارض ﴿ لآية ﴾ تدل على قدرتنا على البعث ﴿ لكل عبد منيب ﴾ تائب راجع الى الله بقلبه

بعث الاجساد ووقوع المعاد لان من قدر على خلق هذه السموات في ارتفاعها واتساعها، وهذه الارضين في انخفاضها، وأطوالها وأعراضها، انه لقادر على اعادة الاجسام، ونشر الرميم من العظام، كما قال تعالى [أوليس الذي خلق السموات والارض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى] وقال تعالى [لخلق السموات والارض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لايعلمون]

ولقد آتينا داود منا فضلا ياجبال أوبي معه والطير وألنا له الحديد (١٠) أن اعمل سابغات وقدر في السرد واعملوا صالحا إني بما تعملون بصير (١١)

يخبر تعالى عما أنعم به على عبده ورسوله داود عليه الصلاة والسلام مما آتاه من الفضل المبين وجمع له بين النبوة والملك المتمكن، والجنود ذوي العدد والعدد، وما أعطاه ومنحه من الصوت العظيم الذي كان اذا سبح به تسبح معه الجبال الراسيات، الصم الشامخات، وتقف له الطيور السارحات، والغاديات والرائحات، وتجاوبه بأنواع اللغات، وفي الصحيح أن رسول الله ﷺ سمع صوت أبي موسى الاشعري رضي الله عنه يقرأ من الليل فوقف فاستمع لقراءته ثم قال ﷺ « لقد أوتي هذا مزماراً من مزامير آل داود » وقال أبو عثمان النهدي ماسمعت صوت صنج ولا بربط ولا وتر أحسن من صوت أبي موسى الاشعري رضي الله عنه، ومعنى قوله تعالى (أوبي) أي سبحي قاله ابن عباس ومجاهد وغير واحد وزعم أبو ميسرة أنه بمعنى سبحي بلسان الحبشة وفي هذا نظر فان التأويب في اللغة هو الترجيع فأمرت الجبال والطير أن ترجع معه بأصواتها وقال أبو القاسم عبد الرحمن ابن اسحاق الزجاجي في كتابه (الجمل) في باب النداء منه (ياجبال أوبي معه) أي سيري معه بالنهار كله والتأويب سير النهار كله، والاساد سير الليل كله وهذا لفظه وهو غريب جداً لم أره لغيره وإن كان له مساعدة من حيث اللفظ في اللغة لكنه بعيد في معنى الآية ههنا والصواب أن المعنى في قوله تعالى (أوبي معه) أي رجعي مسبحة معه كما تقدم والله أعلم

قوله تعالى ﴿ ولقد آتينا داود منا فضلا ﴾ يعني النبوة والكتاب وقيل الملك وقيل جميع ما أوتي من حسن الصوت وتليين الحديد وغير ذلك مما خص به ﴿ ياجبال ﴾ أي وقلنا ياجبال ﴿ أوبي ﴾ أي سبحي ﴿ معه ﴾ اذا سبح وقال القتيبي أصله من التأويب في السير وهو ان يسير النهار كله فينزل ليلا كأنه قال أوبي النهار كله بالتسبيح معه وقال وهب نوحي معه ﴿ والطير ﴾ عطف على موضع الجبال لان كل منادى في موضع النصب. وقيل معناه وسخرنا وامرنا الطير أن تسبح معه، وقرأ يعقوب والطير بالرفع رداً على الجبال أي أوبى أنت والطير وكان داود اذا نادى بالنياحة أجابته الجبال بصداها وعكفت الطير عليه من فوقه فصدى الجبال الذي يسمعه الناس اليوم من ذلك، وقيل كان داود اذا

وقوله تعالى (وألنا له الحديد) قال الحسن البصري وقتادة والاعمش وغيرهم كان لايحتاج أن يدخله ناراً ولا يضربه بمطرقة ، بل كان يفتله بيده مثل الخيوط ولهذا قال تعالى (أن اعمل سابغات) وهي الدروع قال قتادة وهو أول من عملها من الحلق وانما كانت قبل ذلك صفائح

وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا ابن سماعة حدثنا ابن ضمرة عن ابن شوذب قال : كان داود عليه السلام يرفع في كل يوم درعا فيبيعها بستة آلاف درهم ألفين له ولأهله وأربعة آلاف درهم يطعم بها بني اسرائيل خبز الحوارى (وقدر في السرد) هذا ارشاد من الله تعالى لنبيه داود عليه السلام في تعليمه صنعة الدروع ، قال مجاهد في قوله تعالى (وقدر في السرد) لاتدق المسمار فيقلق في الحلقة ولا تغلظه فيقصمها واجعله بقدر ، وقال الحكم بن عيينة لاتغلظه فيقصم ولا تدقه فيقلق ، وهكذا روي عن قتادة وغير واحد ، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس السرد هو الحديد ، وقال بعضهم يقال درع مسرودة اذا كانت مسمورة الحلق واستشهد بقول الشاعر

وعليهما مسرودتان قضاهما داود أو صنع السوابغ تبع

وقد ذكر الحافظ ابن عساكر في ترجمة داود عليه الصلاة والسلام من طريق اسحاق بن بشر وفيه كلام عن أبي الياس عن وهب بن منبه مامضمونه أن داود عليه السلام كان يخرج متنكراً فيسأل الركبان عنه وعن سيرته فلا يسأل أحداً إلا أثنى عليه خيراً في عبادته وسيرته وعدله عليه السلام ، قال وهب حتى بعث الله تعالى ملكا في صورة رجل فلقيه داود عليه الصلاة والسلام فسأله كما كان يسأل

تخلل الجبال فسبح الله جعلت الجبال تجاوبه بالتسبيح نحو مايسبح وقيل كان داود عليه السلام اذا لحقه فتور أسمعه الله تسبيح الجبال تنشيط له ﴿ وألنا له الحديد ﴾ حتى كان الحديد في يده كالشمع والعجين يعمل فيه مايشاء من غير نار ولا ضرب مطرقة . وكان سبب ذلك على ماروي في الاخبار أن داود عليه السلام لما ملك بني اسرائيل كان من عادته أن يخرج للناس متنكراً فاذا رأى رجلا لايعرفه يقدم اليه ويسأله عن داود ويقول له ماتقول في داود واليكم هذا أي رجل هو ؟ فيثنون عليه ويقولون خيراً فقيض الله له ملكا في صورة آدمي ، فلما رآه داود تقدم اليه على عادته فسأله فقال الملك نعم الرجل هو لولا خصلة فيه ، فراع داود ذلك وقال ماهي ياعبدالله ؟ قال انه يأكل ويطعم عياله من بيت المال ، قال فتنبه لذلك وسأل الله أن يسبب له سببا يستغني به عن بيت المال فيتقوت منه ويطعم عياله فألان الله تعالى له الحديد وعلمه صنعة الدروع وانه أول من اتخذها ويقال إنه كان يبيع كل درع بأربعة آلاف درهم فيأكل ويطعم منها عياله ويتصدق منها على الفقراء والمساكين ويقال إنه كان يعمل كل يوم درعا يبيعها بستة آلاف درهم فينفق ألفين منها على نفسه وعياله ويتصدق بأربعة آلاف على فقراء بني اسرائيل قال رسول الله ﷺ « كان داود عليه السلام لايأكل إلا من عمل يده » ﴿ أن اعمل سابغات ﴾ دروعا كوامل واسعات طوالا تسحب في الارض ﴿ وقدر في السرد ﴾ والسرد

غيره فقال هو خير الناس لنفسه ولأمته إلا أن فيه خصلة لو لم تكن فيه كان كاملا ، قال ماهي ؟ قال يأكل ويطعم عياله من مال المسلمين يعني بيت المال فعند ذلك نصب داود عليه السلام إلى ربه عز وجل في الدعاء أن يعلمه عملا بيده يستغني به ويغني به عياله فألان الله عز وجل له الحديد وعلمه صنعة الدروع فعمل الدروع وهو أول من عملها فقال الله تعالى (أن اعمل سابغات وقدر في السرد) يعني مسامير الحلق ، قال وكان يعمل الدرع فاذا ارتفع من عمله درع باعها فتصدق بثلثها واشترى بثلثها مايكفيه وعياله ، وأمسك الثلث يتصدق به يوما بيوم إلى أن يعمل غيرها ، وقال إن الله تعالى أعطى داود شيئا لم يعطه غيره من حسن الصوت انه كان اذا قرأ الزبور تجتمع الوحوش اليه حتى يؤخذ بأعناقها وما تنفر وما صنعت الشياطين المزامير والبرابط والصنوج إلا على أصناف صوته عليه السلام ، وكان شديد الاجتهاد ، وكان اذا افتتح الزبور بالقراءة كأنما ينفخ في المزامير، وكان قد أعطي سبعين مزماراً في حلقه ، قوله تعالى (واعملوا صالحا) أي في الذي أعطاكم الله تعالى من النعم (إني بما تعملون بصير) أي مراقب لكم بصير بأعمالكم وأقوالكم لايخفى علي من ذلك شيء

ولسليمن الريح غُدوُّها شهر ورواحها شهر وأسلنا له عين القِطر ومن الجن من يعمل بين يديه باذن ربه ومن يزغ منهم عن أمرنا نذقه من عذاب السعير (١٢) يعملون له مايشاء من محٰريب وتمٰثيل وجفان كالجواب وقدور راسيٰت اعملوا آل داود شكراً وقليل من عبادىَ الشّكور (١٣)

لما ذكر تعالى ماأنعم به على داود عطف بذكر ماأعطى ابنه سليمان عليهما الصلاة والسلام من تسخير الريح له تحمل بساطه غدوها شهر ورواحها شهر ، قال الحسن البصري كان يغدو على بساطه من دمشق فينزل باصطخر يتغدى بها ويذهب رائحا من اصطخر فيبيت بكابل ، وبين دمشق واصطخر شهر كامل المسرع ، وبين اصطخر وكابل شهر كامل المسرع

نسج الدروع يقال لصانعه السراد والزراد ، يقول قدر المسامير في حلق الدرع أي لاتجعل المسامير دقاقا فتقلق ، ولا غلاظا فتكسر الحلق ويقال السرد المسمار في الحلقة يقال درع مسرودة أي مسمورة الحلق (وقدر في السرد) اجعله على القصد وقدر الحاجة ﴿ واعملوا صالحا ﴾ يريد داود وآله ﴿ إني بما تعملون بصير * ولسليمان الريح ﴾ أي وسخرنا لسليمان الريح وقرأ أبو بكر عن عاصم الريح بالرفع أي له سخر الريح ﴿ غدوها شهر ورواحها شهر ﴾ أي سير غدو تلك الريح المسخرة له مسيرة شهر وسير رواحها مسيرة شهر وكانت تسير به في يوم واحد مسيرة شهرين قال الحسن كان يغدو من دمشق فيقيل باصطخر وبينهما مسيرة شهر ثم يروح من اصطخر فيبيت بكابل وبينهما مسيرة شهر للراكب

وقوله تعالى (وأسلنا له عين القطر) قال ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وعكرمة وعطاء الخراساني وقتادة والسدي ومالك عن زيد بن أسلم وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغير واحد القطر النحاس قال قتادة وكانت باليمن فكل مايصنع الناس مما أخرج الله تعالى لسليمان عليه السلام، قال السدي وانما أسيلت له ثلاثة أيام وقوله تعالى (ومن الجن من يعمل بين يديه باذن ربه) أي وسخرنا له الجن يعملون بين يديه باذن ربه أي بقدره وتسخيره لهم بمشيئته مايشاء من البنايات وغير ذلك (ومن يزغ منهم عن أمرنا) أي ومن يعدل ويخرج منهم عن الطاعة (نذقه من عذاب السعير) وهو الحريق

وقد ذكر ابن أبي حاتم ههنا حديثا غريبا فقال حدثنا أبي حدثنا أبو صالح حدثنا معاوية بن صالح عن أبي الزهراء عن جبير بن نفير عن أبي ثعلبة الخشني رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال «الجن على ثلاثة أصناف صنف لهم أجنحة يطيرون في الهواء وصنف حيات وكلاب وصنف يحلون ويظعنون» رفعه غريب جدا . وقال أيضا حدثنا أبي حدثنا حرملة حدثنا ابن وهب أخبرني بكر بن مضر عن محمد بن بحير عن ابن أنعم أنه قال: الجن ثلاثة أصناف صنف لهم الثواب وعليهم العقاب، وصنف طيارون فيما بين السماء والارض، وصنف حيات وكلاب. قال بكر بن مضر ولا أعلم الا أنه قال حدثني أن الانس ثلاثة أصناف، صنف يظلهم الله بظل عرشه يوم القيامة، وصنف كالانعام بل هم أضل سبيلا، وصنف في صور الناس على قلوب الشياطين. وقال أيضا حدثنا أبي حدثنا علي بن هاشم بن مرزوق حدثنا سلمة يعني ابن الفضل عن اسماعيل عن الحسن قال الجن ولد ابليس والانس ولد آدم ومن هؤلاء مؤمنون ومن هؤلاء مؤمنون وهم شركاؤهم في الثواب والعقاب ومن كان من هؤلاء وهؤلاء مؤمنا فهو ولي الله تعالى ومن كان من هؤلاء وهؤلاء كافرا فهو شيطان

وقوله تعالى (يعملون له مايشاء من محاريب وتماثيل) أما المحاريب فهي البناء الحسن وهو أشرف

المسرع وقيل إنه كان يتغدى بالري ويتعشى بسمرقند ﴿وأسلنا له عين القطر﴾ أي أذبنا له عين النحاس والقطر النحاس قال أهل التفسير أجريت له عين النحاس ثلاثة أيام بلياليهن تجري الماء وكان بأرض اليمن وإنما ينتفع الناس اليوم بما أخرج الله لسليمان ﴿ومن الجن من يعمل بين يديه باذن ربه﴾ بأمر ربه قال ابن عباس سخر الله الجن لسليمان وأمرهم بطاعته فيما يأمرهم به ﴿ومن يزغ﴾ أي يعدل ﴿منهم﴾ من الجن ﴿عن أمرنا﴾ الذي أمرناه به من طاعة سليمان ﴿نذقه من عذاب السعير﴾ في الآخرة وقال بعضهم في الدنيا وذلك أن الله عز وجل وكل بهم ملكا بيده سوط من نار فمن زاغ منهم عن أمر سليمان ضربه ضربة احرقته ﴿يعملون له مايشاء من محاريب﴾ أي المساجد والابنية المرتفعة وكان مما عملوا في بيت المقدس ابتداه داود ورفعه قدر قامة رجل فاوحى الله اليه إني لم اقض ذلك على يدك ولكن ابن لك أملكه بعدك اسمه سليمان أقضي تمامه على يده، فلما توفاه الله استخلف سليمان فأحب اتمام بناء بيت المقدس فجمع الجن والشياطين وقسم عليهم الاعمال فخص

شيء في المسكن وصدره وقال مجاهد المحاريب بنيان دون القصور ، وقال الضحاك هي المساجد وقال قتادة هي القصور والمساجد قال ابن زيد هي المساكن. وأما التماثيل فقال عطية العوفي والضحاك والسدي التماثيل الصور قال مجاهد وكانت من نحاس وقال قتادة من طين وزجاج

وقوله تعالى (وجفان كالجواب وقدور راسيات) الجواب جمع جابية وهي الحوض الذي يجبى فيه الماء كما قال الاعشى ميمون بن قيس

كل طائفة منهم بعمل يستصلحه لهم فارسل الجن والشياطين في تحصيل الرخام والمينا الابيض من معادنه وأمر ببناء المدينة بالرخام والصفاح وجعلها اثنى عشر ربضا وانزل كل ربض منها سبطا من الاسباط وكانوا اثني عشر سبطا فلما فرغ من بناء المدينة ابتدأ في بناء المسجد فوجه الشياطين فرقا فرقا يستخرجون الذهب والفضة والياقوت من معادنها والدر الصافي من البحر وفرقا يقلعون الجواهر والحجارة من أماكنها وفرقا يأتونه بالمسك والعنبر وسائر الطيب من أماكنها فأتي من ذلك بشيء لايحصيه إلا الله عز وجل ثم احضر الصناعين وأمرهم بنحت تلك الحجارة المرتفعة وتصييرها ألواحا واصلاح تلك الجواهر وثقب اليواقيت واللآلي، فبنى المسجد بالرخام الابيض والاصفر والاخضر وعمده بأساطين المينا الصافي وسقفه بالواح الجواهر الثمينة وفصص سقوفه وحيطانه باللآلي واليواقيت وسائر الجواهر وبسط أرضه بالواح الفيروزج فلم يكن يومئذ في الارض بيت ابهى ولا انور من ذلك المسجد وكان يضيء في الظلمة كالقمر ليلة البدر، فلما فرغ منه جمع اليه أحبار بني اسرائيل فاعلمهم أنه بناه لله عز وجل وأن كل شيء فيه خالص لله واتخذ ذلك اليوم الذي فرغ منه عيداً. وروى عبدالله ابن عمرو بن العاص عن رسول الله ﷺ قال « لما فرغ سليمان من بناء بيت المقدس سأل ربه ثلاثا فاعطاه اثنين وأنا أرجو أن يكون أعطاه الثالثة سأل حكما يصادف حكمه فاعطاه إياه وسأله ملكا لا ينبغي لأحد من بعده فاعطاه إياه وسأله أن لا يأتي هذا البيت أحد يصلي فيه ركعتين إلا خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه وأنا أرجو أن يكون قد أعطاه ذلك » قالوا فلم يزل بيت المقدس على ما بناه سليمان حتى غزاه بختنصر فخرب المدينة وهدمها ونقض المسجد وأخذ ما كان في سقوفه وحيطانه من الذهب والفضة والدر والياقوت وسائر الجواهر فحمله الى دار مملكته من أرض العراق، وبنى الشياطين لسليمان باليمن حصونا كثيرة عجيبة من الصخر

قوله تعالى ﴿ وتماثيل ﴾ أي كانوا يعملون له تماثيل أي صوراً من نحاس وصفر وشبه وزجاج ورخام وقيل كانوا يصورون السباع والطيور وقيل كانوا يتخذون صور الملائكة والانبياء والصالحين في المسجد ليراها الناس فيزدادوا عبادة ولعلها كانت مباحة في شريعتهم كما أن عيسى كان يتخذ صوراً من الطين فينفخ فيها فتكون طيراً باذن الله ﴿ وجفان ﴾ أي قصاع واحدتها جفنة ﴿ كالجواب ﴾ كالحياض التي يجبى فيها الماء أي يجمع واحدتها جابية يقال كان يقعد على الجفنة الواحدة ألف رجل

تروح على آل المحلق جفنة كجابية الشيخ العراقي تفهق

وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما (كالجواب) أي كالجوبة من الارض وقال العوفي عنه كالحياض وكذا قال مجاهد والحسن وقتادة والضحاك وغيرهم. والقدور الراسيات أي الثابتات في أماكنها لا تتحرك ولا تتحول عن أماكنها لعظمها كذا قال مجاهد والضحاك وغيرهما وقال عكرمة أثافيها منها وقوله تعالى (اعملوا آل داود شكرا) أي وقلنا لهم اعملوا شكرا على ما أنعم به عليكم في الدين والدنيا، وشكرا مصدر من غير الفعل أو انه مفعول له وعلى التقديرين فيه دلالة على أن الشكر يكون بالفعل كما يكون بالقول والنية كما قال الشاعر

أفادتكم النعماء مني ثلاثة * يدي ولساني والضمير المحجبا

قال أبو عبد الرحمن السلمي الصلاة شكر والصيام شكر وكل خير تعمله لله عز وجل شكر وأفضل الشكر الحمد. رواه ابن جرير وروى هو وابن أبي حاتم عن محمد بن كعب القرظي قال الشكر تقوى الله تعالى والعمل الصالح ،وهذا يقال لمن هو متلبس بالفعل. وقد كان آل داود عليهم السلام كذلك قائمين بشكر الله تعالى قولا وعملا .قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عبد الله بن أبي بكر حدثنا جعفر يعني ابن سليمان عن ثابت البناني قال كان داود عليه السلام قد جزأ على أهله وولده ونسائه الصلاة فكان لا تأتي عليهم ساعة من الليل والنهار الا وإنسان من آل داود قائم يصلي فغمرتهم هذه الآية (اعملوا آل داود شكرا وقليل من عبادي الشكور) وفي الصحيحين عن رسول الله ﷺ انه قال « ان أحب الصلاة الى الله تعالى صلاة داود كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه ، وأحب الصيام الى الله تعالى صيام داود كان يصوم يوما ويفطر يوما ولا يفر اذا لاقى »

وقد روى أبو عبد الله بن ماجه من حديث سعيد بن داود حدثنا يوسف بن محمد بن المنكدر عن أبيه عن جابر رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « قالت أم سليمان بن داود عليهم السلام لسليمان يابني لا تكثر النوم بالليل فان كثرة النوم بالليل تترك الرجل فقيرا يوم القيامة » وروى ابن أبي حاتم عن داود عليه الصلاة والسلام ههنا أثرا غريبا مطولا جداء، وقال أيضا حدثنا أبي حدثنا عمران ابن موسى حدثنا أبو زيد قبيصة بن اسحاق الرقي قال قال فضيل في قوله تعالى (اعملوا آل داود شكرا) قال داود يارب كيف أشكرك والشكر نعمة منك ؟ قال « الآن شكرتني حين قلت إن النعمة مني » وقوله تعالى (وقليل من عبادي الشكور) اخبار عن الواقع

يأكلون منها ﴿وقدور راسيات﴾ ثابتات لها قوائم لا تحركن عن أماكنها لعظمهن ولا ينزلن ولا يقلعن وكان يصعد عليها بالسلاليم جمع السلم وكانت باليمن ﴿اعملوا آل داود شكراً﴾ أي وقلنا اعملوا آل داود شكراً مجازه اعملوا يا آل داود بطاعة الله شكراً له على نعمه ﴿وقليل من عبادي الشكور﴾ أي العامل بطاعتي شكراً لنعمتي قيل المراد من آل داود هو داود نفسه وقيل داود وسليمان وأهل

فلما قضينا عليه الموت مادلهم على موته إلا دابة الارض تأكل منسأته فلما خر تبينت الجن

أن لو كانوا يعلمون الغيب مالبثوا في العذاب المهين (١٤)

يذكر تعالى كيفية موت سليمان عليه السلام وكيف عمى الله موته على الجان المسخرين له في الاعمال الشاقة فانه مكث متوكئا على عصاه وهي منسأته كما قال ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد والحسن وقتادة وغير واحد مدة طويلة نحوا من سنة فلما أكلتها دابة الارض وهي الارضة ضعفت وسقط الى الارض وعلم أنه قد مات قبل ذلك بمدة طويلة، وتبينت الجن والانس أيضا ان الجن لا يعلمون الغيب كما كانوا يتوهمون ويوهمون الناس ذلك. وقد ورد في ذلك حديث مرفوع غريب وفي صحته نظر

قال ابن جرير حدثنا أحمد بن منصور حدثنا موسى بن مسعود حدثنا أبو حذيفة حدثنا ابراهيم ابن طهمان عن عطاء عن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال « كان نبي الله سليمان عليه السلام إذا صلى رأى شجرة نابتة بين يديه فيقول لها ما اسمك؟ فتقول كذا فيقول لأي شيء أنت فان كانت تغرس غرست وان كانت لدواء كتبت، فبينما هو يصلي ذات يوم إذ رأى شجرة بين يديه فقال لها ما اسمك؟ قالت الخروب قال لأي شيء أنت؟ قالت لخراب هذا البيت فقال سليمان عليه السلام اللهم عم على الجن موتي حتى يعلم الانس أن الجن لا يعلمون الغيب، فنحتها عصا فتوكأ عليها حولا ميتا والجن تعمل، فأكلتها الارضة فتبينت الانس أن الجن لو كانوا يعلمون الغيب مالبثوا حولا في العذاب المهين» قال وكان ابن عباس يقرؤها كذلك قال فشكرت الجن للارضة فكانت تأتيها بالماء، وهكذا رواه ابن أبي حاتم من حديث ابراهيم بن طهمان به وفي رفعه غرابة ونكارة والاقرب أن يكون موقوفا وعطاء بن أبي مسلم الخراساني له غرابات وفي بعض حديثه نكارة، وقال السدي في حديثه نكارة. وقال السدي في حديث ذكره عن أبي مالك عن أبي

بيته وقال جعفر بن سليمان سمعت ثابتا يقول كان داود نبي الله عليه السلام قد جزأ ساعات الليل والنهار على أهله فلم يكن تأتي ساعة من ساعات الليل والنهار إلا وانسان من آل داود قائم يصلي ﴿ فلما قضينا عليه الموت ﴾ أي على سليمان قال أهل العلم كان سليمان عليه السلام يتحرر في بيت المقدس السنة والسنتين والشهر والشهرين وأقل من ذلك واكثر يدخل فيه طعامه وشرابه فادخل في المرة التي مات فيها وكان بدء ذلك أنه كان لا يصبح يوما إلا نبتت في محراب بيت المقدس شجرة فيسألها ما اسمك فتقول اسمي كذا فيقول لأي شيء أنت فتقول لكذا وكذا فيأمر بها فتقطع فان كانت نبتت لغرس غرسها، وان كانت لدواء كتب، حتى نبتت الخروبة فقال لها ما أنت؟ قالت الخروبة قال لاي شيء نبت؟ قالت لخراب مسجدك فقال سليمان ما كان الله ليخربه وأنا حي أنت التي على وجهك هلاكي وخراب بيت المقدس فنزعها وغرسها في حائط له ثم قال اللهم عم على الجن موتي حتى يعلم الانس أن الجن لا يعلمون الغيب

صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما وعن مرة الهمداني عن ابن مسعود رضي الله عنه وعن ناس من أصحاب رسول الله ﷺ ورضي الله عنهم قال: كان سليمان عليه الصلاة والسلام يتحرز في بيت المقدس السنة والسنتين والشهر والشهرين وأقل من ذلك وأكثر فيدخل فيه ومعه طعامه وشرابه فادخله في المرة التي توفي فيها فكان بدء ذلك أنه لم يكن يوم يصبح فيه إلا ينبت الله بيت المقدس شجرة فيأتيها فيسألها فيقول ما اسمك فتقول الشجرة اسمي كذا وكذا فان كانت لغرس غرسها وان كانت تنبت دواء قالت نبت دواء كذا وكذا فيجعلها كذلك، حتى نبتت شجرة يقال لها الخروبة فسألها ما اسمك قالت أنا الخروبة قال ولاي شيء نبت؟ قالت نبت لخراب هذا المسجد قال سليمان عليه الصلاة والسلام ما كان الله ليخربه وأنا حي أنت التي على وجهك هلاكي وخراب بيت المقدس فنزعها وغرسها في حائط له ثم دخل المحراب فقام يصلي متكئا على عصاه فمات ولم تعلم به الشياطين وهم في ذلك يعملون له يخافون أن يخرج عليهم فيعاقبهم، وكانت الشياطين تجتمع حول المحراب وكان المحراب له كوى بين يديه وخلفه فكان الشيطان الذي يريد أن يخلع يقول ألست جلدا ان دخلت فخرجت من ذلك الجانب فيدخل حتى يخرج من الجانب الآخر فدخل شيطان من أولئك فمر ولم يكن شيطان ينظر الى سليمان عليه السلام في المحراب الا احترق فمر ولم يسمع صوت سليمان ثم رجع فلم يسمع ثم رجع فوقع في البيت ولم يحترق ونظر الى سليمان عليه السلام قد سقط ميتا فخرج فاخبر الناس أن سليمان قد مات ففتحوا عليه فاخرجوه ووجدوا منسأته وهي العصا بلسان الحبشة قد اكلتها الارضة ولم يعلموا منذكم مات فوضعوا الارضة على العصا فأكلت منها يوما وليلة ثم حسبوا على ذلك النحو فوجدوه قد مات منذ سنة وهي في قراءة ابن مسعود رضي الله عنه، فمكثوا يدينون له من بعد موته حولا كاملا، فأيقن الناس عند ذلك أن الجن كانوا يكذبونهم ولو أنهم يطلعون على الغيب لعلموا بموت سليمان ولم يلبثوا في العذاب سنة يعملون له، وذلك قول الله عز وجل (مادلهم على موته الا دابة الارض تأكل منسأته فلما خر تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب مالبثوا في العذاب المهين) يقول تبين أمرهم للناس

وكانت الجن تخبر الانس أنهم يعلمون من الغيب أشياء ويعلمون مافي غد، ثم دخل المحراب فقام يصلي متكئا على عصاه فمات قائما وكان للمحراب كوى بين يديه وخلفه وكانت الجن يعملون تلك الاعمال الشاقة التي كانوا يعملون في حياته وينظرون اليه يحسبون انه حي ولا ينكرون احتباسه عن الخروج الى الناس لطول صلاته قبل ذلك فمكثوا يدأبون له بعد موته حولا كاملا حتى أكلت الارضة عصا سليمان فخر ميتا فعلموا بموته، قال ابن عباس فشكرت الجن الارضة فهم يأتونها بالماء والطين في جوف الخشب فذلك قوله تعالى ﴿ مادلهم على موته إلا دابة الارض ﴾ وهي الارضة التي ﴿ تأكل منسأته ﴾ يعني عصاه قرأ أهل المدينة وأبو عمرو منساته بغير همز وقرأ الباقون بالهمز وهما لغتان ويسكن ابن عامر الهمز وأصلها من نسأت الغنم أي زجرتها وسقتها ومنه نسأ الله في أجله أي أخره ﴿ فلما خر ﴾

أنهم كانوا يكذبونهم ، ثم إن الشياطين قالوا للارضة لو كنت تأكلين الطعام أتيناك بأطيب الطعام ولو كنت تشربين الشراب سقيناك أطيب الشراب ولكنا سننقل اليك الماء والطين قال فهم ينقلون اليها ذلك حيث كانت، قال ألم تر إلى الطين الذي يكون في جوف الخشب فهو ما تأتيها به الشياطين شكراً لها ، وهذا الاثر والله أعلم انما هو مما تلقي من علماء أهل الكتاب وهي وقف لا يصدق منه الا ما وافق الحق ولا يكذب منها إلا ما خالف الحق والباقي لا يصدق ولا يكذب ، وقال ابن وهب وأصبغ بن الفرج عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في قوله تبارك وتعالى (مادلهم على موته الا دابة الارض تأكل منسأته) قال : قال سليمان عليه السلام لملك الموت إذا أمرت بي فأعلمني فأتاه فقال : ياسليمان قد أمرت بك قد بقيت لك سويعة فدعا الشياطين فبنوا عليه صرحا من قوارير وليس له باب فقام يصلي فاتكأ على عصاه ، قال فدخل عليه ملك الموت فقبض روحه وهو متكىء على عصاه ولم يصنع ذلك فراراً من ملك الموت ، قال والجن تعمل بين يديه وينظرون اليه يحسبون أنه حي قال فبعث الله عز وجل دابة الارض قال والدابة تأكل العيدان يقال لها القادح فدخلت فيها فاكلتها حتى إذا أكلت جوف العصا ضعفت وثقل عليها فخر ميتا ، فلما رأت ذلك الجن انفضوا وذهبوا قال فذلك قوله تعالى (مادلهم على موته الى دابة الارض تأكل منسأته) قال أصبغ بلغني عن غيره أنها قامت سنة تأكل منها قبل أن يخر وذكر غير واحد من السلف نحواً من هذا والله أعلم

لقد كان لسبأ في مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور (١٥) فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم وبدلنهم بجنتيهم جنتين ذواتي

أي سقط على الارض ﴿ تبينت الجن ﴾ أي علمت الجن وايقنت ﴿ أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين ﴾ أي في التعب والشقاء مسخرين لسليمان وهو ميت يظنونه حيا ، أراد الله بذلك أن يعلم الجن أنهم لا يعلمون الغيب لانهم كانوا يظنون أنهم يعلمون الغيب لغلبة الجهل عليهم . وذكر الازهري أن معناه تبينت الجن أي ظهرت وانكشفت الجن للانس أي ظهر أمرهم أنهم لا يعلمون الغيب لانهم كانوا قد شبهوا على الانس ذلك وفي قراءة ابن مسعود وابن عباس (تبينت الانس أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين) أي علمت الانس وأيقنت ذلك وقرأ يعقوب تبينت بضم التاء وكسر الياء أي أعلمت الانس الجن ذكر بلفظ مالم يسم فاعله وتبين لازم ومتعد وذكر أهل التاريخ أن سليمان كان عمره ثلاثا وخمسين سنة ومدة ملكه أربعون سنة وملك يوم ملك وهو ابن ثلاث عشرة سنة وابتدأ في بناء بيت المقدس لاربع سنين مضين من ملكه

قوله عز وجل ﴿ لقد كان لسبأ ﴾ روى أبو سبرة النخعي عن فروة بن مسيك الغطيفي قال : قال رجل يارسول الله أخبرني عن سبأ كان رجلا أو امرأة أو أرضا ؟ قال « كان رجلا من العرب

أُكُلٍ خمطٍ وأثلٍ وشيءٍ من سدرٍ قليلٍ (١٦) ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجزي إلا الكفور (١٧)

كانت سبأ ملوك اليمن وأهلها وكانت التبابعة منهم وبلقيس صاحبة سليمان عليه الصلاة والسلام من جملتهم وكانوا في نعمة وغبطة في بلادهم وعيشهم واتساع أرزاقهم وزروعهم وثمارهم وبعث الله تبارك وتعالى اليهم الرسل تأمرهم أن يأكلوا من رزقه ويشكروه بتوحيده وعبادته فكانوا كذلك ما شاء الله تعالى ثم أعرضوا عما أمروا به فعوقبوا بارسال السيل والتفرق في البلاد أيدي سبأ شذر مذر كما سيأتي ان شاء الله تعالى تفصيله وبيانه قريبا وبه الثقة

قال الامام احمد رحمه الله حدثنا أبو عبد الرحمن حدثنا ابن لهيعة عن عبد الله بن هبيرة عن عبد الرحمن بن وعلة قال سمعت ابن عباس يقول ان رجلان سألا رسول الله ﷺ عن سبأ ما هو أرجل أم امرأة أم أرض؟ قال ﷺ «بل هو رجل ولد له عشرة فسكن اليمن منهم ستة والشام منهم أربعة فاما اليمانيون فمذحج وكندة والازد والاشعريون وأنمار وحمير، وأما الشامية فلخم وجذام وعاملة وغسان» ورواه عبد عن الحسن بن موسى عن ابن لهيعة به وهذا اسناد حسن ولم يخرجوه وقد رواه الحافظ أبو عمر بن عبد البر في كتاب (القصد والامم بمعرفة أصول انساب العرب والعجم) من حديث ابن لهيعة عن علقمة بن وعلة عن ابن عباس رضي الله عنهما فذكر نحوه. وقد روي نحوه من وجه آخر

وقال الامام أحمد أيضا وعبد بن حميد حدثنا يزيد بن هارون حدثنا أبو خباب يحيى بن أبي حية الكلبي عن يحيى بن هارون عن عروة عن فروة بن مسيك رضي الله عنه قال أتيت رسول الله ﷺ فقلت يارسول الله أقاتل بمقبل قومي مدبرهم؟ قال رسول الله ﷺ «نعم فقاتل بمقبل قومك مدبرهم» فلما وليت دعاني فقال «لاتقاتلهم حتى تدعوهم الى الاسلام» فقلت يارسول الله أرأيت سبأ أواد هو أوجبل أو ماهو؟ قال ﷺ «لا بل هو رجل من العرب ولد له عشرة فتيامن ستة وتشاءم أربعة تيامن الازد والاشعريون وحمير وكندة ومذحج وأنمار الذين يقال لهم بجيلة وخثعم، وتشاءم لخم وجذام وعاملة وغسان» وهذا أيضا اسناد حسن وان كان فيه أبوخباب الكلبي وقد تكلموا فيه لكن رواه ابن جرير عن أبي كريب عن العنقزي عن أسباط بن نصر عن يحيى بن هاني المرادي عن عمه أو عن أبيه شك - أسباط - قال قدم فروة بن مسيك رضي الله عنه على رسول الله ﷺ فذكره

طريق أخرى لهذا الحديث. قال ابن أبي حاتم حدثنا يونس بن عبد الاعلى حدثنا ابن وهب حدثني ابن لهيعة عن توبة بن نمير عن عبد العزيز بن يحيى أنه اخبره قال كنا عند عبيدة بن عبدالرحمن بافريقية فقال يوما ما أظن قوما بأرض الا وهم من أهلها فقال علي بن أبي رباح كلا قد حدثني فلان أن

وله عشرة من الولد تيامن منهم ستة وتشاءم أربعة فأما الذين تيامنوا فكندة والاشعريون والازد ومذحج وانمار وحمير - فقال رجل وما انمار؟ - فقال الذين منهم خثعم وبجيلة، وأما الذين تشاءموا

فروة بن مسيك القطيفي رضي الله عنه قدم على رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله إن سبأ قوم كان لهم عز فى الجاهلية وانى أخشى أن يرتدوا عن الاسلام أفأقاتلهم فقال ﷺ «ما أمرت فيهم بشيء بعد» فأنزلت هذه الآية (لقد كان لسبأ في مسكنهم آية) الآيات فقال له رجل يارسول الله ماسبأ فذكر مثل الحديث الذي قبله أن رسول الله ﷺ سئل عن سبأ أبلد أم رجل أم امرأة ؟ قال ﷺ « بل رجل ولد له عشرة فسكن اليمن منهم ستة والشام أربعة اما اليمانيون فمذحج وكندة والازد والاشعريون وأنمار وحمير غير ماحملها وأما الشام فلخم وجذام وغسان وعاملة » فيه غرابة من حيث ذكر نزول الآية بالمدينة والسورة مكية كلها والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿طريق أخرى﴾ قال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا أبو أسامة حدثنا الحسن بن الحكم حدثنا أبو سبرة النخعي عن فروة بن مسيك القطيفي رضي الله عنه قال : قال رجل يارسول الله أخبرني عن سبأ ماهو أرض أم امرأة ؟ قال ﷺ « ليس بأرض ولا امرأة ولكنه رجل ولد له عشرة من الولد فتيامن ستة وتشاءم أربعة فاما الذين تشاءموا فلخم وجذام وعامله وغسان. وأما الذين تيامنوا فكندة والاشعريون والازد ومذحج وحمير وأنمار» فقال رجل ماأنمار؟ قال ﷺ « الذين منهم خثعم وبجيلة »

ورواه الترمذي في جامعه عن أبي كريب وعبد بن حميد قال حدثنا أبو أسامة فذكره أبسط من هذا ثم قال هذا حديث حسن غريب . وقال أبو عمر بن عبد البر حدثنا عبد الوارث بن سفيان حدثنا قاسم بن أصبغ حدثنا أحمد بن زهير حدثنا عبد الوهاب بن نجدة الحوطي حدثنا ابن كثير هو عثمان بن كثير عن الليث بن سعد عن موسى بن علي عن يزيد بن حصين عن تميم الداري رضي الله عنه قال إن رجلا أتى رسول الله ﷺ فسأله عن سبأ فذكر مثله فقوى هذا الحديث وحسن

قال علماء النسب منهم محمد بن إسحاق اسم سبأ عبد شمس بن يشجب بن يعرب بن قحطان وانما سمى سبأ لانه أول من سبأ في العرب وكان يقال له الرائش لانه أول من غنم في الغزو فأعطى قومه فسمي الرائش ، والعرب تسمي المال ريشا ورياشا ، وذكروا أنه بشر برسول الله ﷺ في زمانه المتقدم وقال في ذلك شعراً

سيملك بعدنا ملكا عظيما نبي لا يرخص في الحرام

ويملك بعده منهم ملوك يدينون القياد بغير ذام

فعاملة وجذام ولخم وغسان » وسبأ هو ابن يشجب بن يعرب بن قحطان ﴿ في مسكنهم ﴾ قرأ حمزة وحفص مسكنهم بفتح الكاف على الواحد وقرأ الكسائي بكسر الكاف وقرأ الآخرون مساكنهم على الجمع وكانت مساكنهم بمأرب من اليمن ﴿ آية ﴾ دلالة على وحدانيتنا وقدرتنا ثم فسر الآية فقال

ويملك بعدهم منا ملوك يصير الملك فينا باقتسام
ويملك بعد قحطان نبي تقي مخبت خير الانام
يسمى أحمداً ياليت أني أعمر بعد مبعثه بعام
فأعضده وأحبوه بنصري بكل مدجج وبكل رام
متى يظهر فكونوا ناصريه ومن يلقاه يبلغه سلامي

ذكر ذلك الهمذاني في كتاب (الاكليل) واختلفوا في قحطان على ثلاثة أقوال (أحدها) أنه من سلالة أرم بن سام بن نوح واختلفوا في كيفية اتصال نسبه به على ثلاث طرائق (والثاني) أنه من سلالة عابر وهو هود عليه الصلاة والسلام واختلفوا أيضا في كيفية اتصال نسبه به على ثلاث طرائق أيضا (والثالث) أنه من سلالة اسماعيل بن ابراهيم الخليل عليهما الصلاة والسلام، واختلفوا في كيفية اتصال نسبه به على ثلاث طرائق أيضا. وقد ذكر ذلك مستقصى الامام الحافظ أبو عمر بن عبد البر النمري رحمة الله تعالى عليه في كتابه المسمى (الانباه على ذكر أصول القبائل الرواه)

ومعنى قوله ﷺ «كان رجلا من العرب» يعني العرب العاربة الذين كانوا قبل الخليل عليه الصلاة والسلام من سلالة سام بن نوح، وعلى القول الثالث كان من سلالة الخليل عليه السلام وليس هذا بالمشهور عندهم والله أعلم. ولكن في صحيح البخاري أن رسول الله (ص) مر بنفر من أسلم ينتضلون فقال «ارموا بني اسماعيل فان أباكم كان راميا» فأسلم قبيلة من الانصار - والانصار أوسها وخزرجها من غسان من عرب اليمن من سبأ - نزلوا بيثرب لما تفرقت سبأ في البلاد حين بعث الله عز وجل عليهم سيل العرم ونزلت طائفة منهم بالشام، وانما قيل لهم غسان بماء نزلوا عليه قيل باليمن، وقيل انه قريب من المشلل كما قال حسان بن ثابت رضي الله عنه

إما سألت فانا معشر نجب الازد نسبتنا والماء غسان

ومعنى قوله ﷺ «ولد له عشرة من العرب» أي كان من نسله هؤلاء العشرة الذين يرجع اليهم أصول القبائل من عرب اليمن لا أنهم ولدوا من صلبه بل منهم من بينه وبينه الابوان والثلاثة والاقل والاكثر كما هو مقرر مبين في مواضعه من كتب النسب. ومعنى قوله ﷺ «فتيامن منهم ستة وتشاءم منهم أربعة» أي بعد ما أرسل الله تعالى عليهم سيل العرم منهم من أقام ببلادهم ومنهم من نزح عنها الى غيرها. وكان من أمر السد أنه كان الماء يأتيهم من بين جبلين وتجتمع اليه أيضا سيول أمطارهم وأوديتهم فعمد ملوكهم الاقادم فبنوا بينهما سدا عظيما محكما حتى ارتفع الماء وحكم على حافات ذينك الجبلين

﴿جنتان﴾ أي هي جنتان بستانان ﴿عن يمين وشمال﴾ أي عن يمين الوادي وشماله وقيل عن يمين من أتاهما وشماله وكان لهما واد قد أحاطت الجنتان بذلك الوادي ﴿كلوا﴾ أي وقيل لهم كلوا ﴿من

فغرسوا الاشجار واستغلوا الثمار في غاية مايكون من الكثرة والحسن كما ذكر غير واحد من السلف منهم قتادة ان المرأة كانت تمشي تحت الاشجار وعلى رأسها مكتل أو زنبيل وهو الذي تخترف فيه الثمار فيتساقط من الاشجار في ذلك مايملؤه من غير أن يحتاج الى كلفة ولا قطاف لكثرته ونضجه واستوائه ، وكان هذا السد بمأرب بلدة بينها وبين صنعاء ثلاث مراحل ، ويعرف بسد مأرب. وذكر آخرون انه لم يكن ببلدهم شيء من الذباب ولا البعوض ولا البراغيث ولا شيء من الهوام وذلك لاعتدال الهواء وصحة المزاج وعناية الله بهم ليوحدوه ويعبدوه كما قال تبارك وتعالى (لقد كان لسبأ في مسكنهم آية) ثم فسرها بقوله عز وجل (جنتان عن يمين وشمال) أي من ناحيتي الجبلين والبلدة بين ذلك كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور أي غفور لكم ان استمررتم على التوحيد . وقوله تعالى (فاعرضوا) أي عن توحيد الله وعبادته وشكره على ما أنعم به عليهم وعدلوا الى عبادة الشمس من دون الله كما قال الهدهد لسليمان عليه الصلاة والسلام (وجئتك من سبأ بنبأ يقين * إني وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم * وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لايهتدون)

وقال محمد بن إسحاق عن وهب بن منبه بعث الله تعالى اليهم ثلاثة عشر نبيا ، وقال السدي أرسل الله عز وجل اليهم اثني عشر الف نبي والله أعلم . وقوله تعالى (فأرسلنا عليهم سيل العرم) المراد

رزق ربكم ﴾ يعني من ثمار الجنتين قال السدي ومقاتل كانت المرأة تحمل مكتلها على رأسها وتمر بالجنتين فيمتلىء مكتلها من انواع الفواكه من غير أن تمس شيئا بيدها ﴿ واشكروا له ﴾ أي على مارزقكم من النعمة والمعنى اعملوا بطاعته ﴿ بلدة طيبة ﴾ أي أرض سبأ بلدة طيبة ليست بسبخة قال ابن زيد لم يكن يرى في بلدتهم بعوضة ولا ذباب ولا برغوث ولا عقرب ولا حية ، وكان الرجل يمر ببلدهم في ثيابه القمل فيموت القمل كله من طيب الهواء فذلك قوله تعالى (بلدة طيبة) أي طيبة الهواء ﴿ ورب غفور ﴾ قال مقاتل وربكم ان شكرتموه فيما رزقكم رب غفور الذنوب ﴿ فأعرضوا ﴾ قال وهب أرسل الله الى سبأ ثلاثة عشر نبيا فدعوهم الى الله وذكروهم نعمه عليهم وانذروهم عقابه فكذبوهم وقالوا مانعرف لله عز وجل علينا نعمة فقولوا لربكم فليحبس هذه النعم عنا ان استطاع فذلك قوله تعالى (فاعرضوا) ﴿ فارسلنا عليهم سيل العرم ﴾ والعرم جمع عرمة وهي السكر الذي يحبس به الماء . وقال ابن الاعرابي العرم السيل الذي لايطاق وقيل كان ماء أحمر أرسله الله عليهم من حيث شاء ، وقيل العرم الوادي وأصله من العرامة وهي الشدة والقوة ، وقال ابن عباس ووهب وغيرهما كان ذلك السد بنته بلقيس وذلك انهم كانوا يقتتلون على ماء واديهم فامرت بواديهم فسد بالعرم وهو المسناة بلغة حمير فسدت بين الجبلين بالصخر والقار وجعلت له أبوابا ثلاثة بعضها فوق بعض وبنت من دونه بركة ضخمة وجعلت فيها اثني عشر مخرجا على عدة انهارهم يفتحونها اذا احتاجوا الى الماء واذا استغنوا

بالعرم المياه ، وقيل الوادي وقيل الجرذ وقيل الماء الغزير فيكون من باب اضافة الاسم الى صفته مثل مسجد الجامع وسعيد كرز حكى ذلك السهيلي،وذكر غير واحد منهم ابن عباس ووهب بن منبه وقتادة والضحاك ان الله عز وجل لما أرادعقوبتهم بارسال العرم عليهم بعث على السد دابة من الارض يقال لها الجرذ نقبته قال وهب بن منبه وقد كانوا يجدون في كتبهم ان سبب خراب هذا السد هو الجرذ فكانوا يرصدون عنده السنانير برهة من الزمان فلما جاء القدر غلبت الفأر السنانير وولجت الى السد فنقبته فانهار عليهم . وقال قتادة وغيره الجرذ هو الخلد نقبت أسافله حتى اذا ضعف ووهي وجاءت أيام السيول صدم الماء البناء فسقط فانساب الماء في أسفل الوادي وخرب ما بين يديه من الابنية والاشجار وغير ذلك ونضب الماء عن الاشجار التي في الجبلين عن يمين وشمال فيبست وتحطمت وتبدلت تلك الاشجار المثمرة الانيقة النضرة كما قال الله تبارك وتعالى (وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي أكل خمط)

قال ابن عباس ومجاهد وعكرمة وعطاء الخراساني والحسن وقتادة والسدي وهو الاراك وأكله البرير (وأثل) قال العوفي عن ابن عباس هو الطرفاء ، وقال غيره هو شجر يشبه الطرفاء وقيل هو السمر والله أعلم . وقوله (وشيء من سدر قليل) لما كان أجود هذه الاشجار المبدل بها هو السدر

سدوها فاذا جاء المطر اجتمع اليه ماء أودية اليمن فاحتبس السيل من وراء السد فامرت بالباب الاعلى ففتح فجرى ماؤه في البركة ، فكانوا يسقون من الباب الاعلى ثم من الثاني ثم من الثالث الباب الاسفل فلا ينفد الماء حتى يثوب الماء من السنة المقبلة فكانت تقسمه بينهم على ذلك فبقوا على ذلك بعدها مدة فلما طغوا وكفروا سلط الله عليهم جرذاً يسمى الخلد فنقب السد من أسفله فغرق الماء جنانهم وخرب أرضهم . قال وهب ومما كانوا يزعمون ويجدون في علمهم وكهانتهم انه يخرب سدهم فارة فلم يتركوا فرجة بين حجرين إلا ربطوا عندها هرة ، فلما جاء زمانه وما أراد الله عز وجل بهم من التغريق أقبلت فيما يذكرون فارة حمراء كبيرة الى هرة من تلك الهرر فساورتها حتى استأخرت منها الهرة فدخلت في الفرجة التي كانت عندها فتغلغلت في السد فثقبت وحفرت حتى أوهنته للسيل وهم لا يدرون بذلك فلما جاء السيل وجد خللا فدخل فيه حتى قطع السد وفاض على أموالهم فغرقها ودفن بيوتهم الرمل فتفرقوا وتمزقوا حتى صاروا مثلا عند العرب يقولون صار بنو فلان ايدي سبأ وأيادي سبأ أي تفرقوا وتبددوا فذلك قوله تعالى (فارسلنا عليهم سيل العرم)(وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي أكل خمط) قرأ العامة بالتنوين وقرأ أهل البصرة أكل خمط بالاضافة والاكل الثمر والخمط الاراك ، وثمره يقال له البرير هذا قول أكثر المفسرين ، وقال المبرد والزجاج كل نبت قد اخذ طعما من المرارة حتى لا يمكن أكله هو خمط . وقال ابن الاعرابي الخمط ثمر شجر يقال له فسوة الضبع على صورة الخشخاش يتفرك ولا ينتفع به . فمن جعل الخمط اسما المأكول فالتنوين في أكل حسن ومن جعله أصلا وجعل الاكل ثمرة فالاضافة فيه ظاهرة والتنوين سائغ، تقول العرب في بستان فلان اعناب كرم يترجم عن الاعناب

(قال وشيء من سدر قليل) فهذا الذي صار أمر تينك الجنتين اليه بعد الثمار النضيجة والمناظر الحسنة والظلال العميقة والانهار الجارية تبدلت الى شجر الاراك والطرفاء والسدر ذي الشوك الكثير والثمر القليل، وذلك بسبب كفرهم وشركهم بالله وتكذيبهم الحق وعدولهم عنه الى الباطل، ولهذا قال تعالى (ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازي الا الكفور) أي عاقبناهم بكفرهم قال مجاهد ولا يعاقب الا الكفور. وقال الحسن البصري صدق الله العظيم لا يعاقب بمثل فعله الا الكفور. وقال طاوس لا يناقش الا الكفور. وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا أبو عمر ابن النحاس الرملي حدثنا حجاج بن محمد حدثنا أبو البيداء عن هشام بن صالح التغلبي عن ابن خيرة وكان من أصحاب علي رضي الله عنه قال: جزاء المعصية الوهن في العبادة والضيق في المعيشة والتعسر في اللذة قيل وما التعسر في اللذة؟ قال لا يصادف لذة حلالا الا جاءه من ينغصه اياها

وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها قرًى ظهرة وقدرنا فيها السير سيروا فيها ليالي وأياما آمنين (١٨) فقالوا ربنا بعد بين أسفارنا وظلموا أنفسهم فجعلنٰهم أحاديث ومزقنٰهم كل ممزّق إن في ذلك لآيٰت لكل صبّار شكور (١٩)

يذكر تعالى ماكانوا فيه من النعمة والغبطة والعيش الهني الرغيد، والبلاد الرخية، والاماكن الآمنة والقرى المتواصلة المتقاربة بعضها من بعض مع كثرة أشجارها وزروعها وثمارها بحيث أن مسافرهم لا يحتاج إلى حمل زاد ولا ماء، بل حيث نزل وجد ماء وثمرا، و يقيل في قرية ويبيت في أخرى بمقدار مايحتاجون اليه في سيرهم ولهذا قال تعالى [وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها]

بالكرم لانها منه ﴿ وأثل وشيء من سدر قليل ﴾ فالاثل هو الطرفاء وقيل هو شجر يشبه الطرفاء إلا انه أعظم منه والسدر شجر النبق ينتفع بورقه لغسل اليد ويغرس في البساتين ولم يكن هذا من ذلك بل كان سدراً بريا لا ينتفع به ولا يصلح ورقه لشيء قال قتادة كان شجر القوم من خير الشجر فصيره الله من شر الشجر باعمالهم

قوله تعالى ﴿ ذلك جزيناهم بما كفروا ﴾ أي ذلك الذي فعلنا بهم جزيناهم بكفرهم ﴿ وهل نجازي إلا الكفور ﴾ قرأ حمزة والكسائي وحفص ويعقوب وهل نجازي بالنون وكسر الزاي الكفور نصب لقوله ذلك جزيناهم، وقرأ الآخرون بالياء وفتح الزاي الكفور رفع أي وهل يجازى مثل هذا الجزاء إلا الكفور، وقال مجاهد يجازى أي يعاقب ويقال في العقوبة يجازى وفي المثوبة يجزى. قال مقاتل هل يكافأ بعمله السيء إلا الكفور لله في نعمه قال الفراء المؤمن يجزى ولا يجازى أي يجزي الثواب بعمله ولا يكافأ بسيآته ﴿ وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها ﴾ بالماء والشجر وهي قرى الشام ﴿ قرى

قال وهب بن منبه هي قرى بصنعاء ، وكذا قال أبو مالك، وقال مجاهد والحسن وسعيد بن جبير ومالك عن زيد بن أسلم وقتادة والضحاك والسدي وابن زيد وغيرهم يعني قرى الشام يعنون أنهم كانوا يسيرون من اليمن إلى الشام في قرى ظاهرة متواصلة ، وقال العوفي عن ابن عباس القرى التي باركنا فيها بيت المقدس ، وقال العوفي عنه أيضاً هي قرى عربية بين المدينة والشام (قرى ظاهرة) أي بينة واضحة يعرفها المسافرون يقيلون في واحدة ويبيتون في أخرى ولهذا قال تعالى (وقدرنا فيها السير) أي جعلناها بحسب مايحتاج المسافرون اليه (سيروا فيها ليالي وأياما آمنين) أي الامن حاصل لهم في سيرهم ليلا ونهاراً (فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا وظلموا أنفسهم) وقرأ آخرون (بعد بين أسفارنا) وذلك أنهم بطروا هذه النعمة كما قاله ابن عباس ومجاهد والحسن وغير واحد وأحبوا مفاوز ومهامه يحتاجون في قطعها إلى الزاد والرواحل والسير في الحرور والمخاوف، كما طلب بنو إسرائيل من موسى أن يخرج الله لهم مما تنبت الارض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها مع أنهم كانوا في عيش رغيد في منّ وسلوى وما يشتهون من مآكل ومشارب وملابس مرتفعة ولهذا قال لهم [أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير اهبطوا مصراً فان لكم ماسألتم وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباؤا بغضب من الله] وقال عز وجل [وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها]

وقال تعالى [وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون]

وقال تعالى في حق هؤلاء (فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا وظلموا أنفسهم) أي بكفرهم (فجعلناهم

ظاهرة ﴾ متواصلة تظهر الثانية من الاولى لقربها منها، وكان متجرهم من اليمن إلى الشام فكانوا يبيتون بقرية ويقيلون باخرى وكانوا لايحتاجون إلى حمل زاد من سبأ إلى الشام وقيل كانت قراهم أربعة آلاف وسبعمائة قرية متصلة من سبأ إلى الشام ﴿ وقدرنا فيها السير ﴾ أي قدرنا سيرهم بين هذه القرى وكان مسيرهم في الغدو والرواح على قدر نصف يوم فاذا ساروا نصف يوم وصلوا إلى قرية ذات مياه وأشجار . وقال قتادة كانت المرأة تخرج ومعها مغزلها وعلى رأسها مكتلها فتمتهن بمغزلها فلا تأتي بيتها حتى يمتلىء مكتلها من الثمار وكان مابين اليمن والشام كذلك ﴿ سيروا فيها ﴾ أي وقلنا لهم سيروا فيها وقيل هو أمر بمعنى الخبر أي مكناهم من السير فكانوا يسيرون فيها ﴿ ليالي وأياما ﴾ أي بالليالي والأيام أي وقت شئتم ﴿ آمنين ﴾ لاتخافون عدوا ولا جوعا ولا عطشا ، فبطروا وطغوا ولم يصبروا على العافية وقالوا لو كانت جناتنا أبعد مما هي كان أجدر أن نشتهيه ﴿ فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا ﴾ فاجعل بيننا وبين الشام فلوات ومفاوز لنركب فيها الرواحل ونتزود الازواد فعجل الله لهم الاجابة وقال مجاهد بطروا النعمة وسئموا الراحة قرأ ابن كثير وأبو عمرو (بعد) بالتشديد من التبعيد وقرأ الاخرون باعد بالالف وكل على وجه الدعاء والسؤال، وقرأ يعقوب ربنا برفع الباء باعد بفتح العين

أحاديث ومزقناهم كل ممزق) أي جعلناهم حديثاً للناس وسمراً يتحدثون به من خبرهم وكيف مكر الله بهم وفرق شملهم بعد الاجتماع والالفة والعيش الهني، تفرقوا في البلاد ههنا وههنا، ولهذا تقول العرب في القوم اذا تفرقوا تفرقوا أيدي سبا وأيادي سبا وتفرقوا شذر مذر

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد بن يحيى بن سعيد القطان حدثنا ابراهيم بن حبيب بن الشهيد قال سمعت أبي يقول سمعت عكرمة يحدث بحديث أهل سبأ قال (لقد كان لسبأ في مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال — إلى قوله تعالى — فأرسلنا عليهم سيل العرم) وكانت فيهم كهنة وكانت الشياطين يسترقون السمع فأخبروا الكهنة بشيء من أخبار السماء ، فكان فيهم رجل كاهن شريف كثير المال وإنه خبر أن زوال أمرهم قد دنا وأن العذاب قد أظلهم فلم يدر كيف يصنع لأنه كان له مال كثير من عقار فقال لرجل من بنيه وهو أعزهم اخوالا يابني اذا كان غداً وأمرتك بأمر فلا تفعل فاذا انتهرتك فانتهرني ، فاذا لطمتك فالطمني ، قال ياأبت لا تفعل ان هذا أمر عظيم وأمر شديد ، قال يابني قد حدث أمر لابد منه فلم يزل به حتى وافاه على ذلك ، فلما أصبحوا واجتمع الناس قال يابني افعل كذا وكذا فأبى فانتهره أبوه فأجابه فلم يزل ذلك بينهما حتى تناوله أبوه فلطمه فوثب على أبيه فلطمه فقال ابني يلطمني علي بالشفرة ، قالوا ماتصنع بالشفرة ؟ قال أذبحه ، قالوا تريد أن تذبح ابنك ؟ الطمه أو اصنع مابدا لك قال فأبى ، قال فارسلوا الى أخواله فاعلموهم ذلك فجاء أخواله فقالوا خذ منا مابدا لك فأبى إلا أن يذبحه قالوا فلتموتن قبل أن تذبحه ، قال فاذا كان الحديث هكذا فاني لا أرى أن أقيم ببلد يحال بيني وبين ابني فيه اشتروا مني دوري اشتروا مني أرضي، فلم يزل حتى باع دوره وأرضه وعقاره فلما صار الثمن في يده وأحرزه قال : أي قوم ان العذاب قد أظلكم وزوال أمركم قد دنا فمن أراد منكم داراً جديداً، وحمى شديداً، وسفرا بعيداً، فليلحق بعمان ، ومن أراد منكم الخمر والخمير والعصير — وكلمة قال ابراهيم لم أحفظها — فليلحق ببصرى، ومن أراد الراسخات في الوحل، المطعمات في المحل ، المقيمات في القحل ، فليلحق بيثرب ذات نخل، فأطاعه قومه فخرج أهل عمان الى عمان، وخرجت غسان الى بصرى ، وخرجت الاوس و الخزرج بنو عثمان إلى يثرب ذات النخل ، قال فأتوا على بطن مر فقال بنو عثمان هذا مكان صالح لا نبغي به بدلا فأقاموا به فسموا لذلك خزاعة لأنهم انخزعوا من أصحابهم واستقامت الاوس والخزرج حتى نزلوا المدينة وتوجه أهل عمان إلى عمان وتوجهت غسان إلى بصرى . هذا أثر غريب عجيب وهذا الكاهن هو عمرو بن عامر أحد رؤساء اليمن وكبراء سبأ وكهانهم

وقد ذكر محمد بن اسحاق بن يسار في أول السيرة ماكان من أمر عمرو بن عامر الذي كان أول

والدال على الخبر كانهم استبعدوا أسفارهم القريبة بطروا وأشروا ﴿ وظلموا أنفسهم ﴾ بالبطر والطغيان قوله تعالى ﴿ فجعلناهم أحاديث ﴾ عبرة لمن بعدهم يتحدثون بأمرهم وشأنهم ﴿ ومزقناهم كل ممزق ﴾

من خرج من بلاد اليمن بسبب استشعاره بارسال العرم عليهم فقال : وكان سبب خروج عمرو بن عامر من اليمن فيما حدثني به أبو زيد الانصاري أنه رأى جرذاً يحفر في سد مأرب الذي كان يحبس عنهم الماء فيصرفونه حيث شاؤا من أرضهم فعلم أنه لا بقاء للسد على ذلك فاعتزم على النقلة عن اليمن وكاد قومه فأمر أصغر ولده اذا أغلظ له ولطمه أن يقوم اليه فيلطمه ففعل ابنه ماأمره به فقال عمرو لا أقيم ببلد لطم وجهي فيها أصغر ولدي وعرض أمواله، فقال أشراف من أشراف اليمن اغتنموا غضبة عمرو فاشتروا منه أمواله وانتقل هو في ولده وولد ولده ، وقالت الاسد لا نتخلف عن عمرو بن عامر فباعوا أموالهم وخرجوا معه فساروا حتى نزلوا بلاد عك مجتازين يرتادون البلدان فحاربتهم عك وكانت حربهم سجالا ففي ذلك يقول عباس بن مرداس السلمي رضي الله عنه :

وعك بن عدنان الذين تغلبوا بغسان حتى طردوا كل مطرد

وهذا البيت من قصيدة له . قال ثم ارتحلوا عنهم فتفرقوا في البلدان فنزل آل جفنة بن عمرو بن عامر الشام ، ونزلت الاوس والخزرج يثرب ، ونزلت خزاعة مرا ، ونزلت أزد السراة السراة ، ونزلت أزد عمان عمان ، ثم أرسل الله تعالى على السد السيل فهدمه وفي ذلك أنزل الله عز وجل هذه الآيات . وقد ذكر السدي قصة عمرو بن عامر بنحو مما ذكر محمد بن اسحاق إلا أنه قال فأمر ابن أخيه مكان ابنه — الى قوله — فباع ماله وارتحل بأهله فتفرقوا . رواه ابن أبي حاتم

وقال ابن جرير حدثنا ابن حميد أخبرنا سلمة عن ابن اسحاق قال يزعمون أن عمر بن عامر وهو عم القوم كان كاهنا فرأى في كهانته أن قومه سيمزقون ويباعد بين أسفارهم ، فقال لهم إني قد علمت أنكم ستمزقون فمن كان منكم ذاهم بعيد ، وحمل شديد ، ومزاد حديد ، فليلحق بكاس أو كرود ، قال فكانت وادعة بن عمرو ، ومن كان منكم ذاهم مدن ، وأمر دعن، فليلحق بأرض شن، فكانت عوف ابن عمر وهم الذين يقال لهم بارق ، ومن كان منكم يريد عيشا آنيا ، وحرما آمنا فليلحق بالارزين فكانت خزاعة ، ومن كان منكم يريد الراسيات في الوحل ، المطعمات في المحل، فليلحق بيثرب ذات النخل ، فكانت الاوس والخزرج وهما هذان الحيان من الانصار ، ومن كان منكم يريد خمراً وخميراً ، وذهبا وحريرا ، وملكا وتأميراً ، فليلحق بكوثى وبصرى، فكانت غسان بنو جفنة ملوك الشام ومن كان منهم بالعراق . قال ابن اسحاق وقد سمعت بعض أهل العلم يقول انما قالت هذه المقالة طريفة امرأة عمرو بن عامر وكانت كاهنة فرأت في كهانتها ذلك فالله أعلم أي ذلك كان . وقال سعيد عن قتادة عن الشعبي : أما غسان فلحقوا بعمان فمزقهم الله كل ممزق بالشام ، وأما الانصار فلحقوا بيثرب ، وأما خزاعة فلحقوا بتهامة ، وأما الازد فلحقوا بعمان فمزقهم الله كل ممزق . رواه ابن أبي حاتم وابن

فرقناهم في كل وجه من البلاد كل التفريق قال الشعبي لما غرقت قراهم تفرقوا في البلاد اماغسان فلحقوا بالشام ومر الازد الى عمان وخزاعة إلى تهامة ومر آل خزيمة إلى العراق والاوس والخزرج

جرير ، ثم قال محمد بن اسحاق حدثني أبو عبيدة قال : قال الاعشى أعشى بني قيس بن ثعلبة واسمه ميمون بن قيس :

وفي ذاك للمؤتسي أسوة ومأرب عفى عليها العرم
رخام بنته لهم حمير اذا جاء موّاره لم يرم
فأروى الزروع وأعنابها على سعة ماؤهم إذ قسم
فصاروا أيادي مايقدرو ن منه على شرب طفل فطم

وقوله تعالى (إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور) أي إن في هذا الذي حل بهؤلاء من النقمة والعذاب وتبديل النعمة وتحويل العافية عقوبة على ما ارتكبوه من الكفر والآثام لعبرة ودلالة لكل عبد صبار على المصائب شكور على النعم

قال الامام احمد حدثنا عبد الرحمن وعبد الرزاق المعني قالا أخبرنا سفيان عن أبي اسحاق عن العيزار بن حريث عن عمر بن سعد عن أبيه هو سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « عجبت من قضاء الله تعالى للمؤمن إن أصابه خير حمد ربه وشكر ، وإن أصابته مصيبة حمد ربه وصبر ، يؤجر المؤمن في كل شيء حتى في اللقمة يرفعها إلى في امرأته »

وقد رواه النسائي في اليوم والليلة من حديث أبي اسحاق السبيعي به وهو حديث عزيز من رواية عمر بن سعد عن أبيه ولكن له شاهد في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه « عجبا للمؤمن لا يقضي الله تعالى له قضاء إلا كان خيراً له ، إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له ، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن »

قال عبد حدثنا يونس عن سفيان عن قتادة (إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور) قال كان مطرف يقول نعم العبد الصبار الشكور الذي اذا أعطي شكر ، واذا ابتلي صبر

ولقد صدّق عليهم إبليس ظنه فاتبعوه إلا فريقا من المؤمنين (٢٠) وما كان له عليهم من سلطـٰـن إلا لنعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو منها في شك ، وربك على كل شيء حفيظ (٢١)

إلى يثرب وكان الذي قدم منهم المدينة عمرو بن عامر وهو جد الاوس والخزرج ﴿ إن في ذلك لآيات ﴾ لعبرا ودلالات ﴿ لكل صبار ﴾ عن معاصي الله ﴿ شكور ﴾ لأنعمه قال مقاتل يعني المؤمن من هذه الامة صبور على البلاء شاكر للنعماء قال مطرف هو المؤمن إذا أعطي شكر وإذا ابتلي صبر

قوله تعالى ﴿ ولقد صدق عليهم ابليس ظنه ﴾ قرأ أهل الكوفة صدق بالتشديد أي ظن فيهم ظنا

لما ذكر تعالى قصة سبأ وما كان من أمرهم في اتباعهم الهوى والشيطان أخبر عنهم وعن أمثالهم ممن اتبع إبليس والهوى وخالف الرشاد والهدى فقال (ولقد صدق عليهم إبليس ظنه) قال ابن عباس رضي الله عنهما وغيره هذه الآية كقوله تعالى اخباراً عن إبليس حين امتنع من السجود لآدم عليه الصلاة والسلام ثم قال [أرأيتك هذا الذي كرمت علي لئن أخرتن إلى يوم القيامة لأحتنكن ذريته إلا قليلا] وقال [ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين] والآيات في هذا كثيرة

وقال الحسن البصري لما أهبط الله آدم عليه الصلاة والسلام من الجنة ومعه حواء هبط إبليس فرحا بما أصاب منهما وقال اذا أصبت من الأبوين ما أصبت فالذرية أضعف وأضعف وكان ذلك ظنا من إبليس فأنزل الله عز وجل (ولقد صدق عليهم إبليس ظنه فاتبعوه إلا فريقا من المؤمنين) فقال عند ذلك إبليس لا أفارق ابن آدم مادام فيه الروح أعده وأمنيه وأخدعه ، فقال الله تعالى : وعزتي وجلالي لا أحجب عنه التوبة مالم يغرغر بالموت ، ولا يدعوني الا أجبته ، ولا يسألني إلا أعطيته ، ولا يستغفرني إلا غفرت له . رواه ابن أبي حاتم

وقوله تبارك وتعالى (وما كان له عليهم من سلطان) قال ابن عباس رضي الله عنهما أي من حجة وقال الحسن البصري والله ماضربهم بعصا ولا أكرههم على شيء وما كان إلا غروراً واماني دعاهم اليها فأجابوه . وقوله عز وجل (الا لنعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو منها في شك) أي انما سلطناه عليهم ليظهر أمر من هو مؤمن بالآخرة وقيامها والحساب فيها والجزاء فيحسن عبادة ربه عز وجل في الدنيا ممن هو منها في شك

حيث قال (فبعزتك لأغوينهم أجمعين - ولا تجد أكثرهم شاكرين) فصدق ظنه وحققه بفعله ذلك بهم واتباعهم اياه وقرأ الآخرون بالتخفيف أي صدق عليهم في ظنه بهم أي على أهل سبأ، وقال مجاهد على الناس كلهم إلا من أطاع الله ﴿ فاتبعوه إلا فريقا من المؤمنين ﴾ قال السدي عن ابن عباس يعني المؤمنين كلهم لأن المؤمنين لم يتبعوه في أصل الدين وقد قال الله تعالى (إن عبادي ليس لك عليهم سلطان) يعني المؤمنين وقيل هو خاص بالمؤمنين الذين يطيعون الله ولا يعصونه قال ابن قتيبة إن إبليس لما سأل النظرة فانظره الله قال (لأغوينهم أجمعين - ولأضلنهم) لم يكن مستيقنا وقت هذه المقالة ان ما قاله فيهم يتم وإنما قاله ظنا فيهم ، فلما اتبعوه وأطاعوه صدق عليهم ماظنه فيهم قال الحسن انه لم يسل عليهم سيفا ولا ضربهم بسوط وانما وعدهم ومناهم فاغتروا

وقال الله تعالى ﴿ وما كان له عليهم من سلطان ﴾ أي ما كان تسليطنا اياه عليهم ﴿ إلا لنعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو منها في شك ﴾ أي إلا لنعلم أي لنرى ونميز المؤمن من الكافر وأراد علم

وقوله تعالى (وربك على كل شيء حفيظ) أي ومع حفظه ضل من ضل من اتباع ابليس وبحفظه وكلاءته سلم من سلم من المؤمنين اتباع الرسل .

قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموٰت ولا في الارض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير (٢٢) ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له حتى إذا فزّع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم ؟ قالوا الحقّ وهو العلي الكبير (٢٣)

بين تبارك وتعالى أنه الاله الواحد الاحد الفرد الصمد الذي لا نظير له ولا شريك له بل هو المستقل بالامر وحده من غير مشارك ولا منازع ولا معارض فقال (قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله) أي من الآلهة التي عبدت من دونه (لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الارض) كما قال تبارك وتعالى [والذين يدعون من دونه ما يملكون من قطمير]

وقوله تعالى (وما لهم فيهما من شرك) أي لا يملكون شيئا استقلالا ولا على سبيل الشركة (وماله منهم من ظهير) أي وليس لله من هذه الانداد من ظهير يستظهر به في الامور ، بل الخلق كلهم فقراء اليه عبيد لديه . قال قتادة في قوله عز وجل (وما له منهم من ظهير) من عون يعينه بشيء . ثم قال تعالى (ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له) أي لعظمته وجلاله وكبريائه لا يجترىء أحد أن يشفع عنده تعالى في شيء الا بعد اذنه له في الشفاعة كما قال عز وجل (من ذا الذي يشفع عنده إلا باذنه) وقال جل وعلا (وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئا إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى) وقال تعالى (ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون) ولهذا ثبت في الصحيحين من غير وجه عن رسول الله ﷺ وهو سيد ولد آدم ، وأكبر شفيع عند الله تعالى انه حين يقوم المقام المحمود ليشفع في الخلق كلهم أن يأتي ربهم لفصل القضاء قال « فأسجد لله تعالى فيدعني ماشاء الله أن يدعني ، ويفتح علي بمحامد لا أحصيها الآن ثم يقال يا محمد ارفع رأسك وقل تسمع وسل تعطه واشفع تشفع » الحديث بتمامه

الوقوع والظهور وقد كان معلوما عنده بالغيب ﴿ وربك على كل شيء حفيظ ﴾ رقيب ﴿ قل ﴾ يا محمد لكفار مكة ﴿ ادعوا الذين زعمتم ﴾ انهم آلهة ﴿ من دون الله ﴾ وفي الآية حذف أي ادعوهم ليكشفوا الضر الذي نزل بكم في سني الجوع ثم وصفها فقال ﴿ لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الارض ﴾ من خير وشر ونفع وضر ﴿ وما لهم ﴾ أي للآلهة ﴿ فيهما ﴾ في السموات والارض ﴿ من شرك ﴾ من شركة ﴿ وماله ﴾ أي وما لله ﴿ منهم من ظهير ﴾ عون ﴿ ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له ﴾ الله في الشفاعة قاله تكذيبا لهم حيث قالوا (هؤلاء شفعاؤنا عند الله) ويجوز أن يكون المعني الا لمن

وقوله تعالى (حتى اذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم ؟ قالوا الحق) وهذا أيضا مقام رفيع في العظمة وهو أنه تعالى اذا تكلم بالوحي فسمع أهل السموات كلامه أرعدوا من الهيبة حتى يلحقهم مثل الغشي . قاله ابن مسعود رضي الله عنه ومسروق وغيرهما (حتى اذا فزع عن قلوبهم) أي زال الفزع عنها قال ابن عباس وابن عمر رضي الله عنهم وأبو عبد الرحمن السلمي والشعبي وابراهيم النخعي والضحاك والحسن وقتادة في قوله عز وجل (حتى اذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم ؟ قالوا الحق) يقول خلي عن قلوبهم ، وقرأ بعض السلف ، وجاء مرفوعا اذا فرغ) بالغين المعجمة ويرجع الى الاول فاذا كان كذلك سأل بعضهم بعضا ماذا قال ربكم ؟ فيخبر بذلك حملة العرش للذين يلونهم ثم الذين يلونهم لمن تحتهم حتى ينتهي الخبر إلى أهل السماء الدنيا ، ولهذا قال تعالى (قالوا الحق) أي أخبروا بما قال من غير زيادة ولا نقصان (وهو العلي الكبير)

وقال آخرون بل معنى قوله تعالى (حتى اذا فزع عن قلوبهم) يعني المشركين عند الاحتضار ويوم القيامة اذا استيقظوا مما كانوا فيه من الغفلة في الدنيا ورجعت اليهم عقولهم يوم القيامة قالوا ماذا قال ربكم ؟ فقيل لهم الحق وأخبروا به مما كانوا عنه لاهين في الدنيا

قال ابن أبي نجيح عن مجاهد (حتى اذا فزع عن قلوبهم) كشف عنها الغطاء يوم القيامة ، وقال الحسن (حتى اذا فزع) عن قلوبهم يعني مافيها من الشك والتكذيب ، وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم (حتى اذا فزع عن قلوبهم) قال فزع الشيطان عن قلوبهم ففارقهم وأمانيهم وما كان يضلهم (قالوا ماذا قال ربكم ؟ قالوا الحق وهو العلي الكبير) قال وهذا في بني آدم هذا عند الموت أقروا حين لا ينفعهم الاقرار

وقد اختار ابن جرير القول الاول أن الضمير عائد على الملائكة وهذا هو الحق الذي لا مرية فيه لصحة الاحاديث فيه والآثار ، ولنذكر منها طرفا يدل على غيره

قال البخاري عند تفسير هذه الآية الكريمة في صحيحه حدثنا الحميدي حدثنا سفيان حدثنا عمرو قال : سمعت عكرمة قال سمعت أباهريرة رضي الله عنه يقول : إن نبي الله ﷺ قال « اذا

أذن الله له أن يشفع وقرأ أبو عمرو وحمزة والكسائي أذن بضم الهمزة ﴿ حتى اذا فزع عن قلوبهم﴾ قرأ ابن عامر ويعقوب بفتح الفاء والزاي وقرأ الآخرون بضم الفاء وكسر الزاي أي كشف الفزع وأخرج عن قلوبهم فالتفزيع ازالة الفزع كالتمريض والتفريد، واختلفوا في الموصوفين بهذه الصفة فقال قوم هم الملائكة ثم اختلفوا في ذلك السبب فقال بعضهم انما يفزع عن قلوبهم من غشية تصيبهم عند سماع كلام الله عز وجل. وروينا عن أبي هريرة أن نبي الله ﷺ قال « إذا قضى الله الامر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانا لقوله كأنه سلسلة على صفوان فاذا فزع عن قلوبهم » ﴿ قالوا ماذا قال ربكم ؟ قالوا الحق وهو العلي الكبير ﴾

قضى الله تعالى الامر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانا لقوله كأنه سلسلة على صفوان فاذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم ؟ قالوا للذي قال الحق وهو العلي الكبير فيسمعها مسترق السمع ومسترق السمع هكذا بعضه فوق بعض - ووصف سفيان بيده فحرفها ونشر بين أصابعه - فيسمع الكلمة فيلقيها الى من تحته ، ثم يلقيها الآخر الى من تحته ، حتى يلقيها على لسان الساحر أو الكاهن فربما أدركه الشهاب قبل أن يلقيها وربما ألقاها قبل أن يدركه ، فيكذب معها مائة كذبة فيقال أليس قد قال لنا يوم كذا وكذا كذا وكذا ؟ فيصدق بتلك الكلمة التي سمعت من السماء » انفرد باخراجه البخاري دون مسلم من هذا الوجه ، وقد رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه من حديث سفيان بن عيينة به والله أعلم

﴿ حديث آخر ﴾ قال الامام احمد حدثنا محمد بن جعفر وعبد الرزاق قالا حدثنا معمر أخبرنا الزهري عن علي بن الحسين عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كان رسول الله ﷺ جالسا في نفر من أصحابه قال عبد الرزاق من الانصار فرمي بنجم فاستنار فقال ﷺ « ما كنتم تقولون إذا كان مثل هذا في الجاهلية ؟ » قالوا كنا نقول يولد عظيم أو يموت عظيم . قلت للزهري أكان يرمى بها في الجاهلية ؟ قال نعم ولكن غلظت حين بعث النبي ﷺ قال : فقال رسول الله ﷺ « فانها لا يرمى بها لموت أحد ولا لحياته ولكن ربنا تبارك وتعالى اذا قضى أمراً سبح حملة العرش ثم سبح أهل السماء الذين يلونهم حتى يبلغ التسبيح السماء الدنيا ، ثم يستخبر أهل السماء الذين يلون حملة العرش فيقول الذين يلون حملة العرش لحملة العرش ماذا قال ربكم ؟ فيخبرونهم ويخبر أهل كل سماء سماء حتى ينتهي الخبر الى هذه السماء وتخطف الجن السمع فيرمون ، فما جاءوا به على وجهه فهو حق ولكنهم يفرقون فيه ويزيدون » هكذا رواه الامام احمد ، وقد أخرجه مسلم في صحيحه من حديث صالح بن كيسان والاوزاعي ويونس ومعقل بن عبد الله أربعتهم عن الزهري عن علي بن الحسين عن ابن عباس رضي الله عنهما عن رجل من الانصار به

وقال يونس عن رجال من الانصار رضي الله عنهم ، وكذا رواه النسائي في التفسير من حديث الزبيدي عن الزهري به ، ورواه الترمذي فيه عن الحسين بن حريث عن الوليد بن مسلم عن الاوزاعي عن الزهري

أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو اسحاق الثعلبي قال أنبأني محمد بن الفضل بن محمد أنا أبو بكر محمد بن اسحاق بن خزيمة أنا زكريا بن يحيى بن أبان المصري أنا نعيم بن حماد أنا الوليد بن مسلم عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر عن ابن أبي زكريا عن رجاء بن حيوة عن النواس بن سمعان قال قال رسول الله ﷺ « إذا أراد الله أن يوحي بالامر تكلم بالوحي فاذا تكلم أخذت السموات منه رجفة - أو قال رعدة - شديدة خوفا من الله تعالى فاذا سمع بذلك أهل السموات صعقوا وخروا لله سجدا فيكون أول من يرفع رأسه جبريل فيكلمه الله من وحيه بما أراد ، ثم يمر جبريل على الملائكة كلما مر على سماء سأله ملائكتها ماذا قال ربنا يا جبريل ؟ فيقول جبريل قال الحق وهو العلي الكبير - قال - فيقولون كلهم

عن عبيدالله بن عبدالله عن ابن عباس رضي الله عنهما عن رجل من الانصار رضي الله عنه والله أعلم .

﴿ حديث آخر ﴾ قال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن عوف وأحمد بن منصور بن سيار الرمادي والسياق لمحمد بن عوف قالا حدثنا نعيم بن حماد حدثنا الوليد هو ابن مسلم عن عبدالرحمن بن يزيد ابن جابر عن عبدالله بن أبي زكريا عن رجاء بن حيوة عن النواس بن سمعان رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « إذا أراد الله تبارك وتعالى أن يوحي بأمره تكلم بالوحي ، فاذا تكلم أخذت السموات منه رجفة ـ أوقال رعدة ـ شديدة من خوف الله تعالى فاذا سمع بذلك أهل السموات صعقوا وخروا لله سجداً فيكون أول من يرفع رأسه جبريل عليه الصلاة والسلام فيكلمه الله من وحيه بما أراد فيمضي به جبريل عليه الصلاة والسلام على الملائكة كلما مر بسماء سماء يسأله ملائكتها ماذا قال ربنا ياجبريل ؟ فيقول عليه السلام قال الحق وهو العلي الكبير فيقولون كلهم مثل ماقال جبريل فينتهي جبريل بالوحي الى حيث أمره الله تعالى من السماء والارض » ، وكذا رواه ابن جرير وابن خزيمة عن زكريا بن أبان المصري عن نعيم بن حماد به

وقال ابن أبي حاتم سمعت أبي يقول : ليس هذا الحديث بالتام عن الوليد بن مسلم رحمه الله وقد روى ابن أبي حاتم من حديث العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما ، وعن قتادة أنهما فسرا هذه الآية بابتداء إيحاء الله تعالى إلى محمد (ص) بعد الفترة التي كانت بينه وبين عيسى عليه الصلاة والسلام ، ولا شك أن هذا أولى مادخل في هذه الآية

قل من يرزقكم من السموٰت والارض ؟ قل الله وإنا أو إياكم لعلى هدًى أوفي ضلٰل مبين (٢٤) قل لاتسئلون عما أجرمنا ولا نسئل عما تعملون (٢٥) قل يجمع بيننا ربنا ثم يفتح

مثل ماقال جبريل فينتهي جبريل ، بالوحي حيث أمره الله » وقال بعضهم انما يفزعون حذرا من قيام الساعة قال مقاتل والكلبي والسدي كانت الفترة بين عيسى ومحمد عليهما السلام خمسمائة وخمسين سنة وقيل ستمائة سنة لم تسمع الملائكة فيها وحيا ، فلما بعث الله محمداً ﷺ كلم جبريل عليه السلام بالرسالة الى محمد ﷺ فلما سمعت الملائكة ظنوا انها الساعة لان محمداً ﷺ عند أهل السموات بعثته من أشراط الساعة فصعقوا مما سمعوا خوفا من قيام الساعة فلما انحدر جبريل جعل يمر بأهل كل سماء فيكشف عنهم فيرفعون رؤسهم ويقول بعضهم لبعض ماذا قال ربكم ؟ قالوا قال الحق يعني الوحي وهو العلي الكبير . وقال جماعة الموصوفون بذلك المشركون قال الحسن وابن زيد حتى اذا كشف الفزع عن قلوب المشركين عند نزول الموت بهم اقامة للحجة عليهم قالت لهم الملائكة ماذا قال ربكم في الدنيا ؟ قالوا الحق فاقروا به حين لا ينفعهم الاقرار

قوله تعالى ﴿ قل من يرزقكم من السموات والارض ﴾ فالرزق من السموات المطر ومن الارض

بيننا بالحق وهو الفتاح العليم (٢٦) قل أروني الذين ألحقتم به شركاء كلا بل هو الله العزيز الحكيم (٢٧)

يقول تعالى مقررا تفرده بالخلق والرزق وانفراده بالالهية أيضافكما كانوا يعترفون بأنهم لا يرزقهم من السماء والارض أي بما ينزل من المطر وينبت من الزرع الا الله فكذلك فليعلموا أنه لا إله غيره وقوله تعالى (وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين) هذا من باب اللف والنشر أي واحد من الفريقين مبطل ، والآخر محق لاسبيل الى أن تكونوا أنتم ونحن على الهدى أو على الضلال بل واحد منا مصيب ونحن قد أقمنا البرهان على التوحيد فدل على بطلان ما أنتم عليه من الشرك بالله تعالى ولهذا قال (وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين)

قال قتادة قد قال ذلك اصحاب محمد ﷺ المشركين والله مانحن وإياكم على أمر واحد ان أحد الفريقين لمهتد ، وقال عكرمة وزياد بن أبي مريم معناها انا نحن لعلى هدى وانكم لفي ضلال مبين

وقوله تعالى (قل لاتسئلون عما أجرمنا ولا نسئل عما تعملون) معناه التبري منهم أي لستم منا ولا نحن منكم بل ندعوكم الى الله تعالى والى توحيده وافراد العبادة له فان أجبتم فأنتم منا ونحن منكم وان كذبتم فنحن براء منكم وأنتم براء منا كما قال تعالى (فان كذبوك فقل لي عملي ولكم عملكم أنتم بريئون مما أعمل وأنا بريء مما تعملون)

وقال عز وجل (قل ياأيها الكافرون * لا أعبد ماتعبدون * ولا أنتم عابدون ما أعبد * ولا أنا عابد ماعبدتم * ولا أنتم عابدون ما أعبد * لكم دينكم ولي دين) وقوله تعالى (قل يجمع بيننا ربنا) أي يوم القيامة يجمع بين الخلائق في صعيد واحد ثم يفتح بيننا بالحق أي يحكم بيننا بالعدل فيجزي كل عامل بعمله ان خيراً فخير وان شراً فشر ، وستعلمون يومئذ لمن العزة والنصرة والسعادة الابدية كما قال تعالى (ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون * فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم في روضة يحبرون * وأما الذين كفروا وكذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة فأولئك في العذاب محضرون) ولهذا

النبات ﴿ قل الله ﴾ أي ان لم يقولوا رازقنا الله فقل أنت ان رازقكم هو الله ﴿ وانا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين ﴾ ليس هذا على طريق الشك ولكن على جهة الانصاف في الحجاج كما يقول القائل للآخر أحدنا كاذب وهو يعلم انه صادق وصاحبه كاذب، والمعنى مانحن وأنتم على أمر واحد بل أحد الفريقين مهتد والآخر ضال فالنبي ﷺ ومن اتبعه على الهدى ومن خالفه في ضلال فكذبهم من غير ان صرح بالتكذيب وقال بعضهم أو بمعنى الواو والالف فيه صلة كأنه قال وانا وإياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين يعني نحن على هدى وأنتم في الضلال ﴿ قل لاتسئلون عما أجرمنا ولا نسئل عما تعملون * قل يجمع بيننا ربنا ﴾ يعني يوم القيامة ﴿ ثم يفتح ﴾ يقضي ﴿ بيننا بالحق وهو الفتاح العليم *

قال عز وجل (وهو الفتاح العليم) أي الحاكم العادل العالم بحقائق الامور . وقوله تبارك وتعالى (قل أروني الذين ألحقتم به شركاء) أي أروني هذه الآلهة التي جعلتموها لله أنداداً وصيرتموها له عدلا كلا أي ليس له نظير ولا نديد ولا شريك ولا عديل. ولهذا قال تعالى (بل هو الله) أي الواحد الأحد الذي لاشريك له العزيز الحكيم أي ذو العزة الذي قد قهر بها كل شيء وغلبت كل شيء الحكيم في أفعاله وأقواله وشرعه وقدره تبارك وتعالى وتقدس عما يقولون علوا كبيراً والله أعلم

وماأرسلناك إلا كافةً للناس بشيرا ونذيرا ولكنّ أكثر الناس لا يعلمون (٢٨) ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صدقين؟ (٢٩) قل لكم ميعاد يوم لا تستئخرون عنه ساعة ولا تستقدمون (٣٠)

يقول تعالى لعبده ورسوله محمد ﷺ تسليما (وما أرسلناك الا كافة للناس بشيراً ونذيراً) أي الا الى جميع الخلائق من المكلفين كقوله تبارك وتعالى (قل يا أيها الناس إني رسول الله اليكم جميعا - تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا) (بشيراً ونذيراً) أي تبشر من أطاعك بالجنة وتنذر من عصاك بالنار (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) كقوله عز وجل (وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين وان تطع أكثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله) قال محمد بن كعب في قوله تعالى (وما أرسلناك إلا كافة للناس) يعني الى الناس عامة ، وقال قتادة في هذه الآية أرسل الله تعالى محمدا ﷺ الى العرب والعجم فاكرمهم على الله تبارك وتعالى أطوعهم لله عز وجل

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو عبد الله الظهراني حدثنا حفص بن عمر العدني حدثنا الحكم يعني ابن ابان عن عكرمة قال سمعت ابن عباس رضي الله عنهما يقول : ان الله تعالى فضل محمدا ﷺ على أهل السماء وعلى الانبياء . قالوا يا ابن عباس فبم فضله الله على الانبياء ؟ قال رضي الله عنه ان الله تعالى قال (وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم) وقال للنبي ﷺ (وما أرسلناك إلا كافة للناس) فأرسله الله تعالى الى الجن والانس . وهذا الذي قاله ابن عباس رضي الله عنهما قد ثبت في الصحيحين رفعه عن جابر رضي الله عنه قال ، قال رسول الله ﷺ «أعطيت خمسا لم يعطهن أحد من الانبياء قبلي : نصرت بالرعب مسيرة شهر ، وجعلت لي الارض مسجدا وطهورا فأيما رجل من أمتي أدركته

قل أروني الذين ألحقتم به شركاء ﴾ أي أعلموني الذين ألحقتموهم به أي بالله شركاء في العبادة معه هل يخلقون وهل يرزقون ﴿ كلا ﴾ لا يخلقون ولا يرزقون ﴿ بل هو الله العزيز ﴾ الغالب على أمره ﴿ الحكيم ﴾ في تدبيره لخلقه فانى يكون له شريك في ملكه

قوله عز وجل ﴿ وما أرسلناك الا كافة للناس ﴾ يعني للناس عامة أحمرهم وأسودهم ﴿ بشيرا ونذيرا ﴾

الصلاة فليصل ، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي وأعطيت الشفاعة ، وكان النبي يبعث إلى قومه وبعثت إلى الناس عامة » وفي الصحيح أيضا ان رسول الله ﷺ قال « بعثت الى الاسود والاحمر» قال مجاهد يعني الجن والانس وقال غيره يعني العرب والعجم والكل صحيح . ثم قال عز وجل مخبرا عن الكفار في استبعادهم قيام الساعة (ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين) وهذه الآية كقوله عز وجل (يستعجل بها الذين لايؤمنون بها والذين آمنوا مشفقون منها ويعلمون أنها الحق) الآية ثم قال تعالى (قل لكم ميعاد يوم لا تستأخرون عنه ساعة ولا تستقدمون) أي لكم ميعاد مؤجل معدود محرر لايزاد ولاينقص فاذا جاء فلا يؤخر ساعة ولا يقدم كما قال تعالى (ان اجل الله إذا جاء لا يؤخر) وقال عز وجل (وما نؤخره إلا لأجل معدود * يوم يأتي لاتكلم نفس الاباذنه فمنهم شقي وسعيد)

وقال الذين كفروا لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذي بين يديه ولو ترى إذ الظالمون

موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم إلى بعض القول يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا

لولا أنتم لكنا مؤمنين (٣١) قال الذين استكبروا للذين استضعفوا أنحن صددناكم عن الهدى

بعد إذ جاءكم ؟ بل كنتم مجرمين (٣٢) وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر

الليل والنهار إذ تأمروننا أن نكفر بالله ونجعل له أندادا وأسروا الندامة لما رأوا العذاب

وجعلنا الاغلال في أعناق الذين كفروا هل يجزون إلا ما كانوا يعملون (٣٣)

يخبر تعالى عن تمادي الكفار في طغيانهم وعنادهم واصرارهم على عدم الايمان بالقرآن وبما أخبر به من أمر المعاد ، ولهذا قال تعالى (وقال الذين كفروا لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذي بين يديه) قال الله عز وجل متهددا لهم ومتوعدا ومخبرا عن مواقفهم الذليلة بين يديه في حال تخاصمهم وتحاجهم (يرجع بعضهم إلى بعض القول يقول الذين استضعفوا) وهم الاتباع (للذين استكبروا) منهم وهم قادتهم

أي مبشرا ومنذرا ﴿ ولكن أكثر الناس لايعلمون ﴾ وروينا عن جابر أن النبي ﷺ قال « كان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة » وقيل كافة أى كافا يكفهم عما هم عليه من الكفر والها للمبالغة ﴿ ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين ﴾ يعني القيامة ﴿ قل لكم ميعاد يوم لاتستأخرون عنه ساعة ولا تستقدمون ﴾ أي لا تتقدمون عليه يعني يوم القيامة وقال الضحاك يوم الموت لاتتأخرون عنه ولا تتقدمون بان يزاد في أجلكم أوينقص منه ﴿ وقال الذين كفروا لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذي بين يديه ﴾ يعني التوراة والانجيل ﴿ ولو ترى ﴾ يامحمد ﴿ اذ الظالمون موقوفون ﴾ محبوسون ﴿ عند ربهم يرجع بعضهم إلى بعض القول ﴾ يرد بعضهم إلى بعض القول في الجدال ﴿ يقول

وسادتهم (لولا أنتم لكنا مؤمنين) أي لولا أنتم تصدونا لكنا اتبعنا الرسل وآمنا بما جاؤنا به فقال لهم القادة والسادة وهم الذين استكبروا (أنحن صددناكم عن الهدى بعد إذ جاءكم) أي نحن ما فعلنا بكم اكثر من انا دعوناكم فاتبعتمونا من غير دليل ولا برهان وخالفتم الادلة والبراهين والحجج التي جاءت بها الرسل لشهوتكم واختياركم لذلك ولهذا قالوا (بل كنتم مجرمين * وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار) أي بل كنتم تمكرون بنا ليلا ونهارا وتغروناوتمنوناوتخبرونا انا على هدى وانا على شيء فاذا جميع ذلك باطل وكذب ومين ، قال قتادة وابن زيد (بل مكر الليل والنهار) يقول بل مكركم بالليل والنهار وكذا قال مالك عن زيد بن أسلم مكركم بالليل والنهار (إذ تأمروننا أن نكفر بالله ونجعل له أندادا) أي نظراء وآلهة معه وتقيموا لنا شبها وأشياء من المحال تضلونا بها (وأسروا الندامة لما رأوا العذاب) أي الجميع من السادة والاتباع كل ندم على ماسلف منه (وجعلنا الاغلال في أعناق الذين كفروا) وهي السلاسل التي تجمع أيديهم مع أعناقهم (هل يجزون الاما كانوا يعملون) أي انما نجازيكم بأعمالكم كل بحسبه للقادة عذاب بحسبهم وللاتباع بحسبهم (قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون)

قال ابن ابي حاتم حدثنا أبي حدثنا فروة بن ابي المغراء حدثنا محمد بن سليمان بن الاصبهاني عن أبي سنان ضرار بن صرد عن عبد الله بن ابي الهذيل عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « إن جهنم لما سيق اليها أهلها تلقاهم لهبها ثم لفحتهم لفحة فلم يبق لحم الا سقط على العرقوب » وحدثنا ابي حدثنا أحمد بن أبي الحواري حدثنا الطيب ابو الحسن عن الحسن بن يحيى الخشني قال مافي جهنم دار ولا مغار ولا غل ولا قيد ولا سلسلة الا اسم صاحبه عليها مكتوب قال فحدثته ابا سليمان يعني الداراني رحمة الله عليه فبكى ثم قال ويحك فكيف به لو جمع هذا كله عليه فجعل القيد في رجليه والغلة في يديه والسلسلة في عنقه ثم ادخل النار وادخل المغار ؟ اللهم سلم

الذين استضعفوا ﴿ استحقروا وهم الاتباع ﴿ للذين استكبروا ﴾ وهم القادة والاشراف ﴿ لولا أنتم لكنا مؤمنين ﴾ أي أنتم منعتمونا عن الايمان بالله ورسوله ﴿ قال الذين استكبروا ﴾ أجابهم المتبوعون في الكفر ﴿ للذين استضعفوا أنحن صددناكم عن الهدى بعد اذ جاءكم بل كنتم مجرمين ﴾ بترك الايمان ﴿ وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار ﴾ أي مكركم بنا في الليل والنهار والعرب تضيف الفعل إلى الليل والنهار على توسع الكلام كما قال الشاعر

* ونمت وما ليل المطي بنائم *

وقيل مكر الليل والنهار هو طول السلامة وطول الامل فيهما كقوله تعالى (فطال عليهم الامد فقست قلوبهم) ﴿ اذ تأمروننا أن نكفر بالله ونجعل له أندادا وأسروا ﴾ وأظهروا ﴿ الندامة ﴾ وقيل أخفوا وهو من الاضداد ﴿ لما رأوا العذاب وجعلنا الاغلال في أعناق الذين كفروا ﴾ في النار الاتباع

وما أرسلنا في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا بما أرسلتم به كفرون (٣٤) وقالوا نحن أكثر أموالا وأولادا وما نحن بمعذبين (٣٥) قل إن ربي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ولكن أكثر الناس لا يعلمون (٣٦) وما أموالكم ولا أولدكم بالتي تقربكم عندنا زلفى إلا من آمن وعمل صلحا فأولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا وهم في الغرفت آمنون (٣٧) والذين يسعون في آيتنا معجزين أولئك في العذاب محضرون (٣٨) قل إن ربي يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين (٣٩)

يقول تعالى مسليا لنبيه ﷺ وآمرا له بالتأسي بمن قبله من الرسل ومخبره بانه ما بعث نبيا في قرية الا كذبه مترفوها واتبعه ضعفاؤهم كما قال قوم نوح عليه الصلاة والسلام (انؤمن لك واتبعك الارذلون ـ وما نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا بادي الرأي) وقال الكبراء من قوم صالح (للذين استضعفوا لمن آمن منهم أتعلمون ان صالحا مرسل من ربه ؟ قالوا انا بما ارسل به مؤمنون * قال الذين استكبروا انا بالذي آمنتم به كافرون) وقال عز وجل (وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا أليس الله باعلم بالشاكرين) وقال تعالى (وكذلك جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها ليمكروا فيها) وقال جل وعلا (وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا) وقال جلا وعلا ههنا (وما أرسلنا في قرية من نذير) أي نبي أو رسول (إلا قال مترفوها) وهم أولو النعمة والحشمة والثروة والرياسة قال قتادة هم جبابرتهم وقادتهم ورءوسهم في الشر (انا بما أرسلتم به كافرون) أي لا نؤمن به ولا نتبعه

قال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا هارون بن اسحاق حدثنا محمد بن عبد الوهاب عن سفيان عن عاصم عن أبي رزين قال كان رجلان شريكين خرج أحدهما الى الساحل وبقي الآخر فلما بعث النبي ﷺ كتب الى صاحبه يسأله مافعل ، فكتب اليه إنه لم يتبعه أحد من قريش انما اتبعه أراذل الناس ومساكينهم قال فترك تجارته ثم أتى صاحبه فقال دلني عليه قال وكان يقرأ الكتب أو بعض الكتب قال فاتى النبي ﷺ فقال الى م تدعو ؟ قال « أدعو إلى كذا وكذا » قال أشهد انك رسول الله قال ﷺ « وما علمك بكذا ؟ » قال انه لم يبعث نبي الا اتبعه أراذل الناس ومساكينهم قال فنزلت

والمتبوعين جميعا ﴿ هل يجزون الا ما كانوا يعملون ﴾ من الكفر والمعاصي في الدنيا ﴿ وما أرسلنا في قرية من نذير إلا قال مترفوها ﴾ رؤساؤها وأغنياؤها ﴿ انا بما أرسلتم به كافرون * وقالوا ﴾ يعني قال المترفون للفقراء الذين آمنوا ﴿ نحن أكثر أموالا وأولادا ﴾ ولو لم يكن الله راضيا بما نحن عليه من الدين

هذه الآية (وما أرسلنا في قرية من نذير الا قال مترفوها انا بما أرسلتم به كافرون) الآية قال فأرسل اليه النبي ﷺ ان الله عز وجل قد أنزل تصديق ما قلت وهكذا قال هرقل لأبي سفيان حين سأله عن تلك المسائل قال فيها وسألتك أضعفاء الناس اتبعه ام اشرافهم فزعمت بل ضعفاؤهم وهم اتباع الرسل. وقال تبارك وتعالى اخبارا عن المترفين المكذبين (وقالوا نحن أكثر أموالا وأولاداً وما نحن بمعذبين) أي افتخروا بكثرة الاموال والاولاد واعتقدوا ان ذلك دليل على محبة الله تعالى لهم واعتنائه بهم وانه ما كان ليعطيهم هذا في الدنيا ثم يعذبهم في الآخرة وهيهات لهم ذلك قال الله تعالى (أيحسبون أنما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات بل لايشعرون) وقال تبارك وتعالى (فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم انما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون) وقال عز وجل (ذرني ومن خلقت وحيداً وجعلت له مالا ممدوداً وبنين شهودا ومهدت له تمهيدا ثم يطمع أن أزيد كلا إنه كان لآياتنا عنيداً سأرهقه صعودا) وقد أخبر الله عز وجل عن صاحب تينك الجنتين انه كان ذا مال وثمر وولد ثم لم يغن عنه شيئا بل سلب ذلك كله في الدنيا قبل الآخرة ولهذا قال عز وجل ههنا (قل ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) أي يعطي المال لمن يحب ومن لايحب فيفتقر من يشاء ويغني من يشاء وله الحكمة التامة البالغة والحجة القاطعة الدامغة (ولكن اكثر الناس لا يعلمون) ثم قال تعالى (وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى) أي ليست هذه دليلا على محبتنا لكم ولا اعتنائنا بكم.

قال الامام احمد رحمه الله حدثنا كثير حدثنا جعفر حدثنا يزيد بن الاصم عن أبي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله ﷺ قال « ان الله تعالى لاينظر الى صوركم وأموالكم ولكن انما ينظر إلى

والعمل لم يخولنا الاموال والاولاد ﴿ وما نحن بمعذبين ﴾ أي ان الله أحسن الينا في الدنيا بالمال والولد فلا يعذبنا ﴿ قل ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ﴾ يعني أن الله يبسط الرزق ويقدر ابتلاء وامتحانا لايدل البسط على رضى الله عنه ولا التضييق على سخطه ﴿ ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾ انها كذلك ﴿ وما أموالكم ولا أولادكم بالتى تقربكم عندنا زلفى ﴾ أى قربى قال الاخفش قربى اسم مصدر كأنه قال بالتى تقربكم عندنا تقريبا ﴿ إلا من آمن ﴾ يعني لكن من آمن ﴿ وعمل صالحا ﴾ قال ابن عباس يريد ايمانه وعمله يقربه مني ﴿ فأولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا ﴾ أى يضعف الله لهم حسناتهم فيجزي بالحسنة الواحدة عشرا إلى سبعمائة، قرأ يعقوب جزاء منصوبا منونا الضعف رفع تقديره لهم الضعف جزاء وقرأ العامة بالاضافة ﴿ وهم في الغرفات آمنون ﴾ قرأ حمزة (في الغرفة) على واحدة وقرأ الآخرون بالجمع لقوله (لنبوئنهم من الجنة غرفا) ﴿ والذين يسعون ﴾ يعملون ﴿ في آياتنا ﴾ في ابطال حجتنا ﴿ معاجزين ﴾ معاندين يحسبون انهم يعجزوننا ويفوتوننا ﴿ أولئك في العذاب محضرون * قل إن ربي يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له، وما انفقتم من شيء فهو يخلفه ﴾ يعني يعطي خلفه قال سعيد

قلوبكم وأعمالكم» ورواه مسلم وابن ماجه من حديث كثير بن هشام عن جعفر بن برقان به ، ولهذا قال الله تعالى (إلا من آمن وعمل صالحا) أي انما يقربكم عندنا زلفى الايمان والعمل الصالح (فأولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا) أي تضاعف لهم الحسنة بعشرة أمثالها الى سبعمائة ضعف (وهم في الغرفات آمنون) أي في منازل الجنة العالية آمنون من كل بأس وخوف وأذى ومن كل شر يحذر منه

قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا فروة بن أبي المغراء الكندي حدثنا القاسم وعلي بن مسهر عن عبد الرحمن بن اسحاق عن النعمان بن سعد عن علي رضي الله عنه قال ، قال رسول الله ﷺ «ان في الجنة لغرفا ترى ظهورها من بطونها وبطونها من ظهورها» فقال اعرابي لمن هي؟ قال ﷺ «لمن طيب الكلام وأطعم الطعام وأدام الصيام وصلى بالليل والناس نيام» (والذين يسعون في آياتنا معاجزين) أي يسعون في الصد عن سبيل الله واتباع رسله والتصديق بآياته (فأولئك في العذاب محضرون) أي جميعهم مجزيون بأعمالهم فيها بحسبهم

وقوله تعالى (قل ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له) أي بحسب ماله في ذلك من الحكمة يبسط على هذا من المال كثيراً ويضيق على هذا ويقتر على هذا رزقه جداً وله في ذلك من الحكمة مالا يدركها غيره كما قال تعالى (انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللآخرة أكبر درجات واكبر تفضيلا) أي كما هم متفاوتون في الدنيا هذا فقير مدقع وهذا غني موسع عليه فكذلك هم في الآخرة هذا في الغرفات في أعلى الدرجات وهذا في الغمرات في أسفل الدركات، وأطيب الناس في الدنيا كما قال ﷺ «قد أفلح من أسلم ورزق كفافا وقنعه الله بما آتاه» رواه مسلم من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

وقوله تعالى (وما انفقتم من شيء فهو يخلفه) أي مهما أنفقتم من شيء فيما امركم به وأباحه لكم فهو يخلفه عليكم في الدنيا بالبدل وفي الآخرة بالجزاء والثواب كما ثبت في الحديث «يقول الله تعالى انفق انفق عليك» وفي الحديث أن ملكين يصبحان كل يوم يقول أحدهما اللهم أعط ممسكا تلفا ويقول الآخر: اللهم اعط منفقا خلفا ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أنفق بلالا، ولا تخش من ذي العرش اقلالا» .

وقال ابن ابي حاتم حدثنا ابي عن يزيد بن عبد العزيز الفلاس حدثنا هشيم عن الكوثر بن حكيم عن مكحول قال بلغني عن حذيفة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «ألا ان بعد زمانكم هذا زمان عضوض يعض الموسر على ما في يده حذار الانفاق» ثم تلا هذه الآية (وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين) وقال الحافظ أبو يعلى الموصلي حدثنا روح بن حاتم حدثنا هشيم عن

ابن جبير ماكان في غير اسراف ولا تقتير فهو يخلفه وقال الكلبي ماتصدقتم من صدقة وأنفقتم في الخير من نفقة فهو يخلفه على المنفق إما أن يعجله في الدنيا وإما أن يدخره له في الآخرة (وهو

الكوثر بن حكيم عن مكحول قال بلغني عن حذيفة رضي الله عنه انه قال : قال رسول الله ﷺ « ألا ان بعد زمانكم هذا زمان عضوض يعض الموسر على ما في يده حذار الانفاق » قال الله تعالى (وما انفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين) وفي الحديث « شرار الناس يبايعون كل مضطر ألا ان بيع المضطرين حرام ألا ان بيع المضطرين حرام المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ان كان عندك معروف فعد به على أخيك والا فلا تزده هلاكا الى هلاكه » هذا حديث غريب من هذا الوجه وفي اسناده ضعف وقال سفيان الثوري عن أبي يونس الحسن بن يزيد قال: قال مجاهد لا يتأولن أحدكم هذه الآية (وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه) إذا كان عند أحدكم ما يقيمه فليقصد فيه فان الرزق مقسوم

ويوم يحشرهم جميعا ثم يقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون ؟ (٤٠) قالوا سبحانك

خير الرازقين ﴾ خير من يعطي ويرزق وروينا عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « قال الله تعالى أنفق يا ابن آدم أنفق عليك »

اخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسماعيل ثنا اسماعيل ثنا أبي عن سليمان هو ابن بلال عن معاوية بن أبي مزرد عن أبي الحباب عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال « مامن يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان فيقول أحدهما اللهم أعط منفقا خلفا ، ويقول الآخر اللهم أعط ممسكا تلفا »

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أبو منصور محمد بن محمد بن سمعان أنا أبو جعفر محمد بن أحمد ابن عبد الجبار الرياني أنا حميد بن زنجويه أنا ابن أبي أويس أنا عبد العزيز بن محمد عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال « مانقصت صدقة من مال، وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزا ، وماتواضع أحد لله إلا رفعه الله »

أخبرنا عبد الواحد المليحى أنا أبو منصور السمعاني أنا أبو جعفر الرياني أنا حميد بن زنجويه أنا أنا أبو الربيع أنا عبد الحميد بن الحسن الهلالي أنا محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ « كل معروف صدقة ، وكل ما انفق الرجل على نفسه وأهله كتب له صدقة ، وما وقى الرجل به عرضه كتب له به صدقة قلت مايعني ماوقى الرجل به عرضه قال ـ ما أعطى الشاعر وذا اللسان المتقى ـ وما انفق المؤمن من نفقة فعلى الله خلفها ضامنا إلا ماكان من نفقة في بنيان أو في معصية الله عز وجل » قوله قلت مايعني يقول عبد الحميد لمحمد بن المنكدر قال مجاهد إذا كان في يد أحدكم شيء فليقصد ولا يتأول هذه الآية (وما انفقتم من شيء فهو يخلفه) فان الرزق مقسوم لعل رزقه قليل وهو ينفق نفقة الموسع عليه ومعنى الآية وما كان من خلف فهو منه

قوله تعالى ﴿ ويوم يحشرهم ﴾ قرأ يعقوب وحفص يحشرهم ويقول بالياء فيهما وقرأ الآخرون

أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون (٤١) فاليوم لا يملك بعضكم لبعض نفعا ولا ضرا ونقول للذين ظلموا ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها تكذبون (٤٢)

يخبر تعالى أنه يقرع المشركين يوم القيامة على رءوس الخلائق فيسأل الملائكة الذين كان المشركون يزعمون أنهم يعبدون الانداد التي هي على صورهم ليقربوهم الى الله زلفى فيقول للملائكة (أهؤلاء اياكم كانوا يعبدون) أي انتم أمرتم هؤلاء بعبادتكم كما قال تعالى في سورة الفرقان (أأنتم أضللتم عبادي هؤلاء أم هم ضلوا السبيل) وكما يقول لعيسى عليه الصلاة والسلام (أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي الهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي أن اقول ما ليس لي بحق) وهكذا تقول الملائكة (سبحانك) أي تعاليت وتقدست عن أن يكون معك إله (أنت ولينا من دونهم) أي نحن عبيدك ونبرأ اليك من هؤلاء (بل كانوا يعبدون الجن) يعنون الشياطين لانهم هم الذين زينوا لهم عبادة الاوثان وأضلوهم (أكثرهم بهم مؤمنون) كما قال تبارك وتعالى (إن يدعون من دونه الا اناثا وان يدعون الا شيطانا مريدا لعنه الله) قال الله عز وجل (فاليوم لا يملك بعضكم لبعض نفعا ولا ضرا) أي لا يقع لكم نفع ممن كنتم ترجون نفعه اليوم من الانداد والاوثان التي ادخرتم عبادتها لشدائدكم وكربكم اليوم لا يملكون لكم نفعا ولا ضرا (ونقول للذين ظلموا) وهم المشركون (ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها تكذبون) أي يقال لهم ذلك تقريعا وتوبيخا

واذا تتلى عليهم آيتنا بينت قالوا ماهذا إلا رجل يريد أن يصدكم عما كان يعبد

بالنون ﴿ جميعا ﴾ يعني هؤلاء الكفار ﴿ ثم يقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون ﴾ في الدنيا قال قتادة هذا استفهام تقرير كقوله تعالى لعيسى (أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله) فتتبرأ منهم الملائكة ﴿ قالوا سبحانك ﴾ تنزيها لك ﴿ أنت ولينا من دونهم ﴾ أي نحن نتولاك ولا نتولاهم ﴿ بل كانوا يعبدون الجن ﴾ يعني الشياطين ، فان قيل هم كانوا يعبدون الملائكة فكيف وجه قوله (يعبدون الجن) ؟ قيل أراد أن الشياطين زينوا لهم عبادة الملائكة فهم كانوا يطيعون الشياطين في عبادة الملائكة فقوله (يعبدون الجن) أي يطيعون الجن ﴿ أكثرهم بهم مؤمنون ﴾ يعني مصدقون للشياطين ثم يقول الله ﴿ فاليوم لا يملك بعضكم لبعض نفعا ﴾ بالشفاعة ﴿ ولا ضرا ﴾ بالعذاب يريد أنهم عاجزون لا نفع عندهم ولا ضر ﴿ ونقول للذين ظلموا ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها تكذبون ﴾ واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قالوا ماهذا ﴾ يعنون محمداً ﷺ ﴿ إلا رجل يريد أن يصدكم عما كان

آباؤكم وقالوا ماهذا الا افك مفترًى وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم ان هذا إلا سحر

مبين (٤٣) وما آتيناهم من كتب يدرسونها وما أرسلنا إليهم قبلك من نذير (٤٤) وكذب

الذين من قبلهم وما بلغوا معشار ما آتيناهم فكذبوا رسلي فكيف كان نكير (٤٥)

يخبر تعالى عن الكفار انهم يستحقون منه العقوبة والاليم من العذاب لانهم كانوا اذا تتلى عليهم آياته بينات يسمعونها محضة طرية من لسان رسوله ﷺ (قالوا ماهذا الا رجل يريد أن يصدكم عما كان يعبد آباؤكم) يعنون أن دين آبائهم هو الحق وأن ماجاءهم به الرسول عندهم باطل، عليهم وعلى آبائهم لعائن الله تعالى (وقالوا ماهذا إلا افك مفترى) يعنون القرآن [وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم إن هذا الا سحر مبين] قال الله تعالى (وما آتيناهم من كتب يدرسونها وما أرسلنا اليهم قبلك من نذير) أي ما أنزل الله على العرب من كتاب قبل القرآن وما أرسل اليهم نبياً قبل محمد ﷺ وقد كانوا يودون ذلك ويقولون لو جاءنا نذير أو أنزل علينا كتاب لكنا أهدى من غيرنا ، فلما من الله عليهم بذلك كذبوه وجحدوه وعاندوه

ثم قال تعالى (وكذب الذين من قبلهم) أي من الامم (وما بلغوا معشار ما آتيناهم) قال ابن عباس رضي الله عنهما أي من القوة في الدنيا ، وكذا قال قتادة والسدي وابن زيد كما قال تعالى [ولقد مكناهم فيما إن مكناكم فيه وجعلنا لهم سمعاً وأبصاراً وأفئدة فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء إذ كانوا يجحدون بآيات الله وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون * أفلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أكثر منهم وأشد قوة] أي وما دفع ذلك عنهم عذاب الله ولا رده ، بل دمر الله عليهم لما كذبوا رسله ولهذا قال (فكذبوا رسلي فكيف كان نكير) أي فكيف كان عقابي ونكالي وانتصاري لرسلي

يعبد آباؤكم وقالوا ماهذا إلا افك مفترى ﴾ يعنون القرآن ﴿ وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم إن هذا إلا سحر مبين ﴾ أى بين

قوله تعالى ﴿ وما آتيناهم ﴾ يعني هؤلاء المشركين ﴿ من كتب يدرسونها ﴾ يقرءونها ﴿ وما أرسلنا اليهم قبلك من نذير ﴾ أى لم يأت العرب قبلك نبي ولا نزل عليهم كتاب ﴿ وكذب الذين من قبلهم ﴾ من الامم رسلنا وهم عاد وثمود وقوم ابراهيم وقوم لوط وغيرهم ﴿ وما بلغوا ﴾ يعني هؤلاء المشركين ﴿ معشار ﴾ أى عشر ﴿ ما آتيناهم ﴾ أى اعطينا الامم الخالية من القوة والنعمة وطول العمر ﴿ فكذبوا رسلي فكيف كان نكير ﴾ أي انكاري وتغييري عليهم يحذر كفار هذه الامة عذاب

قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا مابصاحبكم من جنة إن هو الا نذير لكم بين يدي عذاب شديد (٤٦)

يقول تبارك وتعالى قل يامحمد لهؤلاء الكافرين الزاعمين أنك مجنون (انما أعظكم بواحدة) أي انما آمركم بواحدة وهي (أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا مابصاحبكم من جنة) أي تقوموا قياما خالصاً لله عز وجل من غير هوى ولا عصبية فيسأل بعضكم بعضا هل بمحمد من جنون فينصح بعضكم بعضاً (ثم تتفكروا) أي ينظر الرجل لنفسه في أمر محمد صلى الله عليه وسلم ويسأل غيره من الناس عن شأنه ان أشكل عليه ويتفكر في ذلك ولهذا قال تعالى (أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا مابصاحبكم من جنة) هذا معنى ماذكره مجاهد ومحمد بن كعب والسدي وقتادة وغيرهم وهذا هو المراد من الآية

فأما الحديث الذي رواه ابن أبي حاتم حدثنا ابي حدثنا هشام بن عمار حدثنا صدقة بن خالد حدثنا ابن أبي العاتكة عن علي بن يزيد عن القاسم عن أبي امامة رضي الله عنه قال : إن رسول الله ﷺ كان يقول « أعطيت ثلاثا لم يعطهن أحد قبلي ولا فخر : أحلت لي الغنائم ولم تحل لمن قبلي كانوا قبلي يجمعون غنائمهم فيحرقونها ، وبعثت إلى كل أحمر وأسود وكان كل نبي يبعث الى قومه خاصة ، وجعلت لي الارض مسجداً وطهورا أتيمم بالصعيد وأصلي فيها حيث أدركتني الصلاة » قال الله تعالى (أن تقوموا لله مثنى وفرادى) وأعنت بالرعب مسيرة شهر بين يدي » فهو حديث ضعيف الاسناد ، وتفسير الآية بالقيام في الصلاة في جماعة وفرادى بعيد ولعله مقحم في الحديث من بعض الرواة فان أصله ثابت في الصحاح وغيرها والله أعلم

وقوله تعالى (إن هو الا نذير لكم بين يدي عذاب شديد) قال البخاري عندها حدثنا علي بن عبدالله حدثنا محمد بن حازم حدثنا الاعمش عن عمرو بن مرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : صعد النبي ﷺ الصفا ذات يوم فقال « ياصباحاه » فاجتمعت اليه قريش فقالوا مالك ؟ فقال « أرأيتم لو أخبرتكم ان العدو يصبحكم أو يمسيكم اما كنتم تصدقوني » قالوا بلى ! قال

الامم الماضية ﴿ قل إنما أعظكم ﴾ آمركم وأوصيكم ﴿ بواحدة ﴾ أي بخصلة واحدة ثم بين تلك الخصلة فقال ﴿ أن تقوموا لله ﴾ أي لاجل الله ﴿ مثنى ﴾ أى اثنين اثنين ﴿ وفرادى ﴾ أي واحداً واحداً ﴿ ثم تتفكروا ﴾ جميعا أى تجتمعون فتنظرون وتتحاورون وتنفردون فتتفكرون في حال محمد ﷺ فتعلموا ﴿ مابصاحبكم من جنة ﴾ أي جنون وليس المراد من القيام القيام الذى هو ضد الجلوس وإنما هو قيام بالامر الذي هو في طلب الحق كقوله (وأن تقوموا لليتامى بالقسط) ﴿ ان هو ﴾ ماهو ﴿ إلا نذير لكم بين يدي عذاب شديد ﴾ قال مقاتل تم الكلام عند قوله (ثم تتفكروا) أي في خلق السموات

ﷺ « فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد » فقال أبو لهب ألهذا جمعتنا؟ فأنزل الله عز وجل (تبت يدا أبي لهب وتب) وقد تقدم عند قوله تعالى [وأنذر عشيرتك الاقربين]

وقال الامام احمد حدثنا ابو نعيم حدثنا بشير بن المهاجر حدثني عبد الله بن بريدة عن أبيه رضي الله عنه قال: خرج الينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً فنادى ثلاث مرات فقال « أيها الناس تدرون مامثلي ومثلكم؟ » قالوا الله تعالى ورسوله أعلم، قال صلى الله عليه وسلم « انما مثلي ومثلكم مثل قوم خافوا عدوا يأتيهم فبعثوا رجلا يتراءى لهم فبينما هو كذلك أبصر العدو فأقبل لينذرهم وخشي أن يدركه العدو قبل أن ينذر قومه فأهوى بثوبه، أيها الناس أوتيتم أيها الناس أوتيتم » ثلاث مرات، وبهذا الاسناد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « بعثت أنا والساعة جميعاً إن كادت لتسبقني » تفرد به الامام احمد في مسنده

قل ما سألتكم من أجر فهو لكم إنْ أجريَ الا على الله وهو على كل شيء شهيد (٤٧)

قل انَّ ربي يقذف بالحق علّٰم الغيوب (٤٨) قل جاء الحق وما يبدىء البٰطل وما يعيد (٤٩)

قل ان ضللت فانما أضل على نفسي وان اهتديت فبما يوحي اليَّ ربي انه سميع قريب (٥٠)

يقول تعالى آمراً رسوله ﷺ أن يقول للمشركين (ماسألتكم من أجر فهو لكم) أي لاأريد منكم جعلا ولا عطاء على أداء رسالة الله عز وجل اليكم ونصحي اياكم وأمركم بعبادة الله (ان أجري الا على الله) أي انما أطلب ثواب ذلك من عند الله (وهو على كل شيء شهيد) أي عالم بجميع الامور بما أنا عليه من إخباري عنه بارساله اياي اليكم وما أنتم عليه

وقوله عز وجل (قل ان ربي يقذف بالحق علام الغيوب) كقوله تعالى (يلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده) أي يرسل الملك الى من يشاء من عباده من أهل الارض وهو علام الغيوب فلا تخفى عليه خافية في السموات ولا في الارض. وقوله تبارك وتعالى (قل جاء الحق ومايبدىء الباطل وما يعيد) أي جاء الحق من الله والشرع العظيم وذهب الباطل وزهق واضمحل كقوله تعالى (بل

والارض فتعلموا أن خالقها واحد لاشريك له. ثم ابتدأ فقال (مابصاحبكم من جنة) ﴿قل ما سألتكم﴾ على تبليغ الرسالة ﴿من أجر﴾ جعل ﴿فهو لكم﴾ يقول لا أسألكم على تبليغ الرسالة أجراً فتتهموني ومعنى قوله (فهو لكم) اى لم اسألكم شيئا كقول القائل مالي من هذا فقد وهبته لك يريد ليس لي فيه شيء ﴿ان اجري﴾ ماثوابي ﴿إلا على الله، وهو على كل شيء شهيد * قل إن ربي يقذف بالحق﴾ والقذف الرمي بالسهم والحصى والكلام ومعناه يأتي بالحق وبالوحي ينزله من السماء فيقذفه الى الانبياء ﴿علام الغيوب﴾ رفع بخبر إن اي وهو علام الغيوب

قوله تعالى ﴿قل جاء الحق﴾ يعني القرآن والاسلام ﴿وما يبدىء الباطل وما يعيد﴾ أي ذهب

تقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق) ولهذا لما دخل رسول الله ﷺ المسجد الحرام يوم الفتح ووجد تلك الاصنام منصوبة حول الكعبة جعل يطعن الصنم منها بسية قوسه ويقرأ (وقل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا — قل جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد) رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وحده عند هذه الآية كلهم من حديث الثوري عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عن أبي معمر عبدالله بن سخبرة عن ابن مسعود رضي الله عنه ، أي لم يبق للباطل مقالة ولا رياسة ولا كلمة ، وزعم قتادة والسدي أن المراد بالباطل ههنا ابليس أي انه لا يخلق أحداً ولا يعيده ولا يقدر على ذلك وهذا وان كان حقا ولكن ليس هو المراد ههنا والله أعلم

وقوله تبارك وتعالى (قل ان ضللت فانما أضل على نفسي وان اهتديت فبما يوحي إلي ربي) أي الخير كله من عند الله وفيما أنزل الله عز وجل من الوحي والحق المبين فيه الهدى والبيان والرشاد ومن ضل فانما يضل من تلقاء نفسه كما قال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه لما سئل عن تلك المسئلة في المفوضة أقول فيها برأيي فان يكن صوابا فمن الله وان يكن خطأ فمني ومن الشيطان والله ورسوله بريئان منه . وقوله تعالى (انه سميع قريب) أي سميع لاقوال عباده قريب مجيب دعوة الداعي اذا دعاه ، وقد روى النسائي ههنا حديث أبي موسى الذي في الصحيحين « انكم لا تدعون أصم ولا غائبا انما تدعون سميعا قريبا مجيبا »

ولو ترى اذ فزعوا فلا فوت وأخذوا من مكان قريب (٥١) وقالوا آمنا به وأنى لهم التناوش من مكان بعيد (٥٢) وقد كفروا به من قبل ويقذفون بالغيب من مكان بعيد (٥٣) وحيل بينهم وبين ما يشتهون كما فُعِل بأشياعهم من قبل انهم كانوا في شك مُريب (٥٤)

يقول تبارك وتعالى ولو ترى يا محمد اذ فزع هؤلاء المكذبون يوم القيامة فلا فوت أي فلا مفر لهم ولا وزر لهم ولا ملجأ (وأخذوا من مكان قريب) أي لم يمكنوا أن يمعنوا في الهرب بل أخذوا من أول وهلة . قال الحسن البصري حين خرجوا من قبورهم

وقال مجاهد وعطية العوفي وقتادة من تحت أقدامهم ، وعن ابن عباس رضي الله عنهما والضحاك يعني عذابهم في الدنيا ، وقال عبدالرحمن بن زيد يعني قتلهم يوم بدر ، والصحيح أن المراد بذلك

الباطل وزهق فلم يبق منه بقية يبدئ شيئا أو يعيد كما قال تعالى (بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه) وقال قتادة الباطل هو ابليس أي ما يخلق ابليس أحداً ابتداء ولا يبعثه وهو قول مقاتل والكلبي وقيل الباطل الاصنام (قل ان ضللت فانما أضل على نفسي) وذلك أن كفار مكة كانوا يقولون له إنك قد ضللت حين تركت دين آبائك فقال الله تعالى (قل إن ضللت فانما أضل على نفسي) أي اثم ضلالتي على نفسي (وان اهتديت فبما يوحي إليّ ربي) من القرآن والحكمة (إنه سميع قريب * ولو ترى اذ فزعوا) قال قتادة عند البعث حين يخرجون من قبورهم (فلا فوت) أي فلا يفوتونني كما

يوم القيامة وهو الطامة العظمى ، وان كان ماذكر متصلا بذلك ، وحكى ابن جرير عن بعضهم قال ان المراد بذلك جيش يخسف بهم بين مكة والمدينة في أيام بني العباس رضي الله عنهم . ثم أورد في ذلك حديثا موضوعا بالكلية ثم لم ينبه على ذلك وهذا أمر عجيب غريب منه (وقالوا آمنا به) أي يوم القيامة يقولون آمنا بالله وملائكته وكتبه ورسله كما قال تعالى (ولو ترى اذ المجرمون ناكسو رءوسهم عند ربهم ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا انا موقنون) ولهذا قال تعالى (وأنى لهم التناوش من مكان بعيد) أي وكيف لهم تعاطي الايمان وقد بعدوا عن محل قبوله منهم وصاروا إلى الدار الآخرة وهي دار الجزاء لادار الابتلاء فلو كانوا آمنوا في الدنيا لكان ذلك نافعهم ولكن بعدمصيرهم الى الدار الاخرة لاسبيل لهم الى قبول الايمان كما لاسبيل الى حصول الشيء لمن يتناوله من بعيد . قال مجاهد (وأنى لهم التناوش) قال التناول لذلك . وقال الزهري التناوش تناولهم الايمان وهم في الآخرة وقد انقطعت عنهم الدنيا ، وقال الحسن البصري أما إنهم طلبوا الامر من حيث لاينال تعاطوا الايمان من مكان بعيد ، وقال ابن عباس رضي الله عنهما طلبوا الرجعة إلى الدنيا والتوبة مما هم فيه وليس بحين رجعة ولا توبة ، وكذا قال محمد بن كعب القرظي رحمه الله .

وقوله تعالى (وقد كفروا به من قبل) أي كيف يحصل لهم الايمان في الآخرة وقد كفروا بالحق في الدنيا وكذبوا الرسل (ويقذفون بالغيب من مكان بعيد) قال مالك عن زيد بن أسلم (ويقذفون بالغيب) قال بالظن قلت كما قال تعالى (رجما بالغيب) فتارة يقولون شاعر وتارة يقولون كاهن وتارة يقولون ساحر وتارة يقولون مجنون الى غير ذلك من الاقوال الباطلة ، ويكذبون بالبعث والنشور والمعاد (ويقولون ان نظن الا ظنا ومانحن بمستيقنين) قال قتادة ومجاهد يرجون بالظن لا بعث ولا جنة ولا نار .

وقوله تعالى (وحيل بينهم وبين مايشتهون) قال الحسن البصري والضحاك وغيرهما يعني الايمان

قال : ولات حين مناص) وقيل إذا فزعوا فلا فوت ولا نجاة ﴿ وأخذوا من مكان قريب ﴾ قال الكلبي من تحت أقدامهم وقيل أخذوا من بطن الارض الى ظهرها وحيثما كانوا فهم من الله قريب لايفوتونه وقيل من مكان قريب يعني عذاب الدنيا وقال الضحاك يوم بدر وقال ابن أبزى خسف بالبيداء وفي الآية حذف تقديره ولو ترى اذ فزعوا لرأيت أمراً تعتبر به ﴿ وقالوا آمنا به ﴾ حين عاينوا العذاب قيل عند اليأس وقيل عند البعث ﴿ وأنى ﴾ من أين ﴿ لهم التناوش ﴾ قرأ أبو عمرو وحمزة والكسائي وأبو بكر التناؤش بالمد والهمز وقرأ الآخرون بواو صافية من غير مد ولا همز ومعناه التناول أي كيف لهم تناول مابعد عنهم وهو الايمان والتوبة وقد كان قريبا في الدنيا فضيعوه ومن همز قيل معناه هذا أيضا وقيل التناؤش بالهمز من النيش وهو حركة في ابطاء يقال جاء نيشا أي مبطئاً متأخراً ، والمعنى من أين لهم الحركة فيما لاحيلة لهم فيه ، وعن ابن عباس قال يسألون الرد الى الدنيا فيقال وأنى لهم الرد الى الدنيا ﴿ من مكان بعيد ﴾ أي من الآخرة إلى الدنيا ﴿ وقد كفروا به من قبل ﴾ أي بالقرآن وقيل بمحمد ﷺ من قبل أن يعاينوا العذاب وأهوال القيامة ﴿ ويقذفون بالغيب من

وقال السدي (وحيل بينهم وبين مايشتهون) وهي التوبة وهذا اختيار ابن جرير رحمه الله . وقال مجاهد (وحيل بينهم وبين مايشتهون) من هذه الدنيا من مال وزهرة وأهل ، وروي نحوه عن ابن عمر وابن عباس والربيع بن أنس رضي الله عنهم وهو قول البخاري وجماعة والصحيح أنه لا منافاة بين القولين فانه قد حيل بينهم وبين شهواتهم في الدنيا وبين ماطلبوه في الآخرة فمنعوا منه

وقد ذكر ابن أبي حاتم ههنا أثراً غريبا عجيبا جداً فلنذكره بطوله فانه قال: حدثنا محمد بن يحيى حدثنا بشر بن حجر الشامي حدثنا علي بن منصور الانباري عن شرقي بن قطامي عن سعيد بن طريف عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما في قول الله عز وجل (وحيل بينهم وبين مايشتهون) الى آخر الآية قال كان رجل من بني اسرائيل فاتحا ان يتح الله تعالى له مالا فمات فورثه ابن له تافه أي فاسد فكان يعمل في مال الله تعالى بمعاصي الله تعالى عز وجل فلما رأى ذلك اخوات أبيه أتوا الفتى فعذلوه ولاموه فضجر الفتى فباع عقاره بصامت ثم رحل فأتى عينا ثجاجة فسرح فيها ماله وابتنى قصراً فبينما هو ذات يوم جالس اذ شملت عليه ريح بامرأة من أحسن الناس وجها وأطيبهم أرجا أي ريحا فقالت من أنت ياعبدالله ؟ فقال أنا امرؤ من بني إسرائيل قالت فلك هذا القصر وهذا المال ؟ فقال نعم . قالت فهل لك من زوجة ؟ قال لا . قالت فكيف يهنيك العيش ولا زوجة لك ؟ قال قد كان ذاك قال فهل لك من بعل ؟ قالت لا قال فهل لك الى أن أتزوجك ؟ قالت اني امرأة منك على مسيرة ميل فاذا كان غد فتزود زاد يوم وائتني وان رأيت في طريقك هولا فلايهولنك فلما كان من الغد تزود زاد يوم وانطلق فانتهى الى قصر فقرع رتاجه فخرج اليه شاب من أحسن الناس وجها وأطيبهم أرجا أي ريحا فقال من أنت ياعبدالله ؟ فقال أنا الاسرائيلي قال فما حاجتك ؟ قال دعتني صاحبة هذا القصر الى نفسها قال صدقت ، قال فهل رأيت في الطريق هولا ؟ قال نعم ولولا أنها أخبرتني أن لا بأس علي لهالني الذي رأيت قال مارأيت ؟ قال أقبلت حتى اذا انفرج بي السبيل اذا أنا بكلبة فاتحة فاها ففزعت فوثبت فاذا أنا من ورائها واذا جراؤها ينبحن في بطنها فقال له الشاب لست تدرك هذا هذا يكون في آخر الزمان يقاعد الغلام المشيخة في مجلسهم ويسرهم حديثه ، قال ثم أقبلت حتى اذا انفرج بي السبيل اذا أنا بمائة عنز حفل واذا فيها جدي يمصها فاذا أتى عليها وظن أنه لم يترك شيئا فتح فاه يلتمس الزيادة فقال لست تدرك هذا ؟ هذا يكون في آخر الزمان ملك يجمع صامت الناس كلهم حتى اذا ظن أنه لم يترك شيئا فتح فاه يلتمس الزيادة ، قال ثم أقبلت حتى اذا انفرج بي السبيل اذا أنا بشجر فأعجبني غصن من شجرة منها ناضرة فأردت قطعه فنادتني شجرة أخرى ياعبدالله مني فخذ حتى ناداني الشجر

مكان بعيد ﴾ قال مجاهد يرمون محمداً بالظن لا باليقين وهو قولهم ساحر وشاعر وكاهن ، ومعنى الغيب هو الظن لانه غاب علمه عنهم والمكان البعيد بعدهم عن علم مايقولون ، والمعنى يرمون محمداً بما لا يعلمون من حيث لا يعلمون وقال قتادة يرجمون بالظن يقولون لا بعث ولا جنة ولا نار ﴿ وحيل بينهم وبين مايشتهون ﴾ أي الايمان

أجم ياعبدالله مني فخذ فقال لست تدرك هذا هذا يكون في آخر الزمان يقل الرجال ويكثر النساء حتى ان الرجل ليخطب المرأة فتدعوه العشر والعشرون الى أنفسهن ، قال ثم أقبلت حتى اذا انفرج بي السبيل فاذا أنا برجل قائم على عين يغرف لكل انسان من الماء فاذا تصدعوا عنه صب في جرته فلم تعلق جرته من الماء بشيء، قال لست تدرك هذا هذا يكون في آخر الزمان القاص يعلم الناس العلم ثم يخالفهم الى معاصي الله تعالى، قال ثم أقبلت حتى اذا انفرج بي السبيل اذا أنا بعنز واذا بقوم قد أخذوا بقوائمها واذا رجل قد أخذ بقرنيها واذا رجل قد أخذ بذنبها واذا راكب قد ركبها واذا رجل يحلبها فقال أما العنز فهي الدنيا والذين أخذوا بقوائمها يتساقطون من عيشها ، وأما الذي قد أخذ بقرنيها فهو يعالج من عيشها ضيقا ، وأما الذي أخذ بذنبها فقد أدبرت عنه ، وأما الذي ركبها فقد تركها ، وأما الذي يحلبها فبخ بخ ذهب ذلك بها ، قال ثم أقبلت حتى اذا انفرج بي السبيل اذا أنا برجل يمتح على قليب كلما أخرج دلوه صبه في الحوض فانساب الماء راجعا الى القليب قال هذا رجل رد الله عليه صالح عمله فلم يقبله . قال ثم أقبلت حتى اذا انفرج بي السبيل اذا أنا برجل يبذر بذرا فيستحصد فاذا حنطة طيبة قال هذا رجل قبل الله صالح عمله وأزكاه له . قال ثم أقبلت حتى اذا انفرج بي السبيل اذا أنا برجل مستلق على قفاه قال ياعبدالله ادن مني فخذ بيدي وأقعدني فوالله ماقعدت منذ خلقني الله تعالى فأخذت بيده فقام يسعى حتى ما أراه فقال له الفتى هذا عمر الابعد نفد وأنا ملك الموت أمرني الله تعالى بقبض روح الا بعد في هذا المكان ثم أصيره الى نار جهنم قال ففيه نزلت هذه الآية (وحيل بينهم وبين مايشتهون) الآية هذا أثر غريب وفي صحته نظر ، وتنزيل الآية عليه وفي حقه بمعنى أن الكفار كلهم يتوفون وأرواحهم متعلقة بالحياة الدنيا كما جرى لهذا المغرور المفتون ذهب يطلب مراده فجاءه ملك الموت فجأة بغتة وحيل بينه وبين مايشتهي .

وقوله تعالى (كما فعل بأشياعهم من قبل) أي كما جرى للامم الماضية المكذبة بالرسل لما جاءهم بأس الله تمنوا أن لو آمنوا فلم يقبل منهم (فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين * فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا سنة الله التي قد خلت في عباده وخسر هنالك الكافرون) . وقوله تبارك وتعالى (انهم كانوا في شك مريب) أي كانوا في الدنيا في شك وريبة فلهذا لم يتقبل منهم الايمان عند معاينة العذاب . قال قتادة اياكم والشك والريبة فان من مات على شك بعث عليه ، ومن مات على يقين بعث عليه

﴿ آخر تفسير سورة سبأ والله سبحانه وتعالى الموفق للصواب ﴾

والتوبة والرجوع الى الدنيا وقيل نعيم الدنيا وزهرتها ﴿ كما فعل بأشياعهم ﴾ يعني بنظرائهم ومن كان على مثل حالهم من الكفار ﴿ من قبل ﴾ أى لم يقبل منهم الايمان والتوبة في وقت اليأس ﴿ إنهم كانوا في شك ﴾ من البعث ونزول العذاب بهم ﴿ مريب ﴾ موقع لهم الريبة والتهمة

تفسير سورة فاطر وهي مكية

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

الحمد لله فاطر السموات والارض جاعل الملائكة رسلا أولي أجنحة مثنى وثلاث وربع يزيد في الخلق مايشاء إن الله على كل شيء قدير (١)

قال سفيان الثوري عن ابراهيم بن مهاجر عن مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كنت لا أدري ما فاطر السموات والارض حتى أتاني اعرابيان يختصمان في بئر فقال أحدهما لصاحبه أنا فطرتها أي بدأتها وقال ابن عباس رضي الله عنهما أيضا (فاطر السموات والارض) أي بديع السموات والارض ، وقال الضحاك كل شيء في القرآن فاطر السموات والارض فهو خالق السموات والارض

وقوله تعالى (جاعل الملائكة رسلا) أي بينه وبين انبيائه أولي اجنحة أي يطيرون بها ليبلغوا ما أمروا به سريعا (مثنى وثلاث ورباع) أي منهم من له جناحان ومنهم من له ثلاثة ومنهم من له أربعة ومنهم من له أكثر من ذلك كما جاء في الحديث أن رسول الله ﷺ رأى جبريل عليه السلام ليلة الاسراء وله ستمائة جناح بين كل جناحين كما بين المشرق والمغرب ولهذا قال جل وعلا (يزيد في الخلق مايشاء إن الله على كل شيء قدير) قال السدي يزيد في الاجنحة وخلقهم مايشاء وقال الزهري وابن جريج في قوله تعالى (يزيد في الخلق مايشاء) يعني حسن الصوت رواه عن الزهري البخاري في الادب وابن أبي حاتم في تفسيره وقرئ في الشاذ (يزيد في الحلق) بالحاء المهملة والله أعلم

﴿سورة الملائكة مكية وهي خمس وأربعون آية﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الحمد لله فاطر السموات والاض﴾ خالقهما ومبدعهما على غير مثال سبق ﴿جاعل الملائكة رسلا أولي أجنحة﴾ ذوي أجنحة ﴿مثنى وثلاث ورباع﴾ قال قتادة ومقاتل بعضهم له جناحان وبعضهم له ثلاثة اجنحة وبعضهم له اربعة أجنحة ويزيد فيها مايشاء وهو قوله ﴿يزيد في الخلق مايشاء﴾ وقال ابن مسعود في قوله عز وجل (لقد رأى من آيات ربه الكبرى) قال رأى جبريل في صورته له ستمائة جناح وقال ابن شهاب في قوله (يزيد في الخلق مايشاء) قال حسن الصوت وعن قتادة قال

ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم (٢)

يخبر تعالى انه ماشاء كان ومالم يشأ لم يكن وانه لامانع لما أعطى ولا معطي لما منع قال الامام أحمد حدثنا علي بن عاصم حدثنا مغيرة أخبرنا عامر عن وراد مولى المغيرة بن شعبة قال ان معاوية كتب الى المغيرة بن شعبة اكتب لي بما سمعت من رسول الله ﷺ فدعاني المغيرة فكتبت اليه إني سمعت رسول الله ﷺ يقول اذا انصرف من الصلاة « لا اله الا الله وحده لاشريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير اللهم لامانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد » وسمعته ينهى عن قيل وقال وكثرة السؤال واضاعة المال ، وعن وأد البنات ، وعقوق الامهات ، ومنع وهات. وأخرجاه من طرق عن وراد به وثبت في صحيح مسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال ان رسول الله ﷺ كان اذا رفع رأسه من الركوع يقول « سمع الله لمن حمده اللهم ربنا لك الحمد ملء السماء والارض ، وملء ماشئت من شيء بعد ، اللهم أهل الثناء والمجد ، أحق ماقال العبد وكلنا لك عبد ، اللهم لامانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد » وهذه الآية كقوله تبارك وتعالى (وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله) ولها نظائر كثيرة

وقال الامام مالك رحمة الله عليه كان أبو هريرة رضي الله عنه اذا مطروا يقول مطرنا بنوء الفتح ثم يقرأ هذه الآية (ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم) ورواه ابن أبي حاتم عن يونس عن ابن وهب عنه

يا أيها الناس اذكروا نعمت الله عليكم هل من خلق غير الله يرزقكم من السماء والارض لا اله إلا هو فأنى تؤفكون (٣)

هو الملاحة في العينين وقيل هو العقل والتمييز ﴿ إن الله على كل شيء قدير * ما يفتح الله للناس من رحمة ﴾ قيل من مطر ورزق ﴿ فلا ممسك لها ﴾ لايستطيع أحد حبسها ﴿ وما يمسك فلا مرسل له من بعده وهو العزيز ﴾ فيما أمسك ﴿ الحكيم ﴾ فيما ارسل من مطر ورزق

أخبرنا الامام أبو الحسن عبد الرحمن بن محمد الداودى أنا أبو الحسن احمد بن محمد بن موسى ابن الصلت أنا أبو اسحاق ابراهيم بن عبد الصمد الهاشمي أنا عبيد الله بن اسباط أنا أبي أنا عبد الملك ابن عمير عن وراد عن المغيرة بن شعبة أن رسول الله ﷺ كان يقول دبر كل صلاة مكتوبة « لا إله إلا الله وحده لاشريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير ، اللهم لامانع لما اعطيت ، ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد »

قوله تعالى ﴿ يا أيها الناس اذكروا نعمة الله عليكم هل من خالق غير الله ﴾ قرأ حمزة والكسائي

ينبه تعالى عباده ويرشدهم إلى الاستدلال على توحيده في افراد العبادة له كما انه المستقل بالخلق والرزق فكذلك فليفرد بالعبادة ولا يشرك به غيره من الاصنام والانداد والاوثان ولهذا قال تعالى (لا اله إلا هو فأنى تؤفكون) أي فكيف تؤفكون بعد هذا البيان، ووضوح هذا البرهان، وأنتم بعد هذا تعبدون الانداد والاوثان والله أعلم

وإن يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك وإلى الله ترجع الأمور (٤) يا أيها الناس ان وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور (٥) إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير (٦)

يقول تبارك وتعالى وان يكذبوك يامحمد هؤلاء المشركون بالله ويخالفوك فيما جئتهم به من التوحيد فلك فيمن سلف قبلك من الرسل أسوة فانهم كذلك جاءوا قومهم بالبينات وأمروهم بالتوحيد فكذبوهم وخالفوهم (وإلى الله ترجع الأمور) أي وسنجزيهم على ذلك أوفر الجزاء. ثم قال تعالى (يا أيها الناس إن وعد الله حق) أي المعاد كائن لامحالة (فلا تغرنكم الحياة الدنيا) أي العيشة الدنيئة بالنسبة إلى ماأعد الله لأوليائه وأتباع رسله من الخير العظيم فلا تتلهوا عن ذلك الباقي بهذه الزهرة الفانية (ولا يغرنكم بالله الغرور) وهو الشيطان قاله ابن عباس رضي الله عنهما أي لا يفتننكم الشيطان ويصرفنكم عن اتباع رسل الله وتصديق كلماته فانه غرار كذاب أفاك، وهذه الاية كالآية التى في آخر لقمان (فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور)

وقال مالك عن زيد بن أسلم هو الشيطان كما قال المؤمنون للمنافقين يوم القيامة حين يضرب (بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب * ينادونهم ألم نكن معكم؟ قالوا بلى ولكنكم فتنتم أنفسكم وتربصتم وارتبتم وغرتكم الأماني حتى جاء أمر الله وغركم بالله الغرور) ثم بين تعالى عداوة ابليس لابن آدم فقال (إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا) أي هو مبارز لكم بالعداوة فعادوه أنتم أشد العداوة وخالفوه وكذبوه فيما يغركم به (إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير)

غير بجر الراء وقرأ الآخرون برفعها على معنى هل خالق غير الله لان من زيادة، وهذا استفهام على طريق التقرير كأنه قال لاخالق غير الله ﴿ يرزقكم من السماء والارض ﴾ أى من السماء المطر ومن الارض النبات ﴿ لا إله إلا هو فأنى تؤفكون * وان يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك ﴾ يعزي نبيه ﷺ ﴿ والى الله ترجع الامور * يا أيها الناس إن وعد الله حق ﴾ يعني وعد القيامة ﴿ فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور ﴾ وهو الشيطان ﴿ إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا ﴾ أى عادوه بطاعة الله ولا تطيعوه ﴿ إنما يدعو حزبه ﴾ أى اشياعه وأولياءه ﴿ ليكونوا من اصحاب السعير ﴾ أى ليكونوا في السعير

أي إنما يقصد أن يضلكم حتى تدخلوا معه إلى عذاب السعير فهذا هو العدو المبين نسأل الله القوي العزيز أن يجعلنا أعداء الشيطان وان يرزقنا اتباع كتابه ، والاقتداء بطريق رسوله ، انه على مايشاء قدير وبالاجابة جدير وهذه كقوله تعالى (وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا ابليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو ؟ بئس للظالمين بدلا)

الذين كفروا لهم عذاب شديد والذين آمنوا وعملوا الصّالحات لهم مغفرة وأجر كبير (٧) أفمن زُيّن له سوء عمله فرآه حسنا فان الله يُضل من يشاء ويهدي من يشاء فلا تذهبْ نفسُك عليهم حسرات ان الله عليم بما يصنعون (٨)

لما ذكر تعالى ان اتباع ابليس مصيرهم الى السعير ذكر بعد ذلك ان الذين كفروا لهم عذاب شديد لأنهم أطاعوا الشيطان وعصوا الرحمن وان الذين آمنوا بالله ورسله (وعملوا الصالحات لهم مغفرة) أي لما كان منهم من ذنب (وأجر كبير) على ماعملوه من خير ثم قال تعالى (أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا) يعني كالكفار والفجار يعملون أعمالا سيئة وهم في ذلك يعتقدون ويحسبون أنهم يحسنون صنعا أي أفمن كان هكذا قد أضله الله ألك فيه حيلة ؟ لاحيلة لك فيه (فان الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء) أي بقدره كان ذلك (فلا تذهب نفسك عليهم حسرات) أي لا تأسف على ذلك

ثم بين حال موافقيه ومخالفيه فقال ﴿ الذين كفروا لهم عذاب شديد والذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة واجر كبير ﴾

قوله تعالى ﴿ أفمن زين له سوء عمله ﴾ قال ابن عباس نزلت في أبي جهل ومشركي مكة وقال سعيد بن جبير نزلت في أصحاب الاهواء والبدع وقال قتادة منهم الخوارج الذين يستحلون دماء المسلمين وأموالهم فأما أهل الكبائر فليسوا منهم لانهم لا يستحلون الكبائر (أفمن زين له) شبه وموه عليه وحسن له (سوء عمله) أي قبيح عمله ﴿ فرآه حسنا ﴾ زين له الشيطان ذلك بالوسواس وفي الآية حذف مجازه أفمن زين له سوء عمله فرأى الباطل حقا كمن هداه الله فرأى الحق حقا والباطل باطلا ﴿ فان الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء ﴾ وقيل جوابه تحت قوله ﴿ فلا تذهب نفسك عليهم حسرات ﴾ فيكون معناه أفمن زين له سوء عمله فاضله الله ذهبت نفسك عليه حسرة أي تتحسر عليه (فلا تذهب نفسك عليهم حسرات) وقال الحسن بن الفضل فيه تقديم وتأخير مجازه أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا فلا تذهب نفسك عليهم حسرات فان الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء ، والحسرة شدة الحزن على مافات من الامر ، ومعنى الآية لانهم بكفرهم وهلاكهم ان لم يؤمنوا وقرأ أبو جعفر

فان الله حكم في قدره انما يضل من يضل ويهدي من يهدي لما له في ذلك من الحجة البالغة والعلم التام ولهذا قال تعالى (ان الله عليم بما يصنعون)

وقال ابن أبي حاتم عند هذه الآية حدثنا أبي حدثنا محمد بن عوف الحمصي حدثنا محمد بن كثير عن الاوزاعي عن يحيى بن أبي عمرو الشيباني أوربيعة عن عبد الله الديلمي قال أتيت عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما وهو في حائط بالطائف يقال له الوهط قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « إن الله تعالى خلق خلقه في ظلمة ثم ألقى عليهم من نوره فمن أصابه من نوره يومئذ فقد اهتدى ومن أخطأه منه ضل فلذلك أقول جف القلم على ماعلم لله عز وجل » ثم قال حدثنا محمد بن عبد القزويني حدثنا حسان البصري حدثنا ابراهيم بن بشر حدثنا يحيى بن معين حدثنا ابراهيم القرشي عن سعيد بن شرحبيل عن زيد بن أبي أوفى رضي الله عنه قال خرج علينا رسول الله ﷺ فقال « الحمد لله الذي يهدي من الضلالة ويلبس الضلالة على من أحب » وهذا أيضا حديث غريب جدا

والله الذي أرسل الرياح فتثير سحابا فسقناه الى بلد ميّت فأحيينا به الأرض بعد موتها كذلك النشور (٩) من كان يريد العزة فلله العزة جميعا، إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه والذين يمكرون السيئات لهم عذاب شديد ومكر أولئك هو يبور (١٠) والله خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم جعلكم أزواجا وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه وما يعمر من معمّر ولا ينقص من عمره الا في كتاب ان ذلك على الله يسير (١١)

كثيرا مايستدل تعالى على المعاد باحيائه الارض بعد موتها كما في أول سورة الحج ينبه عباده أن يعتبروا بهذا على ذلك فان الارض تكون ميتة هامدة لانبات فيها فاذا أرسل اليها السحاب تحمل الماء وأنزله عليها (اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج) كذلك الاجساد إذا أراد الله تعالى بعثها ونشورها أنزل من تحت العرش مطرا يعم الارض جميعا ونبتت الاجساد في قبورها كما تنبت الحبة في الارض ولهذا جاء في الصحيح « كل ابن آدم يبلى إلا عجب الذنب منه خلق ومنه يركب » ولهذا قال تعالى (كذلك النشور) وتقدم في الحج حديث أبي رزين قلت يارسول الله كيف يحيي الله الموتى وما آية ذلك في خلقه ؟ قال ﷺ « ياأبارزين أمامررت بوادي قومك ممحلا ثم مررت به يهتز خضرا ؟ » قلت بلى قال ﷺ « فكذلك يحيي الله الموتى »

فلا تذهب بضم التاء وكسر الهاء نفسك نصب ﴿ إن الله عليم بما يصنعون * والله الذي أرسل الرياح فتثير سحابا فسقناه الى بلد ميت فاحيينا به الارض بعد موتها كذلك النشور ﴾ من القبور

وقوله تعالى [من كان يريد العزة فلله العزة جميعا] أي من كان يحب أن يكون عزيزا في الدنيا والآخرة فليلزم طاعة الله تعالى فانه يحصل له مقصوده لأن الله تعالى مالك الدنيا والآخرة وله العزة جميعا كما قال تعالى [الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيبتغون عندهم العزة فان العزة لله جميعا] وقال عز وجل [ولا يحزنك قولهم، إن العزة لله جميعا] وقال جل جلاله [ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون] قال مجاهد (من كان يريد العزة) بعبادة الاوثان [فان العزة لله جميعا] وقال قتادة [من كان يريد العزة فان العزة لله جميعا] أي فليتعزز بطاعة الله عز وجل وقيل من كان يريد علم العزة لمن هي [فان العزة لله جميعا] وحكاه ابن جرير

وقوله تبارك وتعالى [اليه يصعد الكلم الطيب] يعني الذكر والتلاوة والدعاء قاله غير واحد من السلف. وقال ابن جرير حدثنا محمد بن اسماعيل الاحمسي أخبرني جعفر بن عون عن عبد الرحمن ابن عبد الله المسعودي عن عبد الله بن المخارق عن أبيه المخارق بن سليم قال قال لنا عبد الله هو ابن مسعود رضي الله عنه اذا حدثنا كم بحديث أتيناكم بتصديق ذلك من كتاب الله تعالى ان العبد المسلم إذا قال سبحان الله وبحمده والحمد لله ولا اله إلا الله والله أكبر تبارك الله أخذهن ملك فجعلهن تحت جناحه ثم صعد بهن الى السماء فلا يمر بهن على جمع من الملائكة الا استغفروا لقائلهن حتى يجيء

قوله عز وجل ﴿ من كان يريد العزة فلله العزة جميعا ﴾ قال الفراء معنى الآية من كان يريد أن يعلم لمن العزة فلله العزة جميعا وقال قتادة من كان يريد العزة فليتعزز بطاعة الله معناه الدعاء الى طاعة من له العزة أي فليطلب العزة من عند الله بطاعته كما يقال من كان يريد المال فالمال لفلان أي فليطلبه من عنده وذلك أن الكفار عبدوا الاصنام وطلبوا بها التعزز كما قال الله (واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا * كلا - وقال - الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيبتغون عندهم العزة فان العزة لله جميعا) ﴿ اليه ﴾ أي الى الله ﴿ يصعد الكلم الطيب ﴾ وهو قول لا إله إلا الله وقيل هو قول سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أبو منصور السمعاني أنا أبو جعفر الرياني أنا حميد بن زنجويه أنا الحجاج بن نصر أنا المسعودي عن عبد الله بن المخارق عن أبيه عن ابن مسعود قال: اذا حدثتكم حديثا أنبأتكم بمصداقه من كتاب الله عز وجل مامن عبد مسلم يقول خمس كلمات سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، وتبارك الله إلا أخذهن ملك فجعلهن تحت جناحه ثم صعد بهن فلا يمر بهن على جمع من الملائكة إلا استغفروا لقائلهن حتى يجيء بها وجه رب العالمين ومصداق ذلك من كتاب الله عز وجل قوله (اليه يصعد الكلم الطيب) ذكره ابن مسعود وقيل الكلم الطيب ذكر الله وعن قتادة (اليه يصعد الكلم الطيب) أي يقبل الله الكلم الطيب

بهن وجه الله عز وجل ثم قرأ عبد الله رضي الله عنه [اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه] وحدثني يعقوب بن ابراهيم حدثنا ابن علية أخبرنا سعيد بن الجريري عن عبد الله بن شقيق قال قال كعب الاحبار ان لسبحان الله والحمد لله ولا اله إلا الله والله أكبر لدويا حول العرش كدوى النحل يذكرن لصاحبهن والعمل الصالح في الخزائن وهذا اسناد صحيح إلى كعب الاحبار رحمة الله عليه ، وقد روي مرفوعا

قال الامام أحمد حدثنا ابن نمير حدثنا موسى يعني ابن مسلم الطحان عن عون بن عبد الله عن أبيه أو عن أخيه عن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « الذين يذكرون من جلال الله من تسبيحه وتكبيره وتحميده وتهليله يتعاطفن حول العرش لهن دوي كدوي النحل يذكرن بصاحبهن ألا يحب أحدكم ان لا يزال له عند الله شيء يذكر به » وهكذا رواه ابن ماجه عن أبي بشر بكر بن خلف عن يحيى بن سعيد القطان عن موسى بن مسلم الطحان عن عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن أبيه أو عن أخيه عن النعمان بن بشير رضي الله عنه به . وقوله تعالى [والعمل الصالح يرفعه] قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما الكلم الطيب ذكر الله تعالى يصعد به إلى الله عز وجل والعمل الصالح أداء الفريضة فمن ذكر الله تعالى في أداء فرائضه حمل عمله ذكر الله تعالى يصعد به الى الله عز وجل ، ومن ذكر الله تعالى ولم يؤد فرائضه رد كلامه على عمله فكان أولى به وكذا قال مجاهد العمل الصالح يرفع الكلام الطيب وكذا قال أبو العالية وعكرمة وابراهيم النخعي والضحاك والسدي والربيع بن أنس وشهر بن حوشب وغير واحد ، وقال اياس بن معاوية القاضي لولا العمل الصالح لم يرفع الكلام وقال الحسن وقتادة لا يقبل قول الا بعمل

وقوله تعالى [والذين يمكرون السيآت] قال مجاهد وسعيد ابن جبير وشهر بن حوشب هم

﴿ والعمل الصالح يرفعه ﴾ أى يرفع العمل الصالح الكلم الطيب فالها في قوله يرفعه راجعة الى الكلم الطيب وهو قول ابن عباس وسعيد بن جبير والحسن وعكرمة وأكثر المفسرين وقال الحسن وقتادة الكلم الطيب ذكر الله والعمل الصالح أداء فرائضه فمن ذكر الله ولم يؤد فرائضه رد كلامه على عمله وليس الايمان بالتمني ولا بالتحلي ولكن ما وقر في القلوب وصدقته الاعمال فمن قال حسنا وعمل غير صالح رد الله عليه قوله ومن قال حسنا وعمل صالحا يرفعه العمل ذلك بأن الله يقول (اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه) وجاء في الحديث « لا يقبل الله قولا إلا بعمل ، ولا قولا ولا عملا إلا بنية » وقال قوم الهاء في قوله يرفعه راجعة الى العمل الصالح أى الكلم الطيب يرفع العمل الصالح فلا يقبل عمل إلا أن يكون صادراً عن التوحيد وهذا معنى قول الكلبي ومقاتل وقيل الرفع من صفة الله عز وجل معناه العمل الصالح يرفعه الله عز وجل وقال سفيان بن عيينة العمل الصالح هو الخالص يعني أن الاخلاص سبب قبول الخيرات من الاقوال والافعال دليله قوله عز وجل (فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا) فجعل نقيض الصالح الشرك والرياء ﴿ والذين يمكرون السيئات ﴾

المراؤن باعمالهم يعني يمكرون بالناس بوهمون أنهم في طاعة الله تعالى وهم بغضاء إلى الله عز وجل يراؤن باعمالهم [ولا يذكرون الله إلا قليلا] وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم هم المشركون ، والصحيح انها عامة والمشركون داخلون بطريق الأولى ولهذا قال تعالى [لهم عذاب شديد ومكر أولئك هو يبور] أي يفسد ويبطل ويظهر زيفهم عن قريب لأولي البصائر والنهى فانه ما أسر أحد سريرة الا أبداها الله تعالى على صفحات وجهه وفلتات لسانه وما أسر أحد سريرة الا كساه الله تعالى رداءها إن خيرا فخير وإن شرا فشر ، فالمرائي لا يروج أمره ويستمر الا على غبي ، أما المؤمنون المتفرسون فلا يروج ذلك عليهم بل ينكشف لهم عن قريب وعالم الغيب لا تخفى عليه خافية . وقوله تبارك وتعالى [والله خلقكم من تراب ثم من نطفة] أي ابتدأ خلق أبيكم آدم من تراب ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين ثم جعلكم أزواجا أي ذكرا وأنثى لطفا منه ورحمة ان جعل لكم أزواجا من جنسكم لتسكنوا اليها وقوله عز وجل (وما تحمل من أنثى ولا تضع الا بعلمه) أي هو عالم بذلك لا يخفى عليه من ذلك شيء بل (ما تسقط من ورقة الا يعلمها ولا حبة في ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين) وقد تقدم الكلام على قوله تعالى (الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الارحام وما تزداد وكل شيء عنده بمقدار * عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال)

وقوله عز وجل (وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره الا في كتاب) أي ما يعطى بعض النطف من العمر الطويل يعلمه وهو عنده في الكتاب الاول (وما ينقص من عمره) الضمير عائد على الجنس لا على العين لان العين الطويل العمر في الكتاب إن علمه الله تعالى لا ينقص من عمره وانما عاد الضمير على الجنس قال ابن جرير وهذا كقولهم عندي ثوب ونصفه أي ونصف ثوب آخر ، وروي من طريق العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى (وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره

قال الكلبي أي الذين يعملون السيئات وقال مقاتل يعني الشرك وقال أبو العالية يعني الذين مكروا برسول الله ﷺ في دار الندوة كما قال الله تعالى (وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك) وقال مجاهد وشهر بن حوشب هم أصحاب الرياء ﴿ لهم عذاب شديد ومكر أولئك هو يبور ﴾ يبطل ويهلك في الآخرة قوله عز وجل ﴿ والله خلقكم من تراب ﴾ أي آدم ﴿ ثم من نطفة ﴾ يعني نسله ﴿ ثم جعلكم أزواجا ﴾ ذكرانا وأناثا ﴿ وما تحمل من أنثى ولا تضع الا بعلمه وما يعمر من معمر ﴾ لا يطول عمره ﴿ ولا ينقص من عمره ﴾ يعني من عمر آخر كما يقال لفلان عندي درهم ونصفه أي نصف درهم آخر ﴿ إلا في كتاب ﴾ وقيل قوله (ولا ينقص من عمره) ينصرف إلى الاول قال سعيد بن جبير مكتوب في أم الكتاب عمر فلان كذا وكذا سنة ثم يكتب أسفل من ذلك ذهب يوم ذهب يومان ذهب ثلاثة أيام حتى ينقطع عمره وقال كعب الاحبار حين حضر عمر رضي الله عنه الوفاة والله لو دعا عمر ربه أن يؤخر أجله لأخر فقيل له إن الله عز وجل يقول (فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون) فقال

الا في كتاب إن ذلك على الله يسير) يقول ليس أحد قضيت له بطول العمر والحياة إلا وهو بالغ ماقدرت له من العمر وقد قضيت ذلك له فانما ينتهي إلى الكتاب الذي قدرت لايزاد عليه ، وليس أحد قدرت له انه قصير العمر والحياة ببالغ العمر ولكن ينتهي الى الكتاب الذي كتبت له فذلك قوله تعالى (ولا ينقص من عمره الا في كتاب إن ذلك على الله يسير) يقول كل ذلك في كتاب عنده وهكذا قال الضحاك بن مزاحم

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه (ولا ينقص من عمره الا في كتاب) قال ماالفظت الارحام من الاولاد من غير تمام ، وقال عبد الرحمن في تفسيرها ألا ترى الناس يعيش الانسان مائة سنة وآخر يموت حين يولد فهذا هذا ، وقال قتادة والذي ينقص من عمره فالذي يموت قبل ستين سنة ، وقال مجاهد (وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره الا في كتاب) أي في بطن أمه يكتب له ذلك لم يخلق الخلق على عمر واحد بل لهذا عمر ولهذا عمر هو أنقص من عمره فكل ذلك مكتوب لصاحبه بالغ مابلغ ، وقال بعضهم بل معناه (وما يعمر من معمر) أي مايكتب من الاجل (ولا ينقص من عمره) وهو ذهابه قليلا قليلا الجميع معلوم عند الله تعالى سنة بعد سنة وشهراً بعد شهر ، وجمعة بعد جمعة ، ويوما بعد يوم ، وساعة بعد ساعة الجميع مكتوب عند الله تعالى في كتابه . نقله ابن جرير عن أبي مالك واليه ذهب السدي وعطاء الخراساني ، واختار ابن جرير الاول وهو كما قال

وقال النسائي عند تفسير هذه الآية حدثنا احمد بن يحيى بن أبي زيد بن سليمان قال سمعت ابن وهب يقول حدثني يونس عن ابن شهاب عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « من سره أن يبسط له في رزقه وينسأ له في أثره فليصل رحمه » وقد رواه البخاري ومسلم وأبو داود من حديث يونس بن يزيد الايلي به

وقال ابن ابي حاتم حدثنا علي بن الحسين بن الوليد حدثنا الوليد بن عبد الملك بن عبيدالله أبو سرح حدثنا عثمان بن عطاء عن مسلمة بن عبدالله عن عمه ابي مسجعة بن ربعي عن ابي الدرداء رضي الله عنه قال : ذكرنا عند رسول الله ﷺ فقال « ان الله تعالى لايؤخر نفساً اذا جاء أجلها ، وانما زيادة العمر بالذرية الصالحة يرزقها العبد فيدعون له من بعده فيلحقه دعاؤهم في قبره فذلك زيادة العمر وقوله عز وجل (ان ذلك على الله يسير) أي سهل عليه يسير لديه علم بذلك وبتفصيله في جميع مخلوقاته فان علمه شامل للجميع لايخفى عليه شيء منها

وما يستوي البحران هـذا عذب فرات سائغ شرابه وهـذا ملح أجاج ومن كل

هذا اذا حضر الاجل فأما قبل ذلك فيجوز أن يزاد وينقص وقرأ هـذه الآية ﴿ ان ذلك على الله يسير ﴾ ان كتابة الآجال والاعمار على الله هين

قوله تعالى ﴿ وما يستوي البحران ﴾ يعني العذب والمالح ثم ذكرهما فقال ﴿ هذا عذب فرات ﴾

تأكلون لحما طريا وتستخرجون حلية تلبسونها وترى الفلك فيه مواخر لتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون (١٢)

يقول تعالى منبها على قدرته العظيمة في خلقه الاشياء المختلفة خلق البحرين العذب الزلال وهو هذه الانهار السارحة بين الناس من كبار وصغار بحسب الحاجة اليها في الاقاليم والامصار، والعمران والبراري والقفار، وهي عذبة سائغ شرابها لمن أراد ذلك (وهذا ملح أجاج) أي مر وهو البحر الساكن الذي تسير فيه السفن الكبار، وانما تكون مالحة زعاقا مرة ولهذا قال (وهذا ملح أجاج) أي مر ثم قال تعالى (ومن كل تأكلون لحما طريا) يعني السمك (وتستخرجون حلية تلبسونها) كما قال عز وجل [يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان فبأي آلاء ربكما تكذبان] وقوله جل وعلا [وترى الفلك فيه مواخر] أي تمخره وتشقه بحيزومها وهو مقدمها المسنم الذي يشبه جؤجؤ الطير وهو صدره، وقال مجاهد تمخر الريح السفن ولا تمخر الريح من السفن الا العظام، وقوله جل وعلا (لتبتغوا من فضله) أي بأسفاركم بالتجارة من قطر الى قطر، واقليم الى اقليم (ولعلكم تشكرون) أي تشكرون ربكم على تسخيره لكم هذا الخلق العظيم وهو البحر تتصرفون فيه كيف شئتم وتذهبون أين أردتم ولا يمتنع عليكم شيء منه، بل بقدرته قد سخر لكم ما في السموات وما في الارض الجميع من فضله ورحمته

يولج الليل في النهار ويولج النهار في اليل وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى ذلكم الله ربكم له الملك والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير (١٣) إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيمة يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير (١٤)

وهذا أيضا من قدرته التامة وسلطانه العظيم في تسخيره الليل بظلامه والنهار بضيائه ويأخذ من

طيب ﴿سائغ شرابه﴾ أي جائز في الحلق هنيء ﴿وهذا ملح أجاج﴾ شديد الملوحة وقال الضحاك هو المر ﴿ومن كل تأكلون لحما طريا﴾ يعني الحيتان من العذب والمالح جميعا ﴿وتستخرجون حلية﴾ أي من المالح دون العذب ﴿تلبسونها﴾ يعني اللؤلؤ وقيل نسب اللؤلؤ اليهما لانه يكون في البحر الاجاج عيون عذبة تمتزج بالملح فيكون اللؤلؤ من بين ذلك ﴿وترى الفلك فيه مواخر﴾ جواري مقبلة ومدبرة بريح واحدة ﴿لتبتغوا من فضله﴾ بالتجارة ﴿ولعلكم تشكرون﴾ الله على نعمه

قوله تعالى ﴿يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى

طول هذا فيزيده في قصر هذا فيعتدلان، ثم يأخذ من هذا في هذا فيطول هذا ويقصر هذا ثم يتقارضان صيفا وشتاء (وسخر الشمس والقمر) أي والنجوم السيارات، والثوابت الثاقبات، بأضوائهن اجرام السموات، الجميع يسيرون بمقدار معين، وعلى منهاج متقن محرر، تقديرا من عزيز عليم (كل يجري لأجل مسمى) أي الى يوم القيامة (ذلكم الله ربكم) أي الذي فعل هذا هو الرب العظيم الذي لا إله غيره (والذين تدعون من دونه) أي من الاصنام والانداد التي هي على صورة من تزعمون من الملائكة المقربين [مايملكون من قطمير] قال ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وعكرمة وعطا وعطية العوفي والحسن وقتادة وغيرهم القطمير هو اللفافة التي تكون على نواة التمرة أي لايملكون من السموات والارض شيئا ولا بمقدار هذا القطمير ثم قال تعالى [ان تدعوهم لايسمعوا دعاءكم] يعني الآلهة التي تدعونها من دون الله لاتسمع دعاءكم لانها جماد لاأرواح فيها [ولو سمعوا مااستجابوا لكم] أي لايقدرون على شيء مما تطلبون منها [ويوم القيامة يكفرون بشرككم] أي يتبرءون منكم كما قال تعالى [ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لايستجيب له الى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون * واذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين] وقال تعالى [واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزاً كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضداً]

وقوله تعالى (ولا ينبئك مثل خبير) أي ولا يخبرك بعواقب الامور ومآلها وما تصير اليه مثل خبير بها، قال قتادة يعني نفسه تبارك وتعالى فانه أخبر بالواقع لامحالة

يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغني الحميد (١٥) ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد (١٦) وما ذلك على الله بعزيز (١٧) ولا تزر وازرة وزر أخرى، وإن تدع مثقلة إلى حملها لا يحمل منه شيء ولو كان ذا قربى إنما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب وأقاموا الصلوة ومن تزكى فانما يتزكى لنفسه وإلى الله المصير (١٨)

يخبر تعالى بغنائه عمن سواه وبافتقار المخلوقات كلها اليه وتذللها بين يديه فقال تعالى (ياأيها الناس

ذلكم الله ربكم له الملك والذين تدعون من دونه ﴾ يعني الاصنام ﴿ مايملكون من قطمير ﴾ وهو لفافة النواة وهي القشرة الرقيقة التي تكون على النواة ﴿ إن تدعوهم ﴾ يعني ان تدعوا الاصنام ﴿لايسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ﴾ ما أجابوكم ﴿ ويوم القيامة يكفرون بشرككم ﴾ يتبرءون منكم ومن عبادتكم إياها يقولون ما كنتم إيانا تعبدون ﴿ ولا ينبئك مثل خبير ﴾ يعني نفسه أي لاينبئك أحد مثلي خبير عالم بالاشياء

قوله تعالى ﴿ يا أيها الناس أنتم الفقراء الى الله ﴾ الى فضل الله والفقير المحتاج ﴿ والله هو الغني

أنتم الفقراء الى الله) أي هم محتاجون اليه في جميع الحركات والسكنات وهو تعالى الغني عنهم بالذات ولهذا قال عز وجل [والله هو الغني الحميد] أي هو المنفرد بالغنى وحده لاشريك له وهو الحميد في جميع مايفعله ويقوله ويقدره ويشرعه

وقوله تعالى (إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد) أي لو شاء لأذهبكم أيها الناس وأتى بقوم غيركم وما هذا عليه بصعب ولا ممتنع ولهذا قال تعالى [وما ذلك على الله بعزيز]

وقوله تعالى (ولا تزر وازرة وزر أخرى) أي يوم القيامة [وإن تدع مثقلة إلى حملها] أي وإن تدع نفس مثقلة بأوزارها الى أن تساعد على حمل ماعليها من الاوزار أو بعضه [لايحمل منه شيء ولو كان ذاقربى] أي وإن كان قريبا اليها حتى ولو كان أباها أو ابنها كل مشغول بنفسه وحاله ، قال عكرمة في قوله تعالى [وإن تدع مثقلة إلى حملها] الآية قال هو الجار يتعلق بجاره يوم القيامة فيقول يارب سل هذا لم كان يغلق بابه دوني، وان الكافر ليتعلق بالمؤمن يوم القيامة فيقول له يامؤمن ان لي عندك يداً قد عرفت كيف كنت لك في الدنيا وقد احتجت اليك اليوم فلا يزال المؤمن يشفع له عند ربه حتى يرده إلى منزل دون منزله وهو في النار ، وان الوالد ليتعلق بولده يوم القيامة فيقول يابني أي والد كنت لك فيثني خيراً فيقول له يابني إني قد احتجت الى مثقال ذرة من حسناتك أنجو بها مما ترى فيقول له ولده ياأبت ماأيسر ماطلبت ولكني أتخوف مثل ماتتخوف فلا أستطيع أن أعطيك شيئاً، ثم يتعلق بزوجته فيقول يافلانة أو ياهذه أي زوج كنت لك فتثني خيراً فيقول لها اني أطلب اليك حسنة واحدة تهبيها لي لعلي أنجو بها مما ترين ، قال فتقول ماأيسر ماطلبت ولكني لاأطيق أن أعطيك شيئا إني أتخوف مثل الذي تتخوف، يقول الله تعالى [وإن تدع مثقلة الى حملها] الآية ، ويقول تبارك وتعالى [لايجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئا] ويقول تعالى [يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه] رواه ابن أبي حاتم رحمه الله عن أبي عبدالله الظهراني عن حفص بن عمر عن الحكم بن أبان عن عكرمة به ، ثم قال تبارك وتعالى [انما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب وأقاموا الصلاة] أي انما يتعظ بما جئت به أولو البصائر والنهى الخائفون من ربهم الفاعلون ماأمرهم به (ومن تزكى فانما يتزكى لنفسه) أي ومن عمل

الحميد ﴾ الغني عن خلقه المحمود في احسانه اليهم ﴿ إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد * وما ذلك على الله بعزيز ﴾ شديد ﴿ ولا تزر وازرة وزر أخرى * وان تدع مثقلة ﴾ أى نفس مثقلة بذنوبها غيرها ﴿ الى حملها ﴾ أي حمل ماعليها من الذنوب ﴿ لايحمل منه شيء ولو كان ذاقربى ﴾ أي ولو كان المدعو ذاقرابة له: ابنه أو أباه أو أمه أو أخاه . قال ابن عباس يلقى الاب ابنه فيقول يابني احمل عني بعض ذنوبي فيقول لا أستطيع حسبي ماعلي ﴿ إنما تنذر الذين يخشون ﴾ يخافون ﴿ ربهم بالغيب ﴾ ولم يروه وقال الاخفش تأويله أى انذارك إنما ينفع الذين يخشون ربهم بالغيب ﴿ وأقاموا الصلاة ومن

صالحا فانما يعود نفعه على نفسه (والى الله المصير) أي واليه المرجع والمآب وهو سريع الحساب وسيجزي كل عامل بعمله ان خيراً فخير، وإن شراً فشر

وما يستوي الاعمى والبصير (١٩) ولا الظلمت ولا النور (٢٠) ولا الظل ولا الحرور (٢١) وما يستوي الاحياء ولا الأموات إن الله يسمع من يشاء وما أنت بمسمع من في القبور (٢٢) إن أنت إلا نذير (٢٣) إنا أرسلنك بالحق بشيرا ونذيرا وإن من أمة إلا خلا فيها نذير (٢٤) وإن يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم جاءتهم رسلهم بالبينت وبالزبر وبالكتب المنير (٢٥) ثم أخذت الذين كفروا فكيف كان نكير؟ (٢٦)

يقول تعالى كما لا تستوي هذه الاشياء المتباينة المختلفة كالاعمى والبصير لا يستويان بل بينهما فرق وبون كثير وكما لا تستوي الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور كذلك لا تستوي الاحياء ولا الاموات وهذا مثل ضربه الله تعالى للمؤمنين وهم الاحياء وللكافرين وهم الاموات كقوله تعالى [أومن كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها] وقال عز وجل [مثل الفريقين كالاعمى والاصم والبصير والسميع هل يستويان مثلا] فالمؤمن بصير سميع في نور يمشي على صراط مستقيم في الدنيا والآخرة حتى يستقر به الحال في الجنات ذات الظلال والعيون والكافر أعمى وأصم في ظلمات يمشي لا خروج له منها، بل هو يتيه في غيه وضلاله في الدنيا والآخرة حتى يفضي به ذلك الى الحرور والسموم والحميم، وظل من يحموم لا بارد ولا كريم

وقوله تعالى (ان الله يسمع من يشاء) أى يهديهم الى سماع الحجة وقبولها والانقياد لها [وما أنت بمسمع من في القبور] ى كما لا ينتفع الاموات بعد موتهم وصيرورتهم الى قبورهم وهم كفار بالهداية والدعوة اليها كذلك هؤلاء المشركون الذين كتب عليهم الشقاوة لا حيلة لك فيهم ولا تستطيع

تزكى﴾ أصلح وعمل خيراً ﴿فانما يتزكى لنفسه﴾ لها ثوابه ﴿والى الله المصير * وما يستوي الاعمى والبصير﴾ يعني الجاهل والعالم وقيل الاعمى عن الهدى والبصير بالهدى أى المؤمن والمشرك ﴿ولا الظلمات ولا النور﴾ يعني الكفر والايمان ﴿ولا الظل ولا الحرور﴾ يعني الجنة والنار قال ابن عباس الحرور الريح الحارة بالليل والسموم بالنهار وقيل الحرور يكون بالنهار مع الشمس ﴿وما يستوي الاحياء ولا الاموات﴾ يعني المؤمنين والكفار وقيل العلماء والجهال ﴿إن الله يسمع من يشاء﴾ حتى يتعظ ويجيب ﴿وما انت بمسمع من في القبور﴾ يعني الكفار شبههم بالاموات في القبور حين لم يجيبوا

هدايتهم [إن أنت الا نذير] أي انما عليك البلاغ والانذار والله يضل من يشاء ويهدى من يشاء [انا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا] أى بشيرا للمؤمنين ونذيرا للكافرين [وإن من أمة الا خلا فيها نذير] أى وما من أمة خلت من بني آدم الا وقد بعث الله تعالى اليهم النذر وأزاح عنهم العلل كما قال تعالى [انما أنت منذر ولكل قوم هاد] وكما قال تعالى [ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة] الآية . والآيات في هذا كثيرة

وقوله تبارك وتعالى [وإن يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم جاءتهم رسلهم بالبينات] هي المعجزات الباهرات والأدلة القاطعات [وبالزبر] وهي الكتب [وبالكتاب المنير] أي الواضح البين [ثم أخذت الذين كفروا] أى ومع هذا كله كذب أولئك رسلهم فيما جاءوهم به فأخذتهم أى بالعقاب والنكال [فكيف كان نكير] أى فكيف رأيت انكاري عليهم عظيما شديداً بليغا والله أعلم

ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود (٢٧) ومن الناس والدواب والانعم مختلف ألوانه كذلك انما يخشى الله من عباده العلمؤا ان الله عزيز غفور (٢٨)

يقول تعالى منبها على كمال قدرته في خلقه الاشياء المتنوعة المختلفة من الشيء الواحد وهو الماء الذى ينزله من السماء يخرج به ثمرات مختلفا الوانها من أصفر وأحمر وأخضر وأبيض الى غير ذلك من ألوان الثمار كما هو المشاهد من تنوع ألوانها وطعومها وروائحها كما قال تعالى في الآية الاخرى [وفي الارض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون]

وقوله تبارك وتعالى (ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها) أي وخلق الجبال كذلك مختلفة الالوان كما هو المشاهد أيضا من بيض وحمر ، وفي بعضها طرائق وهي الجدد جمع جدة مختلفة

﴿ ان أنت إلا نذير ﴾ ما أنت إلا منذر تخوفهم بالنار ﴿ إنا ارسلناك بالحق بشيراً ونذيراً وان من أمة ﴾ ماامن أمة فيما مضى ﴿ إلا خلا ﴾ سلف ﴿ فيها نذير ﴾ نبي منذر ﴿ وان يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم جاءتهم رسلهم بالبينات وبالزبر ﴾ بالكتب ﴿ وبالكتاب المنير ﴾ الواضح كرر ذكر الكتاب بعد ذكر الزبر على طريق التأكيد ﴿ ثم أخذت الذين كفروا فكيف كان نكير ﴾ أي انكاري ﴿ ألم تر ان الله أنزل من السماء ماء فاخرجنا به ثمرات مختلفا الوانها ومن الجبال جدد ﴾ طرق وخطط واحدتها جدة مثل مدة ومدد ﴿ بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود ﴾ يعني سود

الالوان أيضا . قال ابن عباس رضي الله عنهما الجدد الطرائق ، وكذا قال أبو مالك والحسن وقتادة والسدي ومنها غرابيب سود قال عكرمة الغرابيب الجبال الطوال السود ، وكذا قال أبو مالك وعطاء الخراساني وقتادة ، وقال ابن جرير والعرب اذا وصفوا الاسود بكثرة السواد قالوا أسود غربيب ولهذا قال بعض المفسرين في هذه الآية هذا من المقدم والمؤخر في قوله تعالى (وغرابيب سود)أي سود غرابيب وفيما قاله نظر

وقوله تعالى (ومن الناس والدواب والانعام مختلف ألوانه كذلك) أي كذلك الحيوانات من الأنامي والدواب وهو كل مادب على القوائم، والانعام من باب عطف الخاص على العام كذلك هي مختلفة أيضا، فالناس منهم بربر وحبوش وطماطم في غاية السواد وصقالبة وروم في غاية البياض، والعرب بين ذلك والهنود دون ذلك ، ولهذا قال تعالى في الآية الاخرى (واختلاف ألسنتكم وألوانكم ان في ذلك لآيات للعالمين) وكذلك الدواب والانعام مختلفة الالوان حتى في الجنس الواحد بل النوع الواحد منهن مختلف الالوان بل الحيوان الواحد يكون أبلق فيه من هذا اللون وهذا اللون فتبارك الله أحسن الخالقين . وقد قال الحافظ أبو بكر البزار في مسنده حدثنا الفضل بن سهل حدثنا عبدالله بن عمر بن أبان بن صالح حدثنا زياد بن عبدالله عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال أيصبغ ربك ؟ قال ﷺ « نعم صبغا لا ينفض أحمر وأصفر وأبيض » وروي مرسلا وموقوفا والله أعلم . ولهذا قال تعالى بعد هذا (انما يخشى الله من عباده العلماء) أي انما يخشاه حق خشيته العلماء العارفون به لأنه كلما كانت المعرفة للعظيم القدير العليم الموصوف بصفات الكمال المنعوت بالاسماء الحسنى كلما كانت المعرفة به أتم والعلم به أكمل كانت الخشية له أعظم وأكثر

قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى (انما يخشى الله من عباده العلماء) قال الذين يعلمون أن الله على كل شيء قدير وقال ابن لهيعة عن ابن أبي عمرة عن عكرمة عن ابن عباس قال العالم بالرحمن من عباده من لم يشرك به شيئا ، وأحل حلاله وحرم حرامه وحفظ وصيته وأيقن أنه ملاقيه ومحاسب بعمله ، وقال سعيد بن جبير الخشية هي التي تحول بينك وبين معصية الله عز وجل. وقال الحسن البصري العالم من خشي الرحمن بالغيب ورغب فيما رغب الله فيه ، وزهد فيما سخط الله

غرابيب على التقديم والتأخير يقال أسود غربيب اي شديد السواد تشبيها بلون الغراب أي طرائق سود ﴿ ومن الناس والدواب والانعام مختلف ألوانه ﴾ ذكر الكناية لاجل من وقيل رد الكناية إلى مافي الاضمار مجازه ومن الناس والدواب والانعام ماهو مختلف ألوانه ﴿ كذلك ﴾ يعني كما اختلف ألوان الثمار والجبال وتم الكلام ههنا ثم ابتدأ فقال ﴿ إنما يخشى الله من عباده العلماء ﴾ قال ابن عباس يريد إنما يخافني من خلقي من علم جبروتي وعزتي وسلطاني

فيه ثم تلا الحسن (انما يخشى الله من عباده العلماء إن الله عزيز غفور) وعن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال : ليس العلم عن كثرة الحديث ولكن العلم عن كثرة الخشية

وقال أحمد بن صالح المصري عن ابن وهب عن مالك قال : ان العلم ليس بكثرة الرواية وانما العلم نور يجعله الله في القلب . قال أحمد بن صالح المصري معناه أن الخشية لاتدرك بكثرة الرواية وانما العلم الذي فرض الله عز وجل أن يتبع فانما هو الكتاب والسنة وما جاء عن الصحابة رضي الله عنهم ومن بعدهم من أئمة المسلمين فهذا لايدرك إلا بالرواية ويكون تأويل قوله نور يريد به فهم العلم ومعرفة معانيه . وقال سفيان الثوري عن أبي حيان التيمي عن رجل قال : كان يقال العلماء ثلاثة . عالم بالله عالم بأمر الله ، وعالم بالله ليس بعالم بأمر الله وعالم بأمر الله ليس بعالم بالله فالعالم بالله وبأمر الله الذي يخشى الله تعالى ويعلم الحدود والفرائض ، والعالم بالله ليس بعالم بأمر الله الذى يخشى الله ولا يعلم الحدود والفرائض ، والعالم بأمر الله ليس بعالم بالله الذى يعلم الحدود والفرائض ولا يخشى الله عز وجل

ان الذين يتلون كتٰب الله وأقاموا الصلوٰة وأنفقوا مما رزقنٰهم سرًّا وعلانية يرجون

تجارة لن تبور (٢٩) ليوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله انه غفور شكور (٣٠)

يخبر تعالى عن عباده المؤمنين الذين يتلون كتابه ويؤمنون به ويعملون بما فيه من إقام الصلاة والانفاق مما رزقهم الله تعالى في الاوقات المشروعة ليلا ونهاراً سراً وعلانية (يرجون تجارة لن تبور) أي يرجون ثوابا عند الله لابد من حصوله ، كما قدمنا في أول التفسير عند فضائل القرآن أنه يقول لصاحبه ان كل تاجر من وراء تجارته وانك اليوم من وراء كل تجارة ولهذا قال تعالى (ليوفيهم

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسماعيل أنا عمر بن حفص أنا أبي أنا الاعمش أنا مسلم عن مسروق قال : قالت عائشة رضي الله عنها صنع رسول الله ﷺ شيئا فرخص فيه فتنزه عنه قوم فبلغ ذلك النبي ﷺ فخطب فحمد الله ثم قال « مابال أقوام يتنزهون عن الشيء أصنعه فوالله اني لأعلمهم بالله وأشدهم له خشية » وقال النبي ﷺ « لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيراً » وقال مسروق : كفى بخشية الله علماء وكفى بالاغترار بالله جهلا وقال رجل للشعبي افتني أيها العالم فقال الشعبي إنما العالم من خشي الله عز وجل ﴿ إن الله عزيز غفور ﴾ أي عزيز في ملكه غفور لذنوب عباده

قوله تعالى ﴿ إن الذين يتلون كتاب الله ﴾ يعني قرءوا القرآن ﴿ وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية يرجون تجارة لن تبور ﴾ ان تفسد ولن تهلك ، والمراد من التجارة ماوعد الله من الثواب قال الفراء قوله (يرجون) جواب لقوله (إن الذين يتلون كتاب الله) ﴿ ليوفيهم أجورهم ﴾ جزاء

أجورهم ويزيدهم من فضله) أى ليوفيهم ثواب ماعملوه ويضاعفه لهم بزيادات لم تخطر لهم انه غفور أى لذنوبهم شكور للقليل من أعمالهم . قال قتادة كان مطرف رحمه الله اذا قرأ هذه الآية يقول هذه آية القراء. قال الامام أحمد حدثنا أبو عبد الرحمن حدثنا حيوة حدثنا سالم بن غيلان قال : انه سمع دراجا أبا السمح يحدث عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : انه سمع رسول الله ﷺ يقول « ان الله تعالى اذا رضي عن العبد أثنى عليه بسبعة أصناف من الخير لم يعمله واذا سخط على العبد أثنى عليه بسبعة أصناف من الشر لم يعمله » غريب جداً

والذى أوحينا اليك من الكتب هو الحق مصدقاً لما بين يديه ان الله بعباده لخبير بصير (٣١)

يقول تعالى (والذي أوحينا اليك) يامحمد من الكتاب وهو القرآن (هو الحق مصدقا لما بين يديه) أي من الكتب المتقدمة يصدقها كما شهدت هي له بالتنويه وأنه منزل من رب العالمين (انه بعباده لخبير بصير) أي هو خبير بهم بصير بمن يستحق ما يفضله به على من سواه ، ولهذا فضل الانبياء والرسل على جميع البشر وفضل النبيين بعضهم على بعض ورفع بعضهم درجات وجعل منزلة محمد ﷺ فوق جميعهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين

ثم أورثنا الكتب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله ذلك هو الفضل الكبير (٣٢)

يقول تعالى : ثم جعلنا القائمين بالكتاب العظيم المصدق لما بين يديه من الكتب الذين اصطفينا من عبادنا وهم هذه الامة ثم قسمهم الى ثلاثة أنواع فقال تعالى (فمنهم ظالم لنفسه) وهو المفرط في فعل بعض الواجبات المرتكب لبعض المحرمات (ومنهم مقتصد) وهو المؤدي للواجبات التارك المحرمات وقد يترك بعض المستحبات ويفعل بعض المكروهات (ومنهم سابق بالخيرات باذن الله)

أعمالهم بالثواب ﴿ ويزيدهم من فضله ﴾ قال ابن عباس يعني سوى الثواب مما لم تر عين ولم تسمع أذن ﴿ إنه غفور شكور ﴾ قال ابن عباس يغفر العظيم من ذنوبهم ويشكر اليسير من أعمالهم ﴿ والذي أوحينا اليك من الكتاب ﴾ يعني القرآن ﴿ هو الحق مصدقا لما بين يديه ﴾ من الكتب ﴿ إن الله بعباده لخبير بصير * ثم أورثنا الكتاب ﴾ يعني الكتاب الذي أنزلنا اليك الذي ذكر في الآية الاولى وهو القرآن جعلناه ينتهي الى ﴿ الذين اصطفينا من عبادنا ﴾ ويجوز أن يكون ثم بمعنى الواو أي وأورثنا كقوله (ثم كان من الذين آمنوا) أي وكان من الذين آمنوا ومعنى أورثنا أعطينا لان الميراث عطاء. قاله مجاهد وقيل أورثنا أي أخرنا ومنه الميراث لانه أخر عن الميت ومعناه أخرنا القرآن عن الامم السالفة وأعطيناكموه وأهلناكم له [الذين اصطفينا من عبادنا] قال ابن عباس يريد أمة محمد ﷺ ثم قسمهم ورتبهم فقال ﴿ فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات ﴾ روي عن أسامة بن

وهو الفاعل للواجبات والمستحبات التارك للمحرمات والمكروهات وبعض المباحات

قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى [ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا] قال هم أمة محمد ﷺ ورثهم الله تعالى كل كتاب أنزله فظالمهم يغفر له ومقتصدهم يحاسب حسابا يسيراً ، وسابقهم يدخل الجنة بغير حساب

وقال أبو القاسم الطبراني حدثنا يحيى بن عثمان بن صالح وعبدالرحمن بن معاوية العتبي قالا حدثنا أبوالطاهر بن السرح حدثنا موسى بن عبدالرحمن الصنعاني حدثنا ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس عن رسول الله ﷺ أنه قال ذات يوم « شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي » قال ابن عباس رضي الله عنهما السابق بالخيرات يدخل الجنة بغير حساب والمقتصد يدخل الجنة برحمة الله ، والظالم لنفسه وأصحاب الاعراف يدخلون الجنة بشفاعة محمد ﷺ وكذا روي عن غير واحد من السلف أن الظالم لنفسه من هذه الامة من المصطفين على مافيه من عوج وتقصير . وقال آخرون بل الظالم لنفسه ليس من هذه الامة ولا من المصطفين الوارثين للكتاب

قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا علي بن هاشم بن مرزوق حدثنا ابن عيينة عن عمرو عن ابن عباس رضي الله عنهما فمنهم ظالم لنفسه قال هو الكافر وكذا روى عنه عكرمة وبه قال عكرمة أيضا فيما رواه ابن جرير، وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد فى قوله تعالى (فمنهم ظالم لنفسه) قال هم أصحاب المشأمة ،وقال مالك عن زيد بن أسلم والحسن وقتادة هو المنافق ثم قد قال ابن عباس والحسن وقتادة وهذه الاقسام الثلاثة كالاقسام الثلاثة المذكورة في أول سورة الوقعة وآخرها، والصحيح ان الظالم لنفسه من هذه الأمة وهذا اختيار ابن جرير كما هو ظاهر الآية وكما جاءت به الاحاديث عن رسول الله ﷺ من طرق يشد بعضها بعضا ونحن ان شاء الله تعالى نورد منها ماتيسر

﴿الحديث الاول﴾ قال الامام أحمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن الوليد بن العيزار أنه

زيد في قوله عز وجل (فمنهم ظالم لنفسه) الآية قال : قال النبي ﷺ « كلهم من هذه الامة »

أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو اسحاق الثعلبي أخبرني الحسين بن محمد بن فنجويه أنا محمد ابن علي بن الحسين بن القاضي أنا بكر بن محمد المروزي أنا أبو قلابة عمرو بن الحصين عن الفضل ابن عميرة عن ميمون الكردي عن أبي عثمان النهدي قال سمعت عمر بن الخطاب قرأ على المنبر (ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا) الآية فقال قال رسول الله ﷺ « سابقنا سابق ومقتصدنا ناج وظالمنا مغفور له » قال أبو قلابة فحدثت به يحيى بن معين فجعل يتعجب منه، واختلف المفسرون في معنى الظالم والمقتصد والسابق

أخبرنا أحمد بن عبدالله الصالحي أخبرنا أبو سعيد محمد بن عيسى الصيرفي أخبرنا أبو عبد الله محمد ابن عبدالله الصفار حدثنا أحمد بن محمد بن عيسى البرقي حدثنا محمد بن كثير أخبرنا سفيان عن الاعمش

سمع رجلا من ثقيف يحدث عن رجل من كنانة عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال « في هذه الآية ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله » قال هؤلاء كلهم بمنزلة واحدة وكلهم في الجنة هذا حديث غريب من هذا الوجه وفي اسناده من لم يسم وقد رواه ابن جرير وابن أبي حاتم من حديث شعبة به نحوه ومعنى قوله بمنزلة واحدة أي في أنهم من الامة وانهم من أهل الجنة وان كان بينهم فرق في المنازل في الجنة

﴿الحديث الثاني﴾ قال الامام أحمد حدثنا اسحاق بن عيسى ثنا أنس بن عياض الليثي أبو حمزة عن موسى بن عقبة عن علي بن عبد الله الازدي عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « قال الله تعالى ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله فاما الذين سبقوا فأولئك الذين يدخلون الجنة بغير حساب وأما الذين اقتصدوا فأولئك الذين يحاسبون حسابا يسيرا وأما الذين ظلموا أنفسهم فأولئك الذين يحبسون في طول المحشر ثم هم الذين تلافاهم الله برحمته فهم الذين يقولون الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور الذى أحلنا دار المقامة من فضله لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب »

﴿طريق أخرى﴾ قال ابن أبي حاتم حدثنا أسيد بن عاصم ثنا الحسين بن حفص حدثنا سفيان عن الاعمش عن رجل عن أبي ثابت عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه - قال - فأما الظالم لنفسه فيحبس حتى يصيبه الهم والحزن ثم يدخل الجنة » ورواه ابن جرير من حديث سفيان الثوري عن الاعمش قال ذكر أبو ثابت أنه دخل المسجد فجلس الى جنب أبي الدرداء رضي الله عنه فقال اللهم آنس وحشتي وارحم غربتي ويسر لي جليسا صالحا فقال أبو الدرداء رضي الله عنه لئن كنت صادقا لأنا أسعد بك منك سأحدثك حديثا سمعته من رسول الله ﷺ لم أحدث به منذ سمعته منه ذكر هذه الآية « ثم أورثنا

عن رجل عن أبي ثابت ان رجلا دخل المسجد فقال : اللهم ارحم غربتي ، وآنس وحشتي ، وسق إلي جليساً صالحا . فقال أبو الدرداء لئن كنت صادقا لأنا أسعد بك منك سمعت رسول الله ﷺ يقول حين قرأ هذه الآية (ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات) فقال « أما السابق بالخيرات فيدخل الجنة بغير حساب وأما المقتصد فيحاسب حسابا يسيراً وأما الظالم لنفسه فيحبس في المقام حتى يدخله الهم ثم يدخل الجنة » ثم قرأ هذه الآية (وقالوا الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور)

وقال عقبة بن صهبان : سألت عائشة عن قول الله عز وجل (ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا) الآية فقالت يابني كلهم في الجنة : أما السابق بالخيرات فمن مضى على عهد رسول الله ﷺ وشهد له رسول الله ﷺ بالجنة ، وأما المقتصد فمن اتبع أثره من اصحابه حتى لحق به ، وأما الظالم

الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات) فأما السابق بالخيرات فيدخلها بغير حساب، وأما المقتصد فيحاسب حسابا يسيرا، وأما الظالم لنفسه فيصيبه في ذلك المكان من الغم والحزن وذلك قوله تعالى (وقالوا الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن)

﴿الحديث الثالث﴾ قال الحافظ أبو القاسم الطبراني حدثنا عبدالله بن محمد بن العباس حدثنا ابن مسعود أخبرنا سهل بن عبد ربه الرازي حدثنا عمرو بن أبي قيس عن ابن أبي ليلى عن أخيه عن عبدالرحمن بن أبي ليلى عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله) الآية قال قال رسول الله ﷺ «كلهم من هذه الامة»

﴿الحديث الرابع﴾ قال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن عزيز حدثنا سلامة عن عقيل عن ابن شهاب عن عوف بن مالك رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال «أمتي ثلاثة أثلاث فثلث يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب، وثلث يحاسبون حسابا يسيرا ثم يدخلون الجنة، وثلث يمحصون ويكشفون ثم تأتي الملائكة فيقولون وجدناهم يقولون لا اله الا الله وحده يقول الله تعالى صدقوا لا اله إلا أنا أدخلوهم الجنة بقولهم لا اله إلا الله وحده واحملوا خطاياهم على أهل النار وهي التي قال الله تعالى (وليحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم) وتصديقها في التي فيها ذكر الملائكة قال الله تعالى (ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا) فجعلهم ثلاثة أفواج وهم أصناف كلهم فمنهم ظالم لنفسه فهذا الذي يمحص ويكشف» غريب جدا

﴿أثر عن ابن مسعود﴾ رضي الله عنه قال ابن جرير حدثني ابن حميد حدثنا الحكم بن بشير عن عمرو بن قيس عن عبد الله بن عيسى رضي الله عنه عن يزيد بن الحارث عن شقيق أبي وائل عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: ان هذه الامة ثلاثة أثلاث يوم القيامة ثلث يدخلون الجنة بغير حساب وثلث يحاسبون حسابا يسيرا وثلث يجيؤن بذنوب عظام حتى يقول الله عز وجل ما هؤلاء؟ وهو أعلم تبارك وتعالى فتقول الملائكة هؤلاء جاؤا بذنوب عظام إلا أنهم لم يشركوا

لنفسه فمثلي ومثلكم، فجملت نفسها معنا، وقال مجاهد والحسن وقتادة (فمنهم ظالم لنفسه) هم أصحاب المشأمة (ومنهم مقتصد) هم أصحاب الميمنة (ومنهم سابق بالخيرات) هم السابقون المقربون من الناس كلهم، وعن ابن عباس قال: السابق المؤمن المخلص، والمقتصد المرائي، والظالم الكافر نعمة الله غير الجاحد لها لانه حكم للثلاثة بدخول الجنة فقال (جنات عدن يدخلونها) وقال بعضهم يذكر ذلك عن الحسن قال: السابق من رجحت حسناته على سيئاته، والمقتصد من استوت حسناته وسيئاته، والظالم من رجحت سيئاته على حسناته

وقيل الظالم من كان ظاهره خيرا من باطنه والمقتصد الذي يستوي ظاهره وباطنه، والسابق الذي باطنه خير من ظاهره، وقيل الظالم من وحد الله بلسانه ولم يوافق فعله قوله، والمقتصد من وحد الله

بك شيأ فيقول الرب عز وجل أدخلوا هؤلاء في سعة رحمتي. وتلا عبد الله رضي الله عنه هذه الآية (ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا) الآية

﴿ أثر آخر ﴾ قال أبو داود الطيالسي عن الصلت بن دينار بن الاشعث عن عقبة بن صهبان الهنائي قال سألت عائشة رضي الله عنها عن قول الله تعالى ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه الآية فقالت لي يا بني هؤلاء في الجنة أما السابق بالخيرات فمن مضى على عهد رسول الله ﷺ شهد له رسول الله ﷺ بالحياة والرزق وأما المقتصد فمن اتبع أثره من أصحابه حتى لحق به، وأما الظالم لنفسه فمثلي ومثلكم قال فجعلت نفسها رضي الله عنها معنا وهذا منها رضي الله عنها من باب الهضم والتواضع والا فهي من أكبر السابقين بالخيرات لان فضلها على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام وقال عبد الله بن المبارك رحمه الله قال أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه في قوله تبارك وتعالى فمنهم ظالم لنفسه قال هي لأهل بدونا ومقتصدنا أهل حضرنا وسابقنا أهل الجهاد. رواه ابن أبي حاتم

وقال عوف الاعرابي حدثنا عبد الله بن الحارث بن نوفل قال حدثنا كعب الاحبار رحمة الله عليه قال ان الظالم لنفسه من هذه الامة والمقتصد والسابق بالخيرات كلهم في الجنة ألم تر أن الله تعالى قال (ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله ذلك هو الفضل الكبير جنات عدن يدخلونها — الى قوله عز وجل — والذين كفروا لهم نار جهنم) قال فهؤلاء أهل النار رواه ابن جرير من طرق عن عوف به. ثم قال حدثني يعقوب بن ابراهيم حدثنا ابن علية أخبرنا حميد عن اسحاق بن عبد الله بن الحارث عن أبيه قال ان ابن عباس رضي الله عنهما سأل كعبا عن قوله تعالى (ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من

بلسانه وأطاعه بجوارحه، والسابق من وحد الله بلسانه وأطاعه بجوارحه وأخلص له عمله، وقيل الظالم التالي للقرآن والمقتصد القارىء له العالم به، والسابق القاري له العالم به العامل بما فيه، وقيل الظالم أصحاب الكبائر والمقتصد أصحاب الصغائر، والسابق الذي لم يرتكب كبيرة ولا صغيرة، وقال سهل ابن عبد الله. السابق العالم والمقتصد المتعلم والظالم الجاهل

قال جعفر الصادق: انه بدأ بالظالمين إخباراً بأنه لا يتقرب اليه إلا بكرمه وان الظلم لا يؤثر في الاصطفاء، ثم ثنى بالمقتصدين لانهم بين الخوف والرجاء، ثم ختم بالسابقين لئلا يأمن أحد مكره، وكلهم في الجنة، وقال أبو بكر الوراق: رتبهم هذا الترتيب على مقامات الناس لان أحوال العبد ثلاثة: معصية وغفلة ثم توبة ثم قربة فان عصي دخل في حيز الظالمين وإذا تاب دخل في جملة المقتصدين وإذا صحت التوبة وكثرت العبادة والمجاهدة دخل في عدد السابقين

وقال بعضهم المراد بالظالم الكافر ذكره الكلبي وقيل المراد منه المنافق فعلى هذا لا يدخل الظالم في قوله (جنات عدن يدخلونها) وحمل هذا القائل الاصطفاء على الاصطفاء في الخلقة وارسال

عبادنا — إلى قوله — باذن الله) قال تماست منا كبهم ورب كعب ثم اعطوا الفضل باعمالهم ثم قال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا الحكم بن بشير حدثنا عمرو بن قيس عن أبي اسحاق السبيعي في هذه الآية (ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا الآية قال أبو اسحاق أما ما سمعت من ذي ستين سنة فكلهم ناج ، ثم قال حدثنا ابن حميد حدثنا الحكم حدثنا عمرو عن محمد بن الحنفية رضي الله عنه قال انها أمة مرحومة الظالم مغفور له والمقتصد في الجنان عند الله والسابق بالخيرات في الدرجات عند الله. ورواه الثوري عن اسماعيل بن سميع عن رجل عن محمد بن الحنفية رضي الله عنه بنحوه

وقال أبو الجارود : سألت محمد بن علي — يعني الباقر — رضي الله عنهما عن قول الله تعالى (فمنهم ظالم لنفسه) فقال هو الذي خلط عملا صالحا وآخر سيئا. فهذا ما تيسر من ايراد الاحاديث والآثار المتعلقة بهذا المقام

وإذا تقرر هذا فان الآية عامة في جميع الاقسام الثلاثة فالعلماء أغبط الناس بهذه النعمة، وأولى الناس بهذه الرحمة فانهم كما قال الامام أحمد رحمه الله حدثنا محمد بن يزيد حدثنا عاصم بن رجاء بن حيوة عن قيس بن كثير قال قدم رجل من أهل المدينة إلى أبي الدرداء رضي الله عنه وهو بدمشق فقال ما أقدمك أي أخي ؟ قال حديث بلغني انك تحدث به عن رسول الله ﷺ ، قال أما قدمت لتجارة؟ قال لا ، قال أما قدمت لحاجة ؟ قال لا ، قال أما قدمت إلا في طلب هذا الحديث ؟ قال نعم قال رضي الله عنه فاني سمعت رسول الله ﷺ يقول « من سلك طريقا يطلب فيها علما سلك الله تعالى به طريقا إلى الجنة ، وان الملائكة لتضع أجنحتها رضا لطالب العلم وانه ليستغفر للعالم من في السموات والارض حتى الحيتان في الماء ، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب ، ان العلماء هم ورثة الانبياء. وان الانبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما إنما ورثوا العلم فمن أخذ به أخذ بحظ وافر » وأخرجه أبو داود والترمذي وابن ماجه من حديث كثير بن قيس ومنهم من يقول قيس بن كثير عن أبي الدرداء رضي الله عنه ، وقد ذكرنا طرقه واختلاف الرواة فيه في شرح كتاب العلم من صحيح البخاري ولله الحمد والمنة ، وقد تقدم في أول سورة طه حديث ثعلبة بن الحكم رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال « يقول الله تعالى يوم القيامة للعلماء اني لم أضع علمي وحكمتي فيكم إلا وأنا أريد أن اغفر لكم على ما كان منكم ولا أبالي »

جنات عدن يدخلونها يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير (٣٣) وقالوا الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور (٣٤) الذى أحلنا دار

الرسول اليهم وانزال الكتب والاول هو المشهور أن المراد من جيعهم المؤمنون وعليه عامة أهل العلم قوله (ومنهم سابق بالخيرات) أي سابق الى الجنة والى رحمة الله بالخيرات أي بالاعمال الصالحات (باذن الله) أي بأمر الله وارادته (ذلك هو الفضل الكبير) يعني إيراثهم الكتاب

ثم اخبر بثوابهم فقال (جنات عدن يدخلونها) يعني الاصناف الثلاثة قرأ أبو عمرو يدخلونها

المقامة من فضله لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب (٣٥)

يخبر تعالى ان هؤلاء المصطفين من عباده الذين أورثوا الكتاب المنزل من رب العالمين يوم القيامة مأواهم جنات عدن أي جنات الاقامة يدخلونها يوم معادهم وقدومهم على الله عز وجل (يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا) كما ثبت في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ انه قال « تبلغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء » (ولباسهم فيها حرير) ولهذا كان محظوراً عليهم في الدنيا فأباحه الله تعالى لهم في الآخرة ، وثبت في الصحيح أن رسول الله ﷺ قال « من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة » وقال « هي لهم في الدنيا ولكم في الآخرة »

وقال ابن أبي حاتم حدثنا عمرو بن سواد السرحي أخبرنا ابن وهب عن ابن لهيعة عن عقيل بن خالد عن الحسن عن أبي هريرة رضي الله عنه قال ان أبا امامة رضي الله عنه حدث أن رسول الله ﷺ حدثهم وذكر حلي أهل الجنة فقال « مسورون بالذهب والفضة مكللة بالدر وعليهم أكاليل من در وياقوت متواصلة وعليهم تاج كتاج الملوك شباب جرد مرد مكحلون » (وقالوا الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن) وهو الخوف من المحذور أزاحه عنا وأراحنا مما كنا نتخوفه ونحذره من هموم الدنيا والآخرة

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ « ليس على أهل لا إله إلا الله وحشة في قبورهم ولا في نشورهم وكأني بأهل لا إله الا الله ينفضون التراب عن رؤوسهم ويقولون الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن » رواه ابن أبي حاتم من حديثه

وقال الطبراني حدثنا جعفر بن محمد الفريابي حدثنا موسى بن يحي المروزي حدثنا سليمان بن عبد الله بن وهب الكوفي عن عبد العزيز بن حكيم عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ « ليس على أهل لا اله الا الله وحشة في الموت ولا في القبور ولا في النشور وكأني أنظر اليهم عند الصيحة

بضم الياء وفتح الحاء وقرأ الآخرون بفتح الياء وضم الحاء ﴿ يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير * وقالوا ﴾ أي ويقولون اذا دخلوا الجنة ﴿ الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن ﴾ هو والحزن واحد كالبخل والبخل قال ابن عباس حزن النار وقال قتادة حزن الموت وقال مقاتل حزنوا لانهم كانوا لا يدرون ما يصنع الله بهم وقال عكرمة حزن الذنوب والسيآت وخوف رد الطاعات وقال القاسم حزن زوال النعم وتقليب القلب وخوف العاقبة ، وقيل حزن أهوال يوم القيامة وقال الكلبي ما كان يحزنهم في الدنيا من أمر يوم القيامة وقال سعيد بن جبير هم الخبز في الدنيا وقيل هم المعيشة، وقال الزجاج أذهب الله عن أهل الجنة كل الاحزان ما كان منها لمعاش أو لمعاد

أخبرنا أبو الحسن علي بن محمد بن الضحاك الخطيب حدثنا أبو اسحاق ابراهيم بن أحمد الاسفرايني أخبرنا أبو بكر احمد بن ابراهيم الاسماعيلي أنا أبو العباس أحمد بن محمد التراني حدثنا يحيي بن

ينفضون رءوسهم من التراب يقولون الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور » قال ابن عباس رضي الله عنهما وغيره : غفر لهم الكثير من السيئات وشكر لهم اليسير من الحسنات (الذى أحلنا دار المقامة من فضله) يقولون الذي أعطانا هذه المنزلة وهذا المقام من فضله ومنه ورحمته لم تكن أعمالنا تساوي ذلك كما ثبت في الصحيح أن رسول الله ﷺ قال « لن يدخل أحداً منكم عمله الجنة » قالوا ولا أنت يارسول الله؟ قال « ولا أنا إلا أن يتغمدني الله تعالى برحمة منه وفضل » (لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب) أي لا يمسنا فيها عناء ولا إعياء ، والنصب واللغوب كل منهما يستعمل في التعب وكأن المراد بنفي هذا وهذا عنهم انهم لا تعب على أبدانهم ولا أرواحهم والله أعلم ، فمن ذلك انهم كانوا يدئبون أنفسهم في العبادة في الدنيا فسقط عنهم التكليف بدخولها وصاروا في راحة دائمة مستمرة قال الله تبارك وتعالى (كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم في الأيام الخالية)

والذين كفروا لهم نار جهنم لا يُقضى عليهم فيموتوا ولا يُخفَّف عنهم من عذابها كذلك نَجزي كل كفور (٣٦) وهم يَصطرخون فيها ربنا أخرجنا نعمَلْ صٰلحا غير الذي كنا نعملُ أولم نُعمِّرْكم مايتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير فذوقوا فما للظٰلمين من نصير (٣٧)

لما ذكر تبارك وتعالى حال السعداء شرع في بيان مآل الأشقياء فقال (والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم فيموتوا) كما قال تعالى [لا يموت فيها ولا يحيى] وثبت في صحيح مسلم أن رسول الله ﷺ قال « أما أهل النار الذين هم أهلها فلا يموتون فيها ولا يحيون » وقال عز وجل (ونادوا يامالك ليقض علينا ربك قال إنكم ماكثون) فهم في حالهم ذلك يرون موتهم راحة لهم ولكن لا سبيل إلى ذلك قال الله تعالى [لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها] كما قال عز وجل [ان المجرمين في عذاب جهنم خالدون * لا يفتر عنهم وهم فيه مبلسون] وقال جل وعلا (كلما خبت زدناهم سعيرا *

عبد الحميد حدثنا عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ « ليس على أهل لا إله إلا الله وحشة في قبورهم ولا في منشرهم وكأني بأهل لا إله ينفضون التراب عن رءوسهم ويقولون الحمد لله الذى اذهب عنا الحزن

قوله تعالى ﴿ إن ربنا لغفور شكور * الذى أحلنا ﴾ أنزلنا ﴿ دار المقامة ﴾ أى الاقامة ﴿ من فضله لا يمسنا فيها نصب ﴾ أي لا يصيبنا فيها عناء ولا مشقة ﴿ ولا يمسنا فيها لغوب ﴾ اعياء من التعب

قوله تعالى ﴿ والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم فيموتوا ﴾ أي فيهلكون فيستريحوا كقوله عز وجل (فوكزه موسى فقضى عليه) أي قتله وقيل لا يقضى عليهم الموت فيموتوا كقوله (ونادوا يامالك ليقض علينا ربك) أي ليقض علينا الموت فنستريح ﴿ ولا يخفف عنهم من عذابها ﴾

فذوقوا فلن نزيدكم إلا عذابا] ثم قال تعالى (كذلك نجزي كل كفور) أي هذا جزاء كل من كفر بربه وكذب الحق . وقوله جلت عظمته (وهم يصطرخون فيها) اي ينادون فيها يجأرون إلى الله عز وجل بأصواتهم (ربنا أخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل) أي يسألون الرجعة الى الدنيا ليعملوا غير عملهم الاول ، وقد علم الرب جل جلاله انه لو ردهم الى الدار الدنيا لعادوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون فلهذا لا يجيبهم الى سؤالهم كما قال تعالى مخبراً عنهم في قولهم (فهل الى مرد من سبيل ؟ * ذلكم بأنه اذا دعي الله وحده كفرتم وان يشرك به تؤمنوا) أي لا يجيبكم إلى ذلك لانكم كنتم كذلك ولو رددتم لعدتم إلى مانهيتم عنه ولذا قال ههنا (أولم نعمركم مايتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير ؟) أي أوماعشتم في الدنيا أعماراً لو كنتم ممن ينتفع بالحق لانتفعتم به في مدة عمركم ؟

وقد اختلف المفسرون في مقدار العمر المراد ههنا فروي عن علي بن الحسين زين العابدين رضي الله عنهما انه قال مقدار سبع عشرة سنة . وقال قتادة : اعلموا ان طول العمر حجة فنعوذ بالله أن نعير بطول العمر قد نزلت هذه الآية (أولم نعمركم مايتذكر فيه من تذكر) وان فيهم لابن ثماني عشرة سنة وكذا قال أبو غالب الشيباني ، وقال عبدالله بن المبارك عن معمر عن رجل عن وهب بن منبه في قوله تعالى (أولم نعمركم مايتذكر فيه من تذكر) قال عشرون سنة . وقال هشيم عن منصور عن زاذان عن الحسن في قوله تعالى [أولم نعمركم مايتذكر فيه من تذكر] قال أربعين سنة ، وقال هشيم أيضاً عن مجالد عن الشعبي عن مسروق انه كان يقول : اذا بلغ أحدكم أربعين سنة فليأخذ حذره من الله عز وجل وهذه رواية عن ابن عباس رضي الله عنهما فيما قال ابن جرير حدثنا ابن عبد الأعلى حدثنا بشر بن المفضل حدثنا عبدالله بن عثمان بن خثيم عن مجاهد قال سمعت ابن عباس رضي الله عنهما يقول : العمر الذي أعذر الله تعالى لابن آدم [أولم نعمركم مايتذكر فيه من تذكر] أربعون سنة . هكذا رواه من هذا الوجه عن ابن عباس رضي الله عنهما به ، وهذا القول هو اختيار ابن جرير . ثم رواه من طريق الثوري وعبد الله بن ادريس كلاهما عن عبدالله بن عثمان بن خثيم عن مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال العمر الذى أعذر الله فيه لابن آدم في قوله [أولم نعمركم مايتذكر فيه من تذكر] ستون سنة فهذه الرواية أصح عن ابن عباس رضي الله عنهما وهي الصحيحة في نفس الامر أيضا لما ثبت في ذلك من الحديث كما سنورده لا كما زعمه ابن جرير من أن الحديث لم يصح في ذلك لان في إسناده من يجب التثبت

من عذاب النار ﴿ كذلك نجزي كل كفور ﴾ كافر قرأ أبو عمرو يجزى بالياء وضمها وفتح الزاي كل رفع على غير تسمية الفاعل ، وقرأ الآخرون بالنون وفتحها وكسر الزاي كل نصب ﴿ وهم يصطرخون ﴾ يستغيثون ويصيحون ﴿ فيها ﴾ وهو افتعال من الصراخ وهو الصياح يقولون ﴿ ربنا أخرجنا ﴾ من النار ﴿ نعمل صالحا غير الذى كنا نعمل ﴾ في الدنيا من الشرك والسيئات فيقول الله لهم توبيخا ﴿ أولم نعمركم مايتذكر فيه من تذكر ﴾ قيل هو البلوغ وقال عطاء وقتادة والكلبي ثماني

في أمره ، وقد روى أصبغ بن نباتة عن علي رضي الله عنه انه قال : العمر الذى عيرهم الله به في قوله [أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر] ستون سنة

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا دحيم حدثنا ابن أبي فديك حدثني ابراهيم بن الفضل المخزومي عن ابن أبي حسين المكي أنه حدثه عن عطاء هو ابن أبي رباح عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال « اذا كان يوم القيامة قيل أين أبناء الستين وهو العمر الذي قال الله تعالى فيه (أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير) » وكذا رواه ابن جرير عن علي بن شعيب عن اسماعيل بن أبي فديك به ، وكذا رواه الطبراني من طريق ابن أبي فديك به ، وهذا الحديث فيه نظر لحال ابراهيم بن الفضل والله أعلم

﴿ حديث آخر ﴾ قال الامام أحمد حدثنا عبدالرزاق حدثنا معمر عن رجل من بني غفار عن سعيد المقبري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال « لقد أعذر الله تعالى الى عبد أحياه حتى بلغ ستين أو سبعين سنة ، لقد أعذر الله تعالى اليه لقد أعذر الله تعالى اليه » وهكذا رواه الامام البخاري في كتاب الرقاق من صحيحه حدثنا عبدالسلام بن مطهر عن عمر بن علي عن معن ابن محمد الغفاري عن سعيد المقبري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « أعذر الله عز وجل الى امريء أخر عمره حتى بلغ ستين سنة » ثم قال البخاري تابعه أبو حازم وابن عجلان عن سعيد المقبري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ فأما أبو حازم فقال ابن جرير حدثنا أبو صالح الفزاري حدثنا محمد بن سوار أخبرنا يعقوب بن عبدالرحمن بن عبدالقاري أبي الاسكندري حدثنا أبو حازم عن سعيد المقبري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « من عمره الله تعالى ستين سنة فقد أعذر اليه في العمر » وقد رواه الامام أحمد والنسائي في الرقاق جميعا عن قتيبة عن يعقوب بن عبدالرحمن به ، ورواه البزار قال : حدثنا هشام بن يونس حدثنا عبدالعزيز ابن أبي حازم عن أبيه عن سعيد المقبري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال « العمر الذي أعذر الله تعالى فيه الى ابن آدم ستون سنة » يعني (أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر)

وأما متابعة ابن عجلان فقال ابن ابي حاتم حدثنا أبو السفر يحيى بن محمد بن عبدالملك بن قرعة بسامرا حدثنا أبو عبدالرحمن المقري حدثنا سعيد بن أبي أيوب حدثنا محمد بن عجلان عن سعيد

عشرة سنة وقال الحسن أربعون سنة وقال ابن عباس ستون سنة يروى ذلك عن علي وهو العمر الذى اعذر الله تعالى الى ابن آدم

اخبرنا عبد الواحد المليحي انا احمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسماعيل أنا عبد السلام بن مطهر حدثنا عمر بن علي عن معن بن محمد الغفاري عن سعيد بن أبي سعيد المقبرى عن أبي هريرة عن النبى ﷺ قال « أعذر الله تعالى الى امرىء أخر أجله حتى بلغه ستين سنة »

المقبري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « من أتت عليه ستون سنة فقد أعذر الله عز وجل اليه في العمر » وكذا رواه الامام احمد عن أبي عبدالرحمن هو المقري به ورواه أحمد أيضا عن خلف عن أبي معشر عن أبي سعيد المقبري ؟

﴿ طريق أخرى ﴾ عن أبي هريرة رضى الله عنه قال ابن جرير حدثني أحمد بن الفرج أبوعتبة الحمصي حدثنا بقية بن الوليد حدثنا المطرف بن مازن الكناني حدثني معمر بن راشد قال : سمعت محمد بن عبدالرحمن الغفاري يقول : سمعت أباهريرة رضي الله عنه يقول : قال رسول الله ﷺ « لقد أعذر الله عز وجل في العمر الى صاحب الستين سنة والسبعين » فقد صح هذا الحديث من هذه الطرق فلو لم يكن إلا الطريق التي ارتضاها أبو عبدالله البخاري شيخ هذه الصناعة لكفت . وقول ابن جرير ان في رجاله بعض من يجب التثبت في أمره لايلتفت اليه مع تصحيح البخاري والله أعلم . وذكر بعضهم أن العمر الطبيعي عند الاطباء مائة وعشرون سنة فالانسان لايزال في ازدياد الى كمال الستين ثم يشرع بعد هذا في النقص والهرم كما قال الشاعر

إذا بلغ الفتى ستين عاما فقد ذهب المسرة والفتاء

ولما كان هذا هو العمر الذى يعذر الله تعالى الى عباده به ويزيح به عنهم العلل كان هو الغالب على أعمار هذه الامة كما ورد بذلك الحديث

قال الحسن بن عرفة رحمه الله حدثنا عبدالرحمن بن محمد المحاربي حدثنا محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « أعمار أمتي ما بين الستين الى السبعين وأقلهم من يجوز ذلك » وهكذا رواه الترمذي وابن ماجه جميعا في كتاب الزهد عن الحسن بن عرفة به ثم قال الترمذي هذا حديث غريب لانعرفه إلا من هذا الوجه . وهذا عجب من الترمذى فانه قد رواه أبو بكر بن أبي الدنيا من وجه آخر وطريق أخرى عن أبي هريرة حيث قال حدثنا سليمان بن عمر عن محمد بن ربيعة عن كامل أبي العلاء عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « أعمار أمتي ما بين الستين الى السبعين وأقلهم من يجوز ذلك » وقد رواه الترمذي في كتاب الزهد أيضا عن ابراهيم بن سعيد الجوهري عن محمد بن ربيعة به ثم قال هذا حديث حسن غريب من حديث أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه وقد روي من غير وجه عنه هذا نصه بحروفه في الموضعين والله أعلم .

أخبرنا أبو سعيد الشريحي اخبرنا ابو اسحاق الثعلبي اخبرنا الحسين بن محمد بن فنجويه حدثنا أحمد بن جعفر بن حمدان حدثنا ابراهيم بن سهلويه حدثنا الحسن بن عرفة أنا المحاربي عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « أعمار امتي ما بين الستين الى السبعين » وأقلهم من يجوز ذلك

وقال الحافظ أبو يعلى حدثنا أبو موسى الانصاري حدثنا ابن أبي فديك حدثني ابراهيم بن الفضل مولى بني مخزوم عن المقري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «معترك المنايا مابين الستين الى السبعين» وبه قال: قال رسول الله ﷺ «أقل أمتي أبناء سبعين» إسناده ضعيف

﴿ حديث آخر ﴾ في معنى ذلك قال الحافظ أبو بكر البزار في مسنده حدثنا ابراهيم بن هانيء حدثنا ابراهيم بن مهدي عن عثمان بن مطر عن أبي مالك عن ربعي عن حذيفة رضي الله عنه أنه قال يارسول الله أنبئنا بأعمار أمتك قال رسول الله ﷺ « مابين الخمسين الى الستين » قالوا يارسول الله فأبناء السبعين قال ﷺ « قل من يبلغها من أمتي رحم الله أبناء السبعين ورحم الله أبناء الثمانين ثم قال البزار لايروى بهذا اللفظ إلا بهذا الاسناد وعثمان بن مطر من أهل البصرة ليس بقوي

وقد ثبت في الصحيح أن رسول الله ﷺ عاش ثلاثا وستين سنة وقيل ستين وقيل خمسا وستين ، والمشهور الاول والله أعلم وقوله تعالى (وجاءكم النذير) روي عن ابن عباس رضي الله عنهما وعكرمة وأبي جعفر الباقر رضي الله عنه وقتادة وسفيان بن عيينة أنهم قالوا يعني الشيب ، وقال السدي وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم يعني به رسول الله ﷺ وقرأ ابن زيد (هذا نذير من النذر الاولى) وهذا هو الصحيح عن قتادة فيما رواه شيبان عنه أنه قال . احتج عليهم بالعمر والرسل وهذا اختيار ابن جرير وهو الاظهر لقوله تعالى (ونادوا يامالك ليقض علينا ربك قال انكم ماكثون * لقد جئناكم بالحق ولكن أكثركم للحق كارهون) أي لقد بينا لكم الحق على ألسنة الرسل فأبيتم وخالفتم

وقال تعالى (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) وقال تبارك وتعالى (كلما ألقي فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير * قالوا بلى قد جاءنا نذير * فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء إن أنتم إلا في ضلال كبير) وقوله تعالى (فذوقوا فما للظالمين من نصير) أي فذوقوا عذاب النار جزاء على مخالفتكم للانبياء في مدة أعماركم فما لكم اليوم ناصر ينقذكم مما أنتم فيه من العذاب والنكال والاغلال

إن الله عالم غيب السموات والارض إنه عليم بذات الصدور (٣٨) هو الذي جعلكم خلائف في الارض فمن كفر فعليه كفره ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم الا مقتا ولا يزيد الكافرين كفرهم الا خسارا (٣٩)

قوله تعالى ﴿ وجاءكم النذير ﴾ يعني محمداً ﷺ هذا قول أكثر المفسرين وقيل القرآن وقال عكرمة وسفيان بن عيينة ووكيع هو الشيب معناه أولم نعمركم حتى شبتم ويقال الشيب نذير الموت وفي الأثر : مامن شعرة تبيض إلا قالت لاختها استعدي فقد قرب الموت

قوله ﴿ فذوقوا فما للظالمين من نصير * إن الله عالم غيب السموات والارض إنه عليم بذات

يخبر تعالى بعلمه غيب السموات والارض ، وانه يعلم ماتكنه السرائر وما تنطوي عليه الضمائر وسيجازي كل عامل بعمله

ثم قال عز وجل (هو الذي جعلكم خلائف في الارض) أي يخلف قوم لآخرين قبلهم وجيل لجيل قبلهم . كما قال تعالى ويجعلكم خلفاء الارض فمن كفر فعليه كفره أي فانما يعود وبال ذلك على نفسه دون غيره (ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم الا مقتا) أي كلما استمروا على كفرهم أبغضهم الله تعالى ، وكلما استمروا فيه خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة بخلاف المؤمنين فانهم كلما طال عمر أحدهم وحسن عمله ارتفعت درجته ومنزلته في الجنة وزاد أجره وأحبه خالقه وبارئه رب العالمين

قل أرءيتم شركاءكم الذين تدعون من دون الله؟ أروني ماذا خلقوا من الارض أم لهم شرك في السموٰت؟ أم آتينٰهم كتٰباً فهم على بيّنٰت منه بل إن يعد الظٰلمون بعضهم بعضاً إلا غرورا (٤٠) ان الله يمسك السموٰت والارض أن تزولا ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده انه كان حليما غفورا (٤١)

يقول تعالى لرسوله ﷺ أن يقول المشركين (أرأيتم شركاءكم الذين تدعون من دون الله) أي من الاصنام والانداد (أروني ماذا خلقوا من الارض أم لهم شرك في السموات] أي لهم شيء من ذلك مايملكون من قطمير ، وقوله [أم آتيناهم كتابا فهم على بينة منه] أي أم أنزلنا عليهم كتابا بما يقولونه من الشرك والكفر ليس الامر كذلك [بل إن يعد الظالمون بعضهم بعضا الا غرورا] أي بل انما اتبعوا في ذلك أهواءهم وآراءهم وأمانيهم التي تمنوها لأنفسهم وهي غرور وباطل وزور ، ثم أخبر تعالى عن قدرته العظيمة التي بها تقوم السماء والارض عن أمره وماجعل فيهما من القوة الماسكة لهما

الصدور * هو الذي جعلكم خلائف في الارض ﴾ أي يخلف بعضكم بعضا وقيل جعلكم أمة خلفت من قبلها ورأت فيمن قبلها ماينبغي أن تعتبر به ﴿ فمن كفر فعليه كفره ﴾ أي عليه وبال كفره ﴿ ولا يزيد الكافرين كفرهم عندربهم إلا مقتا ﴾ غضبا ﴿ ولا يزيد الكافرين كفرهم إلا خسارا * قل أرأيتم شركاءكم الذين تدعون من دون الله ﴾ أي جعلتموهم شركائي بزعمكم يعني الاصنام ﴿ أروني ماذا خلقوا من الارض ﴾ أي في الارض ﴿ أم لهم شرك في السموات أم آتيناهم كتابا ؟ ﴾ قال مقاتل هل أعطينا كفار مكة كتابا ﴿ فهم على بينة منه ﴾ قرأ ابن كثير وأبو عمرو وحمزة وحفص بينة على التوحيد وقرأ الآخرون بينات على الجمع يعني دلائل واضحة منه في ذلك الكتاب من ضروب البيان ﴿ بل ان يعد ﴾ أي مايعد ﴿ الظالمون بعضهم بعضا إلا غرورا ﴾ والغرور مايغر الانسان مما لا أصل له قال مقاتل يعني مايعد الشيطان كفار بني آدم من شفاعة الآلهة لهم في الآخرة غرور وباطل

فقال (ان الله يمسك السموات والارض أن تزولا) أي أن تضطربا عن أماكنهما كما قال عز وجل [ويمسك السماء أن تقع على الارض الا باذنه] وقال تعالى [ومن آياته أن تقوم السماء والارض بأمره] (ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده) أي لا يقدر على دوامها وابقائهما الا هو وهو مع ذلك حليم غفور أي يرى عباده وهم يكفرون به ويعصونه وهو يحلم فيؤخر وينظر ويؤجل ولا يعجل ويستر آخرين ويغفر ولهذا قال تعالى (انه كان حليما غفورا)

وقد أورد ابن أبي حاتم ههنا حديثا غريبا بل منكرا فقال حدثنا علي بن الحسين بن الجنيد حدثنا اسحاق بن ابراهيم حدثني هشام بن يوسف عن أمية بن سهل عن الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يحكي عن موسى عليه الصلاة والسلام على المنبر قال « وقع في نفس موسى عليه الصلاة والسلام هل ينام الله عز وجل فأرسل الله تعالى اليه ملكا فأرقه ثلاثا وأعطاه قارورتين في كل يد قارورة وأمره أن يحتفظ بهما قال فجعل ينام وتكاد يداه تلتقيان ثم يستيقظ فيحبس احداهما عن الاخرى حتى نام نومة فاصطفقت يداه فانكسرت القارورتان ، قال ضرب الله له مثلا ان الله عز وجل لو كان ينام لم تستمسك السماء والارض » والظاهر أن هذا الحديث ليس بمرفوع بل من الاسرائيليات المنكرة فان موسى عليه الصلاة والسلام أجل من أن يجوز على الله سبحانه وتعالى النوم وقد أخبر الله عز وجل في كتابه العزيز بأنه (الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما في السموات وما في الارض)

وثبت في الصحيحين عن ابي موسى الاشعري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « ان الله تعالى لا ينام ولا ينبغي له أن ينام يخفض القسط ويرفعه يرفع اليه عمل الليل قبل النهار وعمل النهار قبل الليل ، حجابه النور أو النار لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى اليه بصره من خلقه »

وقد قال ابو جعفر ابن جرير حدثنا ابن بشار حدثنا عبد الرحمن حدثنا سفيان عن الاعمش عن أبي وائل قال : جاء رجل الى عبد الله هو ابن مسعود رضي الله عنه فقال من أين جئت ؟ قال من الشام قال من لقيت ؟ قال لقيت كعبا ، قال ما حدثك ؟ قال حدثني أن السموات تدور على منكب ملك ، قال أفصدقته أو كذبته ؟ قال ما صدقته ولا كذبته ، قال لوددت أنك افتديت من رحلتك اليه براحلتك ورحلها كذب كعب ان الله تعالى يقول (ان الله يمسك السموات والارض أن تزولا ولئن زالتا ان أمسكهما من أحد من بعده) وهذا اسناد صحيح الى كعب والى ابن مسعود رضي الله عنه

ثم رواه ابن جرير عن ابن حميد عن جرير عن مغيرة عن ابراهيم قال ذهب جندب البجلي الى كعب بالشام فذكر نحوه . وقد رأيت في مصنف للفقيه يحيى بن ابراهيم بن مزين الطليطلي سماه (سير

قوله تعالى ﴿ إن الله يمسك السموات والارض أن تزولا ﴾ أي كيلا تزولا ﴿ ولئن زالتا ان امسكهما من أحد من بعده ﴾ أي ما يمسكهما أحد من بعده أي أحد سواه ﴿ إنه كان حليما غفورا ﴾

الفقهاء) أورد هذا الاثر عن محمد بن عيسى بن الطباع عن وكيع عن الاعمش به ، ثم قال وأخبرنا زونان يعني عبد الملك بن الحسين عن ابن وهب عن مالك أنه قال السماء لا تدور واحتج بهذه الآية وبحديث « إن بالمغرب بابا للتوبة لا يزال مفتوحا حتى تطلع الشمس منه » قلت وهذا الحديث في الصحيح والله سبحانه وتعالى أعلم

وأقسموا بالله جهد أيمنهم لئن جاءهم نذير ليكونن أهدى من إحدى الامم فلما جاءهم نذير مازادهم إلا نفورا (٤٢) استكبارا في الارض ومكر السيء ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله فهل ينظرون إلا سنت الأولين؟ فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا (٤٣)

يخبر تعالى عن قريش والعرب أنهم أقسموا بالله جهد أيمانهم قبل ارسال الرسول اليهم لئن جاءهم نذير ليكونن أهدى من إحدى الامم أي من جميع الامم الذين أرسل اليهم الرسل قاله الضحاك وغيره كقوله تعالى [ان تقولوا انما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا وإن كنا عن دراستهم لغافلين * أو تقولوا لو أنا أنزل علينا الكتاب لكنا أهدى منهم فقد جاءكم بينة من ربكم وهدى ورحمة فمن أظلم ممن كذب بآيات الله وصدف عنها] وكقوله تعالى [وإن كانوا ليقولون لو أن عندنا ذكراً من الاولين لكنا عباد الله المخلصين * فكفروا به فسوف يعلمون] قال الله تعالى (فلما جاءهم نذير) وهو محمد ﷺ بما أنزل معه من الكتاب العظيم وهو القرآن المبين (مازادهم الا نفورا) أي مازادوا الا كفراً الى كفرهم ثم بين ذلك بقوله (استكبارا في الارض) أي استكبروا عن اتباع آيات الله [ومكر السيء] أي ومكروا بالناس في صدهم إياهم عن سبيل الله (ولا يحيق المكر السيء الا بأهله) أي وما يعود وبال ذلك الا عليهم أنفسهم دون غيرهم

فان قيل فما معنى ذكر الحلم ههنا ؟ قيل لان السموات والارض همت بما همت به من عقوبة الكفار فامسكهما الله تعالى عن الزوال لحلمه وغفرانه أن يعاجلهم بالعقوبة .

قوله تعالى ﴿ وأقسموا بالله جهد أيمانهم ﴾ يعني كفار مكة لما بلغهم أن أهل الكتاب كذبوا رسلهم قالوا لعن الله اليهود والنصارى أتتهم الرسل فكذبوهم وأقسموا بالله وقالوا لو أتانا رسول الله لنكونن أهدى دينا منهم وذلك قبل مبعث النبي ﷺ فلما بعث محمد كذبوه فانزل الله عز وجل ﴿ وأقسموا بالله جهد أيمانهم ﴾ ﴿ لئن جاءهم نذير ﴾ رسول ﴿ ليكونن أهدى من احدى الامم ﴾ يعني من اليهود والنصارى ﴿ فلما جاءهم نذير ﴾ محمد ﷺ ﴿ مازادهم إلا نفورا ﴾ أي مازادهم مجيئه إلا تباعداً عن الهدى ﴿ استكباراً في الارض ﴾ نصب استكباراً على البدل من النفور ﴿ ومكر السيء ﴾ يعني العمل القبيح أضيف المكر الى صفته قال الكلبي هو اجتماعهم على الشرك وقتل النبي ﷺ وقرأ حمزة مكر السيء

قال ابن ابى حاتم ذكر علي بن الحسين حدثنا ابن ابي عمر حدثنا سفيان عن أبي زكريا الكوفي عن رجل حدثه أن رسول الله ﷺ قال « إياك ومكر السيء فانه لا يحيق المكر السيء الا بأهله ولهم من الله طالب » وقال محمد بن كعب القرظي ثلاث من فعلهن لم ينج حتى ينزل به من مكر أو بغى أو نكث وتصديقها في كتاب الله (ولا يحيق المكر السيىء إلا بأهله) (إنما بغيكم على أنفسكم - ومن نكث فانما ينكث على نفسه)

وقوله عز وجل (فهل ينظرون الى سنة الاولين) يعني عقوبة الله لهم على تكذيبهم رسله ومخالفتهم أمره (ولن تجد لسنة الله تبديلا) أي لا تغير ولا تبدل بل هي جارية كذلك في كل مكذب (ولن تجد لسنة الله تحويلا) أي (واذا أراد الله بقوم سوأ فلا مرد له) ولا يكشف ذلك عنهم ويحوله عنهم أحد والله أعلم

أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عـٰقبة الذين من قبلهم وكانوا أشد منهم قوة وما كان الله ليعجزه من شيء في السمٰوٰت ولا في الأرض إنه كان عليما قديرا (٤٤) ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ماترك على ظهرها من دابة ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمًّى فاذا جاء أجلهم فان الله كان بعباده بصيرا (٤٥)

يقول تعالى قل يامحمد لهؤلاء المكذبين بما جئتهم به من الرسالة سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة الذين كذبوا الرسل كيف دمر الله عليهم وللكافرين أمثالها فخلت منهم منازلهم وسلبوا ماكانوا فيه من النعيم بعد كمال القوة وكثرة العدد والعدد ، وكثرة الاموال والاولاد فما أغنى ذلك شيئا ولا دفع عنهم من عذاب الله من شيء لما جاء أمر ربك لأنه تعالى لا يعجزه شيء اذا أراد كونه في السموات والارض (انه كان عليما قديرا) أي عليم بجميع الكائنات قدير على مجموعها ، ثم قال تعالى [ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ماترك على ظهرها من دابة] أي لو آخذهم بجميع ذنوبهم لأهلك جميع أهل السموات والارض وما يملكونه من دواب وأرزاق

قال ابن ابي حاتم حدثنا أحمد بن سنان حدثنا عبد الرحمن حدثنا سفيان الثوري عن أبي اسحاق

ساكنة الهمزة تخفيفا وهي قراءة الاعمش ﴿ ولا يحيق المكر السيء ﴾ أى لايحل ولا يحيط المكر السيء ﴿ إلا بأهله ﴾ بقتلوا يوم بدر وقال ابن عباس عاقبة الشرك لا تحل إلا بمن أشرك ، والمعنى أن وبال مكرهم راجع اليهم ﴿ فهل ينظرون ﴾ ينتظرون ﴿ إلا سنة الاولين ﴾ إلا أن ينزل بهم العذاب كما نزل بمن مضى من الكفار ﴿ فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا * أولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم وكانوا أشد منهم قوة وما كان الله ليعجزه ﴾ أي ليفوت عنه ﴿ من شيء في السموات ولا في الارض إنه كان عليما قديرا * ولو يؤاخذ الله الناس بما

عن أبي الاحوص عن عبد الله قال: كاد الجعل أن يعذب في جحره بذنب ابن آدم ثم قرأ (ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ماترك على ظهرها من دابة) وقال سعيد بن جبير والسدي في قوله تعالى (ماترك على ظهرها من دابة أي لما سقاهم المطر فماتت جميع الدواب [ولكن يؤخرهم الى أجل مسمى] أي ولكن ينظرهم الى يوم القيامة فيحاسبهم يومئذ ويوفي كل عامل بعمله فيجازي بالثواب أهل الطاعة وبالعقاب أهل المعصية ولهذا قال تبارك وتعالى [فاذا جاء أجلهم فان الله كان بعباده بصيرا]

﴿ آخر تفسير سورة فاطر ولله الحمد والمنة ﴾

تفسير سورة يس وهي مكية

قال أبو عيسى الترمذي حدثنا قتيبة وسفيان بن وكيع حدثنا حميد بن عبد الرحمن الرواسي عن الحسن بن صالح عن هارون أبي محمد عن مقاتل بن حيان عن قتادة عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ « ان لكل شيء قلبا وقلب القرآن يس، ومن قرأ يس كتب الله له بقراءتها قراءة القرآن عشر مرات » ثم قال هذا حديث غريب لا نعرفه الا من حديث حميد بن عبد الرحمن، وهارون أبو محمد شيخ مجهول . وفي الباب عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه ولا يصح لضعف اسناده ، وعن أبي هريرة رضي الله عنه منظور فيه . أما حديث الصديق رضي الله عنه فرواه الحكيم الترمذي في كتابه نوادر الاصول

وأما حديث أبي هريرة رضي الله عنه فقال أبو بكر البزار حدثنا عبد الرحمن بن الفضل حدثنا زيد هو ابن الحباب حدثنا حميد هو المكي مولى آل علقمة عن عطاء بن ابي رباح عن ابي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن لكل شيء قلبا وقلب القرآن يس » ثم قال لا نعلم رواه إلا زيد عن حميد

وقال الحافظ ابو يعلى حدثنا اسحاق بن أبي اسرائيل حدثنا حجاج بن محمد عن هشام بن زياد عن الحسن قال سمعت أبا هريرة رضي الله عنه يقول: قال رسول الله ﷺ « من قرأ يس في ليلة أصبح مغفورا له ، ومن قرأ حم التي يذكر فيها الدخان أصبح مغفورا له » اسناده جيد

وقال ابن حبان في صحيحه حدثنا محمد بن اسحاق بن ابراهيم مولى ثقيف حدثنا الوليد بن شجاع بن الوليد السكوني حدثنا أبي حدثنا زياد بن خيثمة حدثنا محمد بن جحادة عن الحسن عن جندب بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ « من قرأ يس في ليلة ابتغاء وجه الله عز وجل غفر له »

كسبوا ﴾ من الجرائم ﴿ ماترك على ظهرها ﴾ يعني على ظهر الارض كناية عن غير مذكور ﴿ من دابة ﴾ كما كان في زمان نوح أهلك الله ما على ظهر الارض إلا من كان في سفينة نوح ﴿ ولكن يؤخرهم الى أجل مسمى فاذا جاء أجلهم فان الله كان بعباده بصيرا ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما يريد أهل طاعته وأهل معصيته

وقد قال الامام احمد حدثنا عارم حدثنا معتمر عن أبيه عن رجل عن أبيه عن معقل بن يسار رضي الله عنه قال : ان رسول الله ﷺ قال « البقرة سنام القرآن وذروته نزل مع كل آية منها ثمانون ملكا ، واستخرجت (الله لا إله الا هو الحي القيوم) من تحت العرش فوصلت بها — أو فوصلت بسورة البقرة — ويس قلب القرآن لا يقرؤها رجل يريد الله تعالى والدار الآخرة الا غفر له واقرءوها على موتاكم » وكذا رواه النسائي في اليوم والليلة عن محمد بن عبد الاعلى عن معتمر بن سليمان به

ثم قال الامام احمد حدثنا عارم حدثنا ابن المبارك حدثنا سليمان التيمي عن ابي عثمان وليس بالنهدي عن أبيه عن معقل بن يسار رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « اقرءوها على موتاكم يعني يس » ورواه أبو داود والنسائي في اليوم والليلة وابن ماجه من حديث عبد الله بن المبارك به إلا أن في رواية النسائي عن أبي عثمان عن معقل بن يسار رضي الله عنه ، ولهذا قال بعض العلماء من خصائص هذه السورة أنها لا تقرأ عند أمر عسير الا يسره الله تعالى ، وكأن قراءتها عند الميت لتنزل الرحمة والبركة وليسهل عليه خروج الروح والله تعالى أعلم

قال الامام احمد رحمه الله حدثنا ابو المغيرة حدثنا صفوان قال : كان المشيخة يقولون اذا قرئت يعني يس عند الميت خفف الله عنه بها . وقال البزار حدثنا سلمة بن شبيب حدثنا ابراهيم بن الحكم ابن أبان عن أبيه عن عكرمة عن ابن عباس قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم « لوددت أنها في قلب كل انسان من أمتي » يعني يس

بسم الله الرحمن الرحيم

يس (١) والقرآن الحكيم (٢) إنك لمن المرسلين (٣) على صراط مستقيم (٤) تنزيلَ العزيز الرحيم (٥) لتنذرَ قوما ما أُنذر آباؤهم فهم غفلون (٦) لقد حقَّ القول على أكثرهم فهم لا يؤمنون (٧)

﴿ سورة يس مكية وهي ثلاث وثمانون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ يس ﴾ و(ن) قرأ باخفاء النون فيهما ابن عامر والكسائي وأبو بكر وقالون يخفف النون من يس ويظهرها من ن والقلم والباقون يظهرون فيهما واختلفوا في تأويل يس حسب اختلافهم في حروف التهجي قال

قد تقدم الكلام على الحروف المقطعة في أول سورة البقرة ، وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما وعكرمة والضحاك والحسن وسفيان بن عيينة أن يس بمعنى يا انسان ، وقال سعيد بن جبير هو كذلك في لغة الحبشة ، وقال مالك عن زيد بن أسلم هو اسم من أسماء الله تعالى (والقرآن الحكيم) أي المحكم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه (انك) أي يا محمد (لمن المرسلين على صراط مستقيم) أي على منهج ودين قويم وشرع مستقيم (تنزيل العزيز الرحيم) أي هذا الصراط والمنهج والدين الذي جئت به تنزيل من رب العزة الرحيم بعباده المؤمنين كما قال تعالى [وانك لتهدي الى صراط مستقيم * صراط الله الذي له ما في السموات وما في الارض ألا إلى الله تصير الامور]

وقوله تعالى (لتنذر قوما ما أنذر آباؤهم فهم غافلون) يعني بهم العرب فانه ما أتاهم من نذير من قبله وذكرهم وحدهم لا ينفي من عداهم كما أن ذكر بعض الافراد لا ينفي العموم وقد تقدم ذكر الآيات والاحاديث المتواترة في عموم بعثته ﷺ عند قوله تعالى [قل يا أيها الناس إني رسول الله اليكم جميعا]

وقوله تعالى (لقد حق القول على أكثرهم) قال ابن جرير لقد وجب العذاب على أكثرهم بان الله تعالى قد حتم عليهم في أم الكتاب أنهم لا يؤمنون (فهم لا يؤمنون) بالله ولا يصدقون رسله

إنا جعلنا في أعناقهم أغلالا فهي الى الاذقان فهم مقمحون (٨) وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لا يبصرون (٩) وسواء عليهم ءأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون (١٠) انما تنذر من اتبع الذكر وخشي الرحمن بالغيب فبشره بمغفرة وأجر

ابن عباس رضي الله عنهما قسم ويروى عنه أن معناه يا انسان بلغة طيء يعني محمداً ﷺ وهو قول الحسن وسعيد بن جبير وجماعة وقال أبو العالية يا رجل وقال أبو بكر الوراق يا سيد البشر ﴿ والقرآن الحكيم * إنك لمن المرسلين ﴾ اقسم الله بالقرآن بأن محمداً ﷺ من المرسلين وهو رد على الكفار حيث قالوا لست مرسلا ﴿ على صراط مستقيم ﴾ وهو خبر بعد خبر أى إنك لمن المرسلين وإنك على صراط مستقيم وقيل معناه إنك لمن المرسلين الذين هم على صراط مستقيم ﴿ تنزيل العزيز الرحيم ﴾ قرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وحفص تنزيل بنصب اللام كأنه قال نزل تنزيلا ، وقرأ الآخرون بالرفع أي هو تنزيل العزيز الرحيم ﴿ لتنذر قوما ما أنذر آباؤهم ﴾ قيل هو ما النفي أي لم تنذر آباؤهم لان قريشا لم يأتهم نبي قبل محمد ﷺ وقيل ما بمعنى الذي أي لتنذر قوما بالذي أنذر آباؤهم ﴿ فهم غافلون ﴾ عن الايمان والرشد ﴿ لقد حق القول ﴾ وجب العذاب ﴿ على أكثرهم فهم لا يؤمنون ﴾ هذا كقوله (ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين)

قوله تعالى ﴿ إنا جعلنا في أعناقهم أغلالا ﴾ نزلت في أبي جهل وصاحبيه المخزوميين وذلك أن

كريم (١١) انا نحن نحيي الموتى ونكتب ماقدموا وآثارهم وكل شيء أحصيناه في امام مبين (١٢)

يقول تعالى انا جعلنا هؤلاء المحتوم عليهم بالشقاء نسبتهم إلى الوصول الى الهدى كنسبة من جعل في عنقه غل فجمع يديه مع عنقه تحت ذقنه فارتفع رأسه فصار مقمحا ولهذا قال تعالى (فهم مقمحون) والمقمح هو الرافع رأسه كما قالت أم زرع في كلامها: واشرب فاقمح. أي اشرب فأروى وأرفع رأسي تهنيئا وتروياً واكتفى بذكر الغل في العنق عن ذكر اليدين وإن كانتا مرادتين كما قال الشاعر :

فما أدري اذا يممت أرضا أريد الخير أيهما يليني

ألخير الذي أنا ابتغيه أم الشر الذي لا يأتليني

فاكتفى بذكر الخير عن ذكر الشر لما دل الكلام والسياق عليه، وهكذا هذا لما كان الغل أنما يعرف فيما جمع اليدين مع العنق اكتفى بذكر العنق عن اليدين، قال العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى [إنا جعلنا في أعناقهم أغلالا فهي إلى الاذقان فهم مقمحون] قال هو كقوله عز وجل [ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك] يعني بذلك ان أيديهم موثقة إلى أعناقهم لا يستطيعون أن يبسطوها بخير. وقال مجاهد [فهم مقمحون] قال رافعي رؤوسهم وأيديهم موضوعة على أفواههم فهم مغلولون عن كل خير

وقوله تعالى [وجعلنا من بين أيديهم سداً] قال مجاهد : عن الحق [ومن خلفهم سدا] قال

أباجهل كان قد حلف لئن رأى محمداً يصلي ليرضخن رأسه بالحجر وهو يصلي فأتاه يوما وهو يصلي ومعه حجر ليدمغه به فلما رفعه ثبتت يده إلى عنقه ولزق الحجر بيده فلما عاد إلى أصحابه وأخبرهم بما رأى سقط الحجر فقال رجل من بني مخزوم أنا أقتله بهذا الحجر فأتاه وهو يصلي ليرميه بالحجر فأعمى الله تعالى بصره فجعل يسمع صوته ولا يراه فرجع الى أصحابه فلم يرهم حتى نادوه فقالوا له ماصنعت؟ فقال مارأيته ولقد سمعت صوته وحال بيني وبينه شيء كهيئة الفحل يخطر بذنبه لودنوت منه لأكلني فأنزل الله تعالى (إنا جعلنا في أعناقهم أغلالا) قال أهل المعاني هذا على طريق المثل ولم يكن هناك غل أراد منعناهم عن الايمان بموانع فجعل الاغلال مثلا لذلك قال الفراء معناه انا حبسناهم عن الانفاق في سبيل الله كقوله تعالى (ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك) معناه لاتمسكها عن النفقة ﴿ فهي الى الاذقان ﴾ وهي كناية عن الايدي وان لم يجر لها ذكر لان الغل يجمع اليد الى العنق، معناه أنا جعلنا في أيديهم وأعناقهم أغلالا فهي الى الاذقان ﴿ فهم مقمحون ﴾ والمقمح الذي رفع رأسه وغض بصره يقال بعير قامح اذا روي من الماء فاقمح اذا رفع رأسه وغض بصره قال الازهري أراد أن أيديهم لما غلت الى أعناقهم رفعت الاغلال أذقانهم ورؤوسهم فهم مرفوعو الرؤوس برفع الاغلال إياها ﴿ وجعلنا من بين أيديهم سداً ومن خلفهم سداً ﴾ قرأ حمزة والكسائي وحفص سداً بفتح السين وقرأ الآخرون بضمها

مجاهد : عن الحق فهم مترددون . وقال قتادة في الضلالات

وقوله تعالى [فأغشيناهم] أي أغشينا أبصارهم عن الحق [فهم لا يبصرون] أي لا ينتفعون بخير ولا يهتدون اليه ، قال ابن جرير : وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه كان يقرأ [فأعشيناهم] بالعين المهملة من العشا وهو داء في العين ، وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : جعل الله تعالى هذا السد بينهم وبين الاسلام والايمان فهم لا يخلصون اليه وقرأ [ان الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الاليم] ثم قال : من منعه الله تعالى لا يستطيع . وقال عكرمة قال أبو جهل لئن رأيت محمدا لأفعلن ولأفعلن فأنزلت [إنا جعلنا في أعناقهم أغلالا - إلى قوله - فهم لا يبصرون] قال وكانوا يقولون هذا محمد فيقول أين هو أين هو ؟ لا يبصره رواه ابن جرير

وقال محمد بن إسحاق حدثني يزيد بن زياد عن محمد بن كعب قال قال أبو جهل وهم جلوس ان محمدا يزعم انكم ان تابعتموه كنتم ملوكا فاذا متم بعثتم بعد موتكم وكانت لكم جنان خير من جنان الأردن ، وانكم ان خالفتموه كان لكم منه ذبح ثم بعثتم بعد موتكم وكانت لكم نار تعذبون بها وخرج عليهم رسول الله ﷺ عند ذلك وفي يده حفنة من تراب وقد أخذ الله تعالى على أعينهم دونه فجعل يذرها على رؤوسهم ويقرأ (يس * والقرآن الحكيم - حتى انتهى الى قوله تعالى - وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لا يبصرون) وانطلق رسول الله ﷺ لحاجته وباتوا رصداء على بابه حتى خرج عليهم بعد ذلك خارج من الدار فقال مالكم؟ قالوا ننتظر محمدا قال قد خرج عليكم فما بقي منكم من رجل إلا وضع على رأسه ترابا ثم ذهب لحاجته ، فجعل كل رجل منهم ينفض ما على رأسه من التراب . قال وقد بلغ النبي صلى الله عليه وسلم قول أبي جهل فقال « وأنا أقول ذلك ان لهم مني لذبحا وانه لآخذهم »

وقوله تبارك وتعالى (وسواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون) أي قد ختم الله عليهم بالضلالة فما يفيد فيهم الانذار ولا يتأثرون به ، وقد تقدم نظيرها في أول سورة البقرة وكما قال تبارك وتعالى (ان الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الاليم * انما تنذر من اتبع الذكر) أي انما ينتفع بانذارك المؤمنون الذين يتبعون الذكر وهو القرآن العظيم (وخشي الرحمن بالغيب) أي حيث لا يراه أحد إلا الله تبارك وتعالى يعلم ان الله مطلع عليه وعالم بما يفعل (فبشره بمغفرة) أي لذنوبه (وأجر كريم) أي كثير واسع حسن جميل كما قال تبارك وتعالى (ان الذين يخشون ربهم بالغيب لهم مغفرة وأجر كبير)

﴿ فأغشيناهم ﴾ فأعميناهم من التغشية وهي التغطية ﴿ فهم لا يبصرون ﴾ سبيل الهدى ﴿ وسواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون * إنما تنذر من اتبع الذكر ﴾ يعني إنما ينفع انذارك من اتبع الذكر يعني القرآن فعمل بما فيه ﴿ وخشي الرحمن بالغيب فبشره بمغفرة وأجر كريم ﴾ حسن وهو الجنة

ثم قال عز وجل (إنا نحن نحيي الموتى) أي يوم القيامة ، وفيه إشارة إلى أن الله تعالى يحيي قلب من يشاء من الكفار الذين قد ماتت قلوبهم بالضلالة فيهديهم بعد ذلك إلى الحق كما قال تعالى بعد ذكر قسوة القلوب (اعلموا أن الله يحيي الارض بعد موتها ، قد بينا لكم الآيات لعلكم تعقلون)

وقوله تعالى (ونكتب ماقدموا) أي من الاعمال ، وفي قوله تعالى [وآثارهم] قولان (أحدهما) نكتب أعمالهم التي باشروها بأنفسهم وآثارهم التي أثروها من بعدهم فنجزيهم على ذلك أيضاً إن خيراً فخير وإن شراً فشر كقوله ﷺ « من سن في الاسلام سنة حسنة كان له أجرها وأجر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء ، ومن سن في الاسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء » ورواه مسلم من رواية شعبة عن عون ابن أبي جحيفة عن المنذر بن جرير عن أبيه جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه، وفيه قصة مجتابي النمار المضريين، ورواه ابن أبي حاتم عن أبيه عن يحيى بن سليمان الجعفي عن أبي الحياه يحيى بن يعلى عن عبد الملك ابن عمير عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه فذكر الحديث بطوله ثم تلا هذه الآية (ونكتب ماقدموا وآثارهم) وقد رواه مسلم من رواية أبي عوانة عن عبد الملك بن عمير بن المنذر بن جرير عن أبيه فذكره ، وهكذا الحديث الآخر الذي في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : من علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له أو صدقة جارية من بعده » وقال سفيان الثوري عن أبي سعيد رضي الله عنه قال سمعت مجاهداً يقول في قوله تعالى (إنا نحن نحيي الموتى ونكتب ماقدموا وآثارهم) قال ماأورثوا من الضلالة

وقال ابن لهيعة عن عطاء بن دينار عن سعيد بن جبير في قوله تعالى (ونكتب ماقدموا وآثارهم) يعني ما أثروا يقول ماسنوا من سنة فعمل بها قوم من بعد موتهم فان كانت خيرا فلهم مثل أجورهم لا ينقص من أجر من عمل به شيئا ، وان كانت شرا فعليهم مثل أوزارهم ولا ينقص من أوزار من عمل بها شيئا ذكرهما ابن أبي حاتم ، وهذا القول هو اختيار البغوي

(والقول الثاني) ان المراد بذلك آثار خطاهم الى الطاعة أو المعصية ، قال ابن أبي نجيح وغيره عن مجاهد (ماقدموا) أعمالهم (وآثارهم) قال خطاهم بأرجلهم ، وكذا قال الحسن وقتادة (وآثارهم) يعني

﴿ إنا نحن نحيي الموتى ﴾ عند البعث ﴿ ونكتب ماقدموا ﴾ من الاعمال من خير وشر ﴿ وآثارهم ﴾ أي ماسنوا من سنة حسنة أو سيئة قال النبي ﷺ « من سن في الاسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء ، ومن سن في الاسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من اوزارهم شيء » وقال قوم قوله (ونكتب ماقدموا وآثارهم) أي خطاهم الى المسجد روي عن أبي سعيد الخدري قال شكت بنو سلمة بعد منازلهم من المسجد فانزل الله تعالى (ونكتب ماقدموا وآثارهم)

خطاهم . وقال قتادة لو كان الله عز وجل مغفلا شيئا من شأنك يا ابن آدم اغفل ماتعفي الرياح من هذه الآثار ولكن أحصى على ابن آدم أثره وعمله كله حتى أحصى هذا الاثر فيما هو من طاعة الله تعالى أو من معصيته ، فمن استطاع منكم أن يكتب أثره في طاعة الله تعالى فليفعل

وقد وردت في هذا المعنى أحاديث ﴿ الحديث الاول ﴾ قال الامام أحمد حدثنا عبد الصمد حدثنا أبي حدثنا الجريري عن أبي نضرة عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال خلت البقاع حول المسجد فأراد بنو سلمة أن ينتقلوا قرب المسجد فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال لهم « انه بلغني انكم تريدون أن تنتقلوا قرب المسجد » قالوا نعم يارسول الله قد اردنا ذلك فقال ﷺ « يابني سلمة دياركم تكتب آثاركم دياركم تكتب آثاركم » وهكذا رواه مسلم من حديث سعيد الجريري وكهمش بن الحسن كلاهما عن أبي نضرة واسمه المنذر بن مالك بن قطعة العبدي عن جابر رضي الله عنه به

﴿ الحديث الثاني ﴾ قال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن الوزير الواسطي حدثنا إسحاق الازرق عن سفيان الثوري عن أبي سفيان عن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال كانت بنو سلمة في ناحية من المدينة فأرادوا أن ينتقلوا إلى قريب من المسجد فنزلت [إنا نحن نحيي الموتى ونكتب ماقدموا وآثارهم] فقال لهم النبي ﷺ « إن آثاركم تكتب » فلم ينتقلوا ، تفرد باخراجه الترمذي عند تفسير هذه الآية الكريمة عن محمد بن الوزير به ثم قال حسن غريب من حديث الثوري ، ورواه ابن جرير عن سليمان بن عمر بن خالد الرقي عن ابن المبارك عن سفيان الثوري عن طريف ـ وهو ابن شهاب أبو سفيان السعدي ـ عن أبي نضرة به

وقد روي من غير طريق الثوري فقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا عباد بن زياد الساجي حدثنا عثمان بن عمر حدثنا شعبة عن سعيد الجريري عن أبي نضرة عن أبي سعيد رضي الله عنه قال : ان بني سلمة شكوا إلى رسول الله ﷺ بعد منازلهم من المسجد فنزلت [ونكتب ماقدموا وآثارهم] فأقاموا في مكانهم ، وحدثنا محمد بن المثنى حدثنا عبد الأعلى حدثنا الجريري عن أبي نضرة عن أبي سعيد رضي الله عنه عن النبي ﷺ بنحوه وفيه غرابة من حيث ذكر نزول هذه الآية والسورة بكمالها مكية فالله أعلم

﴿ الحديث الثالث ﴾ قال ابن جرير حدثنا نصر بن علي الجهضمي حدثنا أبو أحمد الزبيري حدثنا

أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي حدثنا أبو سعيد محمد بن عيسى الصيرفي حدثنا أبو العباس الاصم حدثنا محمد بن هشام بن ملاس النميري حدثنا مروان الفزاري حدثنا حميد عن أنس رضي الله عنه قال : أرادت بنو سلمة أن يتحولوا الى قرب المسجد فكره رسول الله ﷺ أن تعرى المدينة فقال « يابني سلمة ألا تحتسبون آثاركم » فأقاموا

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف حدثنا محمد بن اسماعيل حدثنا محمد بن العلاء حدثنا أبو أسامة عن بريد بن عبد الله عن أبي بردة عن أبي موسى قال : قال

إسرائيل عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كانت منازل الانصار متباعدة من المسجد فأرادوا أن ينتقلوا إلى المسجد فنزلت [ونكتب ماقدموا وآثارهم] فقالوا نثبت مكاننا ، هكذا رواه وليس فيه شيء مرفوع

ورواه الطبراني عن عبدالله بن محمد بن سعيد بن أبي مريم عن محمد بن يوسف الفرياني عن إسرائيل عن سماك عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كانت الانصار بعيدة منازلهم من المسجد فأرادوا أن يتحولوا إلى المسجد فنزلت [ونكتب ماقدموا وآثارهم] فثبتوا في منازلهم

﴿ الحديث الرابع ﴾ قال الامام أحمد حدثنا حسن حدثنا ابن لهيعة حدثني حيي بن عبدالله عن أبي عبد الرحمن الحبلي عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال توفي رجل بالمدينة فصلى عليه النبي ﷺ وقال « ياليته مات في غير مولده » فقال رجل من الناس ولم يا رسول الله ؟ فقال رسول الله ﷺ « إن الرجل إذا توفي في غير مولده قيس له من مولده إلى منقطع أثره في الجنة » ورواه النسائي عن يونس بن عبد الأعلى وابن ماجه عن حرملة كلاهما عن ابن وهب عن حيي بن عبد الله به

وقال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا أبو تميلة حدثنا الحسين عن ثابت قال مشيت مع أنس رضي الله عنه فأسرعت المشي فأخذ بيدي فمشينا رويدا فلما قضينا الصلاة قال أنس مشيت مع زيد ابن ثابت فأسرعت المشي فقال يا أنس أما شعرت ان الآثار تكتب؟ وهذا القول لاتنافي بينه وبين الاول بل في هذا تنبيه ودلالة على ذلك بطريق الاولى والاحرى فانه إذا كانت هذه الآثار تكتب فلأن تكتب تلك التي فيها قدوة بهم من خير أوشر بطريق الاولى والله أعلم

وقوله تعالى [وكل شيء أحصيناه في إمام مبين] أي وجميع الكائنات مكتوب في كتاب مسطور مضبوط في لوح محفوظ ، والامام المبين ههنا هو أم الكتاب قاله مجاهد وقتادة وعبد الرحمن بن زيد ابن أسلم ، وكذا في قوله تعالى (يوم ندعو كل أناس بامامهم) أي بكتاب أعمالهم الشاهد عليهم بما عملوه من خير أو شر كما قال عز وجل (ووضع الكتاب وجيء بالنبيين والشهداء) وقال تعالى (ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون ياويلتنا مالهذا الكتاب لايغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ووجدوا ماعملوا حاضراً ولا يظلم ربك أحداً)

واضرب لهم مثلا أصحب القرية اذ جاءها المرسلون (١٣) اذ أرسلنا اليهم اثنين

النبي ﷺ « أعظم الناس أجراً في الصلاة أبعدهم فابعدهم ممشى ، والذي ينتظر الصلاة حتى يصليها مع الامام أعظم أجراً من الذي يصلي ثم ينام »

قوله تعالى ﴿ وكل شيء أحصيناه ﴾ حفظناه وعددناه وبيناه ﴿في إمام مبين﴾ وهو اللوح المحفوظ

قوله عز وجل ﴿ واضرب لهم مثلا أصحاب القرية ﴾ يعني اذكر لهم شبها مثل حالهم من قصة

فكذبوهما فعززنا بثالث فقالوا إنَّا إليكم مرسلون (١٤) قالوا ما أنتم الا بشر مثلُنا وما أنزل الرحمٰن من شيء إن أنتم إلا تكذبون (١٥) قالوا ربنا يعلم إنا إليكم لمرسلون (١٦) وما علينا الا البلٰغ المبين (١٧)

يقول تعالى واضرب يا محمد لقومك الذين كذبوك (مثلا أصحاب القرية إذ جاءها المرسلون) قال ابن إسحاق فيما بلغه عن ابن عباس رضي الله عنهما وكعب الاحبار ووهب بن منبه انها مدينة انطاكية وكان بها ملك يقال له انطيخس بن انطيخس بن انطيخس وكان يعبد الاصنام فبعث الله تعالى اليه ثلاثة من الرسل وهم صادق وصدوق وشلوم فكذبهم ، وهكذا روي عن بريدة بن الخصيب وعكرمة وقتادة و لزهري انها انطاكية ، وقد استشكل بعض الائمة كونها انطاكية بما سنذكره بعد تمام القصة ان شاء الله تعالى

أصحاب القرية وهي أنطاكية ﴿ إذ جاءها المرسلون ﴾ يعني رسل عيسى عليه السلام قال العلماء باخبار الانبياء بعث عيسى رسولين من الحواريين إلى أهل مدينة انطاكية فلما قربا من المدينة رأيا شيخا يرعى غنيمات له وهو حبيب النجار صاحب يس فسلما عليه فقال الشيخ لهما من أنتما فقالا رسولا عيسى ندعوكم من عبادة لاوثان إلى عبادة الرحمن فقال أمعكما آية قالا نعم نحن نشفي المريض ونبرىء الاكمه والابرص باذن الله فقال الشيخ ان لي ابنا مريضا منذ سنتين قال فانطلق بنا نطلع على حاله فأتى بهما إلى منزله فمسحا ابنه فقام في الوقت باذن الله صحيحا ففشا الخبر في المدينة وشفى الله تعالى على أيديهما كثيرا من المرضى، وكان لهم ملك قال وهب وكان اسمه أنطيخس وكان من ملوك الروم يعبد الأصنام قالوا فانتهى الخبر اليه فدعاهما فقال من أنتما؟ قالا رسولا عيسى قال وفيم جئتما؟ قالا ندعوك من عبادة مالا يسمع ولا يبصر الى عبادة من يسمع ويبصر فقال لهما ألنا اله دون آلهتنا ؟ قالا نعم من أوجدك وآلهتك قال قوما حتى أنظر في أمركما فتتبعهما الناس فاخذوهما وضربوهما في السوق، قال وهب بعث عيسى هذين الرجلين إلى أنطاكية فأتياها فلم يصلا الى ملكها وطال مدة مقامهما فخرج الملك ذات يوم فكبرا وذكرا الله فغضب الملك وأمر بهما فحبسا وجلد كل واحد منهما مائتي جلدة قالوا فلما كذب الرسولان وضربا بعث عيسى رأس الحواريين شمعون الصفار على أثرهما لنصرهما فدخل شمعون البلد متنكراً فجعل يعاشر حاشية الملك حتى انسوا به فرفعوا خبره الى الملك فدعاه فرضي عشرته وأنس به وأكرمه، ثم إنه قال له ذات يوم أيها الملك بلغني أنك حبست رجلين في السجن وضربتهما حين دعواك الى غير دينك فهل كلمتهما وسمعت قولهما؟ فقال الملك حال الغضب بيني وبين ذلك . قال فان رأى الملك دعاهما حتى نطلع على ما عندهما فدعاهما الملك فقال لهما شمعون من أرسلكما الى ههنا ؟ قالا الله

وقوله تعالى (إذ أرسلنا اليهم اثنين فكذبوهما) أي بادروهما بالتكذيب (فعززنا بثالث) أي قويناهما وشددنا ازرهما برسول ثالث . قال ابن جريج عن وهب بن سليمان عن شعيب الجبائي قال كان اسم الرسولين الاولين شمعون ويوحنا واسم الثالث بولص والقرية انطاكية (فقالوا) أي لأهل تلك القرية (إنا اليكم مرسلون) أي من ربكم الذي خلقكم يأمركم بعبادته وحده لاشريك له، قاله أبو العالية

الذي خلق كل شيء وليس له شريك . فقال لهما شمعون فصفاه وأوجزا فقالا انه يفعل ما يشاء ويحكم مايريد . فقال شمعون وما آيتكما ؟ قالا ماتتمناه فأمر الملك حتى جاءوا بغلام مطموس العينين وموضع عينيه كالجبهة فمازالا يدعوان ربهما حتى انشق موضع البصر فأخذا بندقتين من الطين فوضعاهما في حدقتيه فصارتا مقلتين يبصر بهما فتعجب الملك فقال شمعون للملك إن أنت سألت آلهتك حتى تصنع صنيعا مثل هذا فيكون لك الشرف ولآلهتك . فقال الملك ليس لي عنك سر إن إلهنا الذي نعبده لايسمع ولا يبصر ولا يضر ولا ينفع ، وكان شمعون اذا دخل الملك على الصنم يدخل بدخوله ويصلي كثيراً ويتضرع حتى ظنوا أنه على ملتهم فقال الملك للمرسلين ان قدر إلهكم الذي تعبدانه على إحياء ميت آمنا به وبكما قالا إلهنا قادر على كل شيء فقال الملك إن ههنا ميتا مات منذ سبعة أيام ابن لدهقان وأنا أخرته فلم أدفنه حتى يرجع أبوه وكان غائبا فجاءوا بالميت وقد تغير وأروح فجعلا يدعوان ربهما علانية وجعل شمعون يدعو ربه سراً فقام الميت وقال : اني قد مت منذ سبعة أيام ووجدت مشركا فأدخلت في سبعة أودية من النار وأنا أحذركم ما أنتم فيه فآمنوا بالله ثم قال فتحت لي أبواب السماء فنظرت فرأيت شابا حسن الوجه يشفع لهؤلاء الثلاثة قال الملك ومن الثلاثة ؟ قال شمعون وهذان وأشار الى صاحبيه فتعجب الملك لما علم فلما علم شمعون أن قوله أثر في الملك أخبره بالحال ودعاه الى الاسلام فآمن الملك وآمن قوم كثير وكفر آخرون ، وقيل ان ابنة للملك كانت قد توفيت ودفنت فقال شمعون للملك اطلب من هذين الرجلين أن يحييا ابنتك فطلب منهما الملك ذلك فقاما وصليا ودعوا وشمعون معهما في السر فأحيا الله المرأة وانشق القبر عنها فخرجت وقالت اسلموا فانهما صادقان قالت ولا أظنكم تسلمون ثم طلبت من الرسولين أن يرداها إلى مكانها فذرا ترابا على رأسها وعادت الى قبرها كما كانت . وقال ابن إسحاق عن كعب ووهب بل كفر الملك وأجمع هو وقومه على قتل الرسل فبلغ ذلك حبيبا وهو على باب المدينة الاقصى فجاء يسعى اليهم يذكرهم ويدعوهم إلى طاعة المرسلين فذلك قوله تعالى ﴿ إذ أرسلنا اليهم اثنين ﴾ وقال وهب اسمهما يوحنا وبولس ﴿ فكذبوهما فعززنا ﴾ يعني فوقينا ﴿ بثالث ﴾ برسول ثالث وهو شمعون ، وقرأ أبو بكر عن عاصم فعززنا بالتخفيف وهو بمعنى الاول كقولك شددنا وشددنا بالتخفيف وتثقيل ، وقيل أي فغلبنا من قولهم من عز بز ، وقال كعب الرسولان صادق وصدوق والثالث شلوم وانما أضاف الله الارسال اليه لان عيسى انما بعثهم بأمره تعالى ﴿ فقالوا ﴾ جميعا لاهل انطاكية ﴿ إنا اليكم مرسلون * قالوا ما أنتم إلا بشر مثلنا وما

وزعم قتادة بن دعامة انهم كانوا رسل المسيح عليه السلام إلى أهل انطاكية (قالوا ما أنتم إلا بشر مثلنا) أي فكيف أوحي اليكم وأنتم بشر ونحن بشر فلم لا أوحي الينا مثلكم ولو كنتم رسلا لكنتم ملائكة وهذه شبهة كثير من الامم المكذبة كما أخبر الله تعالى عنهم في قوله عز وجل (ذلك بأنه كانت تأتيهم رسلهم بالبينات فقالوا أبشر يهدوننا ؟) أى استعجبوا من ذلك وأنكروه ، وقوله تعالى (قالوا إن أنتم الا بشر مثلنا تريدون أن تصدونا عما كان يعبد آباؤنا فائتونا بسلطان مبين) وقوله تعالى حكاية عنهم في قوله جل وعلا (ولئن أطعتم بشراً مثلكم انكم إذاً لخاسرون) وقوله تعالى (وما منع الناس أن يؤمنوا اذ جاءهم الهدى الا أن قالوا أبعث الله بشرا رسولا ؟) ولهذا قال هؤلاء (ما أنتم الا بشر مثلنا وما أنزل الرحمن من شيء ان أنتم الا تكذبون * قالوا ربنا يعلم إنا اليكم لمرسلون) أى أجابتهم رسلهم الثلاثة قائلين الله يعلم أنا رسله اليكم ولو كنا كذبة عليه لانتقم منا أشد الانتقام ولكنه سيعزنا وينصرنا عليكم وستعلمون لمن تكون عاقبة الدار كقوله تعالى (قل كفى بالله بيني وبينكم شهيدا يعلم ما في السموات وما في الارض والذين آمنوا بالباطل وكفروا بالله أولئك هم الخاسرون) [وما علينا الا البلاغ المبين] يقولون انما علينا أن نبلغكم ما أرسلنا به اليكم فاذا أطعتم كانت لكم السعادة في الدنيا والاخرى وان لم تجيبوا فستعلمون غب ذلك والله أعلم

قالوا إنا تطيرنا بكم لئن لم تنتهوا لنرجمنكم وليمسنكم منا عذاب أليم (١٨) قالوا طائركم معكم أئن ذكرتم بل أنتم قوم مسرفون (١٩)

فعند ذلك قال لهم أهل القرية [انا تطيرنا بكم] أى لم نر على وجوهكم خيرا في عيشنا. وقال قتادة يقولون ان أصابنا شر فانما هو من أجلكم . وقال مجاهد يقولون لم يدخل مثلكم الى قرية الا عذب أهلها [لئن لم تنتهوا لنرجمنكم] قال قتادة بالحجارة ، وقال مجاهد بالشتم [وليمسنكم منا عذاب أليم] أي عقوبة شديدة ، فقالت لهم رسلهم [طائركم معكم] أي مردود عليكم كقوله تعالى في قوم فرعون [فاذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وان تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه ألا انما طائرهم عند الله] وقال قوم صالح [اطيرنا بك وبمن معك قال طائركم عند الله] وقال قتادة ووهب بن منبه أى أعمالكم معكم .وقال عز وجل (وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك ، قل كل من عند الله فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا ؟)

أنزل الرحمن من شيء إن أنتم إلا تكذبون﴾ ما أنتم إلا كاذبون فيما تزعمون ﴿قالوا ربنا يعلم إنا اليكم لمرسلون وما علينا إلا البلاغ المبين * قالوا انا تطيرنا بكم﴾ تشاءمنا بكم وذلك أن المطر حبس عنهم حين قدم الرسل عليهم فقالوا أصابنا هذا بشؤمكم ﴿لئن لم تنتهوا لنرجمنكم﴾ لنقتلنكم وقال قتادة بالحجارة ﴿وليمسنكم منا عذاب أليم * قالوا طائركم معكم﴾ يعني شؤمكم معكم بكفركم وتكذيبكم يعني أصابكم

وقوله تعالى (أئن ذكرتم بل انتم قوم مسرفون) اي من اجل اناذكرناكم وأمرناكم بتوحيد الله واخلاص العبادة له قابلتمونا بهذا الكلام وتوعدتمونا وتهددتمونا بل انتم قوم مسرفون . وقال قتادة اى ان ذكرناكم بالله تطيرتم منا بل انتم قوم مسرفون

وجاء من أقصا المدينة رجل يسعى قال يقوم اتبعوا المرسلين (٢٠) اتبعوا من لا يسئلكم أجراً وهم مهتدون (٢١) وماليَ لا أعبد الذي فطرني واليه ترجعون (٢٢) ءأتخذ من دونه آلهة؟ إن يردنِ الرحمن بضُر لا تغن عني شفعتهم شيئا ولا يُنقذون (٢٣) إني اذاً لفي ضلال مبين (٢٤) اني آمنت بربكم فاسمعون (٢٥)

قال ابن اسحاق فيما بلغه عن ابن عباس رضي الله عنهما وكعب الاحبار ووهب بن منبه ان اهل القرية هموا بقتل رسلهم فجاءهم رجل من اقصى المدينة يسعى اي لينصرهم من قومه قالوا وهو حبيب وكان يعمل الحرير وهو الحباك وكان رجلا سقيما قد اسرع فيه الجذام وكان كثير الصدقة يتصدق بنصف كسبه مستقيم الفطرة (١) .

(١) في المسكية النظرة

وقال ابن اسحاق عن رجل سماه عن الحكم عن مقسم أو عن مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال اسم صاحب يس حبيب وكان الجذام قد أسرع فيه . وقال الثوري عن عاصم الاحول عن أبي مجلز كان اسمه حبيب بن مري وقال شبيب بن بشر عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال اسم صاحب يس حبيب النجار فقتله قومه وقال السدي كان قصاراً وقال عمر بن الحكم كان اسكافا وقال قتادة كان يتعبد في غار هناك (قال ياقوم اتبعوا المرسلين) يحض قومه على اتباع الرسل الذين أتوهم (اتبعوا من لا يسألكم أجرا) أى على ابلاغ الرسالة (وهم مهتدون) فما يدعونكم اليه من عبادة

الشؤم من قبلكم وقال ابن عباس والضحاك حظكم من الخير والشر ﴿ أئن ذكرتم ﴾ يعني وعظتم بالله وهذا استفهام محذوف الجواب ان ذكرتم وعظتم بالله تطيرتم بنا ، وقرأ أبو جعفر (أن) بفتح الهمزة الملينة ذكرتم بالتخفيف ﴿ بل أنتم قوم مسرفون ﴾ مشركون مجاوزون الحد . قوله عز وجل ﴿ وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى ﴾ وهو حبيب النجار وقال السدي كان قصارا وقال وهب كان رجلا يعمل الحرير وكان سقيما قد أسرع فيه الجذام وكان منزله عند أقصى باب من أبواب المدينة وكان مؤمنا ذا صدقة يجمع كسبه اذا أمسى فيقسمه نصفين فيطعم نصفا لعياله ويتصدق بنصفه فلما بلغه ان قومه قد قصدوا قتل الرسل جاءهم ﴿ قال ياقوم اتبعوا المرسلين * اتبعوا من لا يسألكم أجرا وهم مهتدون ﴾ قال قتادة كان حبيب في غار يعبد الله فلما بلغه خبر الرسل أتاهم فاظهر دينه فلما انتهى حبيب إلى الرسل قال لهم تسألون على هذا أجرا قالوا لا فاقبل على قومه فقال (ياقوم اتبعوا المرسلين

الله وحده لاشريك له (ومالي لا أعبد الذي فطرني) أي وما يمنعني من اخلاص العبادة للذي خلقني وحده لاشريك له (واليه ترجعون) أي يوم المعاد فيجازيكم على أعمالكم إن خيرا فخير وإن شرا فشر (أأتخذ من دونه آلهة) استفهام انكار وتوبيخ وتقريع (ان يردني الرحمن بضر لا تغن عني شفاعتهم شيأ ولا ينقذون) أى هذه الآلهة التي تعبدونها من دونه لايملكون من الامر شيأ فان الله تعالى لو أرادني بسوء (فلا كاشف له إلا هو) وهذه الاصنام لاتملك دفع ذلك ولا منعه ولا ينقذونني مما أنا فيه (إني إذا لفي ضلال مبين) أى ان اتخذتها آلهة من دون الله

وقوله تعالى (إني آمنت بربكم فاسمعون) قال ابن اسحاق فيما بلغه عن ابن عباس رضي الله عنهما وكعب ووهب يقول لقومه (إني آمنت بربكم) الذى كفرتم به فاسمعون أي فاسمعوا قولي ويحتمل أن يكون خطابه للرسل بقوله (إني آمنت بربكم) أى الذى أرسلكم (فاسمعون) أى فاشهدوا لي بذلك عنده وقد حكاه ابن جرير فقال وقال آخرون بل خاطب بذلك الرسل وقال لهم اسمعوا قولي لتشهدوا لي بما أقول لكم عند ربي إني آمنت بربكم واتبعتكم وهذا القول الذى حكاه عن هؤلاء أظهر في المعنى والله أعلم قال ابن اسحاق فيما بلغه عن ابن عباس رضي الله عنهما وكعب ووهب رضي الله عنهم فلما قال ذلك وثبوا عليه وثبة رجل واحد فقتلوه ولم يكن له أحد يمنع عنه ، وقال قتادة جعلوا يرجمونه بالحجارة وهو يقول اللهم اهد قومي فانهم لايعلمون فلم يزالوا به حتى أقعصوه وهو يقول كذلك فقتلوه رحمه الله

قيل ادخل الجنة قال يليت قومي يعلمون (٢٦) بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين

اتبعوا من لا يسألكم أجرا وهم مهتدون) فلما قال ذلك قالوا له وأنت مخالف لديننا ومتابع دين هؤلاء الرسل ومؤمن بالههم فقال ﴿ ومالي لا أعبد الذى فطرني واليه ترجعون ﴾ قرأ حمزة ويعقوب مالي باسكان الياء والآخرون بفتحها قيل أضاف الفطرة إلى نفسه والرجوع اليهم لأن الفطرة أثر النعمة وكانت عليه أظهر وفي الرجوع معنى الزجر وكان بهم أليق وقيل إنهم لما قال (اتبعوا المرسلين) أخذوه فرفعوه إلى الملك فقال له الملك أفانت تتبعهم؟ فقال (وما لي لا أعبد الذي فطرني) يعني وأي شيء لي إذا لم أعبد خالقي (واليه ترجعون) تردون عند البعث فيجزيكم بأعمالكم ﴿ أأتخذ من دونه آلهة ﴾ استفهام بمعنى الانكار أي لا أتخذ من دونه آلهة ﴿ إن يردن الرحمن بضر ﴾ بسوء ومكروه ﴿ لا تغن عني ﴾ لا تدفع عني ﴿ شفاعتهم شيئا ﴾ أي لاشفاعة لها أصلا فتغني ﴿ ولا ينقذون ﴾ من ذلك المكروه وقيل لا ينقذون من العذاب لو عذبني الله ان فعلت ذلك ﴿ إني اذا لفي ضلال مبين ﴾ خطأ ظاهر ﴿ إني آمنت بربكم فاسمعون ﴾ يعني فاسمعوا مني، فلما قال ذلك وثب القوم عليه وثبة رجل واحد فقتلوه قال ابن مسعود وطؤه بأرجلهم حتى خرج قصبه من دبره قال السدي كانوا يرمونه بالحجارة وهو يقول اللهم اهد قومي حتى قطعوه وقتلوه. وقال الحسن خرقوا خرقا في حلقه فعلقوه بسور من سور المدينة وقبره بانطاكية فادخله الله الجنة وهو حي فيها يرزق فذلك قوله ﴿ قيل ادخل الجنة ﴾ فلما أفضى

(٢٧) وما أنزلنا على قومه من بعده من جُند من السماء وما كنا منزلين (٢٨) ان كانت الا صيحة واحدة فاذا هم خامدون (٢٩)

قال محمد بن اسحاق عن بعض أصحابه عن ابن مسعود رضي الله عنه أنهم وطئوه بأرجلهم حتى خرج قصبه من دبره وقال الله له ادخل الجنة فدخلها فهو يرزق فيها قد أذهب الله عنه سقم الدنيا وحزنها ونصبها وقال مجاهد قيل لحبيب النجار ادخل الجنة وذلك انه قتل فوجبت له فلما رأى الثواب (قال ياليت قومي يعلمون قال قتادة لا يلقى المؤمن الا ناصحا لا تلقاه غاشا. لما عاين ما عاين من كرامة الله تعالى (قال ياليت قومي يعلمون بما غفرلي ربي وجعلني من المكرمين) تمنى والله أن يعلم قومه بما عاين من كرامة الله وما هجم عليه، وقال ابن عباس نصح قومه في حياته بقوله (ياقوم اتبعوا المرسلين) وبعد مماته في قوله (ياليت قومي يعلمون بما غفرلي ربي وجعلني من المكرمين) رواه ابن أبي حاتم وقال سفيان الثوري عن عاصم الاحول عن أبي مجلز [بما غفرلي ربي وجعلني من المكرمين] بإيماني بربي وتصديق المرسلين ومقصوده انهم لو اطلعوا على ما حصل لي من هذا الثواب والجزاء والنعيم المقيم لقادهم ذلك الى اتباع الرسل فرحمه الله ورضي عنه فلقد كان حريصا على هداية قومه

قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا هشام بن عبيد الله حدثنا ابن جابر هو محمد عن عبد الملك يعني ابن عمير قال قال عروة بن مسعود الثقفي رضي الله عنه للنبي ﷺ ابعثني الى قومي أدعوهم إلى الاسلام فقال رسول الله ﷺ « إني أخاف أن يقتلوك » فقال لو وجدوني نائما ما أيقظوني فقال له رسول الله ﷺ « انطلق » فانطلق فمر على اللات والعزى فقال لأصبحنك غدا بما يسوءك فغضبت ثقيف فقال يامعشر ثقيف ان اللات لالات وإن العزى لاعزى اسلموا تسلموا، يامعشر الاحلاف ان العزى لاعزى وان اللات لالات اسلموا تسلموا قال ذلك ثلاث مرات فرماه رجل فأصاب أكحله فقتله فبلغ رسول الله ﷺ فقال « هذا مثله كمثل صاحب يس » [قال ياليت قومي يعلمون بما غفرلي ربي وجعلني من المكرمين]

وقال محمد بن اسحاق عن عبد الله بن عبد الرحمن بن معمر بن حزم انه حدث عن كعب الاحبار أنه ذكر له حبيب بن زيد بن عاصم أخو بني مازن بن النجار الذى كان مسيلمة الكذاب قطعه باليمامة حين جعل يسأله عن رسول الله ﷺ فجعل يقول له أتشهد أن محمدا رسول الله ؟ فيقول نعم ثم يقول أتشهد أني رسول الله فيقول لا أسمع فيقول له مسيلمة لعنه الله أتسمع هذا ولا تسمع ذاك؟ فيقول نعم فجعل يقطعه عضوا عضوا كلما سأله لم يزده على ذلك حتى مات في يديه فقال كعب حين قيل له اسمه حبيب وكان والله صاحب يس اسمه حبيب

إلى الجنة ﴿ قال ياليت قومي يعلمون بما غفرلي ربي ﴾ يعني بغفران ربي لي ﴿ وجعلني من المكرمين ﴾

وقوله تبارك وتعالى (وما أنزلنا على قومه من بعده من جند من السماء وما كنا منزلين) يخبر تعالى أنه انتقم من قومه بعد قتلهم إياه غضبا منه تبارك وتعالى عليهم لانهم كذبوا رسله وقتلوا وليه ويذكر عز وجل أنه ما أنزل عليهم وما احتاج في إهلاكه إياهم الى انزال جند من الملائكة عليهم بل الامر كان أيسر من ذلك . قاله ابن مسعود فيما رواه ابن إسحاق عن بعض أصحابه أنه قال في قوله تعالى (وما أنزلنا على قومه من بعده من جند من السماء وما كنا منزلين) أي ما كاثرناهم بالجموع الامر كان أيسر علينا من ذلك (ان كانت إلا صيحة واحدة فاذا هم خامدون) قال فأهلك الله تعالى ذلك الملك وأهلك أهل انطاكية فبادوا عن وجه الارض فلم يبق منهم باقية، وقيل وما كنا منزلين) أي وما كنا ننزل الملائكة على الامم اذا أهلكناهم بل نبعث عليهم عذابا يدمرهم ، وقيل المعنى في قوله تعالى (وما أنزلنا على قومه من بعده من جند من السماء) أي من رسالة أخرى اليهم قاله مجاهد وقتادة قال قتادة فلا والله ماعاتب الله قومه بعد قتله (إن كانت الا صيحة واحدة فاذا هم خامدون) قال ابن جرير والاول أصح لان الرسالة لاتسمى جنداً. قال المفسرون بعث الله تعالى اليهم جبريل عليه الصلاة والسلام فأخذ بعضادتي باب بلدهم ثم صاح بهم صيحة واحدة فاذا هم خامدون عن آخرهم لم أنبق فيهم روح تتردد في جسد ، وقد تقدم عن كثير من السلف أن هذه القرية هي انطاكية ، وأن هؤلاء الثلاثة كانوا رسلا من عند المسيح عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام كما نص عليه قتادة وغيره وهو الذي لم يذكر عن واحد من متأخري المفسرين غيره ،وفي ذلك نظر من وجوه (أحدها)ان ظاهر القصة يدل على أن هؤلاء كانوا رسل الله عز وجل لا من جهة المسيح عليه السلام كما قال تعالى (إذ أرسلنا اليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث فقالوا إنا اليكم مرسلون — الى أن قالوا — ربنا يعلم انا اليكم لمرسلون وما علينا إلا البلاغ المبين) ولو كان هؤلاء من الحواريين لقالوا عبارة تناسب أنهم من عند المسيح عليه السلام والله تعالى أعلم، ثم لو كانوا رسل المسيح لما قالوا لهم (ان أنتم إلا بشر مثلنا (الثاني) أن أهل انطاكية آمنوا برسل المسيح اليهم وكانوا أول مدينة آمنت بالمسيح ولهذا كانت عند النصارى إحدى المدائن الاربعة اللاتي فيهن بتاركة: وهن القدس لانها بلد المسيح وانطاكية

تمنى أن يعلم قومه ان الله غفر له وأكرمه ليرغبوا في دين الرسل. فلما قتل حبيب غضب الله له وعجل لهم النقمة فأمر جبريل فصاح بهم صيحة واحدة فماتوا عن آخرهم فذلك قوله ﴿ وما أنزلنا على قومه من بعده من جند من السماء ﴾ يعني الملائكة ﴿ وما كنا منزلين ﴾ وما كنا نفعل هـذا بل الامر في اهلاكهم كان أيسر مما يظنون وقيل معناه (وما أنزلنا على قومه من بعده) أي على قوم حبيب من بعد قتله من جند (وما كنا منزلين) ننزلهم على الامم إذا أهلكناهم كالطوفان والصاعقة والريح ثم بين عقوبتهم فقال تعالى ﴿ إن كانت إلا صيحة واحدة ﴾ وقرأ أبو جعفر صيحة واحدة بالرفع جعل الكون بمعنى الوقوع، قال المفسرون أخذ جبريل بعضادتي باب المدينة ثم صاح بهم صيحة واحدة

لانها أول بلدة آمنت بالمسيح عن آخر أهلها، والاسكندرية لان فيها اصطلحوا على اتخاذ البتاركة والمطارنة والاساقفة والقساوسة والشمامسة والرهابين ، ثم رومية لانها مدينة الملك قسطنطين الذي نصر دينهم وأطده، ولما ابتنى القسطنطينية نقلوا البترك من رومية اليها كما ذكره غير واحد ممن ذكر تواريخهم كسعيد بن بطريق وغيره من أهل الكتاب والمسلمين ، فاذا تقرر أن انطاكية أول مدينة آمنت فأهل هذه القرية ذكر الله تعالى أنهم كذبوا رسله وانه أهلكهم بصيحة واحدة أخمدتهم والله أعلم

(الثالث) أن قصة انطاكية مع الحواريين أصحاب المسيح بعد نزول التوراة ، وقد ذكر أبو سعيد الخدري رضي الله عنه وغير واحد من السلف ان الله تبارك وتعالى بعد انزاله التوراة لم يهلك أمة من الامم عن آخرهم بعذاب يبعثه عليهم بل أمر المؤمنين بعدذلك بقتال المشركين، ذكروه عند قوله تبارك وتعالى (ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الاولى) فعلى هذا يتعين أن هذه القرية المذكورة في القرآن قرية أخرى غير انطاكية كما أطلق ذلك غير واحد من السلف أيضا، أو تكون انطاكية ان كان لفظها محفوظا في هذه القصة مدينة أخرى غير هذه المشهورة المعروفة فان هذه لم يعرف أنها أهلكت لا في الملة النصرانية ولا قبل ذلك والله سبحانه وتعالى أعلم

فأما الحديث الذي رواه الحافظ أبو القاسم الطبراني حدثنا الحسين بن إسحاق التسترى حدثنا الحسين ابن أبي السري العسقلاني حدثنا حسين الاشقر حدثنا ابن عيينه عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال « السبق ثلاثة . فالسابق الى موسى عليه الصلاة والسلام يوشع بن نون ، والسابق إلى عيسى عليه الصلاة والسلام صاحب يس ، والسابق الى محمد ﷺ علي بن أبي طالب رضي الله عنه » فانه حديث منكر لا يعرف إلا من طريق حسين الاشقر وهو شيعي متروك والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب

يٰحسرة على العباد ما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزءون (٣٠) ألم يروا كم أهلكنا قبلهم من القرون أنهم إليهم لا يرجعون (٣١) وإنْ كل لمّا جميع لدينا مُحضرون (٣٢)

قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى (ياحسرة على العباد) أي ياويل العباد ، وقال قتادة (ياحسرة على العباد) أي ياحسرة العباد على أنفسهم على ماضيعت من أمر الله وفرطت في

﴿ فاذاهم خامدون ﴾ ميتون ﴿ ياحسرة على العباد ﴾ قال عكرمة يعني ياحسرتهم على أنفسهم والحسرة شدة الندامة وفيه قولان أحدهما يقول الله تعالى ياحسرة وندامة وكآبة على العباد يوم القيامة حين لم يؤمنوا بالرسل والآخر أنه من قول الهالكين، قال أبو العالية لما عاينوا العذاب قالوا ياحسرة أي ندامة

جنب الله ، وفي بعض القراءات ياحسرة العباد على أنفسها ، ومعنى هذا ياحسرتهم وندامتهم يوم القيامة اذا عاينوا العذاب كيف كذبوا رسل الله وخالفوا أمر الله فانهم كانوا في الدار الدنيا المكذبون منهم (ما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزئون) أي يكذبونه ويستهزئون به ويجحدون ما أرسل به من الحق . ثم قال تعالى (ألم يروا كم أهلكنا قبلهم من القرون أنهم اليهم لايرجعون) أي ألم يتعظوا بمن أهلك الله قبلهم من المكذبين للرسل كيف لم يكن لهم الى هذه الدنيا كرة ولا رجعة ولم يكن الامر كما زعم كثير من جهلتهم وفجرتهم من قولهم إن هي الاحياتنا الدنيا نموت ونحيي وهم القائلون بالدور من الدهرية وهم الذين يعتقدون جهلا منهم أنهم يعودون الى الدنيا كما كانوا فيها فرد الله تبارك وتعالى عليهم باطلهم فقال تبارك وتعالى (ألم يروا كم أهلكنا قبلهم من القرون أنهم اليهم لايرجعون)

وقوله عز وجل (وإن كل لما جميع لدينا محضرون) أي وان جميع الامم الماضية والآتية ستحضر للحساب يوم القيامة بين يدي الله جل وعلا فيجازيهم بأعمالهم كلها خيرها وشرها ، ومعنى هذا كقوله جل وعلا (وان كلا لما ليوفينهم ربك أعمالهم) وقد اختلف القراء في أداء هذا الحرف فمنهم من قرأ (وان كل لما) بالتخفيف فعنده أن إن للاثبات ومنهم من شدد (لما) وجعل ان نافية ولما بمعنى إلا تقديره وما كل إلا جميع لدينا محضرون ومعنى القراءتين واحد والله سبحانه وتعالى أعلم

وآية لهم الارض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حبًّا فمنه يأكلون (٣٣) وجعلنا فيها جنّٰت من نخيل وأعنٰب وفجّرنا فيها من العيون (٣٤) ليأكلوا من ثمره وما عملته أيديهم أفلا يشكرون؟ (٣٥) سبحٰن الذي خلق الازواج كلّها مما تنبت الارض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون (٣٦)

على العباد يعني على الرسل الثلاثة حيث لم يؤمنوا بهم فتمنوا الايمان حين لم ينفعهم قال الازهري الحسرة لاتدعى ودعاؤها تنبيه المخاطبين وقيل العرب تقول ياحسرتي وياعجبا على طريق المبالغة ، والنداء عندهم بمعنى التنبيه فكأنه يقول أيها العجب هذا وقتك وأيتها الحسرة هذا أوانك ، وحقيقة المعنى أن هذا زمان الحسرة والتعجب ، ثم بين سبب الحسرة والندامة فقال ﴿ ما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزئون * ألم يروا ﴾ ألم يخبروا يعني أهل مكة ﴿ كم أهلكنا قبلهم من القرون ﴾ والقرن أهل كل عصر سموا بذلك لاقترانهم في الوجود ﴿ أنهم اليهم لايرجعون ﴾ أي لايعودون الى الدنيا أفلا يعتبرون بهم ﴿ وان كل لما جميع ﴾ قرأ عاصم وحمزة لما بالتشديد ههنا وفي الزخرف والطارق وافق ابن عامر الا في الزخرف ووافق أبو جعفر في الطارق ، وقرأ الآخرون بالتخفيف فمن شدد جعل إن بمعنى الجحد ولما بمعنى الا تقديره وما كل الا جميع ، ومن خفف جعل ان للتحقيق وما صلة مجازه كل جميع ﴿ لدينا محضرون * وآية لهم الارض الميتة أحييناها ﴾ بالمطر ﴿ وأخرجنا منها حبا ﴾ يعني الحنطة والشعير وما

يقول تبارك وتعالى (وآية لهم) أي دلالة لهم على وجود الصانع وقدرته التامة واحيائه الموتى (الارض الميتة) أي إذا كانت ميتة هامدة لاشيء فيها من النبات ، فاذا أنزل الله تعالى عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج ، ولهذا قال تعالى (أحييناها وأخرجنا منها حبا فمنه يأكلون) أي جعلناه رزقا لهم ولأنعامهم (وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب وفجرنا فيها من العيون) أي جعلنا فيها أنهاراً سارحة في أمكنة يحتاجون اليها ليأكلوا من ثمره ، لما امتن على خلقه بايجاد الزروع لهم عطف بذكر الثمار وتنوعها وأصنافها

وقوله جل وعلا (وما عملته أيديهم) أي وماذاك كله إلا من رحمة الله تعالى بهم لا بسعيهم ولا كدهم ولا بحولهم وقوتهم قاله ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة ولهذا قال تعالى (أفلا يشكرون) أي فهلا يشكرونه على ما أنعم به عليهم من هذه النعم التي لا تعد ولا تحصى ، واختار ابن جرير بل جزم به - ولم يحك غيره الا احتمالا - ان ما في قوله تعالى (وما عملته أيديهم) بمعنى الذي تقديره ليأكلوا من ثمره ومما عملته أيديهم أي غرسوه ونصبوه ، قال وهي كذلك في قراءة ابن مسعود رضي الله تعالى عنه (ليأكلوا من ثمره ومما عملته أيديهم أفلا يشكرون)

ثم قال تبارك وتعالى (سبحان الذي خلق الازواج كلها مما تنبت الارض) أي من زروع وثمار ونبات (ومن أنفسهم) فجعلهم ذكراً وأنثى (ومما لا يعلمون) أي من مخلوقات شتى لا يعرفونها كما قال جلت عظمته (ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون)

وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فاذا هم مظلمون (٣٧) والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم (٣٨) والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم (٣٩) لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون (٤٠)

أشبههما ﴿ فمنه يأكلون ﴾ أي من الحب ﴿ وجعلنا فيها جنات ﴾ بساتين ﴿ من نخيل وأعناب وفجرنا فيها ﴾ في الارض ﴿ من العيون ليأكلوا من ثمره ﴾ أي من الثمر الحاصل بالماء ﴿ وما عملته ﴾ قرأ حمزة والكسائي وأبو بكر عملت بغيرها، وقرأ الآخرون عملته بالهاء أي يأكلون من الذي عملته ﴿ أيديهم ﴾ من الزرع والغرس والهاء عائدة الى ما التي هي بمعنى الذي، وقيل ما للنفي في قوله (وما عملته أيديهم) أي وجدوها معمولة ولم تعمله أيديهم ولا صنع لهم فيها وهذا معنى قول الضحاك ومقاتل وقيل أراد العيون والانهار التي لم تعملها يد خلق مثل دجلة والفرات والنيل ونحوها ﴿ أفلا يشكرون ﴾ نعمة الله ﴿ سبحان الذي خلق الازواج كلها ﴾ أي الاصناف كلها ﴿ مما تنبت الارض ﴾ من الثمار والحبوب ﴿ ومن أنفسهم ﴾ يعني الذكور والاناث ﴿ ومما لا يعلمون ﴾ مما خلق من الاشياء من دواب البر والبحر ﴿ وآية لهم ﴾ تدل على قدرتنا ﴿ الليل نسلخ ﴾ ننزع ونكشط ﴿ منه النهار فاذا هم مظلمون ﴾ داخلون

يقول تعالى ومن الدلالة لهم على قدرته تبارك وتعالى العظيمة خلق الليل والنهار هـذا بظلامه وهذا بضيائه وجعلها يتعاقبان يجيء هـذا فيذهب هذا ، ويذهب هذا فيجيء هذا كما قال تعالى (يغشي الليل النهار يطلبه حثيثا) ولهذا قال عز وجل ههنا (وآية لهم الليل نسلخ منه النهار) أي نصرمه منه فيذهب فيقبل الليل ولهذا قال تبارك وتعالى (فاذا هم مظلمون) كما جاء في الحديث اذا « اذا أقبل الليل من ههنا وأدبر النهار من ههنا وغربت الشمس فقد أفطر الصائم » هذا هو الظاهر من الآية وزعم قتادة أنها كقوله تعالى (يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل) وقد ضعف ابن جرير قول قتادة ههنا ، وقال انما معنى الايلاج الاخذ من هذا في هذا وليس هذا مرادا في هذه الآية وهذا الذي قاله ابن جرير حق

وقوله جل جلاله (والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم) في معنى قوله (لمستقر لها) قولان أحدهما أن المراد مستقرها المـكاني وهو تحت العرش مما يلي الارض من ذلك الجانب وهي أينما كانت فهي تحت العرش هي وجميع المخـلوقات لانه سقفها وليس بكرة كما يزعمه كثير من أرباب الهيئة ، وانما هو قبة ذات قوائم تحمله الملائكة وهو فوق العالم مما يلي رءوس الناس فالشمس اذا كانت في قبة الفلك وقت الظهيرة تكون أقرب ماتكون إلى العرش، فاذا استدارت في فلـكها الرابع إلى مقابلة هذا المقام وهو وقت نصف الليل صارت أبعد ماتكون من العرش فحينئذ تسجد وتستأذن في الطلوع كما جاءت بذلك الاحاديث

في الظلمة ومعناه نذهب النهار ونجيء بالليل، وذلك ان الاصل هي الظلمة والنهار داخـل عليها ، فاذا غربت الشمس سلخ النهار من الليل فتظهر الظلمة ﴿ والشمس تجري لمستقر لها ﴾ أى الى مستقر لها قيل الى انتهاء سيرها عند انقضاء الدنيا وقيام الساعة، وقيل انهـا تسير حتى تنتهي الى أبعد مغاربها ثم ترجع فذلك مستقرها لانها لاتجاوزه ، وقيل مستقرها نهاية ارتفاعها في السماء في الصيف ونهاية هبوطها في الشتاء. وقد صح عن النبي ﷺ انه قال « مستقرها تحت العرش » أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسماعيل أنا الحميدي أنا وكيع عن الاعمش عن ابراهيم التيمي عن أبيه عن أبي ذر قال سألت رسول الله ﷺ عن قوله (والشمس تجري لمستقر لها) قال « مستقرها تحت العرش » أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد ابن يوسف أنا محمد بن اسماعيل أنا الحميدي أنا وكيع ثنا سفيان عن الاعمش عن ابراهيم عن أبيه عن أبي ذر قال قال رسول الله ﷺ لأبي ذر حين غربت الشمس « أتدري أين تذهب؟ » قال قلت الله ورسوله أعلم قال « فانها تذهب حتى تسجد تحت العرش فتستأذن فيؤذن لها، ويوشك أن تسجد فلايقبل منها وتستأذن فلا يؤذن لها ، فيقال لها ارجعي من حيث جئت، فتطلع من مغربها فذلك قوله تعالى والشمس تجري لمستقر لها » ﴿ ذلك تقدير العزيز العليم ﴾ وروى عمرو بن دينار عن ابن عباس

قال البخاري حدثنا أبو نعيم حدثنا الاعمش عن ابراهيم التيمي عن أبيه عن أبي ذر رضي الله عنه قال : كنت مع النبي ﷺ في المسجد عند غروب الشمس فقال ﷺ « يا أبا ذر أتدري أين تغرب الشمس ؟ » قلت الله ورسوله أعلم قال ﷺ « فانها تذهب حتى تسجد تحت العرش فذلك قوله تعالى (والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم) »

حدثنا عبدالله بن الزبير الحميدي حدثنا وكيع عن الاعمش عن ابراهيم التيمي عن أبيه عن أبي ذر رضي الله عنه قال : سألت رسول الله ﷺ عن قوله تبارك وتعالى (والشمس تجري لمستقر لها) قال ﷺ « مستقرها تحت العرش » هكذا أورده ههنا ، وقد أخرجه في أماكن متعددة ورواه بقية الجماعة الا ابن ماجه من طرق عن الاعمش به

وقال الامام احمد حدثنا محمد بن عبيد عن الاعمش عن ابراهيم التيمي عن أبيه عن أبي ذر قال كنت مع رسول الله ﷺ في المسجد حين وجبت الشمس فقال ﷺ « يا أبا ذر تدري أين تذهب الشمس ؟ » قلت الله ورسوله أعلم ، قال ﷺ « فانها تذهب حتى تسجد بين يدي ربها عز وجل فتستأذن في الرجوع فيؤذن لها وكأنها قد قيل لها ارجعي من حيث جئت فترجع إلى مطلعها وذلك مستقرها » ثم قرأ (والشمس تجري لمستقر لها)

وقال سفيان الثوري عن الاعمش عن ابراهيم التيمي عن أبيه عن أبي ذر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ لأبي ذر حين غربت الشمس « أتدري أين تذهب ؟ » قلت الله ورسوله أعلم قال ﷺ « فانها تذهب حتى تسجد تحت العرش فتستأذن فيؤذن لها ، ويوشك أن تسجد فلا يقبل منها ، وتستأذن فلا يؤذن لها ويقال لها ارجعي من حيث جئت فتطلع من مغربها » فذلك قوله تعالى (والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم)

وقال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن أبي اسحاق عن وهب بن جابر عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال في قوله تعالى (والشمس تجري لمستقر لها ، قال ان الشمس تطلع فتردها ذنوب بني آدم حتى اذا غربت سلمت وسجدت واستأذنت فيؤذن لها حتى اذا كان يوم غربت فسلمت وسجدت واستأذنت فلا يؤذن لها، فتقول ان المسير بعيد وإني ان لا يؤذن لي لا أبلغ فتحبس ماشاء الله أن تحبس ثم يقال لها اطلعي من حيث غربت قال فمن يومئذ الى يوم القيامة لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً ، وقيل المراد بمستقرها هو انتهاء سيرها وهو غاية ارتفاعها في السماء في الصيف وهو أوجها ، ثم غاية انخفاضها في الشتاء وهو الحضيض (والقول الثاني) أن المراد بمستقرها هو منتهى سيرها وهو يوم القيامة يبطل سيرها وتسكن حركتها وتكور وينتهي هذا العالم الى غايته

(والشمس تجرى لامستقر لها) وهي قراة ابن مسعود أي لاقرار لها ولا وقوف فهي جارية أبدا (ذلك

وهذا هو مستقرها الزماني ، قال قتادة (لمستقر لها) أي لوقتها ولاجل لاتعدوه ، وقيل المراد أنها لاتزال تنتقل في مطالعها الصيفية الى مدة لاتزيد عليها ثم تنتقل في مطالع الشتاء الى مدة لاتزيد عليها يروى هذا عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما

وقرأ ابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهم (والشمس تجري لامستقر لها) أي لاقرار لها ولا سكون ، بل هي سائرة ليلا ونهاراً لاتفتر ولا تقف كما قال تبارك وتعالى (وسخر لكم الشمس والقمر دائبين) أي لايفتران ولا يقفان الى يوم القيامة (ذلك تقدير العزيز) أي الذي لايخالف ولا يمانع (العليم) بجميع الحركات والسكنات وقد قدر ذلك ووقته على منوال لااختلاف فيه ولا تعاكس كما قال عز وجل (فالق الاصباح وجعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا ذلك تقدير العزيز العليم وهكذا ختم آية حم السجدة بقوله تعالى (ذلك تقدير العزيز العليم) ثم قال جل وعلا، والقمر قدرناه منازل) أي جعلناه يسير سيراً آخر يستدل به على مضي الشهور كما أن الشمس يعرف بها الليل والنهار كما قال عز وجل (يسألونك عن الاهلة قل هي مواقيت للناس والحج)

وقال تعالى (هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نوراً وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب) الآية ، وقال تبارك وتعالى (وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب وكل شيء فصلناه تفصيلا) فجعل الشمس لها ضوء يخصها والقمر له نور يخصه وفاوت بين سير هذه وهذا فالشمس تطلع كل يوم وتغرب في آخره على ضوء واحد ولكن تنتقل في مطالعها ومغاربها صيفا وشتاء يطول بسبب ذلك النهار ويقصر الليل ثم يطول الليل ويقصر النهار وجعل سلطانها بالنهار فهي كوكب نهاري ، وأما القمر فقدره منازل يطلع في أول ليلة من الشهر ضئيلا قليل النور ثم يزداد نورا في الليلة الثانية ويرتفع منزلة ثم كلما ارتفع ازداد ضياء وإن كان مقتبسا من الشمس حتى يتكامل نوره في الليلة الرابعة عشرة ثم يشرع في النقص إلى آخر الشهر حتى يصير كالعرجون القديم . قال ابن عباس رضي الله عنهما وهو أصل العذق

وقال مجاهد العرجون القديم أي العذق اليابس يعني ابن عباس رضي الله عنهما أصل العنقود من الرطب اذا عتق ويبس وانحنى ، وكذا قال غيرهما ثم بعد هذا يبديه الله تعالى جديدا في أول الشهر الآخر والعرب تسمي كل ثلاث ليال من الشهر باسم باعتبار القمر فيسمون الثلاث الاول غرر واللواتي بعدها نقل، واللواتي بعدها تسع لان أخراهن التاسعة واللواتي بعدها عشر لان أولاهن العاشرة واللواتي

تقدير العزيز العليم) ﴿والقمر قدرناه﴾ أى قدرنا له قرأ ابن كثير ونافع وأهل البصرة القمر برفع الراء لقوله [وآية لهم الليل - والشمس - والقمر] وقرأ الآخرون بالنصب لقوله [قدرناه] أى قدرنا القمر ﴿منازل﴾ وقد ذكرنا أسامي المنازل في سورة يونس فاذا صار القمر الى آخر المنازل دق فذلك قوله ﴿حتى عاد كالعرجون القديم﴾ والعرجون عود العذق الذي عليه الشماريخ فاذا قدم وعتق يبس

بعدها البيض لان ضوء القمر فيهن الى آخرهن ، واللواتي بعدهن درع جمع درعاء لان أولهن أسود لتأخر القمر في أولهن منه ومنه الشاة الدرعاء وهي التي رأسها أسود وبعدهن ثلاث ظلم ثم ثلاث حنادس وثلاث دأدى وثلاث محاق لانمحاق القمر أول الشهر فيهن ، وكان أبو عبيدة رضي الله عنه ينكر التسع والعشر . كذا قال في كتاب غريب المصنف

وقوله تبارك وتعالى (لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر) قال مجاهد لكل منهما حد لا يعدوه ولا يقصر دونه اذا جاء سلطان هذا ذهب هذا ، واذا ذهب سلطان هذا جاء سلطان هذا ، وقال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن الحسن في قوله تعالى (لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر) قال ذلك ليلة الهلال. وروى ابن ابي حاتم ههنا عن عبد الله بن المبارك أنه قال ان للريح جناحا وان القمر يأوي الى غلاف من الماء ، وقال الثوري عن اسماعيل بن أبي خالد عن أبي صالح لا يدرك هذا ضوء هذا ولا هذا ضوء هذا . وقال عكرمة في قوله عز وجل (لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر) يعني ان لكل منهما سلطانا فلا ينبغي للشمس أن تطلع بالليل

وقوله تعالى (ولا الليل سابق النهار) يقول لا ينبغي اذا كان الليل أن يكون ليل آخر حتى يكون النهار فسلطان الشمس بالنهار وسلطان القمر بالليل ، وقال الضحاك لا يذهب الليل من ههنا حتى يجيء النهار من ههنا وأومأ بيده الى المشرق ، وقال مجاهد (ولا الليل سابق النهار) يطلبان حثيثين ينسلخ أحدهما من الآخر ، والمعنى في هذا أنه لا فترة بين الليل والنهار بل كل منهما يعقب الآخر بلا مهلة ولا تراخ لأنهما مسخران دائبين يتطالبان طلبا حثيثا

وقوله تبارك وتعالى (وكل في فلك يسبحون) يعني الليل والنهار والشمس والقمر كلهم يسبحون أي يدورون في فلك السماء . قاله ابن عباس وعكرمة والضحاك والحسن وقتادة وعطاء الخراساني ، وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في فلك بين السماء والارض . رواه ابن أبي حاتم وهو غريب جدا بل منكر ، قال ابن عباس رضي الله عنهما وغير واحد من السلف في فلكة كفلكة المغزل ، وقال مجاهد الفلك كحديدة الرحى أو كفلكة المغزل لا يدور المغزل إلا بها ولا تدور إلا به

وتقوس واصفر فشبه القمر في دقته وصفرته في آخر المنازل به ﴿ لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ﴾ أي لا يدخل النهار على الليل قبل انقضائه ولا يدخل الليل على النهار قبل انقضائه وهو قوله تعالى ﴿ ولا الليل سابق النهار ﴾ أى هما يتعاقبان بحساب معلوم لا يجيء أحدهما قبل وقته ، وقيل لا يدخل أحدهما في سلطان الآخر لا تطلع الشمس بالليل ولا يطلع القمر بالنهار وله ضوء ، وإذا اجتمعا وأدرك كل واحد منهما صاحبه قامت القيامة وقيل (لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر) أى لا تجتمع معه في فلك واحد (ولا الليل سابق النهار) أي لا يتصل ليل بليل لا يكون بينهما نهار فاصل ﴿ وكل في فلك

وآية لهم أنا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون (٤١) وخلقنا لهم من مثله ما يركبون (٤٢)

وان نشأ نغرقهم فلا صريخ لهم ولا هم ينقذون (٤٣) الا رحمة منا ومتاعا الى حين (٤٤)

يقول تبارك وتعالى ودلالة لهم أيضاً على قدرته تبارك وتعالى تسخيره البحر ليحمل السفن فمن ذلك بل أوله سفينة نوح عليه الصلاة والسلام التي أنجاه الله تعالى فيها بمن معه من المؤمنين الذين لم يبق على وجه الارض من ذرية آدم عليه الصلاة والسلام غيرهم ولهذا قال عز وجل (وآية لهم أنا حملنا ذريتهم) أي آباءهم (في الفلك المشحون) أى في السفينة المملوءة من الامتعة والحيوانات التي أمره الله تبارك وتعالى أن يحمل فيها من كل زوجين اثنين ، قال ابن عباس رضي الله عنهما المشحون الموقر ، وكذا قال سعيد بن جبير والشعبي وقتادة والسدي ، وقال الضحاك وقتادة وابن زيد وهي سفينة نوح عليه الصلاة والسلام

وقوله جل وعلا (وخلقنا لهم من مثله ما يركبون) قال العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما يعني بذلك الابل فانها سفن البر يحملون عليها ويركبونها ، وكذا قال عكرمة ومجاهد والحسن وقتادة في رواية عبد الله بن شداد وغيرهم ، وقال السدي في رواية هي الانعام

وقال ابن جرير حدثنا الفضل بن الصباح حدثنا محمد بن فضيل عن عطاء عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال أتدرون ما قوله تعالى (وخلقنا لهم من مثله ما يركبون) قلنا لا ، قال هي السفن جعلت من بعد سفينة نوح عليه الصلاة والسلام على مثلها ، وكذا قال أبو مالك والضحاك وقتادة وأبو صالح والسدي أيضا المراد بقوله تعالى (وخلقنا لهم من مثله ما يركبون) أى السفن ، ويقوي هذا المذهب في المعنى قوله جل وعلا (انا لما طغا الماء حملناكم في الجارية * لنجعلها لكم تذكرة وتعيها أذن واعية

وقوله عز وجل (وإن نشأ نغرقهم) يعنى الذين في السفن (فلا صريخ لهم) أى فلا مغيث لهم

يسبحون ﴾ يجرون ﴿ وآية لهم أنا حملنا ذريتهم ﴾ قرأ أهل المدينة والشام ويعقوب ذرياتهم بالجمع وقرأ الآخرون ذريتهم على التوحيد فمن جمع كسر التاء ومن لم يجمع نصبها والمراد بالذرية الآباء والاجداد واسم الذرية يقع على الآباء كما يقع على الاولاد ﴿ في الفلك المشحون ﴾ أي المملوء وأراد سفينة نوح وهؤلاء من نسل من حمل مع نوح وكانوا في أصلابهم ﴿ وخلقنا لهم من مثله ما يركبون ﴾ قيل أراد به السفن التي عملت بعد سفينة نوح على هيئتها وقيل أراد به السفن الصغار التي تجري في الانهار فهي في الانهار كالفلك الكبار في البحار هذا قول قتادة والضحاك وغيرهما ، وروى عن ابن عباس أنه قال (وخلقنا لهم من مثله ما يركبون) يعني الابل فالابل في البر كالسفن في البحر ﴿ وان نشأ نغرقهم فلا صريخ ﴾ أي لا مغيث ﴿ لهم ولا هم ينقذون ﴾ ينجون من الغرق قال ابن عباس ولا أحد ينقذهم من

مما هم فيه (ولاهم ينقذون) أي مما أصابهم (إلا رحمة منا) وهذا استثناء منقطع تقديره ولكن برحمتنا نسيركم في البر والبحر ونسلمكم إلى أجل مسمى ولهذا قال تعالى (ومتاعا الى حين) أى إلى وقت معلوم عند الله عز وجل

واذا قيل لهم اتقوا مابين أيديكم وما خلفكم لعلكم تُرحمون (٤٥) وما تأتيهم من آية من آيٰت ربهم الا كانوا عنها معرضين (٤٦) واذا قيل لهم أنفقوا مما رزقكم الله قال الذين كفروا للذين آمنوا أنطعم من لو يشاء الله أطعمه ، ان أنتم الا في ضلال مبين (٤٧)

يقول تعالى مخبرا عن تمادي المشركين في غيهم وضلالهم وعدم اكتراثهم بذنوبهم التي أسلفوها وما يستقبلون بين أيديهم يوم القيامة (واذا قيل لهم اتقوا مابين أيديكم وما خلفكم) قال مجاهد من الذنوب ، وقال غيره بالعكس (لعلكم ترحمون) أي لعل الله باتقائكم ذلك يرحمكم ويؤمنكم من عذابه وتقدير الكلام أنهم لايجيبون الى ذلك بل يعرضون عنه ، واكتفى عن ذلك بقوله تعالى (وما تأتيهم من آية من آيات ربهم) أي على التوحيد وصدق الرسل (إلا كانوا عنها معرضين) أي لايتأملونها ولا يقبلونها ولا ينتفعون بها

قوله عز وجل (واذا قيل لهم أنفقوا مما رزقكم الله) أي واذا أمروا بالانفاق مما رزقهم الله على الفقراء والمحاويج من المسلمين (قال الذين كفروا للذين آمنوا) أي عن الذين آمنوا من الفقراء أي قالوا لمن أمرهم من المؤمنين بالانفاق محاجين لهم فيما أمروهم به (أنطعم من لو يشاء الله أطعمه) أي هؤلاء الذين أمرتمونا بالانفاق عليهم لو شاء الله لأغناهم ولأطعمهم من رزقه فنحن نوافق مشيئة

عذابي ﴿ إلا رحمة منا ومتاعا الى حين ﴾ إلى انقضاء آجالهم يعني إلا أن يرحمهم ويمتعهم الى حين آجالهم ﴿ واذا قيل لهم اتقوا مابين ايديكم وما خلفكم ﴾ قال ابن عباس مابين ايديكم يعني الآخرة فاعملوا لها وما خلفكم يعني الدنيا فاحذروها ولا تغتروا بها وقيل مابين ايديكم وقائع الله فيمن كان قبلكم من الامم وما خلفكم عذاب الآخرة وهو قول قتادة ومقاتل ﴿ لعلكم ترحمون ﴾ والجواب محذوف تقديره اذا قيل لهم هذا أعرضوا عنه دليله مابعده

﴿ وما تأتيهم من آية من آيات ربهم ﴾ أي دلالة على صدق محمد ﷺ ﴿ إلا كانوا عنها معرضين * واذا قيل لهم أنفقوا مما رزقكم الله ﴾ أعطاكم الله ﴿ قال الذين كفروا للذين آمنوا أنطعم ﴾ أنرزق ﴿ من لو يشاء الله أطعمه ﴾ وذلك أن المؤمنين قالوا لكفار مكة أنفقوا على المساكين مما زعمتم من أموالكم أنه لله وهو ماجعلوه لله من حروثهم وانعامهم قالوا أنطعم أنرزق من لو يشاء الله أطعمه رزقه ثم لم يرزقه مع قدرته عليه فنحن نوافق مشيئة الله فلا نطعم من لم يطعمه الله ، وهذا مما يتمسك به البخلاء

الله تعالى فيهم (إن أنتم الا في ضلال مبين) أي في أمركم لنا بذلك ، قال ابن جرير ويحتمل أن يكون من قول الله عز وجل للكفار حين ناظروا المؤمنين وردوا عليهم فقال لهم (إن أنتم إلا في ضلال مبين) وفي هذا نظر والله أعلم

ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صٰدقين؟ (٤٨) ماينظرون إلا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصّمون (٤٩) فلا يستطيعون توصية ولا الى أهلهم يرجعون (٥٠)

يخبر تعالى عن استبعاد الكفرة لقيام الساعة في قولهم (متى هذا الوعد) يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها قال الله عز وجل (ماينظرون الا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون) أي ماينتظرون الا صيحة واحدة وهذه والله أعلم نفخة الفزع ، ينفخ في الصور نفخة الفزع والناس في أسواقهم ومعايشهم يختصمون ويتشاجرون على عادتهم فبينما هم كذلك إذ أمر الله عز وجل اسرافيل فنفخ في الصور نفخة يطولها ويمدها فلا يبقى أحد على وجه الارض الا أصغى ليتا ورفع ليتا وهي صفحة العنق يتسمع الصوت من قبل السماء ، ثم يساق الموجودون من الناس الى محشر القيامة بالنار تحيط بهم من جوانبهم ولهذا قال تعالى (فلا يستطيعون توصية) أي على مايملكونه الامر أهم من ذلك (ولا إلى أهلهم يرجعون) وقد وردت ههنا آثار وأحاديث ذكرناها في موضع آخر ثم يكون بعد هذا نفخة الصعق التي تموت بها الاحياء كلهم ماعدا الحي القيوم ثم بعد ذلك نفخة البعث

يقولون لانعطي من حرمه الله وهذا الذي يزعمون باطل لان الله أغنى بعض الخلق وأفقر بعضهم ابتلاء فمنع الدنيا من الفقير لابخلا وأمر الغني بالانفاق لاحاجة الى ماله ولكن ليبلو الغني بالفقير فيما أمر وفرض له في مال الغني ولا اعتراض لاحد على مشيئة الله وحكمه في خلقه ﴿ان أنتم إلا في ضلال مبين﴾ يقول الكفار للمؤمنين ما انتم إلا في خطأ بين في اتباعكم محمدا وترك مانحن عليه ﴿ ويقولون متى هذا الوعد ﴾ أي القيامة والبعث ﴿ إن كنتم صادقين ﴾ قال الله تعالى ﴿ماينظرون﴾ أي ينتظرون ﴿ إلا صيحة واحدة ﴾ قال ابن عباس يريد النفخة الاولى ﴿ تأخذهم وهم يخصمون ﴾ يعني يختصمون في امر الدنيا من البيع والشراء ويتكلمون في المجالس والاسواق قرأ حمزة يخصمون بسكون الخاء وتخفيف الصاد أي يغلب بعضهم بعضا بالخصام وقرأ الآخرون بتشديد الصاد أي يختصمون ادغمت التاء في الصاد، ثم ابن كثير ويعقوب وورش يفتحون الخاء بنقل حركة التاء المدغمة اليها ويجزمها أبو جعفر وقالون ويروم فتحة الخاء ابو عمرو ، وقرأ الباقون بكسر الخاء وروينا أن النبي ﷺ قال « لتقومن الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما بينهما فلا يتبايعانه ولا يطويانه ، ولتقومن الساعة وقد رفع رجل أكلته الى فيه فلا يطعمها »

قوله عز وجل ﴿ فلا يستطيعون توصية ﴾ أي لايقدرون على الايصاء قال مقاتل عجلوا عن الوصية

ونُفخ في الصور فاذا هم من الاجداث إلى ربهم ينسلون (٥١) قالوا يٰويلنا من بعثنا من مرقدنا؟ هذا ماوعد الرحمٰن وصدق المرسلون (٥٢) ان كانت الاصيحة واحدة فاذاهم جميع لدينا محضرون (٥٣) فاليوم لاتُظلَم نفس شيئا ولا تجزون الا ما كنتم تعملون (٥٤)

هذه هي النفخة الثالثة وهي نفخة البعث والنشور للقيام من الاجداث والقبور ولهذا قال تعالى (فاذا هم من الاجداث الى ربهم ينسلون) والنسلان هو المشي السريع كما قال تعالى (يوم يخرجون من الاجداث سراعا كأنهم الى نصب يوفضون) (قالوا ياويلنا من بعثنا من مرقدنا ؟) يعنون قبورهم التي كانوا يعتقدون في الدار الدنيا أنهم لايبعثون منها فلما عاينوا ماكذبوا به في محشرهم (قالوا ياويلنا من بعثنا من مرقدنا) وهذا لاينفي عذابهم في قبورهم لانه بالنسبة الى مابعده في الشدة كالرقاد . قال أبي بن كعب رضي الله عنه ومجاهد والحسن وقتادة ينامون نومة قبل البعث ، قال قتادة وذلك بين النفختين فلذلك يقولون من بعثنا من مرقدنا فاذا قالوا ذلك أجابهم المؤمنون قاله غير واحد من السلف (هذا ماوعد الرحمن وصدق المرسلون) وقال الحسن انما يجيبهم بذلك الملائكة ولا منافاة إذ الجمع ممكن والله سبحانه وتعالى أعلم

وقال عبدالرحمن بن زيد الجميع من قول الكفار (ياويلنا من بعثنا من مرقدنا ؟ هذا ماوعد الرحمن وصدق المرسلون) نقله ابن جرير واختار الاول وهو أصح وذلك كقوله تبارك وتعالى في الصافات [وقالوا ياويلنا هذا يوم الدين * هذا يوم الفصل الذي كنتم به تكذبون] وقال الله عز وجل [ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون مالبثوا غير ساعة كذلك كانوا يؤفكون * وقال الذين أوتوا العلم والايمان لقد لبثتم في كتاب الله الى يوم البعث فهذا يوم البعث ولكنكم كنتم لاتعلمون]

فماتوا ﴿ ولا الى اهلهم يرجعون ﴾ ينقلبون والمعنى أن الساعة لاتمهلهم لشيء ﴿ ونفخ في الصور ﴾ وهي النفخة الاخيرة نفخة البعث وبين النفختين اربعون سنة ﴿ فاذاهم من الاجداث ﴾ يعني القبور واحدها جدث ﴿ الى ربهم ينسلون ﴾ يخرجون من القبور أحياء ومنه قيل للولد نسل لخروجه من بطن أمه ﴿ قالوا ياويلنا من بعثنا من مرقدنا ﴾ قال أبي بن كعب وابن عباس وقتادة انما يقولون هذا لان الله تعالى يرفع عنهم العذاب بين النفختين فيرقدون فاذا بعثوا بعد النفخة الاخيرة وعاينوا القيامة دعوا بالويل . وقال أهل المعاني ان الكفار اذا عاينوا جهنم وانواع عذابها صار عذاب القبر في جنبها كالنوم فقالوا ياويلنا من بعثنا من مرقدنا ثم قال ﴿ هذا ماوعد الرحمن وصدق المرسلون ﴾ أقروا حين لم ينفعهم الاقرار وقيل قالت الملائكة لهم هذا ماوعد الرحمن وصدق المرسلون قال مجاهد يقول الكفار من بعثنا من مرقدنا فيقول المؤمنون هذا ماوعد الرحمن وصدق المرسلون ﴿ ان كانت ﴾ ما كانت

قوله تعالى (إن كانت الا صيحة واحدة فاذا هم جميع لدينا محضرون) كقوله عز وجل [فانما هي زجرة واحدة فاذا هم بالساهرة] وقال جلت عظمته [وما أمر الساعة الا كلمح البصر أوهو أقرب] وقال جل جلاله [يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده وتظنون إن لبثتم الاقليلا] أي انما نأمرهم أمراً واحداً فاذا الجميع محضرون [فاليوم لا تظلم نفس شيئا] أي من عملها [ولا تجزون الا ما كنتم تعملون]

إِنَّ أَصْحَـٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَـٰكِهُونَ (٥٥) هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِي ظِلَـٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ

مُتَّكِـُٔونَ (٥٦) لَهُمْ فِيهَا فَـٰكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ (٥٧) سَلَـٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ (٥٨)

يخبر تعالى عن أهل الجنة أنهم يوم القيامة اذا ارتحلوا من العرصات فنزلوا في روضات الجنات أنهم في شغل عن غيرهم بما هم فيه من النعيم المقيم والفوز العظيم ، قال الحسن البصري واسماعيل بن أبي خالد في شغل عما فيه أهل النار من العذاب ، وقال مجاهد [في شغل فاكهون] أي في نعيم معجبون أي به ، وكذا قال قتادة وقال ابن عباس رضي الله عنهما فاكهون أي فرحون ، قال عبـد الله بن مسعود وابن عباس رضي الله عنهما وسعيد بن المسيب وعكرمة والحسن وقتادة والاعمش وسليمان التيمي والاوزاعي في قوله تبارك وتعالى (إن أصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون) قالوا شغلهم افتضاض الابكار ، وقال ابن عباس رضي الله عنهما في رواية عنـه (في شغل فاكهون) أي بسماع الاوتار ، وقال أبو حاتم لعله غلط من المستمع وانما هو افتضاض الابكار

وقوله عز وجل (هم وأزواجهم) قال مجاهد وحلائلهم (في ظلال) أي في ظلال الاشجار (على الارائك متكئون) قال ابن عباس ومجاهد وعكرمة ومحمد بن كعب والحسن وقتادة والسدي وخصيف (الارائك) هي السرر تحت الحجال قلت نظيره في الدنيا هـذه التخوت تحت البشاخين والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿ إلا صيحة واحدة ﴾ يعنى النفخة الاخيرة ﴿ فاذا هم جميع لدينا محضرون * فاليوم لا تظلم نفس شيئا ولا تجزون إلا ما كنتم تعملون * إن اصحاب الجنة اليوم في شغل ﴾ قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو في شغل بسكون الغين، والباقون بضمها وهما لغتان مثل السحت والسحت، واختلفوا في معنى الشغل قال ابن عباس في افتضاض الابكار وقال وكيع بن الجراح في السماع وقال الكلبي في شغل عن أهل النار وعما هم فيه لايهمهم امرهم ولا يذكرونهم وقال الحسن شغلوا بما في الجنة من النعيم عما فيه أهل النار من العذاب وقال ابن كيـسان في زيارة بعضهم بعضا وقيل في ضيافة الله تعالى ﴿ فاكهون ﴾ قرأ أبو جعفر فكهون حيث كان وافقـه حفص في المطففين وهما لغتان مثل الحاذر والحذر أي ناعمون قال مجاهد والضحاك معجبون بما هم فيه وعن ابن عباس قال فرحون ﴿ هم وأزواجهم ﴾ أي حلائلهم ﴿ في ظلال ﴾ قرأ حمزة والكسائي ظلل بضم الظاء من غير ألف جمع ظلة وقرأ العامة في ظلال بالالف وكسر الظاء على جمع ظل ﴿ على الارائك ﴾ يعني السرر في الحجال واحدتها أريكة قال ثعلب لا تكون

وقوله عز وجل (لهم فيها فاكهة) أي من جميع أنواعها (ولهم مايدعون) أي مهما طلبوا وجدوا من جميع أصناف الملاذ . قال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن عوف الحمصي حدثنا عثمان بن سعيد بن كثير بن دينار حدثنا محمد بن مهاجر عن الضحاك المعافري عن سليمان بن موسى حدثني كريب أنه سمع أسامة بن زيد رضي الله عنهما يقول : قال رسول الله ﷺ « ألا هل مشمر الى الجنة؟ فان الجنة لاخطر لها هي ورب الكعبة نور كلها يتلألأ ، وريحانة تهتز ، وقصر مشيد ، ونهر مطرد ، وثمرة نضيجة ، وزوجة حسناء جميلة وحلل كثيرة ، ومقام في أبد في دار سلامة ، وفاكهة خضرة وخير ونعمة في محلة عالية بهية » قالوا نعم يارسول الله نحن المشمرون لها ، قال ﷺ « قولوا إن شاء الله » فقال القوم إن شاء الله ، وكذا رواه ابن ماجه في كتاب الزهد من سننه من حديث الوليد بن مسلم عن محمد بن مهاجر به

وقوله تعالى (سلام قولا من رب رحيم) قال ابن جريج قال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى (سلام قولا من رب رحيم) فان الله تعالى نفسه سلام على أهل الجنة وهذا الذي قاله ابن عباس رضي الله عنهما كقوله تعالى [تحيتهم يوم يلقونه سلام]

وقد روى ابن أبي حاتم ههنا حديثا وفي اسناده نظر فانه قال : حدثنا موسى بن يوسف حدثنا محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب حدثنا أبو عاصم العباداني حدثنا الفضل الرقاشي عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ « بينا أهل الجنة في نعيمهم إذ سطع عليهم نور فرفعوا رءوسهم فاذا الرب تعالى قد أشرف عليهم من فوقهم فقال السلام عليكم ياأهل الجنة فذلك قوله تعالى (سلام قولا من رب رحيم) قال فينظر اليهم وينظرون اليه فلا يلتفتون إلى شيء من النعيم ماداموا ينظرون اليه حتى يحتجب عنهم ويبقى نوره وبركته عليهم وفي ديارهم » ورواه ابن ماجه في كتاب السنة من سننه عن محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب به

وقال ابن جرير حدثنا يونس بن عبد الاعلى أخبرنا ابن وهب حدثنا حرملة عن سليمان بن حميد

أريكة حتى يكون عليها حجلة ﴿ متكئون ﴾ ذوو تكأة ﴿ لهم فيها فاكهة ولهم مايدعون ﴾ يتمنون ويشتهون ﴿ سلام قولا من رب رحيم ﴾ أى يسلم الله عليهم قولا أى يقول الله لهم قولا

اخبرنا أبو سعيد احمد بن ابراهيم الشريحي أنا أبو اسحاق احمد بن محمد بن ابراهيم الثعلبي أنا عبد الخالق بن علي بن عبد الخالق المؤذن حدثني أبو بكر احمد بن محمد بن موسى الملحمي الاصفهاني أنا الحسن بن أبي علي الزعفراني أنا ابن أبي الشوارب أنا أبو عاصم العباداني أنا الفضل الرقاشي عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ « بينا أهل الجنة في نعيمهم اذ سطع لهم نور فرفعوا رءوسهم فاذا الرب تبارك وتعالى قد اشرف عليهم من فوقهم فقال السلام عليكم يا أهل الجنة فذلك قوله (سلام قولا من رب رحيم) فينظر اليهم وينظرون اليه

قال سمعت محمد بن كعب القرظي يحدث عن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه قال: اذا فرغ الله تعالى من أهل الجنة والنار أقبل في ظلل من الغمام والملائكة قال فيسلم على أهل الجنة فيردون عليه السلام قال القرظي وهذا في كتاب الله تعالى (سلام قولا من رب رحيم)فيقول الله عز وجل سلوني فيقولون ماذا نسألك أى رب ؟ قال بلى سلوني ، قالوا نسألك أي رب رضاك ، قال رضائي أحلكم دار كرامتي قالوا فما الذي نسألك فوعزتك وجلالك وارتفاع مكانك لو قسمت علينا رزق الثقلين لاطعمناهم ولأسقيناهم ولألبسناهم ولأخدمناهم لاينقصنا ذلك شيئا ، قال تعالى إن لدي مزيداً قال فيفعل ذلك بهم في درجهم حتى يستوي في مجلسه ، قال ثم تأتيهم التحف من الله عز وجل تحملها اليهم الملائكة ثم ذكر نحوه . وهذا خبر غريب أورده ابن جرير من طرق والله أعلم

وامتٰزوا اليوم أيها المجرمون (٥٩) ألم أعهد إليكم يٰبنى آدم أن لا تعبدوا الشيطٰن إنه لكم عدو مبين (٦٠) وأن اعبدوني هذا صراط مستقيم (٦١) ولقد أضل منكم جبلاً كثيرا أفلم تكونوا تعقلون ؟ (٦٢)

يقول تعالى مخبراً عما يؤول اليه حال الكفار يوم القيامة من أمره لهم أن يمتازوا بمعنى يتميزون عن المؤمنين في موقفهم كقوله تعالى[ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين أشركوا مكانكم أنتم وشركاؤكم فزيلنا بينهم] وقال عز وجل [ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون - يومئذ يصدعون] أي يصيرون صدعين فرقتين [احشروا الذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله فاهدوهم إلى صراط الجحيم]

وقوله تعالى (ألم أعهد اليكم يابني آدم أن لاتعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين) هذا تقريع من الله تعالى للكفرة من بني آدم الذين أطاعوا الشيطان وهو عدو لهم مبين وعصوا الرحمن وهو الذي خلقهم ورزقهم ولهذا قال تعالى (وأن اعبدوني هذا صراط مستقيم) أي قد أمرتكم في دار الدنيا بعصيان

فلا يلتفتون الى شيء من النعيم ماداموا ينظرون اليه حتى يحتجب عنهم فيبقى نوره وبركته عليهم في ديارهم وقيل يسلم عليهم في ديارهم وقيل تسلم عليهم الملائكة من ربهم وقال مقاتل تدخل الملائكة على أهل الجنة من كل باب يقولون سلام عليكم يا أهل الجنة من ربكم الرحيم وقيل يعطيهم السلامة يقول اسلموا السلامة الابدية

قوله تعالى ﴿ وامتازوا اليوم أيها المجرمون ﴾ قال مقاتل اعتزلوا اليوم من الصالحين قال أبو العالية تميزوا وقال السدي كونوا على حدة وقال الزجاج انفردوا عن المؤمنين قال الضحاك : إن لكل كافر في النار بيتا يدخل ذلك البيت ويردم بابه بالنار فيكون فيه أبد الآبدين لايرى ولا يرى ﴿ ألم أعهد اليكم يابني آدم ﴾ ألم آمركم يابني آدم ﴿ أن لا تعبدوا الشيطان ﴾ أى لاتطيعوا الشيطان في معصية الله ﴿ إنه لكم عدو مبين ﴾ ظاهر العداوة ﴿ وأن اعبدوني ﴾ أطيعوني ووحدوني ﴿ هذا صراط مستقيم ﴾

الشيطان وأمرتكم بعبادتي وهذا هو الصراط المستقيم فسلكتم غير ذلك واتبعتم الشيطان فيما أمركم به ولهذا قال عز وجل (ولقد أضل منكم جبلا كثيراً) يقال جبلا بكسر الجيم وتشديد اللام ، ويقال جبلا بضم الجيم والباء وتخفيف اللام ، ومنهم من يسكن الباء والمراد بذلك الخلق الكثير قاله مجاهد وقتادة والسدي وسفيان بن عيينة

وقوله تعالى (أفلم تكونوا تعقلون) أي أفما كان لكم عقل في مخالفة ربكم فيما أمركم به من عبادته وحده لاشريك له وعدولكم إلى اتباع الشيطان

قال ابن جريج حدثنا أبو كريب حدثنا عبد الرحمن بن محمد المحاربي عن اسماعيل بن رافع عمن حدثه عن محمد بن كعب القرظي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « اذا كان يوم القيامة أمر الله تعالى جهنم فيخرج منها عنق ساطع مظلم يقول (ألم أعهد اليكم يابني آدم أن لاتعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين * وأن اعبدوني هذا صراط مستقيم * ولقد أضل منكم جبلا كثيراً أفلم تكونوا تعقلون * هذه جهنم التي كنتم توعدون - وامتازوا اليوم أيها المجرمون) فيتميز الناس ويجثون وهي التي يقول الله عز وجل [وترى كل أمة جاثية * كل أمة تدعى إلى كتابها اليوم تجزون ماكنتم تعملون]

هذه جهنم التي كنتم توعدون (٦٣) اصلوها اليوم بما كنتم تكفرون (٦٤) اليوم نختم على افواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون (٦٥) ولو نشاء لطمسنا على أعينهم فاستبقوا الصراط فأنى يبصرون (٦٦) ولو نشاء لمسخنهم على مكانتهم فما استطعوا مضياً ولا يرجعون (٦٧)

يقال للكفرة من بني آدم يوم القيامة وقد برزت الجحيم لهم تقريعا وتوبيخا (هذه جهنم التي كنتم توعدون) أي هذه التي حذرتكم الرسل فكذبتموهم (اصلوها اليوم بما كنتم تكفرون) كما قال تعالى [يوم يدعون إلى نار جهنم دعا هذه النار التي كنتم بها تكذبون * أفسحر هذا أم أنتم لاتبصرون]

ولقد أضل منكم جبلا كثيراً ﴾ قرأ أهل المدينة وعاصم جبلا بكسر الجيم والباء وتشديد اللام وقرأ يعقوب جبلا بضم الجيم والباء وتشديد اللام وقرأ ابن عامر وأبو عمرو بضم الجيم ساكنة الباء خفيفة اللام وقرأ الآخرون بضم الجيم والباء خفيفة اللام وكلها لغات صحيحة، ومعناها الخلق والجماعة أي خلقا كثيراً ﴿ أفلم تكونوا تعقلون ﴾ ما أتاكم من هلاك الامم الخالية بطاعة ابليس ويقال لهم لما دنوا من النار ﴿ هذه جهنم التي كنتم توعدون ﴾ بها في الدنيا ﴿ اصلوها ﴾ ادخلوها ﴿ اليوم بما كنتم

وقوله تعالى (اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون) هذا حال الكفار والمنافقين يوم القيامة حين ينكرون ما اجترموه في الدنيا ويحلفون مافعلوه فيختم الله على أفواههم وينطق جوارحهم بما عملت

قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو شيبة ابراهيم بن عبد الله بن أبي شيبة حدثنا منجاب بن الحارث التميمي حدثنا أبو عامر الازدي حدثنا سفيان عن عبيد المكتب عن الفضل بن عمرو عن الشعبي عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : كنا عند النبي ﷺ فضحك حتى بدت نواجذه ثم قال ﷺ « أتدرون مم أضحك ؟ » قلنا الله ورسوله أعلم قال ﷺ « من مجادلة العبد ربه يوم القيامة يقول رب ألم تجرني من الظلم ؟ فيقول بلى فيقول لا أجيز علي إلا شاهداً من نفسي ، فيقول كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً وبالكرام الكاتبين شهودا فيختم على فيه ويقال لأركانه انطقي فتنطق بعمله ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول بعدا لكن وسحقا فعنكن كنت أناضل » وقد رواه مسلم والنسائي كلاهما عن أبي بكر بن أبي النضر عن أبي النضر عن عبيدالله بن عبدالرحمن الاشجعي عن سفيان هوالثوري به. ثم قال النسائي لا أعلم أحدا روى هذا الحديث عن سفيان غير الاشجعي وهو حديث غريب والله تعالى أعلم. كذا قال وقد تقدم من رواية أبي عامر عن عبدالملك بن عمرو الاسدي وهو العقدي عن سفيان

وقال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ قال « انكم

تكفرون * اليوم نختم على افواههم وتكلمنا ايديهم وتشهد ارجلهم بما كانوا يكسبون ﴾ هذا حين ينكر الكفار كفرهم وتكذيبهم الرسل بقولهم ما كنا مشركين فيختم على افواههم وتشهد عليهم جوارحهم

اخبرنا عبد الواحد بن احمد المليحي أنا أبو الحسن محمد بن عمر بن حفصويه السرخسي سنة خمس وثلاثين وثلثمائة أنا أبو يزيد حاتم بن محبوب أنا عبد الجبار بن العلاء أنا سفيان عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة قال : سأل الناس النبي ﷺ قالوا يارسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ قال « هل تضارون في رؤية الشمس في الظهيرة ليست في سحابة؟ » قالوا لا قال « فهل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر ليس في سحابة؟ » قالوا لا قال « فوالذي نفسي بيده لاتضارون في رؤية ربكم إلا كما تضارون في رؤية أحدهما - قال - فيلقى العبد فيقول أي فل ألم اكرمك واسودك وازوجك واسخر لك الخيل والابل واذرك ترأس وتربع ؟ وقال غيره عن سفيان ترأس وتربع في الموضعين قال فيقول بلى فيقول أفظننت أنك ملاقي ؟ فيقول لا فيقول قد انساك كما نسيتني ثم يلقى الثالث فيقول له مثل ذلك فيقول يارب آمنت بك وبكتابك وبرسلك وصليت وصمت وتصدقت ويثني بخير ما استطاع فيقول ههنا اذا قال ثم يقال الآن نبعث شاهداً عليك ويتفكر في نفسه من ذا الذي يشهد علي فيختم على فيه ويقال لفخذه انطقي فتنطق فخذه ولحمه وعظامه بعمله وذلك ليعذر من نفسه وذلك المنافق وذلك الذي سخطه الله »

تدعون مفدما على أفواهكم بالفدام فأول ما يسئل عن أحدكم فخذه وكتفه» رواه النسائي عن محمد بن رافع عن عبد الرزاق به ، وقال سفيان بن عيينة عن سهيل عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ في حديث القيامة الطويل قال فيه « ثم يلقى الثالث فيقول ما أنت ؟ فيقول أنا عبدك آمنت بك وبنبيك وبكتابك وصمت وصليت وتصدقت ويثني بخير ما استطاع - قال - فيقال له ألا نبعث عليك شاهدنا ؟ - قال - فيفكر في نفسه من الذي يشهد عليه فيختم على فيه ويقال لفخذه انطقي - قال - فتنطق فخذه ولحمه وعظامه بما كان يعمل وذلك المنافق وذلك ليعذر من نفسه وذلك الذي يسخط الله تعالى عليه» ورواه مسلم وأبو داود من حديث سفيان بن عيينة به بطوله ثم قال ابن أبي حاتم رحمه الله حدثنا أبي حدثنا هشام بن عمار حدثنا اسماعيل بن عياش حدثنا ضمضم بن زرعة عن شريح بن عبيد عن عقبة بن عامر رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول « إن أول عظم من الانسان يتكلم يوم يختم على الافواه فخذه من الرجل اليسرى

ورواه ابن جرير عن محمد بن عوف عن عبد الله بن المبارك عن اسماعيل بن عياش به مثله . وقد جود اسناده الامام أحمد رحمه الله فقال حدثنا الحكم بن نافع حدثنا اسماعيل بن عياش عن ضمضم ابن زرعة عن شريح بن عبيد الحضرمي عمن حدثه عن عقبة بن عامر رضي الله عنه انه سمع رسول الله ﷺ يقول « إن أول عظم من الانسان يتكلم يوم يختم على الافواه فخذه من الرجل الشمال » وقال ابن جرير حدثنا يعقوب بن ابراهيم حدثنا ابن علية حدثنا يونس بن عبيد عن حميد بن هلال قال قال أبو بردة قال أبو موسى هو الاشعري رضي الله عنه يدعى المؤمن للحساب يوم القيامة فيعرض عليه ربه عمله فيما بينه وبينه فيعترف فيقول نعم أي رب عملت عملت عملت قال فيغفر الله تعالى له ذنوبه ويستره منها قال فما على الارض خليقة ترى من تلك الذنوب شيأ وتبدو حسناته فود أن الناس كلهم يرونها، ويدعى الكافر والمنافق للحساب فيعرض عليه ربه عمله فيجحد ويقول أي رب وعزتك لقد كتب علي هذا الملك مالم أعمل فيقول له الملك أما عملت كذا في يوم كذا في مكان كذا ؟ فيقول لا وعزتك

أخبرنا أبو سعيد عبد الله بن احمد الطاهري أنا جدي أبو سهل عبد الصمد بن عبد الرحمن البزار أنا محمد بن زكريا العذافري أنا اسحاق بن ابراهيم الدبري أنا عبد الرزاق أنا معمر عن بهز بن حكيم عن معاوية عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ قال « إنكم تدعون فيفدم على أفواهكم بالفدام فأول ما يسأل عن أحدكم فخذه وكفه

أخبرنا اسماعيل بن عبد القاهر أنا عبد الغافر بن محمد أنا محمد بن عيسى الجلودي أنا ابراهيم بن محمد بن سفيان أنا مسلم بن الحجاج أنا أبو بكر بن أبي النضر حدثني هاشم بن القاسم أنا عبيد الله الاشجعي عن سفيان الثوري عن عبيد المكتب عن فضيل عن الشعبي عن أنس بن مالك قال كنا عند رسول الله ﷺ فضحك فقال « هل تدرون مم اضحك ؟ » قال قلنا الله ورسوله أعلم قال « من

أي رب ماعملته فاذا فعل ذلك ختم الله تعالى على فيه قال أبو موسى الاشعري رضي الله عنه فاني أحسب أول ماينطق منه الفخذ اليمنى ثم تلا (اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون . وقوله تبارك وتعالى (ولو نشاء لطمسنا على أعينهم فاستبقوا الصراط فأنى يبصرون) قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما في تفسيرها يقول ولو نشاء لاضللناهم عن الهدى فكيف يهتدون وقال مرة أعميناهم وقال الحسن البصري لو شاء الله لطمس علي أعينهم فجعلهم عميا يترددون وقال السدي يقول ولو نشاء أعمينا أبصارهم وقال مجاهد وأبو صالح وقتادة والسدي فاستبقوا الصراط يعني الطريق وقال ابن زيد يعني بالصراط ههنا الحق فانى يبصرون وقد طمسنا على أعينهم وقال العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما فأنى يبصرون لايبصرون الحق. وقوله عز وجل (ولو نشاء لمسخناهم على مكانتهم) قال العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما أهلكناهم وقال السدي يعني لغيرنا خلقهم وقال أبو صالح لجعلناهم حجارة، وقال الحسن البصري وقتادة لأقعدهم على أرجلهم ولهذا قال تبارك وتعالى (فما استطاعوا مضيا) أى إلى امام (ولا يرجعون) إلى وراء بل يلزمون حالا واحدا لايتقدمون ولايتأخرون

ومن نعمره ننكسه في الخلق أفلا يعقلون (٦٨) وماعلمناه الشعر وماينبغي له ان هو الا ذكر وقرآن مبين (٦٩) لينذر من كان حيًّا ويحق القول على الكافرين (٧٠)

مخاطبة العبد ربه يقول يارب ألم تجرني من الظلم؟ قال يقول بلى قال فيقول فاني لا أجيز على نفسي إلا شاهداً مني قال فيقول كفى بنفسك اليوم عليك شهيداً ، وبالكرام الكاتبين شهوداً قال فيختم على فيه فيقال لاركانه انطقي قال فتنطق باعماله قال ثم يخلى بينه وبين الكلام قال فيقول بعداً لكن وسحقا فعنكن كنت أناضل ﴿ ولو نشاء لطمسنا على اعينهم ﴾ أي اذهبنا اعينهم الظاهرة بحيث لايبدو لها جفن ولا شق وهو معنى الطمس كما قال الله (ولو شاء الله لذهب بسمعهم وابصارهم) يقول كما أعمينا قلوبهم لو شئنا اعمينا أبصارهم الظاهرة ﴿ فاستبقوا الصراط ﴾ فتبادروا الى الطريق ﴿ فأنى يبصرون ﴾ فكيف يبصرون وقد اعمينا أعينهم يعنى لو نشاء لاضللناهم عن الهدى وتركناهم عميا يترددون فكيف يبصرون الطريق حينئذ هذا قول الحسن والسدي وقال ابن عباس وقتادة ومقاتل وعطاء معناه لو نشاء لفقأنا أعين ضلالتهم فاعميناهم عن غيهم وحولنا ابصارهم من الضلالة الى الهدى فابصروا وارشدهم فأنى يبصرون ولم أفعل ذلك بهم ﴿ ولو نشاء لمسخناهم على مكانتهم ﴾ يعني مكانهم بريد لو نشاء لجعلناهم قردة وخنازير في منازلهم وقيل لو نشاء لجعلناهم حجارة وهم قعود في منازلهم لا أرواح لهم ﴿ فما استطاعوا مضيا ولا يرجعون ﴾ يعني الى ما كانوا عليه وقيل لايقدرون على ذهاب ولا رجوع ﴿ ومن نعمره ننكسه في الخلق ﴾ قرأ عاصم وحمزة بالتشديد وقرأ الآخرون بفتح النون الاولى وضم

يخبر تعالى عن ابن آدم انه كلما طال عمره رد الى الضعف بعد القوة والعجز بعد النشاط كما قال تبارك وتعالى (الله الذى خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة يخلق مايشاء وهو العليم القدير) وقال عز وجل (ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيأ) والمراد من هذا والله أعلم الاخبار عن هذه الدار بانها دار زوال وانتقال لادار دوام واستقرار ولهذا قال عز وجل [أفلا يعقلون] أي يتفكرون بعقولهم في ابتداء خلقهم ثم صيرورتهم الى سن الشيبة ثم إلى الشيخوخة ليعلموا انهم خلقوا لدار أخرى لازوال لها ولا انتقال منها ولا محيد عنها وهي الدار الآخرة

وقوله تبارك وتعالى [وما علمناه الشعر وما ينبغي له] يقول عز وجل مخبرا عن نبيه محمد ﷺ أنه ماعلمه الشعر [وما ينبغي له] أى ماهو في طبعه فلا يحسنه ولا يحبه ولا تقتضيه جبلته ولهذا ورد انه ﷺ كان لا يحفظ بيتا على وزن منتظم بل إن أنشده زحفه أو لم يتمه، وقال أبو زرعة الرازي حدثنا اسماعيل بن مجالد عن أبيه عن الشعبي انه قال ماولد عبد المطلب ذكرا ولا أنثى إلا يقول الشعر الا رسول الله ﷺ ذكره ابن عساكر في ترجمة عتبة بن أبي لهب الذي أكله الاسد بالزرقاء قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو سلمة حدثنا حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن الحسن هو البصري قال ان رسول الله ﷺ كان يتمثل بهذا البيت * كفى بالاسلام والشيب للمرء ناهيا * فقال أبو بكر رضي الله عنه يارسول الله * كفى الشيب والاسلام للمرء ناهيا * قال أبو بكر أو عمر رضي الله عنهما أشهد أنك رسول الله يقول تعالى (وما علمناه الشعر وماينبغي له) وهكذا روى البيهقي في الدلائل أن رسول الله ﷺ قال « للعباس بن مرداس السلمي رضي الله عنه أنت القائل * أتجعل نهبي ونهب العبيد بين الاقرع وعيينة * فقال إنما هو بين عيينة والاقرع فقال ﷺ « الكل سواء » يعني في المعنى صلوات الله وسلامه عليه والله أعلم . وقد ذكر السهيلي في الروض الانف لهذا التقديم والتأخير الذى وقع في كلامه ﷺ في هذا البيت مناسبة أغرب فيها، حاصلها شرف الاقرع بن حابس على عيينة بن بدر الفزاري لانه ارتد أيام الصديق رضي الله عنه بخلاف ذاك والله أعلم، وهكذا روى الأموي في مغازيه أن رسول الله ﷺ جعل يمشي بين القتلى يوم بدر وهو يقول « نفلق هاما » فيقول الصديق رضي الله عنه متمما للبيت

الكاف مخففا أى نرده الى ارذل العمر شبه الصبي في أول الخلق، وقيل ننكسه في الخلق أي نضعف جوارحه بعد قوتها ونردها الى نقصان بعد زيادتها ﴿ أفلا يعقلون ﴾ فيعتبروا ويعلموا أن الذي قدر على تصريف احوال الناس يقدر على البعث بعد الموت

قوله تعالى ﴿ وما علمناه الشعر وما ينبغي له ﴾ قال الكلبي إن كفار مكة قالوا إن محمداً شاعر وما يقوله شعر فانزل الله تكذيبا لهم (وما علمناه الشعر وما ينبغي له) أى مايتسهل له ذلك وما كان

من رجال أعزة * علينا وهم كانوا أعق وأظلما

وهذا لبعض شعراء العرب في قصيدة له وهي في الحماسة. وقال الامام أحمد حدثنا هشيم حدثنا مغيرة عن الشعبي عن عائشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا استراب الخبر تمثل فيه ببيت طرفة * ويأتيك بالاخبار من لم تزود *

وهكذا رواه النسائي في اليوم والليلة من طريق ابراهيم بن مهاجر عن الشعبي عنها. ورواه الترمذي والنسائي أيضا من حديث المقدام بن شريح بن هانيء عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها كذلك ثم قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح. وقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا يوسف بن موسى حدثنا أسامة عن زائدة عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتمثل من الاشعار * ويأتيك بالاخبار من لم تزود *

ثم قال ورواه غير زائدة عن سماك عن عطية عن عائشة رضي الله عنها وهذا في شعر طرفة بن العبد في معلقته المشهورة وهذا المذكور عجز بيت منها أوله

ستبدي لك الايام ماكنت جاهلا * ويأتيك بالاخبار من لم تزود

ويأتيك بالاخبار من لم تبع له * بتاتا ولم تضرب له وقت موعد

وقال سعيد بن أبي عروبة عن قتادة قيل لعائشة رضي الله عنها هل كان رسول الله ﷺ يتمثل بشيء من الشعر قالت رضي الله عنها كان أبغض الحديث اليه غير انه ﷺ كان يتمثل ببيت أخي بني قيس فيجعل أوله آخره وآخره أوله فقال أبو بكر رضي الله عنه ليس هذا هكذا يارسول الله فقال رسول الله ﷺ « إني والله ماأنا بشاعر وما ينبغي لي » رواه ابن أبي حاتم وابن جرير وهذا لفظه وقال معمر عن قتادة بلغني أن عائشة رضي الله عنها سئلت هل كان رسول الله ﷺ يتمثل بشيء من الشعر فقالت رضي الله عنها لا إلا بيت طرفة

ستبدي لك الايام ما كنت جاهلا ويأتيك بالاخبار من لم تزود

يتزن له بيت من الشعر حتى اذا تمثل ببيت شعر جرى على لسانه منكسرا

أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو اسحاق الثعلبي أنا الحسن بن محمد الثقفي أنا احمد بن جعفر ابن حمدان حدثنا يوسف بن عبد الله بن ماهان أنا موسى بن اسماعيل أنا حماد بن سلمة عن علي بن حمدان حدثنا يوسف بن أبي زيد عن الحسن أن النبي ﷺ كان يتمثل بهذا البيت

* كفى بالاسلام والشيب للمرء ناهيا *

فقال أبو بكر يارسول الله إنما قال الشاعر

فجعل ﷺ يقول « من لم تزود بالاخبار » فقال أبو بكر ليس هذا هكذا فقال ﷺ « إني لست بشاعر ولا ينبغي لي »

وقال الحافظ أبو بكر البيهقي أخبرنا أبو عبد الله الحافظ حدثنا أبو حفص عمر بن أحمد بن نعيم وكيل المتقي ببغداد حدثنا أبو محمد عبد الله بن هلال النحوي الضرير حدثنا علي بن عمر و الانصاري حدثنا سفيان بن عيينة عن الزهري عن عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت ماجمع رسول الله ﷺ بيت شعر قط إلا بيتا واحدا

تفاءل بما تهوى يكن فلقلما   يقال لشيء كان الا تحققا

سألت شيخنا الحافظ أبا الحجاج المزي عن هذا الحديث فقال هو منكر و لم يعرف شيخ الحاكم ولا الضرير وثبت في الصحيح انه ﷺ تمثل يوم حفر الخندق بأبيات عبد الله بن رواحة رضي الله عنه ولكن تبعا لقول أصحابه رضي الله عنهم فانهم كانوا يرتجزون وهم يحفرون فيقولون

لاهم لولا أنت مااهتدينا   ولا تصدقنا ولا صلينا

فأنزلن سكينة علينا   وثبت الاقدام ان لاقينا

ان الأولى قد بغوا علينا   اذا أرادوا فتنة أبينا

ويرفع ﷺ صوته بقوله أبينا ويمدها وقد روى هذا بزحاف في الصحيحين أيضاء و كذا ثبت أنه ﷺ قال يوم حنين وهو راكب البغلة يقدم بها في نحور العدو

أنا النبي لا كذب   أنا ابن عبد المطلب

لكن قالوا هذا وقع اتفاقا من غير قصد لوزن شعر بل جرى على اللسان من غير قصد اليه وكذلك ماثبت في الصحيحين عن جندب بن عبد الله رضي الله عنه قال كنا مع رسول الله ﷺ في غار فنكبت أصبعه فقال ﷺ

هل أنت الا اصبع دميت   وفي سبيل الله مالقيت

وسيأتي عند قوله تعالى (إلا اللمم) انشاد

ان تغفر اللهم تغفر جما   وأي عبد لك ماألما

وكل هذا لاينافي كونه ﷺ ماعلم شعرا ولا ينبغي له فان الله تعالى إنما علمه القرآن العظيم الذي

كفى الشيب والاسلام للمرء ناهيا

فقال أبو بكر أو عمر أشهد أنك رسول الله يقول الله تعالى (وما علمناه الشعر وما ينبغي له) اخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أبو محمد عبد الرحمن بن أبي شريح أنا أبو القاسم البغوي أنا علي بن الجعد أنا شريك عن المقدام بن شريح عن أبيه قال قلت لعائشة أكان رسول الله ﷺ يتمثل بشيء من الشعر؟ قالت كان يتمثل من شعر عبد الله بن رواحة قالت وربما قال * ويأتيك بالاخبار من لم زود *

لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد) وليس هو بشعر كما زعمه طائفة من جهلة كفار قريش ولا كهانة ولا مفتعل ولا سحر يؤثر كما تنوعت فيه أقوال الضلال وآراء الجهال وقد كانت سجيته ﷺ تأبى صناعة الشعر طبعا وشرعا كما رواه أبو داود قال حدثنا عبيد الله بن عمر حدثنا عبد الله بن سويد حدثنا سعيد بن أبي أيوب حدثنا شرحبيل بن يزيد المعافري عن عبد الرحمن ابن رافع التنوخي قال سمعت عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول « ما أبالي ما أتيت إن أنا شربت ترياقا أو تعلقت تميمة أو قلت الشعر من قبل نفسي » تفرد به أبو داود وقال الامام أحمد رحمه الله حدثنا عبد الرحمن بن مهدي عن الاسود بن شيبان عن أبي نوفل قال سألت عائشة رضي الله عنها هل كان رسول الله ﷺ يتسامع عنده الشعر؟ فقالت قد كان أبغض الحديث اليه ، وقال عن عائشة رضي الله عنها كان رسول الله ﷺ يعجبه الجوامع من الدعاء ويدع ما بين ذلك وقال أبو داود حدثنا أبو الوليد الطيالسي حدثنا شعبة عن الاعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ « لأن يمتلىء جوف أحدكم قيحا خير له من أن يمتلىء شعرا » انفرد به من هذا الوجه واسناده على شرط الشيخين ولم يخرجاه

وقال الامام أحمد حدثنا يزيد حدثنا قزعة بن سويد الباهلي عن عاصم بن مخلد عن أبي الاشعث الصنعاني ح وحدثنا الاشيب فقال عن أبي عاصم عن أبي الاشعث عن شداد بن أوس رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « من قرض بيت شعر بعد العشاء الآخرة لم تقبل له صلاة تلك الليلة » وهذا حديث غريب من هذا الوجه ولم يخرجه أحد من أصحاب الكتب الستة والمراد بذلك نظمه لا إنشاده والله أعلم، على أن الشعر فيه ما هو مشروع وهو هجاء المشركين الذي كان يتعاطاه شعراء الاسلام كحسان بن ثابت رضي الله عنه وكعب بن مالك وعبد الله بن رواحة وأمثالهم وأضرابهم رضي الله عنهم أجمعين ، ومنه ما فيه حكم ومواعظ وآداب كما يوجد في شعر جماعة من الجاهلية ومنهم أمية بن أبي الصلت الذي قال فيه رسول الله ﷺ « آمن شعره وكفر قلبه » وقد أنشد بعض الصحابة رضي الله عنهم للنبي ﷺ مائة بيت يقول ﷺ عقب كل بيت « هيه » يعني يستطعمه فيزيده وقد روى أبو داود من حديث أبي بن كعب وبريدة بن الحصيب وعبد الله بن عباس رضي الله عنهم أن رسول الله ﷺ قال « ان من البيان سحرا وإن من الشعر حكما » ولهذا قال (وما علمناه

فأنشد رسول الله ﷺ * ويأتيك من لم تزود بالاخبار * وقالت وربما قال * ويأتيك بالاخبار من لم تزود * وقال معمر عن قتادة بلغني أن عائشة سئلت هل كان النبي ﷺ يتمثل بشيء من الشعر قالت كان الشعر ابغض الحديث اليه قالت ولم يتمثل بشيء من الشعر إلا ببيت أخي بني قيس طرفة

ستبدي لك الايام ما كنت جاهلا ويأتيك بالاخبار من لم تزود

فجعل يقول « ويأتيك من لم تزود بالاخبار » فقال أبو بكر رضي الله عنه ليس هكذا يا رسول الله

الشعر) يعني محمدا ﷺ ما علمه الله الشعر (وما ينبغي له) أي وما يصلح له (إن هو إلا ذكر وقرآن مبين) أي ما هذا الذي علمناه (إلا ذكر وقرآن مبين) أي بين واضح جلي لمن تأمله تدبره ولهذا قال تعالى (لينذر من كان حيا) أى لينذر هذا القرآن المبين كل حي على وجه الارض كقوله (لأنذركم به ومن بلغ) وقال جل وعلا (ومن يكفر به من الاحزاب فالنار موعده) وإنما ينتفع بنذارته من هو حي القلب مستنير البصيرة كما قال قتادة حي القلب حي البصر وقال الضحاك يعني عاقلا ويحق القول على الكافرين) أى هو رحمة للمؤمنين وحجة على الكافرين

أو لم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاما فهم لها مالكون؟ (٧١) وذللناها لهم فمنها ركوبهم ومنها يأكلون (٧٢) ولهم فيها منافع ومشارب أفلا يشكرون؟ (٧٣)

يذكر تعالى ما أنعم به على خلقه من هذه الانعام التي سخرها لهم (فهم لها مالكون) قال قتادة مطيقون أى جعلهم يقهرونها وهي ذليلة لهم لا تمتنع منهم بل لو جاء صغير إلى بعير لأناخه ولو شاء لاقامه وساقه وذاك ذليل منقاد معه وكذا لو كان القطار مائة بعير أو أكثر لسار الجميع بسير الصغير، وقوله تعالى (فمنها ركوبهم ومنها يأكلون) أى منها ما يركبون في الاسفار ويحملون عليه الاثقال الى سائر الجهات والاقطار ومنها يأكلون اذا شاؤا نحروا واجتزوا [ولهم فيها منافع] أى من أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثا ومتاعا الى حين (ومشارب) أى من ألبانها وأبوالها لمن يتداوى ونحو ذلك (أفلا يشكرون) أى أفلا يوحدون خالق ذلك ومسخره ولا يشركون به غيره

واتخذوا من دون الله آلهة لعلهم ينصرون (٧٤) لا يستطيعون نصرهم وهم لهم جند محضرون (٧٥) فلا يحزنك قولهم ، إنا نعلم ما يسرون وما يعلنون (٧٦)

فقال « اني لست بشاعر ولا ينبغي لي » ﴿ ان هو ﴾ يعني ما القرآن ﴿ إلا ذكر ﴾ موعظة ﴿ وقرآن مبين ﴾ فيه الفرائض والحدود والاحكام ﴿ لينذر ﴾ قرأ أهل المدينة والشام ويعقوب لتنذر بالتاء وكذلك في الاحقاف وافق ابن كثير في الاحقاف أي لتنذر يا محمد، وقرأ الآخرون بالياء أي لينذر القرآن ﴿ من كان حيا ﴾ يعني مؤمنا حي القلب لان الكافر كالميت في أنه لا يتدبر ولا يتفكر ﴿ ويحق القول ﴾ وتجب حجة العذاب قوله تعالى ﴿ على الكافرين * أولم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا ﴾ تولينا خلقه بابداعنا من من غير إعانة أحد ﴿ أنعاما فهم لها مالكون ﴾ ضابطون قاهرون أي لم يخلق الانعام وحشية نافرة من بني آدم لا يقدرون على ضبطها بل هي مسخرة لهم وهو قوله ﴿ وذللناها لهم ﴾ سخرناها لهم ﴿ فمنها ركوبهم ﴾ أي ما يركبون وهي الابل ﴿ ومنها يأكلون ﴾ من لحمانها ﴿ ولهم فيها منافع ﴾ أي من أصوافها وأوبارها واشعارها ونسلها ﴿ ومشارب ﴾ من ألبانها ﴿ أفلا يشكرون ﴾ رب هذه النعم ﴿ واتخذوا

يقول تعالى منكرا على المشركين في اتخاذهم الانداد آلهة مع الله يبتغون بذلك أن تنصرهم تلك الآلهة وترزقهم وتقربهم الى الله زلفى قال الله تعالى (لا يستطيعون نصرهم) أي لا تقدر الآلهة على نصر عابديها بل هي أضعف من ذلك وأقل وأذل وأحقر وأدحر بل لا تقدر على الاستنصار لأنفسها ولا الانتقام ممن أرادها بسوء لأنها جماد لا تسمع ولا تعقل

وقوله تبارك وتعالى وهم لهم جند محضرون قال مجاهد يعني عند الحساب يريد أن هذه الاصنام محشورة مجموعة يوم القيامة محضرة عند حساب عابديها ليكون ذلك أبلغ في حزنهم وأدل عليهم في اقامة الحجة عليهم وقال قتادة (لا يستطيعون نصرهم) يعني الآلهة [وهم لهم جند محضرون] والمشركون يغضبون للآلهة في الدنيا وهي لا تسوق اليهم خيرا ولا تدفع عنهم شرا انما هي أصنام وهكذا قال الحسن البصري وهذا القول حسن وهو اختيار ابن جرير رحمه الله تعالى ، وقوله تعالى (فلا يحزنك قولهم) أي تكذيبهم لك وكفرهم بالله [انا نعلم مايسرون وما يعلنون] أي نحن نعلم جميع ماهم فيه وسنجزيهم وصفهم ونعاملهم على ذلك يوم لا يفقدون من أعمالهم جليلا ولا حقيرا ولا صغيرا ولا كبيرا بل يعرض عليهم جميع ما كانوا يعملون قديما وحديثا

أولم ير الانسان أنا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين (٧٧) وضرب لنا مثلا ونسي خَلقه قال من يحيي العظام وهي رميم ؟ (٧٨) قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خَلق عليم (٧٩) الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فاذا أنتم منه توقدون (٨٠)

قال مجاهد وعكرمة وعروة بن الزبير والسدي وقتادة جاء أبي بن خلف لعنه الله الى رسول الله ﷺ وفي يده عظم رميم وهو يفته ويذروه في الهواء وهو يقول يا محمد أتزعم ان الله يبعث هذا ؟ قال ﷺ « نعم يميتك الله تعالى ثم يبعثك ثم يحشرك إلى النار » ونزلت هذه الآيات من آخر يس [أو لم ير الانسان أنا خلقناه من نطفة] إلى آخرهن

من دون الله آلهة لعلهم ينصرون ﴿ يعني لتمنعهم من عذاب الله ولا يكون ذلك قط ﴿ لا يستطيعون نصرهم ﴾ قال ابن عباس لا تقدر الاصنام على نصرهم ومنعهم من العذاب ﴿ وهم لهم جند محضرون ﴾ أي الكفار جند للاصنام يغضبون لها ويحضرونها في الدنيا وهي لا تسوق اليهم خيراً ولا تستطيع لهم نصرا وقيل هذا في الآخرة يؤتى بكل معبود من دون الله تعالى ومعه اتباعه الذين عبدوه كأنهم جند محضرون في النار ﴿ فلا يحزنك قولهم ﴾ يعني قول كفار مكة في تكذيبك ﴿ إنا نعلم مايسرون ﴾ في ضمائرهم من التكذيب ﴿ وما يعلنون ﴾ من عبادة الاصنام أو مايعلنون بألسنتهم من الأذى

قوله تعالى ﴿ أولم ير الانسان أنا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم ﴾ جدل بالباطل ﴿ مبين ﴾ بين

وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين بن الجنيد حدثنا محمد بن العلاء حدثنا عثمان بن سعيد الزيات عن هشيم عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : ان العاص بن وائل أخذ عظما من البطحاء ففته بيده ثم قال لرسول الله ﷺ أيحيي الله هذا بعد ما أرى ؟ فقال رسول الله ﷺ « نعم يميتك الله ثم يحييك ثم يدخلك جهنم » قال ونزلت الآيات من آخر يس ، ورواه ابن جرير عن يعقوب بن ابراهيم عن هشيم عن أبي بشر عن سعيد بن جبير فذكره ولم يذكر ابن عباس رضي الله عنهما ، وروي من طريق العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : جاء عبد الله بن أبي بعظم ففته وذكر نحوما تقدم ، وهذا منكر لان السورة مكية وعبدالله بن أبي بن سلول إنما كان بالمدينة وعلى كل تقدير سواء كانت هذه الآيات قد نزلت في أبي بن خلف أو العاص بن وائل أو فيهما فهي عامة في كل من أنكر البعث ، والالف واللام في قوله تعالى (أولم ير الانسان) للجنس يعم كل منكر للبعث (أنا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين) أي أولم يستدل من أنكر البعث بالبدء على الاعادة فان الله ابتدأ خلق الانسان من سلالة من ماء مهين فخلقه من شيء حقير ضعيف مهين كما قال عز وجل (ألم نخلقكم من ماء مهين * فجعلناه في قرار مكين * إلى قدر معلوم) وقال تعالى (إنا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج) أي من نطفة من أخلاط متفرقة فالذي خلقه من هذه النطفة الضعيفة أليس بقادر على إعادته بعد موته كما قال الامام أحمد في مسنده حدثنا أبو المغيرة حدثنا حريز حدثني عبد الرحمن بن ميسرة عن جبير بن نفير عن بشر بن جحاش قال ان رسول الله ﷺ بصق يوما في كفه فوضع عليها أصبعه ثم قال رسول الله ﷺ « قال الله تعالى بُنيّ آدم أنى تعجزني وقد خلقتك من مثل هذه حتى إذا سويتك وعدلتك مشيت بين برديك وللارض منك وئيد فجمعت ومنعت حتى إذا بلغت التراقي قلت أتصدق وأنى أوان الصدقة » ورواه ابن ماجه عن أبي بكر بن أبي شيبة عن يزيد بن هارون عن حريز بن عثمان به ولهذا قال تعالى (وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم ؟) أي استبعد إعادة الله تعالى ذي القدرة العظيمة التي خلقت السموات والارض للاجساد والعظام الرميمة ونسي نفسه وان الله تعالى خلقه من العدم الى الوجود فعلم من نفسه ما هو أعظم مما استبعده وأنكره وجحده ولهذا قال عز وجل (قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم) أي يعلم

الخصومة ، يعني انه مخلوق من نطفة ثم يخاصم فكيف لا يتفكر في بدء خلقه حتى يدع الخصومة . نزلت في أبي بن خلف الجمحي خاصم النبي ﷺ في إنكار البعث وأتاه بعظم قد بلي ففته بيده فقال أترى يحيي الله هذا بعد مارم ؟ فقال النبي ﷺ « نعم ويبعثك ويدخلك النار » فأنزل الله هذه الآيات ﴿ وضرب لنا مثلا ونسي خلقه ﴾ بدء أمره ثم ﴿ قال من يحيي العظام وهي رميم ؟ ﴾ بالية ، ولم يقل رميمة لانه معدول عن فاعلة وكل ما كان معدولا عن وجهه ووزنه كان مصروفا عن إعرابه كقوله (وما كانت أمك بغيا) أسقط الهاء لانها كانت مصروفة عن باغية ﴿ قل يحييها الذي أنشأها ﴾ خلقها ﴿ أول

العظام في سائر أقطار الارض وأرجائها أين ذهبت وأين تفرقت وتمزقت

قال الامام أحمد حدثنا عفان حدثنا أبو عوانة عن عبد الملك بن عمير عن ربعي قال قال عقبة بن عمرو لحذيفة رضي الله عنهما: ألا تحدثنا ما سمعت من رسول الله ﷺ فقال سمعته ﷺ يقول «ان رجلا حضره الموت فلما أيس من الحياة أوصى أهله اذا أنا مت فاجمعوا لي حطبا كثيراً جزلا ثم أوقدوا فيه نارا حتى اذا أكلت لحمي وخلصت الى عظمي فامتحشت فخذوها فدقوها فذروها في اليم ففعلوا فجمعه الله تعالى اليه ثم قال له لم فعلت ذلك؟ قال من خشيتك فغفر الله عز وجل له» فقال عقبة بن عمرو: وأنا سمعته ﷺ يقول ذلك وكان نباشا، وقد أخرجاه في الصحيحين من حديث عبد الملك بن عمير بألفاظ كثيرة منها انه أمر بنيه أن يحرقوه ثم يسحقوه ثم يذروا نصفه في البر ونصفه في البحر في يوم رائح أي كثير الهواء ففعلوا ذلك، فأمر الله تعالى البحر فجمع ما فيه وامر البر فجمع ما فيه ثم قال له كن فاذا هو رجل قائم فقال له ماحملك على ما صنعت؟ قال: مخافتك وأنت أعلم، فما تلافاه أن غفر له وقوله تعالى (الذي جعل لكم من الشجر الاخضر نارا فاذا أنتم منه توقدون) أي الذي بدأ خلق هذا الشجر من ماء حتى صار خضرا نضرا ذا ثمر وينع ثم أعاده الى أن صار حطبا يابسا توقد به النار كذلك هو فعال لما يشاء قادر على ما يريد لا يمنعه شيء

قال قتادة في قوله [الذي جعل لكم من الشجر الاخضر نارا فاذا أنتم منه توقدون] يقول الذى أخرج هذه النار من هذا الشجر قادر على أن يبعثه، وقيل المراد بذلك شجر المرخ والعفار ينبت في أرض الحجاز فيأتي من أراد قدح نار وليس معه زناد فيأخذ منه عودين أخضرين ويقدح أحدهما بالآخر فتتولد النار من بينهما كالزناد سواء وروي هذا عن ابن عباس رضي الله عنهما، وفي المثل لكل شجر نار واستمجد المرخ والعفار، وقال الحكماء في كل شجر نار الا العناب

أوليس الذي خلق السموات والارض بقادر على أن يخلق مثلهم ؟ بلى وهو

الخلاق العليم (٨١) انما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون (٨٢) فسبحن الذى

مرة وهو بكل خلق عليم * الذي جعل لكم من الشجر الاخضر نارا ﴾ قال ابن عباس هما شجرتان يقال لاحداهما المرخ والاخرى العفار فمن أراد منهم النار قطع منهما غصنين مثل السواكين وهما خضراوان يقطر منهما الماء فيسحق المرخ على العفار فتخرج منهما النار باذن الله عز وجل، تقول العرب في كل شجر نار، واستمجد المرخ والعفار، وقال الحكماء في كل شجر نار إلا العناب ﴿فاذا أنتم منه توقدون﴾ تقدحون وتوقدون النار من ذلك الشجر

ثم ذكر ماهو أعظم من خلق الانسان فقال ﴿ أو ليس الذى خلق السموات والارض بقادر ﴾

بيده مَلَكوت كلّ شيء وإليه ترجَعون (٨٣)

يقول تعالى منبها على قدرته العظيمة في خلق السموات السبع بما فيها من الكواكب السيارة والثوابت والارضين السبع وما فيهما من جبال ورمال وبحار وقفار وما بين ذلك ومرشدا الى الاستدلال على اعادة الاجساد بخلق هذه الاشياء العظيمة كقوله تعالى (لخلق السموات والارض أكبر من خلق الناس) وقال عز وجل ههنا [أوليس الذي خلق السموات والارض بقادر على أن يخلق مثلهم؟] أى مثل البشر فيعيدهم كما بدأهم، قاله ابن جرير، وهذه الآية الكريمة كقوله عز وجل [أولم يروا أن الله الذى خلق السموات والارض ولم يعي بخلقهن بقادر على أن يحيي الموتى؟ بلى انه على كل شيء قدير] وقال تبارك وتعالى ههنا (بلى وهو الخلاق العليم * انما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون) أى انما يأمر بالشيء أمرا واحدا لا يحتاج الى تكرار وتأكيد

اذا ما أراد الله أمرا فانما يقول له كن قولة فيكون

وقال الامام أحمد حدثنا محمد بن نمير حدثنا موسى بن المسيب عن شهر عن عبد الرحمن بن غنم عن أبي ذر رضي الله عنه قال ان رسول الله ﷺ قال «ان الله تعالى يقول يا عبادي كلكم مذنب الا من عافيت فاستغفروني أغفر لكم، وكلكم فقير الا من أغنيت، اني جواد ماجد واجد أفعل ما أشاء، عطائي كلام وعذابي كلام اذا أردت شيئا فانما أقول له كن فيكون»

وقوله تعالى [فسبحان الذى بيده ملكوت كل شيء واليه ترجعون] اي تنزيه وتقديس وتبرئة من السوء للحي القيوم الذي بيده مقاليد السموات والارض واليه يرجع الامر كله وله الخلق والامر واليه ترجع العباد يوم المعاد فيجازي كل عامل بعمله وهو العادل المنعم المتفضل

ومعنى قوله سبحانه وتعالى (فسبحان الذى بيده ملكوت كل شيء) كقوله عز وجل (قل من بيده ملكوت كل شيء؟) وكقوله تعالى [تبارك الذى بيده الملك] فالملك والملكوت واحد في المعنى كرحمة ورحموت ورهبة ورهبوت وجبر وجبروت، ومن الناس من زعم أن الملك هو عالم الاجسام والملكوت هو عالم الارواح والصحيح الاول وهو الذى عليه الجمهور من المفسرين وغيرهم

قال الامام أحمد حدثنا شريح بن النعمان حدثنا حماد عن عبد الملك بن عمير حدثني ابن عم لحذيفة عن حذيفة ـ وهو ابن اليمان ـ رضي الله عنه قال: قمت مع رسول الله ﷺ ذات ليلة فقرأ السبع

قرأ يعقوب (يقدر) بالياء على الفعل ﴿على أن يخلق مثلهم بلى﴾ أي قل بلى هو قادر على ذلك ﴿وهو الخلاق﴾ يخلق خلقا بعد خلق ﴿العليم﴾ بجميع ما خلق ﴿انما أمره اذا اراد شيئا أن يقول له كن فيكون * فسبحان الذي بيده ملكوت﴾ أي ملك ﴿كل شيء واليه ترجعون﴾

أخبرنا الامام أبو علي الحسين بن محمد القاضي أنا أبو الطاهر الزيادي أنا أبو بكر محمد بن الحسين

الطول في سبع ركعات وكان ﷺ إذا رفع رأسه من الركوع قال « سمع الله لمن حمده – ثم قال – الحمد لله ذي الملكوت والجبروت والكبرياء والعظمة » وكان ركوعه مثل قيامه ، وسجوده مثل ركوعه ، فانصرف وقد كادت تنكسر رجلاي

وقد روى أبو داود والترمذي في الشمائل والنسائي من حديث شعبة عن عمرو بن مرة عن أبي حمزة مولى الانصار عن رجل من بني عبس عن حذيفة رضي الله عنه أنه رأى رسول الله ﷺ يصلي من الليل وكان يقول « الله أكبر – ثلاثاً – ذى الملكوت والجبروت والكبرياء والعظمة » ثم استفتح فقرأ البقرة ثم ركع فكان ركوعه نحواً من قيامه وكان يقول في ركوعه « سبحان ربي العظيم » ثم رفع رأسه من الركوع فكان قيامه نحوا من ركوعه وكان يقول في قيامه « لربي الحمد » ثم سجد فكان سجوده نحوا من قيامه وكان يقول في سجوده « سبحان ربي الاعلى » ثم رفع رأسه من السجود وكان يقعد فيما بين السجدتين نحوا من سجوده وكان يقول « رب اغفر لي رب اغفر لي » فصلى أربع ركعات فقرأ فيهن البقرة وآل عمران والنساء والمائدة أو الانعام – شك شعبة – هذا لفظ أبي داود

وقال النسائي : أبو حمزة عندنا طلحة بن يزيد ، وهذا الرجل يشبه أن يكون صلة كذا قال . والاشبه أن يكون ابن عم حذيفة كما تقدم في رواية الامام أحمد والله أعلم . وأما رواية صلة بن زفر عن حذيفة رضي الله عنه فانها في صحيح مسلم ولكن ليس فيها ذكر الملكوت والجبروت والكبرياء والعظمة . وقال أبو داود حدثنا أحمد بن صالح حدثنا ابن وهب حدثني معاوية بن صالح عن عمرو بن قيس عن عاصم بن حميد عن عوف بن مالك الاشجعي رضي الله عنه قال : قمت مع رسول الله ﷺ ليلة فقام فقرأ سورة البقرة لا يمر بآية رحمة إلا وقف وسأل ، ولا يمر بآية عذاب إلا وقف وتعوذ قال ثم ركع بقدر قيامه يقول في ركوعه « سبحان ذي الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة » ثم سجد بقدر قيامه ثم قال في سجوده مثل ذلك ثم قام فقرأ بآل عمران ثم قرأ سورة سورة ، ورواه الترمذي في الشمائل والنسائي من حديث معاوية بن صالح به

(آخر تفسير سورة يس ولله الحمد والمنة)

القطان حدثنا علي بن الحسين الدارابجردي حدثنا عبد الله بن عثمان أخبرنا عبد الله بن المبارك عن سليمان التيمي عن أبي عثمان — وليس بالنهدي — عن معقل بن يسار قال : قال رسول الله ﷺ « اقرءوا على موتاكم سورة يس » ورواه محمد بن العلاء عن ابن المبارك وقال عن أبي عثمان — وليس بالنهدي — عن أبيه عن معقل بن يسار

تفسير سورة الصافات وهى مكية

قال النسائي أخبرنا اسماعيل بن مسعود حدثنا خالد - يعني ابن الحارث - عن أبي ذئب قال أخبرنا الحارث بن عبدالرحمن عن سالم بن عبد الله عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ يأمرنا بالتخفيف ويؤمنا بالصافات، تفرد به النسائي

بسم الله الرحمن الرحيم

والصّٰفّٰتِ صفًّا (١) فالزّٰجرٰتِ زجراً (٢) فالتّٰليٰتِ ذكراً (٣) إن إلٰهكم لوٰحد (٤) رب السموٰت والارض وما بينهما وربُّ المشٰرق (٥)

قال سفيان الثوري عن الاعمش عن أبي الضحى عن مسروق عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال (والصافات صفا) وهي الملائكة (فالزاجرات زجراً) هي الملائكة (فالتاليات ذكراً) هي الملائكة، وكذا قال ابن عباس رضي الله عنهما ومسروق وسعيد بن جبير وعكرمة ومجاهد والسدي وقتادة والربيع بن أنس قال قتادة الملائكة صفوف في السماء

﴿سورة الصافات مكية وهي مائة وثمانون آية﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿والصافات صفا﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما والحسن وقتادة: هم الملائكة في السماء يصفون كصفوف الخلق في الدنيا للصلاة

أخبرنا عمر بن عبدالعزيز القاشاني أخبرنا أبو عمر القاسم بن جعفر الهاشمي أخبرنا أبو علي محمد بن أحمد اللؤلؤي حدثنا أبو داود سليمان بن الاشعث حدثنا عبد الله بن محمد النفيلي حدثنا زهير قال سألت سليمان الاعمش عن حديث جابر بن سمرة في الصفوف المقدمة فحدثنا عن المسيب بن رافع ابن طرفة عن جابر بن سمرة قال قال رسول الله ﷺ «ألا تصفون كما تصف الملائكة عند ربهم؟» قلنا وكيف تصف الملائكة عند ربهم؟ قال «يتمون الصفوف المقدمة ويتراصون في الصف»

وقيل هم الملائكة تصف أجنحتها في الهواء واقفة حتى يأمرها الله تعالى بما يريده، وقيل هي الطير دليله قوله تعالى (والطير صافات)

قوله تعالى ﴿فالزاجرات زجراً﴾ يعني الملائكة تزجر السحاب وتسوقه. وقال قتادة: هي زواجر القرآن تنهى وتزجر عن القبائح ﴿فالتاليات ذكراً﴾ هم الملائكة يتلون ذكر الله عز وجل، وقيل

وقال مسلم حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا محمد بن فضيل عن أبي مالك الاشجعي عن ربعي عن حذيفة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « فضلنا على الناس بثلاث . جعلت صفوفنا كصفوف الملائكة وجعلت لنا الارض كلها مسجداً وجعل لنا ترابها طهورا إذا لم نجد الماء » وقد روى مسلم أيضا وابو داود والنسائي وابن ماجه من حديث الاعمش عن المسيب بن رافع عن تميم بن طرفة عن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « ألا تصفون كما تصف الملائكة عند ربهم ؟ قلنا وكيف تصف الملائكة عند ربهم؟ قال ﷺ « يتمون الصفوف المتقدمة ويتراصون في الصف » وقال السدي وغيره معنى قوله تعالى (فالزاجرات زجراً) أنها تزجر السحاب . وقال الربيع بن أنس (فالزاجرات زجراً) مازجر الله تعالى عنه في القرآن ، وكذا روى مالك عن زيد بن أسلم (فالتاليات ذكراً) قال السدي الملائكة يجيئون بالكتاب والقرآن من عند الله إلى الناس وهذه الآية كقوله تعالى (فالملقيات ذكراً عذراً أو نذراً)

وقوله عز وجل (ان إلهكم لواحد رب السموات والارض] هذا هو المقسم عليه انه تعالى لا إله الا هو رب السموات والارض [ومابينهما] أي من المخلوقات [ورب المشارق] أي هو المالك المتصرف في الخلق بتسخيره بما فيه من كواكب ثوابت وسيارات تبدو من المشرق وتغرب من المغرب ، واكتفى بذكر المشارق عن المغارب لدلالتها عليه وقد صرح بذلك في قوله عز وجل [فلا أقسم برب المشارق والمغارب انا لقادرون] وقال تعالى في الآية الاخرى [رب المشرقين ورب المغربين] يعني في الشتاء والصيف للشمس والقمر

هم جماعة قراء القرآن ، وهذا كله قسم أقسم الله تعالى بها وجواب القسم قوله ﴿ إن إلهكم لواحد ﴾ وقيل فيه إضمار أي ورب الصافات والزاجرات والتاليات ، وذلك ان كفار مكة قالوا : أجعل الآلهة إلهاً واحداً فأقسم الله بهؤلاء ﴿ رب السموات والارض ومابينهما ورب المشارق ﴾ أي مطالع الشمس

فان قيل : قد قال في موضع (برب المشارق والمغارب) وقال في موضع (رب المشرقين ورب المغربين) وقال في موضع (رب المشرق والمغرب) فكيف وجه التوفيق بين هذه الآيات ؟ قيل : أما قوله (رب المشرق والمغرب) أراد به جهة المشرق وجهة المغرب ، وقوله (رب المشرقين ورب المغربين) أراد مشرق الشتاء ومشرق الصيف ، وأراد بالمغربين مغرب الشتاء ومغرب الصيف ، وقوله (برب المشارق والمغارب) أراد الله تعالى أنه خلق للشمس ثلثمائة وستين كوة في المشرق وثلثمائة وستين كوة في المغرب على عدد أيام السنة تطلع الشمس كل يوم من كوة منها وتغرب في كوة منها لاترجع الى الكوة التي تطلع الشمس منها من ذلك اليوم إلى العام المقبل فهي المشارق والمغارب ، وقيل كل موضع أشرقت عليه الشمس فهو مشرق وكل موضع غربت عليه الشمس فهو مغرب كأنه أراد رب جميع ماأشرقت عليه الشمس وغربت

إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب (٦) وحفظا من كل شيطان مارد (٧)

لا يسمعون الى الملأ الأعلى ويقذفون من كل جانب (٨) دحورا ولهم عذاب واصب (٩)

الا من خطف الخطفة فأتبعه شهاب ثاقب (١٠)

يخبر تعالى أنه زين السماء الدنيا للناظرين اليها من أهل الارض بزينة الكواكب، قرىء بالاضافة وبالبدل وكلاهما بمعنى واحد فالكواكب السيارة والنوابت يثقب ضوؤها جرم السماء الشفاف فتضيء لأهل الارض كما قال تبارك وتعالى [ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين * وأعتدنا لهم عذاب السعير] وقال عز وجل [ولقد جعلنا في السماء بروجا وزيناها للناظرين * وحفظناها من كل شيطان رجيم * الا من استرق السمع فأتبعه شهاب مبين]

فقوله جل وعلا ههنا (وحفظا) تقديره وحفظناها حفظا (من كل شيطان مارد) يعني المتمرد العاتي اذا أراد أن يسترق السمع أتاه شهاب ثاقب فأحرقه ولهذا قال جل جلاله [لا يسمعون الى الملأ الاعلى] أي لئلا يصلوا الى الملأ الأعلى وهي السموات ومن فيها من الملائكة اذا تكلموا بما يوحيه الله تعالى مما يقوله من شرعه وقدره كما تقدم بيان ذلك في الاحاديث التي أوردناها عند قوله تبارك وتعالى [حتى اذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم ؟ قالوا الحق وهو العلي الكبير] ولهذا قال تعالى [ويقذفون] أي يرمون [من كل جانب] أي من كل جهة يقصدون السماء منها [دحوراً] أي رجما يدحرون به ويزجرون ويمنعون من الوصول الى ذلك ويرجمون (ولهم عذاب واصب) أي في الدار الآخرة لهم عذاب دائم موجع مستمر كما قال جلت عظمته [وأعتدنا لهم عذاب السعير]

﴿ إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب ﴾ قرأ عاصم برواية أبي بكر (بزينة) منونة (الكواكب) نصب أي بتزييننا الكواكب . وقرأ حمزة وحفص (بزينة) منونة (الكواكب) خفض على البدل أي بزينة بالكواكب أي زيناها بالكواكب ، وقرأ الآخرون (بزينة الكواكب) بلا تنوين على الاضافة ، قال ابن عباس بضوء الكواكب ﴿ وحفظا ﴾ أي وحفظناها حفظا ﴿ من كل شيطان مارد ﴾ متمرد يرمون بها ﴿ لا يسمعون ﴾ قرأ حمزة والكسائي وحفص [يسمعون] بتشديد السين والميم أي لا يتسمعون فأدغمت التاء في السين ، وقرأ الآخرون بسكون السين خفيف الميم ﴿ إلى الملأ الأعلى ﴾ أي إلى الكتبة من الملائكة ، والملأ الاعلى هم الملائكة لانهم في السماء ، ومعناه انهم لا يستطيعون الاستماع إلى الملأ الاعلى ﴿ ويقذفون ﴾ يرمون ﴿ من كل جانب ﴾ من كل آفاق السماء بالشهب ﴿ دحوراً ﴾ يبعدونهم عن مجالس الملائكة ، يقال دحره دحراً ودحورا إذا طرده وأبعده ﴿ ولهم عذاب واصب ﴾ دائم

وقوله تبارك وتعالى [الا من خطف الخطفة] أي الا من اختطف من الشياطين الخطفة وهي الكلمة يسمعها من السماء فيلقيها الى الذي تحته ويلقيها الآخر الى الذي تحته فربما أدركه الشهاب قبل أن يلقيها وربما ألقاها بقدر الله تعالى قبل أن يأتيه الشهاب فيحرقه فيذهب بها الآخر الى الكاهن كما تقدم في الحديث ولهذا قال [الا من خطف الخطفة فأتبعه شهاب ثاقب] أي مستنير

قال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا وكيع عن إسرائيل عن أبي إسحاق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كان للشياطين مقاعد في السماء قال فكانوا يستمعون الوحي قال وكانت النجوم لاتجري وكانت الشياطين لاترمى قال فاذا سمعوا الوحي نزلوا الى الارض فزادوا في الكلمة تسعا قال فلما بعث رسول الله ﷺ جعل الشيطان اذا قعد مقعده جاءه شهاب فلم يخطئه حتى يحرقه قال فشكوا ذلك الى ابليس لعنه الله فقال ماهو الا من أمر حدث قال فبث جنوده فاذا رسول الله ﷺ قائم يصلي بين جبلي نخلة قال وكيع يعني بطن نخلة قال فرجعوا الى ابليس فأخبروه فقال هذا الذي حدث ، وستأتي ان شاء الله تعالى الاحاديث الواردة مع الآثار في هذا المعنى عند قوله تعالى اخباراً عن الجن أنهم قالوا (وانا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرساً شديداً وشهبا * وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا * وانا لاندري أشر أريد بمن في الارض أم أراد بهم ربهم رشدا)

فاستفتهم أهم أشد خلقا أمّن خلقنا انا خلقناهم من طين لازب (١١) بل عجبتَ ويسخرون (١٢) واذا ذُكّروا لايذكرون (١٣) واذا رأوا آية يستسخرون (١٤) وقالوا إنْ هذا إلا سحر مبين (١٥) أءذا متنا وكنا ترابا وعظاما أءنا لمبعوثون؟ (١٦) أوَ آباؤنا الاوّلون (١٧) قل نعم وأنتم داخرون (١٨) فانما هي زجْرة واحدة فاذا هم ينظرون (١٩)

يقول تعالى : فسل هؤلاء المنكرين للبعث أيما أشد خلقا هم أم السموات والارض وما بينهما من

قال مقاتل دائم إلى النفخة الاولى لانهم يحرقون ويتخبلون ﴿ إلا من خطف الخطفة ﴾ اختلس الكلمة من كلام الملائكة مسارقة ﴿ فأتبعه ﴾ لحقه ﴿ شهاب ثاقب ﴾ كوكب مضيء قوي لايخطئه يقتله أو يحرقه أو يخبله ، وإنما يعودون إلى استراق السمع مع علمهم بأنهم لايصلون اليه طمعاً في السلامة وقيل المراد كراكب السفينة . قال عطاء سمي النجم الذي يرمى به الشياطين ثاقبا لانه يثقبهم ﴿ فاستفتهم ﴾ يعني سلهم يعني أهل مكة ﴿ أهم أشد خلقا أم من خلقنا ﴾ يعني من السموات والارض والجبال ، وهذا استفهام بمعنى التقرير أي هذه الاشياء أشد خلقا كما قال [لخلق السموات والارض أكبر من خلق الناس] وقال (أأنتم أشد خلقا أم السماء)

الملائكة والشياطين والمخلوقات العظيمة ، وقرأ ابن مسعود رضي الله عنه أم من عددنا فانهم يقرون أن هذه المخلوقات أشد خلقا منهم ، واذا كان الامر كذلك فلم ينكرون البعث وهم يشاهدون ماهو أعظم مما أنكروا كما قال عز وجل (لخلق السموات والارض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لايعلمون) ثم بين أنهم خلقوا من شيء ضعيف فقال (انا خلقناهم من طين لازب)

قال مجاهد وسعيد بن جبير والضحاك هو الجيد الذي يلتزق بعضه ببعض ، وقال ابن عباس رضي الله عنهما وعكرمة هو اللزج الجيد ، وقال قتادة هو الذي يلزق باليد

وقوله عز وجل (بل عجبت ويسخرون) أي بل عجبت يامحمد من تكذيب هؤلاء المنكرين للبعث وأنت موقن مصدق بما أخبر الله تعالى من الامر العجيب وهو إعادة الاجسام بعد فنائها وهم بخلاف أمرك من شدة تكذيبهم يسخرون مما تقول لهم من ذلك

قال قتادة عجب محمد ﷺ وسخر ضلال بني آدم ، واذا رأوا آية أي دلالة واضحة على ذلك يستسخرون ، قال مجاهد وقتادة يستهزئون (وقالوا إن هـذا إلا سحر مبين) أي ان هذا الذي

وقيل [أم من خلقنا] يعني من الامم الخالية لان [من] يذكر فيمن يعقل ،يقول ان هؤلاء ليسوا بأحكم خلقا من غيرهم من الامم وقد أهلكناهم بذنوبهم فما الذي يؤمن هؤلاء من العذاب ؟

ثم ذكر خلق الانسان فقال ﴿ إنا خلقناهم من طين لازب ﴾ يعني جيد حر لاصق يعلق باليد ، ومعناه اللازم أبدل الميم باء كأنه يلزم اليد ، وقال مجاهد والضحاك منتن ﴿ بل عجبت ﴾ قرأ حمزة والكسائي بضم التاء وهي قراءة ابن مسعود وابن عباس ، والعجب من الله عز وجل ليس كالتعجب من الآدميين كما قال [فيسخرون منهم سخر الله منهم] وقال عز وجل (نسوا الله فنسيهم) والعجب من الآدميين إنكاره وتعظيمه . والعجب من الله تعالى قد يكون بمعنى الانكار والذم وقد يكون بمعنى الاستحسان والرضا كما جاء في الحديث « عجب ربكم من شاب ليست له صبوة » وجاء في الحديث « عجب ربكم من إلكم وقنوطكم وسرعة إجابته إياكم »

وسئل الجنيد عن هذه الآية فقال : ان الله لا يعجب من شيء ولكن الله وافق رسوله لما عجب رسوله فقال (وإن تعجب فعجب قولهم) أي هو كما تقوله ، وقرأ الآخرون بفتح التاء على خطاب النبي ﷺ أي عجبت من تكذيبهم إياك ﴿ ويسخرون ﴾ يعني وهم يسخرون من تعجبك ،قال قتادة عجب النبي ﷺ من هذا القرآن حين أنزل وضلال بني آدم وذلك ان النبي ﷺ كان يظن أن كل من يسمع القرآن يؤمن به فلما سمع المشركون القرآن سخروا منه ولم يؤمنوا به فعجب من ذلك النبي ﷺ فقال الله تعالى (بل عجبت ويسخرون) ﴿ وإذا ذكروا لايذكرون ﴾ يعنى إذا وعظوا بالقرآن لا يتعظون ﴿ وإذا رأوا آية ﴾ قال ابن عباس ومقاتل يعنى انشقاق القمر ﴿ يستسخرون ﴾ يسخرون ويستهزئون ،وقيل يستدعي بعضهم عن بعض السخرية ﴿ وقالوا إن هذا إلا سحر مبين ﴾

جئت به إلا سحر مبين (أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون * أو آباؤنا الاولون) يستبعدون ذلك ويكذبون به (قل نعم وأنتم داخرون) أي قل لهم يا محمد نعم تبعثون يوم القيامة بعد ما تصيرون ترابا وعظاما وأنتم داخرون أي حقيرون تحت القدرة العظيمة كما قال تبارك وتعالى (وكل أتوه داخرين) وقال (إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين)

ثم قال جلت عظمته (فإنما هي زجرة واحدة فإذا هم ينظرون) أي فإنما هو أمر واحد من الله عز وجل يدعوهم دعوة واحدة أن يخرجوا من الارض فإذا هم قيام بين يديه ينظرون إلى أهوال يوم القيامة والله تعالى أعلم

وقالوا يويلنا هذا يوم الدين (٢٠) هذا يوم الفصل الذي كنتم به تكذبون (٢١)

احشروا الذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون (٢٢) من دون الله فاهدوهم الى صراط الجحيم (٢٣) وقفوهم انهم مسئولون (٢٤) مالكم لا تناصرون ؟ (٢٥) بل هم اليوم مستسلمون (٢٦)

يخبر تعالى عن قيل الكفار يوم القيامة انهم يرجعون على أنفسهم بالملامة ويعترفون بأنهم كانوا ظالمين لأنفسهم في الدار الدنيا ، فإذا عاينوا أهوال القيامة ندموا كل الندم حيث لا ينفعهم الندم (وقالوا ياويلنا هذا يوم الدين) فتقول لهم الملائكة والمؤمنون (هذا يوم الفصل الذي كنتم به تكذبون) وهذا يقال لهم على وجه التقريع والتوبيخ ويأمر الله تعالى الملائكة أن تميز الكفار من المؤمنين في الموقف في محشرهم ومنشرهم ولهذا قال تعالى (احشروا الذين ظلموا وأزواجهم)

قال النعمان بن بشير رضي الله عنه يعني بأزواجهم أشباههم وأمثالهم ، وكذا قال ابن عباس وسعيد ابن جبير وعكرمة ومجاهد والسدي وأبو صالح وأبو العالية وزيد بن أسلم ، وقال سفيان الثوري عن سماك عن النعمان بن بشير عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه (احشروا الذين ظلموا وأزواجهم)قال إخوانهم ، وقال شريك عن سماك عن النعمان قال : سمعت عمر يقول(احشروا الذين ظلموا وأزواجهم)

يعني سحر بين ﴿ أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون أوآباؤنا الاولون ﴾ أي وآباؤنا الاولون ﴿ قل نعم﴾ تبعثون ﴿ وأنتم داخرون ﴾ صاغرون ، والدخور أشد الصغار ﴿ فإنما هي ﴾ أى قصة البعث أو القيامة ﴿ زجرة ﴾ أي صيحة ﴿ واحدة ﴾ يعنى نفخة البعث ﴿ فإذا هم ينظرون ﴾ أحياء ﴿ وقالوا ياويلنا هذا يوم الدين﴾ أي يوم الحساب ويوم الجزاء ﴿ هذا يوم الفصل﴾ يوم القضاء ، وقيل يوم الفصل بين المحسن والمسيء ﴿ الذي كنتم به تكذبون * احشروا الذين ظلموا ﴾ أي اشركوا اجمعوهم الى الموقف للحساب والجزاء ﴿وأزواجهم﴾ أشباههم وأتباعهم وأمثالهم ، قال قتادة والكلبي : كل من عمل

قال أشباههم، قال يجيء أصحاب الزنا مع أصحاب الزنا وأصحاب الربا مع أصحاب الربا، وأصحاب الخمر مع أصحاب الخمر، وقال خصيف عن مقسم عن ابن عباس رضي الله عنهما أزواجهم نساءهم وهذا غريب والمعروف عنه الاول كما رواه مجاهد وسعيد بن جبير عنه أزواجهم قرناءهم وما كانوا يعبدون من دون الله أي من الاصنام والانداد تحشر معهم في أماكنهم . وقوله تعالى (فاهدوهم إلى صراط الجحيم) أي ارشدوهم إلى طريق جهنم وهذا كقوله تعالى (ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما وصما مأواهم جهنم كلما خبت زدناهم سعيراً)

وقوله تعالى (وقفوهم انهم مسؤولون) أي قفوهم حتى يسئلوا عن أعمالهم وأقوالهم التي صدرت عنهم في الدار الدنيا كما قال الضحاك عن ابن عباس يعني احبسوهم انهم محاسبون

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا النفيلي حدثنا المعتمر بن سليمان قال سمعت ليثا يحدث عن بشر عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « أيما داع دعا إلى شيء كان موقوفا معه إلى يوم القيامة لا يغادره ولا يفارقه وإن دعا رجل رجلا » ثم قرأ (وقفوهم انهم مسؤولون) ورواه الترمذي من حديث ليث بن أبي سليم ، ورواه ابن جرير عن يعقوب بن ابراهيم عن معتمر عن ليث عن رجل عن أنس رضي الله عنه مرفوعا

وقال عبدالله بن المبارك سمعت عثمان بن زائدة يقول ان أول ما يسئل عنه الرجل جلساؤه ، ثم يقال لهم على سبيل التقريع والتوبيخ (مالكم لا تناصرون ؟) أي كما زعمتم انكم جميع منتصر (بل هم اليوم مستسلمون) أي ينقادون لامر الله لا يخالفونه ولا يحيدون عنه

مثل عملهم فأهل الخمر مع أهل الخمر وأهل الزنا مع أهل الزنا ، وقال الضحاك ومقاتل وقرناءهم من الشياطين كل كافر مع شيطانه في سلسلة ، وقال الحسن وأزواجهم المشركات ﴿ وما كانوا يعبدون من دون الله ﴾ في الدنيا يعني الاوثان والطواغيت ، وقال مقاتل يعني ابليس وجنوده واحتج بقوله (أن لا تعبدوا الشيطان) ﴿ فاهدوهم الى صراط الجحيم ﴾ قال ابن عباس دلوهم الى طريق النار وقال ابن كيسان قدموهم والعرب تسمي السابق هاديا ﴿ وقفوهم ﴾ واحبسوهم يقال وقفته وقفا فوقف وقوفا قال المفسرون لما سيقوا الى النار حبسوا عند الصراط لان السؤال عند الصراط فقيل وقفوهم ﴿ إنهم مسؤولون ﴾ قال ابن عباس عن جميع اقوالهم وافعالهم وروي عنه عن لا إله إلا الله وفي الخبر عن النبي عليه الصلاة والسلام قال « لا تزول قدما ابن آدم يوم القيامة حتى يسأل عن خمس : عن عمره فيما افناه ، وعن شبابه فيما ابلاه ، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم انفقه ، وماذا عمل فيما علم » ﴿ مالكم لا تناصرون ﴾ أي لا تتناصرون يقال لهم توبيخا مالكم لا ينصر بعضكم بعضا يقول لهم خزنة النار هذا جواب لابي جهل حيث قال يوم بدر نحن جميع منتصر فقال الله تعالى ﴿ بل هم اليوم مستسلمون ﴾ قال ابن عباس خاضعون وقال الحسن منقادون يقال استسلم للشيء اذا انقاد له وخضع له والمعنى هم

وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون (٢٧) قالوا انكم كنتم تأتوننا عن اليمين (٢٨) قالوا بل لم تكونوا مؤمنين (٢٩) وما كان لنا عليكم من سلطان بل كنتم قوما طاغين (٣٠) فحق علينا قول ربنا انا لذائقون (٣١) فأغوينكم انا كنا غاوين (٣٢) فانهم يومئذ في العذاب مشتركون (٣٣) انا كذلك نفعل بالمجرمين (٣٤) إنهم كانوا اذا قيل لهم لا إله الا الله يستكبرون (٣٥) ويقولون أئنا لتاركو آلهتنا لشاعر مجنون ؟ (٣٦) بل جاء بالحق وصدق المرسلين (٣٧)

يذكر تعالى أن الكفار يتلاومون في عرصات القيامة كما يتخاصمون في دركات النار (فيقول الضعفاء للذين استكبروا انا كنا لكم تبعا فهل أنتم مغنون عنا نصيبا من النار * قال الذين استكبروا انا كل فيها ان الله قد حكم بين العباد) وقال تعالى [ولو ترى إذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم إلى بعض القول ، يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا أنتم لكنا مؤمنين * قال الذين استكبروا للذين استضعفوا أنحن صددناكم عن الهدى بعد إذ جاءكم بل كنتم مجرمين * وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار إذ تأمروننا أن نكفر بالله ونجعل له أندادا وأسروا الندامة لما رأوا العذاب وجعلنا الاغلال في أعناق الذين كفروا هل يجزون إلا ما كانوا يعملون] وهكذا قالوا لهم ههنا [انكم كنتم تأتوننا عن اليمين] قال الضحاك عن ابن عباس يقولون كنتم تقهروننا بالقدرة منكم علينا لانا كنا أذلاء وكنتم أعزاء ، وقال مجاهد يعني عن الحق والكفار تقوله للشياطين

وقال قتادة قالت الانس للجن انكم كنتم تأتوننا عن اليمين قال من قبل الخير فتنهوننا عنه وتبطئوننا عنه ، وقال السدي تأتوننا من قبل الحق وتزينوا لنا الباطل وتصدونا عن الحق ، وقال الحسن في قوله تعالى [انكم كنتم تأتوننا عن اليمين] أي والله يأتيه عند كل خير يريده فيصده عنه ، وقال ابن زيد معناه تحولون بيننا وبين الخير ورددتمونا عن الاسلام والايمان والعمل بالخير الذي أمرنا به ، وقال يزيد الرشك[1] من قبل لا إله إلا الله ، وقال خصيف يعنون من قبل ميامنهم ، وقال عكرمة [انكم كنتم تأتوننا عن اليمين] قال من حيث نأمنكم

١) بكسر الراء وسكون الشين ابن أبي يزيد الضبعي

اليوم أذلاء منقادون لاحيلة لهم ﴿ واقبل بعضهم على بعض ﴾ أى الرؤساء والاتباع ﴿ يتساءلون ﴾ يتخاصمون ﴿ قالوا ﴾ أى الاتباع للرؤساء ﴿ إنكم كنتم تأتوننا عن اليمين ﴾ أى من قبل الدين فتضلوننا عنه وتروننا ان الدين ما تضلوننا به قاله الضحاك ، وقال مجاهد عن الصراط الحق ، واليمين عبارة عن الدين والحق كما قال الله تعالى عن ابليس « ثم لآتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن

وقوله تعالى (قالوا بل لم تكونوا مؤمنين) تقول القادة من الجن والانس للاتباع ماالامر كما تزعمون بل كانت قلوبكم منكرة للايمان قابلة للكفر والعصيان (وما كان لنا عليكم من سلطان) أي من حجة على صحة مادعوناكم اليه [بل كنتم قوما طاغين] أي بل كان فيكم طغيان ومجاوزة للحق فلهذا استجبتم لنا وتركتم الحق الذي جاءتكم به الانبياء وأقاموا لكم الحجج على صحة ماجاؤكم به فخالفتموهم (فحق علينا قول ربنا انا لذائقون *فأغويناكم انا كنا غاوين) يقول الكبراء للمستضعفين حقت علينا كلمة الله انا لمن الاشقياء الذائقين للعذاب يوم القيامة (فأغويناكم) أى دعوناكم إلى الضلالة (انا كنا غاوين) أي فدعوناكم الى مانحن فيه فاستجبتم لنا ، قال الله تبارك وتعالى [فانهم يومئذ في العذاب مشتركون] أي الجميع في النار كل بحسبه [انا كذلك نفعل بالمجرمين * انهم كانوا] أي في الدار الدنيا (اذا قيل لهم لا إله الا الله يستكبرون) أي يستكبرون أن يقولوها كما يقولها المؤمنون

قال ابن أبي حاتم حدثنا عبيدالله بن أخي ابن وهب حدثنا عمي حدثنا الليث عن ابن مسافر يعني عبد الرحمن بن خالد عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله الا الله ، فمن قال لا إله الا الله فقد عصم مني ماله ونفسه الا بحقه وحسابه على الله عز وجل » وأنزل الله تعالى في كتابه وذكر قوما استكبروا فقال تعالى (انهم كانوا اذا قيل لهم لا إله الا الله يستكبرون)

وقال ابن أبي حاتم أيضا حدثنا أبي حدثنا أبو سلمة موسى بن اسماعيل حدثنا حماد عن سعيد الجريرى عن أبي العلاء قال : يؤتى باليهود يوم القيامة فيقال لهم ماكنتم تعبدون؟ فيقولون نعبد الله وعزيراً فيقال لهم خذوا ذات الشمال ، ثم يؤتى بالنصارى فيقال لهم ماكنتم تعبدون؟ فيقولون نعبد الله والمسيح فيقال لهم خذوا ذات الشمال ، ثم يؤتى بالمشركين فيقال لهم لا إله الا الله فيستكبرون ثم يقال

شمائلهم) فمن أتاه الشيطان من قبل اليمين أتاه من قبل الدين فلبس عليه الحق وقال بعضهم كان الرؤساء يحلفون لهم أن مايدعونهم اليه هو الحق. فمعنى قوله (تأتوننا عن اليمين) أي من ناحية الايمان التي كنتم تحلفونها فوثقنا بها ، وقيل عن اليمين أي عن القوة والقدرة كقوله (لأخذنا منه باليمين) والمفسرون على القول الاول ﴿ قالوا ﴾ يعني الرؤساء للاتباع ﴿ بل لم تكونوا مؤمنين ﴾ لم تكونوا على الحق فنضلكم عنه أي إنما الكفر من قبلكم ﴿ وما كان لنا عليكم من سلطان ﴾ من قوة وقدرة فنقهركم على متابعتنا ﴿ بل كنتم قوما طاغين ﴾ ضالين ﴿ فحق ﴾ وجب ﴿ علينا ﴾ جميعا ﴿ قول ربنا ﴾ يعني كلمة العذاب وهي قوله (لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين) ﴿ إنا لذائقون ﴾ العذاب أي ان الضال والمضل جميعا في النار ﴿فأغويناكم ﴾ فاضللناكم عن الهدى ودعوناكم الى ماكنا عليه ﴿ إنا كنا غاوين ﴾ ضالين قال الله ﴿ فانهم يومئذ في العذاب مشتركون ﴾ الرؤساء والاتباع ﴿ إنا كذلك نفعل بالمجرمين ﴾ قال ابن عباس الذين جعلوا لله شركاء ﴿ انهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون ﴾ يتكبرون عن كلمة

لهم لا إله الا الله فيستكبرون ثم يقال لهم لا إله الا الله فيستكبرون فيقال لهم خذوا ذات الشمال. قال أبو نضرة فينطلقون أسرع من الطير ، قال أبو العلاء ثم يؤتى بالمسلمين فيقال لهم ما كنتم تعبدون ؟ فيقولون كنا نعبد الله تعالى فيقال لهم هل تعرفونه اذا رأيتموه ؟ فيقولون نعم ، فيقال لهم فكيف تعرفونه ولم تروه ؟ فيقولون نعلم أنه لا عدل له ، قال فيتعرف لهم تبارك وتعالى وتقدس وينجي الله المؤمنين (ويقولون أئنا لتاركو آلهتنا لشاعر مجنون) أي أنحن نترك عبادة آلهتنا وآلهة آبائنا عن قول هذا الشاعر المجنون يعنون رسول الله ﷺ قال الله تعالى تكذيبا لهم ورداً عليهم (بل جاء بالحق) يعني رسول الله ﷺ جاء بالحق في جميع شرعة الله تعالى له من الاخبار والطلب (وصدق المرسلين) أي صدقهم فيما أخبروا عنه من الصفات الحميدة ، والمناهج السديدة ، وأخبر عن الله تعالى في شرعه وأمره كما أخبروا [مايقال لك الا ماقد قيل للرسل من قبلك] الآية

انكم لذائقو العذاب الاليم (٣٨) وما تجزون الا ما كنتم تعملون (٣٩) إلا عباد الله المخلصين (٤٠) أولئك لهم رزق معلوم (٤١) فواكه وهم مكرمون (٤٢) في جنات النعيم (٤٣) على سرر متقبلين (٤٤) يطاف عليهم بكأس من معين (٤٥) بيضاء لذة للشربين (٤٦) لا فيها غول ولاهم عنها ينزفون (٤٧) وعندهم قصرت الطرف عين (٤٨) كأنهن بيض مكنون (٤٩)

يقول تعالى مخاطبا للناس (انكم لذائقو العذاب الاليم * وما تجزون الا ما كنتم تعملون) ثم استثنى من ذلك عباده المخلصين كما قال تعالى (والعصر ان الانسان لفي خسر * الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) وقال عز وجل [لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم * ثم رددناه أسفل سافلين * الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات] وقال تعالى [وإن منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا * ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا] وقال تعالى [كل نفس بما كسبت رهينة الا أصحاب اليمين] ولهذا قال جل وعلاهنا (الا عباد الله المخلصين] أي ليسوا يذوقون العذاب الاليم ولا يناقشون في الحساب بل يتجاوز عن سيئاتهم إن كان لهم سيئات ويجزون الحسنة بعشر أمثالها الى سبعمائة ضعف الى أضعاف كثيرة الى مايشاء الله تعالى من التضعيف

التوحيد ويمتنعون منها ﴿ ويقولون أئنا لتاركو آلهتنا لشاعر مجنون ﴾ يعنون النبي ﷺ قال الله عز وجل رداً عليهم ﴿ بل جاء ﴾ محمد ﴿ بالحق وصدق المرسلين ﴾ أي انه أتى بما أتى به المرسلون قبله ﴿ انكم لذائقو العذاب الاليم * وما تجزون إلا ما كنتم تعملون ﴾ في الدنيا من الشرك ﴿ إلا عباد الله المخلصين ﴾ الموحدين ﴿ أولئك لهم رزق معلوم يعني بكرة وعشيا كما قال (ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا)

وقوله جل وعلا [أولئك لهم رزق معلوم] قال قتادة والسدي يعني الجنة ثم فسره بقوله تعالى [فواكه] أي متنوعة [وهم مكرمون] أي يخدمون ويرفهون وينعمون [في جنات النعيم على سرر متقابلين] قال مجاهد لا ينظر بعضهم الى قفا بعض . وقال ابن أبي حاتم حدثنا يحيى بن عبدك القزويني حدثنا حسان بن حسان حدثنا ابراهيم بن بشر حدثنا يحيى بن معين حدثنا ابراهيم القرشي عن سعيد بن شرحبيل عن زيد بن أبي أوفى رضي الله عنه قال خرج علينا رسول الله ﷺ فتلا هذه الآية [على سرر متقابلين] ينظر بعضهم الى بعض حديث غريب

وقوله تعالى [يطاف عليهم بكأس من معين بيضاء لذة للشاربين لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون] كما قال عز وجل في الآية الاخرى [يطوف عليهم ولدان مخلدون بأكواب وأباريق وكأس من معين لا يصدعون عنها ولا ينزفون] نزه الله سبحانه وتعالى خمر الجنة عن الآفات التي في خمر الدنيا من صداع الرأس ووجع البطن وهو الغول وذهابها بالعقل جملة فقال تعالى ههنا [يطاف عليهم بكأس من معين] أي بخمر من أنهار جارية لا يخافون انقطاعها ولا فراغها قال مالك عن زيد بن أسلم خمر جارية بيضاء أي لونها مشرق حسن بهي لا كخمر الدنيا في منظرها البشع الردي ، من حمرة أو سواد أو اصفرار أو كدورة الى غير ذلك مما ينفر الطبع السليم

وقوله عز وجل [لذة للشاربين] أي طعمها طيب كلونها وطيب الطعم دليل على طيب الريح بخلاف خمر الدنيا في جميع ذلك وقوله تعالى [لا فيها غول] يعني لا تؤثر فيهم غولا وهو وجع البطن قاله ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وقتادة وابن زيد كما تفعله خمر الدنيا من القولنج ونحوه لكثرة مائيتها ، وقيل المراد بالغول ههنا صداع الرأس وروي هكذا عن ابن عباس رضي الله عنهما وقال قتادة هو صداع الرأس ووجع البطن وعنه وعن السدي لا تغتال عقولهم كما قال الشاعر

فما زالت الكأس تغتالنا وتذهب بالاول الاول

وقال سعيد بن جبير لا مكروه فيها ولا أذى ، والصحيح قول مجاهد أنه وجع البطن وقوله تعالى [ولا هم عنها ينزفون] قال مجاهد لا تذهب عقولهم وكذا قال ابن عباس ومحمد بن كعب والحسن

﴿ فواكه ﴾ جمع الفاكهة وهي الثمار كلها رطبها ويابسها وهي كل طعام يؤكل للتلذذ لا للقوت ﴿ وهم مكرمون ﴾ بثواب الله ﴿ في جنات النعيم * على سرر متقابلين ﴾ لا يرى بعضهم قفا بعض ﴿ يطاف عليهم بكأس ﴾ إناء فيه شراب ولا يكون كأسا حتى يكون فيه شراب وإلا فهو إناء ﴿ من معين ﴾ خمر جارية في الانهار ظاهرة تراها العيون ﴿ بيضاء ﴾ قال الحسن خمر الجنة أشد بياضا من اللبن ﴿ لذة ﴾ أي لذيذة ﴿ للشاربين * لا فيها غول ﴾ قال الشعبي لا تغتال عقولهم فتذهب بها قال الكلبي اثم وقال قتادة وجع البطن وقال الحسن صداع وقال أهل المعاني الغول فساد يلحق في خفاء يقال اغتاله اغتيالا اذا أفسد عليه امره في خفية ، وخمرة الدنيا يحصل منها أنواع من الفساد منها السكر وذهاب العقل ووجع البطن والصداع والقيء والبول ولا يوجد شيء من ذلك في خمر الجنة ﴿ ولا هم عنها ينزفون ﴾

وعطاء بن أبي مسلم الخراساني والسدي وغيرهم وقال الضحاك عن ابن عباس في الخمر أربع خصال السكر والصداع والقيء والبول فذكر الله تعالى خمر الجنة فنزهها عن هذه الخصال كما ذكر في سورة الصافات وقوله تعالى [وعندهم قاصرات الطرف] أي عفيفات لاينظرن الى غير أزواجهن كذا قال ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وزيد بن أسلم وقتادة والسدي وغيرهم

وقوله تبارك وتعالى عين أي حسان الاعين وقيل ضخام الأعين وهو يرجع إلى الاول وهي النجلاء العيناء فوصف عيونهن بالحسن والعفة كقول زليخا في يوسف عليه الصلاة والسلام حين جملته وأخرجته على تلك النسوة فأعظمنه وأكبرنه وظنن أنه ملك من الملائكة لحسنه وبهاء منظره قالت [فذلكن الذي لمتنني فيه ولقد راودته عن نفسه فاستعصم] أي هو مع هذا الجمال عفيف تقي نقي وهكذا الحور العين [خيرات حسان] ولهذا قال عز وجل [وعندهم قاصرات الطرف عين] وقوله جل جلاله [كأنهن بيض مكنون] وصفهن بترافة الابدان بأحسن الالوان قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما [كأنهن بيض مكنون] يقول اللؤلؤ المكنون وينشد ههنا بيت أبي دهبل الشاعر وهو قوله في قصيدة له

وهي زهراء مثل لؤلؤة الغوا ص ميزت من جوهر مكنون

وقال الحسن [كأنهن بيض مكنون] يعني محصون لم تمسه الايدي وقال السدي البيض في عشه مكنون وقال سعد بن جبير (كأنهن بيض مكنون) يعني بطن البيض وقال عطاء الخراساني هو السحاء الذي يكون بين قشرته العليا ولباب البيضة ، وقال السدي (كأنهن بيض مكنون) يقول بياض البيض حين ينزع قشره واختاره ابن جرير لقوله مكنون قال والقشرة العليا يمسها جناح الطير والعش وتنالها الايدي بخلاف داخلها والله أعلم

وقال ابن جرير حدثنا أحمد بن عبد الرحمن بن وهب حدثنا محمد بن الفرج الصدفي الدمياطي عن عمرو بن هاشم عن ابن أبي كريمة عن هشام عن الحسن عن أمه عن أم سلمة رضي الله عنها قالت قلت يارسول الله أخبرني عن قول الله عز وجل [حور عين] قال « العين الضخام العيون شفر الحوراء بمنزلة جناح النسر » قلت يارسول الله أخبرني عن قول الله عز وجل [كأنهن بيض مكنون] قال

قرأ حمزة والكسائي ينزفون بكسر الزاي وافقهما عاصم في الواقعة ، وقرأ الآخرون بفتح الزاي فيهما فمن فتح الزاي فمعناه لايغلبهم على عقولهم ولا يسكرون يقال نزف الرجل فهو منزوف ونزيف اذا سكر ، ومن كسر الزاي فمعناه لاينفد شرابهم يقال انزف الرجل فهو منزف اذا فنيت خمره ﴿ وعندهم قاصرات الطرف ﴾ حابسات الاعين ، غاضات الجفون ، قصرن أعينهن على ازواجهن لاينظرن الى غيرهم ﴿ عين ﴾ أي حسان الاعين يقال رجل اعين وامرأة عيناء ورجال ونساء عين ﴿ كأنهن بيض ﴾ جمع البيضة ﴿ مكنون ﴾ مصون مستور وانما ذكر المكنون والبيض جمع لانه رده الى اللفظ قال

« رقتهن كرقة الجلدة التي رأسها في داخل البيضة التي تلى القشر وهي الغرقيء »

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو غسان النهدي حدثنا عبد السلام بن حرب عن ليث عن الربيع بن أنس عن أنس رضي الله عنه قال . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أنا أول الناس خروجا اذا بعثوا ، وأنا خطيبهم اذا وفدوا ، وأنا مبشرهم اذا حزنوا ، وأنا شفيعهم اذا حبسوا ، لواء الحمد يومئذ بيدي ، وأنا أكرم ولد آدم على الله عز وجل ولا فخر ، يطوف علي ألف خادم كأنهن البيض المكنون ـ أو اللؤلؤ المكنون » والله تعالى أعلم بالصواب

فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون (٥٠) قال قائل منهم إني كان لي قرين (٥١) يقول أءنك لمن المصدّقين (٥٢) أءذا متنا وكنا ترابا وعظاما أءنا لمدينون ؟ (٥٣) قال هل أنتم مطلعون ؟ (٥٤) فاطّلع فرآه في سواء الجحيم (٥٥) قال تالله إن كدت لتردين (٥٦) ولولا نعمة ربي لكنتُ من المحضرين (٥٧) أفما نحن بميتين (٥٨) إلا موتتنا الاولى وما نحن بمعذبين (٥٩) إن هذا لهو الفضل العظيم (٦٠) لمثل هذا فليعمل العملون (٦١)

يخبر تعالى عن أهل الجنة أنه أقبل بعضهم على بعض يتساءلون أي عن أحوالهم وكيف كانوا في الدنيا وماذا كانوا يعانون فيها وذلك من حديثهم على شرابهم واجتماعهم في تنادمهم ومعاشرتهم في مجالسهم وهم جلوس على السرر والخدم بين أيديهم يسعون ويجيؤن بكل خير عظيم من مآكل ومشارب وملابس وغير ذلك مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر (قال قائل منهم اني كان لي قرين) قال مجاهد يعني شيطانا

وقال العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما هو الرجل المشرك يكون له صاحب من أهل الايمان في الدنيا ولا تنافي بين كلام مجاهد وابن عباس رضي الله عنهما فان الشيطان يكون من الجن فيوسوس في النفس ، ويكون من الانس فيقول كلاما تسمعه الاذنان وكلاهما يتعاونان قال الله تعالى (يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا) وكل منهما يوسوس كما قال الله عز وجل [من شر الوسواس

الحسن شبههن ببيض النعامة تكنها بالريش من الريح والغبار حين خروجها فلونها ابيض في صفرة ويقال هذا أحسن ألوان النساء أن تكون المرأة بيضاء مشربة صفرة والعرب تشبهها ببيضة النعامة ﴿ فاقبل بعضهم على بعض يتساءلون ﴾ يعني أهل الجنة في الجنة يسأل بعضهم بعضا عن حاله في الدنيا ﴿ قال قائل منهم ﴾ يعني من أهل الجنة ﴿ إني كان لي قرين ﴾ في الدنيا ينكر البعث قال مجاهد كان شيطانا وقال الآخرون كان من الانس وقال مقاتل كانا أخوين وقال الباقون كانا شريكين أحدهما كافر

الخناس الذي يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس] ولهذا [قال قائل منهم اني كان لي قرين يقول أئنك لمن المصدقين] أي أأنت تصدق بالبعث والنشور والحساب والجزاء يعني يقول ذلك على وجه التعجب والتكذيب والاستبعاد، والكفر والعناد (أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمدينون) قال مجاهد والسدي لمحاسبون ، وقال ابن عباس رضي الله عنهما ومحمد بن كعب القرظي لمجزيون بأعمالنا وكلاهما صحيح قال تعالى (قال هل أنتم مطلعون) أي مشرفون يقول المؤمن لأصحابه وجلسائه من أهل الجنة (فاطلع فرآه في سواء الجحيم) قال ابن عباس رضي الله عنهما وسعيد بن جبير وخليد العصري وقتادة والسدي وعطاء الخراساني يعني في وسط الجحيم ، وقال الحسن البصري في وسط الجحيم كأنه شهاب يتقد ، وقال قتادة ذكر لنا أنه اطلع فرأى جماجم القوم تغلي ، وذكر لنا أن كعب الاحبار قال في الجنة كوى اذا أراد أحد من أهلها أن ينظر إلى عدوه في النار اطلع فيها فازداد شكراً (قال تالله إن كدت لتردين) يقول المؤمن مخاطبا للكافر والله إن كدت لتهلكني لو أطعتك (ولولا نعمة ربي لكنت من المحضرين) أي ولولا فضل الله علي لكنت مثلك في سواء الجحيم حيث أنت محضر معك في العذاب ولكنه تفضل علي ورحمني فهداني للايمان وأرشدني الى توحيده [وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله]

وقوله تعالى (أفما نحن بميتين * الا موتتنا الاولى وما نحن بمعذبين) هذا من كلام المؤمن مغتبطا نفسه بما أعطاه الله تعالى من الخلد في الجنة والاقامة في دار الكرامة بلا موت فيها ولا عذاب ولهذا قال عز وجل (إن هذا لهو الفوز العظيم)

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو عبد الله الظهراني حدثنا حفص بن عمر العدني حدثنا الحكم بن

اسمه فطروس والآخر مؤمن اسمه يهوذا وهما اللذان قص الله تعالى خبرهما في سورة الكهف في قوله تعالى (واضرب لهم مثلا رجلين) ﴿ يقول أئنك لمن المصدقين ﴾ بالبعث ﴿ أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمدينون ﴾ مجزيون ومحاسبون وهذا استفهام انكار ﴿ قال ﴾ الله تعالى لاهل الجنة ﴿ هل أنتم مطلعون ﴾ الى النار وقيل يقول المؤمن لاخوانه من أهل الجنة هل انتم مطلعون الى النار لننظر كيف منزلة أخي فيقول أهل الجنة أنت اعرف به منا ﴿ فاطلع ﴾ قال ابن عباس إن في الجنة كوى ينظر أهلها منها الى النار فاطلع هذا المؤمن ﴿ فرآه في سواء الجحيم ﴾ فرأى قرينه في وسط النار وانما سمي وسط الشيء سواء لاستواء الجوانب منه ﴿ قال ﴾ له ﴿ تالله إن كدت لتردين ﴾ والله لقد كدت أن تهلكني قال مقاتل والله لقد كدت أن تغويني ومن اغوى انسانا فقد اهلكه ﴿ ولولا نعمة ربي ﴾ رحمته وانعامه علي بالاسلام ﴿ لكنت من المحضرين ﴾ معك في النار ﴿ أفما نحن بميتين إلا موتتنا الاولى ﴾ في الدنيا ﴿ وما نحن بمعذبين ﴾ قال بعضهم يقول هذا أهل الجنة للملائكة حين يذبح الموت

أبان عن عكرمة قال : قال ابن عباس رضي الله عنهما في قول الله تبارك وتعالى لأهل الجنة [كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون] قال ابن عباس رضي الله عنهما قوله عز وجل (هنيئا) أي لا يموتون فيها فعندها قالوا (أفما نحن بميتين * إلا موتتنا الاولى وما نحن بمعذبين) وقال الحسن البصري علموا أن كل نعيم فان الموت يقطعه فقالوا (أفما نحن بميتين * الا موتتنا الاولى وما نحن بمعذبين) قيل لا (قالوا إن هذا لهو الفوز العظيم)

وقوله جل جلاله (لمثل هذا فليعمل العاملون) قال قتادة هذا من كلام أهل الجنة ، وقال ابن جرير هو من كلام الله تعالى ومعناه لمثل هذا النعيم وهذا الفوز فليعمل العاملون في الدنيا ليصيروا اليه في الآخرة . وقد ذكروا قصة رجلين كانا شريكين في بني اسرائيل تدخل في ضمن عموم هذه الكريمة

قال أبو جعفر ابن جرير حدثني اسحاق بن ابراهيم بن حبيب بن الشهيد حدثنا عتاب بن بشير عن خصيف عن فرات بن ثعلبة النهراني في قوله (اني كان لي قرين) قال ان رجلين كانا شريكين فاجتمع لهما ثمانية آلاف دينار ، وكان أحدهما له حرفة والآخر ليس له حرفة ، فقال الذي له حرفة للآخر ليس عندك حرفة ما أراني إلا مفارقك ومقاسمك فقاسمه وفارقه ثم ان الرجل اشترى داراً بألف دينار كانت لملك مات فدعا صاحبه فأراه فقال كيف ترى هذه الدار ابتعتها بألف دينار ؟ قال ماأحسنها، فلما خرج قال اللهم ان صاحبي هذا قد ابتاع هذه الدار بألف دينار واني أسألك دارا من دور الجنة فتصدق بألف دينار ، ثم مكث ماشاء الله تعالى أن يمكث، ثم انه تزوج بامرأة بألف دينار فدعاه وصنع له طعاماً فلما أتاه قال اني تزوجت هذه المرأة بألف دينار قال ماأحسن هذا فلما انصرف قال يارب ان صاحبي تزوج امرأة بألف دينار واني أسألك امرأة من الحور العين فتصدق بألف دينار ، ثم انه مكث ماشاء الله تعالى أن يمكث ثم اشترى بستانين بألفي دينار ثم دعاه فأراه فقال اني ابتعت هذين البستانين بألفي دينار فقال ما أحسن هذا فلما خرج قال يارب ان صاحبي قد اشترى بستانين بألفي دينار وأنا أسألك بستانين في الجنة فتصدق بألفي دينار ، ثم ان الملك أتاهما فتوفاهما ثم انطلق بهذا المتصدق فأدخله داراً تعجبه وإذا بامرأة تطلع يضيء ماتحتها من حسنها ثم أدخله بستانين وشيئا الله به عليم فقال عند ذلك ما أشبه هذا برجل كان من أمره كذا وكذا قال فانه ذاك ولك هذا المنزل والبستانان والمرأة ، قال فانه كان لي صاحب يقول أئنك لمن المصدقين قيل له فانه في الجحيم قال هل أنتم مطلعون؟ فاطلع فرآه في سواء الجحيم فقال عند ذلك (تالله إن كدت لتردين * ولولا نعمة ربي لكنت من المحضرين) الآيات قال ابن جرير وهذا يقوي قراءة من قرأ (أئنك لمن المصدقين) بالتشديد

وقال ابن أبي حاتم حدثنا الحسن بن عرفة حدثنا عمر بن عبد الرحمن الابار أخبرنا أبو حفص قال سألت اسماعيل السدي عن هذه الآية (قال قائل منهم اني كان لي قرين * يقول أئنك لمن

أفما نحن بميتين ؟ فتقول لهم الملائكة لا فيقولون ﴿ إن هذا لهو الفوز العظيم ﴾ وقيل إنما يقولونه على

المصدقين) قال فقال لي ماذكرك هذا ؟قلت قرأته آنفا فأحببت أن أسألك عنه فقال أما فاحفظ كان شريكان في بني اسرائيل أحدهما مؤمن والآخر كافر فافترقا على ستة آلاف دينار لكل واحد منهما ثلاثة آلاف دينار ثم افترقا فمكثا ماشاء الله تعالى أن يمكثا، ثم التقيا فقال الكافر للمؤمن ماصنعت في مالك؟ أضربت به شيئا اتجرت به في شيء ؟ فقال له المؤمن لا فما صنعت أنت ؟فقال اشتريت به أرضا ونخلا وثمارا وأنهارا بألف دينار -قال - فقال له المؤمن أوفعلت؟ قال نعم ، قال فرجع المؤمن حتى إذا كان الليل صلى ماشاء الله تعالى أن يصلي فلما انصرف أخذ الف دينار فوضعها بين يديه ثم قال : اللهم إن فلانا -يعني شريكه الكافر - اشترى أرضا ونخلا وثمارا وأنهارا بألف دينار ثم يموت غدا ويتركها ، اللهم اني اشتريت منك بهذه الالف دينار أرضا ونخلا وثمارا وأنهارا في الجنة - قال - ثم أصبح فقسمها في المساكين -قال- ثم مكثا ماشاء الله تعالى أن يمكثا ثم التقيا فقال الكافر للمؤمن ماصنعت في مالك أضربت به في شيء اتجرت به في شيء؟ قال لا قال فما صنعت أنت ؟ قال كانت ضيعتي قد اشتد علي مؤنتها فاشتريت رقيقا بألف دينار يقومون لي فيها ويعملون لي فيها فقال له المؤمن أو فعلت ؟ قال نعم - قال- فرجع المؤمن حتى إذا كان الليل صلى ماشاء الله تعالى أن يصلي فلما انصرف أخذ الف دينار فوضعها بين يديه ثم قال اللهم ان فلانا - يعني شريكه الكافر - اشترى رقيقا من رقيق الدنيا بألف دينار يموت غدا فيتركهم أو يموتون فيتركونه ، اللهم اني اشتريت منك بهذه الالف الدينار رقيقا في الجنة - قال - ثم أصبح فقسمها في المساكين — قال— ثم مكثا ماشاء الله تعالى أن يمكثا ثم التقيا فقال الكافر للمؤمن ماصنعت في مالك أضربت به في شيء اتجرت به في شيء ؟ قال لا فما صنعت أنت ؟قال كان أمري كله قد تم إلا شيئا واحدا فلانة قد مات عنها زوجها فأصدقتها الف دينار فجاءتني بها ومثلها معها فقال له المؤمن أوفعلت ؟ قال نعم قال فرجع المؤمن حتى إذا كان الليل صلى ماشاء الله تعالى أن يصلي فلما انصرف أخذ الالف الدينار الباقية فوضعها بين يديه وقال اللهم ان فلانا - يعني شريكه الكافر - تزوج زوجة من أزواج الدنيا بألف دينار فيموت غدا فيتركها او تموت غدا فتتركه اللهم واني أخطب اليك بهذه الالف الدينار حوراء عيناء في الجنة — قال — ثم أصبح فقسمها بين المساكين - قال - فبقي المؤمن ليس عنده شيء . قال فلبس قميصا من قطن وكساء من صوف ثم أخذ مرا فجعله على رقبته يعمل الشيء ويحفر الشيء بقوته. قال فجاءه رجل فقال له ياعبدالله أتؤاجرني نفسك مشاهرة شهرا بشهر تقوم على دواب لي تعلفها وتكنس سرقينها قال أفعل قال فواجره نفسه مشاهرة شهرا بشهر يقوم على دوابه ، قال وكان صاحب الدواب يغدو كل يوم ينظر إلى دوابه فاذا رأى منها دابة ضامرة أخذ برأسه فوجأ عنقه ثم يقول له سرقت شعير هذه البارحة ، قال فلما رأى المؤمن هذه الشدة قال لآتين شريكي الكافر فلأعملن في أرضه فليطعمني هذه الكسرة يوما بيوم ويكسوني هذين

جبة الحديث بنعمة الله عليهم في أنهم لايموتون ولا يعذبون وقيل يقوله المؤمن لقرينه على جهة التوبيخ

الثوبين إذا بليا ، قال فانطلق يريده فانتهى إلى بابه وهو ممس فاذا قصر مشيد في السماء وإذا حوله البوابون فقال لهم استأذنوا لي على صاحب هذا القصر فانكم إذا فعلتم سره ذلك، فقالوا له انطلق ان كنت صادقا فنم في ناحية فاذا أصبحت فتعرض له . قال فانطلق المؤمن فألقى نصف كسائه تحته ونصفه فوقه ثم نام فلما أصبح أتى شريكه فتعرض له فخرج شريكه الكافر وهو راكب فلما رآه عرفه فوقف عليه وسلم عليه وصافحه ثم قال له ألم تأخذ من المال مثل ماأخذت ؟ قال بلى قال وهذه حالي وهذه حالك؟ قال بلى قال أخبرني ماصنعت في مالك؟ قال لا تسألني عنه، قال فما جاء بك؟ قال جئت أعمل في أرضك هذه فتطعمني هذه الكسرة يوما بيوم وتكسوني هذين الثوبين إذا بليا ، قال لا ولكن أصنع بك ماهو خير من هذا ولكن لاترى مني خيرا حتى تخبرني ماصنعت في مالك، قال أقرضته قال من؟ قال المليء الوفي قال من ؟ قال الله ربي قال وهو مصافحه فانتزع يده من يده ثم قال (أئنك لمن المصدقين * أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمدينون) قال السدي محاسبون قال فانطلق الكافر وتركه، قال فلما رآه المؤمن وليس يلوي عليه رجع وتركه يعيش المؤمن في شدة من الزمان ويعيش الكافر في رخاء من الزمان ، قال فاذا كان يوم القيامة وأدخل الله تعالى المؤمن الجنة يمر فاذا هو بأرض ونخل وثمار وأنهار فيقول لمن هذا ؟ فيقال هذا لك فيقول ياسبحان الله أوبلغ من فضل عملي أن أثاب بمثل هذا ؟ قال ثم يمر فاذا هو برقيق لا تحصى عدتهم فيقول لمن هذا؟ فيقال هؤلاء لك ،فيقول ياسبحان الله أوبلغ من فضل عملي أن أثاب بمثل هذا قال ثم يمر فاذا هو بقبة من ياقوتة حمراء مجوفة فيها حوراء عيناء فيقول لمن هذه فيقال هذه لك فيقول ياسبحان الله أو بلغ من فضل عملي أن أثاب بمثل هذا ، قال ثم يذكر المؤمن شريكه الكافر فيقول (إني كان لي قرين * يقول أئنك لمن المصدقين * أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمدينون) قال فالجنة عالية والنار هاوية قال فيريه الله تعالى شريكه في وسط الجحيم من بين أهل النار فاذا رآه المؤمن عرفه فيقول (تالله إن كدت لتردين * ولولا نعمة ربي لكنت من المحضرين * أفما نحن بميتين الا موتتنا الاولى وما نحن بمعذبين * إن هذا لهو الفوز العظيم * لمثل هذا فليعمل العاملون) بمثل ما قد من عليه . قال فيتذكر المؤمن مامر عليه في الدنيا من الشدة فلا يذكر مما مر عليه في الدنيا من الشدة أشد عليه من الموت

أذلك خير نُزُلًا أم شجرة الزَّقُّوم ؟ (٦٢) إنا جعلنٰها فتنة للظّٰلمين (٦٣) إنها شجرة

تخرج في أصل الجحيم (٦٤) طلعها كأنه رءوس الشيٰطين (٦٥) فإنهم لآكلون منها فمالئون

بما كان ينكره قال الله تعالى ﴿ لمثل هذا فليعمل العاملون ﴾ أي لمثل هذا المنزل ولمثل هذا النعيم الذى ذكره من قوله (أولئك لهم رزق معلوم — الى قوله — فليعمل العاملون)﴿ أذلك ﴾ أي ذلك الذي ذكر لاهل الجنة ﴿ خير نزلا أم شجرة الزقوم ﴾ التي هي نزل أهل النار والزقوم شجرة خبيثة مرة

منها البطون (٦٦) ثم إن لهم عليها لشوبا من حميم (٦٧) ثم إن مرجعهم لإلى الجحيم (٦٨)

إنهم ألفوا آباءهم ضالين (٦٩) فهم على آثارهم يهرعون (٧٠)

يقول الله تعالى أهذا الذي ذكره من نعيم الجنة وما فيها من مآكل ومشارب ومناكح وغير ذلك من الملاذ خير ضيافة وعطاء (أم شجرة الزقوم) أي التي في جهنم وقد يحتمل أن يكون المراد بذلك شجرة واحدة معينة كما قال بعضهم إنها شجرة تمتد فروعها إلى جميع محال جهنم كما أن شجرة طوبى ما من دار في الجنة إلا وفيها منها غصن ، وقد يحتمل أن يكون المراد بذلك جنس شجر يقال له الزقوم كقوله تعالى (وشجرة تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن وصبغ للآكلين) يعني الزيتونة ويؤيد ذلك قوله تعالى (ثم انكم أيها الضالون المكذبون * لآكلون من شجر من زقوم)

وقوله عز وجل (إنا جعلناها فتنة للظالمين) قال قتادة ذكرت شجرة الزقوم فافتتن بها أهل الضلالة وقالوا صاحبكم ينبئكم أن في النار شجرة والنار تأكل الشجر فأنزل الله تعالى (انها شجرة تخرج في أصل الجحيم) غذيت من النار ومنها خلقت

وقال مجاهد (انا جعلناها فتنة للظالمين) قال أبو جهل لعنه الله انما الزقوم التمر والزبد أتزقمه قلت ومعنى الآية انما أخبرناك يامحمد بشجرة الزقوم اختباراً نختبر به الناس من يصدق منهم ممن يكذب كقوله تبارك وتعالى (وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس * والشجرة الملعونة في القرآن ونخوفهم فما يزيدهم إلا طغيانا كبيراً)

وقوله تعالى (انها شجرة تخرج في أصل الجحيم) أي أصل منبتها في قرار النار طلعها كأنه رءوس الشياطين تبشيع لها وتكريه لذكرها . قال وهب بن منبه شعور الشياطين قائمة إلى السماء ، وانما شبهها برءوس الشياطين وان لم تكن معروفة عند المخاطبين لأنه قد استقر في النفوس ان الشياطين قبيحة

كريهة الطعم يكره أهل النار على تناولها فهم يتزقمونه على أشد كراهية ومنه قولهم تزقم الطعام اذا تناوله على كره ومشقة ﴿ إنا جعلناها فتنة للظالمين ﴾ للكافرين وذلك أنهم قالوا كيف يكون في النار شجرة والنار تحرق الشجر ، وقال ابن الزبعرى لصناديد قريش إن محمداً يخوفنا بالزقوم والزقوم بلسان بربر الزبد والتمر فأدخلهم أبو جهل بيته وقال ياجارية زقمينا فأتتهم بالزبد والتمر فقال تزقموا فهذا مايوعدكم به محمد ، فقال الله تعالى ﴿ إنها شجرة تخرج في أصل الجحيم ﴾ قعر النار وقال الحسن أصلها في قعر جهنم وأغصانها ترتفع الى دركاتها ﴿ طلعها ﴾ ثمرها سمي طلعا لطلوعه ﴿ كأنه رءوس الشياطين ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما هم الشياطين بأعيانهم شبه بها لقبحها لان الناس اذا وصفوا شيئا بغاية القبح قالوا كأنه شيطان وان كانت الشياطين لاترى لان قبح صورتها متصور في النفس وهذا معنى قول ابن عباس والقرظي وقال بعضهم أراد بالشياطين الحيات والعرب تسمي الحية القبيحة المنظر شيطانا وقيل هي

المنظر ، وقيل المراد بذلك ضرب من الحيات رءوسها بشعة المنظر ، وقيل جنس من النبات طلعه في غاية الفحاشة وفي هذين الاحتمالين نظر ، وقد ذكرهما ابن جرير والاول أقوى وأولى والله أعلم

وقوله تعالى (فانهم لآكلون منها * فمالئون منها البطون) ذكر تعالى أنهم يأكلون من هذه الشجرة التي لا أبشع منها ولا أقبح من منظرها مع ماهي عليه من سوء الطعم والريح والطبع فانهم ليضطرون إلى الاكل منها لانهم لايجدون إلا إياها وما هو في معناها كما قال تعالى (ليس لهم طعام إلا من ضريع * لايسمن ولا يغني من جوع)

وقال ابن أبي حاتم رحمه الله حدثنا أبي حدثنا عمرو بن مرزوق حدثنا شعبة عن الاعمش عن مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ تلا هذه الآية وقال « اتقوا الله حق تقاته فلو أن قطرة من الزقوم قطرت في بحار الدنيا لأفسدت على أهل الارض معايشهم فكيف بمن يكون طعامه ؟ » ورواه الترمذي والنسائي وابن ماجه من حديث شعبة وقال الترمذي حسن صحيح

وقوله تعالى (ثم ان لهم عليها لشوبا من حميم] قال ابن عباس رضي الله عنهما يعني شرب الحميم على الزقوم ، وقال في رواية عنه شوبا من حميم مزجا من حميم ، وقال غيره يعني يمزج لهم الحميم بصديد وغساق مما يسيل من فروجهم وعيونهم

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا حيوة بن شريح الحضرمي حدثنا بقية بن الوليد عن صفوان ابن عمرو أخبرني عبيد بن بشير عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه كان يقول « يقرب - يعني إلى أهل النار - ماء فيتكرهه فاذا أدني منه شوى وجهه ووقعت فروة رأسه فيه فاذا شربه قطع أمعاءه حتى تخرج من دبره »

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عمرو بن رافع حدثنا يعقوب بن عبد الله عن جعفر وهارون ابن عنترة عن سعيد بن جبير قال: اذا جاع أهل النار استغاثوا بشجرة الزقوم فأكلوا منها فاختلست جلود وجوههم فلو أن مارا مر بهم يعرفهم لعرف وجوههم فيها ثم يصب عليهم العطش فيستغيثون فيغاثوا بماء كالمهل وهو الذي قد انتهى حره فاذا أدنوه من أفواههم اشتوى من حره لحوم وجوههم التي قد سقطت عنها الجلود ويصهر مافي بطونهم فيمشون أمعاءهم وتتساقط جلودهم ثم يضربون بمقامع من حديد فيسقط كل عضو على حياله يدعون بالثبور .

وقوله عز وجل (ثم ان مرجعهم لالى الجحيم) أي ثم ان مردهم بعد هذا الفصل لالى نار تتأجج

شجرة قبيحة مرة منتنة تكون في البادية تسميها العرب رءوس الشياطين ﴿ فانهم لآكلون منها فمالئون منها البطون ﴾ والملء حشو الوعاء بما لا يحتمل الزيادة عليه ﴿ ثم إن لهم عليها لشوبا ﴾ خلطا ومزاجا ﴿ من حميم ﴾ من ماء حار شديد الحرارة يقال إنهم اذا أكلوا الزقوم شربوا عليه الحميم فيشوب الحميم في بطونهم الزقوم فيصير شوبا له ﴿ ثم إن مرجعهم ﴾ بعد شرب الحميم ﴿ لالى الجحيم ﴾ وذلك أنهم يوردون

وجحيم تتوقد وسعير تتوهج ، فتارة في هذا وتارة في هذا كما قال تعالى (يطوفون بينها وبين حميم آن) هكذا تلا قتادة هذه الآية عند هذه الآية وهو تفسير حسن قوي ، وقال السدي في قراءة عبدالله رضي الله عنه (ثم ان مقيلهم لالى الجحيم) وكان عبدالله رضي الله عنه يقول والذي نفسي بيده لاينتصف النهار يوم القيامة حتى يقيل أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار، ثم قرأ (أصحاب الجنة يومئذ خير مستقراً وأحسن مقيلا) وروى الثوري عن ميسرة عن المنهال بن عمرو عن أبي عبيدة عن عبدالله رضي الله عنه قال : لاينتصف النهار يوم القيامة حتى يقيل هؤلاء ويقيل هؤلاء . قال سفيان أراه ثم قرأ (أصحاب الجنة يومئذ خير مستقراً وأحسن مقيلا) (ثم ان مقيلهم لالى الجحيم) قلت على هذا التفسير تكون ثم عاطفة لخبر على خبر

وقوله تعالى (انهم ألفوا آباءهم ضالين) أي انما جازيناهم بذلك لأنهم وجدوا آباءهم على الضلالة فاتبعوهم فيها بمجرد ذلك من غير دليل ولا برهان ، ولهذا قال (فهم على آثارهم يهرعون) قال مجاهد شبيهة بالهرولة ، وقال سعيد بن جبير يسفهون

ولقد ضل قبلهم أكثرُ الأولين (٧١) ولقد أرسلنا فيهم منذِرين (٧٢) فانظر كيف كان عاقبة المنذَرين (٧٣) إلا عبادَ الله المخلَصين (٧٤)

يخبر تعالى عن الامم الماضية ان أكثرهم كانوا ضالين يجعلون مع الله آلهة أخرى ، وذكر تعالى أنه أرسل فيهم منذرين ينذرون بأس الله ويحذرونهم سطوته ونقمته ممن كفر به وعبد غيره وانهم تمادوا على مخالفة رسلهم وتكذيبهم فأهلك المكذبين ودمرهم ونجى المؤمنين ونصرهم وظفرهم ، ولهذا قال تعالى (فانظر كيف كان عاقبة المنذرين إلا عباد الله المخلصين)

ولقد نادانا نوحٌ فلنعم المجيبون (٧٥) ونجينٰه وأهله من الكرب العظيم (٧٦) وجعلنا ذريته هم الباقين (٧٧) وتركنا عليه في الآخرين (٧٨) سلٰمٌ على نوح في العٰلمين (٧٩)

الحميم لشربه وهو خارج من الجحيم كما تورد الابل الماء ثم يردون الى الجحيم ، يدل عليه قوله تعالى (يطوفون بينها وبين حميم آن) وقرأ ابن مسعود (ثم إن مقيلهم لالى الجحيم ، ﴿ إنهم ألفوا ﴾ وجدوا ﴿ آباءهم ضالين * فهم على آثارهم يهرعون ﴾ يسرعون قال الكلبي يعملون مثل اعمالهم

قوله تعالى ﴿ ولقد ضل قبلهم أكثر الاولين ﴾ من الامم الخالية ﴿ ولقد أرسلنا فيهم منذرين * فانظر كيف كان عاقبة المنذرين ﴾ الكافرين أي كان عاقبتهم العذاب ﴿ إلا عباد الله المخلصين ﴾ الموحدين نجوا من العذاب

قوله تعالى ﴿ ولقد نادانا نوح ﴾ دعا ربه على قومه فقال إني مغلوب فانتصر ﴿ فلنعم المجيبون ﴾

انا كذلك نجزي المحسنين (٨٠) إنه من عبادنا المؤمنين (٨١) ثم أغرقنا الآخرين (٨٢)

لما ذكر تعالى عن أكثر الاولين أنهم ضلوا عن سبيل النجاة شرع يبين ذلك مفصلا فذكر نوحا عليه الصلاة والسلام وما لقي من قومه من التكذيب، وانه لم يؤمن منهم إلا القليل مع طول المدة لبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما فلما طال عليه ذلك واشتد عليه تكذيبهم، وكلما دعاهم ازدادوا نفرة فدعا ربه اني مغلوب فانتصر، فغضب الله تعالى لغضبه عليهم، ولهذا قال عز وجل (ولقد نادانا نوح فلنعم المجيبون) أي فلنعم المجيبون له (ونجيناه وأهله من الكرب العظيم) وهو التكذيب والاذي (وجعلنا ذريته هم الباقين)

قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما يقول: لم تبق إلا ذرية نوح عليه السلام وقال سعيد بن أبي عروبة عن قتادة في قوله تبارك وتعالى (وجعلنا ذريته هم الباقين) قال الناس كلهم من ذرية نوح عليه السلام، وقد روى الترمذي وابن جرير وابن أبي حاتم من حديث سعيد بن بشير عن قتادة عن الحسن عن سمرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ في قوله تعالى (وجعلنا ذريته هم الباقين) قال سام وحام ويافث

وقال الامام احمد حدثنا عبدالوهاب عن سعيد عن قتادة عن الحسن عن سمرة رضي الله عنه أن نبي الله ﷺ قال «سام أبو العرب وحام أبو الحبش ويافث أبو الروم» ورواه الترمذي عن بشر بن معاذ العقدي عن يزيد بن زريع عن سعيد وهو ابن أبي عروبة عن قتادة به. قال الحافظ أبو عمر ابن عبدالبر، وقد روي عن عمران بن حصين رضي الله عنه عن النبي ﷺ مثله، والمراد بالروم ههنا هم الروم الاول وهم اليونان المنتسبون إلى رومي بن ليطي بن يونان بن يافث بن نوح عليه السلام ثم روي من حديث اسماعيل بن عياش عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب قال: ولد نوح عليه السلام ثلاثة سام ويافث وحام، وولد كل واحد من هؤلاء الثلاثة ثلاثة، فولد سام العرب وفارس والروم، وولد يافث الترك والسقالبة ويأجوج ومأجوج، وولد حام القبط والسودان والبربر، وروي عن وهب بن منبه نحو هذا والله أعلم.

وقوله تبارك وتعالى [وتركنا عليه في الآخرين] قال ابن عباس رضي الله عنهما يذكر بخير،

نحن يعني أجبنا دعاءه واهلكنا قومه ﴿ونجيناه وأهله من الكرب العظيم﴾ الغم العظيم الذي لحق قومه وهو الغرق ﴿وجعلنا ذريته هم الباقين﴾ وأراد أن الناس كلهم من نسل نوح، روى الضحاك عن ابن عباس قال لما خرج نوح من السفينة مات من كان معه من الرجال والنساء إلا ولده ونساءهم قال سعيد بن المسيب كان ولد نوح ثلاثة: سام وحام ويافث فسام أبو العرب وفارس والروم، وحام أبو السودان، ويافث أبو الترك والخزر ويأجوج ومأجوج وما هنالك ﴿وتركنا عليه في

وقال مجاهد يعني لسان صدق للانبياء كلهم ، وقال قتادة والسدي أبقى الله عليه الثناء الحسن في الآخرين . قال الضحاك السلام والثناء الحسن . وقوله تعالى [سلام على نوح في العالمين] مفسر لما أبقى عليه من الذكر الجميل والثناء الحسن أنه يسلم عليه في جميع الطوائف والامم [إنا كذلك نجزي المحسنين] أي هكذا نجزي من أحسن من العباد في طاعة الله تعالى نجعل له لسان صدق يذكر به بعده بحسب مرتبته في ذلك ثم قال تعالى [انه من عبادنا المؤمنين] أي المصدقين الموحدين الموقنين [ثم أغرقنا الآخرين] أي أهلكناهم فلم تبق منهم عين تطرف ، ولا ذكر ولا عين ولا أثر ، ولا يعرفون إلا بهذه الصفة القبيحة

وانَّ من شيعته لَابراهيم (٨٣) اذ جاء ربَّه بقلب سليم (٨٤) اذ قال لأبيه وقومه ماذا تعبدون؟ (٨٥) أئفكا آلهة دون الله تريدون؟ (٨٦) فما ظنكم برب العلمين؟ (٨٧)

قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما (وان من شيعته لابراهيم) يقول من أهل دينه ، وقال مجاهد على منهاجه وسنته (إذ جاء ربه بقلب سليم) قال ابن عباس رضي الله عنهما يعني شهادة أن لا إله إلا الله . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الاشج حدثنا أبو أسامة عن عوف قلت لمحمد بن سيرين ما القلب السليم ؟ قال يعلم أن الله حق وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور ، وقال الحسن سليم من الشرك ، وقال عروة لا يكون لعانا .

وقوله تعالى (اذ قال لأبيه وقومه ماذا تعبدون) أنكر عليهم عبادة الاصنام والانداد ولهذا قال عز وجل (أئفكا آلهة دون الله تريدون * فما ظنكم برب العالمين) قال قتادة يعني ماظنكم انه فاعل بكم اذا لاقيتموه وقد عبدتم معه غيره

فنظر نظرة في النجوم (٨٨) فقال إني سقيم (٨٩) فتولَّوْا عنه مدبرين (٩٠) فراغ

الآخرين ﴾ أي ابقينا له ثناء حسنا ، وذكرا جميلا فيمن بعده من الانبياء والامم الى يوم القيامة ﴿ سلام على نوح في العالمين ﴾ أي سلام عليه منا في العالمين وقيل أي تركنا عليه في الآخرين أن يصلى عليه الى يوم القيامة ﴿ إنا كذلك نجزي المحسنين ﴾ قال مقاتل جزاه الله باحسانه الثناء الحسن في العالمين ﴿ إنه من عبادنا المؤمنين * ثم أغرقنا الآخرين ﴾ يعني الكفار

قوله تعالى ﴿ وإن من شيعته ﴾ أي من أهل دينه وملته وسنته ﴿ لابراهيم * اذ جاء ربه بقلب سليم ﴾ مخلص من الشرك والشك ﴿ اذ قال لابيه وقومه ماذا تعبدون ﴾ استفهام توبيخ ﴿ أئفكا آلهة دون الله تريدون ﴾ يعني أتأفكون افكا وهو أسوأ الكذب وتعبدون آلهة سوى الله ﴿فماظنكم برب العالمين؟ ﴾ اذا لقيتموه وقد عبدتم غيره أنه يصنع بكم

قوله تعالي ﴿ فنظر نظرة في النجوم فقال إني سقيم ﴾ قال ابن عباس كان قومه يتعاطون علم

الى آلهتهم فقال ألا تأكلون (٩١) مالكم لا تنطقون ؟ (٩٢) فراغ عليهم ضرباً باليمين (٩٣)

فأقبلوا اليه يَزِفُّون (٩٤) قال أتعبدون ما تنحتون ؟ (٩٥) والله خلقكم وما تعملون (٩٦)

قالوا ابنوا له بنيانا فألقوه في الجحيم (٩٧) فأرادوا به كيدا فجعلناهم الأسفلين (٩٨)

انما قال ابراهيم عليه الصلاة والسلام لقومه ذلك ليقيم في البلد اذا ذهبوا الى عيدهم فانه كان قد أزف خروجهم إلى عيد لهم فأحب أن يختلي بآلهتهم ليكسرها فقال لهم كلاما هو حق في نفس الامر فهموا منه انه سقيم على مقتضى مايعتقدونه (فتولوا عنه مدبرين) قال قتادة والعرب تقول لمن تفكر نظر في النجوم ، يعني قتادة انه نظر إلى السماء متفكراً فيما يلهيهم به فقال (اني سقيم) أي ضعيف ، فأما الحديث الذي رواه ابن جرير ههنا حدثنا أبو كريب حدثنا أبو أسامة حدثني هشام عن محمد عن أبي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله ﷺ قال « لم يكذب ابراهيم عليه الصلاة والسلام غير ثلاث كذبات : ثنتين في ذات الله تعالى ، قوله اني سقيم) وقوله (بل فعله كبيرهم هذا) وقوله في سارة هي أختي » فهو حديث مخرج في الصحاح والسنن من طرق ولكن ليس هذا من باب الكذب الحقيقي الذي يذم فاعله حاشا وكلا ولما ، وإنما أطلق الكذب على هذا تجوزا وانما هو من المعاريض في الكلام لمقصد شرعي ديني كما جاء في الحديث « ان في المعاريض لمندوحة عن الكذب »

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا ابن أبي عمر حدثنا سفيان عن علي بن زيد بن جدعان عن أبي نضرة عن أبي سعيد رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ في كلمات ابراهيم عليه الصلاة والسلام الثلاث التي قال « مامنها كلمة إلا ماحل بها عن دين الله تعالى [فقال اني سقيم] وقال [بل فعله كبيرهم هذا] وقال للملك حين أراد امرأته هي أختي »

قال سفيان في قوله [اني سقيم] يعني طعين وكانوا يفرون من المطعون فأراد أن يخلو بآلهتهم ، وكذا قال العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى [فنظر نظرة في النجوم * فقال اني سقيم] فقالوا له وهو في بيت آلهتهم : اخرج فقال اني مطعون فتركوه مخافة الطاعون . وقال قتادة عن سعيد بن المسيب رأى نجما طلع فقال [اني سقيم] كابد نبي الله عن دينه [فقال اني سقيم]

النجوم فعاملهم من حيث كانوا لئلا ينكروا عليه وذلك أنه أراد أن يكايدهم في اصنامهم ليلزمهم الحجة في أنها غير معبودة وكان لهم من الغد عيد ومجمع ، وكانوا يدخلون على اصنامهم ويفرشون لهم الفراش ويضعون بين أيديهم الطعام قبل خروجهم الى عيدهم زعموا التبرك عليه فاذا انصرفوا من عيدهم أكلوه فقالوا لابراهيم ألا تخرج غداً معنا الى عيدنا فنظر الى النجوم فقال إني سقيم قال ابن عباس مطعون وكانوا يفرون من الطاعون فراراً عظيما ، قال الحسن مريض وقال مقاتل وجع وقال الضحاك

وقال آخرون (فقال اني سقيم) بالنسبة إلى مايستقبل يعني مرض الموت ، وقيل أراد (اني سقيم) أي مريض القلب من عبادتكم الاوثان من دون الله تعالى ، وقال الحسن البصري : خرج قوم ابراهيم إلى عيدهم فأرادوه على الخروج فاضطجع على ظهره وقال (اني سقيم) وجعل ينظر في السماء فلما خرجوا أقبل إلى آلهتهم فكسرها ، رواه ابن أبي حاتم ولهذا قال تعالى (فتولوا عنه مدبرين) أي إلى عيدهم [فراغ إلى آلهتهم] أي ذهب اليها بعد ماخرجوا في سرعة واختفاء [فقال ألا تأكلون ؟] وذلك انهم كانوا قد وضعوا بين أيديها طعاما قربانا لتبارك لهم فيه

قال السدي : دخل ابراهيم عليه السلام إلى بيت الآلهة فاذا هم في بهو عظيم وإذا مستقبل باب البهو صنم عظيم الى جنبه أصغر منه بعضها الى جنب بعض كل صنم يليه أصغر منه حتى بلغوا باب البهو وإذا هم قد جعلوا طعاما ووضعوه بين أيدي الآلهة وقالوا إذا كان حين نرجع وقد باركت الآلهة في طعامنا أكلناه ، فلما نظر ابراهيم عليه الصلاة والسلام الى مابين أيديهم من الطعام قال (ألا تأكلون ؟ مالكم لا تنطقون)

وقوله تعالى [فراغ عليهم ضربا باليمين] قال الفراء معناه مال عليهم ضربا باليمين ، وقال قتادة والجوهري فأقبل عليهم ضربا باليمين ، وإنما ضربهم باليمين لانها أشد وأنكى ولهذا تركهم جذاذاً إلا كبيرا لهم لعلهم اليه يرجعون كما تقدم في سورة الانبياء عليهم الصلاة والسلام تفسير ذلك

وقوله تعالى ههنا (فأقبلوا اليه يزفون) قال مجاهد وغير واحد أي يسرعون ، وهذه القصة ههنا مختصرة وفي سورة الانبياء مبسوطة فانهم لما رجعوا ماعرفوا من أول وهلة من فعل ذلك حتى كشفوا واستعلموا فعرفوا ان ابراهيم عليه السلام هو الذي فعل ذلك ، فلما جاءوا ليعاتبوه أخذ في تأنيبهم وعيبهم فقال [أتعبدون ماتنحتون] أي أتعبدون من دون الله من الاصنام ما أنتم تنحتونها وتجعلونها بأيديكم (والله خلقكم وما تعملون) يحتمل أن تكون ما مصدرية فيكون تقدير الكلام

سأسقم ﴿ فتولوا عنه مدبرين ﴾ الى عيدهم فدخل ابراهيم على الاصنام فكسرها كما قال الله تعالى ﴿ فراغ الى آلهتهم ﴾ مال اليها ميلة في خفية ولا يقال راغ حتى يكون صاحبه مخفيا لذهابه ومجيئه ﴿ فقال ﴾ استهزاء بها ﴿ ألا تأكلون؟ ﴾ يعني الطعام الذي بين ايديكم ﴿ مالكم لاتنطقون * فراغ عليهم ضربا باليمين ﴾ أي كان يضربهم بيده اليمنى لانها أقوى على العمل من الشمال وقيل باليمين أي بالقوة وقيل أراد به القسم أي بالقسم الذي سبق منه وهو قوله (وتالله لأكيدن اصنامكم) ﴿ فاقبلوا اليه ﴾ يعني الى ابراهيم ﴿ يزفون ﴾ يسرعون وذلك انهم اخبروا بصنيع ابراهيم بآلهتهم فاسرعوا اليه ليأخذوه قرأ الاعمش وحمزة يزفون بضم الياء وقرأ الآخرون بفتحها وهما لغتان وقيل بضم الياء أي يحملون دوابهم على الجد والاسراع ﴿ قال ﴾ لهم ابراهيم على وجه الحجاج ﴿ أتعبدون ماتنحتون ﴾ يعني ماتنحتون بايديكم ﴿ والله خلقكم وما تعملون ﴾ بأيديكم من الاصنام وفيه دليل على أن أفعال العباد

خلقكم وعملكم ، ويحتمل أن تكون بمعنى الذي تقديره والله خلقكم والذي تعملونه ، وكلا القولين متلازم ، والاول أظهر لما رواه البخاري في كتاب أفعال العباد عن علي بن المديني عن مروان بن معاوية عن أبي مالك عن ربعي بن خراش عن حذيفة رضي الله عنه مرفوعا قال « إن الله تعالى يصنع كل صانع وصنعته » وقرأ بعضهم (والله خلقكم وما تعملون) فعند ذلك لما قامت عليهم الحجة عدلوا الى أخذه باليد والقهر فقالوا (ابنوا له بنيانا فألقوه في الجحيم) وكان من أمرهم ماتقدم بيانه في سورة الانبياء عليهم الصلاة والسلام ونجاه الله من النار وأظهره عليهم وأعلى حجته ونصرها ولهذا قال تعالى (وأرادوا به كيدا فجعلناهم الاسفلين)

وقال إني ذاهب الى ربي سيهدين (٩٩) رب هب لي من الصٰلحين (١٠٠) فبشرنٰه بغلٰم حليم (١٠١) فلما بلغ معه السعي قال يٰبني اني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى ، قال يا أبت افعل ماتؤمر ستجدني إن شاء الله من الصٰبرين (١٠٢) فلما أسلما وتله للجبين (١٠٣) ونٰدينٰه أن يا إبراهيم (١٠٤) قد صدقت الرؤيا ، إنا كذلك نجزي المحسنين (١٠٥) ان هذا لهو البلٰؤ المبين (١٠٦) وفدينٰه بذبح عظيم (١٠٧) وتركنا عليه في الآخرين (١٠٨) سلٰم على ابراهيم (١٠٩) كذلك نجزي المحسنين (١١٠) انه من عبادنا المؤمنين (١١١) وبشرنٰه باسحٰق نبيا من الصٰلحين (١١٢) وبٰركنا عليه وعلى اسحٰق ، ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه مبين (١١٣)

يقول تعالى مخبرا عن خليله ابراهيم عليه الصلاة والسلام انه بعد مانصره الله تعالى على قومه وأيس من ايمانهم بعد ماشاهدوا من الآيات العظيمة هاجر من بين أظهرهم وقال (اني ذاهب الى ربي سيهدين * رب هب لي من الصالحين) يعني أولادا مطيعين يكونون عوضا من قومه وعشيرته

مخلوقة لله تعالى ﴿ قالوا ابنوا له بنيانا فألقوه في الجحيم ﴾ معظم النار قال مقاتل بنوا له حائطا من الحجر طوله في السماء ثلاثون ذراعا ، وعرضه عشرون ذراعا وملؤوه من الحطب وأوقدوا فيه النار فطرحوه فيها ﴿ فأرادوا به كيداً ﴾ شرا وهو أن يحرقوه ﴿ فجعلناهم الاسفلين ﴾ أي المقهورين حيث سلم الله تعالى ابراهيم ورد كيدهم

قوله تعالى ﴿ وقال ﴾ يعني ابراهيم ﴿ إني ذاهب الى ربي ﴾ أي مهاجر الى ربي والمعنى اهجر دار الكفر واذهب الى مرضاة ربي قاله بعد الخروج من النار كما قال إني (مهاجر الى ربي) ﴿ سيهدين ﴾

الذين فارقهم ، قال الله تعالى (فبشرناه بغلام حليم) وهذا الغلام هو اسماعيل عليه السلام فانه أول ولد بشر به ابراهيم عليه السلام وهو أكبر من إسحاق باتفاق المسلمين وأهل الكتاب بل في نص كتابهم ان اسماعيل عليه السلام ولد ولابراهيم عليه السلام ست وثمانون سنة وولد إسحاق وعمر ابراهيم عليه الصلاة والسلام تسع وتسعون سنة ، وعندهم ان الله تبارك وتعالى أمر ابراهيم أن يذبح ابنه وحيده وفي نسخة أخرى بكره فأقحموا ههنا كذبا وبهتانا إسحاق ولا يجوز هذا لانه مخالف لنص كتابهم وانما أقحموا إسحاق لانه أبوهم واسماعيل أبو العرب فحسدوهم فزادوا ذلك وحرفوا وحيدك بمعنى الذي ليس عندك غيره فان اسماعيل كان ذهب به وبأمه الى مكة وهو تأويل وتحريف باطل فانه لا يقال وحيدك الا لمن ليس له غيره ، وأيضا فان أول ولد له معزة ماليس لمن بعده من الاولاد فالامر بذبحه أبلغ في الابتلاء والاختبار . وقد ذهب جماعة من أهل العلم إلى أن الذبيح هو اسحاق وحكي ذلك عن طائفة من السلف حتى نقل عن بعض الصحابة رضي الله عنهم أيضا وليس ذلك في كتاب ولا سنة وما أظن ذلك تلقي الا عن أحبار أهل الكتاب وأخذ ذلك مسلما من غير حجة وهذا كتاب الله شاهد ومرشد إلى أنه اسماعيل فانه ذكر البشارة بغلام حليم وذكر أنه الذبيح ثم قال بعد ذلك [وبشرناه باسحاق نبيا من الصالحين] ولما بشرت الملائكة ابراهيم باسحاق قالوا (إنا نبشرك بغلام عليم)

وقال تعالى (فبشرناها باسحاق ومن وراء اسحاق يعقوب] أي يولد له في حياتهما ولد يسمى يعقوب فيكون من ذريته عقب ونسل وقد قدمنا هناك أنه لا يجوز بعد هذا أن يؤمر بذبحه وهو صغير لان الله تعالى قد وعدهما بأنه سيعقب ويكون له نسل فكيف يمكن بعد هذا أن يؤمر بذبحه صغيرا واسماعيل وصف ههنا بالحليم لانه مناسب لهذا المقام

وقوله تعالى [فلما بلغ معه السعي] أي كبر وترعرع وصار يذهب مع ابيه ويمشي معه وقد كان ابراهيم عليه الصلاة والسلام يذهب في كل وقت يتفقد ولده وأم ولده ببلاد فاران وينظر في أمرهما وقد ذكر أنه كان يركب على البراق سريعا إلى هناك والله أعلم . وعن ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير وعطاء الخراساني وزيد بن أسلم وغيرهم (فلما بلغ معه السعي) بمعنى شب وارتجل

الى حيث أمرني بالمصير اليه وهو الشأم قال مقاتل فلما قدم الارض المقدسة سأل ربه الولد فقال ﴿ رب، هب لي من الصالحين ﴾ يعني هب لي ولدا صالحا من الصالحين ﴿ فبشرناه بغلام حليم ﴾ قيل بغلام في صغره حليم في كبره ففيه بشارة انه نبي وانه يعيش فينتهي في السن حتى يوصف بالحلم ﴿ فلما بلغ معه السعي ﴾ قال ابن عباس وقتادة يعني المشي معه الى الجبل وقال مجاهد عن ابن عباس لما شب حتى بلغ سعيه سعي ابراهيم، والمعنى بلغ أن يتصرف معه ويعينه في عمله قال الكلبي يعني العمل لله تعالى وهو قول الحسن ومقاتل بن حيان وابن زيد قالوا هو العبادة لله تعالى، واختلفوا في سنه قيل كان ابن ثلاث عشرة سنة وقيل كان ابن سبع سنين

وأطاق مايفعله أبوه من السعي والعمل [فلما بلغ معه السعي قال يابني إني أرى في المنام أني أذبحك

قوله تعالى ﴿ قال يابني اني أرى في المنام أني أذبحك ﴾ واختلف العلماء من المسلمين في هذا الغلام الذي أمر ابراهيم بذبحه بعد اتفاق أهل الكتابين على أنه اسحاق فقال قوم هو اسحاق واليه ذهب من الصحابة عمر وعلي وابن مسعود وابن عباس ، ومن التابعين وأتباعهم كعب الاحبار وسعيد ابن جبير وقتادة ومسروق وعكرمة وعطاء ومقاتل والزهري والسدي وهي رواية عكرمة وسعيد بن جبير عن ابن عباس قالوا وكانت هذه القصة بالشام

وروي عن سعيد بن جبير قال : أري ابراهيم ذبح اسحاق في المنام فسار به مسيرة شهر في غداة واحدة حتى أتى به المنحر بمنى فلما أمره الله تعالى بذبح الكبش ذبحه وسار به مسيرة شهر في روحة واحدة وطويت له الاودية والجبال ، وقال آخرون هو اسماعيل واليه ذهب عبد الله بن عمر وهو قول سعيد بن المسيب والشعبي والحسن البصري ومجاهد والربيع بن أنس ومحمد بن كعب القرظي والكلبي وهي رواية عطاء بن أبي رباح ويوسف بن ماهك عن ابن عباس قال المفدى اسماعيل وكلا القولين يروى عن رسول الله ﷺ ، ومن ذهب إلى أن الذبيح اسحاق احتج من القرآن بقوله (فبشرناه بغلام حليم) فلما بلغ معه السعي أمر بذبح من بشر به وليس في القرآن أنه بشر بولد سوى اسحاق كما قال في سورة هود (فبشرناها باسحاق) ومن ذهب إلى أنه اسماعيل احتج بأن الله تعالى ذكر البشارة باسحاق بعد الفراغ من قصة المذبوح فقال (وبشرناه باسحاق نبيا من الصالحين) دل على أن المذبوح غيره ، وأيضاً قال الله تعالى في سورة هود (فبشرناها باسحاق ومن وراء اسحاق يعقوب) فلما بشره باسحاق بشره بابنه يعقوب فكيف يأمره بذبح اسحاق وقد وعده بنافلة منه

وقال القرظي سأل عمر بن عبد العزيز رجلا كان من علماء اليهود أسلم وحسن اسلامه أي ابني ابراهيم أمر بذبحه ؟ فقال اسماعيل ثم قال ياأمير المؤمنين ان اليهود لتعلم ذلك ولكنهم يحسدونكم معشر العرب على أن يكون أباكم الذي كان من أمر الله تعالى بذبحه ، ويزعمون أنه اسحاق بن ابراهيم ومن الدليل عليه أن قرني الكبش كانا منوطين بالكعبة في أيدي بني اسماعيل إلى أن احترق البيت واحترق القرنان في أيام ابن الزبير والحجاج ، قال الشعبي رأيت قرني الكبش منوطين بالكعبة

وعن ابن عباس قال والذي نفسي بيده لقد كان أول الاسلام وان رأس الكبش لمعلق بقرنيه في ميزاب الكعبة وقد وحش بعني يبس ، قال الاصمعي سألت أبا عمرو بن العلاء عن الذبيح اسحاق كان أو اسماعيل ؟ فقال ياأصيمع أين ذهب عقلك متى كان اسحاق بمكة ؟ انما كان اسماعيل بمكة وهو الذي بنى البيت مع أبيه

وأما قصة الذبح قال السدي لما دعا ابراهيم فقال رب هب لي من الصالحين وبشر به قال هو اذاً لله ذبيح فلما ولد وبلغ معه السعي قيل له أوف بنذرك هذا هو السبب في أمر الله تعالى إياه بذبح

فانظر ماذا ترى] قال عبيد بن عمير رؤيا الانبياء وحي ثم تلا هذه الآية [قال يابني إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى]

وقد قال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين بن الجنيد حدثنا أبو عبد الملك الكرندي حدثنا سفيان بن عيينة عن اسرائيل بن يونس عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ « رؤيا الانبياء في المنام وحي » ليس هو في شيء من الكتب الستة من هذا الوجه وانما أعلم ابنه بذلك ليكون أهون عليه وليختبر صبره وجلده وعزمه في صغره على طاعة الله تعالى وطاعة أبيه [قال ياأبت افعل ماتؤمر] أي امض لما أمرك الله من ذبحي [ستجدني إن شاء الله من الصابرين] أي سأصبر وأحتسب ذلك عند الله عز وجل وصدق صلوات الله وسلامه عليه فيما وعد ولهذا قال الله تعالى [واذكر في الكتاب اسماعيل إنه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضيا]

قال تعالى [فلما أسلما وتله للجبين] أي فلما تشهدا وذكرا الله تعالى ابرهيم على الذبح والولد شهادة الموت وقيل اسلما يعني استسلما وانقادا ابراهيم امتثل أمر الله تعالى واسماعيل طاعة لله ولأبيه قاله مجاهد وعكرمة وقتادة والسدي وابن اسحاق وغيرهم ، ومعنى تله للجبين أي صرعه على وجهه

ابنه فقال عند ذلك لاسحاق انطلق نقرب قربانا لله تعالى فأخذ سكينا وحبلا فانطلق معه حتى ذهب به بين الجبال ، فقال له الغلام ياأبت أين قربانك ؟ فقال [يابني اني أرى في المنام أني أذبحك] ﴿ فانظر ماذا ترى قال ياأبت افعل ماتؤمر ﴾ وقال محمد بن اسحاق كان ابراهيم اذا زار هاجر واسماعيل حمل على البراق فيغدو من الشام فيقيل بمكة ويروح من مكة فيبيت عند أهله بالشام حتى اذا بلغ اسماعيل معه السعي وأخذ بنفسه ورجاه لما كان يأمل فيه من عبادة ربه وتعظيم حرماته أمر في المنام أن يذبحه وذلك أنه رأى ليلة التروية كأن قائلا يقول له ان الله يأمرك بذبح ابنك هذا ، فلما أصبح روى في نفسه أي فكر من الصباح الى الرواح أمن الله هذا الحكم أم من الشيطان فمن ثم سمي يوم التروية فلما أمسى رأى في المنام ثانيا ، فلما أصبح عرف أن ذلك من الله عز وجل فمن ثم سمي يوم عرفة قال مقاتل رأى ذلك ابراهيم ثلاث ليال متواليات فلما تيقن ذلك أخبر به ابنه فقال (يابني إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى) قرأ حمزة والكسائي تري بضم التاء وكسر الراء ماذا تشير وانما أمره ليعلم صبره على أمر الله تعالى وعزمته على طاعته ، وقرأ العامة بفتح التاء والراء الا أبا عمرو فانه يميل الراء. قال له ابنه [ياأبت افعل ماتؤمر] وقال ابن اسحاق وغيره فلما أمر ابراهيم بذلك قال لابنه يابني خذ الحبل والمدية تنطلق الى هذا الشعب نحتطب ، فلما خلا ابراهيم بابنه في شعب ثبير أخبره بما أمر (قال ياأبت افعل ماتؤمر) ﴿ ستجدني إن شاء الله من الصابرين * فلما أسلما ﴾ انقادا وخضعا لأمر الله تعالى ، قال قتادة أسلم ابراهيم ابنه وأسلم الابن نفسه ﴿ وتله للجبين ﴾ أي صرعه

ليذبحه من قفاه ولا يشاهد وجهه عند ذبحه ليكون أهون عليه قال ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وسعيد بن جبير والضحاك وقتادة (وتله للجبين) أكبه على وجهه

وقال الامام أحمد حدثنا شريح ويونس قالا حدثنا حماد بن سلمة عن أبي عاصم الغنوي عن أبي الطفيل عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال لما أمر ابراهيم عليه الصلاة والسلام بالمناسك عرض له الشيطان عند السعي فسابقه فسبقه ابراهيم عليه الصلاة والسلام ثم ذهب به جبريل عليه الصلاة والسلام إلى جمرة العقبة فعرض له الشيطان فرماه بسبع حصيات حتى ذهب ثم عرض له عند الجمرة الوسطى فرماه بسبع حصيات وثم تله للجبين وعلى اسماعيل عليه الصلاة والسلام قميص أبيض فقال له ياأبت انه ليس لي ثوب تكفنني فيه غيره فاخلعه حتى تكفنني فيه فعالجه ليخلعه فنودي من خلفه (أن ياابراهيم قد صدقت الرؤيا) فالتفت ابراهيم فاذا بكبش أبيض أقرن أعين قال ابن عباس لقد رأيتنا نتتبع ذلك الضرب من الكباش، وذكر هشام الحديث في المناسك بطوله

ثم رواه أحمد بطوله عن يونس عن حماد بن سلمة عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما فذكره الا أنه قال اسحاق فعن ابن عباس رضي الله عنهما في تسمية الذبيح روايتان والاظهر عنه اسماعيل لما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى

وقال محمد بن اسحاق عن الحسن بن دينار عن قتادة عن جعفر بن إياس عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تبارك وتعالى (وفديناه بذبح عظيم) قال خرج عليه كبش من الجنة قد رعى قبل ذلك أربعين خريفا فأرسل ابراهيم عليه الصلاة والسلام ابنه واتبع الكبش فأخرجه إلى الجمرة الاولى فرماه بسبع حصيات ثم أفلته عندها فجاء إلى الجمرة الوسطى فأخرجه عندها فرماه بسبع حصيات ثم أفلته

على الارض قال ابن عباس اضجعه على جبينه على الارض والجبهة بين الجبينين قالوا فقال له ابنه الذي أراد ذبحه ياأبت اشدد رباطي حتى لا أضطرب واكفف عني ثيابك حتى لا ينتضح عليها من دمي شيء فينقص أجري وتراه أمي فتحزن واستحد شفرتك وأسرع مر السكين على حلقي ليكون أهون علي فان الموت شديد، واذا أتيت أمي فاقرأ عليها السلام مني، وإن رأيت أن ترد قميصي على أمي فافعل فانه عسى أن يكون أسلى لها عني، فقال له ابراهيم عليه السلام نعم العون أنت يابني على أمر الله ففعل ابراهيم ماأمر به ابنه ثم أقبل عليه فقبله وقد ربطه وهو يبكي والابن أيضا يبكي ثم إنه وضع السكين على حلقه فلم تجر السكين، وروي أنه كان يجر الشفرة في حلقه ولا تقطع فشحذها مرتين أو ثلاثا بالحجر كل ذلك وهي لا تقطع، قال السدي ضرب الله تعالى صفحة من نحاس على حلقه، قالوا فقال الابن عند ذلك ياأبت كبني بوجهي على جبيني فانك اذا نظرت في وجهي رحمتني وأدركتك رقة تحول بينك وبين أمر الله تعالى وأنا لا أنظر إلى الشفرة فأجزع ففعل ذلك ابراهيم ثم وضع الشفرة على قفاه فانقلبت السكين ونودي (أن ياابراهيم قد صدقت الرؤيا)

فأدركه عند الجمرة الكبرى فرماه بسبع حصيات فأخرجه عندها ثم أخذه فأتى به المنحر من منى فذبحه فوالذي نفس ابن عباس بيده لقد كان أول الاسلام وإن رأس الكبش لمعلق بقرنيه في ميزاب الكعبة حتى وحش يعني يبس

وقال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن الزهري أخبرنا القاسم قال اجتمع أبو هريرة وكعب فجعل أبو هريرة رضي الله عنه يحدث عن النبي ﷺ وجعل كعب يحدث عن الكتب فقال أبو هريرة رضي الله عنه قال النبي ﷺ « إن لكل نبي دعوة مستجابة واني قد خبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة » فقال له كعب أنت سمعت هذا من رسول الله ﷺ ؟ قال نعم قال فداك أبي وأمي او فداه أبي وأمي أفلا أخبرك عن ابراهيم عليه الصلاة والسلام إنه لما أري ذبح ابنه اسحاق قال الشيطان ان لم أفتن هؤلاء عند هذه لم أفتنهم أبدا فخرج ابراهيم عليه الصلاة والسلام بابنه ليذبحه فذهب الشيطان فدخل على سارة فقال أين ذهب ابراهيم بابنك؟ قالت غدا به لبعض حاجته قال فانه لم يغد به لحاجة إنما ذهب به ليذبحه قالت ولم يذبحه ؟ قال زعم أن ربه أمره بذلك قالت فقد أحسن أن يطيع ربه فذهب الشيطان في أثرهما فقال للغلام أين يذهب بك أبوك ؟ قال لبعض حاجته قال فانه لا يذهب بك لحاجة ولكنه يذهب بك ليذبحك قال ولم يذبحني؟ قال يزعم أن ربه أمره بذلك قال فوالله لئن كان الله تعالى أمره بذلك ليفعلن قال فيئس منه فتركه ولحق بابراهيم عليه الصلاة والسلام فقال أين غدوت بابنك؟ قال لحاجة قال فانك لم تغد به لحاجة وإنما غدوت به لتذبحه قال ولم أذبحه؟ قال تزعم أن ربك أمرك بذلك قال فو الله لئن كان الله تعالى أمرني بذلك لأفعلن قال فتركه ويئس أن يطاع

وقد رواه ابن جرير عن يونس عن ابن وهب عن يونس بن يزيد عن ابن شهاب قال ان عمرو ابن أبي سفيان بن أسيد بن حارثة الثقفي أخبره أن كعبا قال لأبي هريرة فذكره بطوله وقال في آخره واوحى الله تعالى إلى اسحاق اني أعطيتك دعوة استجيب لك فيها قال اسحاق اللهم اني أدعوك أن تستجيب لي أيما عبد لقيك من الاولين والآخرين لا يشرك بك شيأ فأدخله الجنة

وروى أبو هريرة عن كعب الاحبار وابن اسحاق عن رجاله لما أري ابراهيم ذبح ابنه قال الشيطان لئن لم أفتن عند هذا آل ابراهيم لا أفتن منهم أحداً أبداً فتمثل الشيطان رجلا وأتى أم الغلام فقال لها هل تدرين أين ذهب ابراهيم بابنك ؟ قالت ذهب به يحتطبان من هذا الشعب ، قال لا والله ماذهب به إلا ليذبحه ، قالت كلا هو أرحم به وأشد حباله من ذلك ، قال انه يزعم أن الله قد أمره بذلك قالت فان كان ربه أمره بذلك فقد أحسن أن يطيع ربه ، فخرج الشيطان من عندها حتى أدرك الابن وهو يمشي على أثر أبيه فقال له ياغلام هل تدري أين يذهب بك أبوك ؟ قال نحتطب لأهلنا من هذا الشعب ، قال والله مايريد إلا أن يذبحك ، قال ولم ؟ قال زعم أن ربه أمره بذلك ، قال فليفعل ماأمره به ربه فسمعا وطاعة ، فلما امتنع منه الغلام أقبل على ابراهيم عليه السلام فقال له أين تريد

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا محمد بن الوزير الدمشقي حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن عطاء بن يسار عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ « إن الله تبارك وتعالى خيرني بين أن يغفر لنصف أمتي وبين أن يجيب شفاعتي فاخترت شفاعتي ورجوت أن تكفر الجم لامتي ولولا الذي سبقني اليه العبد الصالح لتعجلت فيها دعوتي إن الله تعالى لما فرج عن اسحاق كرب الذبح قيل له يا اسحاق سل تعط فقال أما والذي نفسي بيده لاتعجلنها قبل نزغات الشيطان اللهم من مات لا يشرك بك شيأ فاغفر له وادخله الجنة » هذا حديث غريب منكر وعبد الرحمن ابن زيد بن أسلم ضعيف الحديث وأخشى أن يكون في الحديث زيادة مدرجة وهي قوله إن الله تعالى لما فرج عن اسحاق إلى آخره والله أعلم فهذا إن كان محفوظا فالاشبه ان السياق إنما هو عن اسماعيل وإنما حرفوه باسحاق حسدا منهم كما تقدم وإلا فالمناسك والذبائح إنما محلها بمنى من أرض مكة حيث كان اسماعيل لا اسحاق فانه إنما كان ببلاد كنعان من أرض الشام

وقوله تعالى (وناديناه أن يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا) أي قد حصل المقصود من رؤياك باضجاعك ولدك للذبح وذكر السدي وغيره انه أمر السكين على رقبته فلم تقطع شيأ بل حال بينها وبينه صفحة من نحاس ونودي ابراهيم عليه الصلاة والسلام عند ذلك (قد صدقت الرؤيا)

وقوله تعالى (انا كذلك نجزي المحسنين) أي هكذا نصرف عمن أطاعنا المكاره والشدائد ونجعل لهم من أمرهم فرجا ومخرجا كقوله تعالى (ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شيء قدرا) وقد استدل بهذه الآية والقصة جماعة من علماء الاصول على صحة النسخ قبل التمكن من الفعل خلافا لطائفة من المعتزلة والدلالة من هذه ظاهرة لان الله تعالى شرع لابراهيم عليه الصلاة والسلام ذبح ولده ثم نسخه عنه

أيها الشيخ ؟ قال أريد هذا الشعب لحاجة لي فيه ، قال والله إني لأرى الشيطان قد جاءك في منامك فأمرك بذبح ابنك هذا فعرفه ابراهيم عليه السلام فقال اليك عني يا عدو الله فوالله لأمضين لامر ربي فرجع ابليس بغيظه لم يصب من ابراهيم وآله شيئا مما أراد قد امتنعوا منه بعون الله تعالى

وروى أبو الطفيل عن ابن عباس ان ابراهيم لما أمر بذبح ابنه عرض له الشيطان بهذا المشعر فسابقه فسبقه ابراهيم ثم ذهب إلى جمرة العقبة فعرض له الشيطان فرماه بسبع حصيات حتى ذهب ثم عرض له عند الجمرة الوسطى فرماه بسبع حصيات حتى ذهب ، ثم أدركه عند الجمرة الكبرى فرماه بسبع حصيات حتى ذهب ، ثم مضى ابراهيم لأمر الله عز وجل ، فلما أسلما وتله للجبين ﴿ وناديناه ﴾ الواو في وناديناه مقحمة صلة مجازه ناديناه كقوله [وأجمعوا أن يجعلوه في غيابة الجب] (وأوحينا اليه) أي أوحينا فنودي من الجبل ﴿ أن يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا ﴾ تم الكلام ههنا ثم ابتدأ فقال ﴿ انا كذلك نجزي المحسنين ﴾ والمعنى انا كما عفونا عن ابراهيم عند ذبح ولده نجزي من أحسن في

وصرفه إلى الفداء وانما كان المقصود من شرعه أولا إثابة الخليل على الصبر على ذبح ولده وعزمه على ذلك ولهذا قال تعالى (إن هذا لهو البلاء المبين) أي الاختبار الواضح الجلي حيث أمر بذبح ولده فسارع إلى ذلك مستسلما لأمر الله تعالى منقادا لطاعته ولهذا قال تعالى (وابراهيم الذي وفى)

وقوله تعالى (وفديناه بذبح عظيم) قال سفيان الثوري عن جابر الجعفي عن أبي الطفيل عن علي رضي الله عنه (وفديناه بذبح عظيم) قال بكبش أبيض أعين أقرن قد ربط بسمرة قال أبو الطفيل وجدوه مربوطا بسمرة في ثبير، وقال الثوري أيضا عن عبد الله بن عثمان بن خثيم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كبش قد رعا في الجنة أربعين خريفا

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا يوسف بن يعقوب الصفار حدثنا داود العطار عن ابن خثيم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال الصخرة التي بمنى باصل ثبير هي الصخرة التي ذبح عليها ابراهيم فداء ابنه هبط عليه من ثبير كبش أعين أقرن له ثغاء فذبحه وهو الكبش الذي قربه ابن آدم فتقبل منه فكان مخزونا حتى فدي به اسحاق، وروي أيضا عن سعيد بن جبير أنه قال كان الكبش يرتع في الجنة حتى شقق عنه ثبير وكان عليه عهن أحمر، وعن الحسن البصري أنه قال كان اسم كبش ابراهيم عليه الصلاة والسلام جرير، وقال ابن جريج قال عبيد بن عمير ذبحه بالمقام، وقال مجاهد ذبحه بمنى عند المنحر

وقال هشيم عن سيار عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما كان أفتى الذي جعل عليه نذرا أن ينحر نفسه فأمره بمائة من الابل، ثم قال بعد ذلك لو كنت أفتيته بكبش لا جزاه أن يذبح كبشا فان الله تعالى قال في كتابه (وفديناه بذبح عظيم) والصحيح الذي عليه الاكثرون أنه يفدى بكبش وقال الثوري عن رجل عن أبي صالح عن ابن عباس في قوله تعالى (وفديناه بذبح عظيم) قال وعل وقال محمد بن اسحاق عن عمرو بن عبيد عن الحسن أنه كان يقول مافدي اسماعيل عليه السلام إلا بتيس من الاروى أهبط عليه من ثبير

وقد قال الامام أحمد حدثنا سفيان حدثني منصور عن خاله مسافع عن صفية بنت شيبة قالت

طاعتنا قال مقاتل جزاه الله باحسانه في طاعته العفو عن ذبح ابنه ﴿إن هذا لهو البلاء المبين﴾ الاختبار الظاهر حيث اختبره بذبح ابنه، وقال مقاتل البلاء ههنا النعمة وهي أن فدى ابنه بالكبش، فان قيل كيف قال قد صدقت الرؤيا وكان قد رأى الذبح ولم يذبح ؟ قيل جعله مصدقا لانه قد أتى بما أمكنه والمطلوب اسلامهم لامر الله تعالى وقد فعلا، وقيل كان قد رأى في النوم معالجة الذبح ولم ير إراقة الدم وقد فعل في اليقظة مارأى في النوم ولذلك قال له قد صدقت الرؤيا

قوله ﴿ وفديناه بذبح عظيم ﴾ فنظر ابراهيم فاذا هو بجبريل ومعه كبش أملح أقرن فقال هذا

أخبرتني امرأة من بني سليم ولدت عامة أهل دارنا أرسل رسول الله ﷺ إلى عثمان بن طلحة رضي الله عنه ، وقالت مرة إنها سألت عثمان لم دعاك النبي ﷺ ؟ قال : قال لي رسول الله ﷺ « إني كنت رأيت قرني الكبش حين دخلت فنسيت أن آمرك أن تخمرهما فخمرهما فانه لاينبغي أن يكون في البيت شيء يشغل المصلي » قال سفيان لم يزل قرنا الكبش معلقين في البيت حتى احترق البيت فاحترقا وهذا دليل مستقل على انه اسماعيل عليه الصلاة والسلام فان قريشا توارثوا قرني الكبش الذي فدى به ابراهيم خلفا عن سلف وجيلا بعد جيل إلى أن بعث الله رسوله ﷺ

﴿ فصل ﴾ في ذكر الآثار الواردة عن السلف في أن الذبيح من هو

(ذكر من قال هو اسحاق عليه الصلاة والسلام) قال حمزة الزيات عن أبي ميسرة رحمه الله قال : قال يوسف عليه الصلاة والسلام للملك في وجهه ترغب أن تأكل معي وأنا والله يوسف بن يعقوب نبي الله ابن اسحاق ذبيح الله ابن ابراهيم خليل الله؟

وقال الثوري عن أبي سنان عن ابن أبي الهذيل أن يوسف عليه السلام قال للملك كذلك أيضا وقال سفيان الثوري عن زيد بن أسلم عن عبدالله بن عبيد بن عمير عن أبيه قال : قال موسى عليه الصلاة والسلام يارب يقولون باله ابراهيم واسحاق ويعقوب فبم قالوا ذلك؟ قال « إن ابراهيم لم يعدل بي شيء قط الا اختارني عليه ، وإن اسحاق جاد لي بالذبح وهو بغير ذلك أجود ، وإن يعقوب كلما زدته بلاء زادني حسن ظن »

وقال شعبة عن أبي اسحاق عن أبي الاحوص قال افتخر رجل عند ابن مسعود رضي الله عنه فقال أنا فلان بن فلان بن الاشياخ الكرام ، فقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ذاك يوسف بن يعقوب بن اسحاق ذبيح الله بن ابراهيم خليل الله . وهذا صحيح عن ابن مسعود رضي الله عنه ، وكذا روى عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه اسحاق ، وعن أبيه العباس وعلي بن أبي طالب مثل ذلك ، وكذا عكرمة وسعيد بن جبير ومجاهد والشعبي وعبيد بن عمير وأبو ميسرة وزيد بن أسلم وعبد الله بن شقيق والزهري والقاسم بن أبي برزة ومكحول وعثمان بن أبي حاضر والسدي والحسن وقتادة وأبو الهذيل وابن سابط وهذا اختيار ابن جرير ، وتقدم روايته عن كعب الاحبار أنه اسحاق ، وهكذا روى ابن اسحاق عن عبدالله بن أبي بكر عن الزهري عن أبي سفيان عن العلاء ابن جارية عن أبي هريرة رضي الله عنه عن كعب الاحبار أنه قال هو اسحاق

فداء لابنك فاذبحه دونه فكبر جبريل وكبر الكبش وكبر ابراهيم وكبر ابنه فأخذ ابراهيم الكبش فأتى به المنحر من منى فذبحه . قال أكثر المفسرين كان ذلك الكبش رعى في الجنة أربعين خريفا ، وروي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال الكبش الذي ذبحه ابراهيم هو الذي قربه ابن آدم ، قال سعيد بن جبير حق له أن يكون عظيما ، قال مجاهد سماه عظيما لانه متقبل ، وقال الحسين بن

وهذه الاقوال والله أعلم كلها مأخوذة عن كعب الاحبار فانه لما أسلم في الدولة العمرية جعل يحدث عمر رضي الله عنه عن كتبه فربما استمع له عمر رضي الله عنه فترخص الناس في استماع ماعنده ونقلوا ما عنده عنه غثها وسمينها وليس لهذه الامة والله أعلم حاجة إلى حرف واحد مما عنده

وقد حكى البغوي القول بأنه اسحاق عن عمر وعلي وابن مسعود والعباس رضي الله عنهم ومن التابعين عن كعب الاحبار وسعيد بن جبير وقتادة ومسروق وعكرمة وعطاء ومقاتل والزهري والسدي قال وهو إحدى الروايتين عن ابن عباس رضي الله عنهما وقد ورد في ذلك حديث لو ثبت لقلنا به على الرأس والعين ولكن لم يصح سنده

قال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا زيد بن حباب عن الحسن بن دينار عن علي بن زيد بن جدعان عن الحسن عن الاحنف بن قيس عن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه عن النبي ﷺ في حديث ذكره قال هو اسحاق ففي اسناده ضعيفان وهما الحسن بن دينار البصري متروك وعلي بن زيد بن جدعان منكر الحديث

وقد رواه ابن أبي حاتم عن أبيه عن مسلم بن ابراهيم عن حماد بن سلمة عن علي بن زيد بن جدعان به مرفوعا، ثم قال قد رواه مبارك بن فضالة عن الحسن عن الاحنف عن العباس رضي الله عنه وهذا أشبه وأصح والله أعلم

﴿ ذكر الآثار الواردة بأنه اسماعيل عليه الصلاة والسلام وهو الصحيح المقطوع به ﴾

قد تقدمت الرواية عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه اسحاق عليه الصلاة والسلام والله تعالى أعلم. وقال سعيد بن جبير وعامر الشعبي ويوسف بن مهران ومجاهد وعطاء وغير واحد عن ابن عباس رضي الله عنهما هو اسماعيل عليه الصلاة والسلام

وقال ابن جرير حدثني يونس أخبرنا ابن وهب أخبرني عمرو بن قيس عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس انه قال المفدى اسماعيل عليه السلام وزعمت اليهود أنه اسحاق وكذبت اليهود، وقال اسرائيل عن ثور عن مجاهد عن ابن عمر رضي الله عنهما قال الذبيح اسماعيل وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد هو اسماعيل عليه السلام وكذا قال يوسف بن مهران وقال الشعبي هو اسماعيل عليه الصلاة والسلام وقد رأيت قرني الكبش في الكعبة

وقال محمد بن اسحاق عن الحسن بن دينار وعمرو بن عبيد عن الحسن البصري أنه كان لا يشك في ذلك ان الذي أمر بذبحه من ابني ابراهيم اسماعيل عليه السلام قال ابن اسحاق وسمعت محمد بن

الفضل لانه كان من عند الله، وقيل عظيم في الشخص، وقيل في الثواب، وقال الحسن مافدي اسماعيل إلا بتيس من الاروى أهبط عليه من ثبير ﴿ وتركنا عليه في الآخرين ﴾ أي تركنا له في الآخرين

كعب القرظي وهو يقول إن الذي أمر الله تعالى ابراهيم بذبحه من ابنيه اسماعيل وانا لنجد ذلك في كتاب الله تعالى وذلك أن الله تعالى حين فرغ من قصة المذبوح من ابني ابراهيم قال تعالى (وبشرناه باسحاق نبيا من الصالحين) ويقول الله تعالى (فبشرناها باسحاق ومن وراء اسحاق يعقوب) يقول بابن وابن ابن فلم يكن ليأمره بذبح اسحاق وله فيه من الموعد بما وعده وما الذي أمر بذبحه إلا اسماعيل قال ابن اسحاق سمعته يقول ذلك كثيرا

وقال ابن اسحاق عن بريدة بن سفيان الاسلمي عن محمد بن كعب القرظي أنه حدثهم أنه ذكر ذلك لعمر بن عبد العزيز رضي الله عنه وهو خليفة اذ كان معه بالشام فقال له عمر إن هذا لشيء ما كنت أنظر فيه واني لأراه كما قلت ثم أرسل إلى رجل كان عنده بالشام كان يهوديا فاسلم وحسن اسلامه وكان يرى أنه من علمائهم فسأله عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه عن ذلك قال محمد ابن كعب وأنا عند عمر بن عبد العزيز فقال له عمر أي ابني ابراهيم أمر بذبحه ؟ فقال اسماعيل والله ياأمير المؤمنين وان يهود لتعلم بذلك ولكنهم يحسدونكم معشر العرب على أن يكون أباكم الذي كان من أمر الله فيه والفضل الذي ذكر الله تعالى منه لصبره لما أمر به فهم يجحدون ذلك ويزعمون أنه اسحاق لان اسحاق أبوهم والله أعلم أيهما كان وكل قد كان طاهرا طيبا مطيعا لله عز وجل وقال عبد الله ابن الامام أحمد بن حنبل رحمه الله سألت أبي عن الذبيح هل هو اسماعيل أو اسحاق فقال اسماعيل ذكره في كتاب الزهد

وقال ابن أبي حاتم وسمعت أبي يقول الصحيح ان الذبيح اسماعيل عليه الصلاة والسلام قال وروي عن علي وابن عمر وأبي هريرة وأبي الطفيل وسعيد بن المسيب وسعيد بن جبير والحسن ومجاهد والشعبي ومحمد بن كعب القرظي وأبي جعفر محمد بن علي وأبي صالح رضي الله عنهم أنهم قالوا الذبيح اسماعيل. وقال البغوي في تفسيره واليه ذهب عبد الله بن عمر وسعيد بن المسيب والسدي والحسن البصري ومجاهد والربيع بن أنس ومحمد بن كعب القرظي والكلبي وهو رواية عن ابن عباس وحكاه أيضا عن أبي عمرو ابن العلاء

وقد روى ابن جرير في ذلك حديثا غريبا فقال حدثني محمد بن عمار الرازي حدثنا اسماعيل ابن عبيد بن أبي كريمة حدثنا عمر بن عبد الرحيم الخطابي عن عبيد الله بن محمد العتبي من ولد عتبة بن أبي سفيان عن أبيه حدثني عبد الله بن سعيد عن الصنابحي قال كنا عند معاوية بن أبي سفيان فذكروا الذبيح اسماعيل أو اسحاق فقال على الخبير سقطتم كنا عند رسول الله ﷺ فجاءه رجل فقال يارسول الله عد علي مما أفاء الله عليك ياابن الذبيحين فضحك رسول الله ﷺ فقيل له يا أمير المؤمنين

ثناء حسنا ﴿ سلام على ابراهيم * كذلك نجزي المحسنين * انه من عبادنا المؤمنين * وبشرناه باسحاق نبيا من الصالحين ﴾ فمن جعل الذبيح اسماعيل قال بشره بعد هذه القصة باسحاق نبيا جزاء لطاعته، ومن

وما الذبيحان ؟ فقال أن عبد المطلب لما أمر بحفر زمزم نذر لله إن سهل الله له أمرها عليه ليذبحن أحد ولده قال فخرج السهم على عبد الله فمنعه أخواله وقالوا افد ابنك بمائة من الابل ففداه بمائة من الابل والثاني اسماعيل. وهذا حديث غريب جدا وقد رواه الاموي في مغازيه حدثنا بعض أصحابنا أخبرنا اسماعيل بن عبيد بن أبي كريمة حدثنا عمرو بن عبد الرحمن القرشي حدثنا عبد الله بن محمد العتبي من ولد عتبة بن أبي سفيان حدثنا عبد الله بن سعيد حدثنا الصنابحي قال حضرنا مجلس معاوية رضي الله عنه فتذاكر القوم اسماعيل أو اسحاق وذكره ، كذا كتبته من نسخة مغلوطة . وانما عول ابن جرير في اختياره أن الذبيح اسحاق على قوله تعالى (فبشرناه بغلام حليم) فجعل هذه البشارة هي البشارة باسحاق في قوله تعالى (وبشرناه بغلام عليم) وأجاب عن البشارة بيعقوب بانه قد كان بلغ معه السعي أي العمل، ومن الممكن أنه قد كان ولد له أولاد مع يعقوب أيضا قال وأما القرنان اللذان كانا معلقين بالكعبة فمن الجائز انهما نقلا من بلاد كنعان قال وقد تقدم ان من الناس من ذهب الى أنه ذبح اسحاق هناك ، هذا معتمد عليه في تفسيره وليس ماذهب اليه بمذهب ولا لازم بل هو بعيد جداً والذي استدل به محمد بن كعب القرظي على أنه اسماعيل أثبت وأصح وأقوى والله أعلم

وقوله تعالى (وبشرناه باسحاق نبيا من الصالحين) لما تقدمت البشارة بالذبيح وهو اسماعيل عطف بذكر البشارة بأخيه اسحاق وقد ذكرت في سورتي هود والحجر ، وقوله تعالى (نبيا) حال مقدرة أي سيصير منه نبي صالح . وقال ابن جرير حدثني يعقوب حدثنا ابن علية عن داود عن عكرمة قال : قال ابن عباس رضي الله عنهما الذبيح اسحاق قال وقوله تعالى (وبشرناه باسحاق نبيا من الصالحين) قال بشر بنبوته ، قال وقوله تعالى (ووهبنا له من رحمتنا أخاه هارون نبيا) قال كان هارون أكبر من موسى ولكن أراد وهب له نبوته

وحدثنا ابن عبد الاعلى حدثنا المعتمر بن سليمان قال سمعت داود يحدث عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما في هذه الآية (وبشرناه باسحاق نبيا من الصالحين) قال انما بشر به نبيا من الصالحين قال انما بشر به نبيا حين فداه الله عز وجل من الذبح ولم تكن البشارة بالنبوة عند مولده وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو نعيم حدثنا سفيان الثوري عن داود عن عكرمة عن ابن عباس (وبشرناه باسحاق نبيا من الصالحين) قال بشر به حين ولد وحين نبيء. وقال سعيد بن أبي عروبة عن قتادة في قوله تعالى (وبشرناه باسحاق نبيا من الصالحين) قال بعد ما كان من أمره لما جاد لله تعالى بنفسه وقال الله عز وجل (وباركنا عليه وعلى اسحاق)

وقوله تعالى (وباركنا عليه وعلى اسحاق ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه مبين) كقوله تعالى

جعل الذبيح اسحاق قال بشر ابراهيم بنبوة اسحاق ورواه عكرمة ، و عن ابن عباس قال بشر به مرتين حين ولد وحين نبيء ﴿ وباركنا عليه ﴾ يعني على ابراهيم في أولاده ﴿ وعلى اسحاق ﴾ يكون أكثر

(قيل يانوح اهبط بسلام منا و بركات عليك وعلى أمم ممن معك وأمم سنمتعهم ثم يمسهم منا عذاب أليم)

ولقد مننّا على موسى وهرُون (١١٤) ونجينهما وقومهما من الكرب العظيم (١١٥)

ونصرناهم فكانوا هم الغالبين (١١٦) وآتينهما الكتاب المستبين (١١٧) وهدينهما الصراط

المستقيم (١١٨) وتركنا عليهما في الآخرين (١١٩) سلام على موسى وهرُون (١٢٠) انا كذلك

نجزى المحسنين (١٢١) انهما من عبادنا المؤمنين (١٢٢)

يذكر تعالى ماأنعم به على موسى وهارون من النبوة والنجاة بمن آمن معهما من قهر فرعون وقومه وما كان يعتمد في حقهم من الاساءة العظيمة من قتل الابناء واستحياء النساء واستعمالهم في أخس الاشياء ثم بعد هذا كله نصرهم عليهم وأقر أعينهم منهم فغلبوهم وأخذوا أرضهم وأموالهم وما كانوا جمعوه طول حياتهم ثم أنزل الله عز وجل على موسى الكتاب العظيم الواضح الجلي المستبين وهو التوراة كما قال تعالى (ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان وضياء) وقال عز وجل ههنا (وآتيناهما الكتاب المستبين وهديناهما الصراط المستقيم) أى في الاقوال والافعال (وتركنا عليهما في الآخرين) أى أبقينا لهما من بعدهما ذكرا جميلا وثناء حسنا ثم فسره بقوله تعالى (سلام على موسى وهارون انا كذلك نجزي المحسنين انهما من عبادنا المؤمنين)

وان الياس لمن المرسلين (١٢٣) اذ قال لقومه ألا تتقون (١٢٤) أتدعون بعلا وتذرون

الانبياء من نسله ﴿ ومن ذريتهما محسن ﴾ أي مؤمن ﴿ وظالم لنفسه ﴾ أي كافر ﴿ مبين ﴾ أي ظاهر قوله تعالى ﴿ ولقد مننا على موسى وهارون ﴾ أنعمنا عليهما بالنبوة ﴿ ونجيناهما وقومهما ﴾ بني اسرائيل ﴿ من الكرب العظيم ﴾ أي الغم العظيم وهو الذي كانوا فيه من استعباد فرعون إياهم، وقيل من الغرق ﴿ ونصرناهم ﴾ يعني موسى وهارون وقومهما ﴿ فكانوا هم الغالبين ﴾ على القبط ﴿ وآتيناهما الكتاب المستبين ﴾ أي المستنير وهو التوراة ﴿ وهديناهما الصراط المستقيم * وتركنا عليهما في الآخرين * سلام على موسى وهارون * انا كذلك نجزي المحسنين * انهما من عبادنا المؤمنين ﴾

قوله تعالى ﴿ وإن الياس لمن المرسلين ﴾ روي عن عبدالله بن مسعود قال الياس هو إدريس وفي مصحفه (وان ادريس لمن المرسلين) وهذا قول عكرمة ، وقال الآخرون هو نبي من أنبياء بني اسرائيل . قال ابن عباس هو ابن عم اليسع ، قال محمد بن اسحاق هو الياس بن بشير بن فنحاص ابن العيزار بن هارون بن عمران

أحسنَ الخالقين (١٢٥) اللهَ ربَّكم وربَّ آبائكم الأولين (١٢٦) فكذبوه فإنهم لمحضَرُون (١٢٧)

إلا عبادالله المخلصين (١٢٨) وتركنا عليه في الآخرين (١٢٩) سلام على إل ياسين (١٣٠)

إنا كذلك نجزي المحسنين (١٣١) انه من عبادنا المؤمنين (١٣٢)

قال قتادة ومحمد بن إسحاق يقال الياس هو ادريس ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو نعيم

وقال أيضا محمد بن اسحاق والعلماء من أصحاب الاخبار لما قبض الله عزوجل حزقيل النبي ﷺ عظمت الاحداث في بني اسرائيل وظهر فيهم الفساد والشرك ونصبوا الاوثان وعبدوها من دون الله فبعث الله عز وجل اليهم الياس نبياء وكانت الانبياء من بني اسرائيل يبعثون من بعد موسى بتجديد مانسوا من التوراة وبنو اسرائيل كانوا متفرقين في أرض الشام، وكان سبب ذلك أن يوشع ابن نون لما فتح الشام بوأها بني اسرائيل وقسمها بينهم ، فأحل سبطا منهم ببعلبك ونواحيها وهم السبط الذي كان منهم الياس ، فبعثه الله تعالى اليهم نبيا وعليهم يومئذ ملك يقال له آجب قد أضل قومه وأجبرهم على عبادة الاصنام ، وكان يعبد هو وقومه صنما يقال له بعل وكان طوله عشرين ذراعا وله أربعة وجوه، فجعل الياس يدعوهم الى الله عز وجل وهم لا يسمعون منه شيئا إلا ماكان من أمر الملك فانه صدقه وآمن به فكان الياس يقوم امره ويسدده ويرشده ، وكان لآجب الملك هذا امرأة يقال لها أزبيل وكان يستخلفها على رعيته اذا غاب عنهم في غزاة أو غيرها وكانت تبرز للناس وتقضي بين الناس، وكانت قتالة الانبيا. يقال هي التي قتلت يحيى بن زكريا عليهما السلام ، وكان لها كاتب رجل مؤمن حكيم يكتم ايمانه وكان قد خلص من يدها ثلثمائة نبي كانت تريد قتل كل واحد منهم اذا بعث سوى الذين قتلتهم ، وكانت في نفسها غير محصنة وكانت قد تزوجت سبعة من ملوك بني اسرائيل وقتلت كلهم بالاغتيال ، وكانت معمرة يقال إنها ولدت سبعين ولداء وكان لآجب هذا جار رجل صالح يقال له مزدكي وكانت له جنينة يعيش منها ويقبل على عمارتها ومرمتها، وكانت الجنينة الى جانب قصر الملك وامرأته وكانا يشرفان على تلك الجنينة يتنزهان فيها ويأكلان ويشربان ويقيلان فيها وكان آجب الملك يحسن جوار صاحبها مزدكي ويحسن اليه وامرأته ازبيل تحسده لاجل تلك الجنينة وتحتال أن تغصبها منه لما تسمع الناس يكثرون ذكرها ويتعجبون من حسنها وتحتال أن تقتله والملك ينهاها عن ذلك ولا تجد عليه سبيلا، ثم إنه اتفق خروج الملك الى سفر بعيد وطالت غيبته فاغتنمت امرأته ازبيل ذلك فجمعت جمعا من الناس وأمرتهم أن يشهدوا على مزدكي انه سب زوجها آجب فأجابوها اليه، وكان في حكمهم في ذلك الزمان القتل على من سب الملك اذا قامت عليه البينة فأحضرت مزدكي وقالت له بلغني انك شتمت الملك فأنكر مزدكي فأحضرت الشهود فشهدوا عليه بالزور

حدثنا إسرائيل عن أبي اسحاق عن عبيدة بن ربيعة عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال : الياس هو ادريس ، وكذا قال الضحاك وقال وهب بن منبه هو الياس بن نسي بن فنحاص بن العيزار بن

فأمرت بقتله وأخذت جنينته فغضب الله عليهم للعبد الصالح فلما قدم الملك من سفره أخبرته الخبر فقال لها ما أصبت ولا أرانا نفلح بعده فقد جاورنا منذ زمان فأحسنا جواره وكففنا عنه الاذى لوجوب حقه علينا فختمت أمره بأسوأ الجوار، فقالت إنما غضبت وحكمت بحكمك، فقال لها أوما كان يسعه حلمك فتحفظين له جواره؟ قالت قد كان ماكان فبعث الله تعالى الياس الى آجب الملك وقومه وأمره أن يخبرهم أن الله تعالى قد غضب لوليه حين قتلوه ظلما وآلى على نفسه أنهما ان لم يتوبا عن صنيعهما ويردا الجنينة على ورثة مزدكي أن يهلكهما يعني آجب وامرأته في جوف الجنينة ثم يدعهما جيفتين ملقاتين فيها حتى تتعرى عظامهما من لحومهما ولا يتمتعان بها إلا قليلا ، قال فجاء الياس واخبره بما أوحى الله تعالى اليه في أمره وأمر امرأته والجنينة، فلما سمع الملك ذلك اشتدغضبه عليه ثم قال له يا الياس والله ما أرى ماتدعو اليه إلا باطلا وما أرى فلانا وفلانا سمى ملوكا منهم قد عبدوا الاوثان إلا على مثل ما نحن عليه يأكلون ويتمتعون مملكين ماينتقص من دنياهم أمرهم الذي تزعم أنه باطل وما نرى لنا عليهم من فضل. قال وهم الملك بتعذيب الياس وقتله فلما أحس الياس بالشر والمكر به رفضه وخرج عنه فلحق بشواهق الجبال ، وعاد الملك الى عبادة بعل وارتقى الياس الى أصعب جبل وأشمخه فدخل مغارة فيه ويقال إنه بقي سبع سنين شريداً خائفا يأوي الى الشعاب والكهوف يأكل من نبات الارض وثمار الشجر وهم في طلبه قد وضعوا عليه العيون والله يستره ، فلما تم سبع سنين أذن الله تعالى في اظهاره عليهم وشفاء غيظه منهم فأمرض الله عز وجل ابنا لآجب وكان أحب ولده اليه وأشبههم به فأدنف حتى يئس منه فدعا صنمه بعلا وكانوا قد فتنوا ببعل وعظموه حتى جعلوا له أربعمائة سادن فوكلوهم به وجعلوهم أنبياء ، وكان الشيطان يدخل في جوف الصنم فيتكلم والاربعمائة يصغون بآذانهم الى مايقول الشيطان ويوسوس اليهم الشيطان بشريعة من الضلالة فيبينونها للناس فيعملون بها ويسمونهم أنبياء ، فلما اشتدمرض ابن الملك طلب اليهم الملك أن يتشفعوا الى بعل ويطلبوا لابنه من قبله الشفاء فدعوه فلم يجبهم ومنع الله الشيطان فلم يمكنه الولوج في جوفه وهم مجتهدون في التضرع اليه، فلما طال عليهم ذلك قالوا لآجب إن في ناحية الشام آلهة اخرى فابعث اليها انبياءك فلعلها تشفع لك الى الهك بعل فانه غضبان عليك ولولا غضبه عليك لأجابك قال ومن أجل ماذا غضب علي وأنا أطيعه؟ قالوا من أجل أنك لم تقتل الياس وفرطت فيه حتى نجا سليما وهو كافر بالهك، قال آجب وكيف لي أن اقتل الياس وأنا مشغول عن طلبه بوجع ابني وليس لالياس مطلب ولا يعرف له موضع فيقصد؟ فلو عوفي ابني لفرغت لطلبه حتى أجده فاقتله فارضي إلهي ثم إنه بعث انبياءه الاربعمائة الى الآلهة التي بالشام يسألونها أن تشفع الى صنم الملك ليشفي ابنه فانطلقوا حتى اذا كانوا بحيال الجبل الذي فيه الياس أوحى الله تعالى الى

هارون بن عمران بعثه الله تعالى في بني اسرائيل بعد حزقيل عليهما السلام وكانوا قدعبدوا صنما يقال له بعل فدعاهم الى الله تعالى ونهاهم عن عبادة ماسواه ، وكان قد آمن به ملكهم ثم ارتد واستمروا

الياس عليه السلام أن يهبط من الجبل ويعارضهم ويكلمهم وقال الله له لاتخف فاني سأصرف عنك شرهم وألقي الرعب في قلوبهم فنزل الياس من الجبل فلما لقيهم استوقفهم فلما وقفوا قال لهم إن الله تعالى أرسلني اليكم والى من ورائكم فاسمعوا أيها القوم رسالة ربكم لتبلغوا صاحبكم فارجعوا اليه وقولوا له ان الله تعالى يقول لك ألست تعلم ياآجب أني أنا الله لا إله إلا أنا إله بني اسرائيل الذي خلقهم ورزقهم وأحياهم وأماتهم فجهلك وقلة علمك حملاك على أن تشرك بي وتطلب الشفاء لابنك من غيري ممن لايملكون لأنفسهم شيئا إلا ماشئت، اني حلفت باسمي لأغضبنك في ابنك ولأميتنه في فوره غداً حتى تعلم أن أحدا لايملك له شيئا دوني، فلما قال لهم هذا رجعوا وقد ملئوا منه رعبا ، فلما صاروا الى الملك أخبروه بأن الياس قد انحط عليهم وهو رجل نحيف طوال قد نحل وتمعط شعره وتقشر جلده عليه جبة من شعر وعباءة قد خلها على صدره بخلال فاستوقفنا فلما صار معنا قذف له في قلوبنا الهيبة والرعب فانقطعت ألسنتنا ونحن في هذا العدد الكثير فلم نقدر على أن نكلمه ونراجعه حتى رجعنا اليك وقصوا عليه كلام الياس، فقال آجب لاننتفع بالحياة ما كان الياس حيا وما يطاق إلا بالمكر والخديعة فقيض له خمسين رجلا من قومه ذوي القوة والبأس وعهد اليهم عهده وأمرهم بالاحتيال له والاغتيال به وأن يطمعوه في أنهم قد آمنوا به هم ومن وراءهم ليستنهم اليهم ويغتر بهم فيمكنهم من نفسه فيأتون به ملكهم، فانطلقوا حتى ارتقوا ذلك الجبل الذي فيه الياس ثم تفرقوا فيه ينادونه بأعلى أصواتهم ويقولون يانبي الله ابرز لنا وامنن علينا بنفسك فانا قد آمنا بك وصدقناك وملكنا آجب وجميع قومنا وأنت آمن على نفسك وجميع بني اسرائيل يقرؤن عليك السلام، ويقولون قد بلغتنا رسالتك وعرفنا ماقلت فآمنا بك وأجبناك الى مادعوتنا فهلم الينا وأقم بين أظهرنا واحكم فينا فانا ننقاد لما أمرتنا وننتهي عما نهيتنا وليس يسعك أن تتخلف عنا مع إيماننا وطاعتنا فارجع الينا، وكل هذا منهم مماكرة وخديعة فلما سمع الياس مقالتهم وقعت في قلبه وطمع في إيمانهم وخاف الله ان هو لم يظهر لهم فالهمه الله التوقف والدعاء فقال اللهم إن كانوا صادقين فيما يقولون فائذن لي في البروز اليهم وان كانوا كاذبين فاكفنيهم وارمهم بنار تحرقهم فما استتم قوله حتى حصبوا بالنار من فوقهم فاحترقوا أجمعون قال وبلغ آجب وقومه الخبر، فلم يرتدع من همه بالسوء واحتال ثانيا في أمر الياس وقيض له فئة أخرى مثل عدد أولئك أقوى منهم وأمكن من الحيلة والرأي فاقبلوا حتى توقلوا أي صعدوا قلل تلك الجبال متفرقين، وجعلوا ينادون يانبي الله إنا نعوذ بالله وبك من غضب الله وسطواته إنا لسنا كالذين أتوك قبلنا وان أولئك فرقة نافقوا فصاروا اليك ليكيدوا بك من غير رأينا ولو علمنا بهم لقتلناهم ولكفيناك مؤنتهم فالآن قد كفاك ربك أمرهم واهلكهم وانتقم لك منهم، فلما سمع الياس مقالتهم دعا الله بدعوته

على ضلالتهم ولم يؤمن به منهم أحد فدعا الله عليهم فحبس عنهم القطر ثلاث سنين ثم سألوه أن يكشف ذلك عنهم ووعدوه الايمان به ان هم أصابهم المطر، فدعا الله تعالى لهم فجاءهم الغيث فاستمروا على

الاولى فامطر عليهم النار فاحترقوا عن آخرهم، وفي كل ذلك ابن الملك في البلاء الشديد من وجعه، فلما سمع الملك بهلاك أصحابه ثانيا ازداد غضبا على غضب وأراد أن يخرج في طلب الياس بنفسه إلا انه شغله عن ذلك مرض ابنه فلم يمكنه، فوجه نحو الياس المؤمن الذي هو كاتب امرأته رجاء أن يأنس به الياس فينزل معه وأظهر للكاتب أنه لا يريد بالياس سوءا وانما أظهر له لما اطلع عليه من ايمانه وكان الملك مع اطلاعه على ايمانه مثنيا عليه لما هو عليه من الكفاية والامانة وسداد الرأي، فلما وجهه نحوه أرسل معه فئة من أصحابه وأوعز الى الفئة دون الكاتب أن يوثقوا الياس ويأتوا به ان أراد التخلف عنهم وان جاء مع الكاتب واثقا به لم يروعوه، ثم أظهر مع الكاتب الانابة وقال له انه قد آن لي أن أتوب وقد أصابتنا بلايا من حريق أصحابنا والبلاء الذي فيه ابني وقد عرفت أن ذلك بدعوة الياس ولست آمن أن يدعو على جميع من بقي منا فنهلك بدعوته فانطلق اليه واخبره أنا قد تبنا وأنبنا وانه لا يصلحنا في توبتنا وما نريد من رضاء ربنا وخلع أصنامنا إلا أن يكون الياس بين أظهرنا يأمرنا وينهانا ويخبرنا بما يرضي ربنا، وأمر قومه فاعتزلوا الاصنام وقال له اخبر الياس أنا قد خلعنا آلهتنا التي كنا نعبد وارجأنا أمرها حتى ينزل الياس فيكون هو الذي يحرقها ويهلكها بيده، وكان ذلك مكرا من الملك فانطلق الكاتب والفئة حتى علا الجبل الذي فيه الياس ثم ناداه فعرف الياس صوته فتاقت نفسه اليه وكان مشتاقا الى لقائه فأوحى الله تعالى اليه أن ابرز الى أخيك الصالح فالقه وجدد العهد فبرز اليه وسلم عليه وصافحه وقال ما الخبر؟ فقال المؤمن إنه قد بعثني اليك هذا الجبار الطاغي وقومه وقص عليه ماقالوا ثم قال له وإني لخائف إن رجعت ولست معي أن يقتلني فمرني بماشئت أفعله، إن شئت انقطعت اليك و كنت معك وتركته، وان شئت جاهدته معك، وان شئت ترسلني اليه بما تحب فابلغه رسالتك وان شئت دعوت ربك يجعل لنا من امرنا رشداً وفرجا ومخرجا، فاوحى الله تعالى الى الياس: إن كل شيء جاءك منهم مكر و كذب ليظفروا بك، وإن آجب ان أخبرته رسله أنك قد لقيت هذا الرجل ولم يأت بك اتهمه وعرف أنه قد داهن في أمرك فلم يأمن أن يقتله فانطلق معه فاني سأشغل عنكما آجب فاضاعف على ابنه البلاء حتى لايكون له هم غيره ثم أميته على شر حال فاذا هو مات فارجع عنه قال فانطلق معهم حتى قدموا على آجب فلما قدموا شدد الله تعالى الوجع على ابنه وأخذ الموت يكظمه فشغل الله تعالى بذلك آجب واصحابه عن الياس فرجع الياس سالما الى مكانه ، فلما مات ابن آجب وفرغوا من أمره وقل جزعه انتبه لالياس وسأل عنه الكاتب الذي جاء به فقال له ليس لي به علم شغلني عنه موت ابنك والجزع عليه ولم أكن أحسبك إلا قد استوثقت منه ، فاعرض عنه آجب وتركه لما هو فيه من الحزن على ابنه ، فلما طال الامر على الياس من السكون في الجبال واشتاق الى

أخبث ما كانوا عليه من الكفر فسأل الله أن يقبضه اليه ، وكان قد نشأ على يديه اليسع بن أخطوب عليهما الصلاة والسلام فأمر الياس أن يذهب الى مكان كذا وكذا فمهما جاءه فليركبه ولا يهبه فجاءته فرس

الناس نزل من الجبل فانطلق حتى نزل بامرأة من بني إسرائيل وهي أم يونس بن متى ذي النون استخفى عندها ستة أشهر ويونس بن متى يومئذ مولود يرضع فكانت أم يونس تخدمه بنفسها وتواسيه بذات يدها ، ثم ان الياس سئم ضيق البيوت بعد تعوده فسحة الجبال فأحب اللحوق بالجبال فخرج وعاد إلى مكانه فجزعت أم يونس لفراقه فأوحشها فقده ، ثم لم تلبث إلا يسيرا حتى مات ابنها يونس حين فطمته فعظمت مصيبتها فخرجت في طلب الياس فلم تزل ترقى الجبال وتطوف فيها حتى عثرت عليه فوجدته وقالت له اني قد فجعت بعدك لموت ابني فعظمت فيه مصيبتي واشتد لفقده بلائي وليس لي ولد غيره فارحمني وادع لي ربك جل جلاله ليحيي لي ابني ، واني قد تركته مسجى لم أدفنه وقد أخفيت مكانه فقال لها الياس ليس هذا مما أمرت به ، وانما أنا عبد مأمور أعمل بما يأمرني ربي فجزعت المرأة وتضرعت فأعطف الله تعالى قلب الياس لها فقال لها متى مات ابنك ؟ قالت منذ سبعة أيام فانطلق الياس معها وسار سبعة أيام أخرى حتى انتهى الى منزلها فوجد ابنها ميتا له أربعة عشر يوما فتوضأ وصلى ودعا فأحيا الله تعالى يونس بن متى ، فلما عاش وجلس وثب الياس وتركه وعاد الى موضعه ، فلما طال عصيان قومه ضاق بذلك الياس ذرعا فأوحى الله تعالى اليه بعد سبع سنين وهو خائف مجهود : ياالياس ماهذا الحزن والجزع الذي أنت فيه ألست أميني على وحيي وحجتي في أرضي وصفوتي من خلقي فسلني أعطك فاني ذو الرحمة الواسعة والفضل العظيم ؟ قال تميتني وتلحقني بآبائي فاني قد مللت بني اسرائيل وملوني فأوحى الله تعالى اليه ياالياس ماهذا باليوم الذي أعري منك الارض وأهلها وانما قوامها وصلاحها بك وبأشباهك وان كنتم قليلا ، ولكن سلني أعطك قال الياس ان لم تمتني فأعطني ثاري من بني إسرائيل . قال الله تعالى فأي شيء تريد أن أعطيك ؟ قال تمكنني من خزائن السماء سبع سنين فلا تنشر عليهم سحابة إلا بدعوتي ، ولا تمطر عليهم قطرة إلا بشفاعتي فانه لا يذلهم الا ذلك . قال الله تعالى ياالياس أنا أرحم بخلقي من ذلك وان كانوا ظالمين . قال فست سنين قال أنا أرحم بخلقي من ذلك قال فخمس سنين قال أنا أرحم بخلقي من ذلك ، ولكني أعطيك ثأرك ثلاث سنين أجعل خزائن المطر بيدك قال الياس فبأي شيء أعيش قال أسخر لك جيشا من الطير ينقل اليك طعامك وشرابك من الريف والارض التي لم تقحط قال الياس قد رضيت قال فأمسك الله تعالى عنهم المطر حتى هلكت الماشية والدواب والهوام والشجر وجهد الناس جهداً شديداً والياس على حالته مستخف من قومه يوضع له الرزق حيث ماكان ، وقد عرف ذلك قومه وكانوا اذا وجدوا ريح الخبز في بيت قالوا لقد دخل الياس هذا المكان فطلبوه ولقي منهم أهل ذلك المنزل شراً . قال ابن عباس أصاب القحط بني اسرائيل ثلاث سنين فمر الياس بعجوز فقال لها هل عندك طعام

من نار فركب وألبسه الله تعالى النور وكساه الريش ، وكان يطير مع الملائكة ملكا انسيا سماويا

قالت نعم شيء من دقيق وزيت قليل قال فدعا به ودعا فيه بالبركة ومسه حتى ملأ جرابها دقيقا وملأ خوابيها زيتا فلما رأوا ذلك عندها قالوا من أين لك هـذا ؟ قالت مر بي رجل من حاله كذا وكذا فوصفته فعرفوه فقالوا ذلك الياس فطلبوه فوجدوه فهرب منهم ، ثم انه أوى الى بيت امرأة من بني اسرائيل لها ابن يقال له اليسع بن أخطوب به ضر فآوته وأخفت أمره فدعا له فعوفي من الضر الذي كان به واتبع اليسع الياس فآمن به وصدقه ولزمه وكان يذهب حيث ماذهب ، وكان الياس قد أسن فكبر واليسع غلام شاب ، ثم ان الله تعالى أوحى الى الياس انك قد أهلكت كثيراً من الخلق ممن لم يعص من البهائم والدواب والطير والهوام بحبس المطر فيزعمون والله أعلم ان الياس قال يارب دعني أكن أنا الذي أدعو لهم وآتيهم بالفرج مماهم فيه من البلاء لعلهم أن يرجعوا وينزعوا عما هم عليه من عبادة غيرك فقيل له نعم فجاء الياس الى بني اسرائيل فقال : انكم قد هلكتم جوعا وجهدا وهلكت البهائم والدواب والطير والهوام والشجر بخطاياكم وانكم على باطل ، فان كنتم تحبون أن تعلموا ذلك فاخرجوا بأصنامكم فان استجابت لكم فذلك كما تقولون ، وان هي لم تفعل علمتم أنكم على باطل فنزعتم ودعوت الله تعالى ففرج عنكم ما أنتم فيه من البلاء قالوا أنصفت ، فخرجوا بأوثانهم فدعوها فلم تفرج عنهم ما كانوا فيه من البلاء ثم قالوا لالياس انا قد هلكنا فادع الله تعالى لنا فدعا لهم الياس ومعه اليسع بالفرج فخرجت سحابة مثل الترس على ظهر البحر وهم ينظرون فأقبلت نحوهم وطبقت الآفاق ثم أرسل الله تعالى عليهم المطر فأغاثهم وأحيت بلادهم ، فلما كشف الله تعالى عنهم الضر نقضوا العهد ولم ينزعوا عن كفرهم وأقاموا على أخبث ما كانوا عليه ، فلما رأى ذلك الياس دعا ربه عز وجل أن يريحه منهم فقيل له فيما يزعمون انظر يوم كذا وكذا فاخرج فيه الى موضع كذا وكذا فما جاءك من شيء فاركبه ولا تهبه فخرج الياس ومعه اليسع حتى اذا كانا بالموضع الذي أمر أقبل فرس من نار وقيل لونه كلون النار حتى وقف بين يديه فوثب عليه الياس فانطلق به الفرس فناداه اليسع يا الياس ماتأمرني فقذف اليه الياس بكسائه من الجو الاعلى فكان ذلك علامة استخلافه اياه على بني اسرائيل فكان ذلك آخر العهد به ، فرفع الله تعالى الياس من بين أظهرهم وقطع عنه لذة المطعم والمشرب فكساه الريش فكان انسيا ملكيا أرضيا سماويا وسلط الله تعالى على آجب الملك وقومه عدواً لهم فقصدهم من حيث لم يشعروا به حتى رهقهم فقتل آجب وامرأته ازبيل في بستان مزدكي فلم تزل جيفتهما ملقاتين في تلك الجنينة حتى بليت لحومهما ورمت عظامهما ونبأ الله تعالى اليسع وبعثه رسولا الى بني اسرائيل وأوحى الله تعالى الى اليسع وأيده فآمنت به بنو اسرائيل فكانوا يعظمونه وحكم الله تعالى فيهم قائم الى أن فارقهم اليسع . وروى السري بن يحيى عن عبدالعزيز بن أبي رواد قال الخضر والياس يصومان شهر رمضان ببيت المقدس ويوافيان الموسم في كل عام ، وقيل ان الياس موكل بالفيافي

أرضيا هكذا حكاه وهب بن منبه عن أهل الكتاب والله أعلم بصحته (اذ قال لقومه ألا تتقون) أي ألا تخافون الله عز وجل في عبادتكم غيره (أتدعون بعلا وتذرون أحسن الخالقين) قال ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وعكرمة وقتادة والسدي بعلا يعني ربا . قال عكرمة وقتادة وهي لغة أهل اليمن ، وفي رواية عن قتادة قال : وهي لغة ازد شنوءة . وقال ابن اسحاق أخبرني بعض أهل العلم أنهم كانوا يعبدون امرأة اسمها بعل . وقال عبدالرحمن ابن زيد بن أسلم عن أبيه هو اسم صنم كان يعبده أهل مدينة يقال لها بعلبك غربي دمشق ، وقال الضحاك هو صنم كانوا يعبدونه

وقوله تعالى (أتدعون بعلا ؟) أي أتعبدون صنما وتذرون أحسن الخالقين (الله ربكم ورب آبائكم الاولين) أي هو المستحق للعبادة وحده لا شريك له ، قال الله تعالى (فكذبوه فانهم لمحضرون) أي للعذاب يوم الحساب (إلا عباد الله المخلصين) أي الموحدين منهم ، وهذا استثناء منقطع من مثبت

وقوله تعالى [وتركنا عليه في الآخرين] أي ثناء جميلا (سلام على الياسين) كما يقال في اسماعيل اسماعين وهي لغة بني أسد، وأنشد بعض بني تميم في ضب صاده

يقول رب السوق لما جينا هذا ورب البيت اسرائينا

ويقال ميكال وميكائيل وميكائين ، وابراهيم وابراهام ، وإسرائيل واسرائين وطور سيناء وطور سينين وهو موضع واحد وكل هذا سائغ . وقرأ آخرون (سلام على إدراسين) وهي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه ، وآخرون [سلام على آل ياسين] يعني آل محمد ﷺ ، وقوله تعالى [إنا كذلك نجزي المحسنين * انه من عبادنا المؤمنين] قد تقدم تفسيره والله أعلم

والخضر موكل بالبحار فذلك قوله تعالى (وان الياس لمن المرسلين) ﴿ اذ قال لقومه ألا تتقون * أتدعون ﴾ أتعبدون ﴿ بعلا ﴾ وهو اسم صنم لهم كانوا يعبدونه ولذلك سميت مدينتهم بعلبك . قال مجاهد وعكرمة وقتادة البعل الرب بلغة أهل اليمن ﴿ وتذرون أحسن الخالقين ﴾ فلا تعبدونه ﴿ الله ربكم ورب آبائكم الاولين ﴾ قرأ حمزة والكسائي وحفص ويعقوب الله ربكم ورب بنصب الهاء والباءين على البدل ، وقرأ الآخرون برفعهن على الاستئناف ﴿ فكذبوه فانهم لمحضرون ﴾ في النار ﴿ إلا عباد الله المخلصين ﴾ من قومه فانهم نجوا من العذاب ﴿ وتركنا عليه في الآخرين * سلام على الياسين ﴾ قرأ نافع وابن عامر (آل ياسين) بفتح الهمزة مشبعة وكسر اللام مقطوعة لأنها في المصحف مفصولة ، وقرأ الآخرون بكسر الهمزة وسكون اللام موصولة فمن قرأ آل يس مقطوعة قيل أراد آل محمد ﷺ وهذا القول بعيد لانه لم يسبق له ذكر ، وقيل أراد الياس والقراءة المعروفة بالوصل ، واختلفوا فيه فقد قيل الياسين لغة في الياس مثل اسماعيل واسماعين وميكائيل وميكائين ، وقال الفراء هو جمع أراد الياس وأصحابه وأتباعه من المؤمنين فيكون بمنزلة الاشعرين والاعجمين بالتخفيف ، وفي حرف عبدالله

وان لوطا لمن المرسلين (١٣٣) إذ نجيناه وأهله أجمعين (١٣٤) الا عجوزاً في الغابرين (١٣٥) ثم دمرنا الآخرين (١٣٦) وانكم لتمرون عليهم مصبحين (١٣٧) وبالليل أفلا تعقلون؟ (١٣٨)

يخبر تعالى عن عبده ورسوله لوط عليه السلام انه بعثه إلى قومه فكذبوه فنجاه الله تعالى من بين أظهرهم هو وأهله إلا امرأته فانها هلكت مع من هلك من قومها فان الله تعالى أهلكهم بأنواع من العقوبات وجعل محلتهم من الارض بحيرة منتنة قبيحة المنظر والطعم والريح وجعلها بسبيل مقيم يمر بها المسافرون ليلا ونهارا ولهذا قال تعالى (وانكم لتمرون عليهم مصبحين وبالليل أفلا تعقلون؟) أي أفلا تعتبرون بهم كيف دمر الله عليهم وتعلمون أن للكافرين أمثالها

وإن يونس لمن المرسلين (١٣٩) اذ أبق الى الفلك المشحون (١٤٠) فساهم فكان من المدحضين (١٤١) فالتقمه الحوت وهو مليم (١٤٢) فلولا أنه كان من المسبحين (١٤٣) للبث في بطنه إلى يوم يبعثون (١٤٤) فنبذناه بالعراء وهو سقيم (١٤٥) وأنبتنا عليه شجرة من يقطين (١٤٦) وأرسلناه الى مائة ألف أو يزيدون (١٤٧) فآمنوا فمتعناهم الى حين (١٤٨)

قد تقدمت قصة يونس عليه الصلاة والسلام في سورة الانبياء، وفي الصحيحين عن رسول الله ﷺ انه قال « ماينبغي لعبد أن يقول أنا خير من يونس بن متى » ونسبه إلى أمه وفي رواية الى أبيه

ابن مسعود [سلام على ادراسين] أي ادريس وأتباعه لانه يقرأ وان ادريس لمن المرسلين ﴿ انا كذلك نجزي المحسنين * انه من عبادنا المؤمنين * وان لوطا لمن المرسلين * اذ نجيناه وأهله أجمعين * الا عجوزاً في الغابرين ﴾ أي الباقين في العذاب ﴿ ثم دمرنا الآخرين ﴾ والتدمير الاهلاك ﴿ وانكم لتمرون عليهم ﴾ على آثارهم ومنازلهم ﴿ مصبحين ﴾ وقت الصباح ﴿ وبالليل ﴾ يريد تمرون بالنهار وبالليل عليهم اذا ذهبتم الى أسفاركم ورجعتم ﴿ أفلا تعقلون ﴾ فتعتبرون

قوله تعالى ﴿ وان يونس لمن المرسلين ﴾ أي من جملة رسل الله ﴿ اذ أبق الى الفلك المشحون ﴾ يعني هرب قال ابن عباس رضي الله عنهما ووهب كان يونس وعد قومه العذاب فلما تأخر عنهم العذاب خرج كالمستور منهم فقصد البحر فركب السفينة فاحتبست السفينة فقال الملاحون ههنا عبد آبق من سيده فاقترعوا فوقعت القرعة على يونس فاقترعوا ثلاثا فوقعت على يونس فقال يونس أنا الآبق وزج نفسه في الماء، وروي في القصة أنه لما وصل الى البحر كانت معه امرأته وابنان له فجاء مركب فأراد أن يركب معهم فقدم امرأته ليركب بعدها فحال الموج بينه وبين المركب ثم جاءت موجة أخرى وأخذت ابنه الاكبر وجاء ذئب فأخذ الابن الاصغر فبقي فريداً فجاء مركب آخر فركبه فقعد ناحية

وقوله تعالى (إذ أبق إلى الفلك المشحون) قال ابن عباس رضي الله عنهما هو الموقر أي المملوء بالأمتعة (فساهم) أي قارع [فكان من المدحضين] أي المغلوبين، وذلك ان السفينة تلعبت بها الامواج من كل جانب وأشرفوا على الغرق فساهموا على من تقع عليه القرعة يلقى في البحر لتخف بهم السفينة فوقعت القرعة على نبي الله يونس عليه الصلاة والسلام ثلاث مرات وهم يضنون به أن يلقى من بينهم فتجرد من ثيابه ليلقي نفسه وهم يأبون عليه ذلك ،وأمر الله تعالى حوتا من البحر الاخضر أن يشق البحار وأن يلتقم يونس عليه السلام فلا يهشم له لحما ولا يكسر له عظما فجاء ذلك الحوت وألقى يونس عليه السلام نفسه فالتقمه الحوت وذهب به فطاف به البحار كلها ، ولما استقر يونس في بطن الحوت حسب انه قد مات ثم حرك رأسه ورجليه وأطرافه فاذا هو حي فقام فصلى في بطن الحوت وكان من جملة دعائه يارب اتخذت لك مسجدا في موضع لم يبلغه أحد من الناس

واختلفوا في مقدار مالبث في بطن الحوت فقيل ثلاثة أيام قاله قتادة ، وقيل سبعة قاله جعفر الصادق رضي الله عنه ، وقيل أربعين يوما قاله أبو مالك ، وقال مجاهد عن الشعبي :التقمه ضحى ولفظه عشية ، والله تعالى أعلم بمقدار ذلك ،وفي شعر أمية بن أبي الصلت

وأنت بفضل منك نجيت يونسا وقد بات في أضعاف حوت لياليا

وقوله تعالى (فلولا انه كان من المسبحين * للبث في بطنه الى يوم يبعثون) قيل لولا ما تقدم له من العمل في الرخاء قاله الضحاك بن قيس وأبو العالية ووهب بن منبه وقتادة وغير واحد ، واختاره ابن جرير ، وقد ورد في الحديث الذي سنورده ان شاء الله تعالى مايدل على ذلك ان صح الخبر ، وفي حديث ابن عباس « تعرف الى الله في الرخاء يعرفك في الشدة »

وقال ابن عباس رضي الله عنهما وسعيد بن جبير والضحاك وعطاء بن السائب والسدي والحسن وقتادة (فلولا انه كان من المسبحين) يعني المصلين ، وصرح بعضهم بأنه كان من المصلين قبل ذلك ، وقال بعضهم كان من المسبحين في جوف أبويه ، وقيل المراد (فلولا انه كان من المسبحين) هو قوله عز وجل [فنادى في الظلمات أن لا اله الا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين * فاستجبنا له فنجيناه من

من القوم فلما مرت السفينة في البحر ركدت فاقترعوا وقد ذكرنا القصة في سورة يونس فذلك قوله عز وجل ﴿ فساهم ﴾ فقارع والمساهمة القاء السهام على جهة القرعة ﴿ فكان من المدحضين ﴾ أي المقروعين ﴿ فالتقمه الحوت ﴾ ابتلعه ﴿ وهو مليم ﴾ أي بما يلام عليه ﴿ فلولا أنه كان من المسبحين ﴾ من الذاكرين الله قبل ذلك وكان كثير الذكر ، وقال ابن عباس من المصلين ، وقال وهب من العابدين وقال الحسن ماكانت له صلاة في بطن الحوت ولكنه قدم عملا صالحا، وقال الضحاك شكر الله تعالى له طاعته القديمة وقيل فلولا أنه كان من المسبحين في بطن الحوت قال سعيد بن جبير يعني قوله لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين ﴿ لبث في بطنه الى يوم يبعثون ﴾ لصار بطن الحوت له

الغم وكذلك ننجي المؤمنين] قاله سعيد بن جبير وغيره

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو عبيدالله ابن أخي ابن وهب حدثنا عمي حدثنا أبو صخر أن يزيد الرقاشي حدثه انه سمع أنس بن مالك رضي الله عنه - ولا أعلم أنسا إلا يرفع الحديث إلى رسول الله ﷺ « ان يونس النبي عليه الصلاة والسلام حين بدا له أن يدعو بهذه الكلمات وهو في بطن الحوت فقال اللهم لااله إلا أنت سبحانك اني كنت من الظالمين ، فأقبلت الدعوة تحن بالعرش ، قالت الملائكة يارب هذا صوت ضعيف معروف من بلاد بعيدة غريبة فقال الله تعالى أما تعرفون ذلك ؟ قالوا يارب ومن هو ؟ قال عز وجل عبدي يونس قالوا عبدك يونس الذي لم يزل يرفع له عمل متقبل ودعوة مستجابة؟ قالوا يارب أولا ترحم ماكان يصنع في الرخاء فتنجيه في البلاء ؟ قال بلى فأمر الحوت فطرحه بالعراء » ورواه ابن جرير عن يونس عن ابن وهب به ،زاد ابن أبي حاتم قال أبوصخر حميد بن زياد فأخبرني ابن قسيط وأنا أحدثه هذا الحديث انه سمع أبا هريرة رضي الله عنه يقول : طرح بالعراء ، وأنبت الله عزوجل عليه اليقطينة ، قلنا ياأبا هريرة وما اليقطينة ؟ قال شجرة الدباء

قال أبو هريرة رضي الله عنه : وهيأ الله له أروية وحشية تأكل من خشاش الارض — أو قال هشاش الارض — قال فتنفسخ عليه فترويه من لبنها كل عشية وبكرة حتى نبت ، وقال امية بن أبي الصلت في ذلك بيتا من شعره وهو

فأنبت يقطينا عليه برحمة . من الله لولا الله ألقي ضاحيا

وقد تقدم حديث أبي هريرة رضي الله عنه مسندا مرفوعا في تفسير سورة الانبياء، ولهذا قال تعالى (فنبذناه) اي ألقيناه [بالعراء] قال ابن عباس رضي الله عنهما وغيره وهي الارض التي ليس بها نبت ولا بناء ، قيل على جانب دجلة وقيل بأرض اليمن فالله أعلم [وهو سقيم] اي ضعيف البدن ، قال ابن مسعود رضي الله عنه كهيئة الفرخ ليس عليه ريش ، وقال السدي كهيئة الصبي حين يولد وهو المنفوس وقاله ابن عباس رضي الله عنهما وابن زيد أيضا [وأنبتنا عليه شجرة من يقطين] قال ابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهم ومجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير ووهب بن منبه وهلال بن يساف وعبد الله بن

قبرا الى يوم القيامة ﴿ فنبذناه ﴾ طرحناه ﴿ بالعراء ﴾ يعني على وجه الارض قال السدي بالساحل والعراء الارض الخالية عن الشجر والنبات ﴿ وهو سقيم ﴾ عليل كالفرخ الممعط وقيل كان قد بلي لحمه ورق عظمه ولم يبق له قوة، واختلفوا في مدة لبثه في بطن الحوت فقال مقاتل بن حيان ثلاثة أيام وقال عطاء سبعة أيام وقال الضحاك عشرين يوما وقال السدي والكلبي ومقاتل بن سليمان أربعين يوما وقال الشعبي التقمه ضحى ولفظه عشية ﴿ وأنبتنا عليه ﴾ أي له وقيل عنده ﴿ شجرة من يقطين ﴾ يعني القرع على قول جميع المفسرين وقال الحسن ومقاتل كل نبت يمد وينبسط على وجه الارض ليس له ساق ولا يبقى على الشتاء نحو القرع والقثاء والبطيخ فهو يقطين، قال مقاتل بن حيان فكان يونس

طاوس والسدي وقتادة والضحاك وعطاء الخراساني وغير واحد قالوا كلهم اليقطين هو القرع ، وقال هشيم عن القاسم بن أبي أيوب عن سعيد بن جبير وكل شجرة لا ساق لها فهي من اليقطين وفي رواية عنه كل شجرة تهلك من عامها فهي من اليقطين ، وذكر بعضهم في القرع فوائد منها سرعة نباته وتظليل ورقه لكبره ونعومته وانه لا يقربها الذباب وجودة تغذية ثمره ، وانه يؤكل نيئا ومطبوخا وقشره أيضا ، وقد ثبت أن رسول الله ﷺ كان يحب الدباء ويتبعه من حواشي الصحفة

وقوله تعالى [وأرسلناه الى مائة الف أو يزيدون] روى شهر بن حوشب عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال إنما كانت رسالة يونس عليه الصلاة والسلام بعد ما نبذه الحوت ، رواه ابن جرير حدثني الحارث حدثنا أبو هلال عن شهر به ، وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد أرسل اليهم قبل أن يلتقمه الحوت (قلت) ولا مانع أن يكون الذين أرسل اليهم أولا أمر بالعود اليهم بعد خروجه من الحوت فصدقوه كلهم وآمنوا به ، و حكى البغوي انه أرسل الى أمة أخرى بعد خروجه من الحوت كانوا مائة الف اويزيدون ، وقوله تعالى [أو يزيدون] قال ابن عباس رضي الله عنهما في رواية عنه : بل يزيدون وكانوا مائة وثلاثين الفا وعنه مائة الف وبضعة وثلاثين الفا وعنه مائة الف وبضعة وأربعين الفا والله أعلم وقال سعيد بن جبير يزيدون سبعين الفا

وقال مكحول كانوا مائة الف وعشرة آلاف رواه ابن أبي حاتم وقال ابن جرير حدثنا محمد بن عبد الرحيم البرقي حدثنا عمرو بن أبي سلمة قال سمعت زهيرا يحدث عمن سمع أبا العالية يقول حدثني أبي بن كعب رضي الله عنه انه سأل رسول الله ﷺ عن قوله تعالى (وأرسلناه الى مائة الف أو يزيدون) قال يزيدون عشرون الفا ، ورواه الترمذي عن علي بن حجر عن الوليد بن مسلم عن زهير عن رجل عن أبي العالية عن أبي بن كعب به وقال غريب ، ورواه ابن أبي حاتم من حديث زهير به

يستظل بالشجرة وكانت وعلة تختلف اليه فيشرب من لبنها بكرة وعشيا حتى اشتد لحمه ونبت شعره وقوي فنام نومة فاستيقظ وقد يبست الشجرة فحزن حزنا شديدا وأصابه أذى الشمس فجعل يبكي فبعث الله تعالى اليه جبريل فقال أتحزن على شجرة ولا تحزن على مائة ألف من أمتك وقد أسلموا وتابوا فان قيل قال ههنا فنبذناه بالعراء وقال في موضع آخر (لولا أن تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء) فهذا يدل على أنه لم ينبذ قيل لولا هناك يرجع الى الذم معناه لولا نعمة من ربه لنبذ بالعراء وهو مذموم ولكن تداركه النعمة فنبذ وهو غير مذموم

قوله ﴿ وأرسلناه الى مائة ألف ﴾ قال قتادة أرسل الى أهل نينوى من أرض الموصل قبل أن يصيبه ما أصابه . وقوله (وأرسلناه) أي وقد أرسلناه وقيل كان ارساله بعد خروجه من بطن الحوت اليهم وقيل الى قوم آخرين ﴿ أو يزيدون ﴾ قال مقاتل والكلبي معناه بل يزيدون وقال الزجاج أو ههنا على أصلها ومعناه أو يزيدون على تقديركم وظنكم كالرجل يرى قوما فيقول هؤلاء ألف أو

قال ابن جرير : وكان بعض أهل العربية من أهل البصرة يقول في ذلك معناه الى المائة الالف أو كانوا يزيدون عندكم يقول كذلك كانوا عندكم ، ولهذا سلك ابن جرير ههنا ماسلكه عند قوله تعالى [ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة] وقوله تعالى (اذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية) وقوله تعالى (فكان قاب قوسين أو أدنى) المراد ليس أنقص من ذلك بل أزيد ، وقوله تعالى (فآمنوا) أي فآمن هؤلاء القوم الذين أرسل اليهم يونس عليه السلام جميعهم (فمتعناهم الى حين) أي الى وقت آجالهم كقوله جلت عظمته (فلولا كانت قرية آمنت فنفعها ايمانها الاقوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتعناهم الى حين)

فاستفتهم ألربك البنات ولهم البنون ؟ (١٤٩) أم خلقنا الملئكة إنثا وهم شهدون (١٥٠)

ألا إنهم من إفكهم ليقولون (١٥١) ولد الله وإنهم لكذبون (١٥٢) أصطفى البنات على البنين ؟ (١٥٣) مالكم كيف تحكمون ؟ (١٥٤) أفلا تذكرون ؟ (١٥٥) أم لكم سلطن مبين ؟ (١٥٦)

فاءتوا بكتبكم ان كنتم صدقين (١٥٧) وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا ، و لقد علمت الجنة انهم لمحضرون (١٥٨) سبحن الله عما يصفون (١٥٩) الا عباد الله المخلصين (١٦٠)

يقول تعالى منكرا على هؤلاء المشركين في جعلهم لله تعالى البنات سبحانه ولهم مايشتهون أي من الذكور أي يودون لأنفسهم الجيد (واذا بشر أحدهم بالانثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم) أي يسوؤه ذلك ولا يختار لنفسه الا البنين ، يقول عز وجل فكيف نسبوا الى الله تعالى القسم الذي لايختارونه لأنفسهم ولهذا قال تعالى (فاستفتهم) أي سلهم على سبيل الانكار عليهم (ألربك البنات ولهم البنون ؟) كقوله عز وجل (ألكم الذكر وله الانثى ؟ * تلك اذا قسمة ضيزى)

وقوله تبارك وتعالى (أم خلقنا الملائكة اناثا وهم شاهدون) أي كيف حكموا على الملائكة

يزيدون فالشك على تقدير المخلوقين ، والاكثرون على أن معناه ويزيدون واختلفوا في مبلغ تلك الزيادة فقال ابن عباس ومقاتل كانوا عشرين ألفا ورواه أبي بن كعب عن رسول الله ﷺ وقال الحسن بضعا وثلاثين الفا وقال سعيد بن جبير سبعين الفا ﴿ فآمنوا ﴾ يعني الذين ارسل اليهم يونس بعد معاينة العذاب ﴿ فمتعناهم الى حين ﴾ أي حين انقضاء آجالهم

قوله تعالى ﴿ فاستفتهم ﴾ فاسأل يامحمد أهل مكة وهو سؤال توبيخ ﴿ ألربك البنات ولهم البنون ﴾ وذلك أن جهينة وبني سلمة بن عبد الدار زعموا أن الملائكة بنات الله ، تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا يقول جعلوا لله البنات ولأنفسهم البنين ﴿ أم خلقنا الملائكة اناثا ﴾ معناه أخلقنا الملائكة

أنهم اناث وما شاهدوا خلقهم كقوله جل وعلا (وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثاً أشهدوا خلقهم ستكتب شهادتهم ويسئلون) أى يسئلون عن ذلك يوم القيامة

وقوله جلت عظمته (ألا انهم من افكهم) اى من كذبهم (ليقولون ولد الله) اى صدر منه الولد (وانهم لكاذبون) فذكر الله تعالى عنهم في الملائكة ثلاثة اقوال في غاية الكفر والكذب ، فأولا جعلوهم بنات الله فجعلوا لله ولدا تعالى وتقدس ، وجعلوا ذلك الولد أنثى ثم عبدوهم من دون الله تعالى وتقدس وكل منها كاف في التخليد في نار جهنم

ثم قال تعالى منكرا عليهم (أصطفى البنات على البنين) أي أي شيء يحمله على أن يختار البنات دون البنين كقوله عز وجل (أفأصفاكم ربكم بالبنين واتخذ من الملائكة اناثا إنكم لتقولون قولا عظيما) ولهذا قال تبارك وتعالى (مالكم كيف تحكمون) أي مالكم عقول تتدبرون بها ماتقولون (أفلا تذكرون أم لكم سلطان مبين) أي حجة على ماتقولونه (فائتوا بكتابكم إن كنتم صادقين) أي هاتوا برهانا على ذلك يكون مستندا إلى كتاب منزل من السماء عن الله تعالى انه اتخذ ماتقولونه فانما تقولونه لا يمكن استناده إلى عقل بل لا يجوزه العقل بالكلية

وقوله تعالى (وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا) قال مجاهد قال المشركون الملائكة بنات الله تعالى فقال أبو بكر رضي الله عنه فمن أمهاتهن ؟ قالوا بنات سروات الجن وكذا قال قتادة وابن زيد ولهذا قال تبارك وتعالى (ولقد علمت الجنة) أي الذين نسبوا اليهم ذلك (انهم لمحضرون) أي ان الذين قالوا ذلك لمحضرون في العذاب يوم الحساب لكذبهم في ذلك وافترائهم وقولهم الباطل بلا علم ، وقال

اناثا ﴿ وهم شاهدون ﴾ حاضرون خلقنا إياهم نظيره قوله (أشهدوا خلقهم) ﴿ ألا إنهم من افكهم ﴾ من كذبهم ﴿ ليقولون ولد الله وإنهم لكاذبون * أصطفى ﴾ قرأ أبو جعفر واسماعيل لكاذبون اصطفى موصولا على الخبر عن قول المشركين وعند الوقف يبتدئان إصطفى بكسر الالف، وقراءة العامة بقطع الالف لانها ألف استفهام دخلت على ألف الوصل فحذفت ألف الوصل وبقيت ألف الاستفهام مفتوحة مقطوعة مثل أستكبرت ونحوها ﴿ البنات على البنين * مالكم كيف تحكمون ﴾ لله بالبنات ولكم بالبنين ﴿ أفلا تذكرون ﴾ أفلا تتعظون ﴿ أم لكم سلطان مبين ﴾ برهان بين على أن لله ولداً ﴿ فائتوا بكتابكم ﴾ الذى لكم فيه حجة ﴿ ان كنتم صادقين ﴾ في قولكم ﴿ وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا ﴾ قال مجاهد وقتادة أراد بالجنة الملائكة سموا جنة لاجتنانهم عن الابصار، وقال ابن عباس حي من الملائكة يقال لهم الجن ومنهم ابليس، قالوا هم بنات الله وقال الكلبي قالوا لعنهم الله بل تزوج من الجن فخرج منهما الملائكة تعالى الله عن ذلك، وقد كان زعم بعض قريش أن الملائكة بنات الله فقال أبو بكر الصديق فمن أمهاتهم قالوا سروات الجن، وقال الحسن معنى النسب أنهم أشركوا الشياطين في عبادة الله ﴿ ولقد علمت الجنة انهم ﴾ يعني قائلي هذا القول ﴿ لمحضرون ﴾ في النار

العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى (وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا) قال زعم أعداء الله أنه تبارك وتعالى هو وابليس اخوان تعالى الله ذلك علوا كبيرا حكاه ابن جرير ، وقوله جلت عظمته (سبحان الله عما يصفون) أي تعالى وتقدس وتنزه عن أن يكون له ولد وعما يصفه به الظالمون الملحدون علوا كبيرا

وقوله تعالى (الا عباد الله المخلصين) استثناء منقطع وهو من مثبت الا أن يكون الضمير في قوله تعالى (عما يصفون) عائد الى الناس جميعهم ثم استثنى منهم المخلصين وهم المتبعون للحق المنزل على كل نبي ومرسل ، وجعل ابن جرير هذا الاستثناء من قوله تعالى (انهم لمحضرون إلا عباد الله المخلصين) وفي هذا الذي قاله نظر والله سبحانه وتعالى أعلم

فانكم وما تعبدون (١٦١) ما أنتم عليه بفاتنين (١٦٢) الا من هو صالِ الجحيم (١٦٣)

وما منا إلا له مقام معلوم (١٦٤) وإنا لنحن الصَّافُّون (١٦٥) وإنا لنحن المسبِّحون (١٦٦)

وان كانوا ليقولون (١٦٧) لو أن عندنا ذكرا من الاوَّلين (١٦٨) لكُنَّا عبادَ الله المخلصين (١٦٩)

فكفروا به فسوف يعلمون (١٧٠)

يقول تعالى مخاطبا للمشركين (فانكم وما تعبدون ما أنتم عليه بفاتنين الا من هو صال الجحيم) أي انما ينقاد لمقالتكم وما أنتم عليه من الضلالة والعبادة الباطلة من هو أضل منكم ممن ذريء للنار (لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها ، أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون) فهذا الضرب من الناس هو الذي ينقاد لدين الشرك والكفر والضلالة كما قال تبارك وتعالى (انكم لفي قول مختلف يؤفك عنه من أفك) أي انما يضل به من هو مأفوك ومبطل ، ثم قال تبارك وتعالى منزها للملائكة مما نسبوا اليهم من الكفر بهم والكذب عليهم أنهم بنات الله (وما منا الا له مقام معلوم) أي له موضع مخصوص في السموات ومقامات العبادات لا يتجاوزه ولا يتعداه

ثم نزه نفسه عما قالوا فقال ﴿ سبحان الله عما يصفون * إلا عباد الله المخلصين ﴾ هذا استثناء من المحضرين يعني انهم لا يحضرون

قوله عز وجل ﴿ فانكم ﴾ يقول لاهل مكة ﴿ وما تعبدون ﴾ من الاصنام ﴿ ما أنتم عليه ﴾ على ما تعبدون ﴿ بفاتنين ﴾ بمضلين أحدا ﴿ إلا من هو صال الجحيم ﴾ إلا من قدر الله انه سيدخل النار أي سبق له في علم الله الشقاوة

قوله تعالى ﴿ وما منا إلا له مقام معلوم ﴾ أي ما منا ملك إلا له مقام معلوم في السموات يعبد الله

وقال ابن عساكر في ترجمته لمحمد بن خالد بسنده الى عبد الرحمن بن العلاء بن سعد عن أبيه وكان ممن بايع يوم الفتح إن رسول الله ﷺ قال يوما لجلسائه « أطت السماء وحق لها أن تئط ليس فيها موضع قدم إلا عليه ملك راكع أو ساجد » ثم قرأ ﷺ (وما منا إلا له مقام معلوم * وانا لنحن الصافون وانا لنحن المسبحون) وقال الضحاك في تفسيره (وما منا إلا له مقام معلوم) قال كان مسروق يروي عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : قال رسول الله ﷺ « مامن السماء الدنيا موضع إلا عليه ملك ساجد أو قائم » فذلك قوله تعالى (وما منا الا له مقام معلوم)

وقال الاعمش عن أبي اسحاق عن مسروق عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : إن في السموات لسماء مافيها موضع شبر إلا عليه جبهة ملك أو قدماه ثم قرأ عبد الله رضي الله عنه (وما منا إلا له مقام معلوم) وكذا قال سعيد بن جبير، وقال قتادة كانوا يصلون الرجال والنساء جميعا حتى نزلت (وما منا الا له مقام معلوم) فتقدم الرجال وتأخر النساء (وانا لنحن الصافون) أي نقف صفوفا في الطاعة كما تقدم عند قوله تبارك وتعالى (والصافات صفا) قال ابن جريج عن الوليد بن عبد الله بن أبي مغيث قال كانوا لا يصفون في الصلاة حتى نزلت (وانا لنحن الصافون) فصفوا وقال أبو نضرة كان عمر رضي الله عنه اذا أقيمت الصلاة استقبل الناس بوجهه ثم قال أقيموا صفوفكم استووا قياما يريد الله تعالى بكم هدي الملائكة ثم يقول [وانا لنحن الصافون] تأخر يافلان تقدم يا فلان ثم يتقدم فيكبر . رواه ابن أبي حاتم وابن جرير ، وفي صحيح مسلم عن حذيفة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « فضلنا على الناس بثلاث جعلت صفوفنا كصفوف الملائكة ، وجعلت لنا الارض مسجداً وتربتها طهوراً » الحديث (وانا لنحن المسبحون) أي نصطف فنسبح الرب ونمجده ونقدسه وننزهه عن النقائص فنحن عبيد له فقراء اليه خاضعون لديه

وقال ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد (وما منا الا له مقام معلوم) الملائكة (وانا لنحن الصافون) الملائكة (وانا لنحن المسبحون) الملائكة نسبح الله عز وجل . وقال قتادة (وانا لنحن

فيه قال ابن عباس مافي السموات موضع شبر إلا وعليه ملك يصلي أو يسبح ، وروينا عن أبي ذر عن النبي ﷺ قال « أطت السماء وحق لها أن تئط والذي نفسي بيده مافيها موضع أربعة أصابع إلا وملك واضع جبهته ساجد لله » قال السدي (إلا له مقام معلوم) في القربة والمشاهدة وقال أبو بكر الوراق (إلا له مقام معلوم) يعبد الله عليه كالخوف والرجاء والمحبة والرضا ﴿ وإنا لنحن الصافون ﴾ قال قتادة هم الملائكة صفوا أقدامهم وقال الكلبي صفوف الملائكة في السماء للعبادة كصفوف الناس في الارض ﴿ وإنا لنحن المسبحون ﴾ أي المصلون المنزهون لله عن السوء يخبر جبريل عليه السلام النبي ﷺ أنهم يعبدون الله بالصلاة والتسبيح وأنهم ليسوا بمعبودين كما زعمت الكفار

المسبحون) يعني المصلون يثبتون بمكانهم من العبادة كما قال تبارك وتعالى (وقالوا اتخذ الرحمن ولداً سبحانه بل عباد مكرمون * لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون * يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون الا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون * ومن يقل منهم إني إله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين)

وقوله جل وعلا (وإن كانوا ليقولون لو أن عندنا ذكرا من الاولين لكنا عباد الله المخلصين) أي قد كانوا يتمنون قبل أن تأتيهم يامحمد لو كان عندهم من يذكرهم بأمر الله وما كان من أمر القرون الاولى ويأتيهم بكتاب الله كما قال جل جلاله (وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن أهدى من احدى الامم فلما جاءهم نذير مازادهم الا نفورا) وقال تعالى (أن تقولوا انما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا وإن كنا عن دراستهم لغافلين * أو تقولوا لو أنا أنزل علينا الكتاب لكنا أهدى منهم فقد جاءكم بينة من ربكم وهدى ورحمة فمن أظلم ممن كذب بآيات الله وصدف عنها سنجزي الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب بما كانوا يصدفون) ولهذا قال تعالى ههنا [فكفروا به فسوف يعلمون] وعيد أكيد وتهديد شديد على كفرهم بربهم عز وجل وتكذيبهم رسوله ﷺ

ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين (١٧١) إنهم لهم المنصورون (١٧٢) وإن جندنا لهم الغالبون (١٧٣) فتول عنهم حتى حين (١٧٤) وأبصرهم فسوف يبصرون (١٧٥) أفبعذابنا يستعجلون؟ (١٧٦) فاذا نزل بساحتهم فساء صباح المنذرين (١٧٧) وتول عنهم حتى حين (١٧٨) وأبصر فسوف يبصرون (١٧٩)

يقول تبارك وتعالى (ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين) أي تقدم في الكتاب الاول أن العاقبة للرسل وأتباعهم في الدنيا والآخرة كما قال تعالى [كتب الله لأغلبن أنا ورسلي ان الله قوي عزيز] وقال عز وجل [انا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد] ولهذا قال جل جلاله (ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين * إنهم لهم المنصورون) أي في الدنيا والآخرة كما تقدم بيان نصرتهم على قومهم ممن كذبهم وخالفهم كيف أهلك الله الكافرين ونجى عباده المؤمنين (وان جندنا لهم الغالبون) أي تكون لهم العاقبة

ثم أعاد الكلام الى الاخبار عن المشركين فقال ﴿ وإن كانوا ﴾ أى وقد كانوا يعني أهل مكة ﴿ ليقولون ﴾ لام التأكيد ﴿ لو أن عندنا ذكراً من الأولين ﴾ أي كتابا مثل كتاب الأولين ﴿ لكنا عباد الله المخلصين * فكفروا به ﴾ أي فلما أتاهم ذلك الكتاب كفروا به ﴿ فسوف يعلمون ﴾ هذا تهديد لهم ﴿ ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين ﴾ وهي قوله ' كتب الله لأغلبن أنا ورسلي ﴿ إنهم

وقوله جل وعلا (فتول عنهم حتى حين) أي اصبر على أذاهم لك وانتظر الى وقت مؤجل فانا سنجعل لك العاقبة والنصرة والظفر، ولهذا قال بعضهم غيا ذلك إلى يوم بدر وما بعدها أيضاً في معناها . وقوله جلت عظمته (وأبصرهم فسوف يبصرون) أي انظرهم وارتقب ماذا يحل بهم من العذاب والنكال بمخالفتك وتكذيبك ولهذا قال تعالى على وجه التهديد والوعيد (فسوف يبصرون) ثم قال عز وجل (أفبعذابنا يستعجلون) أي هم انما يستعجلون العذاب لتكذيبهم وكفرهم بك فان الله تعالى يغضب عليهم بذلك ويعجل لهم العقوبة ومع هذا أيضاً كانوا من كفرهم وعنادهم يستعجلون العذاب والعقوبة

قال الله تبارك وتعالى (فاذا نزل بساحتهم فساء صباح المنذرين) أي فاذا نزل العذاب بمحلتهم فبئس ذلك اليوم يومهم باهلاكهم ودمارهم ، وقال السدي (فاذا نزل بساحتهم) يعني بدارهم (فساء صباح المنذرين) أي فبئس ما يصبحون أي بئس الصباح صباحهم . ولهذا ثبت في الصحيحين من حديث اسماعيل بن علية عن عبد العزيز بن صهيب عن أنس رضي الله عنه قال : صبح رسول الله ﷺ خيبر فلما خرجوا بفؤسهم ومساحيهم ورأوا الجيش رجعوا وهم يقولون محمد والله محمد والخميس فقال النبي ﷺ « الله أكبر خربت خيبر انا اذا نزلنا بساحة قوم فسا صباح المنذرين » ورواه البخاري من حديث مالك عن حميد عن أنس رضي الله عنه

وقال الامام احمد حدثنا روح حدثنا سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن أنس بن مالك عن أبي طلحة رضي الله عنه قال : لما صبح رسول الله ﷺ خيبر وقد أخذوا مساحيهم وغدوا إلى حروثهم وأرضيهم ، فلما رأوا النبي ﷺ نكصوا مدبرين فقال نبي الله ﷺ « انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين » لم يخرجوه من هذا الوجه وهو صحيح على شرط الشيخين. وقوله (وتول عنهم حتى

لهم المنصورون * وإن جندنا لهم الغالبون ﴾ أي حزب الله لهم الغلبة بالحجة والنصرة في العاقبة ﴿ فتول ﴾ أعرض ﴿ عنهم حتى حين ﴾ قال ابن عباس يعني الموت وقال مجاهد يوم بدر وقال السدى حتى نأمرك بالقتال وقيل الى أن يأتيهم عذاب الله قال مقاتل بن حيان نسختها آية القتال ﴿وأبصرهم﴾ اذا نزل بهم العذاب ﴿ فسوف يبصرون ﴾ ذلك فقالوا متى هذا العذاب ؟ فقال الله عز وجل ﴿ أفبعذابنا يستعجلون * فاذا نزل ﴾ يعني العذاب ﴿ بساحتهم ﴾ قال مقاتل بحضرتهم وقيل بفنائهم قال الفراء العرب تكتفي بذكر الساحة عن القوم ﴿ فساء صباح المنذرين ﴾ فبئس صباح الكافرين الذين انذروا بالعذاب

أخبرنا أبو الحسن السرخسي أخبرنا زاهر بن أحمد أخبرنا أبو اسحاق الهاشمي أخبرنا أبو مصعب أخبرنا مالك عن حميد الطويل عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ حين خرج الى خيبر أتاها ليلا وكان اذا جاء قوما بليل لم يغز حتى يصبح ،قال فلما أصبح خرجت يهود خيبر بمساحيها ومكاتلها فلما رأوا النبي ﷺ قالوا محمد والله محمد والخميس فقال رسول الله ﷺ « الله أكبر خربت خيبر إنا اذا نزلنا

حين * وأبصر فسوف يبصرون) تأكيد لما تقدم من الامر بذلك والله سبحانه وتعالى أعلم

سبحٰن ربك رب العزة عما يصفون (١٨٠) وسلام على المرسلين (١٨١) والحمد لله رب العالمين (١٨٢)

ينزه تبارك وتعالى نفسه الكريمة ويقدسها ويبرئها عما يقول الظالمون المكذبون المعتدون تعالى وتنزه وتقدس عن قولهم علواً كبيراً ولهذا قال تبارك وتعالى (سبحان ربك رب العزة) أي ذي العزة التي لاترام (عما يصفون) أي عن قول هؤلاء المعتدين المفترين (وسلام على المرسلين) أي سلام الله عليهم في الدنيا والآخرة لسلامة ماقالوه في ربهم وصحته وحقيته (والحمد لله رب العالمين) أي له الحمد في الاولى والآخرة في كل حال ، ولما كان التسبيح يتضمن التنزيه والتبرئة من النقص بدلالة المطابقة ويستلزم اثبات الكمال كما أن الحمد يدل على اثبات صفات الكمال مطابقة ويستلزم التنزيه من النقص قرن بينهما في هذا الموضع وفي مواضع كثيرة من القرآن ولهذا قال تبارك وتعالى (سبحان ربك رب العزة عما يصفون * وسلام على المرسلين * والحمد لله رب العالمين)

وقال سعيد بن أبي عروبة عن قتادة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اذا سلمتم علي فسلموا على المرسلين فانما أنا رسول من المرسلين » هكذا رواه ابن جرير وابن أبي حاتم من حديث سعيد عنه كذلك، وقد أسنده ابن أبي حاتم رحمه الله فقال حدثنا علي بن الحسين بن الجنيد حدثنا أبو بكر الاعين ومحمد بن عبد الرحيم صاعقة قالا حدثنا حسين بن محمد حدثنا شيبان عن قتادة قال حدثنا أنس بن مالك عن أبي طلحة رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اذا سلمتم علي فسلموا على المرسلين »

وقال الحافظ أبو يعلى حدثنا محمد بن أبي بكر حدثنا نوح [1] حدثنا أبو هارون عن أبي سعيد رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه كان اذا أراد أن يسلم قال « سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين » ثم يسلم اسناده ضعيف

(١) في النسخة المكية فرج

بساحة قوم فساء صباح المنذرين » ثم كرر ماذكر تأكيدا لوعيد العذاب فقال ﴿ وتول عنهم حتى حين * وأبصر ﴾ العذاب اذا نزل بهم ﴿ فسوف يبصرون ﴾

ثم نزه نفسه فقال ﴿ سبحان ربك رب العزة ﴾ الغلبة والقوة ﴿ عما يصفون ﴾ من اتخاذ الصاحبة والاولاد ﴿ وسلام على المرسلين ﴾ الذين بلغوا عن الله التوحيد والشرائع ﴿ والحمد لله رب العالمين ﴾ على هلاك الاعداء ونصرة الانبياء عليهم السلام

وقال ابن أبي حاتم حدثنا عمار بن خالد الواسطي حدثنا شبابة عن يونس بن ابي اسحاق عن الشعبي قال: قال رسول الله ﷺ «من سره أن يكتال بالمكيال الاوفى من الاجر يوم القيامة فليقل آخر مجلسه حين يريد أن يقوم (سبحان ربك رب العزة عما يصفون * وسلام على المرسلين * والحمد لله رب العالمين)» وروي من وجه آخر متصل موقوف على علي رضي الله عنه

قال أبو محمد البغوي في تفسيره أخبرنا ابو سعيد احمد بن ابراهيم الشريحي اخبرنا ابو اسحاق الثعلبي أخبرني ابن فنجويه حدثنا احمد بن جعفر بن حمدان حدثنا ابراهيم بن سهلويه حدثنا علي ابن محمد الطنافسي حدثنا وكيع عن ثابت بن أبي صفية عن الاصبغ بن نباتة عن علي رضي الله عنه قال: من أحب أن يكتال بالمكيال الاوفى من الاجر يوم القيامة فليكن آخر كلامه في مجلسه [سبحان ربك رب العزة عما يصفون * وسلام على المرسلين * والحمد لله رب العالمين]

وروى الطبراني من طريق عبد الله بن صخر بن أنس عن عبدالله بن زيد بن أرقم عن أبيه عن رسول الله ﷺ أنه قال «من قال دبر كل صلاة سبحان ربك رب العزة عما يصفون * وسلام على المرسلين * والحمد لله رب العالمين ثلاث مرات فقد اكتال بالجريب الاوفى من الأجر»

وقد وردت أحاديث في كفارة المجلس: سبحانك اللهم وبحمدك

لا إله الا أنت أستغفرك وأتوب اليك. وقد أفردت لها

جزأ على حدة فلتكتب ههنا

إن شاء الله تعالى

﴿آخر تفسير سورة والصافات والله أعلم﴾

أخبرنا أبو سعيد أحمد بن ابراهيم الشريحي أنا أبو اسحاق الثعلبي أخبرني ابن فنجويه

أخبرنا أحمد بن جعفر بن حمدان حدثنا ابراهيم بن سهلويه حدثنا علي بن محمد

الطنافسي حدثنا وكيع عن ثابت بن أبي صفية عن أصبغ بن نباتة

عن علي قال: من أحب أن يكتال بالمكيال الأوفى من

الأجر يوم القيامة فليكن آخر كلامه في مجلسه

(سبحان ربك رب العزة عما يصفون

وسلام على المرسلين

والحمد لله رب

العالمين)

تفسير سورة ص وهى مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

ص والقرآن ذي الذكر (١) بل الذين كفروا في عزّة وشقاق (٢) كم أهلكنا من قبلهم من قرن فنادوا ولاتَ حينَ مناص (٣)

أما الكلام على الحروف المقطعة فقد تقدم في أول سورة البقرة بما أغنى عن إعادته ههنا، وقوله تعالى (والقرآن ذي الذكر) أي والقرآن المشتمل على مافيه ذكر للعباد ونفع لهم في المعاش والمعاد قال الضحاك في قوله تعالى [ذي الذكر] كقوله تعالى (لقد أنزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم) أي تذكيركم وكذا قال قتاده واختاره ابن جرير

وقال ابن عباس رضي الله عنهما وسعيد بن جبير واسماعيل بن أبي خالد وابن عيينة وأبو حصين وأبو صالح والسدي [ذي الذكر] ذي الشرف أي ذي الشأن والمكانة، ولا منافاة بين القولين فانه كتاب شريف مشتمل على التذكير والاعذار والانذار، واختلفوا في جواب هذا القسم فقال بعضهم هو قوله تعالى [إن كل الا كذب الرسل فحق عقاب] وقيل قوله تعالى [إن ذلك لحق تخاصم أهل النار] حكاهما ابن جرير وهذا الثاني فيه بعد كثير وضعفه ابن جرير، وقيل جوابه ماتضمنه سياق السورة بكمالها والله أعلم وقال قتادة جوابه [بل الذين كفروا في عزة وشقاق] واختاره ابن جرير ثم حكى ابن جرير عن بعض أهل العربية أنه قال جوابه [ص] بمعنى صدق حق [والقرآن ذي الذكر]

﴿سورة ص مكية وهي ثمان وثمانون آية﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ ص ﴾ قيل هو قسم وقيل هو اسم للسورة كما ذكرنا في سائر حروف التهجي في أوائل السور وقال محمد بن كعب القرظي (ص) مفتاح اسم الصمد وصادق الوعد، وقال الضحاك معناه صدق الله وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما صدق محمد ﷺ ﴿ والقرآن ذي الذكر ﴾ أي ذي البيان قاله ابن عباس، ومقاتل وقال الضحاك ذي الشرف دليله قوله تعالى (وإنه لذكر لك ولقومك) وهو قسم واختلفوا في جواب القسم قيل جوابه قد تقدم وهو قوله (ص) أقسم الله بالقرآن أن محمداً قد صدق وقال الفراء، ص معناها وجب وحق فهي جواب قوله (والقرآن) كما تقول نزل والله وقيل جواب القسم محذوف تقديره والقرآن ذي الذكر ما الامر كما يقول الكفار ودل على هذا المحذوف قوله

وقوله تبارك وتعالى (بل الذين كفروا في عزة وشقاق) أي ان في هذا القرآن لذكر لمن يتذكر وعبرة لمن يعتبر، وانما لم ينتفع به الكافرون لأنهم (في عزة) أي استكبار عنه وحمية (وشقاق) أي ومخالفة له ومعاندة ومفارقة، ثم خوفهم ما أهلك به الامم المكذبة قبلهم بسبب مخالفتهم للرسل وتكذيبهم الكتب المنزلة من السماء ، فقال تعالى (كم أهلكنا من قبلهم من قرن) أي من أمة مكذبة فنادوا أي حين جاءهم العذاب استغاثوا وجأروا إلى الله تعالى وليس ذلك بمجد عنهم شيئا كما قال عزوجل (فلما أحسوا بأسنا اذا هم منها يركضون) أي يهربون (لاتركضوا وارجعوا الى ما أترفتم فيه ومسا كنكم لعلكم تسألون)

قال أبوداود الطيالسي حدثنا شعبة عن أبي إسحاق عن التميمي قال : سألت ابن عباس رضي الله عنهما عن قول الله تبارك وتعالى (فنادوا ولات حين مناص) قال ليس بحين نداء ولا نزو ولا فرار . وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما ليس بحين مغاث

وقال شبيب بن بشر عن عكرمة عن ابن عباس نادوا النداء حين لا ينفعهم وأنشد * تذكر ليلى لات حين تذكر * وقال محمد بن كعب في قوله تعالى (فنادوا ولات حين مناص) يقول نادوا بالتوحيد حين تولت الدنيا عنهم ، واستناصوا للتوبة حين تولت الدنيا عنهم ،وقال قتادة لما رأوا العذاب أرادوا التوبة في غير حين النداء ، وقال مجاهد (فنادوا ولات حين مناص) ليس بحين فرار ولا اجابة ، وقد روي نحو هذا عن عكرمة وسعيد بن جبير وأبي مالك والضحاك وزيد بن أسلم والحسن وقتادة ،وعن مالك عن زيد بن أسلم (ولات حين مناص) ولا نداء في غير حين النداء ، وهذه الكلمة وهي لات

تعالى ﴿ بل الذين كفروا ﴾ وقال قتادة موضع القسم قوله (بل الذين كفروا) كما قال (ق *والقرآن المجيد * بل عجبوا)وقيل فيه تقديم وتأخير تقديره بل الذين كفروا ﴿ في عزة وشقاق ﴾والقرآن ذي الذكر وقال الاخفش جوابه قوله تعالى (إن كل إلا كذب الرسل كقوله (تالله إن كنا)وكقوله (والسماء والطارق ـ ان كل نفس) وقيل جوابه قوله (إن هذا لرزقنا) وقال الكسائي قوله (إن ذلك لحق تخاصم أهل النار) وهذا ضعيف لانه تخلل بين هذا القسم وهذا الجواب أقاصيص وأخبار كثيرة وقال القتيبي بل لتدارك كلام ونفي آخر، ومجاز الآية أن الله أقسم بص والقرآن ذي الذكر (إن الذين كفروا) من أهل مكة (في عزة) حمية وجاهلية وتكبر عن الحق (وشقاق) خلاف وعداوة لمحمد ﷺ وقال مجاهد (في عزة) تعابن ﴿ كم أهلكنا من قبلهم من قرن ﴾ يعني من الامم الخالية ﴿ فنادوا ﴾ استغاثوا عند نزول العذاب وحلول النقمة ﴿ ولات حين مناص ﴾ أى ليس حين نزو ولا فرار والمناص مصدر ناص ينوص وهو الفرار والتأخر يقال ناص ينوص اذا تأخر وباص يبوص اذا تقدم ولات بمعنى ليس بلغة أهل اليمن، وقال النحويون هي لا زيدت فيها التاء كقولهم رب وربت وثم وثمت وأصلها هاء. وصلت بلا فقالوا لاه كما قالوا ثمة فجعلوها في الوصل تاء. والوقف عليه بالتاء عند

هي لا التي للنفي زيدت معها التاء كما تزاد في ثم فيقولون ثمت ورب فيقولون ربت وهي مفصولة والوقف عليها ، ومنهم من حكى عن المصحف الامام فيما ذكره ابن جرير أنها متصلة بحين ولاتحين مناص والمشهور الاول ثم قرأ الجمهور بنصب حين تقديره وليس الحين حين مناص ومنهم من جوز النصب بها وأنشد

تذكر حب ليـلى لات حينا وأضحى الشيب قد قطع القرينا

ومنهم من جوز الجر بها وأنشد

طلبوا صلحنا ولات أوان فأجبنا ان ليس حين بقاء

وأنشد بعضهم أيضا * ولات ساعة مندم

بخفض الساعة وأهل اللغة يقولون النوص التأخر والبوص التقدم ، ولهذا قال تبارك وتعالى (ولات حين مناص) أي ليس الحين حين فرار ولا ذهاب والله سبحانه وتعالى الموفق للصواب

وعجبوا أن جاءهم منذر منهم وقال الكفرون هذا سحر كذاب (٤) أجعل الآلهة الها واحداً إن هذا لشيء عجاب (٥) وانطلق الملأ منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم إن هذا لشيء يراد (٦) ماسمعنا بهذا في الملة الآخرة إن هذا إلا اختلاق (٧) أءنزل عليه الذكر من بيننا بل هم في شك من ذكرى بل لما يذوقوا عذاب (٨) أم عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب (٩) أم لهم ملك السموت والأرض وما بينهما فليرتقوا في الاسبب (١٠) جند ماهنالك مهزوم من الاحزاب (١١)

يقول تعالى مخبراً عن المشركين في تعجبهم من بعثة رسول الله ﷺ بشيراً ونذيراً كما قال

الزجاج وعنـد الكسائي بالهاء لاه ، وذهب جماعة الى أن التاء زيدت في حين والوقف على ولا ثم يبتدىء تحين وهو اختيار أبي عبيد وقال كذلك وجدت في مصحف عثمان وهذا كقول أبي وجزة السعدي

العاطفون تحين مامن عاطف والمطعمون زمان مامن مطعم

وفي حديث ابن عمر وسأله رجل عن عثمان فذكر مناقبه ثم قال اذهب بها تلان الى اصحابك يريد الآن، قال ابن عباس رضي الله عنهما كان كفار مكة اذا قاتلوا فاضطربوا في الحرب قال بعضهم لبعض مناص أي اهربوا وخذوا حذركم فلما انزل الله بهم العذاب ببدر قالوا مناص فانزل الله تعالى (ولات حين مناص) أي ليس الحين حين هذا القول

قوله تعالى ﴿ وعجبوا ﴾ يعني الكفار الذين ذكرهم الله عز وجل في قوله (بل الذين كفروا)

عز وجل (أكان للناس عجبا أن أوحينا الى رجل منهم أن أنذر الناس وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم قال الكافرون ان هذا لساحر مبين)

وقال جل وعلا ههنا (وعجبوا أن جاءهم منذر منهم) أي بشر مثلهم وقال الكافرون هذا ساحر كذاب * أجعل الآلهة إلها واحداً) أي أزعم أن المعبود واحد لا إله إلا هو أنكر المشركون ذلك قبحهم الله تعالى وتعجبوا من ترك الشرك بالله فانهم كانوا قد تلقوا عن آبائهم عبادة الاوثان وأشربته قلوبهم فلما دعاهم الرسول ﷺ إلى خلع ذلك من قلوبهم وافراد الاله بالوحدانية أعظموا ذلك وتعجبوا وقالوا (أجعل الآلهة إلها واحداً ان هذا لشيء عجاب * وانطلق الملأ منهم) وهم سادتهم وقادتهم ورؤساؤهم وكبراؤهم قائلين امشوا أي استمروا على دينكم (واصبروا على آلهتكم) ولا تستجيبوا لما يدعوكم اليه محمد من التوحيد وقوله تعالى (إن هذا لشيء يراد) قال ابن جرير ان هذا الذي يدعونا اليه محمد ﷺ من التوحيد لشيء يريد به الشرف عليكم والاستعلاء وأن يكون له منكم اتباع ولسنا نجيبه اليه

﴿ذكر سبب نزول هذه الآيات الكريمات﴾ قال السدي ان ناسا من قريش اجتمعوا فيهم أبو جهل بن هشام والعاص بن وائل والاسود بن المطلب والاسود بن عبد يغوث في نفر من مشيخة قريش فقال بعضهم لبعض انطلقوا بنا الى أبي طالب فلنكلمه فيه فلينصفنا منه فليكف عن شتم آلهتنا وندعه والهه الذي يعبده فانا نخاف أن يموت هذا الشيخ فيكون منا اليه شيء فتعيرنا به العرب يقولون تركوه حتى اذا مات عنه تناولوه فبعثوا رجلا منهم يقال له المطلب فاستأذن لهم على أبي طالب فقال هؤلاء مشيخة قومك وسراتهم يستأذنون عليك قال أدخلهم فلما دخلوا عليه قالوا يا أبا طالب أنت كبيرنا وسيدنا فانصفنا من ابن أخيك

﴿أن جاءهم منذر منهم﴾ يعني رسولا من انفسهم ينذرهم ﴿وقال الكافرون هذا ساحر كذاب * أجعل الآلهة إلها واحداً﴾ وذلك أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أسلم فشق ذلك على قريش وفرح به المؤمنون فقال الوليد بن المغيرة للملأ من قريش وهم الصناديد والاشراف وكانوا خمسة وعشرين رجلا أكبرهم سنا الوليد بن المغيرة قال لهم امشوا الى أبي طالب فأتوا أبا طالب وقالوا له أنت شيخنا وكبيرنا وقد علمت ما فعل هؤلاء السفهاء وإنا قد أتيناك لتقضي بيننا وبين ابن أخيك فأرسل أبو طالب الى النبي ﷺ فدعاه وقال يا ابن أخي هؤلاء قومك يسألونك السواء فلا تمل كل الميل على قومك فقال رسول الله ﷺ « ماذا يسألوني » قالوا ارفض ذكر آلهتنا وندعك وإلهك فقال النبي ﷺ « أتعطوني كلمة واحدة تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم » فقال أبو جهل لله أبوك لنعطينكها وعشر أمثالها فقال رسول الله ﷺ « قولوا لا اله الا الله » فنفروا من ذلك وقاموا وقالوا (أجعل الآلهة الها واحدا) كيف يسع الخلق كلهم اله واحد ﴿ ان هذا لشيء عجاب ﴾ أي عجيب ، والعجيب والعجاب واحد كقولهم رجل كريم وكرام وكبير وكبار وطويل وطوال وعريض وعراض

فمره فليكف عن شتم آلهتنا وندعه واله ، قال فبعث اليه أبو طالب فلما دخل عليه رسول الله ﷺ قال : يا ابن أخي هؤلاء مشيخة قومك وسراتهم وقد سألوك أن تكف عن شتم آلهتهم ويدعوك والهك قال ﷺ « ياعم أفلا أدعوهم الى ماهو خير لهم ؟ » قال والى م تدعوهم ؟ قال ﷺ « أدعوهم أن يتكلموا بكلمة تدين لهم بها العرب ويملكون بها العجم » فقال أبو جهل لعنه الله من بين القوم ماهي وأبيك لنعطينكها وعشر أمثالها قال ﷺ « تقولون لا إله إلا الله » فنفروا وقالوا سلنا غيرها قال ﷺ « لو جئتموني بالشمس حتى تضعوها في يدي ماسألتكم غيرها » فقاموا من عنده غضابا وقالوا والله لنشتمنك والهك الذي أمرك بهذا (وانطلق الملأ منهم ان امشوا واصبروا على آلهتكم ان هذا لشيء يراد) ورواه ابن أبي حاتم وابن جرير وزاد فلما خرجوا دعا رسول الله ﷺ عمه الى قول لا إله إلا الله فأبى وقال بل على دين الاشياخ ونزلت (انك لاتهدي من أحببت)

وقال أبو جعفر ابن جرير حدثنا أبو كريب وابن وكيع قالا حدثنا أبو اسامة حدثنا الاعمش حدثنا عباد عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : لما مرض أبو طالب دخل عليه رهط من قريش فيهم أبو جهل فقالوا : ان ابن أخيك يشتم آلهتنا ويفعل ويفعل ويقول ويقول فلو بعثت اليه فجاء النبي ﷺ فدخل البيت وبينهم وبين أبي طالب قدر مجلس رجل قال فخشي أبو جهل لعنه الله ان جلس إلى جنب أبي طالب أن يكون أرق له عليه فوثب فجلس في ذلك المجلس ولم يجد رسول الله ﷺ مجلسا قرب عمه فجلس عند الباب فقال له أبو طالب أي ابن أخي مابال قومك يشكونك يزعمون أنك تشتم آلهتهم وتقول وتقول؟ قال وأكثروا عليه من القول وتكلم رسول الله ﷺ فقال « ياعم اني أريدهم على كلمة واحدة يقولونها تدين لهم بها العرب وتؤدي اليهم بها العجم الجزية » ففزعوا لكلمته ولقوله فقال القوم كلمة واحدة نعم وأبيك عشراً فقالوا وماهي ، وقال أبو طالب وأي كلمة هي يا ابن أخي؟ قال ﷺ « لا إله إلا الله » فقاموا فزعين ينفضون ثيابهم وهم يقولون (أجعل الآلهة إلها واحداً إن هذا لشيء عجاب) قال ونزلت من هذا الموضع الى قوله (بل لما يذوقوا عذاب) لفظ أبي كريب وهكذا رواه الامام أحمد والنسائي من حديث محمد بن عبدالله بن نمير كلاهما عن أبي اسامة عن الأعمش عن عباد غير منسوب به نحوه ، ورواه الترمذي والنسائي وابن أبي حاتم وابن جرير أيضا كلهم في تفاسيرهم من حديث سفيان الثوري عن الاعمش عن يحيى بن عمارة الكوفي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما فذكر نحوه ، وقال الترمذي حسن وقولهم (ماسمعنا بهذا في الملة الآخرة) أي ماسمعنا بهذا الذي يدعونا اليه محمد من التوحيد في الملة الآخرة

﴿ وانطلق الملأ منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم ﴾ اى انطلقوا من مجلسهم الذي كانوا فيه عند ابي طالب ويقول بعضهم لبعض : امشوا واصبروا على آلهتكم اى اثبتوا على عبادة آلهتكم ﴿ ان هذا لشيء يراد ﴾ أى لأمر يراد بنا . وذلك ان عمر لما اسلم وحصل للمسلمين قوة لمكانه قالوا ان هذا

قال مجاهد وقتادة وأبوزيد يعنون دين قريش ، وقال غيرهم يعنون النصرانية قاله محمد بن كعب والسدي وقال العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما ماسمعنا بهذا في الملة الآخرة يعني النصرانية قالوا لو كان هذا القرآن حقاً أخبرتنا به النصارى (ان هذا إلا اختلاق) قال مجاهد وقتادة كذب وقال ابن عباس تخرص وقولهم (أأنزل عليه الذكر من بيننا) يعني انهم يستبعدون تخصيصه بانزال القرآن عليه من بينهم كلهم كما قال في الآية الاخرى (لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم . قال الله تعالى (أهم يقسمون رحمة ربك ؟ نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات) ولهذا لما قالوا هذا الذي دل على جهلهم وقلة عقلهم في استبعادهم انزال القرآن على الرسول من بينهم

قال الله تعالى (بل لما يذوقوا عذاب) أي انما يقولون هذا لانهم ماذاقوا إلى حين قولهم ذلك عذاب الله تعالى ونقمته سيعلمون غب ماقالوا وما كذبوا به يوم يدعون إلى نار جهنم دعا . ثم قال تعالى مبينا أنه المتصرف في ملكه الفعال لما يشاء الذي يعطي من يشاء ما يشاء ويعز من يشاء ويذل من يشاء ويهدي من يشاء ويضل من يشاء وينزل الروح من أمره على من يشاء من عباده ويختم على قلب من يشاء فلا يهديه أحد من بعد الله ، وإن العباد لايملكون شيئاً من الامر وليس اليهم من التصرف في الملك ولا مثقال ذرة وما يملكون من قطمير

ولهذا قال تعالى منكراً عليهم (أم عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب) أي العزيز الذي لايرام جنابه الوهاب الذي يعطي مايريد لمن يريد وهذه الآية الكريمة شبيهة بقوله تعالى (أم لهم نصيب من الملك فاذا لايؤتون الناس نقيراً * أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله فقد آتينا آل ابراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما * فمنهم من آمن به ومنهم من صد عنه وكفى بجهنم سعيرا)وقوله تعالى (قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربي إذ لأمسكتم خشية الانفاق وكان الانسان

الذى نراه من زيادة اصحاب محمد لشيء يراد بنا وقيل يراد بأهل الارض وقيل يراد بمحمد أن يملك علينا ﴿ ماسمعنا بهذا ﴾ أى بهذا الذى يقوله محمد من التوحيد ﴿ في الملة الآخرة ﴾ قال ابن عباس والكلبي ومقاتل يعنون في النصرانية لانها آخر الملل وهم لا يوحدون بل يقولون ثالث ثلاثة ، وقال مجاهد وقتادة يعنون ملة قريش ودينهم الذى هم عليه ﴿ ان هذا الا اختلاق ﴾ كذب وافتعال ﴿ أأنزل عليه الذكر ﴾ القرآن ﴿ من بيننا ﴾ وليس بأكبرنا ولا أشرفنا يقوله أهل مكة قال الله عز وجل ﴿ بل هم في شك من ذكري ﴾ أى وحيي وما أنزلت ﴿ بل لما يذوقوا عذاب ﴾ أى لم يذوقوا عذابي ولو ذاقوه لما قالوا هذا القول ﴿ ام عندهم ﴾ أعندهم ﴿ خزائن رحمة ربك ﴾ يعني نعمة ربك يعني مفاتيح النبوة يعطونها من شاؤا ونظيره (أهم يقسمون رحمة ربك) أي نبوة ربك ﴿ العزيز الوهاب ﴾ العزيز في ملكه (الوهاب) وهب النبوة لمحمد ﷺ

قتورا) وذلك بعد الحكاية عن الكفار أنهم أنكروا بعثة الرسول البشري ﷺ وكما أخبر عزوجل عن قوم صالح عليه السلام حين قالوا (أألقي الذكر عليه من بيننا بل هو كذاب أشر * سيعلمون غداً من الكذاب الاشر) وقوله تعالى (أم لهم ملك السموات والارض وما بينهما فليرتقوا في الاسباب) أي ان كان لهم ذلك فليصعدوا في الاسباب

قال ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وسعيد بن جبير وقتادة وغيرهم يعني طرق السماء ، وقال الضحاك رحمه الله تعالى فليصعدوا إلى السماء السابعة . ثم قال عز وجل (جند ماهنالك مهزوم من الاحزاب) أي هؤلاء الجند المكذبون الذين هم في عزة وشقاق سيهزمون ويغلبون ويكبتون كما كبت الذين من قبلهم من الاحزاب المكذبين وهذه الآية كقوله جلت عظمته (أم يقولون نحن جميع منتصر سيهزم الجمع ويولون الدبر) وكان ذلك يوم بدر (بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر)

كذّبت قبلهم قومُ نوحٍ وعادٌ وفرعونُ ذو الاوتاد (١٢) وثمودُ وقوم لوط وأصحٰب الئيكة أولئك الاحزاب (١٣) إنْ كلٌّ الا كذب الرسلَ فحق عقاب (١٤) وماينظر هؤلاء الا صيحةً واحدة ما لها من فواق (١٥) وقالوا ربنا عجّل لنا قِطّنا قبل يوم الحساب (١٦) اصبر على ما يقولون

يقول تعالى مخبراً عن هؤلاء القرون الماضية وما حل بهم من العذاب والنكال والنقمات في مخالفة

﴿ أم لهم ملك السموات والارض وما بينهما ﴾ أي ليس لهم ذلك ﴿ فليرتقوا في الاسباب ﴾ أي ان ادعوا شيئا من ذلك فليصعدوا في الاسباب التي توصلهم إلى السماء فليأتوا منها بالوحي إلى من يختارون ، قال مجاهد وقتادة : أراد بالاسباب أبواب السماء وطرقها من سماء إلى سماء وكل مايوصلك إلى شيء من باب أو طريق فهو سببه وهذا أمر توبيخ وتعجيز ﴿ جند ماهنالك ﴾ أي هؤلاء الذين يقولون هذا القول جند هنالك و(ما) صلة ﴿ مهزوم ﴾ مغلوب ﴿ من الاحزاب ﴾ أي من جملة الاجناد يعني قريشا ، قال قتادة : أخبر الله تعالى نبيه ﷺ وهو بمكة انه سيهزم جند المشركين ، وقال [سيهزم الجمع ويولون الدبر] فجاء تأويلها يوم بدر ، و(هنالك) اشارة الى بدر ومصارعهم من الاحزاب أي من جملة الاحزاب أي هم من القرون الماضية الذين تحزبوا وتجمعوا على الانبياء بالتكذيب فقهروا وأهلكوا ، ثم قال معزيا لنبيه ﷺ ﴿ كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون ذو الاوتاد ﴾ قال ابن عباس ومحمد بن كعب ذو البناء المحكم ، وقيل أراد ذو الملك الشديد الثابت ، وقال القتيبي تقول العرب : هم في عز ثابت الاوتاد ، يريدون انه دائم شديد ، وقال الاسود بن يعفر

ولقد غنوا فيها بأنعم عيشة　　　في ظل ملك ثابت الاوتاد

الرسل وتكذيب الانبياء عليهم الصلاة والسلام ، وقد تقدمت قصصهم مبسوطة في أماكن متعددة وقوله تعالى (أولئك الاحزاب) أي كانوا أكثر منكم وأشد قوة وأكثر أموالا وأولاداً فما دفع ذلك عنهم من عذاب الله من شيء لما جاء أمر ربك ، ولهذا قال عز وجل (ان كل إلا كذب الرسل فحق عقاب) فجعل علة اهلاكهم هو تكذيبهم بالرسل فليحذر المخاطبون من ذلك أشد الحذر

وقوله تعالى (وماينظر هؤلاء إلا صيحة واحدة مالها من فواق) قال مالك عن زيد بن أسلم أي ليس لها مثنوية أي (ماينظرون إلا الساعة ان تأتيهم بغتة فقد جاء أشراطها) أي فقد اقتربت ودنت وأزفت وهذه الصيحة هي نفخة الفزع التي يأمر الله تعالى اسرافيل أن يطولها فلا يبقى أحد من أهل السموات والارض الا فزع الا من استثنى الله عز وجل

وأصل هذا ان بيوتهم كانت تثبت بالاوتاد ، وقال الضحاك : ذو القوة والبطش ، وقال عطية ذو الجنود والجموع الكثيرة يعني انهم كانوا يقوون أمره ويشدون ملكه كما يقوي الوتد الشيء ، وسميت الاجناد أوتاداً لكثرة المضارب التي كانوا يضربونها ويوتدونها في أسفارهم وهو رواية عطية عن ابن عباس ، وقال الكلبي ومقاتل : الاوتاد جمع الوتد وكانت له أوتاد يعذب الناس عليها وكان اذا غضب على أحد مده مستلقيا بين أربعة أوتاد يشد كل يد وكل رجل منه الى سارية ويتركه كذلك في الهواء بين السماء والارض حتى يموت

وقال مجاهد ومقاتل بن حيان : كان يمد الرجل مستلقيا على الارض ثم يشد يديه ورجليه ورأسه على الارض بالاوتاد ، وقال السدي كان يمد الرجل ويشده بالاوتاد ويرسل عليه العقارب والحيات ، وقال قتادة وعطاء : كانت له أوتاد وارسان وملاعب يلعب عليها بين يديه ﴿ وثمود وقوم لوط وأصحاب الأيكة أولئك الاحزاب ﴾ الذين تحزبوا على الانبياء ، واعلم ان مشركي قريش حزب من هؤلاء الاحزاب

قوله تعالى ﴿ إن كل ﴾ ما كل ﴿ إلا كذب الرسل فحق عقاب ﴾ وجب عليهم ونزل بهم عذابي ﴿ وما ينظر ﴾ ينتظر ﴿ هؤلاء ﴾ يعني كفار مكة ﴿ الا صيحة واحدة ﴾ وهي نفخة الصور ﴿ مالها من فواق ﴾ قرأ حمزة والكسائي فواق بضم الفاء وقرأ الآخرون بفتحها وهما لغتان فالفتح لغة قريش والضم لغة تميم قال ابن عباس وقتادة من رجوع أي مايرد ذلك الصوت فيكون له رجوع وقال مجاهد نظرة وقال الضحاك مثنوية أي صرف ورد ، والمعنى أن تلك الصيحة التى هي ميعاد عذابهم اذا جاءت لم ترد ولم تصرف ، وفرق بعضهم بين الفتح والضم فقال الفراء وأبو عبيدة الفتح بمعنى الراحة والافاقة كالجواب من الاجابة وذهبا بها إلى افاقة المريض من علته ، والفواق بالضم مابين الحلبتين وهو أن تحلب الناقة ثم تترك ساعة حتى يجتمع اللبن فما بين الحلبتين فواق أي ان العذاب لا يمهلهم بذلك القدر وقيل هما أيضا مستعارتان من الرجوع لأن اللبن يعود إلى الضرع بين الحلبتين وافاقة المريض رجوعه

وقوله جل جلاله (وقالوا ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب) هذا انكار من الله تعالى على المشركين في دعائهم على أنفسهم بتعجيل العذاب فان القط هو الكتاب وقيل هو الحظ والنصيب قال ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد والضحاك والحسن وغير واحد سألوه تعجيل العذاب زاد قتادة كما قالوا (اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء أوائتنا بعذاب أليم) وقيل سألوا تعجيل نصيبهم من الجنة ان كانت موجودة ليلقوا ذلك في الدنيا وانما خرج هذا منهم مخرج الاستبعاد والتكذيب . وقال ابن جرير سألوا تعجيل ما يستحقونه من الخير أو الشر في الدنيا وهذا الذي قاله جيد وعليه يدور كلام الضحاك واسماعيل بن أبي خالد والله أعلم ، ولما كان هذا الكلام منهم على وجه الاستهزاء والاستبعاد . قال الله تعالى لرسوله ﷺ آمراً له بالصبر على أذاهم ومبشراً له على صبره بالعاقبة والنصر والظفر

واذكر عبدنا داود ذا الأيد إنه أواب (١٧) انا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والاشراق (١٨) والطير محشورة كل له أواب (١٩) وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب (٢٠)

يذكر تعالى عن عبده ورسوله داود عليه الصلاة والسلام أنه كان ذا أيد والايدي القوة في العلم والعمل . قال ابن عباس رضي الله عنهما والسدي وابن زيد الايدي القوة ، وقرأ ابن زيد (والسماء بنيناها بأيد وانا لموسعون) وقال مجاهد الايدي القوة في الطاعة

إلى الصحة ﴿ وقالوا ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب ﴾ قال سعيد بن جبير عن ابن عباس يعني كتابنا والقط الصحيفة التي أحصت كل شيء قال الكلبي لما نزلت في الحاقة (فاما من أوتي كتابه بيمينه - وأما من أوتي كتابه بشماله) قالوا استهزاء عجل لنا كتابنا في الدنيا (قبل يوم الحساب) وقال سعيد بن جبير يعنون حظنا ونصيبنا من الجنة التي تقول، وقال الحسن وقتادة ومجاهد والسدي يعني عقوبتنا ونصيبنا من العذاب وقال عطاء قاله النضر بن الحارث وهو قوله (اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء) وعن مجاهد قال قطنا حسابنا ويقال لكتاب الحساب قط وقال أبو عبيدة والكسائي القط الكتاب بالجوائز

قال الله تعالى ﴿ اصبر على مايقولون ﴾ أي على مايقوله الكفار من تكذيبك ﴿ واذكر عبدنا داود ذا الايد ﴾ قال ابن عباس أي القوة في العبادة أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي أنا أبو منصور السمعاني أنا أبو جعفر الرياني ثنا حميد بن زنجويه ثنا أبو نعيم ثنا سفيان بن عيينة عن عمرو ابن دينار

وقال قتادة أعطي داود عليه الصلاة والسلام قوة في العبادة وفقها في الاسلام ، وقد ذكر لنا أنه عليه الصلاة والسلام كان يقوم ثلث الليل ويصوم نصف الدهر ، وهذا ثابت في الصحيحين عن رسول الله ﷺ أنه قال « أحب الصلاة إلى الله تعالى صلاة داود ، وأحب الصيام إلى الله عز وجل صيام داود ، كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه ، وكان يصوم يوما ويفطر يوما ولا يفر إذا لاقى وانه كان أوابا » وهو الرجاع الى الله عز وجل في جميع أموره وشؤنه

وقوله تعالى [انا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والاشراق] أي انه تعالى سخر الجبال تسبح معه عند اشراق الشمس وآخر النهار كما قال عز وجل [ياجبال أوبي معه والطير] وكذلك كانت الطير تسبح بتسبيحه وترجع بترجيعه اذا مر به الطير وهو سابح في الهواء فسمعه وهو يترنم بقراءة الزبور لايستطيع الذهاب بل يقف في الهواء ويسبح معه وتجيبه الجبال الشامخات ترجع معه وتسبح تبعا له

قال ابن جرير حدثنا ابو كريب حدثنا محمد بن بشر عن مسعر عن عبد الكريم عن موسى بن أبي كثير عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه بلغه أن أم هاني رضي الله عنها ذكرت أن رسول الله ﷺ يوم فتح مكة صلى الضحى ثمان ركعات فقال ابن عباس رضي الله عنهما قد ظننت أن لهذه الساعة صلاة يقول الله عز وجل (يسبحن بالعشي والاشراق)

ثم رواه من حديث سعيد بن ابي عروبة عن ابي المتوكل عن أيوب بن صفوان عن مولاه عبدالله ابن الحارث بن نوفل ان ابن عباس رضي الله عنهما كان لايصلي الضحى قال فأدخلته على أم هاني رضي الله عنها فقلت أخبري هذا ماأخبرتني فقالت : دخل علي رسول الله ﷺ يوم الفتح في بيتي ثم أمر بماء صب في قصعة ثم أمر بثوب فأخذ بيني وبينه فاغتسل ثم رش ناحية البيت فصلى ثمان ركعات وذلك من الضحى قيامهن وركوعهن وسجودهن وجلوسهن سواء قريب بعضهن من بعض فخرج ابن عباس رضي الله عنهما وهو يقول لقد قرأت مابين اللوحين ماعرفت صلاة الضحى الا الآن (يسبحن

عن عمرو بن أوس عن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله ﷺ « إن أحب الصيام إلى الله صيام داود وأحب الصلاة إلى الله صلاة داود كان يصوم يوما ويفطر يوما وكان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه وقيل ذو القوة في الملك ﴿ انه أواب ﴾ رجاع إلى الله عز وجل بالتوبة عن كل مايكره قال ابن عباس مطيع وقال سعيد بن جبير مسبح بلغة الحبش ﴿ انا سخرنا الجبال معه ﴾ كما قال (وسخرنا مع داود الجبال) ﴿ يسبحن ﴾ بتسبيحه ﴿ بالعشي والاشراق ﴾ قال الكلبي غدوة وعشية والاشراق هو أن تشرق الشمس ويتناهى ضوؤها وفسره ابن عباس بصلاة الضحى أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو اسحاق الثعلبي أخبرني ابن فنجويه ثنا أبو شيبة ثنا الحسين بن حيوة ثنا أبو أمية محمد بن ابراهيم ثنا الحجاج بن نصير أنا أبو بكر الهذلي عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس في قوله (بالعشي والاشراق) قال كنت أمر بهذه الآية ولا أدري ماهي حتى حدثتني أم هاني بنت أبي طالب أن

لعشي والاشراق) وكنت أقول أين صلاة الاشراق ، وكان بعد يقول صلاة الاشراق ولهذا قال عز وجل (والطير محشورة) أي محبوسة في الهواء (كل له أواب) أي مطيع يسبح تبعا له ، قال سعيد بن جبير وقتادة ومالك عن زيد بن أسلم وابن زيد [كل له أواب] اي مطيع

وقوله تعالى (وشددنا ملكه) أي جعلنا له ملكا كاملا من جميع مايحتاج اليه الملوك ، قال ابن أبي نجيح عن مجاهد كان أشد أهل الدنيا سلطانا ، وقال السدي كان يحرسه كل يوم أربعة آلاف ، وقال بعض السلف بلغني أنه كان يحرسه في كل ليلة ثلاثة وثلاثون ألفا لاتدور عليهم النوبة الى مثلها من العام القابل ، وقال غيره أربعون ألفا مشتكون بالسلاح

وقد ذكر ابن جرير وابن ابي حاتم من رواية علباء بن احمر عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما أن نفرين من بني اسرائيل استعدى أحدهما على الآخر الى داود عليه الصلاة والسلام انه اغتصبه بقراً فأنكر الآخر ولم يكن للمدعي بينة فارجأ أمرهما فلما كان الليل أمر داود عليه الصلاة والسلام بقتل المدعي ، فلما كان النهار طلبهما وأمر بقتل المدعي فقال يانبي الله علام تقتلني وقد اغتصبني هذا بقري ؟ فقال له ان الله تعالى أمرني بقتلك فأنا قاتلك لامحالة ، فقال والله يانبي الله ان الله لم يأمرك بقتلي لأجل هذا الذي ادعيت عليه وإني لصادق فيما ادعيت ولكني كنت قد اغتلت أباه وقتلته ولم يشعر بذلك أحد فأمر به داود عليه السلام فقتل . قال ابن عباس فاشتدت هيبته في بني اسرائيل وهو الذي يقول الله عز وجل [وشددنا ملكه]

رسول ﷺ دخل عليها فدعا بوضوء فتوضأ ثم صلى الضحى فقال « ياأم هاني، هذه صلاة الاشراق »

قوله عز وجل ﴿ والطير ﴾ أي وسخرنا له الطير ﴿ محشورة ﴾ مجموعة اليه تسبح معه ﴿ كل له أواب ﴾ مطيع رجاع إلى طاعته بالتسبيح وقيل أواب معه أي مسبح ﴿ وشددنا ملكه ﴾ أي قويناه بالحرس والجنود قال ابن عباس كان اشد ملوك الارض سلطانا كان يحرس محرابه كل ليلة ستة وثلاثون ألف رجل أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو اسحاق الثعلبي أنا عبد الله بن حامد أنا محمد ابن خالد بن الحسن ثنا داود بن سليمان ثنا محمد بن حميد ثنا محمد بن الفضل ثنا داود بن أبي الفرات عن علباء بن أحمر عن عكرمة عن ابن عباس أن رجلا من بني اسرائيل استعدى على رجل من عظمائهم عند داود عليه السلام ان هذا غصبني بقرا فسأله داود فجحد فقال للآخر البينة فلم يكن له بينة فقال لهما داود قوما حتى أنظر في أمركما ، فأوحى الله إلى داود في منامه أن يقتل الذي استعدى عليه فقال هذه رؤيا ولست أعجل حتى أتثبت فأوحى اليه مرة أخرى فلم يفعل فأوحى الله اليه الثالثة أن يقتله أو تأتيه العقوبة ، فارسل داود اليه فقال له إن الله أوحى الي ان أقتلك فقال تقتلني بغير بينة قال داود نعم والله لأنفذن أمر الله فيك فلما عرف الرجل انه قاتله قال له لاتعجل حتى أخبرك إني والله ماأخذت بهذا الذنب ولكني كنت اغتلت والد هذا فقتلته فلذلك أخذت فأمر به داود فقتل فاشتدت هيبة

وقوله جل وعلا (وآتيناه الحكمة) قال مجاهد يعني الفهم والعقل ، وقال مرة الحكمة والعدل وقال مرة الصواب ، وقال قتادة كتاب الله واتباع مافيه ، وقال السدي [الحكمة] النبوة

وقوله جل جلاله (وفصل الخطاب) قال شريح القاضي والشعبي فصل الخطاب الشهود والايمان وقال قتادة شاهدان على المدعي أو يمين المدعى عليه هو فصل الخطاب الذي فصل به الانبياء والرسل أو قال المؤمنون والصالحون وهو قضاء هذه الامة إلى يوم القيامة ، وكذا قال ابو عبدالرحمن السلمي وقال مجاهد والسدي هو إصابة القضاء وفهم ذلك ، وقال مجاهد أيضاً هو الفصل في الكلام وفي الحكم وهذا يشمل هذا كله وهو المراد واختاره ابن جرير

وقال ابن ابي حاتم حدثنا عمر بن شبة النميري حدثنا ابراهيم بن المنذر حدثني عبد العزيز بن أبي ثابت عن عبد الرحمن بن ابي الزناد عن أبيه عن بلال بن ابي بردة عن أبيه عن ابي موسى رضي الله عنه قال . أول من قال أما بعد داود عليه السلام وهو فصل الخطاب ، وكذا قال الشعبي فصل الخطاب أما بعد

وهل أتاك نبأ الخصم إذ تسوروا المحراب (٢١) إذ دخلوا على داود ففزع منهم قالوا لاتخف ، خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تُشطط واهدنا الى سواء الصّراط (٢٢) إن هذا أخي له تسع وتسعون نعجةً ولي نعجةٌ واحدة فقال أكفلنيها وعزّني في الخطاب (٢٣) قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه ، وان كثيراً من الخلطاء ليبغي بعضهم على بعض الا الذين آمنوا وعملوا الصّلحت وقليل ماهم ، وظن داود أنما فتنّـه فاستغفر ربه وخرّ راكعا وأناب (٢٤) فغفرنا له ذلك وإن له عندنا لزُلفى وحسن مَئاب (٢٥)

بني اسرائيل عند ذلك لداود واشتد به ملكه فذلك قوله الله عز وجل وشددنا ملكه) ﴿ وآتيناه الحكمة ﴾ يعني النبوة والاصابة في الامور ﴿ وفصل الخطاب ﴾ وقال ابن عباس بيان الكلام وقال ابن مسعود والحسن والكلبي ومقاتل علم الحكم والبصر في القضاء وقال علي بن أبي طالب هو أن البينة على المدعي واليمين على من أنكر لان كلام الخصوم ينقطع وينفصل به ويروي ذلك عن أبي بن كعب قال فصل الخطاب الشهود والايمان وهو قول مجاهد وعطاء بن أبي رباح وروي عن الشعبي أن فصل الخطاب هو قول الانسان بعد حمد الله والثناء عليه : أما بعد . اذا أراد الشروع في كلام آخر وأول من قاله داود عليه السلام قوله عز وجل ﴿ وهل أتاك نبأ الخصم اذ تسوروا المحراب ﴾ هذه الآية في قصة امتحان داود

قد ذكر المفسرون ههنا قصة أكثرها مأخوذ من الاسرائيليات ولم يثبت فيها عن المعصوم حديث يجب اتباعه ولكن روى ابن ابي حاتم هنا حديثا لا يصح سنده لانه من رواية يزيد الرقاشي عن أنس رضي الله عنه ويزيد وإن كان من الصالحين لكنه ضعيف الحديث عند الأئمة فالاولى أن يقتصر على مجرد تلاوة هذه القصة وأن يرد علمها الى الله عز وجل فان القرآن حق وما تضمن فهو حق أيضاً

عليه السلام، واختلف العلماء باخبار الانبياء عليهم السلام في سببه فقال قوم كان سبب ذلك أنه عليه السلام تمنى يوما من الايام منزلة آبائه ابراهيم واسحاق ويعقوب وسأل ربه أن يمتحنه كما امتحنهم ويعطيه من الفضل مثل ما أعطاهم فروى السدي والكلبي ومقاتل عن أشياخهم دخل حديث بعضهم في بعض قالوا كان داود قد قسم الدهر ثلاثة ايام يوما يقضي فيه بين الناس ويوما يخلو فيه لعبادة ربه ويوما لنسائه وأشغاله وكان يجد فيما يقرأ من الكتب فضل ابراهيم واسحاق ويعقوب فقال يارب ارى الخير كله قد ذهب به آبائي الذين كانوا قبلي فأوحى الله اليه: انهم ابتلوا ببلايا لم تبتل بها فصبروا عليها ابتلي ابراهيم بنمرود وبذبح ابنه وابتلي اسحاق بالذبح وبذهاب بصره وابتلي يعقوب بالحزن على يوسف فقال رب لو ابتليتني بمثل ما ابتليتهم صبرت أيضا فأوحى الله اليه إنك مبتلى في شهر كذا وفي يوم كذا فاحترس فلما كان ذلك اليوم الذي وعده الله دخل داود محرابه وأغلق بابه وجعل يصلي ويقرأ الزبور فبينا هو كذلك اذ جاءه الشيطان قد تمثل في صورة حمامة من ذهب فيها من كل لون حسن وقيل كان جناحاها من الدر والزبرجد فوقعت بين رجليه فأعجبه حسنها فمد يده ليأخذها ويريها بني اسرائيل فينظروا إلى قدرة الله فلما قصد أخذها طارت غير بعيد من غير أن تؤيسه من نفسها فامتد اليها ليأخذها فتنحت فتبعها فطارت حتى وقعت في كوة فذهب ليأخذها فطارت من الكوة فنظر داود أين تقع ومن يصيدها فيبعث من يصيدها فأبصر امرأة في بستان على شط بركة لها تغتسل هذا قول الكلبي، وقال السدي رآها تغتسل على سطح لها فرأى امرأة من أجمل النساء خلقا فعجب داود من حسنها وحانت منها التفاتة فابصرت ظله فنقضت شعرها فغطت بدنها فزاده ذلك اعجابا بها فسأل عنها فقيل هي تشايع بنت شايع امرأة أوريا بن حنانا وزوجها في غزاة بالبلقاء مع أيوب بن صوريا ابن أخت داود وذكر بعضهم انه أحب أن يقتل أوريا ويتزوج امرأته فكان ذنبه هذا القدر، وذكر بعضهم أنه كتب ليأخذها داود الى ابن اخته أيوب أن ابعث أوريا الى موضع كذا وقدمه قبل التابوت وكان من قدم على التابوت لا يحل له أن يرجع وراءه حتى يفتح الله على يديه أو يستشهد فبعثه وقدمه ففتح له فكتب إلى داود بذلك فكتب اليه أيضا أن ابعثه الى عدو كذا وكذا فبعثه ففتح له فكتب الى داود بذلك فكتب اليه أيضا أن ابعثه إلى عدو كذا وكذا أشد منه بأسا فبعثه فقتل في المرة الثالثة فلما انقضت عدة المرأة تزوجها داود فهي أم سليمان عليهما السلام، وروي عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال كان ذنب داود أنه التمس من الرجل أن ينزل له عن امرأته قال أهل التفسير كان ذلك مباحا

وقوله تعالى (ففزع منهم) انما كان ذلك لانه كان في محرابه وهو أشرف مكان في داره وكان قد أمر أن لايدخل عليه أحد ذلك اليوم فلم يشعر إلا بشخصين قد تسورا عليه المحراب أي احتاطا به يسألانه عن شأنهما

لهم غير أن الله تعالى لم يرض له ذلك لانه كان ذلك رغبة في الدنيا وازديادا للنساء وقد أغناه الله عنها بما أعطاه من غيرها وروي عن الحسن في سبب امتحان داود عليه السلام انه كان قد جزأ الدهر أجزاء يوما لنسائه ويوما للعبادة ويوما للقضاء بين بني اسرائيل ويوما لبني اسرائيل يذاكرهم ويذاكرونه ويبكيهم ويبكونه فلما كان يوم بني اسرائيل ذكروه فقالوا هل يأتي على الانسان يوم لا يصيب فيه ذنبا فاضمر داود في نفسه أنه سيطيق ذلك وقيل انهم ذكروا فتنة النساء. فأضمر داود في نفسه انه إن ابتلي اعتصم فلما كان يوم عبادته أغلق أبوابه وأمر أن لا يدخل عليه أحد وأكب على التوراة فبينما هو يقرأ اذ دخلت عليه حمامة من ذهب كما ذكرنا قال وكان قد بعث زوجها على بعض جيوشه فكتب اليه أن يسير الى مكان كذا وكذا مكانا اذا سار اليه قتل ففعل فأصيب فتزوج امرأته قالوا فلما دخل داود بامرأة أوريا لم يلبث الا يسيرا حتى بعث الله اليه ملكين في صورة رجلين في يوم عبادته فطلبا أن يدخلا عليه فمنعهما الحرس فتسورا المحراب عليه فما شعر وهو يصلي إلا وهما بين يديه جالسين ويقال كانا جبريل وميكائيل فذلك قوله عز وجل (وهل أتاك نبأ الخصم ؟)خبر الخصم (إذ تسوروا المحراب) صعدوا وعلوا ، يقال تسورت الحائط والسور إذا علوته ، وانما جمع الفعل وهما اثنان لان الخصم اسم يصلح للواحد والاثنين والجمع والمذكر والمؤنث ، ومعنى الجمع في الاثنين موجود لان معنى الجمع ضم شيء إلى شيء، وهذا كما قال الله تعالى (فقد صغت قلوبكما) ﴿ إذ دخلوا على داود ففزع منهم ﴾ خاف منهما حين هجما عليه في محرابه بغير اذنه فقال ما أدخلكما علي؟ ﴿ قالوا لا تخف خصمان ﴾ أي نحن خصمان ﴿ بغى بعضنا على بعض ﴾ جئناك لتقضي بيننا . فان قيل كيف قال (بغى بعضنا على بعض) وهما ملكان لا يبغيان ؟ قيل معناه أرأيت خصمين بغى أحدهما على الآخر وهذا من معاريض الكلام لا على تحقيق البغي من أحدهما ﴿ فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط ﴾ أي لا تجر . يقال شط الرجل شططا وأشط اشطاطا إذا جار في حكمه ومعناه مجاوزة الحد ، وأصل الكلمة من شطت الدار واشطت اذا بعدت ﴿ واهدنا إلى سواء الصراط ﴾ ارشدنا إلى طريق الصواب والعدل فقال داود لهما تكلما فقال أحدهما ﴿ ان هذا أخي ﴾ أي على ديني وطريقتي ﴿ له تسع وتسعون نعجة ﴾ يعني امرأة ﴿ ولي نعجة واحدة ﴾ أي امرأة واحدة . والعرب تكني بالنعجة عن المرأة ، قال الحسين ابن الفضل : هذا تعريض للتنبيه والتفهيم لانه لم يكن هناك نعاج ولا بغي فهو كقولهم ضرب زيد عمرا و اشترى بكر داراً ولا ضرب هناك ولا شراء ﴿ فقال أكفلنيها ﴾ قال ابن عباس أعطنيها ، قال مجاهد انزل لي عنها ، وحقيقته ضمها إلي فاجعلني كافلها وهو الذي يعولها وينفق عليها ، والمعنى طلقها لأتزوجها

وقوله عز وجل (وعزني في الخطاب) أي غلبني يقال عز يعز اذا قهر وغلب . وقوله تعالى (وظن داود أنما فتناه) قال علي بن ابي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما أي اختبرناه

﴿ وعزني ﴾ وغلبني ﴿ في الخطاب ﴾ أي في القول وقيل قهرني لقوة ملكه

قال الضحاك يقول ان تكلم كان أفصح مني وإن حارب كان أبطش مني ، وحقيقة المعنى ان الغلبة كانت له لضعفي في يده وإن كان الحق معي ، وهذا كله تمثيل لأمر داود مع اوريا زوج المرأة التي تزوجها داود حيث كان لداود تسع وتسعون امرأة ولأوريا امرأة واحدة فضمها إلى نسائه ﴿ قال ﴾ أي قال داود ﴿ لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه ﴾ أي بسؤاله نعجتك ليضمها الى نعاجه ، فان قيل كيف قال (لقد ظلمك) ولم يكن سمع قول صاحبه ؟ قيل معناه ان كان الامر كما تقول فقد ظلمك وقيل قال ذلك بعد اعتراف صاحبه بما يقول ﴿ وان كثيرا من الخلطاء ﴾ الشركاء ﴿ ليبغي بعضهم على بعض ﴾ يظلم بعضهم بعضاً ﴿ الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴾ فانهم لا يظلمون أحدا ﴿ وقليل ما هم ﴾ أي قليل هم و(ما) صلة يعني أن الصالحين الذين لا يظلمون قليل ، قالوا فلما قضى بينهما داود نظر أحدهما الى صاحبه فضحك وصعدا الى السماء فعلم داود ان الله تعالى ابتلاه وذلك قوله ﴿ وظن داود ﴾ أيقن وعلم ﴿ أنما فتناه ﴾ انما ابتليناه

وقال السدي باسناده إن أحدهما لما قال أن هذا أخي الآية قال داود للآخر ما تقول فقال إن لي تسعاً وتسعين نعجة ولأخي نعجة واحدة وأنا أريد أن آخذها منه فاكمل نعاجي مائة وهو كاره قال اذاً لا ندعك وان رمت ذلك ضربت منك هذا وهذا يعني طرف الانف وأصله والجبهة فقال يا داود أنت أحق بذلك حيث لم يكن لاوريا إلا امرأة واحدة ولك تسع وتسعون امرأة فلم تزل تعرضه للقتل حتى قتل وتزوجت امرأته فنظر داود فلم ير أحداً فعرف ما وقع فيه . وقال القائلون بتنزيه الانبياء في هذه القصة إن ذنب داود إنما كان أنه تمنى أن تكون امرأة أوريا حلالا له فاتفق غزو أوريا وتقدمه في الحرب وهلاكه فلما بلغ قتله داود لم يجزع عليه كما جزع على غيره من جنده اذ هلك ثم تزوج امرأته فعاتبه الله على ذلك لان ذنوب الانبياء وان صغرت فهي عظيمة عند الله وقيل كان ذنب داود أن أوريا كان خطب تلك المرأة ووطن نفسه عليها فلما غاب في غزاته خطبها داود فتزوجت منه لجلالته فاغتم لذلك أوريا فعاتبه الله على ذلك حيث لم يترك هذه الواحدة لخاطبها وعنده تسع وتسعون امرأة

أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو اسحاق الثعلبي قال ومما يصدق ما ذكرنا عن المتقدمين ما اخبرني عقيل بن محمد بن أحمد الفقيه أن المعافي بن زكريا القاضي ببغداد أخبره عن محمد بن جرير الطبري قال حدثني يونس بن عبد الأعلى الصيرفي أنا ابن وهب أخبرني ابن لهيعة عن أبي صخر عن يزيد الرقاشي عن أنس بن مالك رضي الله عنه سمعه يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول « إن داود النبي حين نظر الى المرأة فأهم قطع على بني اسرائيل وأوصى صاحب البعث فقال اذا حضر العدو فقرب

وقوله تعالى (وخرّ راكعا) أي ساجداً (وأناب) ويحتمل انه ركع أولا ثم سجد بعد ذلك ،

فلانا بين يدي التابوت وكان التابوت في ذلك الزمان يستنصر به من قدم بين يدي التابوت لم يرجع حتى يقتل أو ينهزم عنه الجيش فقتل زوج المرأة ونزل الملكان يقصان عليه قصته ففطن داود فسجد ومكث أربعين ليلة ساجداً حتى نبت الزرع من دموعه على رأسه وأكلت الارض من جبينه وهو يقول في سجوده : رب زل داود زلة أبعد مما بين المشرق والمغرب رب ان لم ترحم ضعف داود ولم تغفر ذنبه جعلت ذنبه حديثا في الخلوف من بعده فجاءه جبريل من بعد أربعين ليلة فقال ياداود إن الله قد غفر لك الهم الذي هممت به فقال داود إن الرب قادر على أن يغفر لي الهم الذي هممت به وقد عرفت أن الله عدل لا يميل فكيف بفلان اذا جاء يوم القيامة فقال يارب دمي الذي عند داود فقال جبريل ماسألت ربك عن ذلك وان شئت لأفعلن ؟ قال نعم فعرج جبريل وسجد داود فمكث ماشاء الله ثم نزل فقال سألت الله ياداود عن الذي ارسلتني فيه فقال قل لداود إن الله يجمعكما يوم القيامة فيقول له هب لي دمك الذي عند داود فيقول هو لك يارب فيقول فان لك في الجنة ماشئت وما اشتهيت عوضا. وروي عن ابن عباس وعن كعب الاحبار ووهب بن منبه قالوا جميعا إن داود لما دخل عليه الملكان فقضى على نفسه فتحولا عن صورتيهما فعرجا وهما يقولان قضى الرجل على نفسه وعلم داود أنه إنماعني به فخر ساجداً أربعين يوما لا يرفع رأسه إلا لحاجة ولوقت صلاة مكتوبة ثم يعود ساجداً تمام أربعين يوما لا يأكل ولا يشرب وهو يبكي حتى نبت العشب حول رأسه وهو ينادي ربه عز وجل ويسأله التوبة وكان من دعائه في سجوده : سبحان الملك الاعظم الذي يبتلي الخلق بما يشاء ، سبحان خالق النور ، سبحان الحائل بين القلوب ، سبحان خالق النور ، إلهي أنت خليت بيني وبين عدوي ابليس فلم أقم لفتنته اذ نزلت بي ، سبحان خالق النور ، إلهي أنت خلقتني وكان من سابق علمك ما أنا اليه صائر ، سبحان خالق النور ، إلهي الويل لداود إذا كشف عنه الغطاء فيقال هذا داود الخاطىء ، سبحان خالق النور ، إلهي بأي عين أنظر اليك يوم القيامة وإنما ينظر الظالمون من طرف خفي ، سبحان خالق النور ، إلهي بأي قدم أمشي أمامك وأقوم بين يديك يوم تزل أقدام الخاطئين ، سبحان خالق النور ، إلهي من أين يطلب العبد المغفرة إلا من عند سيده سبحان خالق النور ، إلهي أنا الذي لا أطيق حر شمسك فكيف اطيق حر نارك ، سبحان خالق النور ، إلهي أنا الذي لا أطيق صوت رعدك فكيف أطيق صوت جهنم ، سبحان خالق النور ، إلهي الويل لداود من الذنب العظيم الذي أصاب ، سبحان خالق النور ، إلهي قد تعلم سري وعلانيتي فاقبل عذري ، سبحان خالق النور ، إلهي برحمتك اغفرلي ذنوبي ولا تباعدني من رحمتك لهواي ، سبحان خالق النور ، إلهي أعوذ بنور وجهك الكريم من ذنوبي التي اوبقتني ، سبحان خالق النور إلهي فررت اليك بذنوبي واعترفت بخطيئتي فلا تجعلني من القانطين ولا تخزني يوم الدين ، سبحان

وقد ذكر انه استمر ساجداً أربعين صباحا [فغفرنا له ذلك] أي ماكان منه ممايقال فيه إن حسنات الابرار سيئات المقربين

وقد اختلف الائمة في سجدة ص هل هي من عزائم السجود على قولين الجـديد من مذهب الشافعي رضي الله عنه أنها ليست من عزائم السجود بل هي سجدة شكر . والدليل على ذلك مارواه الامام أحمد حيث قال حدثنا اسماعيل هو ابن علية عن أيوب عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال في السجدة في ص ليست من عزائم السجود، وقد رأيت رسول الله ﷺ يسجد فيها، ورواه البخاري وابوداود والترمذي والنسائي في تفسيره من حديث أيوب به وقال الترمذي حسن صحيح

خالق النور . قال مجاهد مكث أربعين يوما ساجدا لا يرفع رأسه حتى نبت المرعى من دموع عينيه حتى غطى رأسه فنودي ياداود أجائع فتطعم ، أو ظمآن فتسقى ، أو عار فتكسى فأجيب في غير ماطلب قال فنحب نحبة هاج لها العود فاحترق من حر جوفه ثم أنزل الله له التوبة والمغفرة قال وهب إن داود أتاه نداء اني قد غفرت لك قال يارب كيف وأنت لا تظلم أحدا قال اذهب الى قبر أوريا فناده فأنا أسمعه نداءك فتحلل منـه قال فانطلق وقد لبس المسوح حتى جلس عند قبره ثم نادى يا أوريا فقال لبيك من هذا الذي قطع عني لذتي وأيقظني؟ قال أنا داود قال ماجاء بك يانبي الله؟ قال أسألك أن تجعلني في حل مما كان مني اليك قال وما كان منك الي؟ قال عرضتك للقتل قال قد عرضتني للجنـة فانت في حل فأوحى الله اليه ياداود ألم تعلم أني حكم عدل لا أقضي بالغيب ألا أعلمته انك قد تزوجت امرأته قال فرجع اليه فناداه فأجابه فقال من هذا الذي قطع عني لذتي؟ قال أنا داود قال يانبي الله أليس قد عفوت عنك؟ قال نعم ولكن انما فعلت ذلك بك لمـكان امرأتك وقد تزوجتها قال فسكت ولم يجبه ودعاه فلم يجبه وعاوده فلم يجبـه فقام عند قبره وجعل يحثو التراب على رأسه ثم نادى الويل لداود ثم الويل الطويل لداود، سبحان خالق النور والويل لداود اذا نصب الميزان بالقسط، سبحان خالق النور ثم الويل لداود ثم الويل الطويل لداود حين يؤخذ بذقنه فيدفع الى المظلوم سبحان خالق النور الويل لداود ثم الويل الطويل لداود حين يسحب على وجهه مع الخاطئين الى النار سبحان خالق النور، أتاه نداء من السماء ياداود قد غفرت لك ذنبك ورحمت بكاءك واستجبت دعاءك وأقلت عثرتك قال يارب كيف وصاحبي لم يعف عني ؟ قال ياداود أعطيه من الثواب يوم القيامة مالم تر عيناه ولم تسمع أذناه فاقول له رضيت عن عبدي داود؟ فيقول يارب من أين لي هذا ولم يبلغه عملي فأقول هذا عوض من عبدي داود فاستوهبك منه فيهبك لي . قال يارب الآن قد عرفت أنك قد غفرت لي فذلك قوله ﴿ فاستغفر ربه وخر راكعا ﴾ أي ساجدا عبر بالركوع عن السجود لان كل واحد منهما فيه انحناء قال الحسين بن الفضل سألني عبدالله بن طاهر عن قوله (وخر راكعا) هل يقال للراكع خر؟ قلت لا ومعناه خر بعد ماكان راكعا أي ساجدا ﴿ وأناب ﴾ أي رجع وتاب ﴿ فغفرنا له ذلك ﴾

وقال النسائي أيضاً عند تفسير هذه الآية أخبرني ابراهيم بن الحسن هو المقسمي حدثنا حجاج بن محمد عن عمر بن ذر عن أبيه عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : ان النبي ﷺ سجد في ص وقال «سجدها داود عليه السلام توبة ونسجدها شكراً» تفرد بروايته النسائي ورجال اسناده كلهم ثقاة وقد أخبرني شيخنا الحافظ ابو الحجاج المزي قراءة عليه وأنا أسمع أخبرنا ابو اسحاق المدرجي أخبرنا زاهر بن ابي طاهر الثقفي حدثنا زاهر بن طاهر الشحامي أخبرنا ابو سعد الكنجدروذي أخبرنا الحاكم ابو احمد محمد بن محمد الحافظ أخبرنا ابو العباس السراج حدثنا هارون بن عبدالله حدثنا محمد بن يزيد بن خنيس عن الحسن بن محمد بن عبيدالله بن أبي يزيد قال قال لي ابن جريج ياحسن حدثني جدك عبيدالله بن أبي يزيد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال يارسول الله اني رأيت فيما يرى النائم كأني أصلي خلف شجرة فقرأت السجدة فسجدت فسجدت الشجرة بسجودي فسمعتها تقول وهي ساجدة : اللهم اكتب لي بها عندك أجراً ، واجعلها لي عندك ذخراً ، وضع بها عني وزراً ، واقبلها مني كما قبلتها من عبدك داود . قال ابن عباس رضي الله عنهما فرأيت النبي ﷺ قام فقرأ السجدة ثم سجد فسمعته يقول وهو ساجد كما حكى الرجل عن كلام الشجرة رواه الترمذي عن قتيبة وابن ماجه عن أبي بكر بن خلاد كلاهما عن محمد بن يزيد بن خنيس نحوه ، وقال الترمذي غريب لا نعرفه الا من هذا الوجه

وقال البخاري عند تفسيرها أيضاً حدثنا محمد بن عبدالله حدثنا محمد بن عبيد الطنافسي عن العوام قال سألت مجاهداً عن سجدة ص فقال : سألت ابن عباس رضي الله عنهما من أين سجدت فقال أو ما تقرأ (ومن ذريته داود وسليمان - أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده) فكان داود عليه الصلاة والسلام ممن أمر نبيكم ﷺ أن يقتدي به فسجدها داود عليه الصلاة والسلام فسجدها رسول الله ﷺ . وقال الامام أحمد حدثنا عفان حدثنا يزيد بن زريع حدثنا حميد حدثنا بكر هو ابن عبدالله المزني أنه أخبره أن أبا سعيد الخدري رضي الله عنه رأى رؤيا أنه يكتب ص فلما بلغ إلى الآية التي يسجد بها رأى الدواة والقلم وكل شيء بحضرته انقلب ساجداً قال فقصها على النبي ﷺ فلم يزل يسجد بها بعد تفرد به أحمد

وقال أبو داود حدثنا أحمد بن صالح حدثنا ابن وهب أخبرني عمرو بن الحارث عن سعيد بن أبي هلال عن عياض بن عبدالله بن سعد بن أبي سرح عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال. قرأ رسول الله ﷺ وهو على المنبر (ص) فلما بلغ السجدة نزل فسجد وسجد الناس معه فلما كان يوم آخر قرأها فلما بلغ السجدة تشزن الناس للسجود فقال ﷺ « انما هي توبة نبي ، ولكني رأيتكم تشزنتم » فنزل وسجد تفرد به أبو داود وإسناده على شرط الصحيح

يعني ذلك الذنب ﴿ وإن له ﴾ بعد المغفرة ﴿ عندنا ﴾ يوم القيامة ﴿ لزلفى ﴾ لقربة ومكانة

وقوله تعالى (وان له عندنا لزلفى وحسن مآب) أي وان له يوم القيامة لقربة يقربه الله عز وجل بها وحسن مرجع وهو الدرجات العالية في الجنة لنبوته وعدله التام في ملكه كما جاء في الصحيح « المقسطون على منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين الذين يقسطون في أهليهم وما ولوا » وقال الامام أحمد حدثنا يحيى بن آدم ثنا فضيل عن عطية عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله ﷺ « ان أحب الناس إلى الله يوم القيامة وأقربهم منه مجلسا امام عادل ، وان أبغض

﴿وحسن مآب﴾ أي حسن مرجع ومنقلب

وقال وهب بن منبه : ان داود لما تاب الله عليه بكى على خطيئته ثلاثين سنة لا يرقأ دمعه ليلا ولا نهاراً ، وكان أصاب الخطيئة وهو ابن سبع وسبعين سنة فقسم الدهر بعد الخطيئة على أربعة أيام: يوم للقضاء بين بني إسرائيل ويوم لنسائه ويوم يسيح في الفيافي والجبال والسواحل ويوم يخلو في دار له فيها أربعة آلاف محراب فيجتمع اليه الرهبان فينوح معهم على نفسه فيساعدونه على ذلك ، فاذا كان يوم نياحته يخرج في الفيافي فيرفع صوته بالمزامير فيبكي ويبكي معه الشجر والرمال والطير والوحش حتى يسيل من دموعهم مثل الأنهار ، ثم يجيء إلى الجبال فيرفع صوته بالمزامير فيبكي وتبكي معه الجبال والحجارة والدواب والطير حتى تسيل من بكائهم الاودية ، ثم يجيء الى الساحل فيرفع صوته بالمزامير فيبكي وتبكي معه الحيتان ودواب البحر وطير الماء والسباع ، فاذا أمسى رجع فاذا كان يوم نوحه على نفسه نادى مناديه ان اليوم يوم نوح داود على نفسه فليحضر من يساعده فيدخل الدار التي فيها المحاريب فيبسط له ثلاثة فرش من مسوح حشوها ليف فيجلس عليها ويجيء أربعة آلاف راهب عليهم البرانس وفي أيديهم العصي فيجلسون في تلك المحاريب ، ثم يرفع داود صوته بالبكاء والنوح على نفسه ويرفع الرهبان معه أصواتهم فلا يزال يبكي حتى يغرق الفرش من دموعه ويقع داود فيها مثل الفرخ يضطرب فيجيء ابنه سليمان فيحمله فيأخذ داود من تلك الدموع بكفيه ثم يمسح بها وجهه ثم يقول يارب اغفر لي ماترى فلو عدل بكاء داود ببكاء أهل الدنيا لعدله، قال وهب مارفع داود رأسه حتى قال له الملك أول امرك ذنب وآخره مغفرة ارفع رأسك فرفع رأسه فمكث حياته لا يشرب ماء إلا مزجه بدموعه ولا يأكل طعاما إلا بله بدموعه

وذكر الاوزاعي مرفوعا الى رسول الله ﷺ « إن مثل عيني داود كقربتين ينطفان ماء ولقد خدت الدموع في وجهه كخديد الماء في الارض » قال وهب لما تاب الله على داود قال يارب غفرت لي فكيف لي أن لا أنسى خطيئتي فاستغفر منها وللخاطئين الى يوم القيامة قال فوسم الله خطيئته في يده اليمنى فما رفع فيها طعاما ولا شرابا إلا بكى اذا رآها وما كان خطيبا للناس إلا بسط راحته فاستقبل الناس ليروا وسم خطيئته، وكان يبدأ اذا دعا فاستغفر للخاطئين قبل نفسه . وقال قتادة عن الحسن كان داود بعد الخطيئة لا يجالس إلا الخاطئين يقول تعالوا الى داود الخاطيء فلا يشرب شرابا إلا

الناس الى الله يوم القيامة وأشدهم عذابا امام جائر » ورواه الترمذي من حديث فضيل وهو ابن مرزوق الاغر عن عطية به ، وقال لا نعرفه مرفوعا إلا من هذا الوجه

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة ثنا عبدالله بن أبي زياد بن سيار ثنا جعفر بن سليمان سمعت مالك بن دينار في قوله (ان له عندنا لزلفى وحسن مآب) قال يقام داود يوم القيامة عند ساق العرش ثم يقول ياداود مجدني اليوم بذلك الصوت الحسن الرخيم الذي كنت تمجدني في الدنيا . فيقول وكيف وقد سلبته ؟ فيقول إني أرده عليك اليوم قال فيرفع داود بصوت يستفرغ نعيم أهل الجنان

مزجه بدموع عينيه وكان يجعل خبز الشعير اليابس في قصعة فلا يزال يبكي عليه حتى يبتل بدموع عينيه وكان يذر عليه الملح والرماد فيأكل ويقول هذا أكل الخاطئين قال وكان داود قبل الخطيئة يقوم نصف الليل ويصوم نصف الدهر فلما كان من خطيئته ماكان صام الدهر كله وقام الليل كله . وقال ثابت كان داود اذا ذكر عقاب الله تخلعت أوصاله فلا يشدها إلا الاسر ، واذا ذكر رحمة الله تراجعت

وفي القصة أن الوحوش والطير كانت تستمع الى قراءته فلما فعل مافعل كانت لا تصغى الى قراءته فروي انها قالت ياداود ذهبت خطيئتك بحلاوة صوتك

اخبرنا عبد الواحد المليحي أنا احمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف حدثنا محمد بن اسماعيل حدثنا سليمان بن حرب وأبو النعمان قالا حدثنا حماد بن زيد عن أيوب عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال سجدة ص ليست من عزائم السجود وقد رأيت النبي ﷺ يسجد فيها

واخبرنا عبد الواحد المليحي أنا احمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف حدثنا محمد بن اسماعيل حدثنا محمد بن عبد الله حدثنا محمد بن عبدالله الطنافسي عن العوام قال : سألت مجاهدا عن سجدة ص فقال سألت ابن عباس من أين سجدت قال أوما تقرأ (ومن ذريته داود وسليمان - الى - اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده) وكان داود ممن أمر نبيكم أن يقتدي به فسجدها داود فسجدها رسول الله ﷺ

اخبرنا أبو عثمان سعيد بن اسماعيل الضبي أنا أبو محمد عبد الجبار بن محمد الجراحي ثنا أبو العباس محمد بن احمد المحبوبي ثنا أبو عيسى الترمذي ثنا قتيبة ثنا محمد بن يزيد بن خنيس ثنا الحسن بن محمد ابن عبد الله بن أبي يزيد قال قال لي ابن جريج اخبرني عبيد الله بن أبي يزيد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال جاء رجل الى النبي ﷺ فقال يارسول الله اني رأيتني الليلة وأنا نائم كأني أصلي خلف شجرة فسجدت فسجدت الشجرة بسجودي فسمعتها تقول : اللهم اكتب لي بها عندك أجرا وحط عني بها وزرا واجعلها لي عندك ذخرا وتقبلها مني كما تقبلتها من عبدك داود . وقال الحسن قال ابن جريج قال لي جدك قال لي ابن عباس فقرأ النبي ﷺ سجدة ص ثم سجد فسمعته وهو يقول مثل ما أخبره الرجل عن قول الشجرة

يا داود إنا جعلنك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب (٢٦)

هذه وصية من الله عز وجل لولاة الامور أن يحكموا بين الناس بالحق المنزل من عنده تبارك وتعالى ولا يعدلوا عنه فيضلوا عن سبيل الله وقد توعد تبارك وتعالى من ضل عن سبيله وتناسى يوم الحساب بالوعيد الاكيد والعذاب الشديد . قال ابن ابي حاتم حدثنا أبي حدثنا هشام بن خالد حدثنا الوليد حدثنا مروان بن جناح حدثني ابراهيم أبو زرعة وكان قد قرأ الكتاب ان الوليد بن عبد الملك قال له أيحاسب الخليفة فانك قد قرأت الكتاب الاول وقرأت القرآن وفقهت فقلت يا أمير المؤمنين أقول؟ قال قل في أمان الله ، قلت يا أمير المؤمنين أنت أكرم على الله أو داود عليه الصلاة والسلام ، إن الله تعالى جمع له النبوة والخلافة ثم توعده في كتابه فقال تعالى (يا داود انا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله) الآية وقال عكرمة (لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب) هذا من المقدم والمؤخر لهم عذاب شديد يوم الحساب بما نسوا ، وقال السدي لهم عذاب شديد بما تركوا أن يعملوا ليوم الحساب وهذا القول أمشى على ظاهر الآية . والله سبحانه وتعالى الموفق للصواب

وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما بطلا ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار (٢٧) أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصلحت كالمفسدين في الأرض أم نجعل المتقين كالفجار (٢٨) كتب أنزلنه اليك مبرك ليدبروا آيته وليتذكر أولوا الالبب (٢٩)

يخبر تعالى أنه ما خلق الخلق عبثا وانما خلقهم ليعبدوه ويوحدوه ثم يجمعهم يوم الجمع فيثيب المطيع ويعذب الكافر ولهذا قال تبارك وتعالى (وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا) أي الذين لا يرون بعثا ولا معاداً وانما يعتقدون هذه الدار فقط (فويل للذين كفروا من

قوله عز وجل ﴿ يا داود انا جعلناك خليفة في الارض ﴾ تدبر أمور العباد بامرنا ﴿ فاحكم بين الناس بالحق ﴾ بالعدل ﴿ ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب ﴾ أي بأن يتركوا الايمان بيوم الحساب ، وقال الزجاج بتركهم العمل لذلك اليوم وقال عكرمة والسدي في الآية تقديم وتأخير تقديره لهم عذاب شديد يوم الحساب بما نسوا أي تركوا القضاء بالعدل ﴿ وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا ﴾ قال ابن عباس لا لثواب ولا لعقاب ﴿ ذلك ظن الذين كفروا ﴾ يعني أهل مكة هم الذين ظنوا انهما خلقا لغير شيء وانه لا بعث ولا

النار) أي ويل لهم يوم معادهم ونشورهم من النار المعدة لهم ، ثم بين تعالى انه عز وجل من عدله وحكمته لا يساوي بين المؤمنين والكافرين فقال تعالى (أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الارض أم نجعل المتقين كالفجار) اي لا نفعل ذلك ولا يستوون عند الله واذا كان الامر كذلك فلا بد من دار أخرى يثاب فيها هذا المطيع ويعاقب فيها هذا الفاجر وهذا الارشاد يدل العقول السليمة والفطر المستقيمة على انه لابد من معاد وجزاء فانا نرى الظالم الباغي يزداد ماله وولده ونعيمه ويموت كذلك ونرى المطيع المظلوم يموت بكمده فلا بد في حكمة الحكيم العليم العادل الذي لا يظلم مثقال ذرة من انصاف هذا من هذا ، واذا لم يقع هذا في هذه الدار فتعين أن هناك داراً أخرى لهذا الجزاء والمواساة. ولما كان القرآن يرشد إلى المقاصد الصحيحة والمآخذ العقلية الصريحة

قال تعالى (كتاب أنزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الالباب) أي ذوو العقول وهي الالباب جمع لب وهو العقل ، قال الحسن البصري والله ماتدبره بحفظ حروفه واضاعة حدوده حتى ان أحدهم ليقول قرأت القرآن كله مايرى له القرآن في خلق ولا عمل . رواه ابن ابي حاتم

ووهبنا لداود سليمٰن نعم العبدُ إنه أواب (٣٠) اذ عُرض عليه بالعشيّ الصّٰفنٰت الجياد (٣١) فقال إني أحببت حُبّ الخير عن ذكر ربي حتى توارت بالحجاب (٣٢) ردوها علي فطفق مسحاً بالسوق والأعناق (٣٣)

يقول تعالى مخبراً انه وهب لداود سليمان أى نبيا كما قال عز وجل (وورث سليمان داود) أي في النبوة والا فقد كان له بنون غيره فانه قد كان عنده مائة امرأة حرائر

وقوله تعالى (نعم العبد إنه أواب) ثناء على سليمان بانه كثير الطاعة والعبادة والانابة إلى الله عز وجل قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عمرو بن خالد حدثنا الوليد بن جابر حدثنا مكحول قال لما وهب الله تعالى لداود سليمان قال له يابني ما أحسن؟ قال سكينة الله والايمان قال فما أقبح ؟ قال كفر

حساب ﴿ فويل للذين كفروا من النار * أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الارض ﴾ قال مقاتل قال كفار قريش للمؤمنين انا نعطى في الآخرة من الخير مثل ماتعطون فنزلت هذه الآية ﴿ أم نجعل المتقين كالفجار ﴾ أى المؤمنين كالكفار وقيل أراد بالمتقين أصحاب محمد ﷺ أى لا نجعل ذلك ﴿ كتاب أنزلناه اليك ﴾ أي هذا كتاب أنزلناه اليك ﴿ مبارك ﴾ كثير خيره ونفعه ﴿ ليدبروا ﴾ أي ليتدبروا ﴿ آياته ﴾ وليتفكروا فيها ، وقرأ أبو جعفر لتدبروا بتاء واحدة وتخفيف الدال ، قال الحسن تدبر آياته اتباعه ﴿ وليتذكر ﴾ ليتعظ ﴿ أولو الالباب ﴾

قوله عز وجل ﴿ ووهبنا لداود سليمان نعم العبد انه أواب * إذ عرض عليه بالعشي الصافنات

بعد إيمان قال فما أحلى ؟ قال روح الله بين عباده قال فما أبرد ؟ قال عفو الله عن الناس وعفو الناس بعضهم عن بعض قال داود عليه السلام فأنت نبي . وقوله تعالى (إذ عرض عليه بالعشي الصافنات الجياد) أي إذ عرض على سليمان عليه الصلاة والسلام في حال مملكته وسلطانه الخيل الصافنات قال مجاهد وهي التي تقف على ثلاث وطرف حافر الرابعة والجياد السراع وكذا قال غير واحد من السلف، وقال ابن جرير حدثنا محمد بن بشار حدثنا مؤمل حدثنا سفيان عن أبيه عن سعيد بن مسروق عن ابراهيم التيمي في قوله عز وجل (إذ عرض عليه بالعشي الصافنات الجياد) قال كانت عشرين فرساً ذات أجنحة كذا رواه ابن أبي حاتم

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا ابراهيم بن موسى حدثنا ابن أبي زائدة أخبرني اسرائيل عن سعيد بن مسروق عن ابراهيم التيمي قال كانت الخيل التي شغلت سليمان عليه الصلاة والسلام عشرين ألف فرس فعقرها وهذا أشبه والله أعلم

وقال أبو داود حدثنا محمد بن عوف حدثنا سعيد بن أبي مريم أخبرنا يحيى بن أيوب حدثني عمارة بن غزية أن محمد بن ابراهيم حدثه عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن عائشة رضي الله عنها قالت قدم رسول الله ﷺ من غزوة تبوك أو خيبر وفي سهوتها ستر فهبت الريح فكشفت ناحية الستر عن بنات لعائشة رضي الله عنها لعب فقال ﷺ « ما هذا يا عائشة ؟ » قالت رضي الله عنها بناتي ورأى بينهن فرسا له جناحان من رقاع فقال ﷺ « ما هذا الذي أرى وسطهن ؟ » قالت رضي الله عنها فرس قال رسول الله ﷺ « ما هذا الذي عليه ؟ » قالت رضي الله عنها جناحان قال رسول الله ﷺ

الجياد ﴾ قال الكلبي غزا سليمان أهل دمشق ونصيبين فأصاب منهم ألف فرس ، وقال مقاتل ورث من أبيه داود ألف فرس ، وقال عوف عن الحسن بلغني انها كانت خيلا أخرجت من البحر لها أجنحة قالوا فصلى سليمان الصلاة الاولى وقعد على كرسيه وهي تعرض عليه فعرضت عليه تسعمائة فتنبه لصلاة العصر فاذا الشمس قد غربت وفاتته الصلاة ولم يعلم بذلك فاغتم لذلك هيبة لله فقال ردوها علي فردوها عليه فأقبل يضرب سوقها وأعناقها بالسيف تقربا الى الله عز وجل وطلبا لمرضاته حيث اشتغل بها عن طاعته، وكان ذلك مباحا له وإن كان حراما علينا كما أبيح لنا ذبح بهيمة الانعام وبقي منها مائة فرس فما بقي في أيدي الناس اليوم من الخيل يقال من نسل تلك المائة

قال الحسن فلما عقر الخيل أبدله الله خيراً منها وأسرع وهي الريح تجري بأمره كيف يشاء، وقال ابراهيم التيمي كانت عشرين فرساً ، وعن عكرمة كانت عشرين ألف فرس لها أجنحة

قال الله تعالى (إذ عرض عليه بالعشي الصافنات الجياد) والصافنات هي الخيل القائمة على ثلاث قوائم وأقامت واحدة على طرف الحافر من يد أو رجل يقال صفن الفرس يصفن صفونا اذا قام على ثلاثة قوائم وقلب أحد حوافره ، وقيل الصافن في اللغة القائم . وجاء في الحديث « من سره أن يقوم

« فرس له جناحان ؟ » قالت رضي الله عنها أما سمعت أن سليمان عليه الصلاة والسلام كانت له خيل لها أجنحة قالت رضي الله عنها فضحك ﷺ حتى رأيت نواجذه

وقوله تبارك وتعالى (فقال إني أحببت حب الخير عن ذكر ربي حتى توارت بالحجاب) ذكر غير واحد من السلف والمفسرين انه اشتغل بعرضها حتى فات وقت صلاة العصر والذي يقطع به انه لم يتركها عمدا بل نسيانا كما شغل النبي ﷺ يوم الخندق عن صلاة العصر حتى صلاها بعد الغروب وذلك ثابت في الصحيحين من غير وجه

من ذلك عن جابر رضي الله عنه قال جاء عمر رضي الله عنه يوم الخندق بعدما غربت الشمس فجعل يسب كفار قريش ويقول يارسول الله والله ما كدت أصلي العصر حتى كادت الشمس تغرب فقال رسول الله ﷺ « والله ما صليتها » فقال فقمنا إلى بطحان فتوضأ نبي الله ﷺ للصلاة وتوضأنا لها فصلى العصر بعد ما غربت الشمس ثم صلى بعدها المغرب ، ويحتمل انه كان سائغا في ملتهم تأخير الصلاة لعذر الغزو والقتال ، والخيل تراد للقتال وقد ادعى طائفة من العلماء ان هذا كان مشروعا فنسخ ذلك بصلاة الخوف ، ومنهم من ذهب الى ذلك في حال المسايفة والمضايقة حيث لا يمكن صلاة ولا ركوع ولا سجود كما فعل الصحابة رضي الله عنهم فى فتح تستر وهو منقول عن مكحول والأوزاعي وغيرهما والأول أقرب لانه قال بعده (ردوها علي فطفق مسحا بالسوق والأعناق) قال الحسن البصري ؟ قال لا والله لا تشغلني عن عبادة ربي آخر ما عليك ، ثم أمر بها فعقرت وكذا قال قتادة وقال السدي ضرب أعناقها وعراقيبها بالسيوف ، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما جعل يمسح أعراف الخيل وعراقيبها حباً لها وهذا القول اختاره ابن جرير قال لانه لم يكن ليعذب حيوانا بالعرقبة ويهلك

له الرجال صفونا فليتبوأ مقعده من النار » اي قياما والجياد الخيار السراع واحدها جواد ، وقال ابن عباس رضي الله عنهما يريد الخيل السوابق .

قوله تعالى « فقال إني أحببت حب الخير » أي آثرت حب الخير ، وأراد بالخير الخيل والعرب تعاقب بين الراء واللام فتقول ختلت الرجل وخترته أي خدعته وسميت الخيل خيرا لانه معقود بنواصيها الخير الاجر والمغنم ، قال مقاتل حب الخير يعني المال فهي الخيل التي عرضت عليه « عن ذكر ربي » يعني عن الصلاة وهي صلاة العصر « حتى توارت بالحجاب » أي توارت الشمس بالحجاب أي استترت بما يحجبها عن الابصار ، يقال الحجاب جبل دون قاف بمسيرة سنة والشمس تغرب من ورائه « ردوها علي » أي ردوا الخيل علي فردوها « فطفق مسحا بالسوق والاعناق » قال أبو عبيدة طفق يفعل مثل مازال يفعل والمراد بالمسح القطع فجعل يضرب سوقها وأعناقها بالسيف . هذا قول ابن عباس والحسن وقتادة ومقاتل وأكثر المفسرين ، وكان ذلك مباحا له لان نبي الله لم يكن يقدم على محرم ولم يكن يتوب عن ذنب بذنب آخر .

مالا من ماله بلا سبب سوى انه اشتغل عن صلاته بالنظر اليها ولا ذنب لها وهذا الذي رجح به ابن جرير فيه نظر لانه قد يكون في شرعهم جواز مثل هذا ولا سيما اذا كان غضبا لله تعالى بسبب انه اشتغل بها حتى خرج وقت الصلاة ولهذا لما خرج عنها لله تعالى عوضه الله عز وجل ماهو خير منها وهو الريح التي تجري بأمره رخاء حيث أصاب غدوها شهر ورواحها شهر فهذا أسرع وخير من الخيل

قال الامام أحمد : حدثنا اسمعيل حدثنا سليمان بن المغيرة عن حميد بن هلال عن أبي قتادة وأبي الدهماء وكانا يكثران السفر نحو البيت قالا أتينا على رجل من أهل البادية فقال لنا البدوي أخذ بيدي رسول الله ﷺ فجعل يعلمني مما علمه الله عز وجل وقال « انك لاتدع شيأ اتقاء الله تعالى الا أعطاك الله عز وجل خيرا منه »

ولقد فتنّا سليمٰن وألقينا على كرسيّه جسدا ثم أناب (٣٤) قال رب اغفر لي وهب لي مُلكا لا ينبغي لأحد من بعدي إنك أنت الوهاب (٣٥) فسخرنا له الريح تجري بأمره رُخاء حيث أصاب (٣٦) والشياطين كلّ بناء وغوّاص (٣٧) وآخرين مقرّنين في الأصفاد (٣٨) هذا عطاؤنا فامنُن أو أمسك بغير حساب (٣٩) وإن له عندنا لزُلفى وحسن مآب (٤٠)

يقول تعالى (ولقد فتنا سليمان) أي اختبرناه بان سلبناه الملك (وألقينا على كرسيه جسدا)

وقال محمد بن اسحاق لم يعنفه الله على عقر الخيل إذ كان ذلك أسفا على ما فاته من فريضة ربه عز وجل وقال بعضهم انه ذبحها ذبحا وتصدق بلحومها وكان الذبح على ذلك الوجه مباحا في شريعته وقال قوم معناه انه حبسها في سبيل الله وكوى سوقها وأعناقها بكي الصدقة ، وقال الزهري وابن كيسان انه كان يمسح سوقها وأعناقها بيده يكشف الغبار عنها حبا لها وشفقة عليها وهذا قول ضعيف والمشهور هو الاول وحكي عن علي انه قال في معنى قوله (ردوها علي) يقول سليمان بأمر الله عز وجل الملائكة الموكلين بالشمس ردوها علي يعني الشمس فردوها عليه حتى صلى العصر في وقتها وذلك انه كان يعرض عليه الخيل لجهاد عدوه حتى توارت بالحجاب

قوله عز وجل ﴿ ولقد فتنا سليمان ﴾ اختبرناه وابتليناه بسلب ملكه وكان سبب ذلك ما ذكر محمد بن اسحاق عن وهب بن منبه قال سمع سليمان عليه السلام بمدينة في جزيرة من جزائر البحر يقال لها صيدون بها ملك عظيم الشأن لم يكن للناس اليه سبيل لمكانه في البحر وكان الله قد آتى سليمان في ملكه سلطانا لا يمتنع عليه شيء في بر ولا بحر انما يركب اليه الريح فخرج الى تلك المدينة تحمله الريح على ظهر الماء حتى نزل بها بجنوده من الجن والانس فقتل ملكها وسبى مافيها وأصاب فيما أصاب بنتا لذلك الملك يقال لها جرادة لم ير مثلها حسنا وجمالا فاصطفاها لنفسه ودعاها الى الاسلام فأسلمت على

قال ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وسعيد بن جبير والحسن وقتادة وغيرهم يعني شيطانا (ثم أناب) أي رجع إلى ملكه وسلطانه وأبهته قال ابن جرير وكان اسم ذلك الشيطان صخراً قاله ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة وقيل آصف قاله مجاهد وقيل أصروا قاله مجاهد أيضا وقيل حبقيق قال السدي وقد ذكروا هذه القصة مبسوطة ومختصرة

وقد قال سعيد بن أبي عروبة عن قتادة قال أمر سليمان عليه الصلاة والسلام ببناء بيت المقدس فقيل له ابنه ولا يسمع فيه صوت حديد ، قال فطلب ذلك فلم يقدر عليه فقيل له إن شيطانا في البحر يقال له صخر شبه المارد قال فطلبه وكانت في البحر عين يردها في كل سبعة أيام مرة فنزح ماءها وجعل فيها خمرا فجاء يوم ورده فاذا هو بالخمر فقال انك لشراب طيب إلا أنك تصبين الحليم وتزيدين

جفاء منها وقلة فقه وأحبها حبا لم يجبه شيئا من نسائه ، وكانت على منزلتها عنده لا يذهب حزنها ولا يرقأ دمعها فشق ذلك على سليمان فقال لها ويحك ما هذا الحزن الذي لا يذهب والدمع الذي لا يرقأ ؟ قالت ان أبي أذكره وأذكر ملكه وما كان فيه وما أصابه فيحزنني ذلك قال سليمان فقد أبدلك الله به ملكا هو أعظم من ملكه وسلطانا هو أعظم من سلطانه وهداك للاسلام وهو خير من ذلك كله قالت ان ذلك كذلك ولكني اذا ذكرته أصابني ماترى من الحزن فلو أنك أمرت الشياطين فصوروا لي صورته في داري التي أنا فيها أراها بكرة وعشيا لرجوت أن يذهب ذلك حزني وأن يسليني عن بعض ما أجد في نفسي فأمر سليمان الشياطين فقال مثلوا لها صورة أبيها في دارها حتى لا تنكر منه شيئا فمثلوه لها حتى نظرت الى أبيها بعينه الا انه لا روح فيه فعمدت اليه حين صنعوه فأزرته وقمصته وعممته وردته بمثل ثيابه التي كان يلبس ثم كانت إذا خرج سليمان من دارها تعد و عليه في ولائدها حتى تسجد له ويسجدن له كما كانت تصنع به في ملكه وتروح كل عشية بمثل ذلك ، وكان سليمان لا يعلم بشيء من ذلك أربعين صباحا، وبلغ ذلك آصف بن برخيا وكان صديقا وكان لا يرد عن أبواب سليمان أي ساعة أراد دخول شيء من بيوته حاضراً كان سليمان أو غائبا فأتاه فقال يانبي الله كبر سني ورق عظمي ونفد عمري وقد حان مني الذهاب فقد أحببت أن أقوم مقاما قبل الموت أذكر فيه من مضى من أنبياء الله وأثني عليهم بعلمي فيهم وأعلم الناس بعض ما كانوا يجهلون من كثير من أمورهم فقال افعل فجمع له سليمان الناس فقام فيهم خطيبا فذكر من مضى من أنبياء الله تعالى فأثنى على كل نبي بما فيه فذكر ما فضله الله حتى انتهى الى سليمان فقال ما أحلمك في صغرك وأورعك في صغرك وأفضلك في صغرك وأحكم أمرك في صغرك وأبعدك من كل ما تكره في صغرك ثم انصرف فوجد سليمان عليه السلام في نفسه من ذلك حتى ملأه غضبا فلما دخل سليمان داره أرسل اليه فقال يا آصف ذكرت من مضى من أنبياء الله فأثنيت عليهم خيراً في كل زمانهم وعلى كل حال من أمرهم فلماذا كرتني جعلت تثني علي بخير في صغري وسكت عما سوى ذلك من أمري في كبري فما الذي أحدثت في

الجاهل جهلا ، قال ثم رجع حتى عطش عطشا شديدا ثم أتاها فقال انك لشراب طيب إلا أنك تصبين الحليم وتريدين الجاهل جهلا ، قال ثم شربها حتى غلبت على عقله قال فأري الخاتم أو ختم به بين كتفيه فذل قال وكان ملكه في خاتمه فأتي به سليمان عليه الصلاة والسلام فقال إنا قد أمرنا ببناء هذا البيت وقيل لنا لا يسمعن فيه صوت حديد قال فأتى ببيض الهدهد فجعل عليه زجاجة فجاء الهدهد فدار حولها فجعل يرى بيضه ولا يقدر عليه فذهب فجاء بالماس فوضعه عليه فقطعها به حتى أفضى إلى بيضه فأخذ الماس فجعلوا يقطعون به الحجارة ، وكان سليمان عليه الصلاة والسلام اذا أراد أن يدخل الخلاء أو الحمام لم يدخل بالخاتم فانطلق يوما إلى الحمام وذلك الشيطان صخر معه وذلك عند مقارفة قارف فيها بعض نسائه قال فدخل الحمام وأعطى الشيطان خاتمه فألقاه في البحر فالتقمته سمكة ونزع ملك سليمان منه وألقي على الشيطان شبه سليمان قال فجاء فقعد على كرسيه وسريره وسلط على ملك سليمان

آخر أمري؟ فقال ان غير الله ليعبد في دارك منذ اربعين صباحا في هوى امرأة فقال في داري؟ فقال في دارك فقال (انا لله وانا اليه راجعون) لقد عرفت انك ما قلت الذي قلت الا عن شيء بلغك ثم رجع سليمان الى داره وكسر ذلك الصنم وعاقب تلك المرأة وولائدها ثم أمر بثياب الطهرة فأتي بها وهي ثياب لا تغزلها الا الابكار ولا تنسجها الا الابكار ولا تغسلها الا الابكار لم تمسها امرأة قد رأت الدم ثم لبسها ثم خرج الى فلاة من الارض وحده فامر برماد ففرش له ثم أقبل تائبا الى الله عز وجل حتى جلس على ذلك الرماد وتمعك فيه بثيابه تذللا لله تعالى وتضرعا اليه يبكي ويدعو ويستغفر مما كان في داره فلم يزل كذلك يومه حتى أمسى ثم رجع الى داره ، وكانت له أم ولد يقال لها الامينة كان اذا دخل مذهبه أو أراد إصابة امرأة من نسائه وضع خاتمه عندها حتى يتطهر وكان لا يمس خاتمه الا وهو طاهر وكان ملكه في خاتمه فوضعه يوما عندها ثم دخل مذهبه فأتاها الشيطان صاحب البحر واسمه صخر على صورة سليمان لا تنكر منه شيئا فقال خاتمي ياأمينة فناولته اياه فجعله في يده ثم خرج حتى جلس على سرير سليمان وعكفت عليه الطير والجن والانس وخرج سليمان فأتى الامينة وقد غيرت حاله وهيئته عند كل من رآه فقال يا أمينة خاتمي قالت من أنت ؟ قال انا سليمان بن داود قالت كذبت قد جاء سليمان فأخذ خاتمه وهو جالس على سرير ملكه فعرف سليمان ان خطيئته قد أدركته فخرج فجعل يقف على الدار من دور بني اسرائيل فيقول انا سليمان بن داود فيحثون عليه التراب ويسبونه ويقولون انظروا الى هذا المجنون أي شيء يقول يزعم انه سليمان فلما رأى سليمان ذلك عمد الى البحر فكان ينقل الحيتان لأصحاب البحر إلى السوق فيعطونه كل يوم سمكتين فاذا أمسى باع احدى سمكتيه بأرغفة وشوى الاخرى فأكلها فمكث بذلك أربعين صباحا عدة ما كان عبد الوثن في داره فأنكر آصف وعظماء بني اسرائيل حكم عدو الله الشيطان في تلك الاربعين فقال آصف يا معشر بني اسرائيل هل رأيتم من اختلاف حكم ابن داود ما رأيت ؟ قالوا نعم قال امهلوني

كله غير نسائه قال فجعل يقضي بينهم وجعلوا ينكرون منه أشياء حتى قالوا لقد فتن نبي الله، وكان فيهم رجل يشبهونه بعمر بن الخطاب رضي الله عنه في القوة فقال والله لأجربنه قال فقال يانبي الله وهولايرى الا أنه نبي الله أحدنا تصيبه الجنابة في الليلة الباردة فيدع الغسل عمدا حتى تطلع الشمس أترى عليه بأساء؟ قال لا فبينما هو كذلك أربعين ليلة اذ وجد نبي الله خاتمه في بطن سمكة فأقبل فجعل لايستقبله جني ولا طير الا سجد له حتى انتهى اليهم (وألقينا على كرسيه جسدا) قال هو الشيطان صخر وقال السدي (ولقد فتنا سليمان) أي ابتلينا سليمان (وألقينا على كرسيه جسدا) قال شيطانا جلس على كرسيه أربعين يوما قال كان لسليمان عليه الصلاة والسلام مائة امرأة وكانت امرأة منهن يقال لها جرادة وهي آثر نسائه وآمنهن عنده وكان اذا أجنب أو أتى حاجة نزع خاتمه ولم يأمن عليه أحدا من الناس غيرها فأعطاها يوما خاتمه ودخل الخلاء، فخرج الشيطان في صورته فقال هاتي الخاتم فاعطته فجاء حتى جلس على مجلس سليمان عليه الصلاة والسلام وخرج سليمان بعد ذلك فسألها أن تعطيه خاتمه فقالت ألم تأخذه قبل؟ قال لا

حتى أدخل على نسائه فأسألهن هل أنكرتن منه في خاصة أمره ما انكرنا في عامة أمر الناس وعلانيته؟ فدخل على نسائه فقال ويحكن هل أنكرتن من أمر ابن داود ما أنكرنا؟ فقلن أشده ما يدع منا امرأة في دمها ولا يغتسل من الجنابة فقال (انا لله وانا اليه راجعون) (ان هذا لهو البلاء المبين) ثم خرج على بني اسرائيل فقال مافي الخاصة أعظم مما في العامة فلما مضى أربعون صباحا طار الشيطان عن مجلسه ثم مر بالبحر فقذف الخاتم فيه فبلعته سمكة فأخذها بعض الصيادين وقد عمل له سليمان صدر يومه ذلك حتى اذا كان العشي اعطاه سمكتين وأعطاه السمكة التي أخذت الخاتم فخرج سليمان بسمكتيه فباع التي ليس في بطنها الخاتم بالأرغفة ثم عمد الى السمكة الاخرى فبقرها ليشويها فاستقبله خاتمه في جوفها فأخذه فجعله في يده ووقع ساجداً وعكفت عليه الطير والجن وأقبل عليه الناس وعرف الذي كان قد دخل عليه لما كان قد احدث في داره فرجع الى ملكه وأظهر التوبة من ذنبه وأمر الشياطين فقال ائتوني بصخر فطلبته الشياطين حتى أخذته فأتت به وجاؤا له بصخرة فنقرها فأدخله فيها ثم سد عليه باخرى ثم أوثقهما بالحديد والرصاص ثم أمر به فقذف في البحر هذا حديث وهب وقال الحسن ما كان الله ليسلط الشيطان على نسائه

وقال السدي كان سبب قصة سليمان أنه كان له مائة امرأة وكانت امرأة منهن يقال لها جرادة هي آثر نسائه وآمنهن عنده وكان يأتمنها على خاتمه اذا أتى حاجته فقالت له يوما إن أخي كان بينه وبين فلان خصومة وانا أحب أن تقضي له اذا جاءك فقال نعم ولم يفعل فابتلي بقوله لزوجته نعم فأعطاها خاتمه ودخل المخرج فجاء الشيطان في صورته فأخذه وجلس على مجلس سليمان وخرج سليمان فسألها خاتمه فقالت ألم تأخذه؟ قال لا وخرج مكانه ومكث الشيطان يحكم بين الناس أربعين يوما فأنكر الناس حكمه فاجتمع قراء بني اسرائيل وعلماؤهم حتى دخلوا على نسائه فقالوا انا قد أنكرناهذا

وخرج مكانه تائها ومكث الشيطان يحكم بين الناس أربعين يوما قال فأنكر الناس أحكامه فاجتمع قراء بني اسرائيل وعلماؤهم فجاؤا حتى دخلوا على نسائه فقالوا لهن إنا قد أنكرنا هذا فان كان سليمان فقد ذهب عقله وأنكرنا احكامه قال فبكى النساء عندذلك ، قال فاقبلوا يمشون حتى أتوه فأحدقوا به ثم نشروا يقرءون التوراة قال فطار من بين أيديهم حتى وقع على شرفة والخاتم معه ثم طار حتى ذهب إلى البحر فوقع الخاتم منه في البحر فابتلعه حوت من حيتان البحر قال وأقبل سليمان عليه الصلاة والسلام في حاله التي كان فيها حتى انتهى إلى صياد من صيادي البحر وهو جائع وقد اشتد جوعه فسألهم من صيدهم وقال اني أنا سليمان فقام اليه بعضهم فضربه بعصا فشجه فجعل يغسل دمه وهو على شاطىء البحر فلام الصيادون صاحبهم الذي ضربه فقالوا بئس ماصنعت حيث ضربته قال انه زعم أنه سليمان، قال فأعطوه سمكتين مما قد مذر عندهم ولم يشغله ما كان به من الضرب حتى قام إلى شاطىء البحر فشق بطونهما فجعل يغسل فوجد خاتمه في بطن إحداهما فأخذه فلبسه فرد الله عليه

فان كان سليمان فقد ذهب عقله فبكى النساء عند ذلك فأقبلوا حتى أحدقوا به ونشروا التوراة فقرؤها فطار من بين أيديهم حتى وقع على شرفة والخاتم معه ، ثم طار حتى ذهب الى البحر فوقع الخاتم منه في البحر فابتلعه حوت وأقبل سليمان حتى انتهى إلى صياد من صيادي البحر وهو جائع قد اشتد جوعه فاستطعمه من صيده وقال إني أنا سليمان فقام اليه بعضهم فضربه بعصا فشجه فجعل يغسل دمه على شاطىء البحر فلام الصيادون صاحبهم الذي ضربه وأعطوه سمكتين مما قد مذر عندهم فشق بطونهما وجعل يغسلهما فوجد خاتمه في بطن إحداهما فلبسه فرد الله عليه ملكه وبهاءه وحامت عليه الطير فعرف القوم انه سليمان فقاموا يعتذرون مما صنعوا فقال ماأؤاخذكم على غدركم [1] لا ألومكم على ماكان منكم هذا أمر كائن لابد منه ، فلما أتى مملكته أمر جنيا أتى بالشيطان الذي أخذ خاتمه وجعله في صندوق من حديد ثم أطبق عليه وأقفل عليه بقفل وختم عليه بخاتمه وأمر به فألقي في البحر وهو حي كذلك حتى تقوم الساعة

وفي بعض الروايات ان سليمان لما افتتن سقط الخاتم من يده وكان فيه ملكه فأعاده سليمان الى يده فسقط فأيقن سليمان بالفتنة فأتى آصف فقال لسليمان انك مفتون بذنبك والخاتم لايتماسك في يده أربعة عشر يوما ففر الى الله تائبا وإني أقوم مقامك وأسير بسيرتك الى أن يتوب الله عليك ففر سليمان هاربا الى ربه وأخذ آصف الخاتم فوضعه في أصبعه فثبت فهو الجسد الذي قال الله تعالى (وألقينا على كرسيه جسداً) فأقام آصف في ملكه يسير بسيرته أربعة عشر يوما الى أن رد الله على سليمان ملكه فجلس على كرسيه وأعاد الخاتم في يده فثبت

وروي عن سعيد بن المسيب قال : احتجب سليمان عن الناس ثلاثة أيام فأوحى الله اليه احتجبت عن الناس ثلاثة أيام فلم تنظر في أمور عبادي فابتلاه الله عز وجل وذكر حديث الخاتم وأخذ الشيطان

(١) في ابن كثير ما أحمدكم على عذركم

بهاءه وملكه فجاءت الطير حتى حامت عليه فعرف القوم انه سليمان عليه الصلاة والسلام فقام القوم يعتذرون مما صنعوا فقال ما أحمدكم على عذركم ولا الومكم على ما كان منكم كان هذا الامر لا بد منه قال فجاء حتى أتى ملكه وأرسل إلى الشيطان فجيء به فأمر به فجعل في صندوق من حديد ثم أطبق عليه وقفل عليه بقفل وختم عليه بخاتمه ثم أمر به فألقي في البحر فهو فيه حتى تقوم الساعة وكان اسمه حبقيق قال وسخر الله له الريح ولم تكن سخرت له قبل ذلك وهو قوله (وهب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي انك أنت الوهاب

وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله تبارك وتعالى (وألقينا على كرسيه جسدا) قال شيطانا يقال له آصف فقال له سليمان عليه السلام كيف تفتنون الناس؟ قال أرني خاتمك أخبرك فلما أعطاه اياه نبذه آصف في البحر فساح سليمان عليه السلام وذهب ملكه وقعد آصف على كرسيه ومنعه الله تبارك وتعالى من نساء سليمان فلم يقربهن ولم يقربنه وأنكرنه قال فكان سليمان عليه الصلاة والسلام يستطعم فيقول أتعرفوني ؟ أطعموني أنا سليمان فيكذبونه حتى أعطته امرأة يوما حوتا ففتح بطنه فوجد خاتمه في بطنه فرجع اليه ملكه وفر آصف فدخل البحر . وهذه كلها من الاسرائيليات ، ومن أنكرها ماقال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا محمد بن العلاء وعثمان بن أبي شيبة وعلي بن محمد قالوا حدثنا أبو معاوية أخبرنا الاعمش عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى (وألقينا على كرسيه جسدا ثم أناب) قال أراد سليمان عليه الصلاة والسلام ان يدخل الخلاء فأعطى الجرادة خاتمه وكانت الجرادة امرأته وكانت أحب نسائه اليه فجاء الشيطان في صورة سليمان فقال لها هاتي خاتمي فأعطته إياه فلما لبسه دانت له الانس والجن والشياطين فلما خرج سليمان عليه السلام من الخلاء قال لها هاتي خاتمي قالت قد أعطيته سليمان قال أنا سليمان قالت كذبت ما أنت بسليمان فجعل لا يأتي أحداً يقول له أنا سليمان الا كذبه حتى جعل الصبيان يرمونه بالحجارة فلما رأى ذلك سليمان عرف أنه من أمر الله عز وجل قال وقام الشيطان يحكم بين

إياه كما روينا ، وقيل قال سليمان يوما لأطوفن الليلة على نسائي كلهن فتأتي كل واحدة بابن يجاهد في سبيل الله ولم يستثن فجامعهن فما خرج له منهن الا شق مولود فجاءت به القابلة فألقته على كرسيه فذلك قوله تعالى (وألقينا على كرسيه جسدا)

أخبرنا عبد الواحد بن احمد المليحي انا احمد بن عبدالله النعيمي انا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل ثنا ابو اليمان انا شعيب ثنا ابو الزناد عن الاعرج عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « قال سليمان لأطوفن الليلة على تسعين امرأة كلهن تأتي بفارس يجاهد في سبيل الله فقال له الملك قل إن شاء الله فلم يقل ونسي فطاف عليهن فلم تحمل منهن الا امرأة واحدة جاءت بشق رجل وايم الذي نفس محمد بيده لو قال إن شاء الله لجاهدوا في سبيل الله فرسانا أجمعون » وقال طاوس عن أبي

الناس فلما أراد الله تبارك وتعالى ان يرد على سليمان سلطانه ألقى في قلوب الناس انكار ذلك الشيطان قال فأرسلوا إلى نساء سليمان فقالوا لهن تنكرن من سليمان شيئا ؟ قلن نعم انه يأتينا ونحن حيض وما كان يأتينا قبل ذلك فلما رأى الشيطان انه قد فطن له ظن ان أمره قد انقطع فكتبوا كتبا فيها سحر وكفر فدفنوها تحت كرسي سليمان ثم أثاروها وقرءوها على الناس وقالوا بهذا كان يظهر سليمان على الناس ويغلبهم فاكفر الناس سليمان عليه الصلاة والسلام فلم يزالوا يكفرونه وبعث ذلك الشيطان بالخاتم فطرحه في البحر فتلقته سمكة فأخذته، وكان سليمان عليه السلام يحمل على شط البحر بالأجر فجاء رجل فاشترى سمكا فيه تلك السمكة التي في بطنها الخاتم فدعا سليمان عليه الصلاة والسلام فقال تحمل لي هذا السمك ؟ فقال نعم قال بكم؟ قال بسمكة من هذا السمك قال فحمل سليمان عليه الصلاة والسلام السمك ثم انطلق به إلى منزله فلما انتهى الرجل إلى بابه أعطاه تلك السمكة التي في بطنها الخاتم فأخذها سليمان عليه الصلاة والسلام فشق بطنها فاذا الخاتم في جوفها فأخذه فلبسه ، قال فلما لبسه دانت له الجن والانس والشياطين وعاد إلى حاله وهرب الشيطان حتى لحق بجزيرة من جزائر البحر فأرسل سليمان عليه السلام في طلبه وكان شيطانا مريداً فجعلوا يطلبونه ولا يقدرون عليه حتى وجدوه يوما نائما فجاؤا فبنوا عليه بنيانا من رصاص فاستيقظ فوثب فجعل لا يثب في مكان من البيت إلا انماط معه من الرصاص ، قال فأخذوه فأوثقوه وجاؤا به إلى سليمان عليه الصلاة والسلام فأمر به فنقر له تخت من رخام ثم أدخل في جوفه ثم سد بالنحاس ثم أمر به فطرح في البحر فذلك قوله تبارك وتعالى (ولقد فتنا سليمان وألقينا على كرسيه جسداً ثم أناب) يعني الشيطان الذي كان سلط عليه ، إسناده إلى ابن عباس رضي الله عنهما قوي ، ولكن الظاهر انه انما تلقاه ابن عباس رضي الله عنهما ان صح عنه من أهل الكتاب وفيهم طائفة لا يعتقدون نبوة سليمان عليه الصلاة والسلام فالظاهر أنهم يكذبون عليه ، ولهذا كان في هذا السياق منكرات من أشدها ذكر النساء فان المشهور عن مجاهد وغير واحد من أئمة السلف أن ذلك الجني لم يسلط على نساء سليمان بل عصمهن الله عز وجل منه تشريفا وتكريما لنبيه عليه السلام ؟

وقد رويت هذه القصة مطولة عن جماعة من السلف رضي الله عنهم كسعيد بن المسيب وزيد بن أسلم وجماعة آخرين وكلها متلقاة من قصص أهل الكتاب والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب

وقال يحيى بن أبي عروبة الشيباني : وجد سليمان خاتمه بعسقلان فمشى في حرقه إلى بيت المقدس تواضعا لله عز وجل ، رواه ابن أبي حاتم

هريرة لأطوفن الليلة بمائة امرأة فقال له الملك قل إن شاء الله فلم يقل ونسي ، وأشهر الاقاويل أن الجسد الذي ألقي على كرسيه هو صخر الجني فذلك قوله عز وجل

﴿ وألقينا على كرسيه جسدا ثم أناب ﴾ أي رجع الى ملكه بعد أربعين يوما فلما رجع

وقد روى ابن أبي حاتم عن كعب الاحبار في صفة كرسي سليمان عليه الصلاة والسلام خبراً عجيبا فقال حدثنا أبي رحمه الله حدثنا أبو صالح كاتب الليث أخبرني أبو اسحاق المصري عن كعب الاحبار انه لما فرغ من حديث إرم ذات العماد قال له معاوية يا أبا اسحاق أخبرني عن كرسي سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام وما كان عليه ومن أي شيء هو؟ فقال كان كرسي سليمان من أنياب الفيلة مرصعا بالدر والياقوت والزبرجد واللؤلؤ ، وقد جعل له درجة منها مفصصا بالدر والياقوت والزبرجد ثم أمر بالكرسي فحف من جانبيه بالنخل نخل من ذهب شماريخها من ياقوت وزبرجد ولؤلؤ ، وجعل على رءوس النخل التي عن يمين الكرسي طواويس من ذهب ثم جعل على رءوس النخل التي على يسار الكرسي نسورا من ذهب مقابلة الطواويس ، وجعل على يمين الدرجة الاولى شجرتي صنوبر من ذهب عن يسارها أسدان من ذهب وعلى رءوس الاسدين عمودان من زبرجد ، وجعل من جانبي الكرسي شجرتي كرم من ذهب قد أظلتا الكرسي وجعل عناقيدهما درا وياقوتا أحمر ، ثم جعل فوق درج الكرسي أسدان عظيمان من ذهب مجوفان محشوان مسكا وعنبرا ، فاذا أراد سليمان عليه السلام أن يصعد على كرسيه استدار الأسدان ساعة ثم يقعان فينضحان ما في أجوافهما من المسك والعنبر حول كرسي سليمان عليه الصلاة والسلام ، ثم يوضع منبران من ذهب واحد لخليفته والآخر لرئيس أحبار بني إسرائيل ذلك الزمان ، ثم يوضع أمام كرسيه سبعون منبرا من ذهب يقعد عليها سبعون قاضيا من بني اسرائيل وعلمائهم وأهل الشرف منهم والطول ، ومن خلف تلك المنابر كلها خمسة وثلاثون منبرا من ذهب ليس عليها أحد فاذا أراد أن يصعد على كرسيه وضع قدميه على الدرجة السفلى فاستدار الكرسي كله بما فيه وما عليه ويبسط الاسد يده اليمنى وينشر النسر جناحه الايسر ثم يصعد سليمان عليه الصلاة والسلام على الدرجة الثانية فيبسط الاسد يده اليسرى وينشر النسر جناحه الايمن فاذا استوى سليمان عليه الصلاة والسلام على الدرجة الثالثة وقعد على الكرسي أخذ نسر من تلك النسور عظيم تاج سليمان عليه الصلاة والسلام فوضعه على رأسه فاذا وضعه على رأسه استدار الكرسي بما فيه كما تدور الرحى المسرعة، فقال معاوية رضي الله عنه : وما الذي يديره يا أبا اسحاق ؟ قال تنين من ذهب ذلك الكرسي عليه وهو عظيم مما عمله صخر الجني فاذا أحست بدورانه تلك الاسود والنسور والطواويس التي في أسفل الكرسي دون إلى أعلاه فاذا وقف وقفن كلهن منكسات رءوسهن على رأس سليمان عليه الصلاة والسلام وهو جالس ثم ينضحن جميعا ما في أجوافهن من المسك والعنبر على رأس سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام ، ثم تتناول حمامة من ذهب واقفة على عمود من جوهر التوراة فتجعلها في يده فيقرأها سليمان عليه الصلاة والسلام على الناس . وذكر تمام الخبر وهو غريب جدا

(قال رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي إنك أنت الوهاب) قال بعضهم

﴿قال رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي﴾ قال مقاتل وابن كيسان لا يكون لأحد من بعدي

معناه لا ينبغي لأحد من بعدي أي لا يصلح لأحد ان يسلبنيه بعدي كما كان من قضية الجسد الذي ألقي على كرسيه لأنه يحجر على من بعده من الناس . والصحيح انه سأل من الله تعالى ملكا لا يكون لأحد من بعده من البشر مثله وهذا هو ظاهر السياق من الآية وبذلك وردت الاحاديث الصحيحة من طرق عن رسول الله ﷺ.

قال البخاري عند تفسير هذه الآية حدثنا اسحاق بن ابراهيم أخبرنا روح ومحمد بن جعفر عن شعبة عن محمد بن زياد عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال « ان عفريتا من الجن تفلت علي البارحة أو كلمة نحوها ليقطع علي الصلاة فامكنني الله تبارك وتعالى منه وأردت أن أربطه إلى سارية من سواري المسجد حتى تصبحوا وتنظروا اليه كلكم فذكرت قول أخي سليمان عليه الصلاة والسلام (رب اغفرلي وهب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي) »قال روح فرده خاسئا وكذا رواه مسلم والنسائي من حديث شعبة به

وقال مسلم في صحيحه حدثنا محمد بن سلمة المرادي حدثنا عبدالله بن وهب عن معاوية بن صالح حدثني ربيعة بن يزيد عن أبي إدريس الخولاني عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال قام رسول الله ﷺ يصلي فسمعناه يقول « أعوذ بالله منك - ثم قال - ألعنك بلعنة الله » ثلاثا وبسط يده كأنه يتناول شيأ فلما فرغ من الصلاة قلنا يارسول الله سمعناك تقول في الصلاة شيئا لم نسمعك تقوله قبل ذلك ورأيناك بسطت يدك قال ﷺ « إن عدو الله إبليس جاء بشهاب من نار ليجعله في وجهي فقلت أعوذ بالله منك ثلاث مرات ثم قلت ألعنك بلعنة الله التامة فلم يستأخر ثلاث مرات ثم أردت أن آخذه والله لولا دعوة أخينا سليمان لأصبح موثقا يلعب به صبيان أهل المدينة »

وقال الامام أحمد حدثنا أبو أحمد ثنا ميسرة بن معبد حدثنا أبو عبيد حاجب سليمان قال رأيت عطاء بن يزيد الليثي قائما يصلي فذهبت أمر بين يديه فردني ثم قال حدثني أبو سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قام يصلي صلاة الصبح وهو خلفه فقرأ فالتبست عليه القراءة فلما فرغ من صلاته قال « لو رأيتموني وابليس فأهويت بيدي فما زلت أخنقه حتى وجدت برد لعابه بين أصبعي هاتين - الابهام والتي تليها - ولولا دعوة أخي سليمان لأصبح مربوطا بسارية من سواري المسجد يتلاعب به صبيان المدينة فمن استطاع منكم أن لا يحول بينه وبين القبلة أحد فليفعل » وقد روى أبو داود منه « من استطاع منكم أن لا يحول بينه وبين القبلة أحد فليفعل » عن أحمد بن أبي سريج عن أبي أحمد الزبيري به .

قال عطاء بن أبي رباح يريد هب لي ملكا لا تسلبنيه في آخر عمري وتعطيه غيري كما استلبته فيما مضى من عمري ﴿ انك أنت الوهاب ﴾ قيل سأل ذلك ليكون آية لنبوته ودلالة على رسالته ومعجزة، وقيل سأل ذلك ليكون علما على قبول توبته حيث أجاب الله دعاءه ورد اليه ملكه وزاده فيه، وقال مقاتل بن حيان كان لسليمان ملكا ، ولكنه أراد بقول (لا ينبغي لأحد من بعدي) تسخير الرياح والطير والشياطين بدليل ما بعده

وقال الامام أحمد حدثنا معاوية بن عمرو حدثنا ابراهيم بن محمد الفزاري حدثنا الأوزاعي حدثني ربيعة بن يزيد عن عبد الله الديلمي قال دخلت على عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما وهو في حائط له بالطائف يقال له الوهط وهو مخاصر فتى من قريش يزن ويشرب الخمر فقلت بلغني عنك حديث انه « من شرب شربة من الخمر لم يقبل الله عز وجل له توبة أربعين صباحا ، وان الشقي من شقي في بطن أمه ، وانه من أتى بيت المقدس لا تنهزه إلا الصلاة فيه خرج من خطيئته مثل يوم ولدته أمه » فلما سمع الفتى ذكر الخمر اجتذب يده من يده ثم انطلق، فقال عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما إني لا أحل لاحد أن يقول علي ما لم أقل سمعت رسول الله ﷺ يقول « من شرب من الخمر شربة لا تقبل له صلاة أربعين صباحا فان تاب تاب الله عليه فان عاد لم تقبل له صلاة أربعين صباحا فان تاب تاب الله عليه - قال فلا أدرى في الثالثة أو الرابعة قال - فان عاد كان حقا على الله تعالى أن يسقيه من طينة الخبال يوم القيامة » قال وسمعت رسول الله ﷺ يقول « إن الله عز وجل خلق خلقه في ظلمة ثم ألقى عليهم من نوره فمن أصابه من نوره يومئذ اهتدى ومن أخطأه ضل فلذلك أقول جف القلم على علم الله عز وجل » وسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ان سليمان عليه السلام سأل الله تعالى ثلاثا فأعطاه اثنتين ونحن نرجوا أن تكون لنا الثالثة ، سأله حكما يصادف حكمه فأعطاه إياه وسأله ملكا لا ينبغي لاحد من بعده ، فأعطاه إياه وسأله أيما رجل خرج من بيته لا يريد إلا الصلاة في هذا المسجد خرج من خطيئته كيوم ولدته أمه فنحن نرجوا أن يكون الله عز وجل قد أعطانا اياها » وقد روى هذا الفصل الاخير من هذا الحديث النسائي وابن ماجه من طرق عن عبد الله بن فيروز الديلمي عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ « ان سليمان عليه الصلاة والسلام لما بنى بيت المقدس سأل ربه عز وجل خلالا ثلاثا » وذكره وقد روي من حديث رافع بن عمير رضي الله عنه باسناد وسياق غريبين

فقال الطبراني حدثنا محمد بن الحسن بن قتيبة العسقلاني حدثنا محمد بن أيوب بن سويد حدثني أبي حدثنا ابراهيم بن أبي عبلة عن أبي الزاهرية عن رافع بن عمير قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « قال الله عز وجل لداود عليه الصلاة والسلام ابن لي بيتا في الارض فبنى داود بيتا لنفسه قبل البيت الذي أمر به فاوحى الله إليه ياداود نصبت بيتك قبل بيتي قال يارب هكذا قضيت من ملك استأثر ثم أخذ في بناء المسجد فلما تم السور سقط ثلاثا فشكا ذلك الى الله عز وجل فقال ياداود انك لاتصلح ان تبني لي بيتا قال ولم يارب ؟ قال لما جرى على يديك من الدماء ، قال يارب أوما كان

أخبرنا عبد الواحد المليحي انا احمد بن عبد الله النعيمي انا محمد بن يوسف حدثنا محمد بن اسماعيل ثنا محمد بن بشار ثنا محمد بن جعفر ثنا شعبة عن محمد بن زياد عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال « إن عفريتا من الجن تفلت البارحة ليقطع علي صلاتي فأمكنني الله منه فأخذته فأردت أن أربطه على سارية

ذلك في هواك ومحبتك؟ قال بلى ولكنهم عبادي وأنا أرحمهم فشق ذلك عليه فاوحى الله اليه لاتحزن فاني سأقضي بناءه على يدي ابنك سليمان فلما مات داود أخذ سليمان في بنائه ولما تم قرب القرابين وذبح الذبائح وجمع بني إسرائيل فاوحى الله اليه قد أرى سرورك ببنيان بيتي فسلني أعطك قال أسألك ثلاث خصال ، حكما يصادف حكمك وملكا لا ينبغي لأحد من بعدي ومن أتى هذا البيت لا يريد إلا الصلاة فيه خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه - قال رسول الله ﷺ - أما الثنتان فقد أعطيهما وأنا أرجو ان يكون قد أعطي الثالثة »

وقال الامام أحمد حدثنا عبد الصمد حدثنا عمر بن راشد اليمامي حدثنا اياس بن سلمة بن الاكوع عن أبيه رضي الله عنه قال ماسمعت رسول الله ﷺ دعا الا استفتحه « سبحان الله ربي العلي الاعلى الوهاب » وقد قال أبو عبيد حدثنا على بن ثابت عن جعفر بن برقان عن صالح بن مسمار قال : لما مات نبي الله داود عليه السلام أوحى الله تبارك وتعالى الى ابنه سليمان عليه الصلاة والسلام أن سلني حاجتك قال أسألك ان تجعل لى قلبا يخشاك كما كان قلب أبي وان تجعل قلبي يحبك كما كان قلب أبي فقال الله عزوجل : أرسلت الى عبدي وسألته حاجته فكانت حاجته ان أجعل قلبه يخشاني وان أجعل قلبه يحبني لأهبن له ملكا لا ينبغي لأحد من بعده .

قال الله جلت عظمته (فسخرنا له الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب) والتى بعدها قال فاعطاه ما أعطاه وفي الآخرة لاحساب عليه هكذا أورده أبو القاسم ابن عساكر في ترجمة سليمان عليه الصلاة والسلام في تاريخه ، وروي عن بعض السلف انه قال بلغني عن داود عليه الصلاة والسلام انه قال الهي كن لسليمان كما كنت لي فاوحى الله عز وجل اليه : قل لسليمان ان يكون لي كما كنت لي أكن له كما كنت لك .

وقوله تبارك وتعالى (فسخرنا له الريح تجري بامره رخاء حيث أصاب) قال الحسن البصرى رحمه الله لما عقر سليمان عليه الصلاة والسلام الخيل غضبا لله عز وجل عوضه الله تعالى ما هو خير منها وأسرع الريح التى غدوها شهر ورواحها شهر

وقوله جل وعلا (حيث أصاب) أى حيث أراد من البلاد وقوله جل جلاله (والشياطين كل بناء وغواص) أي منهم من هو مستعمل في الابنية الهائلة من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب

من سواري المسجد حتى تنظروا اليه كلكم فذكرت دعوة أخي سليمان (رب هب لي ملكا لاينبغي لأحد من بعدي) فرددته خاسئا »

قوله عز وجل ﴿ فسخرنا له الريح تجري بأمره رخاء ﴾ لينة ليست بعاصفة ﴿ حيث أصاب ﴾ حيث أراد تقول العرب أصاب الصواب فأخطأ الجواب تريد أراد الصواب ﴿ والشياطين ﴾ أي وسخرنا له الشياطين ﴿ كل بناء ﴾ يبنون له مايشاء من محاريب وتماثيل ﴿ وغواص ﴾ يستخرجون له اللآلىء من

وقدور راسيات الى غير ذلك من الاعمال الشاقة التي لا يقدر عليها البشر، وطائفة غواصون في البحار يستخرجون ما فيها من اللآلي، والجواهر والاشياء النفيسة التى لا توجد الا فيها (وآخرين مقرنين في الاصفاد) أى موثوقون في الاغلال والا كبال ممن قد تمرد وعصى، وامتنع من العمل وأبى ، أو قد أساء في صنيعه واعتدى

وقوله عز وجل (هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب) أي هذا الذي أعطيناك من الملك التام والسلطان الكامل كما سألتنا فاعط من شئت وأحرم من شئت لاحساب عليك أي مهما فعلت فهو جائز لك احكم بما شئت فهو صواب

وقد ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ لما خير بين أن يكون عبداً رسولا وهو الذي يفعل مايؤمر به وانما هو قاسم يقسم بين الناس كما أمره الله تعالى به وبين أن يكون نبيا ملكا يعطي من يشاء ويمنع من يشاء بلا حساب ولاجناح اختار المنزلة الاولى بعد ما استشار جبريل عليه الصلاة والسلام فقال له تواضع فاختار المنزلة الاولى لانها أرفع قدراً عند الله عز وجل وأعلى منزلة في المعاد وان كانت المنزلة الثانية وهي النبوة مع الملك عظيمة أيضا في الدنيا والآخرة ، ولهذا لما ذكر تبارك وتعالى ماأعطى سليمان عليه الصلاة والسلام في الدنيا نبه تعالى على أنه ذو حظ عظيم عند الله يوم القيامة أيضا فقال تعالى (وان له عندنا لزلفى وحسن مآب) أي في الدار الآخرة

واذكر عبدنا أيوب إذ نادى ربه أني مسنيَ الشيطٰن بنُصب وعذاب (٤١) اركض برجلك هذا مُغتسل بارد وشراب (٤٢) ووهبنا له أهله ومثلهم معهم رحمة منا وذكرى لأولي الالبٰب (٤٣) وخذ بيدك ضِغثاً فاضرب به ولا تحنث إنا وجدنٰه صابرا نعم العبدُ انه أواب (٤٤)

يذكر تبارك وتعالى عبده ورسوله أيوب عليه الصلاة والسلام وما كان ابتلاه تعالى به من الضر

البحر وهو أول من استخرج اللؤلؤ من البحر ﴿ وآخرين مقرنين في الاصفاد ﴾ مشدودين في القيود أي وسخرنا له آخرين يعني مردة الشياطين سخروا له حتى قرنهم في الاصفاد ﴿ هذا عطاؤنا ﴾ أي قلنا له هذا عطاؤنا ﴿ فامنن أو أمسك ﴾ المن هو الاحسان إلى من تثيبه ومن لاتثيبه معناه اعط من شئت وامسك عمن شئت ﴿ بغير حساب ﴾ لاحرج عليك فيما أعطيت وفيما أمسكت ، قال الحسن ماأنعم الله على أحد نعمة الا عليه تبعة ، إلا سليمان فانه إن أعطى أوجر وان لم يعط لم يكن عليه تبعة وقال مقاتل هذا في أمر الشياطين يعني خل من شئت منهم وأمسك من شئت في وثاقك لاتبعة عليك فيما تتعاطاه ﴿ وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب ﴾

قوله عز وجل ﴿ واذكر عبدنا أيوب اذ نادى ربه أني مسني الشيطان بنصب ﴾ بمشقة وضر

في جسده وماله وولده حتى لم يبق من جسده مغرز إبرة سليما سوى قلبه ، ولم يبق له من الدنيا شيء يستعين به على مرضه وماهو فيه غير أن زوجته حفظت وده لايمانها بالله تعالى ورسوله فكانت تخدم الناس بالاجرة وتطعمه وتخدمه نحواً من ثماني عشرة سنة ، وقد كان قبل ذلك في مال جزيل وأولاد وسعة طائلة من الدنيا ، فسلب جميع ذلك حتى آل به الحال الى أن ألقي على مزبلة من مزابل البلدة هذه المدة بكمالها ورفضه القريب والبعيد سوى زوجته رضي الله عنها فانها كانت لاتفارقه صباحا ومساء إلا بسبب خدمة الناس ثم تعود اليه قريبا ، فلما طال المطال ، واشتد الحال ، وانتهى القدر ، وتم الاجل ، المقدر تضرع لرب العالمين وإله المرسلين فقال إني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين) وفي هذه الآية الكريمة قال (واذكر عبدنا أيوب اذ نادى ربه أني مسني الشيطان بنصب وعذاب) قيل بنصب في بدني وعذاب في مالي وولدي فعند ذلك استجاب له أرحم الراحمين وأمره أن يقوم من مقامه وأن يركض الارض برجله ففعل فأنبع الله تعالى عينا وأمره أن يغتسل منها فأذهبت جميع ما كان فيه بدنه من الاذى ، ثم أمره فضرب الارض في مكان آخر فأنبع له عينا أخرى وأمره أن يشرب منها فأذهبت جميع ما كان في باطنه من السوء وتكاملت العافية ظاهراً وباطنا ، ولهذا قال تبارك وتعالى (اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب)

قال ابن جرير وابن أبي حاتم جميعا حدثنا يونس بن عبد الاعلى أخبرنا ابن وهب أخبرني نافع ابن يزيد عن عقيل عن ابن شهاب عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : ان رسول الله ﷺ قال « ان نبي الله أيوب عليه الصلاة والسلام لبث به بلاؤه ثماني عشرة سنة فرفضه القريب والبعيد إلا رجلين كانا من أخص إخوانه به كانا يغدوان اليه ويروحان ، فقال أحدهما لصاحبه تعلم والله لقد أذنب أيوب ذنبا ما أذنبه أحد من العالمين قال له صاحبه وماذاك ؟ قال منذ ثماني عشرة سنة لم يرحمه تعالى الله فيكشف مابه فلما راحا اليه لم يصبر الرجل حتى ذكر ذلك له ، فقال أيوب عليه الصلاة والسلام لا أدري ماتقول غير أن الله عز وجل يعلم أني كنت أمر على الرجلين يتنازعان فيذكران الله تعالى فأرجع الى بيتي فأكفر عنهما كراهية أن يذكر الله تعالى إلا في حق ، قال وكان يخرج الى حاجته فاذا قضاها أمسكت امرأته بيده حتى يبلغ فلما كان ذات يوم أبطأ عليها فأوحى الله تبارك وتعالى إلى أيوب عليه

قرأ أبو جعفر (بنصب) بضم النون والصاد وقرأ يعقوب بفتحهما وقرأ الآخرون بضم النون وسكون الصاد ومعنى الكل واحد قال قتادة ومقاتل (بنصب في الجسد ﴿ وعذاب ﴾ في المال وقد ذكرنا قصة أيوب ومدة ابتلائه في سورة الانبياء عليهم السلام فلما انقضت مدة بلائه قيل له ﴿ اركض برجلك ﴾ اضرب برجلك الارض ففعل فنبعت عين ماء ﴿ هذا مغتسل ﴾ فأمره الله أن يغتسل منها ففعل فذهب كل داء كان بظاهره ثم مشى أربعين خطوة فركض الارض برجله الاخرى فنبعت عين أخرى ماء عذبا بارداً فشرب منها فذهب كل داء كان بباطنه فقوله (هذا مغتسل) ﴿ بارد ﴾ يعني الذي

الصلاة والسلام أن (اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب) فاستبطأته فالتفتت تنظر فأقبل عليها قد أذهب الله مابه من البلاء وهو على أحسن ما كان فلما رأته قالت أي بارك الله فيك هل رأيت نبي الله هذا المبتلى؟ فوالله على ذلك مارأيت رجلا أشبه به منك اذ كان صحيحا قال فاني أناهو قال وكان له اندران اندر للقمح واندر للشعير فبعث الله تعالى سحابتين فلما كانت إحداهما على اندر القمح أفرغت فيه الذهب حتى فاض وأفرغت الاخرى في اندرالشعير حتى فاض هذا لفظ ابن جرير رحمه الله

وقال الامام أحمد حدثنا عبدالرزاق حدثنا معمر عن همام بن منبه قال: هذا ماحدثنا أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ « بينما أيوب يغتسل عريانا خر عليه جراد من ذهب فجعل أيوب عليه الصلاة والسلام يحثو في ثوبه فناداه ربه عز وجل يا أيوب ألم أكن أغنيتك عما ترى قال عليه الصلاة والسلام بلي يارب ولكن لا غنى بي عن بركتك » انفرد باخراجه البخاري من حديث عبدالرزاق به ، ولهذا قال تبارك وتعالى (ووهبناله أهله ومثلهم معهم رحمة مناوذكرى لأولي الالباب) قال الحسن وقتادة أحياهم الله تعالى له باعيانهم وزادهم مثلهم معهم

وقوله عز وجل (رحمة منا) أي به على صبره وثباته وانابته وتواضعه واستكانته (وذكرى لأولي الالباب) أي لذوي العقول ليعلموا أن عاقبة الصبر الفرج والمخرج والراحة

وقوله جلت عظمته (وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث) وذلك أن أيوب عليه الصلاة والسلام كان قد غضب على زوجته ووجد عليها في أمر فعلته قيل باعت ضفيرتها بخبز فأطعمته إياه فلامها على ذلك وحلف ان شفاه الله تعالى ليضربنها مائة جلدة ، وقيل لغير ذلك من الاسباب فلما شفاه الله عز وجل وعافاه ما كان جزاؤها مع هذه الخدمة التامة والرحمة والشفقة والاحسان أن تقابل بالضرب فأفتاه الله عز وجل أن يأخذ ضغثا وهو الشمراخ فيه مائة قضيب فيضربها به ضربة واحدة وقدبرت يمينه وخرج من حنثه ووفى بنذره ، وهذا من الفرج والمخرج لمن اتقى الله تعالى وأناب اليه ولهذا قال جل وعلا (إنا وجدناه صابراً نعم العبد انه أواب) أثنى الله تعالى عليه ومدحه بأنه (نعم العبد انه أواب) أي رجاع منيب ، ولهذا قال جل جلاله (ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب * ومن يتوكل على الله فهوحسبه ان الله بالغ أمره قدجعل الله لكل شيء قدرا) واستدل كثير من الفقهاء بهذه الآية الكريمة على مسائل في الايمان وغيرها ، وقد أخذوها بمقتضاها والله أعلم بالصواب

واذكر عبدنا إبراهيم واسحق ويعقوب أولي الايدي والابصر (٤٥) إنا أخلصنهم

اغتسل منه بارد ﴿ وشراب ﴾ أراد الذي شرب منه ﴿ ووهبنا له اهله ومثلهم معهم رحمة منا وذكرى لأولي الالباب * وخذ بيدك ضغثا ﴾ وهو ملء الكف من الشجر أو الحشيش ﴿فاضرب به ولا تحنث﴾ في يمينك وكان قد حلف أن يضرب امرأته مائة سوط فأمره الله أن يأخذ ضغثا يشتمل على مائة عود صغار يضربها به ضربة واحدة ﴿ إنا وجدناه صابرا نعم العبد إنه أواب * واذكر عبادنا ﴾ قرأ

بخالصةٍ ذكرى الدار (٤٦) وإنهم عندنا لمن المصطفين الأخيار (٤٧) واذكر اسمعيل
واليسع وذا الكفل وكلٌّ من الاخيار (٤٨) هذا ذكرٌ

يقول تبارك وتعالى مخبراً عن فضائل عباده المرسلين وأنبيائه العابدين (واذكر عبادنا ابراهيم وإسحاق ويعقوب أولي الايدي والابصار] يعني بذلك العمل الصالح والعلم النافع والقوة في العبادة والبصيرة النافذة . قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما [أولي الايدي] يقول أولي القوة (والابصار) يقول الفقه في الدين . وقال مجاهد [أولي الايدي] يعني القوة في طاعة الله تعالى والابصار يعني البصر في الحق وقال قتادة والسدي أعطوا قوة في العبادة وبصراً في الدين

وقوله تبارك وتعالى [إنا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار] قال مجاهد أي جعلناهم يعملون للآخرة ليس لهم هم غيرها وكذا قال السدي ذكرهم للآخرة وعملهم لها ، وقال مالك بن دينار نزع الله تعالى من قلوبهم حب الدنيا وذكرها وأخلصهم بحب الآخرة وذكرها ، وكذا قال عطاء الخراساني ، وقال سعيد بن جبير يعني بالدار الجنة يقول أخلصناها لهم بذكرهم لها ، وقال في رواية أخرى ذكرى الدار عقبى الدار ، وقال قتادة كانوا يذكرون الناس الدار الآخرة والعمل لها ، وقال ابن زيد جعل لهم خاصة أفضل شيء في الدار الآخرة

وقوله تعالى [وإنهم عندنا لمن المصطفين الاخيار] أي لمن المختارين المجتبين الاخيار فهم أخيار مختارون . وقوله تعالى [واذكر إسماعيل واليسع وذا الكفل وكل من الاخيار] قد تقدم الكلام على قصصهم وأخبارهم مستقصاة في سورة الانبياء عليهم الصلاة والسلام بما أغنى عن إعادته ههنا وقوله عز وجل [هذا ذكر] أي هذا فصل فيه ذكر لمن يتذكر ، وقال السدي يعني القرآن العظيم

ابن كثير عبدنا على التوحيد وقرأ الآخرون عبادنا بالجمع ﴿ ابراهيم واسحاق ويعقوب أولي الايدي قال ابن عباس أولي القوة في طاعة الله ﴿ والابصار ﴾ في المعرفة بالله أى البصائر في الدين قال قتادة ومجاهد أعطوا قوة في العبادة وبصرا في الدين ﴿ إنا أخلصناهم ﴾ اصطفيناهم ﴿ بخالصة ذكرى الدار ﴾ قرأ أهل المدينة بخالصة مضافا وقرأ الآخرون بالتنوين فمن أضاف فمعناه أخلصناهم بذكر الدار الآخرة وأن يعملوا لها والذكرى بمعنى الذكر قال مالك بن دينار نزعنا من قلوبهم حب الدنيا وذكرها وأخلصناهم بحب الآخرة وذكرها وقال قتادة كانوا يدعون الى الآخرة والى الله عز وجل وقال السدي أخلصوا بخوف الآخرة وقيل معناه أخلصناهم بأفضل ما في الآخرة ، قال ابن زيد ومن قرأ بالتنوين فمعناه بخلة خالصة وهي ذكرى الدار فيكون ذكرى الدار بدلا عن الخالصة وقيل أخلصناهم جعلناهم مخلصين بما اخبرنا عنهم من ذكر الآخرة ﴿ وإنهم عندنا لمن المصطفين الاخيار * واذكر اسماعيل واليسع وذا الكفل وكل من الاخيار * هذا ذكر ﴾ أي هذا الذي يتلى عليكم ذكر وقيل

وإن للمتقين لحسن مآبٍ (٤٩) جنّـٰتِ عدن مفتّحةً لهم الابوابُ (٥٠) متكئين فيها يدعون فيها بفـٰكهة كثيرة وشراب (٥١) وعندهم قـٰصرٰت الطرف أترابٌ (٥٢) هذا ماتوعدون ليوم الحساب (٥٣) ان هذا لرزقنا ماله من نفاد (٥٤)

يخبر تعالى عن عباده المؤمنين السعداء أن لهم في الدار الآخرة لحسن مآب وهو المرجع والمنقلب ثم فسره بقوله تعالى (جنات عدن) أي جنات اقامة مفتحة لهم الابواب والالف واللام ههنا بمعنى الاضافة كأنه يقول مفتحة لهم أبوابها أي اذا جاءوها فتحت لهم أبوابها

قال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن ثواب الهباري حدثنا عبدالله بن نمير حدثنا عبدالله بن مسلم يعني ابن هرمز عن ابن سابط عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ « إن في الجنة قصراً يقال له عدن حوله البروج والمروج له خمسة آلاف باب عنه كل باب خمسة آلاف حبرة لايدخله أو لا يسكنه إلا نبي أو صديق أو شهيد أو إمام عدل » وقد ورد في ذكر أبواب الجنة الثمانية أحاديث كثيرة من وجوه عديدة

وقوله عز وجل (متكئين فيها) قيل متربعين على سرر تحت الحجال (يدعون فيها بفاكهة كثيرة) أي مهما طلبوا وجدوا وأحضر كما أرادوا (وشراب) أي من أى أنواعه شاءوا أتتهم به الخدام (بأكواب وأباريق وكأس من معين) (وعندهم قاصرات الطرف) أي عن غير أزواجهن فلا يلتفتن إلى غير بعولتهن (أتراب) أي متساويات في السن والعمر هذا معنى قول ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وسعيد بن جبير ومحمد بن كعب والسدي (هذا ماتوعدون ليوم الحساب) أى هذا الذى ذكرنا من صفة الجنة هي التي وعدها لعباده المتقين التي يصيرون اليها بعد نشورهم وقيامهم من قبورهم وسلامتهم من النار

ثم أخبر تبارك وتعالى عن الجنة انه لافراغ لها ولا زوال ولا انقضاء ولا انتهاء فقال تعالى (إن هذا لرزقنا ماله من نفاد) كقوله عز وجل (ماعندكم ينفد وما عند الله باق) وكقوله جل وعلا (عطاء غير مجذوذ) وكقوله تعالى (لهم أجر غير ممنون) أي غير مقطوع وكقوله عز وجل (أكلها دائم وظلها تلك عقبي الذين اتقوا وعقبي الكافرين النار) والآيات في هذا كثيرة جدا

ذكر أي شرف وذكر جميل تذكرون به ﴿ وإن للمتقين لحسن مآب * جنات عدن مفتحة لهم الابواب ﴾ أي أبوابها مفتحة لهم ﴿ متكئين فيها يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب * وعندهم قاصرات الطرف أتراب ﴾ مستويات الاسنان بنات ثلاث وثلاثين سنة واحدها ترب وعن مجاهد قال متواخيات لايتباغضن ولا يتغايرن ﴿ هذا ماتوعدون ﴾ قرأ ابن كثير يوعدون بالياء ههنا وفي (ق) أي مايوعد المتقون وافق أبو عمرو ههنا، وقرأ الباقون بالتاء فيهما أي قل للمؤمنين هذا ماتوعدون ﴿ ليوم الحساب ﴾

هذا وإن للطاغين لشر مئاب (٥٥) جهنم يصلونها فبئس المهاد (٥٦) هذا فليذوقوه

حميم وغساق (٥٧) وآخر من شكله أزواج (٥٨) هذا فوج مقتحم معكم لا مرحباً بهم

إنهم صالو النار (٥٩) قالوا بل أنتم لا مرحباً بكم أنتم قدمتموه لنا فبئس القرار (٦٠)

قالوا ربنا من قدم لنا هذا فزده عذاباً ضعفاً في النار (٦١) وقالوا مالنا لا نري رجالا

كنا نعدهم من الاشرار؟ (٦٢) أتخذناهم سخريا أم زاغت عنهم الابصر؟ (٦٣) ان ذلك

لحق تخاصم أهل النار (٦٤)

لما ذكر تبارك وتعالى مآل السعداء ثنى بذكر حال الاشقياء ومرجعهم ومآبهم في دار معادهم وحسابهم فقال عز وجل (هذا وان للطاغين) وهم الخارجون عن طاعة الله عز وجل المخالفون لرسل الله ﷺ (لشر مآب) أي لسوء منقلب ومرجع، ثم فسره بقوله جل وعلا (جهنم يصلونها) أي يدخلونها فتغمرهم من جميع جوانبهم (فبئس المهاد * هذا فليذوقوه حميم وغساق) أما الحميم فهو الحار الذي قد انتهى حره، وأما الغساق فهو ضده وهو البارد الذي لا يستطاع من شدة برده المؤلم ولهذا قال عز وجل [وآخر من شكله أزواج] أي وأشياء من هذا القبيل: السيء وضده يعاقبون بها

قال الامام أحمد حدثنا حسن بن موسى حدثنا ابن لهيعة حدثنا دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال «لو أن دلواً من غساق يهراق في الدنيا لأنتن أهل الدنيا» ورواه الترمذي عن سويد بن نصر عن ابن المبارك عن رشدين بن سعد عن عمرو بن الحارث عن دراج به

أي في يوم الحساب ﴿إن هذا لرزقنا ماله من نفاد﴾ فناء وانقطاع ﴿هذا﴾ أي الامر هذا ﴿وان للطاغين﴾ للكافرين ﴿لشر مآب﴾ مرجع ﴿جهنم يصلونها﴾ يدخلونها ﴿فبئس المهاد * هذا﴾ أي هذا العذاب ﴿فليذوقوه حميم وغساق﴾ قال الفراء أي هذا حميم وغساق فليذوقوه والحميم الماء الحار الذي انتهى حره وغساق قرأ حمزة والكسائي وحفص وغساق حيث كان بالتشديد وخففها الآخرون فمن شدد جعله اسما على فعال نحو الخباز والطباخ ومن خفف جعله اسما على فعال نحو العذاب واختلفوا في معنى الغساق قال ابن عباس هو الزمهرير يحرقهم ببرده كما تحرقهم النار بحرها قال مقاتل ومجاهد هو الذي انتهى برده، وقيل هو المنتن بلغة الترك وقال قتادة هو ما يغسق أي يسيل من القيح والصديد من جلود أهل النار ولحومهم وفروج الزناة من قولهم غسقت عينه اذا انصبت والغسقان الانصباب ﴿وآخر﴾ قرأ أهل البصرة وأخر بضم الالف على جمع أخرى مثل الكبرى والكبر واختاره أبو عبيدة لانه نعته بالجمع فقال أزواج وقرأ الآخرون بفتح الهمزة مشبعة على الواحد ﴿من شكله﴾ مثله أي

ثم قال لا نعرفه إلا من حديث رشدين كذا قال وقد تقدم من غير حديثه ، ورواه ابن جرير عن يونس ابن عبد الاعلى عن ابن وهب عن عمرو بن الحارث به

وقال كعب الاحبار : غساق عين في جهنم يسيل اليها حمة كل ذات حمة من حية وعقرب وغير ذلك فيستنقع فيؤتى بالآدمي فيغمس فيها غمسة واحدة فيخرج وقد سقط جلده ولحمه عن العظام ويتعلق جلده ولحمه في كعبيه وعقبيه ويجر لحمه كله كما يجر الرجل ثوبه ، رواه ابن أبي حاتم

وقال الحسن البصري في قوله تعالى [وآخر من شكله أزواج] ألوان من العذاب، وقال غيره كالزمهرير والسموم وشراب الحميم وأكل الزقوم والصعود والهوي إلى غير ذلك من الاشياء المختلفة المتضادة والجميع مما يعذبون به ، ويهانون بسببه

وقوله عز وجل [هذا فوج مقتحم معكم لا مرحبا بهم انهم صالو النار] هذا إخبار من الله تعالى عن قيل أهل النار بعضهم لبعض كما قال تعالى (كلما دخلت أمة لعنت أختها] يعني بدل السلام يتلاعنون ويتكاذبون ويكفر بعضهم ببعض فتقول الطائفة التي تدخل قبل الاخرى إذا أقبلت التي بعدها مع الخزنة من الزبانية (هذا فوج مقتحم) أي داخل (معكم لا مرحبا بهم إنهم صالو النار) أي لانهم من أهل جهنم (قالوا بل أنتم لا مرحبا بكم) أي فيقول لهم الداخلون (بل أنتم لا مرحبا بكم) أنتم قدمتموه لنا) أي أنتم دعوتمونا إلى ما أفضى بنا إلى هذا المصير (فبئس القرار) أي فبئس المنزل والمستقر والمصير (قالوا ربنا من قدم لنا هذا فزده عذابا ضعفاً في النار) كما قال عز وجل (قالت أخراهم لأولاهم ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذابا ضعفا من النار * قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون) أي لكل منكم عذاب بحسبه (وقالوا ما لنا لا نرى رجالا كنا نعدهم من الاشرار؟ * أتخذناهم سخريا

مثل الحميم والغساق ﴿ أزواج ﴾ أى اصناف أخر من العذاب ﴿ هذا فوج مقتحم معكم ﴾ قال ابن عباس هذا هو أن القادة اذا ادخلوا النار ثم دخل بعدهم الاتباع قالت الخزنة للكفار هذا يعني الاتباع فوج جماعة مقتحم معكم النار أى داخلوها كما أنتم دخلتموها، والفوج القطيع من الناس وجمعه أفواج والاقتحام الدخول في الشيء رميا بنفسه فيه قال الكلبي انهم يضربون بالمقامع حتى يوقعوا أنفسهم في النار خوفاً من تلك المقامع فقالت القادة ﴿ لا مرحبا بهم ﴾ يعني بالاتباع ﴿ انهم صالو النار ﴾ اي داخلوها كما صلينا ﴿ قالوا ﴾ فقال الاتباع للقادة ﴿ بل أنتم لا مرحبا بكم ﴾ والمرحب والرحب السعة تقول العرب مرحبا وأهلا وسهلا أى أتيت رحبا وسعة وتقول لا مرحبا بك أي لا رحبت عليك الارض ﴿ أنتم قدمتموه لنا ﴾ يقول الاتباع للقادة أنتم بدأتم بالكفر قبلنا وشرعتم وسننتموه لنا وقيل أنتم قدمتم هذا العذاب لنا بدعائكم ايانا الى الكفر ﴿ فبئس القرار ﴾ أى فبئس دار القرار جهنم ﴿ قالوا ﴾ يعني الاتباع ﴿ ربنا من قدم لنا هذا ﴾ أي شرعه وسنه لنا ﴿ فزده عذابا ضعفا في النار ﴾ أي ضعف عليه العذاب في النار قال ابن مسعود يعني حيات وأفاعي ﴿ وقالوا ﴾ يعني صناديد قريش وهم في

أم زاغت عنهم الابصار ؟) هذا إخبار عن الكفار في النار أنهم يفتقدون رجالا كانوا يعتقدون انهم على الضلالة وهم المؤمنون في زعمهم قالوا مالنا لانراهم معنا في النار ؟قال مجاهد هذا قول أبي جهل يقول مالي لاأرى بلالا وعمارا وصهيبا وفلانا وفلانا . وهذا ضرب مثل وإلا فكل الكفار هذا حالهم يعتقدون أن المؤمنين يدخلون النار ، فلما دخل الكفار النار افتقدوهم فلم يجدوهم فقالوا (مالنا لانرى رجالا كنا نعدهم من الاشرار؟ *أتخذناهم سخريا) أي في الدار الدنيا (أمزاغت عنهم الابصار ؟)يسلون أنفسهم بالمحال يقولون أو لعلهم معنا في جهنم ولكن لم يقع بصرنا عليهم، فعند ذلك يعرفون انهم في الدرجات العاليات وهو قوله عز وجل (ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ماوعد ربكم حقا؟ قالوا نعم فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين ـ إلى قوله ـ ادخلوا الجنة لاخوف عليكم ولا أنتم تحزنون)

وقوله تعالى (ان ذلك لحق تخاصم أهل النار) أي ان هذا الذي أخبرناك به يامحمد من تخاصم أهل النار بعضهم في بعض ولعن بعضهم لبعض لحق لامرية فيه ولاشك

قل إنما أنا منذر وما من إله الا الله الواحد القهار (٦٥) رب السموات والارض وما بينهما العزيز الغفر (٦٦) قل هو نبؤ عظيم (٦٧) أنتم عنه معرضون (٦٨) ماكان لي من علم بالملأ الأعلى إذ يختصمون (٦٩) إن يوحى إلي إلا أنما أنا نذير مبين (٧٠)

يقول تعالى آمرا رسوله ﷺ أن يقول للكفار بالله المشركين به المكذبين لرسوله انما أنا منذر

النار ﴿ مالنا لانرى رجالا كنا نعدهم ﴾ في الدنيا ﴿من الاشرار ؟ ﴾ يعنون فقراء المؤمنين عمارا وخبابا وصهيبا وبلالا وسلمان رضي الله عنهم ثم ذكروا أنهم كانوا يسخرون من هؤلاء فقالوا ﴿ أتخذناهم سخريا ﴾ قرأ أهل البصرة وحمزة والكسائي (من الاشرار اتخذناهم) وصل ويكسرون الالف عند الابتداء، وقرأ الاخرون بقطع الالف وفتحها على الاستفهام قال أهل المعاني القراءة الاولى أولى لانهم علموا انهم اتخذوهم سخريا فلا يستقيم الاستفهام وتكون أم على هذه القراءة بمعنى بل ومن فتح الالف قال هو على اللفظ لا على المعنى ليعادل أم في قوله أم زاغت عنهم الابصار قال الفراء هذا من الاستفهام الذي معناه التوبيخ والتعجب ﴿ أم زاغت ﴾ أي مالت ﴿ عنهم الابصار ﴾ ومجاز الآية ما لنا لا نرى هؤلاء الذين اتخذناهم سخريا لم يدخلوا معنا النار أم دخلوها فزاغت عنهم أبصارنا فلم نرهم حين دخلوا وقيل أم هم في النار ولكن احتجبوا عن أبصارنا، وقال ابن كيسان يعني أم كانوا خيراً منا ولكن نحن لا نعلم وكانت أبصارنا تزيغ عنهم في الدنيا فلا نعدهم شيئاً ﴿ ان ذلك ﴾ الذي ذكرت ﴿ لحق ﴾ ثم بين فقال (تخاصم أهل النار) أي تخاصم أهل النار في النار لحق ﴿ قل يامحمد ﴾

لست كما تزعمون (وما من إله الا الله الواحد القهار) أى هو وحده قد قهر كل شيء وغلبه (رب السموات والارض وما بينهما) أى هو مالك جميع ذلك ومتصرف فيه (العزيز الغفار) أى غفار مع عظمته وعزته (قل هو نبأ عظيم) أى خبر عظيم وشأن بليغ وهو إرسال الله تعالى اياي اليكم (أنتم عنه معرضون) أي غافلون، قال مجاهد وشريح القاضي والسدي في قوله عز وجل (قل هو نبأ عظيم) يعني القرآن

وقوله تعالى (ماكان لي من علم بالملأ الأعلى إذ يختصمون) أي لولا الوحي من أين كنت أدري باختلاف الملأ الأعلى؟ يعني في شأن آدم عليه الصلاة والسلام وامتناع ابليس من السجود له ومحاجته ربه في تفضيله عليه. فأما الحديث الذى رواه الامام أحمد حيث قال حدثنا أبو سعيد مولى بني هاشم حدثنا جهضم اليمامي عن يحيى بن أبي كثير عن زيد بن أبي سلام عن أبي سلام عن عبد الرحمن بن عائش عن مالك بن يخامر عن معاذ رضي الله عنه قال احتبس علينا رسول الله ﷺ ذات غداة من صلاة الصبح حتى كدنا نتراءى قرن الشمس فخرج ﷺ سريعا فثوّب بالصلاة فصلى وتجوز في صلاته فلما سلم قال ﷺ «كما أنتم» ثم أقبل الينا فقال «اني قمت من الليل فصليت ماقدر لي فنعست في صلاتي حتى استيقظت فاذا أنا بربي عز وجل في أحسن صورة فقال يا محمد أتدري فيم يختصم الملأ الأعلى؟ قلت لاأدري يارب — اعادها ثلاثا— فرأيته وضع كفه بين كتفي حتى وجدت برد أنامله بين صدري فتجلى لي كل شيء وعرفت فقال يامحمد فيم يختصم الملأ الاعلى؟ قلت في الكفارات، قال وما

لمشركي مكة ﴿انما أنا منذر﴾ مخوف ﴿وما من إله الا الله الواحد القهار* رب السموات والارض وما بينهما العزيز الغفار﴾ قوله ﴿قل﴾ يامحمد ﴿هو﴾ يعني القرآن ﴿نبأ عظيم﴾ قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة وقيل هو يعني القيامة لقوله (عم يتساءلون عن النبأ العظيم) ﴿أنتم عنه معرضون ما كان لي من علم بالملأ الاعلى﴾ يعني الملائكة ﴿اذ يختصمون﴾ يعني في شأن آدم عليه السلام حين قال الله تعالى اني جاعل في الارض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ﴿ان يوحى الي الا أنما انا نذير مبين﴾ قال الفراء إن شئت جعلت انما في موضع رفع أي ما يوحى الي الا الانذار وان شئت جعلت المعنى ما يوحى الي الا أني نذير مبين وقرأ أبو جعفر انما بكسر الالف لان الوحي قول، أخبرنا عبدالواحد ابن احمد المليحي أنا أبو منصور السمعاني ثنا ابو جعفر الرياني ثنا حميد بن زنجويه ثنا هشام بن عمار ثنا صدقة بن خالد ثنا عبد الرحمن بن يزيد بن جابر قال مر بنا خالد بن الحلاج فدعاه مكحول فقال ياأبا ابراهيم حدثنا حديث عبد الرحمن بن عائش، قال سمعت عبدالرحمن بن عائش الحضرمي يقول قال النبي ﷺ «رأيت ربي في أحسن صورة فقال فيم يختصم الملأ الاعلى يامحمد؟ قلت أنت أعلم أي رب مرتين فوضع كفه بين كتفي فوجدت بردها بين ثديي فعلمت ما في السماء والارض - قال ثم تلا هذه الآية - (وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين) ثم قال فيم يختصم الملأ الاعلى

الكفارات؟ قلت نقل الاقدام إلى الجماعات والجلوس في المساجد بعد الصلوات وإسباغ الوضوء عند الكريهات ؟ قال وما الدرجات ؟ قلت إطعام الطعام ولين الكلام والصلاة والناس نيام . قال سل قلت اللهم اني أسألك فعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين وأن تغفر لي وترحمني ، وإذا أردت فتنة بقوم فتوفني غير مفتون ، وأسألك حبك وحب من يحبك وحب عمل يقربني الى حبك — وقال رسول الله ﷺ — انها حق فادرسوها وتعلموها» فهو حديث المنام المشهور ، ومن جعله يقظة فقد غلط وهو في السنن من طرق ، وهذا الحديث بعينه قد رواه الترمذي من حديث جهضم بن عبد الله اليمامي به ، وقال حسن صحيح ، وليس هذا الاختصام هو الاختصام المذكور في القرآن فان هذا قد فسر ، واما الاختصام الذي في القرآن فقد فسر بعد هذا وهو قوله تعالى

إذ قال ربك للملئكة إني خلق بشراً من طين (٧١) فاذا سويته ونفخت فيه من روحي

فقعوا له سٰجدين (٧٢) فسجد الملئكة كلهم أجمعون (٧٣) الا ابليس استكبر وكان من الكفرين

(٧٤) قال ياابليس مامنعك أن تسجد لما خلقت بيدي ؟ أستكبرت أم كنت من العالين ؟

(٧٥) قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين (٧٦) قال فاخرج منها فانك رجيم

(٧٧) وإن عليك لعنتي إلى يوم الدين (٧٨) قال رب فأنظرني الى يوم يُبعثون (٧٩) قال فانك

من المنظرين (٨٠) الى يوم الوقت المعلوم (٨١) قال فبعزتك لأغوينهم أجمعين (٨٢) إلا

عبادك منهم المخلَصين (٨٣) قال فالحقُ والحقَّ أقول (٨٤) لأملأن جهنم منك وممن

تبعك منهم أجمعين (٨٥)

هذه القصة ذكرها الله تبارك وتعالى في سورة البقرة وفي أول سورة الاعراف وفي سورة الحجر وسبحان والكهف وههنا وهي أن الله سبحانه وتعالى أعلم الملائكة قبل خلق آدم عليه الصلاة والسلام بأنه سيخلق بشراً من صلصال من حمإ مسنون وتقدم اليهم بالامر متى فرغ من خلقه وتسويته

يا محمد؟ قلت في الكفارات قال وما هن ؟ قلت المشي على الاقدام الى الجماعات، والجلوس في المساجد خلف الصلوات، وابلاغ الوضوء أماكنه في المكاره، قال ومن يفعل ذلك يعش بخير ويمت بخير ويكون من خطيئته كيوم ولدته أمه، ومن الدرجات اطعام الطعام، وبذل السلام ، وأن يقوم بالليل والناس نيام ، قال قل اللهم اني أسألك الطيبات، وترك المنكرات، وحب المساكين وأن تغفر لي وترحمني وتتوب علي، وإذا أردت فتنة في قوم فتوفني غير مفتون — فقال ﷺ — تعلموهن فو الذي نفسي بيده انهن لحق» قوله عز وجل ﴿اذ قال ربك للملائكة

فليسجدوا له إكراما واعظاما واحتراما وامتثالا لأمر الله عز وجل فامتثل الملائكة كلهم ذلك سوى ابليس ولم يكن منهم جنسا كان من الجن فخانه طبعه وجبلته أحوج ما كان اليه فاستنكف عن السجود لآدم وخاصم ربه عز وجل فيه وادعى انه خير من آدم فانه مخلوق من نار وآدم خلق من طين والنار خير من الطين في زعمه، وقد أخطأ في ذلك وخالف أمر الله تعالى وكفر بذلك فأبعده الله عز وجل وأرغم أنفه وطرده عن باب رحمته ومحل انسه، وحضرة قدسه، وسماه ابليس اعلاما له بأنه قد أبلس من الرحمة وأنزله من السماء مذموما مدحورا الى الارض فسأل الله النظرة الى يوم البعث فأنظره الحليم الذي لا يعجل على من عصاه، فلما أمن الهلاك الى القيامة تمرد وطغى وقال (فبعزتك لأغوينهم أجمعين * الا عبادك منهم المخلصين) كما قال عز وجل (أرأيتك هذا الذي كرمت علي؟ لئن أخرتن الى يوم القيامة لاحتنكن ذريته الا قليلا) وهؤلاء هم المستثنون في الاية الاخرى وهي قوله تعالى (ان عبادي ليس لك عليهم سلطان وكفى بربك وكيلا)

وقوله تبارك وتعالى (قال فالحق والحق أقول لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين) قرأ ذلك جماعة منهم مجاهد برفع الحق الاول وفسره مجاهد بأن معناه انا الحق والحق أقول، وفي رواية عنه: الحق مني وأقول الحق، وقرأ آخرون بنصبهما. قال السدي: هو قسم أقسم الله به (قلت) وهذه الآية كقوله تعالى (ولكن حق القول مني لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين) وكقوله عز وجل (قال اذهب فمن تبعك منهم فان جهنم جزاؤكم جزاء موفورا)

إني خالق بشراً من طين ﴾ يعني آدم عليه السلام ﴿ فاذا سويته ﴾ أتممت خلقه ﴿ ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين * فسجد الملائكة كلهم أجمعون * الا ابليس استكبر وكان من الكافرين * قال يا ابليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي؟ أستكبرت ؟ ﴾ ألف استفهام دخلت على ألف الوصل ﴿ أم كنت من العالين؟ ﴾ المتكبرين استفهام توبيخ وانكار يقول أستكبرت بنفسك حتى أبيت السجود أم كنت من القوم الذين يتكبرون فتكبرت عن السجود لكونك منهم ؟ ﴿ قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين * قال فاخرج منها ﴾ أي من الجنة وقيل من السموات وقال الحسن وأبو العالية أي من الخلقة التي أنت فيها قال الحسين بن الفضل هذا تأويل صحيح لان ابليس تجبر وافتخر بالخلقة فغير الله خلقته فاسود وقبح بعد حسنه ﴿ فانك رجيم ﴾ مطرود ﴿ وان عليك لعنتي الى يوم الدين * قال رب فانظرني الى يوم يبعثون * قال فانك من المنظرين * الى يوم الوقت المعلوم ﴾ وهو النفخة الاولى ﴿ قال فبعزتك لأغوينهم أجمعين * الا عبادك منهم المخلصين * قال فالحق والحق أقول ﴾ قرأ عاصم وحمزة ويعقوب فالحق برفع القاف على الابتداء وخبره محذوف تقديره الحق مني نصب الثانية أي وأنا أقول الحق قاله مجاهد وقرأ الآخرون بنصبهما واختلفوا في وجههما قيل نصب الاولى على الاغراء كانه قال الزم الحق والثاني بايقاع القول عليه أي أقول الحق وقيل الاول قسم أى فبالحق وهو الله عز وجل

قل ماأسئلكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين (٨٦) إن هو إلا ذكر للعلمين (٨٧) ولتعلمن نبأه بعد حين (٨٨)

يقول تعالى قل يا محمد لهؤلاء المشركين ما أسألكم على هذا البلاغ وهذا النصح اجرا تعطونيه من عرض الحياة الدنيا (وما أنا من المتكلفين) اي وما اريد على ما أرسلني الله تعالى به ولا أبتغي زيادة عليه بل ما أمرت به أديته لا ازيد عليه ولا أنقص منه، وانما أبتغي بذلك وجه الله عز وجل والدار الآخرة، قال سفيان الثوري عن الاعمش ومنصور عن ابي الضحى عن مسروق قال: أتينا عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه فقال يا أيها الناس من علم شيئا فليقل به ومن لم يعلم فليقل الله أعلم فان من العلم أن يقول الرجل لما لا يعلم الله أعلم فان الله عز وجل قال لنبيكم ﷺ (قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين) أخرجاه من حديث الاعمش به، وقوله تعالى (ان هو الا ذكر للعالمين) يعني القرآن ذكر لجميع المكلفين من الانس والجن، قاله ابن عباس رضي الله عنهما

وروى ابن أبي حاتم عن أبيه عن أبي غسان مالك بن اسماعيل حدثنا قيس عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى (للعالمين) قال الجن والانس، وهذه الآية كقوله تعالى (لانذركم به ومن بلغ) وكقوله عز وجل (ومن يكفر به من الاحزاب فالنار موعده وقوله تعالى (ولتعلمن نبأه) أى خبره وصدقه (بعد حين) أى عن قريب، قال قتادة بعد الموت وقال عكرمة يعني يوم القيامة، ولا منافاة بين القولين فان من مات فقد دخل في حكم القيامة، وقال قتادة في قوله تعالى [ولتعلمن نبأه بعد حين] قال الحسن يا ابن آدم عند الموت يأتيك الخبر اليقين

(آخر تفسير سورة ص ولله الحمد والمنة والله سبحانه وتعالى أعلم)

فانتصب بنزع الخافض وهو حرف الصفة وانتصاب الثاني بايقاع القول عليه، وقيل الثاني تكرار القسم أقسم الله بنفسه ﴿لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين * قل ما أسئلكم عليه﴾ على تبليغ الرسالة ﴿من أجر﴾ جعل ﴿وما أنا من المتكلفين﴾ المتقولين القرآن من تلقاء نفسي وكل من قال شيئا من تلقاء نفسه فقد تكلفه أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل ثنا قتيبة ثنا جرير عن الاعمش عن أبي الضحى عن مسروق قال دخلنا على عبد الله بن مسعود فقال يا أيها الناس من علم شيئا فليقل به ومن لم يعلم فليقل الله أعلم فان من العلم أن يقول لما لا يعلم الله أعلم قال الله تعالى لنبيه (قل ما أسئلكم عليه من اجر وما أنا من المتكلفين) قوله ﴿ان هو﴾ ماهو يعني القرآن ﴿الا ذكر﴾ موعظة ﴿للعالمين﴾ للخلق أجمعين ﴿ولتعلمن﴾ أنتم يا كفار مكة ﴿نبأه﴾ خبر صدقه ﴿بعد حين﴾ قال ابن عباس وقتادة بعد الموت وقال عكرمة يعني يوم القيامة وقال الكلبي من بقي علم ذلك اذا ظهر امره وعلا ومن مات علمه بعد موته، قال الحسن بن آدم عند الموت يأتيك الخبر اليقين

تفسير سورة الزمر وهي مكية

قال النسائي حدثنا محمد بن النضر بن مساور حدثنا حماد عن مروان بن أبي لبابة عن عائشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله ﷺ يصوم حتى نقول مايريد أن يفطر ويفطر حتى نقول مايريد أن يصوم، وكان ﷺ يقرأ في كل ليلة بني إسرائيل والزمر

بسم الله الرحمن الرحيم

تنزيل الكتب من الله العزيز الحكيم (١) إنا أنزلنا اليك الكتب بالحق فاعبد الله مخلصا له الدين (٢) ألا لله الدين الخالص ، والذين اتخذوا من دونه أولياء مانعبدهم إلا ليقربونا الى الله زلفى ان الله يحكم بينهم فيما كانوا فيه يختلفون ان الله لايهدي من هو كذب كفار (٣) لو أراد الله أن يتخذ ولداً لاصطفى مما يخلق مايشاء سبحنه هو الله الواحد القهار (٤)

يخبر تعالى ان تنزيل هذا الكتاب وهو القرآن العظيم من عنده تبارك وتعالى فهو الحق الذي لامرية فيه ولاشك كما قال عز وجل (وانه لتنزيل رب العالمين * نزل به الروح الأمين * على قلبك لتكون من المنذرين * بلسان عربي مبين) وقال تبارك وتعالى (وانه لكتاب عزيز * لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد) وقال جل وعلا ههنا (تنزيل الكتاب من الله العزيز) أي المنيع الجناب (الحكيم) أي في أقواله وأفعاله وشرعه وقدره (إنا أنزلنا اليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصا له الدين) أي فاعبد الله وحده لاشريك له وادع الخلق إلى ذلك وأعلمهم انه لاتصلح العبادة إلا له وحده وانه ليس له شريك ولا عديل ولا نديد ولهذا قال تعالى (ألا لله الدين الخالص) أي لايقبل من العمل إلا ما أخلص فيه العامل لله وحده لاشريك له

﴿ سورة الزمر مكية ﴾

إلا قوله (قل ياعبادي الذين أسرفوا على أنفسهم) الآية فمدنية وهي خمس وسبعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ تنزيل الكتاب ﴾ أي هذا تنزيل الكتاب وقيل تنزيل الكتاب مبتدأ وخبره ﴿ من الله العزيز الحكيم ﴾ أي تنزيل الكتاب من الله لامن غيره ﴿ انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق ﴾ قال مقاتل لم ننزله باطلا لغير شيء ﴿ فاعبد الله مخلصا له الدين ﴾ الطاعة ﴿ ألا لله الدين الخالص ﴾ قال قتادة شهادة

وقال قتادة في قوله تبارك وتعالى (ألا لله الدين الخالص) شهادة أن لا إله الا الله ثم أخبر عز وجل عن عباد الاصنام من المشركين انهم يقولون (ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى) أي انما يحملهم على عبادتهم لهم أنهم عمدوا الى أصنام اتخذوها على صور الملائكة المقربين في زعمهم فعبدوا تلك الصور تنزيلا لذلك منزلة عبادتهم الملائكة ليشفعوا لهم عند الله تعالى في نصرهم ورزقهم وما ينوبهم من أمور الدنيا فاما المعاد فكانوا جاحدين له كافرين به

قال قتادة والسدي ومالك عن زيد بن أسلم وابن زيد الا ليقربونا الى الله زلفى أي ليشفعوا لنا ويقربونا عنده منزلة ولهذا كانوا يقولون في تلبيتهم اذا حجوا في جاهليتهم لبيك لا شريك لك الا شريكا هو لك تملكه وما ملك، وهذه الشبهة هي التى اعتمدها المشركون في قديم الدهر وحديثه وجاءتهم الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين بردها والنهي عنها والدعوة الى افراد العبادة لله وحده لاشريك له وأن هذا شيء اخترعه المشركون من عند أنفسهم لم يأذن الله فيه ولا رضي به بل أبغضه ونهى عنه (ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت - وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه انه لا اله الا أنا فاعبدون)وأخبر أن الملائكة التى في السموات من الملائكة المقربين وغيرهم كلهم عبيد خاضعون لله لا يشفعون عنده الا باذنه لمن ارتضى وليسوا عنده كالامراء عند ملوكهم يشفعون عندهم بغير اذنهم فيما أحبه الملوك وأبوه (فلا تضربوا لله الامثال) تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا

وقوله عز وجل (ان الله يحكم بينهم) أي يوم القيامة (فيما هم فيه يختلفون) أى سيفصل بين الخلائق يوم معادهم ويجزي كل عامل بعمله [ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للملائكة أهؤلاء اياكم كانوا يعبدون؟ قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون]

وقوله عز وجل (ان الله لا يهدي من هو كاذب كفار) أى لا يرشد الى الهداية من قصده الكذب والافتراء على الله تعالى وقلبه كافر بآياته وحججه وبراهينه ، ثم بين تعالى أنه لا ولد له كما يزعمه جهلة المشركين في الملائكة والمعاندون من اليهود والنصارى في العزير وعيسى

أن لا إله الا الله وقيل لا يستحق الدين الخالص الا الله وقيل الدين الخالص من الشرك هو لله ﴿ والذين اتخذوا من دونه ﴾ أي من دون الله ﴿ أولياء ﴾ يعني الاصنام ﴿ ما نعبدهم ﴾ أي قالوا مانعبدهم ﴿ إلا ليقربونا الى الله زلفى ﴾ وكذلك قرأ ابن مسعود وابن عباس، قال قتادة وذلك انهم كانوا اذا قيل لهم من ربكم ومن خلقكم ومن خلق السموات والارض ؟ قالوا الله فيقال لهم فما معنى عبادتكم الاوثان؟ قالوا ليقربونا الى الله زلفى أي قربى وهو اسم أقيم مقام المصدر كانه قال الا ليقربونا الى الله تقريبا ويشفعوا لنا عند الله ﴿ ان الله يحكم بينهم ﴾ يوم القيامة ﴿ فيما هم فيه يختلفون ﴾ من أمر الدين ﴿ ان الله لا يهدي من هو كاذب كفار ﴾ لا يرشد لدينه من كذب فقال ان الآلهة لتشفع وكفى

فقال تبارك وتعالى (لو أراد الله أن يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق ما يشاء) أي لـكان الامر على خلاف ما يزعمون وهذا شرط لا يلزم وقوعه ولا جوازه بل هو محال وانما قصد تجهيلهم فيما ادعوه وزعموه كما قال عز وجل (لو أردنا أن نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنا ان كنا فاعلين - قل ان كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين) كل هذا من باب الشرط ويجوز تعليق الشرط على المستحيل لقصد المتكلم

وقوله تعالى (سبحانه هو الله الواحد القهار) أي تعالى وتنزه وتقدس عن ان يكون له ولد فانه الواحد الاحد الفرد الصمد الذى كل شيء عبد لديه فقير اليه وهو الغني عما سواه الذى قد قهر الاشياء فدانت له وذلت وخضعت تبارك وتعالى عما يقول الظالمون والجاحدون علواً كبيراً

خلق السمٰوٰت والارضَ بالحق يكوِّر الَّيل على النهار ويكوِّر النهار على الَّيل وسخَّر

الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمًّى ألا هو العزيز الغفّٰر (٥) خلقكم من نفس وٰحدة

ثم جعل منها زوجها وأنزل لـكم من الانعٰم ثمٰنية أزواج يخلقكم في بطون أمهٰتكم خَلقا

من بعد خَلق في ظُلمٰت ثلٰث ذٰلـكم الله ربكم له الملك لا اله الا هو فأنى تصرَفون (٦)

يخبر تعالى أنه الخالق لما في السموات والارض ومابين ذلك من الاشياء وبأنه مالك الملك المتصرف فيه يقلب ليله ونهاره (يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل) أى سخرهما يجريان متعاقبين لا يفتران كل منهما يطلب الآخر طلباً حثيثاً كقوله تبارك وتعالى (يغشي الليل النهار يطلبه حثيثا) هذا معنى ماروي عن ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وقتادة والسدي وغيرهم

وقوله عز وجل (وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى) أى الى مدة معلومة عند الله تعالى ثم ينقضي يوم القيامة (ألا هو العزيز الغفار) أى مع عزته وعظمته وكبريائه هو غفار لمن عصاه ثم تاب وأناب اليه

باتخاذه الآلهة دونه كذبا وكفراً ﴿ لو أراد الله ان يتخذ ولداً لاصطفى ﴾ لاختار ﴿ مما يخلق ما يشاء ﴾ يعني الملائكة كما قال(لو أردنا ان نتخذ لهواً لاتخذناه من لدنا) ثم نزه نفسه فقال﴿ سبحانه ﴾ تنزيها له عن ذلك وعما لا يليق بطهارته ﴿ هو الله الواحد القهار * خلق السموات والارض بالحق يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل ﴾ قال قتادة يغشي هذا هذا كما قال(يغشي الليل النهار) وقيل يدخل احدهما على الآخر كما قال(يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل) وقال الحسن والكلبي ينقص من الليل فيزيد في النهار، وينقص من النهار فيزيد في الليل فما نقص من الليل دخل في النهار وما نقص من النهار دخل في الليل، ومنتهى النقصان تسع ساعات ومنتهى الزيادة خمس عشرة ساعة، وأصل التكوير اللف والجمع ومنه كور العمامة ﴿ وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى ألا هو العزيز الغفار * خلقكم من نفس

وقوله جلت عظمته (خلقكم من نفس واحدة) أى خلقكم مع اختلاف أجناسكم وأصنافكم وألسنتكم وألوانكم من نفس واحدة وهو آدم عليه الصلاة والسلام (ثم جعل منها زوجها) وهي حواء عليها السلام كقوله تعالى (يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيراً ونساء) وقوله تعالى (وأنزل لكم من الانعام ثمانية أزواج) أى وخلق لكم من ظهور الانعام ثمانية أزواج وهي المذكورة في سورة الانعام ثمانية أزواج من الضأن اثنين ومن المعز اثنين ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين

وقوله عز وجل (يخلقكم في بطون أمهاتكم) أي قدركم في بطون أمهاتكم (خلقا من بعد خلق) يكون أحدكم أولا نطفة ثم يكون علقة ثم يكون مضغة ثم يخلق فيكون لحما وعظما وعصبا وعروقا وينفخ فيه الروح فيصير خلقا آخر (فتبارك الله أحسن الخالقين)

وقوله جل وعلا (في ظلمات ثلاث) يعنى في ظلمة الرحم وظلمة المشيمة التي هي كالغشاوة والوقاية على الولد وظلمة البطن . كذا قال ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وعكرمة وابو مالك والضحاك وقتادة والسدي وابن زيد

وقوله جل جلاله (ذلكم الله ربكم) أي هذا الذي خلق السموات والارض وما بينهما وخلقكم وخلق آباءكم هو الرب له الملك والتصرف في جميع ذلك (لا إله الا هو) أى الذى لا تنبغي العبادة إلا له وحده لا شريك له (فأنى تصرفون) أى فكيف تعبدون معه غيره أين يذهب بعقولكم

ان تكفُروا فان الله غني عنكم ولا يَرضى لعباده الكفر وان تشكروا يرضَه لكم ولا تزر وازرةٌ وِزر أخرى ثم الى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم تعملون إنه عليم بذات الصدور (٧)

واذا مس الانسـٰن ضرٌّ دعا ربه منيبا اليه ثم اذا خوله نعمة منه نسي ما كان يدعو اليه من

واحدة ﴾ يعني آدم ﴿ ثم جعل منها زوجها ﴾ يعني حواء ﴿ وأنزل لكم من الانعام ﴾ معنى الانزال ههنا الاحداث والانشاء كقوله تعالى (أنزلنا عليكم لباسا يواري) وقيل انه أنزل الماء الذى هو سبب نبات القطن الذى يكون منه اللباس وسبب النبات الذى تبقى به الانعام وقيل (وأنزل لكم من الانعام) جعلها لكم نزلا ورزقا ﴿ ثمانية ازواج ﴾ اصناف مر تفسيرها في سورة الانعام ﴿ يخلقكم في بطون امهاتكم خلقا من بعد خلق) نطفة ثم علقة ثم مضغة كما قال الله تعالى (وقد خلقكم اطواراً) ﴿ في ظلمات ثلاث ﴾ قال ابن عباس ظلمة البطن وظلمة الرحم وظلمة المشيمة ﴿ ذلكم الله ﴾ اى الذي خلق هذه الاشياء ﴿ ربكم له الملك لا إله الا هو فأني تصرفون ﴾ عن طريق الحق بعد هذا البيان ﴿ ان تكفروا فان الله غني عنكم

قبل وجعل لله أنداداً ليضلّ عن سبيله قل تمتّع بكفرك قليلا انك من أصحٰب النار (٨)

يقول تعالى مخبراً عن نفسه تبارك وتعالى أنه الغني عما سواه من المخلوقات كما قال موسى عليه الصلاة والسلام(ان تكفروا أنتم ومن في الارض جميعا فان الله لغني حميد) وفي صحيح مسلم «ياعبادي لو أن أولكم وآخركم وانسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئاً»

وقوله تعالى (ولا يرضى لعباده الكفر) أى لا يحبه ولا يأمر به (وإن تشكروا يرضه لكم)أى يحبه لكم ويزدكم من فضله (ولا تزر وازرة وزر أخرى) أى لا تحمل نفس عن نفس شيئا بل كل مطالب بأمر نفسه(ثم الى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم تعملون انه عليم بذات الصدور)أى فلا تخفى عليه خافية

وقوله عز وجل (واذا مس الانسان ضر دعا ربه منيبا اليه) اى عند الحاجة يتضرع ويستغيث بالله وحده لا شريك له كما قال تعالى [واذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا اياه فلما نجاكم الى البر أعرضتم وكان الانسان كفورا] ولهذا قال تبارك وتعالى (ثم اذا خوله نعمة منه نسي ما كان يدعو اليه من قبل] اى في حال الرفاهية ينسى ذلك الدعاء والتضرع كما قال جل جلاله (واذا مس الانسان الضر دعانا لجنبه أو قاعداً أو قائما فلما كشفنا عنه ضره مر كأن لم يدعنا الى ضر مسه)

وقوله تعالى (وجعل لله أنداداً ليضل عن سبيله) أى في حال العافية يشرك بالله ويجعل له أنداداً , قل تمتع بكفرك قليلا انك من أصحاب النار) أى قل لمن هذه حالته وطريقته ومسلكه تمتع بكفرك قليلا وهو تهديد وتشديد ووعيد أكيد كقوله تعالى (قل تمتعوا فان مصيركم الى النار) وقوله تعالى [نمتعهم قليلا ثم نضطرهم الى عذاب غليظ]

ولا يرضى لعباده الكفر ﴾ قال ابن عباس والسدي ولا يرضى لعباده المؤمنين الكفر وهم الذين قال الله تعالى (ان عبادي ليس لك عليهم سلطان) فيكون عاما في اللفظ خاصاً في المعنى كقوله تعالى (عيناً يشرب بها عباد الله) يريد بعض العباد واجراه قوم على العموم وقالوا لا يرضى لأحد من عباده الكفر ومعنى الآية لا يرضى لعباده ان يكفروا به ويروى ذلك عن قتادة وهو قول السلف قالوا كفر الكافر غير مرضي لله عز وجل وان كان بارادته ﴿ وان تشكروا ﴾ تؤمنوا بربكم وتطيعوه ﴿ يرضه لكم ﴾ فيثيبكم عليه قرأ أبو عمرو يرضه لكم ساكنة الهاء ويختلسها أهل المدينة وعاصم وحمزة والباقون بالاشباع ﴿ ولا تزر وازرة وزر أخرى، ثم الى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم تعملون انه عليم بذات الصدور * واذا مس الانسان ضر دعا ربه منيبا اليه ﴾ راجعاً اليه مستغيثاً به ﴿ ثم اذا خوله نعمة منه ﴾ أعطاه نعمة منه ﴿ نسي ﴾ ترك ﴿ ما كان يدعو اليه من قبل ﴾ أى نسي الضر الذى كان يدعو الله الى كشفه ﴿ وجعل لله أنداداً ﴾ يعني الاوثان ﴿ ليضل عن سبيله ﴾ ليزل عن دين الله ﴿ قل ﴾ لهذا الكافر ﴿ تمتع بكفرك قليلا ﴾ في الدنيا الى أجلك ﴿ انك من أصحاب النار ﴾ قيل نزلت في عتبة بن

أمَّن هو قانت آناء الَّيل ساجداً وقائماً يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون؟ إنما يتذكر أولو الألبٰب (٩)

يقول عز وجل أمن هذه صفته كمن أشرك بالله وجعل له أنداداً لا يستوون عند الله كما قال تعالى [ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون]

وقال تبارك وتعالى ههنا [أمن هو قانت آناء الليل ساجداً وقائماً] اى في حال سجوده وفي حال قيامه ولهذا استدل بهذه الآية من ذهب الى أن القنوت هو الخشوع في الصلاة ليس هو القيام وحده كما ذهب اليه آخرون. قال الثوري عن فراس عن الشعبي عن مسروق عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: القانت المطيع لله عز وجل ولرسوله ﷺ وقال ابن عباس رضي الله عنهما والحسن والسدي وابن زيد آناء الليل جوف الليل، وقال الثوري عن منصور بلغنا ان ذلك بين المغرب والعشاء، وقال الحسن وقتادة آناء الليل أوله وأوسطه وآخره وقوله تعالى [يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه] أى في حال عبادته خائف راج ولا بد في العبادة من هذا وهذا وأن يكون الخوف في مدة الحياة هو الغالب ولهذا قال تعالى [يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه] فاذا كان عند الاحتضار فليكن الرجاء هو الغالب عليه كما قال الامام عبد بن حميد في مسنده حدثنا يحيى بن عبد الحميد حدثنا جعفر بن سليمان حدثنا ثابت عن أنس رضي الله عنه قال دخل رسول الله ﷺ على رجل وهو في الموت فقال له « كيف تجدك ؟ » فقال أرجو وأخاف، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يجتمعان في قلب عبد في مثل هذا الموطن الا أعطاه الله عز وجل الذي يرجو وأمنه الذي يخافه »

ربيعة وقال مقاتل نزلت في أبي حذيفة بن المغيرة المخزومي وقيل عام في كل كافر ﴿ أمن هو قانت ﴾ قرأ ابن كثير ونافع وحمزة أمن بتخفيف الميم وقرأ الآخرون بتشديدها فمن شدد فله وجهان (أحدهما) أن تكون الميم في أم صلة فيكون معنى الكلام استفهاما وجوابه محذوفاً، مجازه أمن هو قانت كمن هو غير قانت كقوله (أفمن شرح الله صدره للاسلام) يعني كمن لم يشرح صدره (والوجه الآخر) انه عطف على الاستفهام، مجازه الذي جعل لله أنداداً أخير أمن هو قانت، ومن قرأ بالتخفيف فهو ألف استفهام دخلت على من معناه أهذا كالذي جعل لله أنداداً، وقيل الالف في أمن بمعنى حرف النداء تقديره يامن هو قانت والعرب تنادي بالالف كما تنادي بالياء فتقول أبني فلان ويابني فلان فيكون معنى الآية (قل تمتع بكفرك قليلا انك من أصحاب النار) يامن هو قانت ﴿ آناء الليل ﴾ انك من اهل الجنة قاله ابن عباس وفي رواية عطاء نزلت في أبي بكر الصديق وقال الضحاك نزلت في أبي بكر وعمر رضي الله عنهما وعن ابن عمر انها نزلت في عثمان وعن الكلبي انها نزلت في ابن مسعود وعمار وسلمان والقانت المقيم على الطاعة قال ابن عمر القنوت قراءة القرآن وطول القيام وآناء الليل ساعاته ﴿ ساجداً

ورواه الترمذي والنسائي في اليوم والليلة وابن ماجه من حديث سيار بن حاتم عن جعفر بن سليمان به وقال الترمذي غريب ، وقد رواه بعضهم عن ثابت عن أنس عن النبي ﷺ مرسلا

وقال ابن ابي حاتم حدثنا عمر بن ابي شيبة عن عبيدة النميري حدثنا ابو خلف ابن عبد الله بن عيسى الخراز حدثنا يحيى البكاء انه سمع ابن عمر رضي الله عنهما يقرأ (أمن هو قانت آناء الليل ساجداً وقائماً يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه) قال ابن عمر ذاك عثمان بن عفان رضي الله عنه وانما قال ابن عمر رضي الله عنهما ذلك لكثرة صلاة أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه بالليل وقراءته حتى انه ربما قرأ القرآن في ركعة كما روى ذلك ابو عبيدة عنه رضي الله تعالى عنه وقال الشاعر:

ضحوا بأشمط عنوان السجود به ... يقطع الليل تسبيحاً وقرآنا

وقال الامام احمد كتب الي الربيع بن نافع حدثنا الهيثم بن حميد عن زيد بن واقد عن سليمان ابن موسى عن كثير بن مرة عن تميم الداري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « من قرأ بمائة آية في ليلة كتب له قنوت ليلة » وكذا رواه النسائي في اليوم والليلة عن ابراهيم بن يعقوب عن عبد الله بن يوسف والربيع بن نافع كلاهما عن الهيثم بن حميد به

وقوله تعالى (قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لايعلمون) اي هل يستوي هذا والذي قبله ممن جعل لله أنداداً ليضل عن سبيله (انما يتذكر أولو الالباب) أي انما يعلم الفرق بين هذا وهذا من له لب وهو العقل والله أعلم

قل يـٰعبادي الذين آمنوا اتقوا ربكم ،للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنةٌ وأرض الله واسعة انما يوفّى الصـٰبرون أجرهم بغير حساب (١٠) قل اني أمرت أن أعبدَ الله مخلصا له الدين (١١) وأمرت لأن أكون أول المسلمين (١٢)

يقول تعالى آمراً عباده المؤمنين بالاستمرار على طاعته وتقواه (قل ياعبادي الذين آمنوا اتقوا ربكم للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة) أي لمن أحسن العمل في هذه الدنيا حسنة في دنياهم وأخراهم ، وقوله (وأرض الله واسعة) قال مجاهد فهاجروا فيها وجاهدوا واعتزلوا الاوثان، وقال شريك

وقائما ﴾ يعني في الصلاة ﴿ يحذر الآخرة ﴾ يخاف الآخرة ﴿ ويرجو رحمة ربه ﴾ يعني كمن لايفعل شيئاً من ذلك ﴿ قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ؟﴾ قيل الذين يعلمون عمار والذين لا يعلمون أبو حذيفة المخزومي ﴿ انما يتذكر أولو الالباب *قل ياعبادي الذين آمنوا اتقوا ربكم ﴾ بطاعته واجتناب معاصيه ﴿ للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة ﴾ أي آمنوا وأحسنوا العمل (حسنة) يعني الجنة قاله مقاتل وقال السدي في هذه الدنيا حسنة يعني الصحة والعافية ﴿ وأرض الله واسعة ﴾

عن منصور عن عطاء في قوله تبارك وتعالى (وأرض الله واسعة) قال اذا دعيتم إلى معصيته فاهربوا ثم قرأ (ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها)

وقوله تعالى (انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب) قال الاوزاعي ليس يوزن لهم ولا يكال لهم انما يغرف لهم غرفا ، وقال ابن جريج بلغني انه لايحسب عليهم ثواب عملهم قط ولكن يزادون على ذلك ، وقال السدي [انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب] يعني في الجنة . وقوله [قل إني أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين] أي انما أمرت باخلاص العبادة لله وحده لاشريك له [وأمرت لأن أكون أول المسلمين] قال السدي يعني من أمته ﷺ

قل اني أخاف إن عصيت ربي عذابَ يوم عظيم (١٣) قل اللهَ أعبد مخلصا له ديني (١٤)

فاعبدوا ماشئتم من دونه قل ان الخٰسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيٰمة ألا

ذلك هو الخسرانُ المبين (١٥) لهم من فوقهم ظُلل من النار ومن تحتهم ظُلل ، ذلك يخوّف

الله به عباده يٰعباد فاتقون (١٦)

يقول تعالى قل يامحمد وأنت رسول الله [إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم] وهو يوم القيامة وهذا شرط ومعناه التعريض بغيره بطريق الاولى والاحرى [قل الله أعبد مخلصا له ديني فاعبدوا ماشئتم من دونه] وهذا أيضا تهديد وتبر منهم [قل ان الخاسرين] أي انما الخاسرون كل

قال ابن عباس يعني ارتحلوا من مكة وفيه حث على الهجرة من البلد الذي يظهر فيه المعاصي ، وقيل نزلت في مهاجري الحبشة وقال سعيد بن جبير من أمر بالمعاصي في بلد فليهرب منها الى غيرها ﴿ انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب ﴾ الذين صبروا على دينهم فلم يتركوه للأذى وقيل نزلت في جعفر ابن أبي طالب وأصحابه حيث لم يتركوا دينهم لما اشتد بهم البلاء وصبروا وهاجروا قال علي رضي الله عنه كل مطيع يكال له كيلا ويوزن له وزنا الا الصابرين فانه يحثى لهم حثيا ، ويروى يؤتى باهل البلاء فلا ينصب لهم ميزان ولا ينشر لهم ديوان ويصب عليهم الاجر صبا بغير حساب قال الله تعالى (انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب حتي يتمنى أهل العافية في الدنيا ان أجسادهم تقرض بالمقاريض مما يذهب به أهل البلاء من الفضل ﴿ قل اني أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين ﴾ مخلصا له التوحيد لا أشرك به شيئا ﴿ وأمرت لان أكون أول المسلمين ﴾ من هذه الامة ﴿ قل إني أخاف ان عصيت ربي ﴾ وعبدت غيره ﴿ عذاب يوم عظيم ﴾ وهذا حين دعي الى دين آبائه

قوله تعالى ﴿ قل الله أعبد مخلصا له ديني فاعبدوا ماشئتم من دونه ﴾ امر توبيخ وتهديد كقوله (اعملوا ماشئتم) ﴿ قل ان الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم ﴾ ازواجهم وخدمهم ﴿ يوم القيامة ألا ذلك

الخسران [الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة] أي تفارقوا فلا التقاء لهم أبداً وسواء ذهب أهلوهم إلى الجنة وقد ذهبوا هم إلى النار أو أن الجميع أسكنوا النار ولكن لا اجتماع لهم ولا سرور [ألا ذلك هو الخسران المبين] أي هذا هو الخسران المبين الظاهر الواضح ثم وصف حالهم في النار فقال (لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل) كما قال عز وجل [لهم من جهنم مهاد * ومن فوقهم غواش وكذلك نجزي الظالمين]

وقال تعالى [يوم يغشاهم العذاب من فوقهم ومن تحت أرجلهم ويقول ذوقوا ماكنتم تعملون] وقوله جل جلاله (ذلك يخوف الله به عباده) أي انما يقص خبر هذا الكائن لامحالة ليخوف به عباده لينزجروا عن المحارم والمآثم. وقوله تعالى (ياعباد فاتقون) أي اخشوا بأسي وسطوتي وعذابي ونقمتي

والذين اجتنبوا الطٰغوت أن يعبدوها وأنابوا الى الله لهم البشرى فبشر عباد (١٧)

الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هدٰهم الله وأولئك هم أولوا الألبٰب (١٨)

قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه (والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها) نزلت في زيد بن عمرو بن نفيل وأبي ذر وسلمان الفارسي رضي الله تعالى عنهم والصحيح أنها شاملة لهم ولغيرهم ممن اجتنب عبادة الاوثان وأناب إلى عبادة الرحمن فهؤلاء هم الذين لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة ثم قال عز وجل (فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه) أي يفهمونه ويعملون بما فيه كقوله تبارك وتعالى لموسى عليه الصلاة والسلام حين آتاه التوراة [فخذها بقوة وأمر قومك

هو الخسران المبين ﴾ قال ابن عباس وذلك أن الله جعل لكل انسان منزلا في الجنة واهلا فمن عمل بطاعة الله كان ذلك المنزل والاهل له ، ومن عمل بمعصية الله دخل النار وكان ذلك المنزل والاهل لغيره ممن عمل بطاعة الله ، وقيل خسران النفس بدخول النار وخسران الاهل بأن يفرق بينه وبين أهله وذلك هو الخسران المبين ﴿ لهم من فوقهم ظلل من النار ﴾ أطباق سرادقات من النار ودخانها ﴿ ومن تحتهم ظلل ﴾ فراش ومهاد من نار الى أن ينتهي الى القعر سمي الاسفل ظللا لأنها ظلل لمن تحتهم نظيرها قوله عز وجل (لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش) ﴿ ذلك يخوف الله به عباده ياعباد فاتقون * والذين اجتنبوا الطاغوت ﴾ الاوثان ﴿ أن يعبدوها وأنابوا الى الله ﴾ رجعوا الى عبادة الله ﴿ لهم البشرى ﴾ في الدنيا بالجنة وفي العقبى بالمغفرة ﴿ فبشر عبادي الذين يستمعون القول ﴾ القرآن ﴿ فيتبعون احسنه ﴾ قال السدي احسن مايؤمرون به فيعملونه وقيل هو أن الله ذكر في القرآن الانتصار من الظالم وذكر العفو والعفو احسن الامرين وقيل ذكر العزائم والرخص فيتبعون الاحسن وهو العزائم وقيل يستمعون القرآن وغير القرآن فيتبعون القرآن وقال عطاء عن ابن عباس آمن أبو بكر بالنبي ﷺ فجاء عثمان وعبد الرحمن بن عوف وطلحة والزبير وسعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد

يأخذوا بأحسنها] [أولئك الذين هداهم الله] أي المتصفون بهذه الصفة هم الذين هداهم الله في الدنيا والآخرة (وأولئك هم أولو الالباب) أي ذوو العقول الصحيحة والفطر المستقيمة

أفمن حق عليه كلمة العذاب أفأنت تنقذ من في النار ؟(١٩) لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف مبنية تجري من تحتها الانهار وعد الله لا يخلف الله الميعاد (٢٠)

يقول تعالى أفمن كتب الله انه شقي تقدر تنقذه مما هو فيه من الضلال والهلاك أي لا يهديه أحد من بعد الله لانه من يضلل الله فلا هادي له ومن يهده فلا مضل له ، ثم أخبر عز وجل عن عباده السعداء أن لهم غرفا في الجنة وهي القصور أي الشاهقة [من فوقها غرف مبنية] طباق فوق طباق مبنيات محكمات مزخرفات عاليات

قال عبدالله ابن الامام احمد حدثنا عباد بن يعقوب الاسدي ثنا محمد بن فضيل عن عبد الرحمن ابن إسحاق عن النعمان بن سعد عن علي رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « إن في الجنة لغرفا يرى بطونها من ظهورها وظهورها من بطونها » فقال اعرابي لمن هي يارسول الله ؟ قال ﷺ « لمن أطاب الكلام وأطعم الطعام وصلى بالليل والناس نيام » ورواه الترمذي من حديث عبدالرحمن ابن إسحاق وقال حسن غريب ، وقد تكلم بعض أهل العلم فيه من قبل حفظه

وقال الامام أحمد حدثنا عبدالرزاق ثنا معمر عن يحيي بن أبي كثير عن ابن معانق أو أبي معانق عن أبي مالك الاشعري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « إن في الجنة لغرفا يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها أعدها الله تعالى لمن أطعم الطعام وألان الكلام وتابع الصيام وصلى والناس نيام » تفرد به أحمد من حديث عبدالله بن معانق الاشعري عن أبي مالك الاشعري رضي الله عنه به

وقال الامام أحمد حدثنا قتيبة بن سعيد ثنا يعقوب بن عبدالرحمن عن أبي حازم عن سهل بن سعد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « إن أهل الجنة ليتراءون الغرفة في الجنة كما تراءون الكوكب في أفق السماء » قال فحدثت بذلك النعمان بن أبي عياش فقال سمعت أبا سعيد الخدري رضي الله عنه يقول

فسألوه فاخبرهم بايمانه فآمنوا فنزلت فيهم (فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه) وكله حسن ﴿ أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الالباب ﴾ وقال ابن زيد نزلت (والذين اجتنبوا الطاغوت) الآيتان في ثلاثة نفر كانوا في الجاهلية يقولون لا إله إلا الله زيد بن عمرو بن نفيل وأبو ذر الغفاري وسلمان الفارسي والاحسن قول لا إله إلا الله ﴿ أفمن حق عليه كلمة العذاب ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما من سبق في علم الله من أهل النار وقيل كلمة العذاب قوله (لأملان جهنم) وقيل كلمة العذاب قوله « هؤلاء في النار ولا أبالي » ﴿ أفأنت تنقذ من في النار ﴾ أي لا تقدر عليه قال ابن عباس يريد أبا لهب وولده ﴿ لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف مبنية ﴾ أي منازل في الجنة

« كما تراءون الكوكب الذي في الافق الشرقي أو الغربي » أخرجاه في الصحيحين من حديث أبي حازم وأخرجاه أيضا في الصحيحين من حديث مالك عن صفوان بن سليم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد رضي الله عنه عن النبي ﷺ

وقال الامام أحمد حدثنا فزارة أخبرني فليح عن هلال بن علي عن عطاء بن يسار عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « إن أهل الجنة ليتراءون في الجنة أهل الغرف كما تراءون الكوكب الدري الغارب في الافق الطالع في تفاضل أهل الدرجات - فقالوا يارسول الله أولئك النبيون ؟ فقال ﷺ - بلى والذي نفسي بيده وأقوام آمنوا بالله وصدقوا الرسل » ورواه الترمذي عن سويد عن ابن المبارك عن فليح به وقال حسن صحيح

وقال الامام احمد حدثنا أبو النضر وأبو عامر قال ثنا زهير ثنا سعد الطائي ثنا أبو المدلة مولى أم المؤمنين رضي الله عنها أنه سمع أبا هريرة رضي الله عنه يقول قلنا يارسول الله انا اذا رأيناك رقت قلوبنا وكنا من أهل الآخرة فاذا فارقناك أعجبتنا الدنيا وشممنا النساء والاولاد قال ﷺ « لو أنكم تكونون على كل حال على الحال التي أنتم عليها عندي لصافحتكم الملائكة بأكفهم ولزارتكم في بيوتكم ولولم تذنبوا لجاء الله عز وجل بقوم يذنبون كي يغفر لهم - قلنا يارسول الله حدثنا عن الجنة مابناؤها ؟ - قال ﷺ لبنة ذهب ولبنة فضة وملاطها المسك الاذفر وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت وترابها الزعفران من يدخلها ينعم ولا ييأس ويخلد ولا يموت ، لاتبلى ثيابه ولا يفنى شبابه ، ثلاثة لاترد دعوتهم . الامام العادل والصائم حتى يفطر ، ودعوة المظلوم تحمل على الغمام وتفتح لها أبواب السموات ويقول الرب تبارك وتعالى وعزتي لأنصرنك ولو بعد حين » وروى الترمذي وابن ماجه بعضه من حديث سعد ابن أبي مجاهد الطائي وكان ثقة عن أبي المدلة وكان ثقة به

وقوله تعالى (تجري من تحتها الأنهار) أي تسلك الأنهار بين خلال ذلك كما يشاءوا وأين أرادوا وعد الله أي هذا الذي ذكرناه وعد وعده الله عباده المؤمنين إن الله لا يخلف الميعاد

رفيعة وفوقها منازل أرفع منها ﴿ تجري من تحتها الانهار وعد الله لا يخلف الله الميعاد ﴾ أي وعدهم الله تلك الغرف والمنازل وعداً لا يخلفه

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف حدثنا محمد بن اسماعيل حدثني عبد العزيز بن عبد الله حدثني مالك عن صفوان بن سليم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال « إن أهل الجنة يتراءون أهل الغرف من فوقهم كما تتراءون الكوكب الدري الغابر في الافق من المشرق أو المغرب لتفاضل مابينهم » قالوا يارسول الله تلك منازل الانبياء لا يبلغها غيرهم ؟ قال « بلى والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين »

ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فسلكه ينبيع في الأرض ثم يخرج به زرعا مختلفا ألوانه ثم يهيج فتريه مصفراً ثم يجعله حطاما إن في ذلك لذكرى لأولي الالبب (٢١) أفمن شرح الله صدره للاسلم فهو على نور من ربه؟ فويل للقسية قلوبهم من ذكر الله أولئك في ضلال مبين (٢٢)

يخبر تعالى أن أصل الماء في الارض من السماء كما قال عز وجل (وأنزلنا من السماء ماء طهوراً) فاذا أنزل الماء من السماء كمن في الارض ثم يصرفه تعالى في أجزاء الارض كما يشاء وينبعه عيونا ما بين صغار وكبار بحسب الحاجة اليها، ولهذا قال تبارك وتعالى (فسلكه ينابيع في الارض)

قال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين ثنا عمرو بن علي ثنا أبو قتيبة عتبة بن اليقظان عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى (ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع في الارض؟ قال ليس في الارض ماء إلا نزل من السماء ولكن عروق في الارض تغيره فذلك قوله تعالى (فسلكه ينابيع في الارض) فمن سره أن يعود الملح عذبا فليصعده، وكذا قال سعيد بن جبير وعامر الشعبي أن كل ما في الارض فأصله من السماء، وقال سعيد بن جبير أصله من الثلج يعني أن الثلج يتراكم على الجبال فيسكن في قرارها فتنبع العيون من أسافلها

وقوله تعالى (ثم يخرج به زرعا مختلفا ألوانه) أي ثم يخرج بالماء النازل من السماء والنابع من الارض زرعا مختلفا ألوانه أي أشكاله وطعومه وروائحه ومنافعه (ثم يهيج) أي بعد نضارته وشبابه يكتهل فتراه مصفراً قد خالطه اليبس (ثم يجعله حطاما) أي ثم يعود يابسا يتحطم (إن في ذلك لذكرى لأولي الالباب) أي الذين يتذكرون بهذا فيعتبرون إلى أن الدنيا هكذا تكون خضرة نضرة حسناء ثم تعود عجوزاً شوهاء والشاب يعود شيخا هرما كبيراً ضعيفا وبعد ذلك كله الموت، فالسعيد من كان حاله بعده إلى خير وكثيراً ما يضرب الله تعالى مثل الحياة الدنيا بما ينزل الله من السماء من ماء وينبت به زروعا وثماراً ثم يكون بعد ذلك حطاما كما قال تعالى (واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض فأصبح هشيما تذروه الرياح وكان الله على كل شيء مقتدراً)

قوله عز وجل ﴿ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فسلكه﴾ أدخل ذلك الماء ﴿ينابيع﴾ عيونا وركايا ﴿في الارض﴾ قال الشعبي كل ماء في الارض فمن السماء نزل ﴿ثم يخرج به﴾ بالماء ﴿زرعا مختلفا ألوانه﴾ أحمر وأصفر وأخضر ﴿ثم يهيج﴾ ييبس ﴿فتراه﴾ بعد خضرته ونضرته ﴿مصفراً ثم يجعله حطاما﴾ فتاتا متكسراً ﴿إن في ذلك لذكرى لأولي الالباب﴾

وقوله تبارك وتعالى (أفمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه؟) أي هل يستوي هذا ومن هو قاسي القلب بعيد من الحق كقوله عز وجل (أو من كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها؟) ولهذا قال تعالى (فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله) أي فلا تلين عند ذكره ولا تخشع ولا تعي ولا تفهم (أولئك في ضلال مبين)

أَللهُ نَزَّلَ أَحسنَ الحديثِ كتاباً متشابِهاً مثانيَ تقشعرُ منه جلودُ الذين يخشونَ ربهم ثم تلينُ جلودُهم وقلوبُهم الى ذكرِ اللهِ ذلكَ هُدى اللهِ يهدي به من يشاءُ ومن يُضلِلِ اللهُ فما له من هادٍ (٢٣)

هذا مدح من الله عز وجل لكتابه القرآن العظيم المنزل على رسوله الكريم. قال الله تعالى (الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني) قال مجاهد يعني القرآن كله متشابه مثاني، وقال قتادة الآية تشبه الآية والحرف يشبه الحرف وقال الضحاك مثاني ترديد القول ليفهموا عن ربهم تبارك وتعالى وقال عكرمة والحسن ثنى الله فيه القضاء زاد الحسن تكون السورة فيها آية وفي السورة الاخرى آية تشبهها، وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم مثاني مردد ردد موسى في القرآن وصالح وهود والانبياء عليهم الصلاة والسلام في أمكنة كثيرة

قوله عز وجل ﴿أفمن شرح الله صدره للاسلام﴾ وسعه لقبول الحق ﴿فهو على نور من ربه﴾ كمن قسى الله قلبه؟

أخبرنا أبو سعيد احمد بن ابراهيم الشريحي أنا أبو اسحاق احمد بن محمد بن ابراهيم الثعلبي أنا ابن فنجويه حدثنا عبد الله بن محمد بن شيبة حدثنا أبو جعفر محمد بن الحسن الموصلي ببغداد أنا أبو فروة واسمه يزيد بن محمد حدثني أبي عن أبيه حدثنا زيد بن أبي أنيسة عن عمرو بن مرة عن عبد الله بن الحارث عن عبد الله بن مسعود قال تلا رسول الله ﷺ (أفمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه) قلنا يارسول الله كيف انشراح صدره؟ قال « اذا دخل النور القلب انشرح وانفسح » قلنا يارسول الله وما علامة ذلك؟ قال « الانابة الى دار الخلود، والتجافي عن دار الغرور، والتأهب للموت قبل نزول الموت »

قوله عز وجل ﴿فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله أولئك في ضلال مبين﴾ قال مالك بن دينار ماضرب عبد بعقوبة أعظم من قسوة القلب وما غضب الله عز وجل على قوم إلا نزع منهم الرحمة

قوله عز وجل ﴿الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها﴾ يشبه بعضه بعضا في الحسن ويصدق بعضه بعضا ليس فيه تناقض ولا اختلاف ﴿مثاني﴾ يثنى فيه ذكر الوعد والوعيد والامر والنهي

وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما (مثاني) قال القرآن يشبه بعضه بعضا ويرد بعضه على بعض ، وقال بعض العلماء ويروى عن سفيان بن عيينة معنى قوله تعالى (متشابها مثاني) ان سياقات القرآن تارة تكون في معنى واحد فهذان من المتشابه وتارة تكون بذكر الشيء وضده كذكر المؤمنين ثم الكافرين وكصفة الجنة ثم صفة النار وما أشبه هذا فهذا من المثاني كقوله تعالى (إن الابرار لفي نعيم وإن الفجار لفي جحيم) وكقوله عز وجل (كلا ان كتاب الفجار لفي سجين - الى أن قال - كلا ان كتاب الابرار لفي عليين) هذا ذكر (وإن للمتقين لحسن مآب — الى أن قال هذا — وإن للطاغين لشر مآب) ونحو هذا من السياقات فهذا كله من المثاني أي في معنيين اثنين وأما إذا كان السياق كله في معنى واحد يشبه بعضه بعضا فهو المتشابه وليس هذا من المتشابه المذكور في قوله تعالى (منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات) ذاك معنى آخر

وقوله تعالى (تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله) أي هذه صفة الابرار، عند سماع كلام الجبار، المهيمن العزيز الغفار، لما يفهمون منه من الوعد والوعيد، والتخويف والتهديد، تقشعر منه جلودهم من الخشية والخوف (ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله) لما يرجون ويؤملون من رحمته ولطفه فهم مخالفون لغيرهم من الفجار من وجوه (أحدها) أن سماع هؤلاء هو تلاوة الآيات وسماع أولئك نغمات الابيات من أصوات القينات (الثاني) أنهم اذا تليت عليهم آيات الرحمن خروا سجداً وبكيا بأدب وخشية ورجاء ومحبة وفهم وعلم كما قال تبارك وتعالى (إنما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا وعلى ربهم يتوكلون * الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون * أولئك هم المؤمنون حقا لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم) وقال تعالى (والذين اذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا) أي لم يكونوا عند

والاخبار والاحكام ﴿ تقشعر ﴾ تضطرب وتشمئز ﴿ منه جلود الذين يخشون ربهم ﴾ والاقشعرار تغير في جلد الانسان عند الوجل والخوف وقيل المراد من الجلود القلوب أي قلوب الذين يخشون ربهم ﴿ ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله ﴾ أي لذكر الله أي اذا ذكرت آيات العذاب اقشعرت جلود الخائفين لله واذا ذكرت آيات الرحمة لانت وسكنت قلوبهم كما قال الله تعالى (ألا بذكر الله تطمئن القلوب) وحقيقة المعنى أن قلوبهم تقشعر عند الخوف وتلين عند الرجاء

أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو اسحاق الثعلبي أخبرني الحسين بن محمد ثنا محمد بن موسى بن محمد بن علي ثنا محمد بن عبدوس بن كامل ثنا يحيي بن عبد الحميد الحماني ثنا علي بن عبد العزيز بن محمد عن يزيد بن الهاد عن ابراهيم التيمي عن أم كلثوم بنت عمر عن العباس بن عبد المطلب قال : قال رسول الله ﷺ « اذا اقشعر جلد العبد من خشية الله تحاتت عنه ذنوبه كما يتحات عن الشجرة اليابسة ورقها »

سماعها متشاغلين لاهين عنها بل مصغين اليها فاهمين بصيرين بمعانيها فلهذا انما يعملون بها ويسجدون عندها عن بصيرة لا عن جهل ومتابعة لغيرهم

(الثالث) أنهم يلزمون الادب عند سماعها كما كان الصحابة رضي الله عنهم عند سماعهم كلام الله تعالى من تلاوة رسول الله ﷺ تقشعر جلودهم ثم تلين مع قلوبهم الى ذكر الله لم يكونوا يتصارخون ولا يتكلفون ما ليس فيهم بل عندهم من الثبات والسكون والادب والخشية مالا يلحقهم أحد في ذلك ولهذا فازوا بالمدح من الرب الاعلى في الدنيا والآخرة

قال عبد الرزاق حدثنا معمر قال تلا قتادة رحمه الله (تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله) قال هذا نعت أولياء الله نعتهم الله عز وجل بأن تقشعر جلودهم وتبكي أعينهم وتطمئن قلوبهم إلى ذكر الله ولم ينعتهم بذهاب عقولهم والغشيان عليهم إنما هذا في أهل البدع ، وهذا من الشيطان

وقال السدي (ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله) أي إلى وعد الله ، وقوله (ذلك هدى الله يهدي به من يشاء من عباده) أي هذه صفة من هداه الله ومن كان على خلاف ذلك فهو ممن أضله الله (ومن يضلل الله فما له من هاد)

أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو اسحاق الثعلبي أخبرني الحسين بن محمد ثنا احمد بن جعفر بن حمدان ثنا موسى بن اسحاق الانصاري ثنا محمد بن معاوية ثنا الليث بن سعد ثنا يزيد بن عبد الله ابن الهاد بهذا الاسناد وقال اذا اقشعر جلد العبد من خشية الله حرمه الله على النار قال قتادة هذا نعت أولياء الله نعتهم الله بأن تقشعر جلودهم وتطمئن قلوبهم بذكر الله ولم ينعتهم بذهاب عقولهم والغشيان عليهم انما ذلك في أهل االبدع وهو من الشيطان

أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو اسحاق الثعلبي أنا الحسين بن محمد بن فنجويه ثنا ابن شيبة ثنا حمدان بن داود ثنا سلمة بن شبيب ثنا خلف بن سالم ثنا هشيم عن حصين عن عبد الله بن عروة ابن الزبير قال قلت لجدتي أسماء بنت أبي بكر كيف كان اصحاب رسول الله ﷺ يفعلون اذا قرىء عليهم القرآن؟ قالت كانوا كما نعتهم الله عز وجل تدمع أعينهم وتقشعر جلودهم قال فقلت لها إن ناسا اليوم اذا قرىء عليهم القرآن خر أحدهم مغشيا عليه فقالت أعوذ بالله من الشيطان الرجيم . وبه عن سلمة ثنا يحيى بن يحيى ثنا سعيد بن عبد الرحمن الجمحي أن ابن عمر مر برجل من أهل العراق ساقط فقال مابال هذا؟ قالوا انه اذا قرىء عليه القرآن أو سمع ذكر الله سقط قال ابن عمر إنا لنخشى الله وما نسقط وقال ابن عمر إن الشيطان يدخل في جوف أحدهم ما كان هذا صنيع أصحاب محمد ﷺ وذكر عند ابن سيرين الذين يصرعون اذا قرىء عليهم القرآن فقال بيننا وبينهم أن يقعد أحدهم على ظهر بيت باسطا رجليه ثم يقرأ عليه القرآن من أوله الى آخره فان رمى بنفسه فهو صادق (ذلك

أفمن يتقي بوجهه سوء العذاب يوم القيـٰمة وقيل للظـٰلمين ذوقوا ما كنتم تكسبون (٢٤)

كذب الذين من قبلهم فأتٰهم العذاب من حيث لا يشعرون (٢٥) فأذاقهم الله الخزيَ في الحيوٰة

الدنيا ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون (٢٦)

يقول تعالى أفمن يتقي بوجهه سوء العذاب يوم القيامة ويقرّع فيقال له ولأمثاله من الظالمين ذوقوا ما كنتم تكسبون كمن يأتي آمنا يوم القيامة كما قال عز وجل (أفمن يمشي مكبا على وجهه أهدى أم من يمشي سويا على صراط مستقيم؟) وقال جل وعلا (يوم يسحبون في النار على وجوههم ذوقوا مس سقر) وقال تبارك وتعالى (أفمن يلقى في النار خير أم من يأتي آمنا يوم القيامة؟) واكتفى في هذه الآية بأحد القسمين عن الآخر كقول الشاعر

فما أدري إذا يممت أرضا أريد الخير أيهما يليني؟

يعني الخير أو الشر . وقوله جلت عظمته (كذب الذين من قبلهم فأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون) يعني القرون الماضية المكذبة للرسل أهلكهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق

وقوله جل وعلا (فأذاقهم الله الخزي في الحياة الدنيا) أي بما أنزل بهم من العذاب والنكال وتشفي المؤمنين منهم ، فليحذر المخاطبون من ذلك فانهم قد كذبوا أشرف الرسل وخاتم الانبياء ﷺ الذي أعده الله جل جلاله لهم في الآخرة من العذاب الشديد أعظم مما أصابهم في الدنيا ولهذا قال عز وجل (ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون)

ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مَثل لعلهم يتذكرون (٢٧) قرآنا عربيًا غير

يعني احسن الحديث ﴿ هدى الله يهدي به من يشاء ومن يضلل الله فما له من هاد * أفمن يتقي بوجهه سوء العذاب ﴾ أي شدته ﴿ يوم القيامة ﴾ قال مجاهد يجر على وجهه في النار وقال عطاء يرمى به في النار منكوسا فأول شيء منه تمسه النار وجهه قال مقاتل هو أن الكافر يرمى به في النار مغلولة يداه الي عنقه وفي عنقه صخرة مثل جبل عظيم من الكبريت فتشتعل النار في الحجر وهو معلق في عنقه فحرها ووهجها على وجهه لا يطيق دفعها عن وجهه للاغلال التي في عنقه ويده، ومجاز الآية أفمن يتقي بوجهه سوء العذاب كمن هو آمن من العذاب؟ ﴿ وقيل ﴾ يعني تقول الخزنة ﴿ للظالمين ذوقوا ما كنتم تكسبون ﴾ اي وباله ﴿ كذب الذين من قبلهم ﴾ من قبل كفار مكة كذبوا الرسل ﴿ فأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون ﴾ يعني وهم آمنون غافلون عن العذاب ﴿ فأذاقهم الله الخزي ﴾ العذاب والهوان ﴿ في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون * ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل

ذي عوج لعلهم يتقون (٢٨) ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل هل يستويان مثلا ؟ الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون (٢٩) انك ميت وانهم ميتون (٣٠) ثم إنكم يوم القيمة عند ربكم تختصمون (٣١)

يقول تعالى (ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل) أى بينا للناس فيه بضرب الامثال (لعلهم يتذكرون) فان المثل يقرب المعنى الى الاذهان كما قال تبارك وتعالى (ضرب لكم مثلا من أنفسكم) أي تعلمونه من أنفسكم ، وقال عز وجل (وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون) وقوله جل وعلا (قرآنا عربيا غير ذي عوج) أى هو قرآن بلسان عربي مبين لا اعوجاج فيه ولا انحراف ولا لبس بل هو بيان ووضوح وبرهان ، وانما جعله الله تعالى كذلك ، وأنزله بذلك (لعلهم يتقون) أى يحذرون مافيه من الوعيد ويعملون بمافيه من الوعد

ثم قال (ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون) أى يتنازعون في ذلك العبد المشترك بينهم [ورجلا سلما] أى سالما (لرجل) أى خالصا لايملكه أحد غيره (هل يستويان مثلا؟) أى لا يستوي هذا وهذا ، كذلك لا يستوي المشرك الذى يعبد آلهة مع الله والمؤمن المخلص الذي لا يعبد الا الله وحده لاشريك له ، فأين هذا من هذا ؟ قال ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وغير واحد : هذه الآية ضربت مثلا للمشرك والمخلص ، ولما كان هذا المثل ظاهراً بينا جليا قال (الحمد لله) اي على اقامة الحجة عليهم (بل أكثرهم لا يعلمون) أى فلهذا يشركون بالله

لعلهم يتذكرون ﴾ يتعظون ﴿ قرآنا عربيا ﴾ نصب على الحال ﴿ غير ذي عوج ﴾ قال ابن عباس غير مختلف قال مجاهد غير ذي لبس قال السدي غير مخلوق ويروى ذلك عن مالك أنس وحكي عن سفيان بن عيينة عن سبعين من التابعين أن القرآن ليس بخالق ولا مخلوق ﴿ لعلهم يتقون ﴾ الكفر والتكذيب ﴿ ضرب الله مثلا رجلا ﴾ قال الكسائي نصب رجلا لانه تفسير للمثل ﴿ فيه شركاء متشاكسون ﴾ متنازعون مختلفون سيئة أخلاقهم يقال رجل شكس شرس اذا كان سيء الخلق مخالفا للناس لا يرضي بالانصاف ﴿ ورجلا سلما لرجل ﴾ قرأ أهل مكة والبصرة سالما بالالف أي خالصا له لاشريك ولا منازع له فيه وقرأ الآخرون سلما بفتح اللام من غير ألف وهو الذي لا ينازع فيه من قولهم هو لك سلم أي مسلم لامنازع لك فيه ﴿ هل يستويان مثلا ؟ ﴾ هذا مثل ضربه الله عز وجل للكافر الذي يعبد آلهة شتى والمؤمن الذي لا يعبد إلا الله الواحد وهذا استفهام انكار أي لا يستويان ثم قال ﴿ الحمد لله ﴾ أي لله الحمد كله دون غيره من المعبودين ﴿ بل أكثرهم لا يعلمون ﴾ مايصيرون اليه

وقوله تبارك وتعالى (إنك ميت وانهم ميتون) هذه الآية من الآيات التي استشهد بها الصديق رضي الله عنه عند موت الرسول ﷺ حتى تحقق الناس موته مع قوله عز وجل (وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفان مات أوقتل انقلبتم على أعقابكم؟ ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين) ومعنى هذه الآية انكم ستنقلون من هذه الدار لا محالة وستجتمعون عند الله تعالى في الدار الآخرة وتختصمون فيما أنتم فيه في الدنيا من التوحيد والشرك بين يدي الله عز وجل فيفصل بينكم ويفتح بالحق وهو الفتاح العليم، فينجي المؤمنين المخلصين الموحدين، ويعذب الكافرين الجاحدين المشركين المكذبين

ثم ان هذه الاية وان كان سياقها في المؤمنين والكافرين وذكر الخصومة بينهم في الدار الاخرة فانها شاملة لكل متنازعين في الدنيا فانه تعاد عليهم الخصومة في الدار الآخرة

قال ابن أبي حاتم رحمه الله حدثنا محمد بن عبدالله بن يزيد المقري ثنا سفيان عن محمد بن عمرو عن أبي حاطب - يعني يحيى بن عبدالرحمن - عن ابن الزبير رضي الله عنهما قال: لما نزلت (ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون) قال الزبير رضي الله عنه يارسول الله: أتكرر علينا الخصومة؟ قال ﷺ «نعم» قال رضي الله عنه: ان الامر اذاً لشديد. وكذا رواه الامام احمد عن سفيان وعنده زيادة: ولما نزلت (ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم) قال الزبير رضي الله عنه: أي رسول الله أى نعيم نسئل عنه وانما نعيمنا الأسودان: التمر والماء؟ قال ﷺ «أما ان ذلك سيكون» وقد روى هذه الزيادة الترمذي وابن ماجه من حديث سفيان به وقال الترمذي حسن

وقال أحمد ايضا حدثنا ابن نمير ثنا محمد - يعني ابن عمرو - عن يحيى بن عبدالرحمن بن حاطب عن عبدالله بن الزبير عن الزبير بن العوام رضي الله عنه قال: لما نزلت هذه السورة على رسول الله ﷺ (انك ميت وانهم ميتون * ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون) قال الزبير رضي الله عنه: أي رسول الله أيكرر علينا ما كان بيننا في الدنيا مع خواص الذنوب؟ قال ﷺ «نعم ليكررن

والمراد بالا كثر الكل «إنك ميت» أي ستموت «وإنهم ميتون» أي سيموتون قال الفراء والكسائي الميت بالتشديد من لم يمت وسيموت والميت بالتخفيف من فارقه الروح ولذلك لم يخفف ههنا «ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون» قال ابن عباس يعني المحق والمبطل والظالم والمظلوم

أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو اسحاق الثعلبي أنا ابن فنجويه ثنا ابن مالك ثنا ابن حنبل حدثني أبي ثنا ابن نمير ثنا محمد يعني ابن عمرو عن يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب عن عبد الله بن الزبير عن الزبير بن العوام قال لما نزلت على رسول الله ﷺ (ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون) قال الزبير يارسول الله أيكرر علينا ما كان بيننا في الدنيا مع خواص الذنوب؟ قال «نعم ليكررن عليكم حتى يؤدى الى كل ذي حق حقه» قال الزبير والله إن الأمر لشديد وقال ابن عمر عشنا برهة

عليكم حتى يؤدي الى كل ذي حق حقه » قال الزبير رضي الله عنه والله ان الامر لشديد، رواه الترمذي من حديث محمد بن عمرو به وقال حسن صحيح

وقال الامام أحمد حدثنا قتيبة بن سعيد ثنا ابن لهيعة عن أبي عياش عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « أول خصمين يوم القيامة جاران » تفرد به أحمد

وقال الامام أحمد أيضاً حدثنا حسن بن موسى ثنا ابن لهيعة ثنا دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « والذي نفسي بيده أنه ليختصم حتى الشاتان فيما انتطحتا » تفرد به أحمد رحمه الله . وفي المسند عن أبي ذر رضي الله عنه أنه قال رأى رسول الله ﷺ شاتين ينتطحان فقال « أتدري فيم ينتطحان يا أبا ذر؟ » قلت لا قال ﷺ « لكن الله يدري وسيحكم بينهما »

وقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا سهل بن محمد ثنا حيان بن أغلب ثنا أبي ثنا ثابت عن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « يجاء بالامام الجائر الخائن يوم القيامة فتخاصمه الرعية فيفلحون عليه فيقال له سد ركنا من أركان جهنم » ثم قال الاغلب بن تميم ليس بالحافظ

وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما (ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون) يقول يخاصم الصادق الكاذب ، والمظلوم الظالم ، والمهتدي الضال ، والضعيف المستكبر، وقد روى ابن منده في كتاب الروح عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : يختصم الناس يوم القيامة حتى تختصم الروح مع الجسد فتقول الروح للجسد أنت فعلت ويقول الجسد للروح أنت أمرت وأنت سولت ، فيبعث الله تعالى ملكا يفصل بينهما فيقول لهما إن مثلكما كمثل رجل مقعد بصير والآخر ضرير دخلا بستانا فقال المقعد للضرير اني أرى ههنا ثماراً ولكن لا أصل اليها فقال له الضرير اركبني فتناولها فركبه فأيهما المتعدي ؟ فيقولان كلاهما فيقول لهما الملك فانكما قد حكمتما على أنفسكما ، يعني ان الجسد للروح كالمطية وهو راكبه

من الدهر وكنا نرى أن هذه الآية أنزلت فينا وفي أهل الكتابين (ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون) قلنا كيف نختصم وديننا وكتابنا واحد ؟ حتى رأيت بعضنا يضرب وجوه بعض بالسيف فعرفت انها نزلت فينا . وعن أبي سعيد الخدري في هذه الآية قال كنا نقول ربنا واحد وديننا واحد ونبينا واحد فما هذه الخصومة؟ فلما كان يوم صفين وشد بعضنا على بعض بالسيوف قلنا نعم هو هذا وعن ابراهيم قال لما نزلت [ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون] قالوا كيف نختصم ونحن اخوان؟ فلما قتل عثمان قالوا هذه خصومتنا

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أبو محمد عبد الرحمن بن أبي شريح ثنا أبو القاسم عبدالله ابن محمد بن عبد العزيز البغوي ثنا علي بن الجعد ثنا ابن أبي ذئب عن سعيد المقبري عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال « من كانت لأخيه عنده مظلمة من عرض أو مال فليتحلله اليوم قبل أن يؤخذ منه

وقال ابن أبي حاتم حدثنا جعفر بن أحمد بن عوسجة ثنا ضرار ثنا أبو سلمة الخزاعي ثنا منصور ابن مسلمة ثنا القمي -يعني يعقوب بن عبدالله- عن جعفر بن المغيرة عن سعيد بن جبير عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: نزلت هذه الآية وما نعلم في أي شيء نزلت (ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون) قال قلنا من نخاصم ليس بيننا وبين أهل الكتاب خصومة فمن نخاصم؟ حتى وقعت الفتنة فقال ابن عمر رضي الله عنهما: هذا الذي وعدنا ربنا عز وجل نختصم فيه، ورواه النسائي عن محمد بن عامر عن منصور بن مسلمة به

وقال أبو العالية في قوله تبارك وتعالى (ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون) قال يعني أهل القبلة، وقال ابن زيد: يعني أهل الاسلام وأهل الكفر، وقد قدمنا ان الصحيح العموم والله سبحانه أعلم

فمن أظلم ممن كذَب على الله وكذّب بالصّدق إذ جاءه؟ أليس في جهنم مثوًى للكٰفرين؟ (٣٢) والذي جاء بالصّدق وصدّق به أولئك هم المتقون (٣٣) لهم ما يشاءون عند ربهم ذلك جزاء المحسنين (٣٤) ليكفّر الله عنهم أسوأ الذي عملوا ويجزيَهم أجرهم بأحسن الذي كانوا يعملون (٣٥)

يقول عز وجل مخاطبا للمشركين الذين افتروا على الله وجعلوا معه آلهة أخرى وادعوا أن الملائكة بنات الله وجعلوا لله ولدا تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً، ومع هذا كذبوا بالحق إذ جاءهم على ألسنة رسل الله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ولهذا قال عز وجل (فمن أظلم ممن كذب على الله وكذب بالصدق إذ جاءه) أي لا أحد أظلم من هذا لانه جمع بين طرفي الباطل كذب على الله وكذب رسول الله ﷺ قالوا الباطل وردوا الحق ولهذا قال جلت عظمته متوعداً لهم (أليس في جهنم مثوى للكافرين؟) وهم الجاحدون المكذبون

يوم لا دينار ولا درهم فان كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته وان لم يكن له أخذ من سيآته فحملت عليه

أخبرنا أبو عبد الله محمد بن الفضل الخرقي أنا أبو الحسن الطبري أنا عبد الله بن عمر الجوهري ثنا أحمد بن علي الكشميهني ثنا علي بن حجر ثنا اسمعيل بن جعفر عن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال «أتدرون من المفلس؟» قالوا المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع قال «ان المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة وقد كان شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيقضي هذا من حسناته وهذا من حسناته -قال- فان فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار»

قوله عز وجل ﴿فمن أظلم ممن كذب على الله﴾ فزعم أن له ولدا وشريكا ﴿وكذب بالصدق﴾

ثم قال جل وعلا (والذي جاء بالصدق وصدق به) قال مجاهد وقتادة والربيع بن أنس وابن زيد : الذى جاء بالصدق هو الرسول ﷺ وقال السدي هو جبريل عليه السلام (وصدق به) يعني محمدا ﷺ وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما (والذي جاء بالصدق) قال من جاء بلا إله الا الله (وصدق به) يعني رسول الله ﷺ وقرأ الربيع بن أنس (والذين جاءوا بالصدق) يعني الانبياء (وصدقوا به) يعني الأتباع

وقال ليث بن أبي سليم عن مجاهد [والذي جاء بالصدق وصدق به] قال أصحاب القرآن المؤمنون يجيئون يوم القيامة فيقولون هذا ماأعطيتمونا فعملنا فيه بما أمرتمونا . وهذا القول عن مجاهد يشمل كل المؤمنين فان المؤمنين يقولون الحق ويعملون به ، والرسول ﷺ أولى الناس بالدخول في هذه الآية على هذا التفسير فانه جاء بالصدق وصدق المرسلين وآمن بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله

وقال عبدالرحمن بن زيد بن أسلم والذي جاء بالصدق هو رسول الله ﷺ وصدق به قال المسلمون [أولئك هم المتقون] قال ابن عباس رضي الله عنهما : اتقوا الشرك [لهم مايشاؤن عند ربهم] يعني في الجنة مهما طلبوا وجدوا (ذلك جزاء المحسنين * ليكفر الله عنهم أسوأ الذي عملوا ويجزيهم أجرهم بأحسن الذي كانوا يعملون) كماقال عز وجل في الآية الاخرى (اولئك الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا ونتجاوز عن سيئاتهم في أصحاب الجنة وعد الصدق الذي كانوا يوعدون)

بالقرآن ﴿ إذ جاءه أليس في جهنم مثوى ﴾ منزل ومقام ﴿ للكافرين ؟ ﴾ استفهام بمعنى التقرير ﴿والذى جاء بالصدق وصدق به ﴾

قال ابن عباس (والذي جاء بالصدق) يعني رسول الله ﷺ جاء بلا إله الا الله (وصدق به) الرسول أيضا بلغه الى الخلق وقال السدي (والذى جاء بالصدق) جبريل جاء بالقرآن (وصدق به) محمد ﷺ تلقاه بالقبول وقال الكلبي وأبو العالية (والذي جاء بالصدق) رسول الله ﷺ (وصدق به) أبو بكر رضي الله عنه وقال قتادة ومقاتل (والذى جاء بالصدق) رسول الله ﷺ (وصدق به) المؤمنون لقوله عز وجل ﴿ أولئك هم المتقون ﴾ وقال عطاء (والذى جاء بالصدق) الانبياء وصدق به الاتباع وحينئذ يكون الذى بمعنى الذين كقوله تعالى (مثلهم كمثل الذى استوقد نارا) ثم قال (ذهب الله بنورهم) وقال الحسن هم المؤمنون صدقوا ربهم في الدنيا وجاؤا به في الآخرة وفي قراءة عبدالله بن مسعود (والذين جاؤا بالصدق وصدقوا به أولئك هم المتقون) ﴿ لهم ما يشاؤن عند ربهم ذلك جزاء المحسنين* ليكفر الله عنهم أسوأ الذى عملوا ﴾ يسترها عليهم بالمغفرة ﴿ ويجزيهم أجرهم بأحسن الذى كانوا يعملون﴾ قال مقاتل يجزيهم بالمحاسن من أعمالهم ولا يجزيهم بالمساوي

أليس الله بكاف عبده ويخوفونك بالذين من دونه ومن يضلل الله فما له من هاد (٣٦) ومن يهد الله فما له من مضل أليس الله بعزيز ذي انتقام (٣٧) ولئن سألتهم من خلق السموٰت والأرض ليقولن الله قل أفرءيتم ما تدعون من دون الله إن أرادني الله بضر هل هن كٰشفٰت ضره أو أرادني برحمة هل هن ممسكٰت رحمته ؟ قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون (٣٨) قل يٰقوم اعملوا على مكانتكم إني عٰمل فسوف تعلمون (٣٩) من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم (٤٠)

يقول تعالى (أليس الله بكاف عبده) وقرأ بعضهم (عباده) يعني انه تعالى يكفي من عبده وتوكل عليه وقال ابن أبي حاتم ههنا حدثنا أبو عبيدالله ابن أخي ابن وهب ثنا عمي ثنا أبو هاني، عن أبي علي عمرو بن مالك الجنبي عن فضالة بن عبيد الانصاري رضي الله عنه انه سمع رسول الله ﷺ يقول «أفلح من هدي الى الاسلام وكان عيشه كفافا وقنع به» رواه الترمذي والنسائي من حديث حيوة بن شريح عن أبي هاني، الخولاني به وقال الترمذي صحيح (ويخوفونك بالذين من دونه) يعني المشركين يخوفون الرسول ﷺ ويتوعدونه بأصنامهم وآلهتهم التي يدعونها من دون الله جهلا منهم وضلالا ولهذا قال عز وجل (ومن يضلل الله فما له من هاد * ومن يهد الله فما له من مضل أليس الله بعزيز ذي انتقام) أي منيع الجناب لا يضام من استند الى جنابه ولجأ الى بابه فانه العزيز الذي لا أعز منه ولا أشد انتقاما منه ممن كفر به وأشرك وعاند رسوله ﷺ وقوله تعالى (ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله) يعني المشركين كانوا يعترفون بان الله عز وجل هو الخالق للاشياء كلها ومع هذا يعبدون معه غيره مما لا يملك لهم ضرا ولا نفعا ولهذا قال تبارك وتعالى (قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله ان أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضره ؟ أو أرادني برحمة هل هن ممسكات رحمته ؟

قوله عز وجل ﴿ أليس الله بكاف عبده ؟ ﴾ يعني محمداً ﷺ وقرأ أبو جعفر وحمزة والكسائي عباده بالجمع يعني الأنبياء عليهم السلام قصدهم قومهم بالسوء كما قال وهمت كل أمة برسولهم ليأخذوه فكفاهم الله شر من عاداهم ﴿ ويخوفونك بالذين من دونه ﴾ وذلك انهم خوفوا النبي ﷺ معرة معاداة الاوثان وقالوا لتكفن عن شتم آلهتنا أو ليصيبنك منهم خبل أو جنون ﴿ ومن يضلل الله فما له من هاد * ومن يهد الله فما له من مضل أليس الله بعزيز ذي انتقام ؟ ﴾ منيع في ملكه منتقم من أعدائه ﴿ ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله ان أرادني الله بضر ﴾ بشدة وبلاء ﴿ هل هن كاشفات ضره ؟ أو أرادني برحمة ﴾ بنعمة وبركة ﴿ هل هن

أي لا تستطيع شيئا من الامر ، وذكر ابن أبي حاتم ههنا حديث قيس بن الحجاج عن حنش الصنعاني عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعا « احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك، تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة ، اذا سألت فاسأل الله ، واذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم أن الامة لو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يكتبه الله عليك لم يضروك ، ولو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء لم يكتبه الله لك لم ينفعوك ، جفت الصحف ورفعت الاقلام واعمل لله بالشكر في اليقين ، واعلم ان في الصبر على ما تكره خيراً كثيراً ، وأن النصر مع الصبر وان الفرج مع الكرب وان مع العسر يسراً » (قل حسبي الله) أي الله كافي (عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون) كما قال هود عليه الصلاة والسلام حين قال قومه (ان نقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء قال إني أشهد الله واشهدوا أني بريء مما تشركون من دونه فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون * إني توكلت على الله ربي وربكم ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم)

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن عصام الانصاري ثنا عبد الله بن بكر السهمي ثنا محمد بن حاتم عن أبي المقدام مولى آل عثمان عن محمد بن كعب القرظي ثنا ابن عباس رضي الله عنهما رفع الحديث إلى رسول الله ﷺ قال « من أحب أن يكون أقوى الناس فليتوكل على الله، ومن أحب ان يكون اغنى الناس فليكن بما في يد الله عز وجل أوثق منه بما في يديه ، ومن أحب أن يكون أكرم الناس فليتق الله عز وجل »

وقوله تعالى (قل ياقوم اعملوا على مكانتكم) أي على طريقتكم وهذا تهديد ووعيد (إني عامل) أي على طريقتي ومنهجي (فسوف تعلمون) أي ستعلمون غب ذلك ووباله (من يأتيه عذاب يخزيه) أي في الدنيا (ويحل عليه عذاب مقيم) أي دائم مستمر لا محيد عنه وذلك يوم القيامة أعاذنا الله منها

إنا أنزلنا عليك الكتٰب للناس بالحق فمن اهتدى فلنفسه ومن ضل فإنما يَضل عليها

وما أنت عليهم بوكيل (٤١) الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيُمسك

التي قضى عليها الموت ويُرسل الاخرى إلى أجل مُسمًّى ان في ذلك لآيٰت لقوم يتفكرون (٤٢)

ممسكات رحمته ؟ ﴾ قرأ أهل البصرة (كاشفات) وممسكات بالتنوين (ضره) (ورحمته) بنصب الراء والتاء، وقرأ الآخرون بلا تنوين وجر التاء على الاضافة قال مقاتل فسألهم النبي ﷺ عن ذلك فسكتوا فقال الله تعالى لرسوله ﷺ ﴿ قل حسبي الله ﴾ ثقتي به واعتمادي عليه ﴿ عليه يتوكل المتوكلون ﴾ يثق به الواثقون ﴿ قل يا قوم اعملوا على مكانتكم إني عامل فسوف تعلمون * من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم ﴾ أي ينزل عليه عذاب دائم ﴿ إنا أنزلنا عليك الكتاب للناس بالحق فمن

يقول تعالى مخاطبا رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم (انا أنزلنا عليك الكتاب) يعني القرآن (للناس بالحق) أي لجميع الخلق من الانس والجن لتنذرهم به (فمن اهتدى فلنفسه) أي فانما يعود نفع ذلك إلى نفسه (ومن ضل فانما يضل عليها) أي انما يرجع وبال ذلك على نفسه (وما أنت عليهم بوكيل) أي بموكل ان يهتدوا (انما أنت نذير والله على كل شيء وكيل - انما عليك البلاغ وعلينا الحساب)

ثم قال تعالى مخبراً عن نفسه الكريمة بانه المتصرف في الوجود بما يشاء وانه يتوفى الانفس الوفاة الكبرى بما يرسل من الحفظة الذين يقبضونها من الابدان والوفاة الصغرى عند المنام كما قال تبارك وتعالى (وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ماجرحتم بالنهار ثم يبعثكم فيه ليقضى أجل مسمى ثم اليه مرجعكم ثم ينبئكم بما كنتم تعملون وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة حتى اذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لايفرطون) فذكر الوفاتين الصغرى ثم الكبرى وفي هذه الآية ذكر الكبرى ثم الصغرى ولهذا قال تبارك وتعالى (الله يتوفى الانفس حين موتها والتى لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الاخرى الى أجل مسمى) فيه دلالة على انها تجتمع في الملأ الاعلى كما ورد بذلك الحديث المرفوع الذي رواه ابن منده وغيره

وفي صحيحي البخاري ومسلم من حديث عبد الله بن عمر عن سعيد بن أبي سعيد عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « اذا أوى أحدكم الى فراشه فلينفضه بداخلة ازاره فانه لايدري ماخلفه عليه ثم ليقل باسمك ربي وضعت جنبي وبك ارفعه ان أمسكت نفسي فارحمها وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين »

اهتدى فلنفسه ومن ضل فانما يضل عليها ﴾ وبال ضلالته عليه ﴿ وما أنت عليهم بوكيل ﴾ بحفيظ ورقيب أي لم توكل بهم ولا تؤخذ بهم

قوله عز وجل ﴿ الله يتوفى الانفس ﴾ أي الارواح ﴿ حين موتها ﴾ فيقبضها عند فناء أكلها وانقضاء آجالها وقوله (حين موتها) يريد موت أجسادها ﴿ والتى لم تمت ﴾ يريد يتوفى الانفس التي لم تمت ﴿ في منامها ﴾ والتي تتوفى عند النوم هي النفس التي يكون بها العقل والتمييز ولكل انسان نفسان احداهما نفس الحياة وهي التي تفارقه عند الموت فتزول بزوالها النفس والاخرى نفس التمييز وهي التي تفارقه اذا نام وهو بعد النوم يتنفس ﴿فيمسك التي قضى عليه الموت﴾ فلا يردها الى الجسد قرأ حمزة والكسائي [قضي] بضم القاف وكسر الضاد وفتح الياء [الموت] رفع على مالم يسم فاعله ، وقرأ الآخرون بفتح القاف والضاد الموت نصب لقوله عز وجل ﴿ الله يتوفى الانفس ﴾ ﴿ ويرسل الاخرى ﴾ ويرد الاخرى وهي التي لم يقض عليها الموت الى الجسد ﴿ الى أجل مسمى ﴾ الى أن يأتي وقت موته ويقال للانسان نفس وروح فعند النوم يخرج النفس ويبقى الروح وعن علي قال يخرج الروح عند النوم ويبقى شعاعه في الجسد فبذلك يرى الرؤيا فاذا انتبه من النوم عاد الروح الى جسده بأسرع من لحظة

وقال بعض السلف يقبض أرواح الاموات اذا ماتوا وأرواح الاحياء اذا ناموا فتتعارف ماشاء الله تعالى أن تتعارف (فيمسك التي قضى عليها الموت) التي قد ماتت ويرسل الاخرى الى أجل مسمى قال السدي الى بقية أجلها، وقال ابن عباس رضي الله عنهما يمسك أنفس الاموات ويرسل أنفس الاحياء ولا يغلط (ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون)

أم اتخذوا من دون الله شفعاء قل أولو كانوا لا يملكون شيئا ولا يعقلون ؟ (٤٣)

قل لله الشفاعة جميعا له مُلك السموٰات والارض ثم اليه تُرجعون (٤٤) واذا ذكر الله وحده

اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة واذا ذكر الذين من دونه اذاهم يستبشرون (٤٥)

يقول تعالى ذاما للمشركين في اتخاذهم شفعاء من دون الله وهم الاصنام والانداد التي اتخذوها من تلقاء أنفسهم بلا دليل ولا برهان حداهم على ذلك وهي لا تملك شيئا من الامر بل وليس لها عقل تعقل به ولا سمع تسمع به ولا بصر تبصر به بل هي جمادات أسوأ حالا من الحيوان بكثير ثم قال قل أي يا محمد لهؤلاء الزاعمين ان مااتخذوه شفعاء لهم عند الله تعالى أخبرهم ان الشفاعة لا تنفع عند الله إلا لمن ارتضاه وأذن له فمرجعها كلها اليه (من ذا الذي يشفع عنده إلا باذنه) (له ملك السموات والارض) أى هو المتصرف في جميع ذلك (ثم اليه ترجعون) أى يوم القيامة فيحكم بينكم بعدله ويجزي كلا بعمله ثم قال تعالى ذاما للمشركين أيضا (وإذا ذكر الله وحده) أى اذا قيل لا إله إلا

ويقال ان ارواح الاحياء والاموات تلتقي في المنام فتتعارف ماشاء الله فاذا أرادت الرجوع الى أجسادها أمسك الله ارواح الاموات عنده وارسل أرواح الاحياء حتى ترجع الى اجسادها الى انقضاء مدة حياتها

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل حدثنا أحمد بن يونس ثنا زهير ثنا عبد الله بن عمر حدثني سعد بن أبي سعيد المقبري عن أبيه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ « اذا أوى أحدكم الى فراشه فلينفض فراشه بداخلة ازاره فانه لايدري ماخلفه عليه ثم يقول باسمك ربي وضعت جنبي وبك أرفعه ان أمسكت نفسي فارحمها وان ارسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين » ﴿إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾ لدلالات على قدرته حيث لم يغلط في امساك مايمسك من الارواح وارسال مايرسل منها قال مقاتل لعلامات لقوم يتفكرون في أمر البعث يعني أن توفي نفس النائم وارسالها بعد التوفي دليل على البعث ﴿أم اتخذوا من دون الله شفعاء قل﴾ يا محمد ﴿أو لو كانوا﴾ وان كانوا يعني الآلهة ﴿لايملكون شيئا﴾ من الشفاعة ﴿ولا يعقلون ؟﴾ أنكم تعبدونهم وجواب هذا محذوف تقديره وان كانوا بهذه الصفة تتخذونهم ﴿قل لله الشفاعة جميعا﴾ قال مجاهد لايشفع أحد إلا باذنه ﴿له ملك السموات والارض ثم اليه

الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة) قال مجاهد اشمأزت انقبضت وقال السدى نفرت وقال قتادة كفرت واستكبرت وقال مالك عن زيد بن أسلم استكبرت كما قال تعالى (إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله الا الله يستكبرون) أى عن المتابعة والانقياد لها فقلوبهم لا تقبل الخير ومن لم يقبل الخير يقبل الشر ولذلك قال تبارك وتعالى (وإذا ذكر الذين من دونه) أي من الاصنام والانداد قاله مجاهد (إذا هم يستبشرون) أى يفرحون ويسرون

قل اللهمَّ فاطرَ السموٰات والأرض علم الغيب والشهٰدة أنت تحكم بين عبادك في ما كانوا فيه يختلفون (٤٦) ولو أن للذين ظلموا مافي الأرض جميعا ومثلَه معه لافتدَوا به من سوء العذاب يوم القيٰمة وبدا لهم من الله مالم يكونوا يحتسبون (٤٧) وبدا لهمْ سيئات ماكسبوا وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون (٤٨)

يقول تبارك وتعالى بعد ما ذكر عن المشركين ماذكر من المذمة لهم في حبهم الشرك ونفرتهم عن التوحيد (قل اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة) أي ادع أنت الله وحده لا شريك له الذي خلق السموات والارض وفطرها أي جعلها على غير مثال سبق (عالم الغيب والشهادة) أي السر والعلانية [أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون] أي في دنياهم ستفصل بينهم يوم معادهم ونشورهم وقيامهم من قبورهم

قال مسلم في صحيحه حدثنا عبد بن حميد حدثنا عمر بن يونس ثنا عكرمة بن عمار ثنا يحيى بن أبي كثير حدثني أبو سلمة بن عبد الرحمن قال : سألت عائشة رضي الله عنها بأي شيء كان رسول الله ﷺ يفتتح صلاته اذا قام من الليل ؟ قالت رضي الله عنها كان رسول الله ﷺ اذا قام من الليل افتتح صلاته « اللهم رب جبريل وميكائيل واسرافيل فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما اختلف فيه من الحق باذنك انك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم »

وقال الامام احمد حدثنا عفان ثنا حماد بن سلمة انا سهيل عن أبي صالح وعبد الله بن عثمان بن

ترجعون ﴿ وإذا ذكر الله وحده اشمأزت ﴾ نفرت وقال ابن عباس ومجاهد ومقاتل انقبضت عن التوحيد وقال قتادة استكبرت وأصل الاشمئزاز النفور والاستكبار ﴿ قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة وإذا ذكر الذين من دونه ﴾ يعني الاصنام ﴿ اذا هم يستبشرون ﴾ يفرحون قال مجاهد ومقاتل وذلك حين قرأ النبي ﷺ سورة والنجم فألقى الشيطان في امنيته تلك الغرانيق العلى ففرح به الكفار ﴿ قل اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون ﴾

خيثم عن عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : إن رسول الله ﷺ قال « من قال اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة اني أعهد اليك في هذه الدنيا أني أشهد أن لا إله الا أنت وحدك لاشريك لك وأن محمداً عبدك ورسولك فانك إن تكلني إلى نفسي تقربني من الشر وتباعدني من الخير ، وإني لا أثق الا برحمتك فاجعل لي عندك عهداً توفينيه يوم القيامة انك لاتخلف الميعاد ، إلا قال الله عزوجل لملائكته يوم القيامة إن عبدي قد عهد إلي عهداً فأوفوه اياه فيدخله الله الجنة » قال سهيل فأخبرت القاسم بن عبد الرحمن أن عونا أخبر بكذا وكذا فقال مافينا جارية إلا وهي تقول هذا في خدرها . انفرد به الامام أحمد

وقال الامام احمد حدثنا حسن ثنا ابن لهيعة حدثني حي بن عبد الله أن أبا عبد الرحمن حدثه قال أخرج لنا عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قرطاسا وقال : كان رسول الله ﷺ يعلمنا نقول : اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة أنت رب كل شيء وإله كل شيء ، أشهد أن لا إله الا أنت وحدك لاشريك لك وأن محمداً عبدك ورسولك والملائكة يشهدون ، أعوذ بك من الشيطان وشركه ، وأعوذ بك أن أقترف على نفسي اثما أو أجره الى مسلم » قال أبو عبد الرحمن رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمه عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما ، أن يقول ذلك حين يريد أن ينام . تفرد به أحمد أيضا

وقال الامام أحمد أيضا حدثنا خلف بن الوليد ثنا ابن عياش عن محمد بن زياد الالهاني عن أبي راشد الحبراني قال : أتيت عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما فقلت له حدثنا ماسمعت من رسول الله ﷺ فألقى بين يدي صحيفة فقال هذا ما كتب لي رسول الله ﷺ فنظرت فيها فاذا فيها ان أبا بكر الصديق رضي الله عنه قال : يارسول الله علمني ما أقول إذا أصبحت وإذا أمسيت فقال له رسول الله ﷺ « يا أبا بكر قل اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة لا إله إلا أنت رب كل شيء ومليكه أعوذ بك من شر نفسي وشر الشيطان وشركه أو أقترف على نفسي سوءا أو أجره إلى مسلم » ورواه الترمذي عن الحسن بن عرفة عن إسماعيل بن عياش به وقال حسن غريب من هذا الوجه

وقال الامام أحمد حدثنا هاشم ثنا سيار عن ليث عن مجاهد قال : قال أبو بكر الصديق أمرني رسول الله ﷺ أن أقول إذا أصبحت وإذا أمسيت واذا أخذت مضجعي من الليل « اللهم فاطر السموات والارض الخ

أخبرنا الامام أبو علي الحسين بن محمد القاضي أنا أبو نعيم الاسفرايني أنا أبو عوانة ثنا السلمي ثنا النضر بن محمد ثنا عكرمة بن عمار أنا يحيى بن أبي كثير ثنا أبو سلمة قال سألت عائشة رضي الله عنها بم كان رسول الله ﷺ يفتتح الصلاة من الليل ؟ قالت كان يقول « اللهم رب جبريل وميكائيل واسرافيل فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما اختلف فيه من الحق باذنك إنك تهدي من تشاء الى صراط مستقيم »

وقوله عز وجل (ولو أن للذين ظلموا) وهم المشركون (ما في الارض جميعا ومثله معه) أي ولو ن جميع ما في الارض وضعفه معه (لافتدوا به من سوء العذاب) أي الذي أوجبه الله تعالى لهم يوم القيامة ومع هذا لا يقبل منهم الفداء ولو كان ملء الارض ذهبا كما قال في الآية الاخرى (وبدا لهم من الله مالم يكونوا يحتسبون) أى وظهر لهم من الله من العذاب والنكال بهم مالم يكن في بالهم ولا في حسابهم (وبدا لهم سيئات ما كسبوا) أي وظهر لهم جزاء ما اكتسبوا في الدار الدنيا من المحارم والمآثم (وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون) أي وأحاط بهم من العذاب والنكال ما كانوا يستهزئون به في الدار الدنيا

فإذا مس الانسان ضرٌّ دعانا ثم اذا خولناه نعمة منا قال انما أوتيته على علم بل هي فتنة ولكنَّ أكثرهم لا يعلمون (٤٩) قد قالها الذين من قبلهم فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون (٥٠) فأصابهم سيئات ما كسبوا، والذين ظلموا من هؤلاء سيصيبهم سيئات ما كسبوا وماهم بمعجزين (٥١) أولم يعلموا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر، إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون (٥٢)

يقول تبارك وتعالى مخبراً عن الانسان أنه في حال الضراء يتضرع الى الله عز وجل وينيب اليه ويدعوه واذا خوله نعمة منه بغى وطغى وقال (انما أوتيته على علم) أي لما يعلم الله تعالى من استحقاقي له ولولا أني عند الله خصيص لما خولني هذا قال قتادة على علم عندي على خبر عندي

قال الله عز وجل (بل هي فتنة) أي ليس الامر كما زعم بل انما أنعمنا عليه بهذه النعمة لنختبره

قوله عز وجل ﴿ولو أن الذين ظلموا ما في الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به من سوء العذاب يوم القيامة وبدا لهم من الله مالم يكونوا يحتسبون﴾ قال مقاتل ظهر لهم حين بعثوا مالم يحتسبوا في الدنيا أنه نازل بهم في الآخرة قال السدي ظنوا أنها حسنات فبدت لهم سيئات، والمعنى أنهم كانوا يتقربون الى الله بعبادة الاصنام فلما عوقبوا عليها بدا لهم من الله مالم يحتسبوا. وروي أن محمد بن المنكدر جزع عند الموت فقيل له في ذلك فقال أخشى أن يبدو لي مالم أحتسب ﴿وبدا لهم سيئات ما كسبوا﴾ أي مساوي أعمالهم من الشرك والظلم بأولياء الله ﴿وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون * فاذا مس الانسان ضر﴾ شدة ﴿دعانا ثم اذا خولناه﴾ أعطيناه ﴿نعمة منا قال إنما أوتيته على علم﴾ أي على علم من الله أني له أهل وقال مقاتل على خير علم الله عندي وذكر الكناية لان المراد من النعمة الانعام ﴿بل هي فتنة﴾ يعني تلك النعمة فتنة استدراج من الله وامتحان وبلية وقيل بل الكلمة التي

فيما أنعمنا عليه أيطيع أم يعصي مع علمنا المتقدم بذلك فهي فتنة أي اختبار (ولكن أكثرهم لايعلمون) فلهذا يقولون مايقولون ويدعون مايدعون (قد قالها الذين من قبلهم) أي قد قال هذه المقالة وزعم هذا الزعم وادعى هذه الدعوى كثير ممن سلف من الامم (فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون) أي فما صح قولهم ولا نفعهم جمعهم وما كانوا يكسبون (فأصابهم سيئات ما كسبوا والذين ظلموا من هؤلاء) أي من المخاطبين (سيصيبهم سيئات ما كسبوا) أي كما أصاب أولئك (وماهم بمعجزين) كما قال تبارك وتعالى مخبراً عن قارون أنه قال له قومه (لاتفرح إن الله لايحب الفرحين * وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله اليك ولا تبغ الفساد في الارض إن الله لايحب المفسدين * قال انما أوتيته على علم عندي أو لم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعا ولا يسئل عن ذنوبهم المجرمون) وقال تعالى (وقالوا نحن أكثر أموالا وأولاداً وما نحن بمعذبين) وقوله تبارك وتعالى (أو لم يعلموا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) أي يوسعه على قوم ويضيقه على آخرين (إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون) أي لعبرا وحججا

قل يعبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لاتقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم (٥٣) وأنيبوا الى ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لاتنصرون (٥٤) واتبعوا أحسن ما أنزل اليكم من ربكم من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لاتشعرون (٥٥) أن تقول نفس يحسرتى على مافرطت في جنب الله وان كنت لمن السخرين (٥٦) أو تقول لو أن الله هداني لكنت من المتقين (٥٧) أو تقول حين ترى العذاب لو أن لي كرة فأكون من المحسنين (٥٨) بلى قد جاءتك آيتي فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكفرين (٥٩)

قالها فتنة ﴿ ولكن أكثرهم لايعلمون ﴾ أنه استدراج وامتحان ﴿ قد قالها الذين من قبلهم ﴾ قال مقاتل يعني قارون فانه قال إنما أوتيته على علم عندي ﴿ فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون ﴾ فما أغنى عنهم الكفر من العذاب شيئا ﴿ فأصابهم سيئات ما كسبوا ﴾ أي جزاؤها يعني العذاب

ثم أوعد كفار مكة فقال ﴿ والذين ظلموا من هؤلاء سيصيبهم سيئات ما كسبوا وماهم بمعجزين ﴾ بفائتين لان مرجعهم الى الله عز وجل ﴿ أولم يعلموا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء ﴾ أي يوسع الرزق لمن يشاء ﴿ ويقدر ﴾ أي يقتر على من يشاء ﴿ إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون ﴾

هذه الآية الكريمة دعوة لجميع العصاة من الكفرة وغيرهم إلى التوبة والانابة واخبار بأن الله تبارك وتعالى يغفر الذنوب جميعا لمن تاب منها ورجع عنها وإن كانت مهما كانت وان كثرت وكانت مثل زبد البحر ، ولا يصح حمل هذه على غير توبة لأن الشرك لا يغفر لمن لم يتب منه

قال البخاري حدثنا ابراهيم بن موسى أخبرنا هشام بن يونس أن ابن جريج أخبرهم قال يعلى إن سعيد بن جبير أخبره عن ابن عباس رضي الله عنهما أن ناسا من أهل الشرك كانوا قد قتلوا فأكثروا ، وزنوا فأكثروا فأتوا محمداً ﷺ فقالوا إن الذي تقول وتدعو اليه لحسن لو تخبرنا ان لما عملنا كفارة فنزل [والذين لا يدعون مع الله إلها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون] ونزل [قل ياعبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لاتقنطوا من رحمة الله] وهكذا رواه مسلم وأبو داود والنسائي من حديث ابن جريج عن يعلى بن مسلم المكي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما به . والمراد من الآية الأولى قوله تعالى [إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا] الآية

وقال الامام أحمد حدثنا حسن ثنا ابن لهيعة ثنا أبو قبيل قال : سمعت أبا عبد الرحمن المزني يقول سمعت ثوبان مولى رسول الله ﷺ يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول « ما أحب أن لي الدنيا وما فيها بهذه الآية [قل ياعبادي الذين أسرفوا على أنفسهم] إلى آخر الآية فقال رجل يارسول الله فمن أشرك ؟ فسكت النبي ﷺ ثم قال « ألا ومن أشرك » ثلاث مرات تفرد به الامام أحمد

وقال الامام أحمد أيضا حدثنا شريح بن النعمان ثنا نوح بن قيس عن أشعث بن جابر الحداني

قوله عز وجل ﴿ قل ياعبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لاتقنطوا من رحمة الله ﴾ روى سعيد ابن جبير عن ابن عباس أن ناسا من أهل الشرك كانوا قتلوا وأكثروا وزنوا وأكثروا فأتوا النبي ﷺ وقالوا إن الذى تدعونا اليه لحسن لو تخبرنا أن لما عملنا كفارة فنزلت هذه الآية

وقال عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس رضي الله عنهما قال بعث رسول الله ﷺ الى وحشي يدعوه الى الاسلام فارسل اليه كيف تدعوني الى دينك وأنت تزعم أن من قتل أو أشرك أو زنى يلق أثاما يضاعف له العذاب؟ وأنا قد فعلت ذلك كله فأنزل الله (إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا) فقال وحشي هذا شرط شديد لعلي لا أقدر عليه فهل غير ذلك فانزل الله تعالى (إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء) فقال وحشي أراني بعد في شبهة فلا أدري يغفر لي أم لا فأنزل الله تعالى (قل ياعبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لاتقنطوا من رحمة الله) فقال وحشي نعم هذا فجاء وأسلم فقال المسلمون هذا له خاصة أم للمسلمين عامة ؟ قال بل للمسلمين عامة

وروي عن ابن عمر قال نزلت هذه الآية في عياش بن أبي ربيعة والوليد بن الوليد ونفر من المسلمين كانوا قد أسلموا ثم فتنوا وعذبوا فافتتنوا فكنا نقول لا يقبل الله من هؤلاء صرفا ولا عدلا

عن مكحول عن عمرو بن عنبسة رضي الله عنه قال جاء رجل إلى النبي ﷺ شيخ كبير يدعم على عصا له فقال : يارسول الله إن لي غدرات وفجرات فهل يغفر لي قال ﷺ « ألست تشهد أن لا إله إلا الله ؟ » قال بلى وأشهد أنك رسول الله فقال ﷺ « قد غفر لك غدراتك وفجراتك » تفرد به أحمد

وقال الامام احمد حدثنا يزيد بن هارون ثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد رضي الله عنها قالت سمعت رسول الله ﷺ يقرأ (انه عمل غير صالح) وسمعته ﷺ يقول (قل ياعبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعاً) ولا يبالي (انه هو الغفور الرحيم) ورواه أبو داود والترمذي من حديث ثابت به فهذه الاحاديث كلها دالة على أن المراد انه يغفر جميع ذلك مع التوبة ولا يقنطن عبد من رحمة الله وان عظمت ذنوبه وكثرت فان باب الرحمة والتوبة واسع قال الله تعالى (ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده) وقال عز وجل (ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيما) وقال جل وعلا في حق المنافقين (ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار ولن تجد لهم نصيراً إلا الذين تابوا وأصلحوا) وقال جل جلاله (لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحد وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم)

ثم قال جلت عظمته (أفلا يتوبون الى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم) وقال تبارك وتعالى (إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا) قال الحسن البصري رحمة الله عليه انظروا الى هذا الكرم والجود قتلوا أولياءه وهو يدعوهم إلى التوبة والمغفرة ، والآيات في هذا كثيرة جداً

وفي الصحيحين عن أبي سعيد رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ حديث الذي قتل تسعا

أبدا قوم أسلموا ثم تركوا دينهم لعذاب عذبوا فيه فأنزل الله هذه الآيات فكتبها عمر بن الخطاب بيده ثم بعث بها الى عياش بن ربيعة والوليد بن الوليد والى أولئك النفر فأسلموا وهاجروا

وروى مقاتل بن حيان عن نافع عن ابن عمر قال كنا معاشر أصحاب رسول الله ﷺ نرى أو نقول ليس شيء من حسناتنا إلا وهي مقبولة حتى نزلت (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم) فلما نزلت هذه الآية قلنا ماهذا الذي يبطل أعمالنا ؟ فقلنا الكبائر والفواحش قال فكنا اذا رأينا من أصاب شيئا منها قلنا قد هلك فنزلت هذه الآية فكففنا عن القول في ذلك وكنا اذا رأينا أحداً أصاب منها شيئا خفنا عليه وان لم يصب منها شيئا رجونا له وأراد بالاسراف ارتكاب الكبائر

وروي عن ابن مسعود أنه دخل المسجد فاذا قاص يقص وهو يذكر النار والاغلال فقام على رأسه فقال يامذكر لم تقنط الناس ؟ ثم قرأ (قل ياعبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله)

أخبرنا أبو بكر ابن أبي الهيثم الترابي أنا أبو محمد عبد الله بن أحمد الحموي أنا أبو اسحاق ابراهيم ابن خزيم الشاشي ثنا عبد الله بن حميد ثنا حبان بن هلال وسليمان بن حرب وحجاج بن منهال قالوا

وتسعين نفساً ثم ندم وسأل عابداً من عباد بني اسرائيل هل له من توبة فقال لا فقتله وأكمل به مائة ثم سأل عالما من علمائهم هل له من توبة فقال ومن يحول بينك وبين التوبة ثم أمره بالذهاب إلى قرية يعبد الله فيها فقصدها فأتاه الموت في أثناء الطريق فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فأمر الله عز وجل أن يقيسوا ما بين الارضين فالى أيهما كان أقرب فهو منها فوجدوه أقرب الى الارض التي هاجر اليها بشبر فقبضته ملائكة الرحمة ، وذكر انه نأى بصدره عند الموت وأن الله تبارك وتعالى أمر البلدة الخيرة أن تقترب وأمر تلك البلد أن تتباعد هذا معنى الحديث وقد كتبناه في موضع آخر بلفظه

قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله عز وجل (قل ياعبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا) الى آخر الآية قال قد دعا الله تعالى الى مغفرته من زعم أن المسيح هو الله ومن زعم ان المسيح هو ابن الله ومن زعم ان عزيراً ابن الله ومن زعم أن الله فقير ومن زعم أن يد الله مغلولة ومن زعم أن الله ثالث ثلاثة يقول الله تعالى لهؤلاء (أفلا يتوبون الى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم) ثم دعا إلى التوبة من هو أعظم قولا من هؤلاء من قال أنا ربكم الاعلى وقال (ماعلمت لكم من إله غيري)قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما من آيس عباد الله من التوبة بعد هذا فقد جحد كتاب الله عز وجل ولكن لا يقدر العبد أن يتوب حتى يتوب الله عليه

وروى الطبراني من طريق الشعبي عن سنيد بن شكل أنه قال سمعت ابن مسعود يقول إن أعظم آية في كتاب الله (الله لا إله إلا هو الحي القيوم) وإن أجمع آية في القرآن بخير وشر (إن الله

ثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد قالت سمعت رسول الله ﷺ يقول «قل ياعبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لاتقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا ولا يبالي »

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا احمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل ثنا محمد بن بشار ثنا ابن أبي عدي عن شعبة عن قتادة عن أبي الصديق الناجي عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال « كان في بنى اسرائيل رجل قتل تسعا وتسعين انسانا ثم خرج يسأل فأتى راهبا فسأله فقال هل لي من توبة فقال لا فقتله فكمل به المائة فقال له رجل ائت قرية كذا و كذا فأدركه الموت فنا، بصدره نحوها فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فأوحى الله الى هذه أن تقربي وأوحى الى هذه أن تباعدي وقال قيسوا ما بينهما فوجد الى هذه أقرب بشبر فغفر له »

ورواه مسلم بن الحجاج عن محمد بن محمد بن المثنى العنبري عن معاذ بن هشام عن أبيه عن قتادة بهذا الاسناد وقال فدل على راهب فأتاه فقال إنه قتل تسعة وتسعين نفسا فهل له من توبة فقال لا فقتله وكمل به مائة ثم سأل عن أعلم أهل الارض فدل على رجل عالم فقال إنه قتل مائة نفس فهل له

يأمر بالعدل والاحسان) وإن أكثر آية في القرآن فرحا في سورة الغرف (قل ياعبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله) وإن أشد آية في كتاب الله تفويضا (ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب) فقال له مسروق صدقت

وقال الاعمش عن أبي سعيد عن أبي الكنود قال مر عبد الله يعني ابن مسعود رضي الله عنه على قاص وهو يذكر الناس فقال يامذكر لم تقنط الناس من رحمة الله ؟ ثم قرأ (قل ياعبادي الذين أسرفوا على انفسهم لاتقنطوا من رحمة الله) رواه ابن أبي حاتم رحمه الله

﴿ ذكر أحاديث فيها نفي القنوط ﴾

قال الامام أحمد حدثنا شريح بن النعمان ثنا أبو عبيدة عبد المؤمن بن عبيد الله السدي حدثني حسن السدوسي قال دخلت على أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه فقال سمعت رسول الله ﷺ يقول « والذي نفسي بيده لو أخطأتم حتى تملأ خطاياكم ما بين السماء والارض ثم استغفرتم الله تعالى لغفر لكم ، والذي نفس محمد ﷺ بيده لو لم تخطئوا لجاء الله عز وجل بقوم يخطئون ثم يستغفرون فيغفر لهم » تفرد به احمد

وقال الامام احمد حدثنا اسحاق بن عيسى حدثنى الليث حدثني محمد بن قيس قاص عمر بن عبد العزيز عن أبي صرمة عن أبي ايوب الانصاري رضي الله عنه انه قال حين حضرته الوفاة قد كنت كتمت منكم شيئا سمعته من رسول الله ﷺ يقول « لولا انكم تذنبون لخلق الله عز وجل قوما يذنبون فيغفر لهم » هكذا رواه الامام أحمد وأخرجه مسلم في صحيحه والترمذي جميعا عن

من توبة فقال نعم ومن يحول بينه وبين التوبة انطلق الى ارض كذا و كذا فان بها اناسا يعبدون الله فاعبد الله معهم ولا ترجع الى ارضك فانها ارض سوء فانطلق حتى اذا كان نصف الطريق أتاه الموت فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فأتاهم ملك في صورة آدمي فجعلوه بينهم حكما فقال قيسوا ما بين الارضين فالى أيتهما كان ادنى فهو له فقاسوا فوجدوه ادنى الى الارض التى أراد فقبضته ملائكة الرحمة

أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن أحمد أنا أبو اسحاق ابرهيم بن عبد الصمد الهاشمى أنا أبو مصعب عن مالك عن أبي الزناد عن الاعرج عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال« قال رجل لم يعمل خيرا قط لأهله اذا مات فحرقوه ثم ذروا نصفه في البر ونصفه في البحر فوالله لئن قدر الله عليه ليعذبنه عذابا لا يعذبه أحدا من العالمين - قال - فلما مات فعلوا ما أمرهم فأمر الله البحر فجمع ما فيه وأمر البر فجمع ما فيه ثم قال له لم فعلت هذا قال من خشيتك يارب وأنت أعلم فغفر له

أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن أبي توبة أنا أبو طاهر محمد بن أحمد بن الحارث أنا أبو الحسين محمد بن يعقوب الكسائي أنا عبد الله بن محمود أنا ابراهيم بن عبد الله الخلال ثنا عبد الله بن المبارك

قتيبة عن الليث بن سعد به ، ورواه مسلم من وجه آخر به عن محمد بن كعب القرظي عن أبي صرمة وهو الانصاري صحابي عن أبي أيوب رضي الله تعالى عنهما به

وقال الامام أحمد حدثنا احمد بن عبد الملك الحراني ثنا يحيى بن عمرو بن مالك البكري قال سمعت أبي يحدث عن أبي الجوزاء عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال قال رسول الله ﷺ « كفارة الذنب الندامة » وقال رسول الله ﷺ « لو لم تذنبوا لجاء الله تعالى بقوم يذنبون فيغفر لهم » تفرد به أحمد

وقال عبد الله ابن الامام احمد حدثني عبد الاعلى بن حماد القرشي ثنا داود بن عبد الرحمن ثنا أبو عبد الله مسلمة بن عبد الله الرازي عن أبي عمرو البجلي عن عبد الملك بن سفيان الثقفي عن أبي جعفر محمد بن علي عن محمد بن الحنفية عن أبيه علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله ﷺ « ان الله تعالى يحب العبد المفتن التواب » ولم يخرجوه من هذا الوجه

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي ثنا موسى بن اسماعيل ثنا حماد ثنا ثابت وحميد عن عبد الله بن عبيد ابن عمير قال « ان ابليس لعنه الله تعالى قال يارب انك أخرجتني من الجنة من أجل آدم وإني لا أستطيعه إلا بسلطانك قال فأنت مسلط ، قال يارب زدني، قال لا يولد له ولد الا ولد لك مثله، قال يارب زدني قال أجعل صدورهم مساكن لكم وتجرون منهم مجرى الدم، قال يارب زدني قال اجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم في الاموال والاولاد وعدهم وما يعدهم الشيطان إلا غرورا، فقال آدم عليه الصلاة والسلام يارب قد سلطته علي وإني لا أمتنع إلا بك قال تبارك وتعالى لا يولد لك ولد إلا وكلت

عن عكرمة عن عمار ثنا ضمضم بن جوس قال دخلت المدينة فناداني شيخ فقال يا يماني تعال وما أعرفه فقال لا تقولن لرجل والله لا يغفر الله لك أبدا ولا يدخلك الله الجنة ، قلت ومن أنت يرحمك الله؟ قال أبو هريرة ، قال فقلت ان هذه الكلمة يقولها أحدنا لبعض أهله اذا غضب أو لزوجته أو لخادمه قال فاني سمعت رسول الله ﷺ يقول « ان رجلين كانا في بني اسرائيل متحابين أحدهما مجتهد في العبادة والآخر كان مذنبا فجعل يقول له اقصر اقصر عما أنت فيه قال فيقول خلني وربي قال حتى وجده يوما على ذنب استعظمه فقال اقصر فقال خلني وربي أبعثت علي رقيبا فقال والله لا يغفر الله لك أبدا ولا يدخلك الله الجنة أبدا ، قال فبعث الله اليهما ملكا فقبض أرواحهما فاجتمعا عنده فقال للمذنب ادخل الجنة برحمتي وقال للآخر أتستطيع أن تحظر على عبدي رحمتي فقال لا يارب فقال اذهبوا به الى النار » قال أبو هريرة والذي نفسي بيده لقد تكلم بكلمة أو بقت دنياه وآخرته قوله عز وجل ﴿ ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم ﴾

أخبرنا عبد الرحمن بن أبي بكر القفال أنا أبو مسعود محمد بن احمد بن يونس الخطيب ثنا محمد

به من يحفظه من قرناء السوء ، قال يارب زدني قال الحسنة عشر أو أزيد والسيئة واحدة أو أمحوها قال يارب زدني قال باب التوبة مفتوح ما كان الروح في الجسد قال يارب زدني قال (ياعبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم) »

وقال محمد بن اسحاق قال نافع عن عبد الله بن عمر عن عمر رضي الله عنهما في حديثه قال وكنا نقول ما الله بقابل ممن افتتن صرفا ولا عدلا ولا توبة ، عرفوا الله ثم رجعوا إلى الكفر لبلاء أصابهم قال وكانوا يقولون ذلك لأنفسهم قال فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة أنزل الله تعالى فيهم وفي قولنا وقولهم لانفسهم (ياعبادي الذين أسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم * وأنيبوا الى ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون * واتبعوا أحسن ما أنزل اليكم من ربكم من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون) قال عمر رضي الله عنه فكتبتها بيدي في صحيفة وبعثت بها الى هشام بن العاص رضي الله عنه قال فقال هشام لما أتتني جعلت أقرأها بذي طوى أصعد بها فيه وأصوت ولا افهمها حتى قلت اللهم أفهمنيها قال فألقى الله عز وجل في قلبي انها انما أنزلت فينا وفيما كنا نقول في أنفسنا ويقال فينا فرجعت الى بعيري فجلست عليه فلحقت برسول الله ﷺ بالمدينة . ثم استحث تبارك وتعالى عباده إلى المسارعة إلى التوبة فقال (وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له) الخ أي (ارجعوا إلى الله واستسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون) أي بادروا بالتوبة الى العمل الصالح قبل حلول النقمة (واتبعوا أحسن ما أنزل اليكم من ربكم) وهو القرآن العظيم (من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون) أي من حيث لا تعلمون ولا تشعرون ثم قال عز وجل (أن تقول نفس ياحسرتا على ما فرطت في جنب الله) أي يوم

ابن يعقوب الأصم ثنا ابو قلابة ثنا ابو عاصم ثنا زكريا بن اسحاق عن عمرو بن دينار عن عطاء عن ابن عباس في قوله تعالى (إلا اللمم) قال رسول الله ﷺ

ان تغفر اللهم تغفر جما ... واي عبد لك لا ألما

قوله عز وجل ﴿ وأنيبوا الى ربكم ﴾ أقبلوا وارجعوا اليه بالطاعة ﴿ وأسلموا له ﴾ وأخلصوا له التوحيد ﴿ من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون * واتبعوا أحسن ما انزل اليكم من ربكم ﴾ يعني القرآن والقرآن كله حسن ، ومعنى الآية ما قال الحسن التزموا طاعته واجتنبوا معصيته فان في القرآن ذكر القبيح لتجتنبه وذكر الادون لئلا ترغب فيه وذكر الاحسن لتؤثره ، قال السدي الاحسن ما أمر الله به في الكتاب ﴿ من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون * أن تقول نفس ﴾ يعني لئلا تقول نفس كقوله (وألقى في الارض رواسي أن تميد بكم) يعني لئلا تميد بكم قال المبرد أي بادروا واحذروا أن تقول نفس، وقال الزجاج خوف أن تصيروا الى حال تقولون هذا القول ﴿ ياحسرتى ﴾ ياندامتا والتحسر الاغتمام على مافات وأراد ياحسرتي على الاضافة لكن العرب تحول ياء الكناية

القيامة يتحسر المجرم المفرط في التوبة والانابة ويود لو كان من المحسنين المخلصين المطيعين لله عزوجل وقوله تبارك وتعالى (وإن كنت لمن الساخرين) أي إنما كان عملي في الدنيا عمل ساخر مستهزئ غير موقن مصدق (أو تقول لو أن الله هداني لكنت من المتقين * أو تقول حين ترى العذاب لو أن لي كرة فأكون من المحسنين) أي تود لو أعيدت إلى الدنيا لتحسن العمل

قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أخبر الله سبحانه وتعالى ما العباد قائلون قبل أن يقولوه وعملهم قبل ان يعملوه وقال تعالى (ولا ينبئك مثل خبير) (أن تقول نفس ياحسرتا على مافرطت في جنب الله وإن كنت لمن الساخرين * او تقول لو أن الله هداني لكنت من المتقين * أو تقول حين ترى العذاب لو أن لي كرة فأكون من المحسنين) فأخبر الله عز وجل أن لو ردوا لما قدروا على الهدى فقال (ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون)

وقد قال الامام أحمد حدثنا أسود ثنا ابو بكر عن الاعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله ﷺ « كل أهل النار يرى مقعده من الجنة فيقول لو ان الله هداني فتكون عليه حسرة قال وكل أهل الجنة يرى مقعده من النار فيقول لولا أن الله هداني قال فيكون له الشكر رواه النسائي من حديث أبي بكر بن عياش به » ولما تمنى أهل الجرائم العود الى الدنيا وتحسروا على تصديق آيات الله واتباع رسله قال الله سبحانه وتعالى (بلى قد جاءتك آياتي فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين) أى قد جاءتك أيها العبد النادم على ما كان منه آياتي في الدار الدنيا وقامت حججي عليك فكذبت بها واستكبرت عن اتباعها وكنت من الكافرين بها الجاحدين لها

ويوم القيمة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة أليس في جهنم مثوى للمتكبرين ؟ (٦٠) وينجي الله الذين اتقوا بمفازتهم لا يمسهم السوء ولاهم يحزنون (٦١)

ألفا في الاستغاثة فتقول يا ويلتى ويا ندامتى وربما ألحقوا بها الياء بعد الالف ليدل على الاضافة وكذلك قرأ أبو جعفر ياحسرتاي، وقيل معنى قوله ياحسرتا يا أيتها الحسرة هذا وقتك ﴿ على ما فرطت في جنب الله ﴾ قال الحسن قصرت في طاعة الله وقال مجاهد في أمر الله وقال سعيد بن جبير في حق الله وقيل ضيعت في ذات الله وقيل معناه قصرت في الجانب الذي يردني الى رضا الله والعرب تسمي الجنب جانبا ﴿ وإن كنت لمن الساخرين ﴾ المستهزئين بدين الله وكتابه ورسوله والمؤمنين قال قتادة لم يكفه ان ضيع طاعة الله حتى جعل يسخر بأهل طاعته ﴿ أو تقول لو أن الله هداني لكنت من المتقين * أو تقول حين ترى العذاب ﴾ عيانا ﴿ لو أن لي كرة ﴾ رجعة الى الدنيا ﴿ فأكون من المحسنين ﴾ الموحدين ثم يقال لهذا القائل ﴿ بلى قد جاءتك آياتي ﴾ يعني القرآن ﴿ فكذبت بها ﴾ وقلت أنها ليست من الله ﴿ واستكبرت ﴾ تكبرت عن الايمان بها ﴿ وكنت من الكافرين * ويوم القيامة ترى الذين

يخبر تعالى عن يوم القيامة انه تسود فيه وجوه وتبيض فيه وجوه تسود وجوه أهل الفرقة والاختلاف وتبيض وجوه أهل السنة والجماعة قال تعالى ههنا (ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله) أي في دعواهم له شريكا وولداً (وجوههم مسودة) أي بكذبهم وافترائهم وقوله تعالى (أليس في جهنم مثوى للمتكبرين ؟) أي أليست جهنم كافية لهم سجنا وموئلا لهم فيها الخزي والهوان بسبب تكبرهم وتجبرهم وإبائهم عن الانقياد للحق

قال ابن ابي حاتم حدثنا أبو عبد الله ابن أخي ابن وهب ثنا عمي ثنا عيسى بن أبي عيسى الخياط عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « ان المتكبرين يحشرون يوم القيامة أشباه الذر في صور الناس يعلوهم كل شيء من الصغار حتى يدخلوا سجنا من النار في واد يقال له بولس من نار الانيار ويسقون من عصارة أهل النار ومن طينة الخبال

وقوله تبارك وتعالى (وينجي الله الذين اتقوا بمفازتهم) أي بما سبق لهم من السعادة والفوز عند الله [لا يمسهم السوء] أي يوم القيامة [ولاهم يحزنون] أي ولا يحزنهم الفزع الاكبر بل هم آمنون من كل فزع مزحزحون عن كل شر نائلون كل خير

اللهُ خلقُ كلِّ شيءٍ وهو على كل شيءٍ وكيل (٦٢) له مقاليد السمٰوات والأرض والذين كفروا بآيٰت الله أولئك هم الخٰسرون (٦٣) قل أفغير الله تأمرونّي أعبد أيها الجٰهلون ؟ (٦٤) ولقد أوحيَ اليك والى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبَطن عملك ولتكوننّ من الخٰسرين (٦٥) بل اللهَ فاعبد وكن من الشٰكرين (٦٦)

يخبر تعالى أنه خالق الاشياء كلها وربها ومليكها والمتصرف فيها وكل تحت تدبيره وقهره وكلاءته وقوله عز وجل (له مقاليد السموات والارض) قال مجاهد المقاليد هي المفاتيح بالفارسية ، وكذا قال قتادة وابن زيد وسفيان بن عيينة ، وقال السدي [له مقاليد السموات والارض] أي خزائن

كذبوا على الله ﴾ فزعموا أن له ولدا وشريكا ﴿ وجوههم مسودة أليس في جهنم مثوى للمتكبرين ﴾ عن الايمان ﴿ وينجي الله الذين اتقوا بمفازتهم ﴾ قرأ حمزة والكسائي وأبو بكر بمفازاتهم بالالف على الجمع أي بالطرق التى تؤديهم الى الفوز والنجاة ، وقرأ الآخرون بمفازتهم على الواحد لان المفازة بمعنى الفوز أي ينجيهم بفوزهم من النار بأعمالهم الحسنة ، وقال المبرد المفازة مفعلة من الفوز والجمع حسن كالسعادة والسعادات ﴿ لا يمسهم السوء ﴾ لا يصيبهم المكروه ﴿ ولا هم يحزنون * الله خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل ﴾ أي الأشياء كلها موكولة اليه فهو القائم بحفظها ﴿ له مقاليد السموات والارض ﴾ أي مفاتيح خزائن السموات والارض وأحدها مقلاد مثل مفتاح ومقليد مثل منديل

السموات والارض ؟ والمعنى على كلا القولين أن أزمة الامور بيده تبارك وتعالى له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ولهذا قال جل وعلا (والذين كفروا بآيات الله) أي حججه وبراهينه (أولئك هم الخاسرون)

وقد روى ابن أبي حاتم ههنا حديثا غريبا جدا وفي صحته نظر ولكن نحن نذكره كما ذكره فانه قال حدثنا يزيد بن سنان البصري بمصر ثنا يحيي بن حماد ثنا الاغلب بن تميم عن مخلد بن هذيل العبدي عن عبد الرحمن المدني عن عبد الله بن عمر عن عثمان بن عفان رضي الله عنه انه سأل رسول الله ﷺ عن تفسير قوله تعالى [له مقاليد السموات والارض] فقال « ماسألني عنها أحد قبلك ياعثمان قال ﷺ تفسيرها لا إله الا الله والله أكبر وسبحان الله وبحمده أستغفر الله ولا قوة إلا بالله الاول والآخر والظاهر والباطن ، بيده الخير يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير ، من قالها ياعثمان اذا أصبح عشر مرار أعطي خصالا ستا : أما أولاهن فيحرس من إبليس وجنوده ، وأما الثانية فيعطى قنطاراً من الاجر ، وأما الثالثة فترفع له درجة في الجنة ، وأما الرابعة فيتزوج من الحور العين ، وأما الخامسة فيحضره اثنا عشر ملكا ، وأما السادسة فيعطى من الاجر كمن قرأ القرآن والتوراة والانجيل والزبور ، وله مع هذا ياعثمان من الاجر كمن حج وتقبلت حجته واعتمر فتقبلت عمرته فان مات من يومه طبع عليه بطابع الشهداء » ورواه أبو يعلى الموصلي من حديث يحيي بن حماد به مثله وهو غريب وفيه نكارة شديدة والله أعلم

وقوله تبارك وتعالى (قل أفغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون؟) ذكروا في سبب نزولها مارواه ابن ابي حاتم وغيره عن ابن عباس رضي الله عنهما أن المشركين من جهلهم دعوا رسول الله ﷺ الى عبادة آلهتهم ويعبدوا معه إلهه فنزلت [قل أفغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون؟ * ولقد أوحي اليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين] وهذه كقوله تعالى [ولو أشركوا لحبط عنهم ماكانوا يعملون]

ومناديل وقال قتادة ومقاتل مفاتيح السموات والارض بالرزق والرحمة وقال الكلبي خزائن المطر وخزائن النبات ﴿ والذين كفروا بآيات الله أولئك هم الخاسرون ﴾

قوله عز وجل ﴿ قل أفغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون ﴾ قال مقاتل وذلك ان كفار قريش دعوه الى دين آبائه قرأ أهل الشام تأمرونني بنونين خفيفتين على الأصل وقرأ أهل المدينة بنون واحدة خفيفة على الحذف، وقرأ الاخرون بنون واحدة مشددة على الادغام ﴿ ولقد أوحي اليك والى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ﴾ أي الذي عملته قبل الشرك ، وهذا خطاب مع رسول الله ﷺ والمراد منه غيره وقيل هذا أدب من الله لنبيه وتهديد لغيره لان الله تعالى عصمه من الشرك ﴿ ولتكونن من الخاسرين * بل الله فاعبد وكن من الشاكرين ﴾ لانعامه عليك

وقوله عز وجل [بل الله فاعبد وكن من الشاكرين] أي اخلص العبادة لله وحده لاشريك له أنت ومن اتبعك وصدقك

وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيمة والسموات مطويت بيمينه

سبحنه وتعلى عما يشركون (٦٧)

يقول تبارك وتعالى (وما قدروا الله حق قدره) أي ماقدر المشركون الله حق قدره حين عبدوا معه غيره وهو العظيم الذي لا أعظم منه القادر على كل شيء المالك لكل شيء وكل شيء تحت قهره وقدرته ، قال مجاهد نزلت في قريش ، وقال السدي ماعظموه حق تعظيمه ، وقال محمد بن كعب لو قدروه حق قدره ماكذبوا . وقال علي بن ابي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما [وما قدروا الله حق قدره] هم الكفار الذين لم يؤمنوا بقدرة الله عليهم فمن آمن أن الله على كل شيء قدير فقد قدر الله حق قدره ، ومن لم يؤمن بذلك فلم يقدر الله حق قدره

وقد وردت أحاديث كثيرة متعلقة بهذه الآية الكريمة والطريق فيها وفي أمثالها مذهب السلف وهو امرارها كما جاءت من غير تكييف ولا تحريف

قال البخاري قوله تعالى (وما قدروا الله حق قدره) حدثنا آدم ثنا سفيان عن منصور عن ابراهيم عن عبيدة عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : جاء رجل من الاحبار الى رسول الله ﷺ فقال يامحمد انا نجد أن الله عز وجل يجعل السموات على أصبع والارضين على أصبع ، والشجر على أصبع ، والماء والثرى على أصبع ، وسائر الخلق على أصبع فيقول أنا الملك ،فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه تصديقا لقول الحبر ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم [وماقدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة] الآية ورواه البخاري أيضا في غير هذا الموضع من صحيحه والامام احمد ومسلم والترمذي والنسائي في التفسير من سننيهما كلهم من حديث سليمان بن مهران الاعمش عن ابراهيم عن عبيدة عن ابن مسعود رضي الله عنه بنحوه

قوله عز وجل ﴿ وما قدروا الله حق قدره ﴾ ما عظموه حق عظمته حين أشركوا به غيره ثم أخبر عن عظمته فقال ﴿ والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون ﴾

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا آدم ثنا شيبان عن منصور عن ابراهيم عن عبيدة عن عبد الله بن مسعود قال جاء حبر من الاحبار الى رسول الله ﷺ فقال يامحمد انا نجد أن الله يجعل السموات على أصبع والارضين على

وقال الامام احمد حدثنا أبو معاوية ثنا الاعمش عن ابراهيم عن علقمة عن عبد الله رضي الله عنه قال جاء رجل الى النبي ﷺ من اهل الكتاب فقال يا ابا القاسم أبلغك ان الله تعالى يحمل الخلائق على اصبع والسموات على أصبع والارضين على أصبع والشجر على اصبع والماء والثرى على أصبع ؟ قال فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه قال وأنزل الله عز وجل (وماقدروا الله حق قدره) الى آخر الآية ، وهكذا رواه البخاري ومسلم والنسائي من طرق عن الاعمش به

وقال الامام احمد حدثنا حسين بن حسن الاشقر ثنا أبو كدينة عن عطاء عن ابي الضحى عن ابن عباس رضي الله عنهما قال مر يهودي برسول الله ﷺ وهو جالس فقال : كيف تقول يا أبا القاسم يوم يجعل الله سبحانه وتعالى السماء على ذه وأشار بالسبابة والارض على ذه والجبال على ذه وسائر الخلق على ذه كل ذلك يشير بأصابعه قال فأنزل الله عز وجل (وماقدروا الله حق قدره) الآية وكذا رواه الترمذي في التفسير عن عبدالله بن عبد الرحمن الدارمي عن محمد بن الصلت عن أبي جعفر عن أبي كدينة يحيى بن المهلب عن عطاء بن السائب عن أبي الضحى مسلم بن صبيح به وقال حسن صحيح غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه

ثم قال البخاري حدثنا سعيد بن عفير ثنا الليث ثنا عبدالرحمن بن خالدبن مسافر عن ابن شهاب عن أبي سلمة ابن عبدالرحمن أن أبا هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول « يقبض الله تعالى الارض ويطوي السماء بيمينه ثم يقول أنا الملك أين ملوك الارض » تفرد به من هذا الوجه ورواه مسلم من وجه آخر

وقال البخاري في موضع آخر حدثنا مقدم بن محمد حدثنا عمي القاسم بن يحيى عن عبيدالله عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ قال « إن الله تبارك وتعالى يقبض يوم القيامة الارضين على أصبع وتكون السموات بيمينه ثم يقول أنا الملك » تفرد به أيضا من هذا الوجه ورواه مسلم من وجه آخر ، وقد رواه الامام أحمد من طريق أخرى بلفظ آخر أبسط من هذا السياق وأطول فقال حدثنا عفان ثنا حماد بن سلمة أنا إسحاق بن عبدالله بن أبي طلحة عن عبيد الله بن مقسم عن ابن عمر رضي الله عنهما قال ان رسول الله ﷺ قرأ هذه الآية ذات يوم على المنبر (وما قدروا

أصبع والشجر على أصبع والماء والثرى على أصبع وسائر الخلق على أصبع فيقول أنا الملك فضحك النبي ﷺ حتى بدت نواجذه تصديقا لقول الحبر ثم قرأ (وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة) ورواه مسلم بن الحجاج عن أحمد بن عبدالله بن يونس عن فضيل بن عياض عن منصور قال : والجبال والشجر على أصبع وقال ثم يهزهن هزا فيقول أنا الملك أنا الله

أخبرنا أحمد بن ابراهيم الشريحي أنا أحمد بن محمد بن ابراهيم الثعلبي أخبرني الحسين بن فنجويه ثنا عمر بن الخطاب ثنا عبد الله بن الفضل ثنا أبو بكر ابن أبي شيبة ثنا أبو أسامة عن عمر

الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون) ورسول الله ﷺ يقول هكذا بيده يحركها يقبل بها ويدبر « يمجد الرب نفسه أنا الجبار أنا المتكبر أنا الملك أنا العزيز أنا الكريم » فرجف برسول الله ﷺ المنبر حتى قلنا ليخرن به وقد رواه مسلم والنسائي وابن ماجه من حديث عبدالعزيز بن أبي حازم زاد مسلم ويعقوب بن عبدالرحمن كلاهما عن أبي حازم عن عبيدالله بن مقسم عن ابن عمر رضي الله عنهما بنحوه ، ولفظ مسلم عن عبيدالله بن مقسم في هذا الحديث أنه نظر إلى عبدالله بن عمر رضي الله عنهما كيف يحكي النبي ﷺ قال يأخذ الله تبارك وتعالى سمواته وأرضه بيده ويقول أنا الملك ويقبض أصابعه ويبسطها أنا الملك حتى نظرت الى المنبر يتحرك من أسفل شيء منه حتى إني لأقول أساقط هو برسول الله ؟ ﷺ

وقال البزار حدثنا سليمان بن سيف ثنا أبو علي الحنفي ثنا عباد المنقري حدثني محمد بن المنكدر قال ثنا عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال : ان رسول الله ﷺ قرأ هذه الآية على المنبر (وما قدروا الله حق قدره - حتى بلغ - سبحانه وتعالى عما يشركون) فقال المنبر هكذا فجاء وذهب ثلاث مرات والله أعلم ، ورواه الامام الحافظ ابو القاسم الطبراني من حديث عبيد بن عمير عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما وقال صحيح

وقال الطبراني في المعجم الكبير حدثنا عبدالرحمن بن معاوية العتبي ثنا حسان بن نافع عن صخر ابن جويرية ثنا سعيد بن سالم القداح عن معمر بن الحسن عن بكر بن خنيس عن أبي شيبة عن عبدالله بن عمير عن جرير رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ لنفر من أصحابه رضي الله عنهم « اني قارىء عليكم آية من آخر سورة الزمر فمن بكى منكم وجبت له الجنة » فقرأها ﷺ من عند (وما قدروا الله حق قدره) الى آخر السورة فمنا من بكى ومنا من لم يبك فقال الذين لم يبكوا يارسول الله لقد جهدنا أن نبكي فلم نبك فقال ﷺ « اني سأقرؤها عليكم فمن لم يبك فليتباك » هذا حديث غريب جداً وأغرب منه مارواه في المعجم الكبير أيضاً حدثنا هاشم بن زيد حدثنا محمد بن اسماعيل بن عياش حدثني أبي حدثني ضمضم بن زرعة عن شريح بن عبيد عن أبي مالك الاشعري قال : قال رسول الله ﷺ « إن الله تعالى يقول ثلاث خلال غيبتهن عن عبادي لو رآهن رجل ماعمل بسوء

ابن حمزة عن سالم بن عبد الله أخبرني عبد الله بن عمر قال قال رسول الله ﷺ « يطوي الله السموات يوم القيامة ثم يأخذهن بيده اليمنى ثم يقول أنا الملك أين الجبارون ؟ أين المتكبرون؟ ثم يطوي الارضين ثم يأخذهن بشماله ثم يقول أنا الملك أين الجبارون؟ أين المتكبرون » هذا حديث صحيح أخرجه مسلم عن أبي بكر ابن أبي شيبة

أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن أبي توبة الكشميهني ثنا ابو طاهر محمد بن أحمد بن الحارث ثنا محمد بن يعقوب الكسائي انا عبد الله بن محمود انا ابراهيم بن عبد الله الخلال ثنا عبد الله بن المبارك

أبداً لو كشفت غطائي فرآني حتى استيقن ويعلم كيف أفعل بخلقي اذا أتيتهم وقبضت السموات بيدي ثم قبضت الارضين ثم قلت أنا الملك من ذا الذي له الملك دوني فأريهم الجنة وما أعددت لهم فيها من كل خير فيستيقنوها ، وأريهم النار وما أعددت لهم فيها من كل شر فيستيقنوها ولكن عمداً غيبت ذلك عنهم لأعلم كيف يعملون وقد بينته لهم » وهذا إسناد متقارب وهي نسخة تروى بها أحاديث جمة والله أعلم

ونفخ في الصور فصعق من في السموٰات ومن في الأرض الا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فاذا هم قيام ينظرون (٦٨) وأشرقت الارض بنور ربها ووضع الكتٰب وجيء بالنبيين والشهداء وقُضي بينهم بالحق وهم لا يُظلمون (٦٩) ووفيت كل نفس ماعملت وهو أعلمُ بما يفعلون (٧٠)

يقول تبارك وتعالى مخبرا عن هول يوم القيامة وما يكون فيه من الآيات العظيمة والزلازل الهائلة فقوله تعالى (ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض إلا من شاء الله) هذه النفخة هي الثانية وهي نفخة الصعق وهي التي يموت بها الاحياء من أهل السموات والارض إلا من شاء الله كما جاء مصرحا مفسرا في حديث الصور المشهور ثم يقبض أرواح الباقين حتي يكون آخر من يموت ملك الموت وينفرد الحي القيوم الذي كان أولا وهو الباقي آخراً بالديمومة والبقاء ويقول (لمن الملك اليوم) ثلاث مرات ثم يجيب نفسه بنفسه فيقول (لله الواحد القهار) أنا الذي كنت وحدي وقد قهرت كل شيء وحكمت بالفناء على كل شيء ، ثم يحيي أول من يحيي اسرافيل ويأمره أن ينفخ في الصور أخرى وهي النفخة الثالثة نفخة البعث قال الله عز وجل [ثم نفخ فيه أخرى فاذا هم قيام ينظرون] أي أحياء بعد ماكانوا عظاما ورفاتا صاروا أحياء ينظرون الى أهوال يوم القيامة كما قال تعالى [فانما هي زجرة واحدة فاذا هم بالساهرة]

عن يونس عن الزهري حدثني سعيد بن المسيب عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال يقبض الله الارض يوم القيامة ويطوى السماء بيمينه ثم يقول أنا الملك اين ملوك الارض

قوله عز وجل ﴿ ونفخ فى الصور فصعق من في السموات ومن في الارض ﴾ اي ماتوا من الفزع وهي النفخة الاولى ﴿ الا من شاء الله ﴾ اختلفوا في الذين استثناهم عز وجل وقد ذكرناهم في سورة النمل قال الحسن الا من شاء الله يعني الله وحده ﴿ ثم نفخ فيه ﴾ أي في الصور ﴿ أخرى ﴾ أى مرة أخرى ﴿ فاذاهم قيام ينظرون ﴾ من قبورهم ينتظرون أمر الله فيهم

وقال عز وجل [يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده وتظنون إن لبثتم إلا قليلا] وقال جل وعلا [ومن آياته أن تقوم السماء والارض بأمره ثم اذا دعاكم دعوة من الارض إذا أنتم تخرجون]

قال الامام احمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن النعمان بن سالم قال سمعت يعقوب بن عاصم بن عروة بن مسعود قال سمعت رجلا قال لعبد الله بن عمرو رضي الله عنهما انك تقول الساعة تقوم الى كذا وكذا قال لقد هممت أن لا أحدثكم شيئا انما قلت سترون بعد قليل أمراً عظيما ثم قال عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما : قال رسول الله ﷺ « يخرج الدجال في أمتي فيمكث فيهم أربعين لاأدري أربعين يوما أو أربعين شهراً أو أربعين عاما او أربعين ليلة فيبعث الله تعالى عيسى بن مريم عليهما الصلاة والسلام كأنه عروة بن مسعود الثقفي فيظهر فيهلكه الله تعالى ثم يلبث الناس بعده سنين سبعا ليس بين اثنين عداوة ثم يرسل الله تعالى ريحا باردة من قبل الشام فلا يبقى أحد في قلبه مثقال ذرة من إيمان إلا قبضته حتى أن لو كان أحدهم كان في كبد جبل لدخلت عليه » قال سمعتها من رسول الله ﷺ « ويبقى شرار الناس في خفة الطير وأحلام السباع لايعرفون معروفا ولا ينكرون منكراً قال فيتمثل لهم الشيطان فيقول ألا تستجيبون فيأمرهم بعبادة الاوثان فيعبدونها وهم في ذلك دارة أرزاقهم حسن عيشهم ثم ينفخ في الصور فلا يسمعه أحد الا أصغى ليتا ورفع ليتا وأول من يسمعه رجل يلوط حوضه فيصعق ثم لايبقى أحد الا صعق ، ثم يرسل الله تعالى أو ينزل الله عز وجل مطراً كأنه الطل - أو الظل شك نعمان - فتنبت منه أجساد الناس ثم ينفخ فيه أخرى فاذا هم قيام ينظرون ، ثم يقال أيها الناس هلموا الى ربكم [وقفوهم انهم مسؤلون] قال ثم يقال أخرجوا بعث النار فيقال كم؟ فيقال من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين فيومئذ تبعث الولدان شيبا ويومئذ يكشف عن ساق» انفرد باخراجه مسلم في صحيحه

﴿ حديث أبي هريرة رضي الله عنه ﴾ وقال البخاري حدثنا عمر بن حفص بن غياث حدثنا أبي حدثنا الاعمش قال سمعت أبا صالح قال سمعت أبا هريرة رضي الله تعالى عنه يحدث عن النبي ﷺ قال « مابين النفختين أربعون » قالوا ياأبا هريرة اربعون يوما ؟ قال رضي الله تعالى عنه أبيت ، قالوا أربعون سنة ؟ قال أبيت ، قالوا أربعون شهراً ؟ قال أبيت ويبلى كل شيء من الانسان إلا عجب ذنبه فيه يركب الخلق.

اخبرنا عبد الواحد المليحي انا احمد بن عبد الله النعيمي انا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسمعيل ثنا محمد ثنا ابو معاوية عن الاعمش عن ابي صالح عن ابي هريرة قال قال رسول الله ﷺ « ما بين النفختين اربعون » قالوا اربعون يوما ؟ قال ابيت ؟ قالوا اربعون شهراً ؟ قال ابيت ؟ قالوا اربعون سنة؟ قال ابيت ؟ قال ثم ينزل الله من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل ليس من الانسان شيء الا يبلى الا عظم واحد وهو عجب الذنب ومنه يركب الخلق يوم القيامة

وقال ابو يعلى حدثنا يحيى بن معين حدثنا ابو اليمان حدثنا اسماعيل بن عياش عن عمرو بن محمد عن زيد بن أسلم عن أبيه عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال «سألت جبريل عليه الصلاة والسلام عن هذه الآية [ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض إلا من شاء الله] من الذين لم يشأ الله تعالى أن يصعقهم ؟ قال هم الشهداء يتقلدون أسيافهم حول عرشه تتلقاهم ملائكة يوم القيامة الى المحشر بنجائب من ياقوت نمارها ألين من الحرير مد خطاها مد أبصار الرجال يسيرون في الجنة يقولون عند طول النزهة انطلقوا بنا الى ربنا لننظر كيف يقضي بين خلقه يضحك اليهم إلهي واذا ضحك الى عبد في موطن فلا حساب عليه » رجاله كلهم ثقاة إلا شيخ اسماعيل بن عياش فانه غير معروف والله سبحانه وتعالى أعلم

وقوله تبارك وتعالى (وأشرقت الارض بنور ربها) أي أضاءت يوم القيامة اذا تجلى الحق جل وعلا للخلائق لفصل القضاء (ووضع الكتاب) قال قتادة كتاب الاعمال [وجيء بالنبيين] قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما يشهدون على الامم بأنهم بلغوهم رسالات الله اليهم [والشهداء] أي الشهداء من الملائكة الحفظة على أعمال العباد من خير وشر [وقضي بينهم بالحق] أي بالعدل [وهم لا يظلمون] قال الله تعالى (ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وان كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين) وقال جل وعلا (إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجراً عظيما) ولهذا قال عز وجل (ووفيت كل نفس ما عملت) أي من خير أو شر (وهو أعلم بما يفعلون)

وسيق الذين كفروا الى جهنم زُمراً حتى اذا جاءوها فتحت أبوابها ، وقال لهم خزنتها

ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيٰت ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا ؟ قالوا بلى ولكن

قوله عز وجل ﴿ واشرقت الارض ﴾ اضاءت ﴿ بنور ربها ﴾ بنور خالقها وذلك حين يتجلى الرب لفصل القضاء بين خلقه فما يتضارون في نوره كما لا يتضارون في الشمس في اليوم الصحو وقال وقال الحسن والسدي بعدل ربها وأراد بالارض عرصات القيامة ﴿ ووضع الكتاب ﴾ أي كتاب الاعمال ﴿ وجيء بالنبيين والشهداء ﴾ قال ابن عباس يعني الذين يشهدون للرسل بتبليغ الرسالة وهم أمة محمد ﷺ وقال عطاء يعني الحفظة يدل عليه قوله تعالى (وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد) ﴿ وقضي بينهم بالحق ﴾ أي بالعدل ﴿ وهم لا يظلمون ﴾ أي لا يزاد في سيآتهم ولا ينقص من حسناتهم ﴿ ووفيت كل نفس ما عملت ﴾ أي ثواب ما عملت ﴿ وهو أعلم بما يفعلون ﴾ قال عطاء يريد إني عالم بأفعالهم لا أحتاج إلى كاتب ولا إلى شاهد ﴿ وسيق الذين كفروا إلى جهنم ﴾ سوقاً عنيفاً ﴿ زمراً ﴾

حقت كلمةُ العذاب على الكفرين (٧١) قيل ادخلوا أبواب جهنم خلدين فيها، فبئس مثوى المتكبّرين (٧٢)

يخبر تعالى عن حال الاشقياء الكفار كيف يساقون إلى النار وإنما يساقون سوقا عنيفا بزجر وتهديد ووعيد كما قال عز وجل (يوم يدعون إلى نار جهنم دعا) أي يدفعون اليها دفعاً، هذا وهم عطاش ظماء كما قال جل وعلا في الآية الاخرى (يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفداً * ونسوق المجرمين إلى جهنم وردا) وهم في تلك الحال صم وبكم وعمي منهم من يمشي على وجهه (ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما وصما مأواهم جهنم كلما خبت زدناهم سعيراً)

وقوله تبارك وتعالى (حتى إذا جاؤها فتحت أبوابها) أي بمجرد وصولهم اليها فتحت لهم أبوابها سريعا لتعجل لهم العقوبة ثم يقول لهم خزنتها من الزبانية الذين هم غلاظ الاخلاق شداد القوى على وجه التقريع والتوبيخ والتنكيل [ألم يأتكم رسل منكم ؟] أي من جنسكم تتمكنون من مخاطبتهم والأخذ عنهم [يتلون عليكم آيات ربكم] أي يقيمون عليكم الحجج والبراهين على صحة ما دعوكم اليه [وينذرونكم لقاء يومكم هذا] أي ويحذرونكم من شر هذا اليوم فيقول الكفار [بلى] أي قد جاؤنا وأنذرونا وأقاموا علينا الحجج والبراهين [ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين] أي ولكن كذبناهم وخالفناهم لما سبق لنا من الشقوة التي كنا نستحقها حيث عدلنا عن الحق إلى الباطل كما قال عز وجل مخبراً عنهم في الآية الاخرى [كلما ألقي فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير ؟ قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا مانزل الله من شيء إن أنتم إلا في ضلال كبير * وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير] أي رجعوا على أنفسهم بالملامة والندامة [فاعترفوا بذنبهم فسحقا لأصحاب السعير] أي بعداً لهم وخسارا

وقوله تبارك وتعالى ههنا [قيل ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها] أي كل من رآهم وعلم حالهم يشهد عليهم بأنهم مستحقون للعذاب ولهذا لم يسند هذا القول الى قائل معين بل أطلقه ليدل على أن الكون شاهد عليهم بأنهم يستحقون ماهم فيه بما حكم العدل الخبير عليهم به ولهذا قال جل وعلا [قيل ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها] أي ماكثين فيها لاخروج لكم منها ولا زوال لكم عنها [فبئس مثوى المتكبرين] أي فبئس

أفواجا بعضها اثر بعض كل أمة على حدة قال أبو عبيدة والاخفش زمرا أي جماعات في تفرقة واحدتها زمرة ﴿ حتى إذا جاؤها فتحت أبوابها ﴾ السبعة وكانت مغلقة قبل ذلك قرأ أهل الكوفة فتحت وفتحت بالتخفيف وقرأ الآخرون بالتشديد على التكثير ﴿ وقال لهم خزنتها ﴾ توبيخا وتقريعا لهم ﴿ ألم يأتكم رسل منكم ﴾ من أنفسكم ﴿ يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا ؟ قالوا بلى ولكن حقت ﴾ وجبت ﴿ كلمة العذاب على الكافرين ﴾ وهو قوله لأملأن جهنم من الجنة والناس

المصير وبئس المقيل لكم بسبب تكبركم في الدنيا وإبائكم عن اتباع الحق فهو الذي صيركم الى ما أنتم فيه ، فبئس الحال ، وبئس المآل

وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمرا حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلم عليكم طبتم فادخلوها خلدين (٧٣) وقالوا الحمد لله الذى صدقنا وعده وأورثنا الارض نتبوأ من الجنة حيث نشاء، فنعم أجر العملين (٧٤)

وهذا إخبار عن حال السعداء المؤمنين حين يساقون على النجائب وفدا الى الجنة [زمرا] أي جماعة بعد جماعة: المقربون ثم الابرار ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم كل طائفة مع من يناسبهم: الانبياء مع الانبياء، والصديقون مع أشكالهم، والشهداء مع أضرابهم، والعلماء مع أقرانهم، وكل صنف مع صنف كل زمرة تناسب بعضها بعضا [حتى اذا جاؤها] أي وصلوا الى أبواب الجنة بعد مجاوزة الصراط حبسوا على قنطرة بين الجنة والنار فاقتص لهم مظالم كانت بينهم في الدنيا حتى اذا هذبوا ونقوا أذن لهم في دخول الجنة

وقد ورد في حديث الصور أن المؤمنين اذا انتهوا الى أبواب الجنة تشاوروا فيمن يستأذن لهم في الدخول فيقصدون آدم ثم نوحا ثم ابراهيم ثم موسى ثم عيسى ثم محمدا ﷺ وعليهم أجمعين كما فعلوا في العرصات عند استشفاعهم الى الله عز وجل أن يأتي لفصل القضاء ليظهر شرف محمد ﷺ على سائر البشر في المواطن كلها

وقد ثبت في صحيح مسلم عن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « أنا أول شفيع في الجنة » وفي لفظ لمسلم « وأنا اول من يقرع باب الجنة »

وقال الامام احمد حدثنا هاشم حدثنا سليمان عن ثابت عن انس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « آتي باب الجنة يوم القيامة أستفتح فيقول الخازن من انت ؟ فأقول محمد - قال - فيقول بك أمرت أن لا افتح لأحد قبلك » ورواه مسلم عن عمرو بن محمد الناقد وزهير بن حرب كلاهما عن ابي النضر هاشم بن القاسم عن سليمان وهو ابن المغيرة القيسي عن ثابت عن انس رضي الله عنه به

وقال الامام احمد حدثنا عبد الرزاق ثنا معمر عن همام بن منبه عن ابي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « أول زمرة تلج الجنة صورهم على صورة القمر ليلة البدر لا يبصقون فيها ولا

أجمعين ﴿ قيل ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين * وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمرا * حتى إذا جاؤها وفتحت أبوابها ﴾ قال الكوفيون هذه الواو زائدة حتى تكون جوابا لقوله حتى إذا جاؤها كما في سوق الكفار وهذا كما قال الله تعالى (ولقد آتينا موسى وهارون

يمتخطون فيها ولا يتغوطون فيها آنيتهم وأمشاطهم الذهب والفضة ومجامرهم الالوة ورشحهم المسك ، ولكل واحد منهم زوجتان يرى مخ ساقهما من وراء اللحم من الحسن لا اختلاف بينهم ولا تباغض ، قلوبهم على قلب واحد يسبحون الله تعالى بكرة وعشيا » ورواه البخاري عن محمد بن مقاتل عن ابن المبارك ، ورواه مسلم عن محمد بن رافع عن عبد الرزاق كلاهما عن معمر باسناده نحوه وكذا رواه أبو الزناد عن الاعرج عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن رسول الله ﷺ

وقال الحافظ أبو يعلى حدثنا أبو خيثمة حدثنا جرير عن عمارة بن القعقاع عن أبي زرعة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر والذين يلونهم على ضوء اشد كوكب دري في السماء اضاءة لا يبولون ولا يتغوطون ولا يتفلون ولا يمتخطون أمشاطهم الذهب ورشحهم المسك ومجامرهم الالوة وأزواجهم الحور العين أخلاقهم على خلق رجل واحد على صورة أبيهم آدم ستون ذراعا في السماء » وأخرجاه أيضاً من حديث جرير

وقال الزهري عن سعيد عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال « يدخل الجنة من أمتي زمرة هم سبعون الفا نفي ، وجوههم اضاءة القمر ليلة البدر » فقام عكاشة بن محصن فقال يارسول الله ادع الله أن يجعلني منهم فقال - اللهم اجعله منهم - ثم قام رجل من الانصار فقال يارسول الله ادع الله تعالى أن يجعلني منهم فقال ﷺ « سبقك بها عكاشه » أخرجاه وقد روى هذا الحديث البخاري ومسلم عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وجابر بن عبد الله وعمران بن حصين وابن مسعود ورفاعة ابن عرابة الجهني وأم قيس بنت محصن رضي الله عنهم ولهما عن ابي حازم عن سهل بن سعد رضي الله تعالى عنه ان رسول الله ﷺ قال « ليدخلن الجنة من أمتي سبعون الفا او سبعمائة الف آخذ بعضهم ببعض حتى يدخل أولهم وآخرهم الجنة وجوههم على صورة القمر ليلة البدر »

وقال ابو بكر بن أبي شيبة حدثنا اسماعيل بن عياش عن محمد بن زياد قال سمعت أبا أمامة الباهلي رضي الله عنه يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول « وعدني ربي عز وجل أن يدخل الجنة من أمتي سبعين الفا مع كل الف سبعون الفا لا حساب عليهم ولا عذاب وثلاث حثيات من حثيات ربي عز وجل و كذا رواه الوليد بن مسلم عن صفوان بن عمرو عن حكيم بن عامر عن أبي اليمان عامر ابن عبد الله بن يحيى عن أبي أمامة ورواه الطبراني عن عيينة بن عبد السلمي « ثم مع كل الف سبعين الفا » ويروى مثله عن ثوبان وأبي سعيد الانماري وله شواهد من وجوه كثيرة

الفرقان وضياء) أي ضياء والواو زائدة ، وقيل الواو واو الحال، مجازه وقد فتحت أبوابها فأدخل الواو لبيان انها كانت مفتحة قبل مجيئهم وحذفها في الآية الأولى لبيان انها كانت مغلقة قبل مجيئهم فاذا لم تجعل الواو زائدة في قوله (وفتحت أبوابها) اختلفوا في جواب قوله (حتى اذا) قيل جوابه قوله جاؤها وقال لهم خزنتها والواو فيه ملغاة تقديره حتى إذا جاؤها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها ، وقال

وقوله تعالى (حتى اذا جاءوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين) لم يذكر الجواب ههنا، وتقديره حتى إذا جاءوها وكانت هذه الامور من فتح الابواب لهم إكراما وتعظيما وتلقتهم الملائكة الخزنة بالبشارة والسلام والثناء كما تلقى الزبانية الكفرة بالتثريب والتأنيب فتقديره اذا كان هذا سعدوا وطابوا وسروا وفرحوا بقدر كل ما يكون لهم فيه نعيم، واذا حذف الجواب ههنا ذهب الذهن كل مذهب في الرجاء والامل، ومن زعم أن الواو في قوله تبارك وتعالى (وفتحت أبوابها) واو الثمانية واستدل به على أن أبواب الجنة ثمانية فقد أبعد النجعة وأغرق في النزع، وإنما يستفاد كون ابواب الجنة ثمانية من الاحاديث الصحيحة

قال الامام احمد حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن الزهري عن حميد بن عبد الرحمن عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « من انفق زوجين من ماله في سبيل الله تعالى دعي من أبواب الجنة وللجنة أبواب، فمن كان من أهل الصلاة دعي من باب الصلاة، ومن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة، ومن كان من اهل الجهاد دعي من باب الجهاد، ومن كان من اهل الصيام دعي من باب الريان » فقال ابو بكر رضي الله تعالى عنه يا رسول الله ما على أحد من ضرورة دعي من ايها دعي فهل يدعى منها كلها احد يا رسول الله؟ قال ﷺ « نعم وأرجو أن تكون منهم » رواه البخاري ومسلم من حديث الزهري بنحوه وفيهما من حديث ابي حازم سلمة بن دينار عن سهل بن سعد رضي الله عنه ان رسول الله ﷺ قال « ان في الجنة ثمانية ابواب باب منها يسمى الريان لا يدخله الا الصائمون »

وفي صحيح مسلم عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « ما منكم من أحد يتوضأ فيبلغ أو فيسبغ الوضوء ثم يقول أشهد ان لا اله إلا الله وان محمداً عبده ورسوله الا فتحت له ابواب الجنة الثمانية يدخل من ايها شاء »

وقال الحسن بن عرفة حدثنا اسماعيل بن عياش عن عبد الله بن عبد الرحمن عن ابي حسين عن شهر بن حوشب عن معاذ رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « مفتاح الجنة لا اله الا الله »

الزجاج القول عندي ان الجواب محذوف تقديره حتى إذا جاؤها وفتحت أبوابها ﴿ وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين ﴾ دخلوها فحذف دخلوها لدلالة الكلام عليه (وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم) يريد أن خزنة الجنة يسلمون عليهم ويقولون طبتم

قال ابن عباس طاب لكم المقام قال قتادة هم اذا قطعوا النار حبسوا على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص لبعضهم من بعض حتى إذا هذبوا وطيبوا أدخلوا الجنة فقال لهم رضوان وأصحابه سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين

وروي عن علي عليه السلام قال سيقوا الى الجنة فاذا انتهوا اليها وجدوا عند بابها شجرة يخرج من تحت ساقها عينان فيغتسل المؤمن من إحداهما فيطهر ظاهره ويشرب من الاخرى فيطهر باطنه

﴿ ذكر سعة أبواب الجنة نسأل الله من فضله العظيم أن يجعلنا من أهلها ﴾

في الصحيحين من حديث ابي زرعة عن ابي هريرة رضي الله عنه في حديث الشفاعة الطويل «فيقول الله تعالى يامحمد أدخل من لاحساب عليه من امتك من الباب الايمن وهم شركاء الناس في الابواب الأخر والذي نفس محمد بيده ان مابين المصراعين من مصاريع الجنة مابين عضادتي الباب لكما بين مكة وهجر - او هجر ومكة - وفي رواية - مكة وبصري »

وفي صحيح مسلم عن عتبة بن غزوان انه خطبهم خطبة فقال فيها و لقد ذكر لنا ان مابين مصراعين من مصاريع الجنة مسيرة أربعين سنة وليأتين عليه يوم وهو كظيظ من الزحام ، وفي المسند عن حكيم بن معاوية عن أبيه رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ مثله ، وقال عبد بن حميد ثنا الحسن بن موسى ثنا ابن لهيعة ثنا دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال «ان ما بين مصراعين في الجنة مسيرة أربعين سنة »

وقوله تبارك وتعالى [وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم] أي طابت أعمالكم وأقوالكم وطاب سعيكم وطاب جزاؤكم كما أمر رسول الله ﷺ أن ينادى بين المسلمين في بعض الغزوات « ان الجنة لا يدخلها إلا نفس مسلمة - وفي رواية - مؤمنة »

وقوله [فادخلوها خالدين] أي ماكثين فيها أبداً لا يبغون عنها حولا [وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده] أي يقول المؤمنون إذا عاينوا في الجنة ذلك الثواب الوافر والعطاء العظيم والنعيم المقيم والملك الكبير يقولون عند ذلك [الحمد لله الذي صدقنا وعده] أي الذي كان وعدنا على ألسنة رسله الكرام كما دعوا في الدنيا [ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة انك لاتخلف الميعاد - وقالوا - الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله لقد جاءت رسل ربنا بالحق - وقالوا - الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور الذي أحلنا دار المقامة من فضله لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب] وقولهم [وأورثنا الارض نتبوأ من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العاملين]

قال أبو العالية وأبو صالح وقتادة والسدي وابن زيد أي أرض الجنة فهذه الآية كقوله تعالى (ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الارض يرثها عبادي الصالحون) ولهذا قال (نتبوأ من الجنة حيث نشاء) أي أين شئنا حللنا فنعم الاجر أجرنا على عملنا

وفي الصحيحين من حديث الزهري عن أنس رضي الله عنه في قصة المعراج قال النبي ﷺ « أدخلت الجنة فاذا فيها جنابذ اللؤلؤ واذا ترابها المسك »

وتلقتهم الملائكة على أبواب الجنة يقولون سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين ﴿ وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده وأورثنا الارض ﴾ أي أرض الجنة وهو قوله عز وجل (ولقد كتبنا في الزبور من بعد

وقال عبد بن حميد ثنا روح بن عبادة ثنا حماد بن سلمة عن الجريري عن أبي نضرة عن أبي سعيد رضي الله عنه قال ان رسول الله ﷺ سأل ابن صياد عن تربة الجنة فقال « درمكة بيضاء مسك خالص فقال رسول الله ﷺ «صدق » وكذا رواه مسلم من حديث أبي سلمة عن أبي نضرة عن أبي سعيد رضي الله عنه به ورواه مسلم عن أبي بكر بن أبي شيبة عن أبي أسامة عن الجريري عن أبي نضرة عن أبي سعيد قال ان ابن صياد سأل رسول الله ﷺ عن تربة الجنة فقال « درمكة بيضاء مسك خالص »

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي ثنا أبو غسان مالك بن اسماعيل ثنا اسرائيل عن أبي اسحاق عن عاصم بن ضمرة عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه في قوله (وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمراً) قال سيقوا حتى انتهوا الى باب من أبواب الجنة فوجدوا عندها شجرة يخرج من تحت ساقها عينان فعمدوا الى احداهما فتطهروا منها فجرت عليهم نضرة النعيم فلم تغير أبشارهم بعدها أبداً ولم تشعث أشعارهم أبداً بعدها كأنما دهنوا بالدهان ثم عمدوا الى الاخرى كأنما أمروا بها فشربوا منها فأذهبت ما كان في بطونهم من أذى أو قذى وتلقتهم الملائكة على أبواب الجنة (سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين) وتلقى كل غلمان صاحبهم يطوفون به فعل الولدان بالحميم جاء من الغيبة أبشر قد أعد الله لك من الكرامة كذا وكذا قد أعد الله لك من الكرامة كذا وكذا ، قال وينطلق غلام من غلمانه الى أزواجه من الحور العين فيقول هذا فلان باسمه في الدنيا فيقلن أنت رأيته فيقول نعم فيستخفهن الفرح حتى تخرج الى أسكفة الباب قال فيجيء فاذا هو بنمارق مصفوفة وأكواب موضوعة وزرابي مبثوثة قال ثم ينظر الى تأسيس بنيانه فاذا هو قد أسس على جندل اللؤلؤ بين أحمر وأخضر وأصفر وأبيض ومن كل لون ثم يرفع طرفه الى سقفه فلولا أن الله تعالى قدر له لألم أن يذهب ببصره انه لمثل البرق ثم ينظر الى أزواجه من الحور العين ثم يتكيء على أريكة من أرائكه ثم يقول (الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله)

ثم قال حدثنا أبي ثنا أبو غسان مالك بن إسماعيل النهدي ثنا مسلمة بن جعفر البجلي قال: سمعت أبا معاذ البصري يقول إن عليا رضي الله عنه كان ذات يوم عند رسول الله ﷺ فقال النبي ﷺ « والذي نفسي بيده انهم اذا خرجوا من قبورهم يستقبلون يؤتون بنوق لها أجنحة وعليها رحال الذهب شراك نعالهم نور يتلألأ كل خطوة منها مد البصر فينتهون الى شجرة ينبع من أصلها عينان فيشربون من إحداهما فتغسل مافي بطونهم من دنس ويغتسلون من الاخرى فلا تشعث أبشارهم ولا أشعارهم بعدها أبداً وتجري عليهم نضرة النعيم فينتهون -أو- فيأتون باب الجنة فاذا حلقة من ياقوتة حمراء على صفائح الذهب فيضربون بالحلقة على الصفيحة فيسمع لها طنين يا علي فيبلغ كل حوراء ان زوجها قد أقبل فتبعث قيمها فيفتح له فاذا رآه خر له -قال مسلمة أراه قال ساجداً- فيقول ارفع رأسك فانما أنا

الذكر أن الارض يرثها عبادي الصالحون) ﴿ نتبوأ ﴾ ننزل ﴿ من الجنة حيث نشاء ﴾

قيمك وكلت بأمرك فيتبعه ويقفو أثره فتستخف الحوراء العجلة فتخرج من خيام الدر والياقوت حتى تعتنقه ثم تقول أنت حبي وأنا حبك وأنا الخالدة التي لا أموت وأنا الناعمة التي لا أبأس وأنا الراضية التي لا أسخط ، وأنا المقيمة التي لا أظعن فيدخل بيتا من أسه إلى أسقفه مائة ألف ذراع بناؤه على جندل اللؤلؤ طرائق أصفر وأخضر وأحمر ليس منها طريقة تشاكل صاحبتها في البيت سبعون سريرا على كل سرير سبعون حشية على كل حشية سبعون زوجة على كل زوجة سبعون حلة يرى مخ ساقها من باطن الحلل يقضي جماعها في مقدار ليلة من لياليكم هذه ، الأنهار من تحتهم تطرد أنهار من ماء غير آسن - قال صاف لا كدر فيه - وأنهار من لبن لم يتغير طعمه - قال لم يخرج من ضروع الماشية - وأنهار من خمر لذة للشاربين - قال لم تعصرها الرجال بأقدامهم - وأنهار من عسل مصفى - قال لم يخرج من بطون النحل ، يستجني الثمار فان شاء قائما وإن شاء قاعداً وإن شاء متكئا - ثم تلا (ودانية عليهم ظلالها وذللت قطوفها تذليلا) - فيشتهي الطعام فيأتيه طير أبيض قال وربما قال أخضر قال فترفع أجنحتها فيأكل من جنوبها أي الألوان شاء ثم يطير فيذهب فيدخل الملك فيقول (سلام عليكم - تلكم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون) ولو أن شعرة من شعر الحوراء وقعت في الارض لأضاءت الشمس معها سوادا في نور » هذا حديث غريب وكأنه مرسل والله أعلم

وترى الملئكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم وقضي بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العلمين (٧٥)

لما ذكر تعالى الحكمة في أهل الجنة والنار وانه نزل كلا في المحل الذي يليق به ويصلح له وهو العادل في ذلك الذي لا يجور، أخبر عن ملائكته أنهم محدقون من حول العرش المجيد يسبحون بحمد ربهم ويمجدونه ويعظمونه ويقدسونه وينزهونه عن النقائص والجور وقد فصل القضية وقضى الامر وحكم بالعدل ولهذا قال عز وجل (وقضي بينهم) أي بين الخلائق (بالحق)

ثم قال (وقيل الحمد لله رب العالمين) أي نطق الكون أجمعه ناطقه وبهيمه لله رب العالمين بالحمد في حكمه وعدله ولهذا لم يسند القول إلى قائل بل أطلقه فدل على أن جميع المخلوقات شهدت له بالحمد قال قتادة افتتح الخلق بالحمد في قوله (الحمد لله الذي خلق السموات والارض) واختتم بالحمد في قوله تبارك وتعالى (وقضي بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين]

قال الله تعالى ﴿ فنعم أجر العاملين ﴾ ثواب المطيعين ﴿ وترى الملائكة حافين من حول العرش ﴾ أي محدقين محيطين بالعرش مطيفين بحوافيه أي بجوانبه ﴿ يسبحون بحمد ربهم ﴾ قيل هذا تسبيح تلذذ لا تسبيح تعبد لان التكليف متروك في ذلك اليوم ﴿ وقضي بينهم بالحق ﴾ أي قضي بين أهل الجنة والنار بالعدل ﴿ وقيل الحمد لله رب العالمين ﴾ يقول أهل الجنة شكراً حين تم وعد الله لهم

تفسير سورة المؤمن وهى مكية

قد كره بعض السلف منهم محمد بن سيرين أن يقال الحواميم وانما يقال آل حم قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه آل حم ديباج القرآن وقال ابن عباس رضي الله عنهما إن لكل شيء لباباولباب القرآن آل حم أو قال الحواميم

وقال مسعر بن كدام كان يقال لهن العرائس روى ذلك كله الامام العالم ابو عبيد القاسم بن سلام رحمه الله تعالى في كتاب فضائل القرآن

وقال حميد بن زنجويه حدثنا عبيدالله بن موسى حدثنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن ابي الاحوص عن عبدالله رضي الله عنه قال: إن مثل القرآن كمثل رجل انطلق يرتاد لأهله منزلا فمر بأثر غيث فبينما هو يسير فيه ويتعجب منه إذ هبط على روضات دمثات فقال عجبت من الغيث الاول فهذا أعجب وأعجب فقيل له إن مثل الغيث الاول مثل عظم القرآن، وإن مثل هؤلاء الروضات الدمثات مثل آل حم في القرآن أورده البغوي

وقال ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب ان الجراح بن أبي الجراح حدثه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لكل شيء لباب ولباب القرآن الحواميم، وقال ابن مسعود رضي الله عنه إذا وقعت في آل حم فقد وقعت في روضات أتأنق فيهن

وقال ابو عبيد ثنا الاشجعي حدثنا مسعر هو ابن كدام عمن حدثه أن رجلا رأى أبا الدرداء رضي الله عنه يبني مسجداً فقال له ماهذا؟ فقال أبنيه من أجل آل حم وقد يكون هذا المسجد الذي بناه ابو الدرداء رضي الله عنه هو المسجد المنسوب اليه داخل قلعة دمشق، وقد يكون صيانتها وحفظها ببركته وبركة ماوضع له فان هذا الكلام يدل على النصر على الاعداء كما قال رسول الله ﷺ لاصحابه في بعض الغزوات «ان بيتم الليلة فقولوا حم لا ينصرون – وفي رواية – لا تنصرون»

﴿ سورة المؤمن خمس وثمانون آية مكية ﴾

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أبو منصور محمد بن محمد بن سمعان ثنا أبو جعفر محمد ابن أحمد بن عبد الجبار الرياني ثنا حميد بن زنجويه ثنا عبد الله بن موسى ثنا اسرائيل عن أبي اسحاق عن أبي الاحوص عن عبد الله قال ان مثل القرآن كمثل رجل انطلق يرتاد لاهله منزلا فمر باثر غيث فبينما هو يسير فيه ويتعجب منه اذ هبط على روضات دمثات فقال عجبت من الغيث الاول فهذا أعجب منه وأعجب فقيل له ان مثل الغيث الاول مثل عظم القرآن وان مثل هؤلاء الروضات الدمثات مثل آل حم في القرآن

وقال الحافظ ابو بكر البزار حدثنا احمد بن الحكم بن ظبيان بن خلف المازني ومحمد بن الليث الهمداني قالا حدثنا موسى بن مسعود حدثناعبدالرحمن بن أبي بكر المليكي عن زرارة بن مصعب عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « من قرأ آية الكرسي وأول حم المؤمن عصم ذلك اليوم من كل سوء ثم قال لا نعلمه » يروى إلا بهذا الاسناد ورواه الترمذي من حديث المليكي وقال تكلم فيه بعض أهل العلم من قبل حفظه

بسم الله الرحمن الرحيم

حم (١) تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم (٢) غافر الذنب وقابل التّوب شديد العقاب ذي الطّوْل لا إله إلا هو اليه المصير (٣)

أما الكلام على الحروف المقطعة فقد تقدم في أول سورة البقرة بما أغنى عن إعادته ههنا وقد قيل ان [حم] اسم من أسماء الله عز وجل وأنشدوا في ذلك بيتا

يذكرني حم والرمح شاجر فهلا تلا حم قبل التقدم

وقد ورد في الحديث الذى رواه ابو داود والترمذي من حديث الثوري عن ابي إسحاق عن المهلب بن أبي صفرة قال : حدثني من سمع رسول الله ﷺ يقول « ان بيتم الليلة فقولوا حم لا ينصرون » وهذا إسناد صحيح ، واختار ابو عبيد أن يروى فقولوا حم لا ينصروا أى ان قلتم ذلك لا ينصروا جعله جزاء لقوله فقولوا

وقوله تعالى (تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم) أي تنزيل هذا الكتاب وهو القرآن من الله

أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو اسحاق الثعلبي أنا أبو محمد الرومي ثنا أبو العباس السراج أنا قتيبة ثنا ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب ان الجراح بن الجراح حدثه عن ابن عباس قال لكل شيء لباب ولباب القرآن الحواميم وقال ابن مسعود اذا وقعت في آل حم وقعت في روضات أتأنق فيهن وقال سعيد بن ابراهيم كن آل الحواميم يسمين العرائس

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل ﴿ حم ﴾ قد سبق الكلام في حروف التهجي قال السدي عن ابن عباس حم اسم الله الأعظم وروى عكرمة عنه قال الر وحم ونون حروف الرحمن مقطعة وقال سعيد بن جبير وعطاء الخراساني الحاء افتتاح أسمائه حكيم حميد حي حليم حنان والميم افتتاح أسمائه ملك مجيد منان وقال الضحاك والكسائي معناه قضي ما هو كائن، كانه أشار الى أن معناه حم بضم الحاء وتشديد الميم وقرأ حمزة والكسائي وأبو بكر حم بكسر الحاء والباقون بفتحها ﴿ تنزيل الكتاب من الله العزيز

ذي العزة والعلم فلا يرام جنابه ولا يخفى عليه الذر وإن تكاثف حجابه . وقوله عز وجل [غافر الذنب وقابل التوب] أي يغفر ماسلف من الذنب ويقبل التوبة في المستقبل لمن تاب اليه وخضع لديه وقوله جل وعلا [شديد العقاب] أى لمن تمرد وطغى وآثر الحياة الدنيا وعتا عن أوامر الله تعالى وبغى وهذه كقوله [نبيء عبادي اني أنا الغفور الرحيم ، وأن عذابي هو العذاب الاليم] يقرن هذين الوصفين كثيراً في مواضع متعددة من القرآن ليبقى العبد بين الرجاء والخوف

وقوله تعالى (ذي الطول) قال ابن عباس رضي الله عنهما يعني السعة والغنى ، وهكذا قال مجاهد وقتادة ، وقال يزيد الاصم ذي الطول يعني الخير الكثير ، وقال عكرمة [ذي الطول] ذي المن ، وقال قتادة ذي النعم والفواضل ، والمعنى أنه المتفضل على عباده المتطول عليهم بما هم فيه من المنن والانعام التي لايطيقون القيام بشكر واحدة منها [وإن تعدوا نعمة الله لاتحصوها] الآية

وقوله جلت عظمته [لا إله إلا هو] أي لانظير له في جميع صفاته فلا إله غيره ولا رب سواه [اليه المصير] أي المرجع والمآب فيجازي كل عامل بعمله [وهو سريع الحساب] وقال أبو بكر بن عياش سمعت أبا اسحاق السبيعي يقول : جاء رجل إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال ياأمير المؤمنين إني قتلت فهل لي من توبة ؟ فقرأ عمر رضي الله عنه (حم ، تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم * غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب] وقال اعمل ولا تيأس . رواه ابن ابي حاتم واللفظ له وابن جرير

وقال ابن ابي حاتم ثنا أبي ثنا موسى بن مروان الرقي ثنا عمر يعني ابن أيوب أنا جعفر بن برقان عن يزيد بن الاصم قال : كان رجل من أهل الشام ذو بأس وكان يفد إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه ففقده عمر فقال مافعل فلان بن فلان ؟ فقالوا ياأمير المؤمنين تتابع في هذا الشراب ، قال فدعا عمر كاتبه فقال اكتب من عمر بن الخطاب إلى فلان بن فلان سلام عليك فاني أحمد اليك الله الذي لا إله إلا هو غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول لا إله الا هو اليه المصير . ثم قال لأصحابه ادعوا الله لأخيكم أن يقبل بقلبه ويتوب الله عليه ، فلما بلغ الرجل كتاب عمر رضي الله عنه جعل يقرؤه ويردده ويقول غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب قد حذرني عقوبته ووعدني أن يغفر لي ورواه الحافظ أبو نعيم من حديث جعفر بن برقان وزاد فلم يزل يرددها على نفسه ثم بكى ثم نزع

العليم * غافر الذنب ﴾ ساتر الذنب ﴿ وقابل التوب ﴾ يعني التوبة مصدر تاب يتوب توبا وقيل التوب جمع توبة مثل دومة ودوم وحومة وحوم قال ابن عباس غافر الذنب لمن قال لا اله الا الله وقابل التوب ممن قال لا اله الا الله محمد رسول الله ﴿ شديد العقاب ﴾ لمن لا يقول لا اله الا الله ﴿ ذي الطول ﴾ ذي الغنى عمن لا يقول لا اله الا الله ، وقال مجاهد ذي الطول ذي السعة والغنى وقال الحسن ذو الفضل قال قتادة ذو النعم وقيل ذو القدرة ، وأصل الطول الانعام الذي تطول مدته على صاحبه

فأحسن النزع ، فلما بلغ عمر خبره قال هكذا فاصنعوا اذا رأيتم أخا لكم زل زلة فسددوه ووثقوه وادعوا الله له أن يتوب ولا تكونوا أعوانا للشيطان عليه

وقال ابن ابي حاتم ثنا عمر بن شبة ثنا حماد بن واقد ثنا أبو عمر الصفار ثنا ثابت البناني قال كنت مع مصعب بن الزبير رضي الله عنه في سواد الكوفة فدخلت حائطا أصلي ركعتين فافتتحت حم المؤمن حتى بلغت لا إله الا هو اليه المصير فاذا رجل خلفي على بغلة شهباء عليه مقطعات يمنية فقال اذا قلت غافر الذنب فقل ياغافر الذنب اغفر لي ذنبي ، واذا قلت قابل التوب فقل ياقابل التوب اقبل توبتي ، واذا قلت شديد العقاب فقل ياشديد العقاب لا تعاقبني ، قال فالتفت فلم أر أحداً فخرجت إلى الباب فقلت مر بكم رجل عليه مقطعات يمنية ؟ قالوا ما رأينا أحداً فكانوا يرون انه الياس ، ثم رواه من طريق أخرى عن ثابت بنحوه وليس فيه ذكر الياس والله سبحانه وتعالى أعلم

مايجدل في آيت الله الا الذين كفروا فلا يغررك تقلبهم في البلد (٤) كذبت قبلهم قوم نوح والاحزاب من بعدهم وهمت كل امة برسولهم ليأخذوه وجدلوا بالبطل ليدحضوا به الحق فأخذتهم فكيف كان عقاب (٥) وكذلك حقت كلمت ربك على الذين كفروا أنهم أصحب النار (٦)

يقول تعالى مايدفع الحق ويجادل فيه بعد البيان وظهور البرهان (إلا الذين كفروا) أى الجاحدون

﴿ لا إله الا هو اليه المصير * مايجادل في آيات الله ﴾ في دفع آيات الله بالتكذيب والانكار ﴿ الا الذين كفروا ﴾ قال أبو العالية آيتان ما أشدهما على الذين يجادلون في القرآن (ما يجادل في آيات الله إلا الذين كفروا ـ و ـ ان الذين اختلفوا في الكتاب لفي شقاق بعيد)

أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو اسحاق الثعلبي أنا عبد الله بن حامد ثنا محمد بن خالد أنا داود ابن سليمان أنا عبد الله بن حميد ثنا الحسين بن علي الجعفي عن زائدة عن ليث عن سعد بن ابراهيم عن أبي سلمة عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال « ان جدالا في القرآن كفر »

أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي أنا أبو الحسين ابن بشران أنا اسمعيل بن محمد الصفار ثنا أحمد بن منصور الرمادي ثنا عبد الرزاق أنا معمر عن الزهري عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال سمع رسول الله ﷺ قوما يتمارون في القرآن فقال « إنما هلك من كان قبلكم بهذا ضربوا كتاب الله بعضه ببعض وانما نزل كتاب الله يصدق بعضه بعضا ، فلا تكذبوا بعضه ببعض فما علمتم منه فقولوه وما جهلتم فكلوه إلى عالمه »

لآيات الله وحججه وبراهينه (فلا يغررك تقلبهم في البلاد) أى في أموالها ونعيمها وزهرتها كما قال جل وعلا [لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد متاع قليل ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد] وقال عز وجل [نمتعهم قليلا ثم نضطرهم الى عذاب غليظ] ثم قال تعالى مسليا لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم في تكذيب من كذبه من قومه بأن له أسوة من سلف من الانبياء عليهم الصلاة والسلام فانه قد كذبهم أممهم وخالفوهم وما آمن بهم منهم الا قليل فقال (كذبت قبلهم قوم نوح) وهو أول رسول بعثه الله ينهى عن عبادة الاوثان (والاحزاب من بعدهم) أي من كل أمة (وهمت كل أمة برسولهم ليأخذوه) أي حرصوا على قتله بكل ممكن ومنهم من قتل رسوله (وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق) أي ماحلوا بالشبهة ليردوا الحق الواضح الجلي

وقد قال أبو القاسم الطبراني ثنا علي بن عبد العزيز ثنا عارم أبو النعمان ثنا معتمر بن سليمان قال سمعت أبي يحدث عن حنش عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال « من أعان باطلا ليدحض به حقا فقد برئت منه ذمة الله تعالى وذمة رسوله ﷺ » وقوله جلت عظمته (فأخذتهم) أي أهلكتهم على ماصنعوا من هذه الآثام والذنوب العظام (فكيف كان عقاب) أي فكيف بلغك عذابي لهم ونكالي بهم قد كان شديداً موجعا مؤلما ، قال قتادة كان شديداً والله

وقوله جل جلاله (وكذلك حقت كلمة ربك على الذين كفروا أنهم أصحاب النار) أي كما حقت كلمة العذاب على الذين كفروا من الامم السالفة كذلك حقت على المكذبين من هؤلاء الذين كذبوك وخالفوك يامحمد بطريق الاولى والاحرى لان من كذبك فلا وثوق له بتصديق غيرك والله أعلم

الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون

قوله تعالى ﴿ فلا يغررك تقلبهم في البلاد ﴾ تصرفهم في البلاد للتجارات وسلامتهم فيها مع كفرهم فان عاقبة أمرهم العذاب نظيره قوله عز وجل (لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد) ﴿ كذبت قبلهم قوم نوح والاحزاب من بعدهم ﴾ وهم الكفار الذين تحزبوا على أنبيائهم بالتكذيب من بعد قوم نوح ﴿ وهمت كل أمة برسولهم ليأخذوه ﴾ قال ابن عباس ليقتلوه ويهلكوه وقيل ليأسروه والعرب تسمي الاسير أخيذا

﴿ وجادلوا بالباطل ليدحضوا ﴾ ليبطلوا ﴿ به الحق ﴾ الذى جاء به الرسل ، ومجادلتهم مثل قولهم (ان أنتم الا بشر مثلنا ـ ولولا أنزل علينا الملائكة) ونحو ذلك ﴿ فأخذتهم فكيف كان عقاب * وكذلك حقت كلمة ربك ﴾ يعني كما حقت كلمة العذاب على الامم المكذبة حقت ﴿ على الذين كفروا ﴾ من قومك ﴿ أنهم أصحاب النار ﴾ قال الاخفش لانهم أو بأنهم أصحاب النار

قوله عز وجل ﴿ الذين يحملون العرش ومن حوله ﴾ حملة العرش والطائفون به وهم الكروبيون

للذين آمنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم (٧) ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم انك أنت العزيز الحكيم (٨) وقهم السيئات ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته وذلك هو الفوز العظيم (٩)

يخبر تعالى عن الملائكة المقربين من حملة العرش الاربعة ومن حوله من الملائكة الكروبيين

وهم سادة الملائكة قال ابن عباس حملة العرش ما بين كعب أحدهم الى أسفل قدميه مسيرة خمسمائة عام ويروى ان أقدامهم في تخوم الارض والارضون والسموات الى حجزتهم وهم يقولون سبحان ذي العزة والجبروت، سبحان ذي الملك والملكوت، سبحان الحي الذى لا يموت، سبوح قدوس رب الملائكة والروح، وقال ميسرة بن عبد ربه أرجلهم في الارض السفلى ورؤسهم تحت العرش وهم خشوع لا يرفعون طرفهم وهم أشد خوفا من أهل السماء السابعة وأهل السماء السابعة أشد خوفا من أهل السماء التي تليها والتي تليها أشد خوفا من التي تليها، وقال مجاهد بين الملائكة والعرش سبعون حجابا من نور

وروى محمد بن المنكدر عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ « أذن لي أن أحدث عن ملك من ملائكة الله من حملة العرش مابين شحمة أذنيه الى عاتقيه مسيرة سبعمائة عام »

وروى جعفر بن محمد عن أبيه عن جده أنه قال: إن مابين القائمة من قوائم العرش والقائمة الثانية خفقان الطير المسرع ثلاثين ألف عام، والعرش يكسى كل يوم سبعين ألف لون من النور لا يستطيع أن ينظر اليه خلق من خلق الله، والاشياء كلها في العرش كحلقة في فلاة. وقال مجاهد بين السماء السابعة وبين العرش سبعون ألف حجاب، حجاب من نور وحجاب من ظلمة، وحجاب نور وحجاب ظلمة. وقال وهب بن منبه إن حول العرش سبعون ألف صف من الملائكة، صف خلف صف يطوفون بالعرش يقبل هؤلاء ويقبل هؤلاء فاذا استقبل بعضهم بعضا هلل هؤلاء وكبر هؤلاء، ومن ورائهم سبعون ألف صف قيام أيديهم الى أعناقهم قد وضعوها على عواتقهم، فاذا سمعوا تكبير أولئك وتهليلهم رفعوا أصواتهم فقالوا: سبحانك وبحمدك ما أعظمك وأجلك أنت الله لا إله غيرك أنت الاكبر، الخلق كلهم لك راجون، ومن وراء هؤلاء مائة ألف صف من الملائكة قد وضعوا اليمنى على اليسرى ليس منهم أحد إلا وهو يسبح بتحميد لا يسبحه الآخر، مابين جناحي أحدهم مسيرة ثلثمائة عام، ومابين شحمة أذنه الى عاتقه أربعمائة عام، واحتجب الله من الملائكة الذين حول العرش بسبعين حجابا من نور وسبعين حجابا من ظلمة وسبعين حجابا من نور وسبعين حجابا من در أبيض وسبعين حجابا من

بأنهم يسبحون بحمد ربهم أي يقرنون بين التسبيح الدال على نفي النقائص والتحميد المقتضي لاثبات صفات المدح (ويؤمنون به) أي خاشعون له أذلاء بين يديه وانهم (يستغفرون للذين آمنوا) أي من أهل الارض ممن آمن بالغيب فقيض الله تعالى ملائكته المقربين أن يدعوا للمؤمنين بظهر الغيب ولما كان هذا من سجايا الملائكة عليهم الصلاة والسلام كانوا يؤمنون على دعاء المؤمن لأخيه بظهر الغيب كما ثبت في صحيح مسلم «اذا دعا المسلم لأخيه بظهر الغيب قال الملك آمين ولك بمثله»

وقد قال الامام احمد حدثنا عبد الله بن محمد هو ابن ابي شيبة ثنا عبيدة بن سليمان عن محمد بن اسحاق عن يعقوب بن عتبة عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال رسول الله ﷺ «صدق أمية بن أبي الصلت في شيء من شعره» فقال:

زحل وثور تحت رجل يمينه والنسر للأخرى وليث مرصد

فقال رسول الله ﷺ «صدق» فقال:

والشمس تطلع كل آخر ليلة حمراء يصبح لونها يتورد

تأبى فما تطلع لنا في رسلها الا معذبة والا تجلد

فقال رسول الله ﷺ «صدق» وهذا إسناده جيد وهو يقتضي أن حملة العرش اليوم أربعة فاذا كان يوم القيامة كانوا ثمانية كما قال تعالى (ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية) وهنا سؤال وهو أن يقال ما الجمع بين المفهوم من هذه الآية ودلالة هذا الحديث؟ وبين الحديث الذى رواه أبو داود ثنا محمد بن الصباح البزار ثنا الوليد بن أبي ثور عن سماك عن عبدالله بن عميرة عن الاحنف بن قيس عن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه قال: كنت بالبطحاء في عصابة فيهم رسول الله ﷺ فمرت بهم سحابة فنظر اليها فقال «ماتسمون هذه؟» قالوا السحاب، قال «والمزن» قالوا والمزن

ياقوت أصفر وسبعين حجابا من زبرجد أخضر وسبعين حجابا من ثلج وسبعين حجابا من ما وسبعين حجابا من برد ومالا يعلمه إلا الله تعالى، قال ولكل واحد من حملة العرش ومن حوله أربعة وجوه وجه ثور ووجه أسد ووجه نسر ووجه انسان، ولكل واحد منهم أربعة أجنحة أما جناحان فعلى وجهه مخافة أن ينظر الى العرش فيصعق وأما جناحان فيهفو بهما كما يهفو هذا الطائر بجناحيه اذا حركه ليس لهم كلام إلا التسبيح والتحميد والتكبير والتمجيد

قوله عز وجل ﴿يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به﴾ يصدقون بأنه واحد لاشريك له

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أبو منصور السمعاني ثنا أبو جعفر الرياني ثنا حميد بن زنجويه ثنا عمر بن عبد الله الرقاشي حدثنا جعفر بن سليمان ثنا هارون بن رباب ثنا شهر بن حوشب قال حملة العرش ثمانية فأربعة منهم يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على حلمك بعد علمك، وأربعة منهم يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على عفوك بعد قدرتك، قال وكأنهم ينظرون ذنوب بني آدم

قال « والعنان » قالوا والعنان ، قال أبو داود ولم أتقن العنان جيدا ، قال « هل تدرون بعد مابين السماء والارض؟ » قالوا لاندري ، قال « بعد ما بينهما إما واحدة أو اثنتان أو ثلاث وسبعون سنة ثم السماء فوقها كذلك حتى عد سبع سموات ، ثم فوق السماء السابعة بحر مابين أسفله وأعلاه مثل مابين سماء إلى سماء ، ثم فوق ذلك ثمانية أوعال بين أظلافهن وركبهن مثل مابين سماء إلى سماء ثم على ظهورهن العرش بين أسفله وأعلاه مثل مابين سماء إلى سماء ثم الله تبارك وتعالى فوق ذلك »

ثم رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه من حديث سماك بن حرب به وقال الترمذي حسن غريب وهذا يقتضي ان حملة العرش ثمانية كما قال شهر بن حوشب رضي الله عنه حملة العرش ثمانية اربعة منهم يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على حلمك بعد علمك،وأربعة يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على عفوك بعد قدرتك ولهذا يقولون اذا استغفروا للذين آمنوا (ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما) أي رحمتك تسع ذنوبهم وخطاياهم وعلمك محيط بجميع أعمالهم وأقوالهم وحركاتهم وسكناتهم (فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك) أي فاصفح عن المسيئين اذا تابوا وأنابوا وأقلعوا عما كانوا فيه واتبعوا ما أمرتهم به من فعل الخيرات وترك المنكرات (وقهم عذاب الجحيم) أي وزحزحهم عن عذاب الجحيم وهو العذاب الموجع الاليم (ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم ومن صلح من آبائهم وازواجهم وذرياتهم) أي اجمع بينهم وبينهم لتقر بذلك أعينهم بالاجتماع في منازل متجاورة كما قال تبارك وتعالى [والذين اتبعتهم ذريتهم بايمان ألحقنا بهم ذريتهم وما ألتناهم من عملهم من شيء] أي ساوينا بين الكل في المنزلة لتقر أعينهم وما نقصنا العالي حتى يساوي الداني بل رفعنا ناقص العمل فساويناه بكثير العمل تفضلا منا ومنة

وقال سعيد بن جبير ان المؤمن اذا دخل الجنة سأل عن ابيه وابنه واخيه اين هم؟ فيقال انهم لم يبلغوا طبقتك في العمل فيقول اني انما عملت لي ولهم فيلحقون به في الدرجة ثم تلا سعيد بن جبير هذه الآية (ربنا وادخلهم جنات عدن التى وعدتهم ومن صلح من آبائهم وازواجهم وذرياتهم إنك انت العزيز) الحكيم قال مطرف بن عبد الله بن الشخير أنصح عباد الله للمؤمنين الملائكة ثم تلا هذه الآية [ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم] الآية وأغش عباده للمؤمنين الشياطين

وقوله تبارك وتعالى (انك أنت العزيز الحكيم) أى الذى لا يمانع ولا يغالب وما شاء كان

قوله عز وجل ﴿ ويستغفرون للذين آمنوا ربنا ﴾ يعني يقولون ربنا ﴿وسعت كل شيء رحمة وعلما﴾ قيل نصب على التفسير وقيل على النقل أي وسعت رحمتك وعلمك كل شيء ﴿ فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك ﴾ دينك ﴿ وقهم عذاب الجحيم ﴾ قال مطرف أنصح عباد الله للمؤمنين هم الملائكة وأغش الخلق للمؤمنين هم الشياطين ﴿ ربنا وأدخلهم جنات عدن التى وعدتهم ومن صلح ﴾ آمن ﴿من آبائهم وازواجهم وذرياتهم إنك أنت العزيز الحكيم ﴾ قال سعيد بن جبير يدخل المؤمن الجنة فيقول

ومالم يشأ لم يكن الحكيم في أقوالك وأفعالك من شرعك وقدرك [وقهم السيئات] أى فعلها او وبالها ممن وقعت منه [ومن تق السيئات يومئذ] أى يوم القيامة [فقد رحمته] أي لطفت به ونجيته من العقوبة [وذلك هو الفوز العظيم]

إن الذين كفروا يُنادَوْن لمقت الله أكبر من مقتكم أنفسكم إذ تُدعون إلى الايمٰن فتكفرون (١٠) قالوا ربنا أمتّنا اثنتين وأحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا فهل إلى خروج من سبيل ؟ (١١) ذلكم بأنه إذا دُعي الله وحده كفرتم وإن يُشرَك به تؤمنوا فالحكم لله العلي الكبير (١٢) هو الذي يريكم آيٰته وينزل لكم من السماء رزقا وما يتذكر إلا من ينيب (١٣) فادعوا الله مخلصين له الدين ولو كره الكٰفرون (١٤)

يقول تعالى مخبرا عن الكفار انهم ينادون يوم القيامة وهم في غمرات النيران يتلظون وذلك عند ما باشروا من عذاب الله تعالى ما لاقبل لأحد به فمقتوا عند ذلك انفسهم وأبغضوها غاية البغض بسبب ماأسلفوا من الاعمال السيئة التي كانت سبب دخولهم إلى النار فأخبرتهم الملائكة عند ذلك إخبار عاليا نادوهم نداء بأن مقت الله تعالى لهم في الدنيا حين كان يعرض عليهم الايمان فيكفرون أشد من مقتكم ايها المعذبون انفسكم اليوم في هذه الحالة

قال قتادة في قوله تعالى [لمقت الله أكبر من مقتكم أنفسكم إذ تدعون الى الايمان فتكفرون] يقول لمقت الله أهل الضلالة حين عرض عليهم الايمان في الدنيا فتركوه وأبوا أن يقبلوه اكبر مما مقتوا أنفسهم حين عاينوا عذاب الله يوم القيامة ، وهكذا قال الحسن البصري ومجاهد والسدي وذر بن عبيد الله الهمداني وعبدالرحمن بن زيد بن أسلم وابن جرير الطبري رحمة الله عليهم أجمعين

وقوله (قالوا ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين) قال الثوري عن أبي اسحاق عن أبي الأحوص

أين أبي؟ أين أمي؟ أين ولدي؟ أين زوجتي ؟فيقال إنهم لم يعملوا مثل عملك فيقول إني كنت أعمل لي ولهم فيقال ادخلوهم الجنة ﴿ وقهم السيئات ﴾ العقوبات ﴿ ومن تق السيئات ﴾ أي ومن تقه السيئات يعني العقوبات وقيل جزاء السيئات ﴿ يومئذ فقد رحمته وذلك هو الفوز العظيم ﴾

قوله عز وجل ﴿ إن الذين كفروا ينادون ﴾ يوم القيامة وهم في النار وقد مقتوا أنفسهم حين عرضت عليهم سيئاتهم وعاينوا العذاب فيقال لهم ﴿ لمقت الله أكبر من مقتكم أنفسكم اذ تدعون الى الايمان فتكفرون ﴾ يعني لمقت الله إياكم في الدنيا اذ تدعون الى الايمان فتكفرون أكبر من مقتكم اليوم أنفسكم عند حلول العذاب بكم ﴿قالوا ربنا أمتنا اثنتين واحييتنا اثنتين﴾ قال ابن عباس رضي

عن ابن مسعود رضي الله عنه هذه الآية كقوله تعالى (كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم اليه ترجعون؟) وكذا قال ابن عباس والضحاك وقتادة وأبو مالك وهذا هو الصواب الذي لا شك فيه ولا مرية

وقال السدي أميتوا في الدنيا ثم أحيوا في قبورهم فخوطبوا ، ثم أميتوا ثم أحيوا يوم القيامة ، وقال ابن زيد : أحيوا حين أخذ عليهم الميثاق من صلب آدم عليه السلام ثم خلقهم في الارحام ثم أماتهم ثم أحياهم يوم القيامة ، وهذان القولان من السدي وابن زيد ضعيفان لانه يلزمهما على ماقالا ثلاث إحياءات وإماتات ، والصحيح قول ابن مسعود وابن عباس ومن تابعهما ، والمقصود من هذا كله ان الكفار يسألون الرجعة وهم وقوف بين يدي الله عز وجل في عرصات القيامة كما قال عز وجل (ولو ترى إذ المجرمون ناكسو رءوسهم عند ربهم ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا إنا موقنون) فلا يجابون ثم إذا رأوا النار وعاينوها ووقفوا عليها ونظروا إلى مافيها من العذاب والنكال سألوا الرجعة أشد مما سألوا أول مرة فلا يجابون قال الله تعالى (ولو ترى إذ وقفوا على النار فقالوا ياليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين * بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون) فاذا دخلوا النار وذاقوا مسها وحسيسها ومقامعها وأغلالها كان سؤالهم للرجعة أشد وأعظم (وهم يصطرخون فيها ربنا أخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل ، أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير؟ فذوقوا فما للظالمين من نصير - ربنا أخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون * قال اخسؤا فيها ولا تكلمون) وفي هذه الآية الكريمة تلطفوا في السؤال وقدموا بين يدي كلامهم مقدمة وهي قولهم (ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين] أي، قدرتك عظيمة فانك أحييتنا بعد ما كنا أمواتا ثم أمتنا ثم أحييتنا فأنت قادر على ما تشاء ،وقد اعترفنا بذنوبنا وانا كنا ظالمين لأنفسنا في الدار الدنيا [فهل إلى خروج من سبيل] اي فهل أنت مجيبنا إلى أن تعيدنا إلى الدار الدنيا فانك قادر على ذلك لنعمل غير الذى كنا نعمل فان عدنا الى ما كنا فيه فانا ظالمون ، فأجيبوا أن لا سبيل إلى عودكم ومرجعكم إلى الدار الدنيا ، ثم علل المنع من ذلك بأن سجاياكم لا تقبل الحق ولا تقتضيه بل تمجه وتنفيه ، ولهذا قال تعالى (ذلكم بأنه اذا دعي الله وحده كفرتم وان يشرك به تؤمنوا)

الله تعالى عنهما وقتادة والضحاك كانوا أمواتا في أصلاب آبائهم فأحياهم الله في الدنيا ثم أماتهم الموتة التي لابد منها ثم أحياهم للبعث يوم القيامة فهما موتتان وحياتان وهذا كقوله تعالى (كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فاحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم) وقال السدي أميتوا في الدنيا ثم أحيوا في قبورهم للسؤال ثم أميتوا في قبورهم ثم أحيوا في الآخرة ﴿ فاعترفنا بذنوبنا فهل الى خروج من سبيل ﴾ أي من خروج من النار الى الدنيا فنصلح أعمالنا ونعمل بطاعتك نظيره (هل الى مرد من سبيل)

قال الله تعالى ﴿ ذلكم بأنه إذا دعي الله وحده كفرتم ﴾ وفيه متروك استغنى عنه لدلالة الظاهر

أي أنتم هكذا تكونون وان رددتم إلى الدار الدنيا كما قال عز وجل (ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون) وقوله جل وعلا (فالحكم لله العلي الكبير) أي هو الحاكم في خلقه العادل الذي لايجور فيهدي من يشاء ويضل من يشاء ويرحم من يشاء ويعذب من يشاء لا إله إلا هو

وقوله جل جلاله (هو الذي يريكم آياته) أي يظهر قدرته لخلقه بما يشاهدونه في خلقه العلوي والسفلي من الآيات العظيمة الدالة على كمال خالقها ومبدعها ومنشئها (وينزل لكم من السماء رزقا) وهو المطر الذي يخرج به من الزروع والثمار ماهو مشاهد بالحس من اختلاف ألوانه وطعومه وروائحه وأشكاله وألوانه وهو ماء واحد فبالقدرة العظيمة فاوت بين هذه الاشياء (ومايتذكر) أي يعتبر ويتفكر في هذه الاشياء ويستدل بها على عظمة خالقها (إلا من ينيب) أي من هو بصير منيب الى الله تبارك وتعالى

وقوله عز وجل (فادعوا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون) أي فأخلصوا لله وحده العبادة والدعاء وخالفوا المشركين في مسلكهم ومذهبهم

قال الامام احمد حدثنا عبدالله بن نمير حدثنا هشام يعني ابن عروة بن الزبير عن أبي الزبير محمد ابن مسلم بن مدرس المكي قال : كان عبدالله بن الزبير يقول في دبر كل صلاة حين يسلم لا إله إلا الله وحده لاشريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير لاحول ولا قوة إلا بالله ، لا إله الا الله ولا نعبد الله اياه ، له النعمة وله الفضل وله الثناء الحسن ، لا اله الا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون قال وكان رسول الله ﷺ يهل بهن دبر كل صلاة . ورواه مسلم وابو داود والنسائي من طرق عن هشام ابن عروة وحجاج بن أبي عثمان وموسى بن عقبة ثلاثتهم عن أبي الزبير عن عبدالله بن الزبير قال : كان رسول الله ﷺ يقول في دبر كل صلاة « لا اله الا الله وحده لاشريك له » وذكر تمامه

وقد ثبت في الصحيح عن ابن الزبير رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ كان يقول عقب الصلوات المكتوبات « لا اله الا الله وحده لاشريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، لا حول ولا قوة الا بالله ، لا اله الا الله ، ولا نعبد الا اياه له النعمة وله الفضل وله الثناء الحسن ، لا اله الا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون »

وقال ابن أبي حاتم حدثنا الربيع حدثنا الخصيب بن ناصح حدثنا صالح يعني المري عن هشام

عليه ، مجازه فأجيبوا أن لاسبيل الى ذلك وهذا العذاب والخلود في النار بأنكم اذا دعي الله وحده كفرتم أي اذا قيل لاإله إلا الله أنكرتم وقلتم أجعل الآلهة إلها واحداً ﴿ وان يشرك به ﴾ غيره ﴿ تؤمنوا ﴾ تصدقوا ذلك الشرك ﴿ فالحكم لله العلي الكبير ﴾ الذي لا أعلى منه ولا أكبر ﴿ هو الذي يريكم آياته وينزل لكم من السماء رزقا ﴾ يعني المطر الذى هو سبب الارزاق ﴿ وما يتذكر ﴾ ومايتعظ بهذه الآيات ﴿ إلا من ينيب ﴾ يرجع الى الله تعالى في جميع أموره ﴿ فادعوا الله مخلصين له الدين ﴾

ابن حسان عن ابن سيرين عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال « ادعوا الله تبارك وتعالى وأنتم موقنون بالاجابة واعلموا أن الله تعالى لايستجيب دعاء من قلب غافل لاه »

رفيع الدرجٰت ذو العرش يلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده لينذر يوم التلاق (١٥) يوم هم بٰرزون لايخفى على الله منهم شيء لمن الملك اليوم ؟ لله الواحد القهار (١٦) اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لاظلم اليوم إن الله سريع الحساب (١٧)

يقول تعالى مخبراً عن عظمته وكبريائه وارتفاع عرشه العظيم العالي على جميع مخلوقاته كالسقف لها كما قال تعالى (من الله ذي المعارج تعرج الملائكة والروح اليه في يوم كان مقداره خمسين الف سنة) وسيأتي ان شاء الله تعالى بيان أن هذه مسافة مابين العرش الى الارض السابعة في قول جماعة من السلف والخلف وهو الارجح ان شاء الله ، وقد ذكر غير واحد أن العرش من ياقوتة حمراء اتساع مابين قطريه مسيرة خمسين الف سنة ، وارتفاعه عن الارض السابعة مسيرة خمسين ألف سنة وقد تقدم في حديث الاوعال ما يدل على ارتفاعه عن السموات السبع بشيء عظيم

وقوله تعالى (يلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده) كقوله جلت عظمته [ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده أن أنذروا انه لاإله الا أنا فاتقون] وكقوله تعالى [وانه لتنزيل رب العالمين * نزل به الروح الامين على قلبك لتكون من المنذرين] ولهذا قال عز وجل [لينذر يوم التلاق] قال علي بن ابي طلحة عن ابن عباس يوم التلاق اسم من أسماء يوم القيامة حذر الله منه عباده ، وقال ابن جريج قال ابن عباس رضي الله عنهما يلتقي فيه آدم وآخر ولده ، وقال ابن زيد يلتقي فيه العباد.

وقال قتادة والسدي وبلال بن سعد وسفيان بن عيينة يلتقي فيه أهل السماء وأهل الارض والخالق والخلق ، وقال ميمون بن مهران يلتقي الظالم والمظلوم ، وقد يقال ان يوم التلاق يشمل هذا كله ويشمل أن كل عامل سيلقى ماعمله من خير وشر كما قاله آخرون

الطاعة والعبادة ﴿ ولو كره الكافرون * رفيع الدرجات ﴾ رافع درجات الانبياء والاولياء في الجنة ﴿ ذو العرش ﴾ خالقه ومالكه ﴿ يلقي الروح ﴾ ينزل الوحي سماه روحاً لأنه تحيا به القلوب كما تحيا الابدان ﴿ من أمره ﴾ قال ابن عباس من قضائه وقيل من قوله وقال مقاتل بأمره ﴿ على من يشاء من عباده لينذر ﴾ أي لينذر النبي بالوحي ﴿ يوم التلاق ﴾ وقرأ يعقوب بالتاء أي لتنذر أنت يا محمد يوم التلاق يوم يلتقي أهل السماء وأهل الارض قال قتادة ومقاتل يلتقي فيه الخلق والخالق قال ابن زيد يتلاقى العباد وقال ميمون بن مهران يلتقي الظالم والمظلوم والخصوم وقيل يلتقي العابدون والمعبودون وقيل يلتقي

وقوله جل جلاله (يوم هم بارزون لا يخفى على الله منهم شيء) أي ظاهرون بادون كلهم لا شيء يكنهم ولا يظلهم ولا يسترهم ولهذا قال (يوم هم بارزون لا يخفى على الله منهم شيء) أي الجميع في علمه على السواء

وقوله تبارك وتعالى (لمن الملك اليوم؟ لله الواحد القهار) قد تقدم في حديث ابن عمر رضي الله عنهما أنه تعالى يطوي السموات والارض بيده ثم يقول أنا الملك أنا الجبار أنا المتكبر أين ملوك الارض؟ أين الجبارون أين المتكبرون؟ وفي حديث الصور انه عز وجل اذا قبض أرواح جميع خلقه فلم يبق سواه وحده لاشريك له حينئذ يقول لمن الملك اليوم ثلاث مرات ثم يجيب نفسه قائلا (لله الواحد القهار) أي الذي هو وحده قد قهر كل شيء وغلبه

وقد قال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن غالب الدقاق حدثنا عبيد بن عبيدة حدثنا معتمر عن أبيه حدثنا أبو نضرة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ينادي مناد بين يدي الساعة يا أيها الناس أتتكم الساعة فيسمعها الاحياء والاموات قال وينزل الله عز وجل إلى السماء الدنيا ويقول (لمن الملك اليوم؟ لله الواحد القهار)

وقوله جلت عظمته (اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم ان الله سريع الحساب) يخبر تعالى عن عدله في حكمه بين خلقه أنه لا يظلم مثقال ذرة من خير ولا من شر بل يجزي بالحسنة عشر أمثالها وبالسيئة واحدة ولهذا قال تبارك وتعالى (لا ظلم اليوم) كما ثبت في صحيح مسلم عن أبي ذر رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ فيما يحكي عن ربه عز وجل انه قال «ياعبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا — إلى أن قال — ياعبادي انما هي أعمالكم أحصيها عليكم ثم أوفيكم إياها، فمن وجد خيراً فليحمد الله تبارك وتعالى، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه»

وقوله عز وجل (إن الله سريع الحساب) أي يحاسب الخلائق كلهم كما يحاسب نفسا واحدة كما قال جل وعلا [ماخلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة] وقال جل جلاله [وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر]

وأنذرهم يوم الآزفة إذ القلوب لدى الحناجر كظمين ما للظلمين من حميم ولا شفيع يطاع (١٨) يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور (١٩) والله يقضي بالحق والذين يدعون من دونه لا يقضون بشيء إن الله هو السميع البصير (٢٠)

فيه المرء مع عمله ﴿يوم هم بارزون﴾ خارجون من قبورهم ظاهرون لا يسترهم شيء ﴿لا يخفى على الله منهم﴾ من أعمالهم وأحوالهم ﴿شيء﴾ ويقول الله تعالى في ذلك اليوم بعد فناء الخلق ﴿لمن الملك اليوم﴾ ولا أحد يجيبه فيجيب بنفسه فيقول ﴿لله الواحد القهار﴾ الذي قهر الخلق بالموت ﴿اليوم تجزى كل نفس بما كسبت﴾ يجزى المحسن باحسانه والمسيء باساءته ﴿لا ظلم اليوم ان الله سريع الحساب * وأنذرهم يوم الآزفة﴾ يعني يوم القيامة سميت بذلك لأنها قريبة اذ كل ما هو آت قريب نظيره

يوم الآزفة اسم من أسماء يوم القيامة وسميت بذلك لاقترابها كما قال تعالى [أزفت الآزفة * ليس لها من دون الله كاشفة] وقال عز وجل [اقتربت الساعة وانشق القمر] وقال جل وعلا [اقترب للناس حسابهم] وقال [أتى أمر الله فلا تستعجلوه] وقال جل جلاله [فلما رأوه زلفة سيئت وجوه الذين كفروا) الآية

وقوله تبارك وتعالى [إذ القلوب لدى الحناجر كاظمين] قال قتادة وقفت القلوب في الحناجر من الخوف فلا تخرج ولا تعود إلى أماكنها ، وكذا قال عكرمة والسدي وغير واحد ومعنى كاظمين أي ساكتين لايتكلم أحد الا باذنه [يوم يقوم الروح والملائكة صفا لايتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صوابا] وقال ابن جريج (كاظمين) أي باكين . وقوله سبحانه وتعالى (ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع) أى ليس للذين ظلموا أنفسهم بالشرك بالله من قريب منهم ينفعهم ولا شفيع يشفع فيهم بل قد تقطعت بهم الاسباب من كل خير

وقوله تعالى (يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور) يخبر عز وجل عن علمه التام المحيط بجميع الاشياء جليلها وحقيرها ، صغيرها وكبيرها ، دقيقها ولطيفها ليحذر الناس علمه فيهم فيستحيوا من الله تعالى حق الحياء ويتقوه حق تقواه ، ويراقبوه مراقبة من يعلم انه يراه فانه عز وجل يعلم العين الخائنة وإن أبدت أمانة ويعلم ماتنطوي عليه خبايا الصدور من الضمائر والسرائر . قال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى (يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور) هو الرجل يدخل على أهل البيت بيتهم وفيهم المرأة الحسناء أو تمر به وبهم المرأة الحسناء فاذا غفلوا لحظ اليها ، فاذا فطنوا غض بصره عنها فاذا غفلوا لحظ فاذا فطنوا غض ، وقد اطلع الله تعالى من قلبه انه ود أن لو اطلع على فرجها . رواه ابن أبي حاتم ، وقال الضحاك (خائنة الاعين) هو الغمز ، وقول الرجل رأيت ولم ير ، أو لم أر وقد رأى . وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما يعلم الله تعالى من العين في نظرها هل تريد الخيانة أم لا ؟ وكذا قال مجاهد وقتادة ، وقال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى (وما تخفي الصدور) يعلم اذا أنت قدرت عليها هل تزني بها أم لا ؟ وقال السدي (وما تخفي الصدور) أي من الوسوسة

وقوله عز وجل (والله يقضي بالحق) أي يحكم بالعدل ، قال الاعمش عن سعيد بن جبير عن ابن

قوله عز وجل (أزفت الآزفة) أي قربت القيامة ﴿ اذ القلوب لدى الحناجر ﴾ وذلك انها تزول عن أماكنها من الخوف حتى تصير الى الحناجر فلا هي تعود الى أماكنها ولا هي تخرج من أفواههم فيموتوا ويستريحوا ﴿ كاظمين ﴾ مكروبين ممتلئين خوفا وحزنا والكظم تردد الغيظ والخوف والحزن في القلب حتى يضيق به ﴿ ما للظالمين من حميم ﴾ قريب ينفعهم ﴿ ولا شفيع يطاع ﴾ فيشفع فيهم ﴿ يعلم خائنة الأعين ﴾ أي خيانتها وهي مسارقة النظر الى مالا يحل قال مجاهد هو نظر الاعين الى ما نهى الله عنه ﴿ وما تخفي الصدور * والله يقضي بالحق والذين يدعون من دونه ﴾ يعني الاوثان

عباس في قوله تعالى (والله يقضي بالحق) قادر على أن يجزي بالحسنة الحسنة وبالسيئة السيئة (إن الله هو السميع البصير) وهذا الذى فسر به ابن عباس رضي الله عنهما هذه الآية كقوله تبارك وتعالى (ليجزيَ الذين أساؤا بما عملوا ويجزيَ الذين أحسنوا بالحسنى)

وقوله جل وعلا (والذين يدعون من دونه) أى من الاصنام والاوثان والانداد (لايقضون بشيء) أي لايملكون شيئا ولا يحكمون بشيء (ان الله هو السميع البصير) أى سميع لأقوال خلقه بصير بهم فيهدي من يشاء ويضل من يشاء وهو الحاكم العادل في جميع ذلك

أولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عقبة الذين كانوا من قبلهم كانوا هم أشدّ منهم قوةً وآثاراً في الأرض فأخذهم اللهُ بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق (٢١) ذلك بأنهم كانت تأتيهم رسلهم بالبينٰت فكفروا فأخذهم الله انه قوي شديد العقاب (٢٢)

يقول تعالى (أولم يسيروا)هؤلاء المكذبون برسالتك يامحمد (في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم) أي من الامم المكذبة بالانبياء عليهم الصلاة والسلام ماحل بهم من العذاب والنكال مع انهم كانوا أشد من هؤلاء قوة (وآثاراً في الارض) أي أثروا في الارض من البنايات والمعالم والديارات ما لايقدر هؤلاء عليه كما قال عز وجل (ولقد مكناهم فيما إن مكناكم فيه) وقال تعالى [وأثاروا الارض وعمروها أكثر مما عمروها] أي ومع هذه القوة العظيمة والبأس الشديد أخذهم الله بذنوبهم وهي كفرهم برسلهم (وما كان لهم من الله من واق) أي وما دفع عنهم عذاب الله أحد ولا رده عنهم راد ، ولا وقاهم واق

ثم ذكر علة أخذه إياهم وذنوبهم التي ارتكبوها واجترموها فقال تعالى [ذلك بأنهم كانت تأتيهم رسلهم بالبينات] أي بالدلائل الواضحات ، والبراهين القاطعات [فكفروا] أي مع هذا البيان والبرهان كفروا وجحدوا [فأخذهم الله] تعالى أي أهلكهم ودمر عليهم وللكافرين أمثالها [انه قوي شديد العقاب] أي ذو قوة عظيمة وبطش شديد [وهو شديد العقاب] أي عقابه أليم شديد وجيع ، أعاذنا الله تبارك وتعالى منه

﴿ لايقضون بشيء ﴾ لأنها لاتعلم شيئا ولاتقدر على شيء قرأ نافع وابن عامر تدعون بالتاء وقرأ الآخرون بالياء ﴿ إن الله هو السميع البصير * أو لم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم كانوا هم أشد منهم قوة ﴾ قرأ ابن عامر منكم بالكاف وكذلك هو في مصاحفهم ﴿ وآثاراً في الارض ﴾ فلم ينفعهم ذلك ﴿ فأخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق ﴾ يدفع عنهم العذاب ﴿ ذلك ﴾ أي ذلك العذاب الذي نزل بهم ﴿ بأنهم كانت تأتيهم رسلهم بالبينات فكفروا

ولقد أرسلنا موسى بآيتنا وسلطٰن مبين (٢٣) الى فرعون وهمٰن وقرون فقالوا سٰحر كذاب (٢٤) فلما جاءهم بالحق من عندنا قالوا اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه واستحيوا نساءهم ، وما كيد الكفرين الا في ضلٰل (٢٥) وقال فرعون ذروني أقتل موسى وليدع ربه اني أخاف أن يبدل دينكم أو أن يظهر في الارض الفساد (٢٦) وقال موسى إني عذت بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب (٢٧)

يقول تعالى مسليا لنبيه محمد ﷺ في تكذيب من كذبه من قومه ومبشراً له بأن العاقبة والنصرة له في الدنيا والآخرة كما جرى لموسى بن عمران عليه السلام فان الله تعالى أرسله بالآيات البينات ، والدلائل الواضحات ، ولهذا قال تعالى (بآياتنا وسلطان مبين) والسلطان هو الحجة والبرهان (إلى فرعون) وهو ملك القبط بالديار المصرية (وهامان) وهو وزيره في مملكته (وقارون) وكان أكثر الناس في زمانه مالا وتجارة (فقالوا ساحر كذاب) أي كذبوه وجعلوه ساحراً مجنونا مموها كذابا في أن الله أرسله وهذه كقوله تعالى (كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول إلا قالوا ساحر أو مجنون * أتواصوا به؟ بل هم قوم طاغون) [فلما جاءهم بالحق من عندنا] أي بالبرهان القاطع الدال على أن الله عز وجل أرسله اليهم (قالوا اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه واستحيوا نساءهم) وهذا أمر ثان من فرعون بقتل ذكور بني اسرائيل ، أما الاول فكان من الاحتراز من وجود موسى أو لاذلال هذا الشعب وتقليل عددهم أو لمجموع الامرين ، وأما الامر الثاني فللعلة الثانية ولاهانة هذا الشعب ولكي يتشاءموا بموسى عليه السلام ولهذا قالوا (أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ماجئتنا ، قال عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الارض فينظر كيف تعملون) قال قتادة هذا أمر بعد أمر ، قال الله عز وجل (وما كيد الكافرين الا في ضلال) أى وما مكرهم وقصدهم الذى هو تقليل عدد بني اسرائيل

فأخذهم الله انه قوي شديد العقاب * ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين * إلى فرعون وهامان وقارون فقالوا ساحر كذاب * فلما جاءهم بالحق من عندنا قالوا ﴾ يعني فرعون وقومه ﴿ اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه ﴾ قال قتادة هذا غير القتل الاول لان فرعون كان قد أمسك عن قتل الولدان فلما بعث موسى عليه السلام أعاد القتل عليهم فمعناه أعيدوا عليهم القتل ﴿ واستحيوا نساءهم ﴾ ليصدوهم بذلك عن متابعة موسى ومظاهرته ﴿ وما كيد الكافرين ﴾ وما مكر فرعون وقومه واحتيالهم ﴿ إلا في ضلال ﴾

لئلا ينصروا عليهم إلا ذاهب وهالك في ضلال (وقال فرعون ذروني أقتل موسى وليدع ربه) هذا عزم من فرعون لعنه الله تعالى على قتل موسى عليه الصلاة والسلام أى قال لقومه دعوني حتى أقتل لكم هذا (وليدع ربه) أى لا أبالي منه وهذا في غاية الجحد والتجهرم والعناد

وقوله قبحه الله (اني أخاف أن يبدل دينكم أوأن يظهر في الارض الفساد) يعني موسى، يخشى فرعون أن يضل موسى الناس ويغير رسومهم وعاداتهم وهذا كما يقال في المثل : صار فرعون مذكراً ، يعني واعظا يشفق على الناس من موسى عليه السلام . وقرأ الاكثرون (ان يبدل دينكم وان يظهر في الارض الفساد) وقرأ الآخرون (ان يبدل دينكم أوان يظهر في الارض الفساد) وقرأ بعضهم (يظهر في الارض الفساد) بالضم (وقال موسى إني عذت بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب) أي لما بلغه قول فرعون (ذروني أقتل موسى) قال موسى عليه السلام استجرت بالله وعذت به من شره وشر أمثاله ولهذا قال (اني عذت بربي وربكم) أيها المخاطبون (من كل متكبر) أى عن الحق مجرم (لا يؤمن بيوم الحساب) ولهذا جاء في الحديث عن أبي موسى رضي الله عنه ان رسول الله ﷺ كان إذا خاف قوما قال « اللهم إنا نعوذ بك من شرورهم وندرأ بك في نحورهم »

وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمٰنه أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينٰت من ربكم ؟ وإن يك كٰذبا فعليه كذبه وان يك صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم ان الله لا يهدي من هو مسرف كذاب (٢٨) يٰقوم لكم الملك اليوم ظٰهرين في الأرض فمن ينصرنا من بأس الله ان جاءنا ؟ قال فرعون ما أريكم الا ما أرى وما أهديكم إلا سبيل الرشاد (٢٩)

أي يذهب كيدهم باطلا ويحيق بهم ما يريده الله عز وجل ﴿ وقال فرعون ﴾ لملئه ﴿ ذروني أقتل موسى ﴾ وإنما قال هذا لانه كان في خاصة قوم فرعون من يمنعه من قتله خوفا من الهلاك ﴿ وليدع ربه ﴾ أي وليدع موسى ربه الذي يزعم انه أرسله الينا فيمنعه منا ﴿ إني أخاف أن يبدل ﴾ أن يغير ﴿ دينكم ﴾ الذي أنتم عليه ﴿ أو أن يظهر في الارض الفساد ﴾ قرأ يعقوب وأهل الكوفة أو أن يظهر وقرأ الآخرون وأن يظهر وقرأ أهل المدينة والبصرة وحفص يظهر بضم الياء وكسر الهاء على التعدية الفساد نصب لقوله أن يبدل دينكم حتى يكون الفعلان على نسق واحد وقرأ الآخرون بفتح الياء والهاء على اللزوم الفساد رفع وأراد بالفساد تبديل الدين وعبادة غيره ﴿ وقال موسى ﴾ لما توعده فرعون بالقتل ﴿ إني عذت بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب * وقال رجل مؤمن من

المشهور أن هذا الرجل المؤمن كان قبطيا من آل فرعون ، قال السدي : كان ابن عم فرعون ويقال انه الذى نجا مع موسى عليه الصلاة والسلام ، واختاره ابن جرير ورد قول من ذهب الى انه كان اسرائيليا لان فرعون انفعل لكلامه واستمعه وكف عن قتل موسى عليه السلام ولو كان اسرائيليا لأوشك أن يعاجل بالعقوبة لانه منهم

وقال ابن جرير عن ابن عباس رضي الله عنهما لم يؤمن من آل فرعون سوى هذا الرجل وامرأة فرعون والذي قال (ياموسى ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك) رواه ابن أبي حاتم وقد كان هذا الرجل يكتم ايمانه عن قومه القبط فلم يظهر الا هذا اليوم حين قال فرعون (ذروني أقتل موسى) فأخذت الرجل غضبة لله عز وجل وأفضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر كما ثبت بذلك الحديث ولا أعظم من هذه الكلمة عند فرعون وهي قوله (أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله) اللهم الا ما رواه البخاري في صحيحه حيث قال حدثنا علي بن عبد الله حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا الاوزاعي حدثني يحيى بن أبي كثير حدثني محمد بن ابراهيم التيمي حدثني عروة بن الزبير رضي الله عنهما قال قلت لعبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أخبرني بأشد شيء صنعه المشركون برسول الله ﷺ قال بينا رسول الله ﷺ يصلي بفناء الكعبة اذ أقبل عقبة بن أبي معيط فأخذ بمنكب رسول الله ﷺ ولوى ثوبه في عنقه فخنقه خنقا شديداً فأقبل ابو بكر رضي الله عنه فأخذ بمنكبيه ودفعه عن النبي ﷺ ثم قال (أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم) انفرد به البخاري من حديث الاوزاعي قال وتابعه محمد بن اسحاق عن ابراهيم بن عروة عن أبيه به

وقال ابن أبي حاتم حدثنا هارون بن اسحاق الهمذاني حدثنا عبدة عن هشام يعني ابن عروة عن أبيه عن عمرو بن العاص رضي الله عنه انه سئل ما أشد ما رأيت قريشا بلغوا من رسول الله ﷺ قال مر ﷺ بهم ذات يوم فقالوا له أنت تنهانا أن نعبد مايعبد آباؤنا؟ فقال «أناذاك» فقاموا اليه فأخذوا بمجامع ثيابه فرأيت أبا بكر رضي الله عنه محتضنه من ورائه وهو يصيح بأعلى صوته وان عينيه ليسيلان وهو يقول ياقوم (أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم) حتى فرغ من الآية كلها وهكذا رواه النسائي من حديث عبدة فجعله من مسند عمرو بن العاص رضي الله عنه وقوله تعالى (وقد جاءكم بالبينات من ربكم) أي كيف تقتلون رجلا لكونه يقول ربي الله وقد

آل فرعون يكتم ايمانه ﴾ واختلفوا في هذا المؤمن قال مقاتل والسدي كان قبطيا ابن عم فرعون وهو الذى حكى الله عنه فقال (وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى) وقال قوم كان اسرائيليا، ومجاز الآية وقال رجل مؤمن يكتم ايمانه من آل فرعون وكان اسمه حزبيل عند ابن عباس وأكثر العلماء، وقال ابن اسحاق اسمه جبريل وقيل كان اسم الرجل الذى آمن من آل فرعون حبيبا ﴿ أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله ﴾ لان يقول ربي الله ﴿ وقد جاءكم بالبينات من ربكم ﴾ أى بما يدل على صدقه

أقام لكم البرهان على صدق ما جاءكم به من الحق . ثم تنزل معهم في المخاطبة فقال (وإن يك كاذبا فعليه كذبه وان يك صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم) يعني اذا لم يظهر لكم صحة ما جاءكم به فمن العقل والرأي التام والحزم أن تتركوه ونفسه فلا تؤذوه فان يك كاذبا فان الله سبحانه وتعالى سيجازيه على كذبه بالعقوبة في الدنيا والآخرة وان يك صادقا وقد آذيتموه يصبكم بعض الذي يعدكم فانه يتوعدكم ان خالفتموه بعذاب في الدنيا والآخرة فمن الجائز عندكم أن يكون صادقا فينبغي على هذا أن لاتتعرضوا له بل اتركوه وقومه يدعوهم ويتبعونه : وهكذا أخبر الله عز وجل عن موسى عليه السلام انه طلب من فرعون وقومه الموادعة في قوله (ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون وجاءهم رسول كريم * ان أدوا الي عباد الله اني لكم رسول أمين * وأن لا تعلوا على الله اني آتيكم بسلطان مبين * واني عذت بربي وربكم أن ترجمون وان لم تؤمنوا لي فاعتزلون) وهكذا قال رسول الله ﷺ لقريش أن يتركوه يدعو الى الله تعالى عباد الله ولا يمسوه بسوء ويصلوا ما بينه وبينهم من القرابة في ترك أذيته قال الله عز وجل [قل لا أسألكم عليه أجراً الا المودة في القربى] أي أن لا تؤذوني فيما بيني وبينكم من القرابة فلا تؤذوني وتتركوا بيني وبين الناس وعلى هذا وقعت الهدنة يوم الحديبية وكان فتحا مبينا وقوله جل وعلا [ان الله لا يهدي من هو مسرف كذاب] أي لو كان هذا الذي يزعم ان الله تعالى أرسله اليكم كاذبا كما تزعمون لكان أمره بينا يظهر لكل أحد في أقواله وأفعاله فكانت تكون في غاية الاختلاف والاضطراب وهذا نرى أمره سديداً ومنهجه مستقيما ، ولو كان من المسرفين الكذابين لما هداه الله وأرشده الى ما ترون من انتظام أمره وفعله ثم قال المؤمن محذراً قومه زوال نعمة الله

﴿ وإن يك كاذبا فعليه كذبه ﴾ لا يضركم ذلك ﴿ وان يك صادقا ﴾ فكذبتموه وهو صادق ﴿ يصبكم بعض الذى يعدكم ﴾ قال أبو عبيد المراد بالبعض الكل أى ان قتلتموه وهو صادق أصابكم ما يتوعدكم به من العذاب قال الليث بعض ههنا صلة يريد يصبكم الذى يعدكم وقال أهل المعاني هذا على الظاهر في الحجاج كانه قال أقل ما في صدقه أن يصيبكم بعض الذى يعدكم وفي بعض ذلك هلاككم فذكر البعض ليوجب الكل ﴿ ان الله لا يهدي ﴾ الى دينه ﴿ من هو مسرف ﴾ مشرك ﴿ كذاب ﴾ على الله

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا احمد بن عبد الله النعيمى أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا علي بن عبد الله ثنا الوليد بن مسلم حدثني الاوزاعي حدثني يحيى بن أبى كثير حدثنى محمد بن ابراهيم التيمي حدثني عروة بن الزبير قال قلت لعبد الله بن عمرو بن العاص أخبرني بأشد ما صنعه المشركون برسول الله ﷺ قال بينا رسول الله ﷺ يصلي بفناء الكعبة اذ أقبل عقبة بن أبى معيط فأخذ بمنكب رسول الله ﷺ ولوى ثوبه في عنقه فخنقه به خنقا شديدا فأقبل أبو بكر فأخذ بمنكبه ودفعه عن رسول الله ﷺ وقال (أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من

عنهم وحلول نقمة الله بهم [ياقوم لكم الملك اليوم ظاهرين في الارض] أى قد أنعم الله عليكم بهذا الملك والظهور في الارض بالكلمة النافذة والجاه العريض فراعوا هذه النعمة بشكر الله تعالى وتصديق رسوله ﷺ واحذروا نقمة الله ان كذبتم رسوله (فمن ينصرنا من بأس الله ان جاءنا) أى لا تغني عنكم هذه الجنود وهذه العساكر ولا ترد عنا شيئا من بأس الله ان أرادنا بسوء (قال فرعون) لقومه رادا على ما أشار به هذا الرجل الصالح البار الراشد الذي كان أحق بالملك من فرعون (ما أريكم إلا ما أرى) أي ما أقول لكم وأشير عليكم الا ما أراه لنفسي وقد كذب فرعون فانه كان يتحقق صدق موسى عليه السلام فيما جاء به من الرسالة (قال لقد علمت ما أنزل هؤلاء الا رب السموات والارض بصائر) وقال الله تعالى [وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا] فقوله (ما أريكم الا ما أرى) كذب فيه وافترى وخان الله تبارك وتعالى ورسوله ﷺ ورعيته فغشهم وما نصحهم وكذا قوله [وما أهديكم الا سبيل الرشاد] أي وما أدعوكم الا الى طريق الحق والصدق والرشد وقد كذب أيضا في ذلك وان كان قومه قد أطاعوه واتبعوه قال الله تبارك وتعالى [فاتبعوا أمر فرعون وما أمر فرعون برشيد] وقال جلت عظمته [وأضل فرعون قومه وما هدى] وفي الحديث « ما من امام يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته الا لم يرح رائحة الجنة وان ريحها ليوجد من مسيرة خمسمائة عام » والله سبحانه وتعالى الموفق للصواب

وقال الذي آمن ياقوم إني أخاف عليكم مثل يوم الاحزاب (٣٠) مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم وما الله يريد ظلما للعباد (٣١) وياقوم اني أخاف عليكم يوم التناد (٣٢) يوم تولون مدبرين ما لكم من الله من عاصم ومن يضلل الله فما له من هاد (٣٣) ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات فما زلتم في شك مما جاءكم به حتى اذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا كذلك يضل الله من هو مسرف مرتاب (٣٤) الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم كبر مقتا عند الله وعند الذين آمنوا كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار (٣٥)

ربكم ﴿ ياقوم لكم الملك اليوم ظاهرين في الارض ﴾ غالبين في أرض مصر ﴿ فمن ينصرنا من بأس الله ﴾ من يمنعنا من عذاب الله ﴿ ان جاءنا ﴾ والمعنى لكم الملك اليوم فلا تتعرضوا لعذاب الله بالتكذيب وقتل النبي فانه لا مانع من عذاب الله ان حل بكم ﴿ قال فرعون ما أريكم ﴾ من الرأي والنصيحة ﴿ الا ما أرى ﴾ لنفسي وقال الضحاك لا أعلمكم الا ما أعلم ﴿ وما أهديكم الا سبيل الرشاد ﴾ ما أدعوكم الا الى طريق الهدى ﴿ وقال الذى آمن ياقوم اني أخاف عليكم مثل يوم الاحزاب * مثل دأب قوم

هذا اخبار من الله عز وجل عن هذا الرجل الصالح مؤمن آل فرعون انه حذر قومه بأس الله تعالى في الدنيا والآخرة (فقال ياقوم اني أخاف عليكم مثل يوم الاحزاب) أي الذين كذبوا رسل الله في قديم الدهر كقوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم من الامم المكذبة كيف حل بهم بأس الله وما رده عنهم راد ولا صده عنهم صاد (وما الله يريد ظلما للعباد) أى انما أهلكهم الله تعالى بذنوبهم وتكذيبهم رسله ومخالفتهم أمره فأنفذ فيهم قدره ثم قال (وياقوم اني أخاف عليكم يوم التناد) يعني يوم القيامة وسمي بذلك قال بعضهم لما جاء في حديث الصور إن الارض اذا زلزلت وانشقت من قطر إلى قطر وماجت وارتجت فنظر الناس الى ذلك ذهبوا هاربين ينادي بعضهم بعضا وقال آخرون منهم الضحاك بل ذلك اذا جيء بجهنم ذهب الناس هرابا منها فتتلقاهم الملائكة فتردهم الى مقام المحشر وهو قوله تعالى (والملك على أرجائها) وقوله (يامعشر الجن والانس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والارض فانفذوا لا تنفذون الا بسلطان)

وقد روي عن ابن عباس رضي الله عنه والحسن والضحاك انهم قرأوا يوم التناد بتشديد الدال من ند البعير اذا تردى وذهب وقيل لان الميزان عنده ملك اذا وزن عمل العبد فرجح نادى بأعلى صوته ألا قد سعد فلان بن فلان سعادة لا يشقى بعدها أبداً ، وإن خف عمله نادى ألا قد شقي فلان ابن فلان وقال قتادة ينادى كل قوم باعمالهم ينادى أهل الجنة أهل الجنة وأهل النار أهل النار، وقيل سمي بذلك لمناداة أهل الجنة أهل النار (أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا قالوا نعم) ومناداة أهل النار أهل الجنة (أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله قالوا ان الله

نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم ﴾ أي مثل عادتهم في الاقامة على التكذيب حتى أتاهم العذاب ﴿ وما الله يريد ظلما للعباد ﴾ أي لا يهلكهم قبل ايجاب الحجة عليهم ﴿ وياقوم إني أخاف عليكم يوم التناد ﴾ يوم القيامة يدعى كل أناس بامامهم وينادي بعضهم بعضا فينادي أصحاب الجنة أصحاب النار وأصحاب النار أصحاب الجنة وينادي أصحاب الاعراف وينادى بالسعادة والشقاوة ألا ان فلان ابن فلان قد سعد سعادة لا يشقى بعدها أبدا ، وفلان ابن فلان قد شقي شقاوة لا يسعد بعدها أبدا وينادى حين يذبح الموت يا أهل الجنة خلود فلا موت ويا أهل النار خلود فلا موت، وقرأ ابن عباس والضحاك يوم التناد بتشديد الدال أي يوم التنافر وذلك انهم هربوا فندوا في الارض كما تند الابل اذا شردت عن أربابها وقال الضحاك وكذلك اذا سمعوا زفير النار ندوا هربا فلا يأتون قطرا من الاقطار الا وجدوا الملائكة صفوفا فيرجعون الى المكان الذي كانوا فيه فذلك قوله تعالى (والملك على أرجائها) وقوله (يا معشر الجن والانس ان استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والارض فانفذوا)

حرمهما على الكافرين ، ولمناداة أصحاب الاعراف أهل الجنة واهل النار كما هو مذكور في سورة الاعراف واختار البغوي وغيره انه سمي بذلك لمجموع ذلك وهو قول حسن جيد والله أعلم

وقوله تعالى (يوم تولون مدبرين) أي ذاهبين هاربين (كلا لا وزر الى ربك يومئذ المستقر) ولهذا قال عز وجل (مالكم من الله من عاصم) أي مالكم من مانع يمنعكم من بأس الله وعذابه ومن يضلل الله فما له من هاد أي من أضله الله فلا هادي له غيره

وقوله تبارك وتعالى [ولقد جاء كم يوسف من قبل بالبينات] يعني أهل مصر قد بعث الله فيهم رسولا من قبل موسى عليه الصلاة والسلام وهو يوسف عليه الصلاة والسلام كان عزيز أهل مصر وكان رسولا يدعو إلى الله تعالى أمته بالقسط فما أطاعوه تلك الطاعة الا بمجرد الوزارة والجاه الدنيوي ولهذا قال تعالى [فما زلتم في شك مما جاء كم به حتى اذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا] أى يئستم فقلتم طامعين [لن يبعث الله من بعده رسولا] وذلك لكفرهم وتكذيبهم [كذلك يضل الله من هو مسرف مرتاب] أى كحالكم هذا يكون حال من يضله الله لاسرافه في أفعاله وارتياب قلبه ثم قال عز وجل [الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم] أى الذين يدفعون الحق بالباطل ويجادلون الحجج بغير دليل وحجة معهم من الله تعالى فان الله عز وجل يمقت على ذلك أشد المقت ولهذا قال تعالى [كبر مقتا عند الله وعند الذين آمنوا] أى والمؤمنون أيضا يبغضون من تكون هذه صفته فان من كانت هذه صفته يطبع الله على قلبه فلا يعرف بعد ذلك معروفا ولا ينكر منكراً ولهذا قال تبارك وتعالى [كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر] أى على اتباع الحق [جبار] روى ابن أبي حاتم عن عكرمة وحكي عن الشعبي أنهما قالا لا يكون الانسان جبارا حتى يقتل نفسين وقال أبو عمران الجوني وقتادة آية الجبابرة القتل بغير حق والله تعالى أعلم

﴿ يوم تولون مدبرين ﴾ منصرفين عن موقف الحساب الى النار وقال مجاهد فارين غير معجزين ﴿ مالكم من الله من عاصم ﴾ يعصمكم من عذابه ﴿ ومن يضلل الله فما له من هاد * ولقد جاء كم يوسف من قبل ﴾ يعني يوسف بن يعقوب من قبل أي من قبل موسى ﴿ بالبينات ﴾ يعني قوله [أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار] ﴿ فما زلتم في شك مما جاء كم به ﴾ قال ابن عباس من عبادة الله وحده لا شريك له ﴿ حتى إذا هلك ﴾ مات ﴿ قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا ﴾ أي أقمتم على كفركم وظننتم ان الله لا يجدد عليكم الحجة ﴿ كذلك يضل الله من هو مسرف ﴾ مشرك ﴿ مرتاب ﴾ شاك ﴿ الذين يجادلون في آيات الله ﴾ قال الزجاج هذا تفسير المسرف المرتاب يعني الذين يجادلون في آيات الله أي في ابطالها بالتكذيب ﴿ بغير سلطان ﴾ حجة ﴿ أتاهم ﴾ من الله ﴿ كبر مقتا ﴾ أي كبر ذلك الجدال مقتا ﴿ عند الله وعند الذين آمنوا كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار ﴾ قرأ أبو عمرو وابن عامر قلب بالتنوين وقرأ الآخرون بالاضافة دليله قراءة عبدالله بن مسعود (على

وقال فرعون ياهامان ابن لي صرحا لعلي أبلغ الاسباب (٣٦) أسباب السموات فأطلع

الى إله موسى وإني لأظنه كاذبا وكذلك زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل وما كيد

فرعون إلا في تباب (٣٧)

يقول تعالى مخبرا عن فرعون وعتوه وتمرده وافترائه في تكذيبه موسى عليه الصلاة والسلام أنه أمر وزيره هامان أن يبني له صرحا وهو القصر العالي المنيف الشاهق وكان اتخاذه من الآجر المضروب من الطين المشوي كما قال تعالى [فأوقد لي ياهامان على الطين فاجعل لي صرحا] ولهذا قال ابراهيم النخعي كانوا يكرهون البناء بالآجر وان يجعلوه في قبورهم رواه ابن أبي حاتم وقوله [لعلي أبلغ الاسباب أسباب السموات) الخ قال سعيد بن جبير وأبو صالح أبواب السموات وقيل طرق السموات (فأطلع الى اله موسى واني لأظنه كاذبا) وهذا من كفره وتمرده أنه كذب موسى عليه الصلاة السلام في ان الله عز وجل أرسله اليه قال الله تعالى (وكذلك زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل) أي بصنعه هذا الذي اراد أن يوهم به الرعية أنه يعمل شيأ يتوصل به الى تكذيب موسى عليه الصلاة والسلام ولهذا قال تعالى (وما كيد فرعون الا في تباب) قال ابن عباس ومجاهد يعني الا في خسار

وقال الذي آمن يقوم اتبعون أهدكم سبيل الرشاد (٣٨) يقوم إنما هذه الحياة الدنيا

متاع وإن الآخرة هي دار القرار (٣٩) من عمل سيئة فلا يجزى إلا مثلها ومن عمل صالحا

من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب (٤٠)

يقول المؤمن لقومه ممن تمرد وطغى وآثر الحياة الدنيا ونسي الجبار الاعلى فقال لهم (ياقوم

كل قلب كل متكبر جبار) ﴿ وقال فرعون ﴾ لوزيره ﴿ ياهامان ابن لي صرحا ﴾ والصرح البناء الظاهر الذى لا يخفى على الناظر وان بعد وأصله من التصريح وهو الاظهار ﴿ لعلي أبلغ الاسباب * أسباب السموات ﴾ يعني طرقها وأبوابها من سماء الى سماء ﴿ فأطلع الى اله موسى ﴾ قراءة العامة برفع العين نسقا على قوله أبلغ الاسباب وقرأ حفص عن عاصم بنصب العين وهي قراءة حميد الاعرج على جواب لعل بالفاء ﴿ وإني لأظنه ﴾ يعنى موسى ﴿ كاذبا ﴾ فيما يقول ان له ربا غيري ﴿ وكذلك زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل ﴾

قرأ أهل الكوفة ويعقوب وصد بضم الصاد نسقا على قوله زين لفرعون قال ابن عباس صده الله عن سبيل الهدى وقرأ الآخرون بالفتح أي صد فرعون الناس عن السبيل ﴿ وما كيد فرعون الا في تباب ﴾ يعني وما كيده في ابطال آيات الله وآيات موسى الا في خسار وهلاك ﴿ وقال الذي آمن

اتبعون أهدكم سبيل الرشاد) لا كما كذب فرعون في قوله (وما أهديكم الاسبيل الرشاد) ثم زهدهم في الدنيا التي قد آثروها على الاخرى وصدتهم عن التصديق برسول الله موسى عليه الصلاة والسلام (فقال ياقوم انما هذه الحياة الدنيا متاع) أي قليلة زائلة فانية عن قريب تذهب وتضمحل (وان الآخرة هي دار القرار) أي الدار التي لازوال لها ولا انتقال منها ولا ظعن عنها إلى غيرها بل اما نعيم واما جحيم ولهذا قال جلت عظمته (من عمل سيئة فلا يجزى إلا مثلها) أي واحدة مثلها (ومن عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب) أي لا يتقدر بجزاء بل يثيبه الله عز وجل ثوابا كثيرا لا انقضاء له ولا نفاد والله تعالى الموفق للصواب

ويقوم مالي أدعوكم إلى النجاة وتدعونني إلى النار (٤١) تدعونني لأكفر بالله وأشرك به ماليس لي به علم وأنا أدعوكم إلى العزيز الغفار (٤٢) لاجرم أنما تدعونني إليه ليس له دعوة في الدنيا ولا في الآخرة وأن مردنا إلى الله وأن المسرفين هم أصحاب النار (٤٣) فستذكرون ماأقول لكم وأفوض أمري إلى الله ان الله بصير بالعباد (٤٤) فوقاه الله سيآت مامكروا وحاق بآل فرعون سوء العذاب (٤٥) النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب (٤٦)

يقول لهم المؤمن مابالي أدعوكم الى النجاة وهي عبادة الله وحده لاشريك له وتصديق رسوله ﷺ الذى بعثه (وتدعونني الى النار ؟ تدعونني لأكفر بالله وأشرك به ما ليس لي به علم) أى على جهل بلا دليل (وأنا ادعوكم الى العزيز الغفار) اي هو في عزته وكبريائه يغفر ذنب من تاب اليه (لا جرم أنما تدعونني اليه) يقول حقا ، قال السدي وابن جرير معنى قوله (لاجرم) حقا وقال الضحاك (لاجرم) لا كذب وقال علي بن ابي طلحة عن ابن عباس (لاجرم) يقول بلى ان الذي تدعونني اليه

ياقوم اتبعون أهدكم سبيل الرشاد ﴾ طريق الهدى ﴿ يا قوم انما هذه الحياة الدنيا متاع ﴾ متعة تنتفعون بها مدة ثم تنقطع ﴿ وان الآخرة هي دار القرار ﴾ التي لا تزول ﴿ من عمل سيئة فلا يجزى الا مثلها ومن عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب ﴾ قال مقاتل لا تبعة عليهم فيما يعطون في الجنة من الخير ﴿ ويا قوم مالي أدعوكم الى النجاة ﴾ يعنى مالكم كما تقول العرب مالي أراك حزينا ؟ اي مالك ؟ يقول اخبروني عنكم كيف هذه الحال ؟ أدعوكم الى النجاة من النار بالايمان بالله ﴿ وتدعونني الى النار ﴾ الى الشرك الذي يوجب النار ثم فسر فقال ﴿ تدعونني لا كفر بالله وأشرك به ما ليس لي به علم وأنا أدعوكم الى العزيز الغفار ﴾ العزيز في انتقامه ممن كفر

من الاصنام والانداد (ليس له دعوة في الدنيا ولا في الآخرة) قال مجاهد الوثن ليس له شيء، وقال قتادة يعني الوثن لا ينفع ولا يضر وقال السدي : لا يجيب داعيه لا في الدنيا ولا في الآخرة ، وهذا كقوله تبارك وتعالى (ومن اضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له الى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون ؟ * واذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين * ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولوسمعوا مااستجابوا لكم)

وقوله (وأن مردنا الى الله) أي في الدار الآخرة فيجازى كل بعمله ولهذا قال (وأن المسرفين هم أصحاب النار) أي خالدين فيها باسرافهم وهو شركهم بالله عز وجل (فستذكرون ما أقول لكم) اي سوف تعلمون صدق ما أمرتكم به ونهيتكم عنه ونصحتكم ووضحت لكم وتتذكرونه وتندمون حيث لا ينفعكم الندم (وأفوض امري الى الله) اي وأتوكل على الله وأستعينه وأقاطعكم وأباعدكم (ان الله بصير بالعباد) اي هو بصير بهم تعالى وتقدس فيهدي من يستحق الهداية ويضل من يستحق الاضلال وله الحجة البالغة والحكمة التامة والقدر النافذ

وقوله تبارك وتعالى (فوقاه الله سيئات ما مكروا) أي في الدنيا والآخرة أما في الدنيا فنجاه الله تعالى مع موسى عليه الصلاة والسلام وأما في الآخرة فبالجنة (وحاق بآل فرعون سوء العذاب) وهو الغرق في اليم ثم النقلة منه الى الجحيم، فان أرواحهم تعرض على النار صباحا ومساء الى قيام الساعة فاذا كان يوم القيامة اجتمعت أرواحهم وأجسادهم في النار ولهذا قال(ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب) أي أشده ألما وأعظمه نكالا وهذه الآية أصل كبير في استدلال أهل السنة على عذاب البرزخ في القبور وهي قوله تعالى(النار يعرضون عليها غدواً وعشياً)

ولكن هنا سؤال وهو أنه لا شك أن هذه الآية مكية وقد استدلوا بها على عذاب القبر في البرزخ وقد قال الامام احمد ثنا هاشم هو ابن القاسم أبو النضر ثنا اسحاق بن سعيد هو ابن عمرو بن

الغفار الذنوب أهل التوحيد ﴿ لاجرم ﴾ حقا ﴿ أن ما تدعونني اليه ﴾ أي الى الوثن ﴿ ليس له دعوة في الدنيا ولا في الآخرة ﴾ قال السدي لا يستجيب لاحد في الدنيا ولا في الآخرة يعني ليست له استجابة دعوة وقيل ليست له دعوة الى عبادته في الدنيا لان الاوثان لا تدعي الربوبية ولا تدعو الى عبادتها وفي الآخرة تتبرأ من عابديها ﴿ وأن مردنا الى الله ﴾ مرجعنا الى الله فيجازي كلا بما يستحقه ﴿ وأن المسرفين ﴾ المشركين ﴿ هم أصحاب النار * فستذكرون ما أقول لكم ﴾ اذا عاينتم العذاب حين لا ينفعكم الذكر ﴿ وأفوض أمري الى الله ﴾ وذلك انهم توعدوه لمخالفته دينهم ﴿ ان الله بصير بالعباد ﴾ يعلم المحق من المبطل ثم خرج المؤمن من بينهم فطلبوه فلم يقدروا عليه

وذلك قوله عز وجل ﴿ فوقاه الله سيئات ما مكروا ﴾ ما أرادوا به من الشر قال قتادة نجا مع موسى وكان قبطيا ﴿ وحاق ﴾ نزل ﴿ بآل فرعون سوء العذاب ﴾ الغرق في الدنيا والنار في الآخرة وذلك

سعيد بن العاص ثنا سعيد يعني أباه عن عائشة رضي الله عنها أن يهودية كانت تخدمها فلا تصنع عائشة رضي الله عنها اليها شيئا من المعروف الا قالت لها اليهودية وقاك الله عذاب القبر قالت عائشة رضي الله عنها فدخل رسول الله ﷺ علي فقلت يارسول الله هل للقبر عذاب قبل يوم القيامة ؟ قال ﷺ «لا من زعم ذلك ؟» قالت هذه اليهودية لا أصنع معها شيئا من المعروف الا قالت وقاك الله عذاب القبر قال ﷺ «كذبت يهودية وهم على الله أكذب لاعذاب دون يوم القيامة» ثم مكث بعد ذلك ما شاء الله أن يمكث فخرج ذات يوم نصف النهار مشتملا بثوبه محمرة عيناه وهو ينادي بأعلى صوته «القبر كقطع الليل المظلم ، أيها الناس لو تعلمون ما أعلم بكيتم كثيراً وضحكتم قليلا أيها الناس استعيذوا بالله من عذاب القبر فان عذاب القبر حق» وهذا اسناد صحيح على شرط البخاري ومسلم ولم يخرجاه

وروى أحمد ومسلم ثنا يزيد ثنا سفيان عن الزهري عن عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت سألتها امرأة يهودية فأعطتها فقالت لها وقاك الله من عذاب القبر فأنكرت عائشة رضي الله عنها ذلك فلما رأت النبي ﷺ قالت له فقال ﷺ «لا» قالت عائشة رضي الله عنها ثم قال لنا رسول الله ﷺ بعد ذلك «وإنه أوحي الي انكم تفتنون في قبوركم» وهذا أيضا على شرطهما

فيقال فما الجمع بين هذا وبين كون الآية مكية وفيها الدلالة على عذاب البرزخ ؟ والجواب ان الآية دلت على عرض الارواح على النار غدواً وعشيا في البرزخ وليس فيها دلالة على اتصال تألمها بأجسادها في القبور اذ قد يكون ذلك مختصا بالروح فأما حصول ذلك للجسد في البرزخ وتألمه بسببه فلم يدل عليه الا السنة في الاحاديث المرضية الآتي ذكرها

وقد يقال ان هذه الآية انما دلت على عذاب الكفار في البرزخ ولا يلزم من ذلك أن يعذب المؤمن في قبره بذنب ، ومما يدل على ذلك ما رواه الامام احمد ثنا عثمان بن عمر ثنا يونس عن الزهري عن عروة عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ دخل عليها وعندها امرأة من اليهود وهي تقول أشعرت انكم تفتنون في قبوركم ؟ فارتاع رسول الله ﷺ وقال انما يفتن يهود قالت عائشة رضي الله عنها فلبثنا ليالي ثم قال رسول الله ﷺ «أشعرت انه أوحي الي انكم تفتنون في القبور؟» وقالت عائشة رضي الله عنها فكان رسول الله ﷺ بعد يستعيذ من عذاب القبر وهكذا رواه مسلم عن هارون بن سعيد وحرملة كلاهما عن ابن وهب عن يونس بن يزيد الايلي عن الزهري به

وقد يقال ان هذه الآية دلت على عذاب الارواح في البرزخ ولا يلزم من ذلك أن يتصل في الاجساد في قبورها فلما أوحي الى النبي ﷺ في ذلك بخصوصه استعاذ منه والله سبحانه وتعالى أعلم

وقد روى البخاري من حديث شعبة عن أشعث عن ابن أبي الشعثاء عن أبيه عن مسروق عن عائشة رضي الله عنها أن يهودية دخلت عليها فقالت نعوذ بالله من عذاب القبر فسألت عائشة رضي

قوله ﴿النار﴾ وهي رفع على البدل من السوء ﴿يعرضون عليها غدواً وعشيا﴾ صباحا ومساء قال

الله عنها رسول الله ﷺ عن عذاب القبر فقال ﷺ « نعم عذاب القبر حق » قالت عائشة رضي الله عنها : فما رأيت رسول الله ﷺ بعد صلى صلاة إلا تعوذ من عذاب القبر . فهذا يدل على انه بادر ﷺ إلى تصديق اليهودية في هذا الخبر وقرر عليه ، وفي الاخبار المتقدمة أنه أنكر ذلك حتى جاءه الوحي فلعلهما قضيتان والله سبحانه أعلم وأحاديث عذاب القبر كثيرة جداً

وقال قتادة في قوله تعالى (غدواً وعشيا) صباحا ومساء ما بقيت الدنيا يقال لهم يا آل فرعون هذه منازلكم توبيخاً ونقمة وصغاراً لهم، وقال ابن زيد هم فيها اليوم يغدى بهم ويراح الى أن تقوم الساعة وقال ابن أبي حاتم ثنا أبو سعيد ثنا المحاربي ثنا ليث عن عبد الرحمن بن ثروان عن هذيل عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : ان أرواح الشهداء في أجواف طيور خضر تسرح بهم في الجنة حيث شاؤا ، وان ارواح ولدان المؤمنين في أجواف عصافير تسرح في الجنة حيث شاءت فتأوي الى قناديل معلقة في العرش، وان ارواح آل فرعون في اجواف طيور سود تغدو على جهنم وتروح عليها فذلك عرضها ، وقد رواه الثوري عن ابي قيس عن ابي الهذيل بن شرحبيل من كلامه في ارواح آل فرعون وكذلك قال السدي .

وفي حديث الاسراء من رواية ابي هارون العبدي عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال فيه « ثم انطلق بي الى خلق كثير من خلق الله رجال كل رجل منهم بطنه مثل البيت الضخم مصفدون على سابلة آل فرعون وآل فرعون يعرضون على النار غدواً وعشيا (ويوم تقوم الساعة ادخلوا آل فرعون اشد العذاب) وآل فرعون كالابل المسومة يخبطون الحجارة والشجر ولا يعقلون » وقال ابن ابي حاتم ثنا علي بن الحسين ثنا زيد بن اخرم ثنا عامر بن مدرك الحارثي ثنا عتبة - يعني بن يقظان - عن قيس بن مسلم عن طارق عن شهاب عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي

ابن مسعود أرواح آل فرعون في أجواف طيور سود يعرضون على النار كل يوم مرتين تغدو وتروح الى النار ويقال يا آل فرعون هذه مأواكم حتى تقوم الساعة وقال قتادة ومقاتل والسدي والكلبي تعرض روح كل كافر على النار بكرة وعشيا مادامت الدنيا

أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن أحمد أنا أبو اسحاق الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن نافع عن عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال «إن أحدكم اذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة ، وان كان من أهل النار فمن أهل النار فيقال له هذا مقعدك حتى يبعثك الله اليه يوم القيامة

ثم أخبر الله عن مستقرهم يوم القيامة فقال ﴿ويوم تقوم الساعة أدخلوا﴾ قرأ ابن كثير وابن عامر وأبو عمرو وأبو بكر الساعة ادخلوا بحذف الالف والوصل وبضمها في الابتداء وضم الخاء من الدخول أي يقال لهم ادخلوا يا ﴿آل فرعون أشد العذاب﴾ وقرأ الآخرون أدخلوا بقطع الالف وكسر

(ص) قال «ما أحسن محسن من مسلم او كافر الا اثابه الله تعالى» قال قلنا ما اثابة الله الكافر؟ فقال «ان كان قد وصل رحماً أو تصدق بصدقة أو عمل حسنة أثابه الله تبارك وتعالى المال والولد والصحة وأشباه ذلك» قلنا فما إثابته في الآخرة؟ قال ﷺ «عذاباً دون العذاب» وقرأ [ادخلوا آل فرعون أشد العذاب] ورواه البزار في مسنده عن زيد بن أخزم ثم قال: لا نعلم له اسناداً غير هذا

وقال ابن جرير ثنا عبد الكريم بن أبي عمير ثنا حماد بن محمد الفزاري البلخي قال سمعت الاوزاعي وسأله رجل فقال رحمك الله رأينا طيوراً تخرج من البحر تأخذ ناحية الغرب بيضاء فوجاً فوجاً لا يعلم عددها إلا الله عز وجل فاذا كان العشي رجع مثلها سوداء قال وفطنتم الى ذلك؟ قال نعم، قال ان ذلك الطير في حواصلها أرواح آل فرعون يعرضون على النار غدواً وعشياً فترجع الى وكورها وقد احترقت أرياشها وصارت سوداً فينبت عليها من الليل ريش أبيض ويتناثر الأسود ثم تغدو على النار غدواً وعشياً ثم ترجع الى وكورها فذلك دأبهم في الدنيا فاذا كان يوم القيامة قال الله تعالى (أدخلوا آل فرعون أشد العذاب) قال وكانوا يقولون أنهم ستمائة ألف مقاتل

وقال الامام أحمد ثنا اسحاق ثنا مالك عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ «ان أحدكم اذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي ان كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وان كان من أهل النار فمن أهل النار فيقال هذا مقعدك حتى يبعثك الله عز وجل اليه يوم القيامة» أخرجاه في الصحيحين من حديث مالك به

وإذ يتحاجُّون في النار فيقول الضعفـٰؤ للذين استكبروا إنا كنا لكم تبعاً فهل أنتم مغنون عنا نصيباً من النار؟ (٤٧) قال الذين استكبروا إنا كل فيها إن الله قد حكم بين العباد (٤٨) وقال الذين في النار لخزنة جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يوماً من العذاب (٤٩) قالوا أولم تك تأتيكم رسلكم بالبينـٰت؟ قالوا بلى، قالوا فادعوا وما دعـٰؤ الكـٰفرين إلا في ضلـٰل (٥٠)

يخبر تعالى عن تحاج أهل النار في النار وتخاصمهم وفرعون وقومه من جملتهم فيقول الضعفاء وهم الأتباع للذين استكبروا وهم القادة والسادة والكبراء (إنا كنا لكم تبعا) أي أطعناكم فيما دعوتمونا اليه في الدنيا من الكفر والضلال (فهل أنتم مغنون عنا نصيبا من النار) أي قسطا تتحملونه

الخاء من الادخال أي يقال للملائكة (أدخلوا آل فرعون أشد العذاب) قال ابن عباس يريد ألوان العذاب غير الذي كانوا يعذبون به منذ غرقوا ﴿وإذ يتحاجون في النار﴾ أي اذكر يا محمد لقومك اذ يختصمون يعني أهل النار في النار ﴿فيقول الضعفاء للذين استكبروا إنا كنا لكم تبعا﴾ في الدنيا ﴿فهل أنتم مغنون عنا نصيبا من النار﴾ والتبع يكون واحداً وجمعا في قول أهل البصرة واحده تابع

عنا (قال الذين استكبروا انا كل فيها) أي لا نتحمل عنكم شيئا كفى بنا ماعندنا وما حملنا من العذاب والنكال (ان الله قد حكم بين العباد) أي قسم بيننا العذاب بقدر مايستحقه كل منا كما قال تعالى (قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون — وقال الذين في النار لخزنة جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب) لما علموا أن الله عز وجل لا يستجيب منهم ولا يستمع لدعائهم بل قد قال (اخسؤا فيها ولا تكلمون) سألوا الخزنة وهم كالسجانين لأهل النار أن يدعوا لهم الله تعالى في أن يخفف عن الكافرين ولو يوما واحداً من العذاب فقالت لهم الخزنة رادين عليهم (أولم تك تأتيكم رسلكم بالبينات ؟) أي أو ماقامت عليكم الحجج في الدنيا على ألسنة الرسل ؟ (قالوا بلى قالوا فادعوا) أي أنتم لأنفسكم فنحن لا ندعوا لكم ولا نسمع منكم ولا نود خلاصكم ونحن منكم برآء ثم نخبركم أنه سواء دعوتم أو لم تدعوا لا يستجاب لكم ولا يخفف عنكم ولهذا قالوا (وما دعاء الكافرين إلا في ضلال) أي الا في ذهاب لا يقبل ولا يستجاب

انا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحيوة الدنيا ويوم يقوم الأشهد (٥١) يوم لا ينفع الظلمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار (٥٢) ولقد آتينا موسى الهدى وأورثنا بني اسراءيل الكتب (٥٣) هدى وذكرى لأولي الالبب (٥٤) فاصبر إن وعد الله حق واستغفر لذنبك وسبح بحمد ربك بالعشي والابكر (٥٥) ان الذين يجدلون في آيت الله بغير سلطن أتيهم ان في صدورهم الا كبر ماهم ببلغيه فاستعذ بالله انه هو السميع البصير (٥٦)

قد أورد أبو جعفر ابن جرير رحمه الله تعالى عند قوله تعالى (انا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا) سؤالا فقال قد علم أن بعض الانبياء عليهم الصلاة والسلام قتله قومه بالكلية كيحيى وزكريا وشعيا ومنهم من خرج من بين أظهرهم اما مهاجراً كابراهيم ، وإما الى السماء كعيسى فأين النصرة في الدنيا ثم أجاب عن ذلك بجوابين (أحدهما) أن يكون الخبر خرج عاما والمراد به البعض قال وهذا سائغ في اللغة

وقال أهل الكوفة هو جمع لا واحد له وجمعه أتباع ﴿ قال الذين استكبروا إنا كل فيها إن الله قد حكم بين العباد * وقال الذين في النار ﴾ حين اشتد عليهم العذاب ﴿ لخزنة جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب * قالوا ﴾ يعني خزنة جهنم لهم ﴿ أولم تك تأتيكم رسلكم بالبينات ؟ قالوا بلى قالوا فادعوا ﴾ أنتم إذاً ربكم أي إنا لا ندعو لكم لأنهم علموا أنه لا يخفف عنهم العذاب قال الله تعالى ﴿ وما دعاء الكافرين إلا في ضلال ﴾ أي يبطل ويضل ولا ينفعهم

قوله عز وجل ﴿ إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ﴾ قال ابن عباس بالغلبة والقهر

(الثاني) أن يكون المراد بالنصر الانتصار لهم ممن أذاهم وسواء كان ذلك بحضرتهم أو في غيبتهم أو بعد موتهم كما فعل بقتلة يحيى وزكريا وشعيا سلط عليهم من أعدائهم من أهانهم وسفك دماءهم وقد ذكر ان النمروذ أخذه الله تعالى أخذ عزيز مقتدر ، وأما الذين راموا صلب المسيح عليه السلام من اليهود فسلط الله تعالى عليهم الروم فأهانوهم وأذلوهم وأظهرهم الله تعالى عليهم ثم قبل يوم القيامة سينزل عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام إماما عادلا وحكما مقسطا فيقتل المسيح الدجال وجنوده من اليهود ويقتل الخنزير ويكسر الصليب ، ويضع الجزية فلا يقبل الا الاسلام وهذه نصرة عظيمة وهذه سنة الله تعالى في خلقه في قديم الدهر وحديثه أنه ينصر عباده المؤمنين في الدنيا ويقر أعينهم ممن آذاهم . ففي صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال « يقول الله تبارك وتعالى من عادا لي وليا فقد بارزني بالحرب »

وفي الحديث الآخر « اني لأثأر لأوليائي كما يثأر الليث الحرب » ولهذا أهلك الله عز وجل قوم نوح وعاد وثمود وأصحاب الرس وقوم لوط وأهل مدين وأشباههم وأضرابهم ممن كذب الرسل وخالف الحق،وأنجى الله تعالى من بينهم المؤمنين فلم يهلك منهم أحداً وعذب الكافرين فلم يفلت منهم أحداً ، قال السدي لم يبعث الله عز وجل رسولا قط الى قوم فيقتلونه أو قوما من المؤمنين يدعون إلى الحق فيقتلون فيذهب ذلك القرن حتى يبعث الله تبارك وتعالى لهم من ينصرهم فيطلب بدمائهم ممن فعل ذلك بهم في الدنيا قال فكانت الانبياء والمؤمنون يقتلون في الدنيا وهم منصورون فيها، وهكذا نصر الله نبيه محمداً ﷺ وأصحابه على من خالفه وناوأه وكذبه وعاداه فجعل كلمته هي العليا ودينه هو الظاهر على سائر الاديان، وأمره بالهجرة من بين ظهراني قومه الى المدينة النبوية وجعل له فيها أنصاراً وأعوانا ، ثم منحه أكتاف المشركين يوم بدر فنصره عليهم وخذلهم وقتل صناديدهم ، وأسر سراتهم فاستاقهم مقرنين في الاصفاد ، ثم من عليهم بأخذه الفداء منهم ثم بعد مدة قريبة فتح عليه مكة فقرت عينه ببلده وهو البلد المحرم الحرام المشرف المعظم فأنقذه الله تعالى به مما كان فيه من الكفر والشرك وفتح له اليمن ودانت له جزيرة العرب بكمالها ودخل الناس في دين الله أفواجا ، ثم قبضه الله تعالى اليه لما له عنده من الكرامة العظيمة فأقام الله تبارك وتعالى أصحابه خلفاء بعده فبلغوا عنه دين الله عز وجل ودعوا عباد الله تعالى الى الله جل وعلا ، وفتحوا البلاد والرساتيق والاقاليم والمدائن والقرى والقلوب حتى انتشرت الدعوة المحمدية في مشارق الارض ومغاربها ، ثم لا يزال هذا الدين قائما منصوراً ظاهراً إلى قيام الساعة ولهذا قال تعالى (انا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا

وقال الضحاك بالحجة وفي الآخرة بالعذاب وقيل بالانتقام من الأعداء في الدنيا والآخرة وكل ذلك قد كان للانبياء والمؤمنين فهم منصورون بالحجة على من خالفهم وقد نصرهم الله بالقهر على من ناوأهم واهلاك أعدائهم ونصرهم بعد أن قتلوا بالانتقام من اعدائهم كما نصر يحيى بن زكريا لما قتل ، قتل

ويوم يقوم الاشهاد) أي يوم القيامة تكون النصرة أعظم وأكبر وأجل ، قال مجاهد الأشهاد الملائكة وقوله تعالى (يوم لاينفع الظالمين معذرتهم) بدل من قوله (ويوم يقوم الاشهاد) وقرأ آخرون يومُ بالرفع كانه فسره به (يوم يقوم الاشهاد يوم لاينفع الظالمين) وهم المشركون (معذرتهم) أي لايقبل منهم عذر ولا فدية (ولهم اللعنة) أي الابعاد والطرد من الرحمة (ولهم سوء الدار) وهي النار قاله السدي بئس المنزل والمقيل، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما (ولهم سوء الدار) أي سوء العاقبة وقوله تعالى (ولقد آتينا موسى الهدى) وهو مابعثه الله عز وجل به من الهدى والنور (وأورثنا بني اسرائيل الكتاب) أي جعلنا لهم العاقبة وأورثناهم بلاد فرعون وأمواله وحواصله وأرضه بما صبروا على طاعة الله تبارك وتعالى واتباع رسوله موسى عليه الصلاة والسلام وفي الكتاب الذي أورثوه وهو التوراة (هدى وذكرى لأولي الالباب) وهي العقول الصحيحة السليمة

وقوله عز وجل (فاصبر) أي يامحمد (ان وعد الله حق) أي وعدناك انا سنعلي كلمتك ونجعل العاقبة لك ولمن اتبعك (والله لايخلف الميعاد) وهذا الذي أخبرناك به حق لامرية فيه ولاشك وقوله تبارك وتعالى (واستغفر لذنبك) هذا تهييج للامة على الاستغفار (وسبح بحمد ربك بالعشي) أي في أواخر النهار وأوائل الليل (والابكار) وهي أوائل النهار وأواخر الليل

وقوله تعالى (ان الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم) أي يدفعون الحق بالباطل ويردون الحجج الصحيحة بالشبه الفاسدة بلا برهان ولا حجة من الله (ان في صدورهم الا كبر ماهم ببالغيه) أي مافي صدورهم الا كبر على اتباع الحق واحتقار لمن جاءهم به وليس مايرومونه من اخماد

به سبعون ألفا فهم منصورون بأحد هذه الوجوه ﴿ ويوم يقوم الاشهاد ﴾ يعني يوم القيامة يقوم الحفظة من الملائكة يشهدون للرسل بالتبليغ وعلى الكفار بالتكذيب ﴿ يوم لاينفع الظالمين معذرتهم ﴾ ان اعتذروا عن كفرهم لم يقبل منهم وان تابوا لم ينفعهم ﴿ ولهم اللعنة ﴾ البعد من الرحمة ﴿ ولهم سوء الدار ﴾ يعني جهنم ﴿ ولقد آتينا موسى الهدى ﴾ قال مقاتل الهدى من الضلالة يعني التوراة ﴿ وأورثنا بني اسرائيل الكتاب ﴾ التوراة ﴿ هدى وذكرى لأولي الالباب * فاصبر ﴾ يامحمد على أذاهم ﴿ إن وعد الله ﴾ في اظهار دينك واهلاك أعدائك ﴿ حق ﴾ قال الكلبي نسخت آية القتال آية الصبر ﴿ واستغفر لذنبك ﴾ هذا تعبد من الله ليزيده به درجة وليصير سنة لمن بعده ﴿ وسبح بحمد ربك ﴾ صل شاكراً لربك ﴿ بالعشي والابكار ﴾ قال الحسن يعني صلاة العصر وصلاة الفجر وقال ابن عباس الصلوات الخمس ﴿ إن الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم إن في صدورهم ﴾ مافي قلوبهم والصدر موضع القلب فكنى به عن القلب لقرب الجوار ﴿ إلا كبر ﴾ قال ابن عباس مايحملهم على تكذيبك إلا مافي صدورهم من الكبر والعظمة ﴿ ماهم ببالغيه ﴾ قال مجاهد ماهم ببالغي مقتضى ذلك الكبر لان الله عز وجل مذلهم قال ابن قتيبة ان في صدورهم إلا تكبر على محمد ﷺ وطمع في أن

الحق واعلاء الباطل بحاصل لهم بل الحق هو المرفوع وقولهم وقصدهم هو الموضوع (فاستعذ بالله) أي من حال مثل هؤلاء (انه هو السميع البصير) أو من شر مثل هؤلاء المجادلين في آيات الله بغير سلطان هذا تفسير ابن جرير وقال كعب وأبو العالية نزلت هذه الآية في اليهود (ان الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم ان في صدورهم الا كبر ماهم ببالغيه) قال أبو العالية وذلك انهم ادعوا ان الدجال منهم وانهم يملكون به الارض فقال الله تعالى لنبيه ﷺ آمراً له ان يستعيذ من فتنة الدجال ولهذا قال عز وجل (فاستعذ بالله انه هو السميع البصير) وهذا قول غريب وفيه تعسف بعيد وان كان قد رواه ابن أبي حاتم في كتابه والله سبحانه وتعالى أعلم

لَخلق السموٰات والارض أكبر من خلق الناس ولكنّ أكثر الناس لا يعلمون (٥٧)

وما يستوي الأعمى والبصير والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسيء قليلا ما تتذكرون (٥٨)

ان الساعة لآتية لاريب فيها ولكنّ أكثر الناس لا يؤمنون (٥٩)

يقول تعالى منبها على أنه يعيد الخلائق يوم القيامة وان ذلك سهل عليه يسير لديه بانه خلق السموات والارض وخلقهما أكبر من خلق الناس بدأة واعادة فمن قدر على ذلك فهو قادر على مادونه بطريق الاولى والاحرى كما قال تعالى (أولم يروا ان الله الذى خلق السموات والارض ولم يعي بخلقهن بقادر على أن يحيي الموتى بلى انه على كل شيء قدير) وقال ههنا (لخلق السموات والارض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لايعلمون) فلهذا لايتدبرون هذه الحجة ولا يتأملونها كما كان كثير من العرب

يعلمون وماهم ببالغي ذلك قال أهل التفسير نزلت في اليهود وذلك أنهم قالوا للنبي ﷺ إن صاحبنا المسيح بن داود يعنون الدجال يخرج في آخر الزمان فيبلغ سلطانه البر والبحر ويرد الملك الينا

قال الله تعالى ﴿ فاستعذ بالله ﴾ من فتنة الدجال ﴿ إنه هو السميع البصير * لخلق السموات والارض ﴾ مع عظمهما ﴿ أكبر ﴾ أعظم في الصدور ﴿ من خلق الناس ﴾ أي من إعادتهم بعد الموت ﴿ ولكن أكثر الناس ﴾ يعني الكفار ﴿ لايعلمون ﴾ حيث لا يستدلون بذلك على توحيد خالقها وقال قوم أكبر أي أعظم من خلق الدجال (ولكن أكثر الناس لايعلمون) يعني اليهود الذين يخاصمون في أمر الدجال، وروي عن هشام بن عامر قال سمعت رسول الله ﷺ يقول «ما بين خلق آدم الى قيام الساعة خلق أكبر فتنة من الدجال»

أخبرنا أبو سعيد عبد الله بن أحمد الطاهري أنا جدي عبد الصمد بن عبد الرحمن البزار أنا محمد ابن زكريا العذافري أنا اسحاق بن ابراهيم الدبري ثنا عبد الرزاق ثنا معمر عن قتادة عن شهر بن

حوشب عن أسماء بنت يزيد الانصارية قالت كان رسول الله ﷺ في بيتي فذكر الدجال فقال «إن بين يديه ثلاث سنين تمسك السماء فيها في أول سنة ثلث قطرها والارض ثلث نباتها [والثانية] تمسك السماء ثلثي قطرها والارض ثلثي نباتها [والثالثة] تمسك السماء قطرها كله والارض نباتها كله فلايبقى ذات ظلف ولا ذات ضرس من البهائم إلا هلك وان من أشد فتنته أنه يأتي الاعرابي فيقول أرأيت أن احييت لك ابلك ألست تعلم أني ربك؟ فيقول بلى فيتمثل له الشيطان نحو ابله كأحسن مايكون ضروعا وأعظمه أسنمة، قال ويأتي الرجل قد مات أخوه ومات أبوه فيقول أرأيت إن أحييت لك أباك وأخاك ألست تعلم أني ربك؟ فيقول بلى فيتمثل له الشيطان نحو أبيه ونحو أخيه» قالت ثم خرج رسول الله ﷺ لحاجته ثم رجع والقوم في اهتمام وغم مما حدثهم قالت فأخذ بلحمتي الباب فقال «مهيم أسماء» فقلت يارسول الله لقد خلعت أفئدتنا بذكر الدجال قال «إن يخرج وأنا حي فأنا حجيجه وإلا فان ربي خليفتي على كل مؤمن» قالت أسماء فقلت يارسول الله والله إنا لنعجن عجينا فما نخبزه حتى نجوع فكيف بالمؤمنين يومئذ؟ قال يجزئهم مايجزيء أهل السماء من التسبيح والتقديس

وبهذا الاسناد أخبرنا معمر عن أبي خثيم عن شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد قالت: قال رسول الله ﷺ «يمكث الدجال في الارض أربعين سنة السنة كالشهر، والشهر كالجمعة، والجمعة كاليوم واليوم كاضطرام السعفة في النار»

أخبرنا أبو سعيد الطاهري أنا جدي عبدالصمد بن عبدالرحمن البزار أنا محمد بن زكريا العذافري أنا اسحاق الدبرى ثنا عبد الرزاق أنا معمر عن الزهرى عن سالم عن ابن عمر قال قام رسول الله ﷺ في الناس فاثنى على الله بما هو أهله ثم ذكر الدجال فقال «إني لأنذركموه ومامن نبي إلا أنذر قومه لقد انذر نوح قومه ولكنني سأقول لكم فيه قولا لم يقله نبي لقومه تعلمون أنه أعور وإن الله ليس بأعور»

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا احمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل ثنا جويرية عن نافع عن عبد الله قال ذكر الدجال عند النبي ﷺ فقال «إن الله لايخفى عليكم ان الله ليس بأعور - وأشار بيده الى عينيه - وإن المسيح الدجال أعور العين اليمنى كأن عينه عنبة طافية»

أخبرنا اسماعيل بن عبد القاهر الجرجاني أنا عبدالغافر بن محمد الفارسي أنا محمد بن عيسى الجلودي ثنا ابراهيم بن محمد بن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج ثنا علي بن حجر ثنا شعيب بن صفوان عن عبدالملك ابن عمير عن ربعي بن خراش عن عقبة بن عمرو وأبي مسعود الانصاري قال انطلقت معه الى حذيفة ابن اليمان فقال له عقبة حدثني ماسمعت من رسول الله ﷺ في الدجال قال: ان الدجال يخرج وان معه ماء ونارا فأما الذى يراه الناس ماء فنار تحرق، وأما الذى يراه الناس نارا فماء بارد عذب فمن أدرك ذلك منكم فليقع في الذى يراه نارا فانه ماء عذب طيب. فقال عقبة وأناقدسمعته تصديقا لحذيفة

بما هو أولى مما أنكروا ثم قال تعالى (ومايستوي الاعمى والبصير والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسيء قليلا ما تتذكرون) أي كما لا يستوي الاعمى الذي لا يبصر شيئا والبصير الذي يرى ما انتهى اليه بصره ، بل بينهما فرق عظيم كذلك لا يستوي المؤمنون الابرار والكفرة الفجار (قليلاماتتذكرون) أي ما أقل ما يتذكر كثير من الناس ثم قال تعالى (إن الساعة لآتية) أي لكائنة وواقعة (لاريب فيها ولكن اكثر الناس لايؤمنون) أي لا يصدقون بها بل يكذبون بوجودها . قال ابن أبي حاتم ثنا محمد بن عبدالله بن عبد الحكم ثنا أشهب حدثنا مالك عن شيخ قديم من أهل اليمن قدم من ثم قال سمعت أن الساعة اذا دنت اشتد البلاء على الناس واشتد حر الشمس والله أعلم .

وقال ربكم ادعوني أستجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين (٦٠)

هذا من فضله تبارك وتعالى وكرمه أنه ندب عباده الى دعائه وتكفل لهم بالاجابة كما كان سفيان الثوري يقول يامن أحب عباده اليه من سأله فاكثر سؤاله، ويامن أبغض عباده اليه من لم يسأله وليس

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا احمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل حدثني ابراهيم بن المنذر ثنا أبو الوليد حدثنا أبو عمرو ثنا اسحاق حدثني أنس بن مالك عن النبي ﷺ قال « ليس من بلد إلا سيطأه الدجال إلا مكة والمدينة ليس من نقابها نقب الا عليه الملائكة صافين يحرسونها ثم ترجف المدينة بأهلها ثلاث رجفات فيخرج اليه كل كافر ومنافق »

أخبرنا أبو عبد الله محمد بن الفضل الخرقي أنا أبو الحسن علي بن عبد الله الطيسفوني أنا عبدالله ابن عمر الجوهرى ثنا احمد بن علي الكشميهني ثنا علي بن حجر ثنا اسماعيل بن جعفر عن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال « يأتي المسيح من قبل المشرق وهمته المدينة حتى ينزل دبر أحد ثم تصرف الملائكة وجهه قبل الشام وهناك يهلك »

أخبرنا أبو سعيد الطاهري أنا جدى عبدالصمد البزار أنا محمد بن زكريا العذافرى أنا اسحاق الدبرى ثنا عبد الرزاق أنا معمر عن هارون العبدى عن أبي سعيد الخدرى قال : قال رسول الله ﷺ « يتبع الدجال من أمتي سبعون ألفا عليهم التيجان » ويرويه أبو أمامة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال « مع الدجال يومئذ سبعون ألف يهودي كلهم ذو تاج وسيف محلى »

قوله تعالى ﴿ومايستوي الاعمى والبصير والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسيء قليلا ماتتذكرون﴾ قرأ أهل الكوفة تتذكرون بالتاء، وقرأ الآخرون بالياء لان أول الآيات وآخرها خبر عن قوم ﴿ان الساعة ﴾ أى القيامة ﴿ لآتية لاريب فيها ولكن اكثر الناس لايؤمنون﴾ ﴿وقال ربكم ادعوني أستجب

أحد كذلك غيرك يارب . رواه ابن أبي حاتم وفي هذا المعنى يقول الشاعر :

الله يغضب ان تركت سؤاله   وبني آدم حين يسئل يغضب

وقال قتادة: قال كعب الاحبار أعطيت هذه الامة ثلاثاً لم تعطهن أمة قبلها الا نبي : كان اذا أرسل الله نبياً قال له أنت شاهد على أمتك وجعلكم شهداء على الناس ، وكان يقال له ليس عليك في الدين من حرج وقال لهذه الامة (وما جعل عليكم في الدين من حرج) وكان يقال له ادعني استجب لك وقال لهذه الامة (ادعوني استجب لكم) رواه ابن أبي حاتم

وقال الامام الحافظ أبو يعلى أحمد بن علي بن المثنى الموصلي في مسنده حدثنا أبو ابراهيم الترجماني حدثنا صالح المدني قال سمعت الحسن يحدث عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ فيما يروي عن ربه عز وجل قال « أربع خصال واحدة منهن لي وواحدة لك وواحدة فيما بيني وبينك وواحدة فيما بينك وبين عبادي ، فأما التي لي فتعبدني لا تشرك بي شيئاً وأما التي لك علي فما عملت من خير جزيتك به وأما التي بيني وبينك فمنك الدعاء وعلي الاجابة وأما التي بينك وبين عبادي فارض لهم ما ترضى لنفسك »

وقال الامام احمد حدثنا أبو معاوية حدثنا الاعمش عن ذر عن يسيع الكندي عن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « إن الدعاء هو العبادة » ثم قرأ (ادعوني أستجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين) وهكذا رواه أصحاب السنن الترمذي والنسائي وابن ماجه وابن أبي حاتم وابن جرير كلهم من حديث الاعمش به وقال الترمذي حسن صحيح ورواه أبو داود والترمذي والنسائي وابن جرير أيضا من حديث شعبة عن منصور والاعمش كلاهما عن ذر به ، وكذا رواه ابن يونس عن أسيد بن عاصم بن مهران حدثنا النعمان بن عبد السلام ثنا سفيان الثوري عن منصور عن ذر به ، ورواه ابن حبان والحاكم في صحيحهما وقال الحاكم صحيح الاسناد

وقال الامام احمد حدثنا وكيع حدثني أبو صالح المدني شيخ من أهل المدينة سمعه عن أبي صالح وقال مرة سمعت أبا صالح يحدث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « من لم يدع الله عز وجل غضب عليه » تفرد به أحمد وهذا إسناد لا بأس به

وقال الامام احمد أيضا حدثنا مروان الفزاري حدثنا صبيح أبو المليح سمعت أبا صالح يحدث

لكم ﴾ أى اعبدوني دون غيرى أجبكم وأثبكم وأغفر لكم فلما عبر عن العبادة بالدعاء جعل الانابة استجابة اخبرنا عبد الواحد المليحي انا أبو منصور محمد بن محمد بن سمعان ثنا أبو جعفر محمد بن احمد ابن عبد الجبار الرياني ثنا حميد بن زنجويه ثنا محمد بن يوسف ثنا سفيان عن منصور عن أبي ذر عن يسيع الكندى عن النعمان بن بشير قال سمعت رسول الله ﷺ يقول على المنبر « ان الدعاء هو العبادة ثم قرأ (ادعوني أستجب لكم) ﴿ ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين ﴾

عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ « من لا يسأله يغضب عليه » قال ابن معين أبو المليح هذا اسمه صبيح كذا قيده بالضم عبد الغني بن سعيد وأما أبو صالح هذا فهو الخوزي سكن شعب الخوز قاله البزار في مسنده وكذا وقع في روايته أبو المليح الفارسي عن أبي صالح الخوزي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « من لم يسأل الله يغضب عليه »

وقال الحافظ أبو محمد الحسن بن عبد الرحمن الرامهرمزي حدثنا همام حدثنا ابراهيم بن الحسن حدثنا نائل بن نجيح حدثني عائذ بن حبيب عن محمد بن سعيد قال لما مات محمد بن مسلمة الانصاري وجدنا في ذؤابة سيفه كتابا بسم الله الرحمن الرحيم سمعت رسول الله ﷺ يقول « ان لربكم في بقية أيام دهركم نفحات فتعرضوا له لعل دعوة أن توافق رحمة فيسعد بها صاحبها سعادة لا يخسر بعدها أبداً » وقوله عز وجل (ان الذين يستكبرون عن عبادتي) أي عن دعائي وتوحيدي سيدخلون جهنم داخرين أي صاغرين حقيرين كما قال الامام احمد حدثنا يحيى بن سعيد عن ابن عجلان حدثني عمرو ابن شعيب عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ قال « يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر في صور الناس يعلوهم كل شيء من الصغار حتى يدخلوا سجنا في جهنم يقال له بولس تعلوهم نار الانيار يسقون من طينة الخبال عصارة أهل النار »

وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا ابو بكر بن محمد بن يزيد بن خنيس قال سمعت أبي يحدث عن وهيب بن الورد حدثني رجل قال كنت أسير ذات يوم في أرض الروم فسمعت هاتفا من فوق رأس جبل وهو يقول : يارب عجبت لمن عرفك كيف يرجو أحداً غيرك يارب عجبت لمن عرفك كيف يطلب حوائجه الى أحد غيرك . قال ثم ذهبت ثم جاءت الطامة الكبرى قال ثم عاد الثانية فقال يارب عجبت لمن عرفك كيف يتعرض لشيء من سخطك برضى غيرك قال وهيب وهذه الطامة الكبرى قال فناديته أجني أنت أم انسي؟ قال بل انسي اشغل نفسك بما يعنيك عما لا يعنيك

الله الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصراً ان الله لذو فضل على الناس ولكنّ أكثر الناس لا يشكرون (٦١) ذلكم الله ربكم خالق كل شيء لا اله الا هو فأنّى

أخبرنا أبو بكر محمد بن احمد بن علي الزرقي ثنا أبو الحسن علي بن يوسف الشيرازى أنا أبو الحسن احمد بن محمد بن موسى القرشي ببغداد ثنا محمد بن عبيد بن العلاء ثنا احمد بن بديل ثنا وكيع ثنا أبو المليح قال سمعت أباصالح يذكر عن أبي هريرة قال: قال النبي ﷺ « من لم يدع الله غضب الله عليه » وقيل الدعاء هو الذكر والسؤال (ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين) قرأ ابن كثير وأبو جعفر وأبو بكر سيدخلون بضم اليا، وفتح الخا، وقرأ الآخرون بفتح اليا وضم الخا، ومعنى داخرين صاغرين ذليلين ﴿ الله الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا ان الله لذو فضل على الناس

تؤفكون (٦٢) كذلك يؤفك الذين كانوا بآيات الله يجحدون (٦٣) الله الذي جعل لكم الأرض قراراً والسماء بناء وصوركم فأحسن صوركم ورزقكم من الطيبات ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب العالمين (٦٤) هو الحي لا اله الا هو فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين (٦٥)

يقول تعالى ممتنا على خلقه بما جعل لهم من الليل الذي يسكنون فيه ويستريحون من حركات ترددهم في المعايش بالنهار وجعل النهار مبصراً أي مضيئا ليتصرفوا فيه بالاسفار وقطع الاقطار والتمكن من الصناعات (ان الله لذو فضل على الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون) أي لا يقومون بشكر نعم الله عليهم ثم قال عز وجل (ذلكم الله ربكم خالق كل شيء لا إله الا هو) أي الذي فعل هذه الاشياء هو الله الواحد الاحد خالق الاشياء الذي لا إله غيره ولا رب سواه (فأنى تؤفكون) أي فكيف تعبدون غيره من الاصنام التي لا تخلق شيئا بل هي مخلوقة منحوتة

وقوله عز وجل (كذلك يؤفك الذين كانوا بآيات الله يجحدون) أي كما ضل هؤلاء بعبادة غير الله كذلك أفك الذين من قبلهم فعبدوا غيره بلا دليل ولا برهان بل بمجرد الجهل والهوى ، وجحدوا حجج الله وآياته . وقوله تعالى (الله الذي جعل لكم الارض قراراً)أي جعلها لكم مستقراً بساطا مهاداً تعيشون عليها وتتصرفون فيها وتمشون في مناكبها وأرساها بالجبال لئلا تميد بكم (والسماء بناء) أي سقفا للعالم محفوظا (وصوركم فأحسن صوركم) أي فخلقكم في أحسن الاشكال ومنحكم أكمل الصور في أحسن تقويم (ورزقكم من الطيبات) أي من المآكل والمشارب في الدنيا فذكر أنه خلق الدار والسكان والارزاق فهو الخالق الرازق كما قال تعالى في سورة البقرة (ياأيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون * الذي جعل لكم الارض فراشا والسماء بناء وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون)

وقال تعالى ههنا بعد خلق هذه الاشياء (ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب العالمين) أي فتعالى وتقدس وتنزه رب العالمين كلهم ثم قال تعالى (هو الحي لا إله الا هو) أي هو الحي أزلا وأبدا لم يزل

ولكن أكثر الناس لا يشكرون * ذلكم الله ربكم خالق كل شيء لا إله الا هو فأنى تؤفكون * كذلك﴾ يعنى كما أفكتم عن الحق مع قيام الدلائل كذلك ﴿ يؤفك الذين كانوا بآيات الله يجحدون * الله الذي جعل لكم الارض قراراً ﴾ فراشا ﴿ والسماء بناء ﴾ سقفا كالقبة ﴿ وصوركم فاحسن صوركم ﴾ قال مقاتل خلقكم فأحسن خلقكم قال ابن عباس خلق ابن آدم قائما معتدلا يأكل ويتناول بيده وغير ابن آدم يتناول بفيه ﴿ ورزقكم من الطيبات ﴾ قيل هو من غير رزق الدواب (ذلكم الله ربكم فتبارك

ولا يزال وهو الاول والآخر والظاهر والباطن (لا إله الا هو) أي لا نظير له ولا عديل له (فادعوه مخلصين له الدين) أي موحدين له مقرين بأنه لا إله الا هو الحمد لله رب العالمين. قال ابن جرير: كان جماعة من أهل العلم يأمرون من قال لا إله الا الله أن يتبعها بالحمد لله رب العالمين عملا بهذه الآية ثم روي عن محمد بن علي بن الحسين بن شقيق عن أبيه عن الحسين بن واقد عن الاعمش عن مجاهد عن ابن عباس قال: من يقل لا إله الا الله فليقل على أثرها الحمد لله رب العالمين وذلك قوله تعالى (فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين)

وقال أبو أسامة وغيره عن اسماعيل بن أبي خالد عن سعيد بن جبير قال اذا قرأت (فادعو الله مخلصين له الدين) فقل لا إله الا الله وقل على أثرها الحمد لله رب العالمين ثم قرأ هذه الآية (فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين)

(١) قال الامام أحمد حدثنا ابن نمير حدثنا هشيم يعني ابن عروة بن الزبير عن أبي الزبير محمد بن مسلم بن بدر المكي قال كان عبد الله بن الزبير يقول في دبر كل صلاة حين يسلم لا إله الا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير لا حول ولا قوة الا بالله؟ لا إله الا الله ولا نعبد الا الله له النعمة وله الفضل وله الثناء الحسن، لا إله الا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون قال وكان رسول الله ﷺ يهل بهن دبر كل صلاة ورواه مسلم وأبو داود والنسائي من طرق عن هشام بن عروة وحجاج بن أبي عثمان وموسى بن عقبة ثلاثتهم عن أبي الزبير عن عبد الله بن الزبير قال: كان رسول الله ﷺ يقول في دبر كل صلاة «لا إله الا الله وحده لا شريك له» وذكر تمامه

١) هذا الحديث غير موجود في للنسخة المكية

قل إني نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله لما جاءني البينت من ربي وأمرت أن أسلم لرب العلمين (٦٦) هو الذي خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ثم لتكونوا شيوخا، ومنكم من يتوفى من قبل ولتبلغوا أجلا مسمى ولعلكم تعقلون (٦٧) هو الذي يحي ويميت فاذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون (٦٨)

يقول تعالى قل يا محمد لهؤلاء المشركين إن الله عز وجل ينهى أن يعبد أحد سواه من الاصنام

الله رب العالمين * هو الحي لا اله الا هو فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين ﴾ قال الفراء هو خبر وفيه اضمار الامر مجازه فادعوه واحمدوه. وروي عن مجاهد عن ابن عباس قال: من قال لا اله الا الله فليقل على أثرها الحمد لله رب العالمين فذلك قوله عز وجل (فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين) ﴿ قل اني نهيت أن اعبد الذين تدعون من دون الله لما جاءني البينات من ربي وأمرت

والانداد والاوثان وقد بين تبارك وتعالى أنه لايستحق العبادة أحد سواه في قوله جلت عظمته (هو الذي خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ثم لتكونوا شيوخا) أي هو الذي يقلبكم في هذه الاطوار كلها وحده لاشريك له وعن أمره وتدبيره وتقديره يكون ذلك كله (ومنكم من يتوفى من قبل) أى من قبل أن يوجد ويخرج الى هذه العالم بل تسقطه أمه سقطا ومنهم من يتوفى صغيراً وشابا وكهلا قبل الشيخوخة كقوله تعالى (لنبين لكم ونقر في الارحام مانشاء إلى أجل مسمى) وقال عز وجل ههنا (ولتبلغوا أجلا مسمى ولعلكم تعقلون) قال ابن جريج تتذكرون البعث ثم قال تعالى (هو الذى يحيي ويميت) أي هو المتفرد بذلك لا يقدر على ذلك أحد سواه (فاذا قضى أمراً فانما يقول له كن فيكون) أى لايخالف ولا يمانع بل ماشاء كان لامحالة

ألم تر الى الذين يجٰدلون في آيٰت الله أنى يُصرفون ؟ (٦٩) الذين كذّبوا بالكتٰب وبما أرسلنا به رُسلنا فسوف يعلمون (٧٠) اذ الاغلٰل في أعناقهم والسلٰسل يُسحبون (٧١) في الحميم ثم في النار يُسجرون (٧٢) ثم قيل لهم أين ماكنتم تُشركون (٧٣) من دون الله قالوا ضلوا عنا بل لم نكن ندعوا من قبل شيئا كذلك يُضل الله الكٰفرين (٧٤) ذلكم بما كنتم تفرحون في الارض بغير الحق وبما كنتم تمرحون (٧٥) ادخلوا أبواب جهنم خٰلدين فيها فبئس مثوي المتكبرين (٧٦)

يقول تعالى ألا تعجب يامحمد من هؤلاء المكذبين بآيات الله ويجادلون في الحق بالباطل كيف تصرف عقولهم عن الهدى الى الضلال (الذين كذبوا بالكتاب وبما أرسلنا به رسلنا) أي من الهدى والبيان (فسوف يعلمون) هذا تهديد شديد، ووعيد أكيد، من الرب جل جلاله لهؤلاء كما قال تعالى (ويل يومئذ للمكذبين)

أن أسلم لرب العالمين ﴾ وذلك حين دعي الى الكفر ﴿ هو الذى خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلا ﴾ أي أطفالا ﴿ ثم لتبلغوا أشدكم ثم لتكونوا شيوخا ومنكم من يتوفى من قبل ﴾ أي من قبل أن يصير شيخا ﴿ ولتبلغوا ﴾ جميعا ﴿ أجلا مسمى ﴾ وقتا معلوما محدودا لا تجاوزونه يريد أجل الحياة الى الموت ﴿ ولعلكم تعقلون ﴾ اي لكي تعقلوا توحيد ربكم وقدرته

قوله تعالى ﴿ هو الذي يحيي ويميت فاذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون * ألم تر الى الذين يجادلون في آيات الله ﴾ يعني القرآن يقولون ليس من عند الله ﴿ أنى يصرفون ﴾ كيف يصرفون عن دين الحق قيل هم المشركون وعن محمد بن سيرين وجماعة انها نزلت في القدرية ﴿ الذين كذبوا

وقوله عز وجل (اذ الأغلال في أعناقهم والسلاسل) أي متصلة بالاغلال بأيدي الزبانية يسحبونهم على وجوههم تارة الى الحميم ، وتارة الى الجحيم ، ولهذا قال تعالى (يسحبون في الحميم ثم في النار يسجرون) كما قال تبارك وتعالى (هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون * يطوفون بينها وبين حميم آن) وقال تعالى بعد ذكر أكلهم الزقوم وشربهم الحميم (ثم ان مرجعهم لالى الجحيم) وقال عز وجل (وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال * في سموم وحميم * وظل من يحموم * لا بارد ولا كريم - الى أن قال - ثم انكم أيها الضالون المكذبون * لآكلون من شجر من زقوم * فمالئون منها البطون * فشاربون عليه من الحميم * فشاربون شرب الهيم * هذا نزلهم يوم الدين) وقال عز وجل (ان شجرة الزقوم طعام الاثيم * كالمهل يغلي في البطون كغلي الحميم * خذوه فاعتلوه الى سواء الجحيم ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم * ذق انك أنت العزيز الكريم * ان هذا ما كنتم به تمترون) أي يقال لهم ذلك على وجه التقريع والتوبيخ والتحقير والتصغير والتهكم والاستهزاء بهم

قال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا أحمد بن منيع حدثنا منصور بن عمار حدثنا بشير بن طلحة الخزامي عن خالد بن دريك عن يعلى بن منبه رفع الحديث إلى رسول الله ﷺ قال « ينشىء الله عز وجل سحابة لأهل النار سوداء مظلمة ويقال يا أهل النار أي شيء تطلبون ؟ فيذكرون بها سحاب الدنيا فيقولون نسأل بارد الشراب فتمطرهم أغلالا تزيد في أغلالهم وسلاسل تزيد في سلاسلهم وجمرا يلهب النار عليهم » هذا حديث غريب

وقوله تعالى (ثم قيل لهم أينما كنتم تشركون من دون الله ؟) أي قيل لهم أين الاصنام التي كنتم تعبدونها من دون الله هل ينصرونكم اليوم (قالوا ضلوا عنا) أي ذهبوا فلم ينفعونا (بل لم نكن ندعوا من قبل شيئا) أي جحدوا عبادتهم كقوله جلت عظمته (ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين) ولهذا قال عز وجل (كذلك يضل الله الكافرين)

وقوله (ذلكم بما كنتم تفرحون في الارض بغير الحق وبما كنتم تمرحون) أي تقول لهم الملائكة

بالكتاب وبما أرسلنا به رسلنا فسوف يعلمون * اذ الاغلال في أعناقهم والسلاسل يسحبون ﴾ يجرون ﴿ في الحميم ثم في النار يسجرون ﴾ قال مقاتل توقد بهم النار وقال مجاهد يصيرون وقودا للنار ﴿ ثم قيل لهم أينما كنتم تشركون * من دون الله ﴾ يعني الاصنام ﴿ قالوا ضلوا عنا ﴾ فقدناهم فلا نراهم ﴿ بل لم نكن ندعوا من قبل شيئا ﴾ قيل أنكروا وقيل معناه بل لم نكن ندعوا من قبل شيئا ينفع ويضر وقال الحسين بن الفضل أي لم نكن نصنع من قبل شيئا أي ضاعت عبادتنا لها كما يقول من ضاع عمله ما كنت أعمل شيئا

قال الله عز وجل ﴿ كذلك ﴾ اي كما أضل هؤلاء ﴿ يضل الله الكافرين * ذلكم ﴾ العذاب الذي نزل بكم ﴿ بما كنتم تفرحون ﴾ تبطرون وتأشرون ﴿ في الارض بغير الحق وبما كنتم تمرحون ﴾

هذا الذي أنتم فيه جزاء على فرحكم في الدنيا بغير الحق ومرحكم وأشركم وبطركم (ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين) أي فبئس المنزل والمقيل الذي فيه الهوان والعذاب الشديد لمن استكبر عن آيات الله واتباع دلائله وحججه والله أعلم

فاصبر إن وعد الله حق فإما نرينك بعض الذى نعدهم أو نتوفينك فإلينا يرجعون (٧٧)

ولقد أرسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله فإذا جاء أمر الله قضي بالحق وخسر هنالك المبطلون (٧٨)

يقول تعالى آمرا رسوله ﷺ بالصبر على تكذيب من كذبه من قومه فان الله تعالى سينجز لك ما وعدك من النصر والظفر على قومك وجعل العاقبة لك ولمن اتبعك في الدنيا والآخرة (فاما نرينك بعض الذي نعدهم) أي في الدنيا وكذلك وقع فان الله تعالى أقر أعينهم من كبرائهم وعظمائهم أبيدوا في يوم بدر ثم فتح الله عليه مكة وسائر جزيرة العرب في حياته ﷺ

وقوله عز وجل (او نتوفينك فالينا يرجعون) اي فنذيقهم العذاب الشديد في الآخرة ، ثم قال تعالى مسليا له (ولقد ارسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك) كما قال جل وعلا في سورة النساء سواء اي منهم من اوحينا اليك خبرهم وقصصهم مع قومهم كيف كذبوهم ثم كانت للرسل العاقبة والنصرة (ومنهم من لم نقصص عليك) وهم اكثر ممن ذكر باضعاف أضعاف كما تقدم التنبيه على ذلك في سورة النساء ولله الحمد والمنة

وقوله تعالى (وما كان لرسول أن يأتي بآية الا باذن الله) أى ولم يكن لواحد من الرسل أن يأتي قومه بخارق للعادات الا أن يأذن الله له في ذلك فيدل ذلك على صدقه فيما جاءهم به (فاذا جاء أمر الله) وهو عذابه ونكاله المحيط بالمكذبين (قضي بالحق) فينجي المؤمنين ، ويهلك الكافرين ، ولهذا قال عز وجل (وخسر هنالك المبطلون)

الله الذى جعل لكم الأنعم لتركبوا منها ومنها تأكلون (٧٩) ولكم فيها منفع

تفرحون وتختالون ﴿ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين * فاصبر إن وعد الله﴾ بنصرك ﴿حق فاما نرينك بعض الذي نعدهم﴾ من العذاب في حياتك ﴿أو نتوفينك﴾ قبل أن يحل بهم ﴿فالينا يرجعون * ولقد أرسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك﴾ خبرهم في القرآن ﴿ومنهم من لم نقصص عليك وما كان لرسول أن يأتي بآية الا باذن الله﴾ بأمر الله وارادته ﴿فاذا جاء أمر الله﴾ قضاؤه بين الانبياء والامم ﴿قضي بالحق وخسر هنالك المبطلون * الله الذي جعل لكم

ولتبلغوا عليها حاجةً في صدوركم وعليها وعلى الفلك تحملون (٨٠) ويريكم آيته فأيَّ آيت الله تنكرون ؟ (٨١)

يقول تعالى ممتنا على عباده بما خلق لهم من الانعام وهي الابل والبقر والغنم فمنها ركوبهم ومنها يأكلون ، فالابل تركب وتؤكل وتحلب ويحمل عليها الاثقال في الاسفار والرحال الى البلاد النائية ، والاقطار الشاسعة ، والبقر تؤكل ويشرب لبنها وتحرث عليها الارض ، والغنم تؤكل ويشرب لبنها ، والجميع تجز أصوافها وأشعارها وأوبارها فيتخذ منها الاثاث والثياب والامتعة كما فصل وبين في اماكن تقدم ذكرها في سورة الانعام وسورة النحل وغير ذلك ولذا قال عز وجل ههنا (لتركبوا منها ومنها تأكلون * ولكم فيهامنافع ولتبلغوا عليها حاجة في صدوركم وعليها وعلى الفلك تحملون) وقوله جل وعلا (ويريكم آياته)أي حججه وبراهينه في الآفاق وفي أنفسكم (فأي آيات الله تنكرون) أي لاتقدرون على انكار شيء من آياته الا أن تعاندوا وتكابروا

أفلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أكثر منهم وأشد قوة وآثاراً في الأرض فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون (٨٢) فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون(٨٣) فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين (٨٤) فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا سنةَ الله التي قد خلت في عباده وخسر هنالك الكافرون (٨٥)

يخبر تعالى عن الامم المكذبة بالرسل في قديم الدهر وما ذا حل بهم من العذاب الشديد مع شدة قواهم وما أثروه في الارض وجمعوه من الاموال فما أغنى عنهم ذلك شيئا ولا رد عنهم ذرة من بأس الله وذلك لانهم لما جاءتهم الرسل بالبينات، والحجج القاطعات، والبراهين الدامغات ، لم يلتفتوا اليهم

الانعام لتركبوا منها ﴾ بعضها ﴿ ومنها تأكلون * ولكم فيها منافع ﴾ في أصوافها وأوبارها وأشعارها وألبانها ﴿ ولتبلغوا عليها حاجة في صدوركم ﴾ تحمل أثقالكم من بلد الى بلد ولتبلغوا عليها حاجاتكم ﴿ وعليها وعلى الفلك تحملون ﴾ أي على الابل في البر وعلى السفن في البحر نظيره قوله تعالى[وحملناهم في البر والبحر] ﴿ ويريكم آياته ﴾ دلائل قدرته ﴿ فأي آيات الله تنكرون * أفلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أكثر منهم وأشد قوة وآثارا في الارض ﴾ يعني مصانعهم وقصورهم ﴿ فما أغني عنهم ﴾ لم ينفعهم ﴿ ما كانوايكسبون ﴾ وقيل هو بمعنى الاستفهام ومجازه

ولا أقبلوا عليهم واستغنوا بما عندهم من العلم في زعمهم عما جاءتهم به الرسل قال مجاهد قالوا نحن أعلم منهم لن نبعث ولن نعذب وقال السدي فرحوا بما عندهم من العلم بجهالتهم فأتاهم من بأس الله تعالى ما لا قبل لهم به (وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون) أي يكذبون ويستبعدون وقوعه (فلما رأوا بأسنا أي عاينوا وقوع العذاب بهم (قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين) أي وحدوا الله عز وجل وكفروا بالطاغوت ولكن حيث لا تقال العثرات ولا تنفع المعذرة وهذا كما قال فرعون حين أدركه الغرق (آمنت أنه لا إله الا الذى آمنت به بنو اسرائيل وانا من المسلمين) قال تبارك وتعالى (آلآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين) أى فلم يقبل الله منه لانه قد استجاب لنبيه موسى عليه الصلاة والسلام دعاءه عليه حين قال (واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم) وهكذا قال تعالى ههنا (فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا سنة الله التي قد خلت في عباده) أي هذا حكم الله في جميع من تاب عند معاينة العذاب انه لا يقبل ولهذا جاء في الحديث « ان الله تعالى يقبل توبة العبد ما لم يغرغر » أى فاذا غرغر وبلغت الروح الحنجرة وعاين الملك فلا توبة حينئذ ولهذا قال تعالى (وخسر هنالك الكافرون)

أي شيء أغنى عنهم كسبهم ﴿ فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا ﴾ رضوا ﴿ بما عندهم من العلم ﴾ قال مجاهد هو قولهم نحن أعلم لن نبعث ولن نعذب سمي ذلك علما على ما يدعونه ويزعمونه وهو في الحقيقة جهل ﴿ وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون * فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين ﴾ يعني تبرأنا مما كنا نعدل بالله ﴿ فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا ﴾ عذابنا ﴿ سنت الله ﴾ قيل نصبها بنزع الخافض أي كسنة الله وقيل على المصدر وقيل على الاغراء أي احذروا سنة الله ﴿ التي قد خلت في عباده ﴾ وتلك السنة انهم اذا عاينوا عذاب الله آمنوا ولا ينفعهم ايمانهم عند معاينة العذاب ﴿ وخسر هنالك الكافرون ﴾ بذهاب نعيم الدارين قال الزجاج الكافر خاسر في كل وقت ولكنهم يتبين لهم خسرانهم اذا رأوا العذاب



تفسير سورة فصلت وهي مكية

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

حم (١) تنزيل من الرحمن الرحيم (٢) كتاب فصلت آياته قرآنا عربياً لقوم يعلمون (٣) بشيراً ونذيراً فأعرض أكثرهم فهم لا يسمعون (٤) وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا اليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب فاعمل اننا عاملون (٥)

يقول تعالى (حم تنزيل من الرحمن الرحيم) يعني القرآن منزل من الرحمن الرحيم كقوله (قل نزله روح القدس من ربك بالحق) وقوله (وانه لتنزيل رب العالمين * نزل به الروح الامين * على قلبك لتكون من المنذرين) وقوله تبارك وتعالى (كتاب فصلت آياته) أي بينت معانيه وأحكمت أحكامه (قرآنا عربيا) أي في حال كونه قرآنا عربيا بينا واضحا فمعانيه مفصلة وألفاظه واضحة غير مشكلة كقوله تعالى (كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير) أي هو معجز من حيث لفظه ومعناه (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد) وقوله تعالى (لقوم يعلمون) أي انما يعرف هذا البيان والوضوح العلماء الراسخون (بشيراً ونذيراً) أي تارة يبشر المؤمنين وتارة ينذر الكافرين (فأعرض أكثرهم فهم لا يسمعون) أي أكثر قريش فهم لا يفهمون منه شيئا مع بيانه ووضوحه (وقالوا قلوبنا في أكنة) أي في غلف مغطاة (مما تدعونا اليه وفي آذاننا وقر) أي صمم عما جئتنا به (ومن بيننا وبينك حجاب) فلا يصل الينا شيء مما تقول (فاعمل اننا عاملون) أي اعمل أنت على طريقتك ونحن على طريقتنا لا نتابعك

قال الامام العالم عبد بن حميد في مسنده حدثني ابن أبي شيبة حدثنا علي بن مسهر عن الاجلح

﴿ سورة فصلت مكية أربع وخمسون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ حم * تنزيل من الرحمن الرحيم ﴾ قال الاخفش تنزيل مبتدأ وخبره قوله عز وجل ﴿ كتاب فصلت آياته ﴾ بينت آياته ﴿ قرآنا عربيا لقوم يعلمون ﴾ اللسان العربي ولو كان بغير لسانهم ماعلموه ونصب قرآنا بوقوع البيان عليه أي فصلناه قرآنا ﴿ بشيرا ونذيراً ﴾ نعتان للقرآن أي بشيرا لاولياء الله ونذيرا لأعدائه ﴿ فأعرض أكثرهم فهم لا يسمعون ﴾ أي لا يصغون اليه تكبراً ﴿ وقالوا ﴾ يعني

عن الزيال بن حرملة الاسدي عن جابر بن عبدالله رضي الله عنه قال : اجتمعت قريش يوما فقالوا انظروا أعلمكم بالسحر والكهانة والشعر فليأت هذا الرجل الذي قد فرق جماعتنا وشتت أمرنا وعاب ديننا فليكلمه ولننظر ما ذا يرد عليه، فقالوا ما نعلم أحداً غير عتبة بن ربيعة، فقالوا أنت ياأبا الوليد فأتاه عتبة فقال : يامحمد أنت خير أم عبد الله ؟ فسكت رسول الله ﷺ فقال أنت خير أم عبد المطلب ؟ فسكت رسول الله ﷺ فقال ان كنت تزعم ان هؤلاء خير منك فقد عبدوا الآلهة التي عبت وإن كنت تزعم انك خير منهم فتكلم حتى نسمع قولك، انا والله ما رأينا سخلة قط أشأم على قومك منك، فرقت جماعتنا، وشتت أمرنا، وعبت ديننا، وفضحتنا في العرب، حتى لقد طار فيهم ان في قريش ساحراً وإن في قريش كاهنا والله ما ننتظر الا مثل صيحة الحبلى أن يقوم بعضنا الى بعض بالسيوف حتى نتفانى أيها الرجل ان كان انما بك الحاجة جمعنا لك حتى تكون أغنى قريش رجلا واحداً، وان كان إنما بك الباءة فاختر أي نساء قريش شئت فلنزوجك عشراً، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « فرغت ؟ » قال نعم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (بسم الله الرحمن الرحيم * حم تنزيل من الرحمن الرحيم - حتى بلغ - فان أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود) فقال عتبة حسبك ما عندك غير هذا ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا » فرجع الى قريش فقالوا ما وراءك ؟ قال ما تركت شيئا أرى أنكم تكلمون به الا كلمته ، قالوا فهل أجابك ؟ قال نعم لا والذي نصبها بنية ما فهمت شيئا مما قاله غير أنه أنذركم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود ، قالوا ويلك يكلمك الرجل بالعربية لاتدري ماقال ؟ قال لا والله ما فهمت شيئا مما قال غير ذكر الصاعقة . وهكذا رواه الحافظ أبو يعلى الموصلي في مسنده عن أبي بكر ابن أبي شيبة باسناده مثله سواء ، وقد ساقه البغوي في تفسيره بسنده عن محمد بن فضيل عن الاجلح وهو ابن عبدالله الكندى الكوفي وقد ضعف بعض الشيء عن الزيال بن حرملة عن جابر بن عبدالله رضي الله عنه فذكر الحديث الى قوله (فان أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود) فامسك عتبة على فيه وناشده بالرحم ورجع الى أهله ولم يخرج الى قريش واحتبس عنهم، فقال أبو جهل يامعشر قريش والله ما نرى عتبة الا قد صبأ الى محمد وأعجبه طعامه وما ذاك الا من حاجة أصابته فانطلقوا بنا اليه فانطلقوا اليه فقال أبو جهل ياعتبة ما حبسك عنا الا أنك صبأت الى محمد وأعجبك طعامه فان كانت بك حاجة جمعنا لك من أموالنا ما يغنيك عن طعام محمد ، فغضب عتبة وأقسم أن لايكلم محمداً أبداً وقال والله لقد علمتم اني من اكثر قريش مالا ولكني أتيته وقصصت عليه القصة فأجابني بشيء والله ما هو بشعر ولا كهانة ولا سحر وقرأ السورة الى قوله تعالى (فان أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود) فامسكت بفيه وناشدته بالرحم أن يكف وقد علمتم أن محمداً اذا قال شيئا لم يكذب فخشيت أن ينزل بكم العذاب.

مشركي مكة ﴿ قلوبنا في أكنة ﴾ في أغطية ﴿ مما تدعونا اليه ﴾ فلا نفقه ما تقول ﴿ وفي آذاننا وقر ﴾

وهذا السياق أشبه من سياق البزار وأبي يعلى والله تعالى أعلم ، وقد أورد هذه القصة الامام محمد بن اسحاق بن يسار في كتاب السيرة على خلاف هذا النمط فقال حدثني يزيد بن زياد عن محمد بن كعب القرظي قال: حدثت ان عتبة بن ربيعة وكان سيداً قال يوما وهو جالس في نادي قريش ورسول الله ﷺ جالس في المسجد وحده يامعشر قريش ألا أقوم الى محمد فأكلمه وأعرض عليه أموراً لعله أن يقبل بعضها فنعطيه أيها شاء ويكف عنا ؟ وذلك حين أسلم حمزة رضي الله عنه ورأوا أصحاب رسول الله ﷺ يزيدون ويكثرون، فقالوا بلى ياأبا الوليد فقم اليه فكلمه ، فقام اليه عتبة حتى جلس الى رسول الله ﷺ فقال: ياابن أخي انك منا حيث علمت من البسطة في العشيرة والمكان في النسب، وانك قد أتيت قومك بأمر عظيم فرقت به جماعتهم وسفهت به أحلامهم وعبت به آلهتهم ودينهم وكفرت به من مضى من آبائهم فاسمع مني أعرض عليك أموراً تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضها . قال فقال له رسول الله ﷺ « قل ياأبا الوليد أسمع » قال ياابن أخي ان كنت انما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالا جمعنا لك أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا ، وإن كنت تريد به شرفا سودناك علينا حتى لا نقطع أمراً دونك ، وإن كنت تريد به ملكا ملكناك علينا ، وإن كان هذا الذي يأتيك رئيا تراه لا نستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الاطباء وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه فانه ربما غلب التابع على الرجل حتى يداوى منه أو كما قال له ، حتى اذا فرغ عتبة ورسول الله ﷺ يستمع منه قال «أفرغت ياأبا الوليد؟» قال نعم . قال «فاستمع مني» قال افعل . قال (بسم الله الرحمن الرحيم * حم تنزيل من الرحمن الرحيم * كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون * بشيراً ونذيراً فاعرض أكثرهم فهم لا يسمعون) ثم مضى رسول الله ﷺ فيها وهو يقرؤها عليه ، فلما سمع عتبة أنصت لها وألقى يديه خلف ظهره معتمداً عليهما يستمع منه حتى انتهى رسول الله ﷺ الى السجدة منها فسجد ثم قال « قد سمعت ياأبا الوليد ماسمعت فأنت وذاك » فقام عتبة الى أصحابه فقال بعضهم لبعض نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به ، فلما جلس اليهم قالوا ماوراءك ياأبا الوليد ؟ قال ورائي اني سمعت قولا والله ماسمعت مثله قط والله ماهو بالسحر ولا بالشعر ولا بالكهانة ، يامعشر قريش أطيعوني واجعلوها لي خلوا بين الرجل وبين ماهو فيه فاعتزلوه فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت نبأ ، فان تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم وإن يظهر على العرب فملكه ملككم وعزه عزكم وكنتم أسعد الناس به . قالوا سحرك والله ياأبا الوليد بلسانه ؟ قال هذا رأيي فيه فاصنعوا مابدا لكم . وهذا السياق أشبه من الذي قبله والله أعلم .

صم فلا نسمع ما تقول، والمعنى انا في ترك القبول عنك بمنزلة من لا يفهم ولا يسمع ﴿ومن بيننا وبينك حجاب﴾ خلاف في الدين وحاجز في النحلة فلا نوافقك على ما تقول ﴿ فاعمل ﴾ أنت على دينك ﴿ اننا عاملون ﴾

قل انما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد فاستقيموا إليه واستغفروه

وويل للمشركين (٦) الذين لا يؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم كفرون (٧) ان الذين آمنوا وعملوا الصلحت لهم أجر غير ممنون (٨)

يقول تعالى قل يا محمد لهؤلاء المكذبين المشركين انما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد لا كما تعبدونه من الاصنام والانداد والارباب المتفرقين انما الله إله واحد (فاستقيموا اليه) أي أخلصوا له العبادة على منوال ما أمركم به على ألسنة الرسل (واستغفروه) أي لسالف الذنوب (وويل للمشركين) أي دمار لهم وهلاك عليهم [الذين لا يؤتون الزكاة] قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس يعني الذين لا يشهدون أن لا إله إلا الله وكذا قال عكرمة وهذا كقوله تبارك وتعالى [قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها] وكقوله جلت عظمته [قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى] وقوله عز وجل (فقل ؟ هل لك الى أن تزكى) والمراد بالزكاة ههنا طهارة النفس من الاخلاق الرذيلة ومن أهم ذلك طهارة النفس من الشرك ، وزكاة المال انما سميت زكاة لانها تطهره من الحرام وتكون سببا لزيادته وبركته وكثرة نفعه وتوفيقا الى استعماله في الطاعات ، وقال السدي (وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة) أي لا يدينون بالزكاة ، وقال معاوية بن قرة ليس هم من أهل الزكاة وقال قتادة يمنعون زكاة أموالهم وهذا هو الظاهر عند كثير من المفسرين واختاره ابن جرير وفيه نظر لان إيجاب الزكاة انما كان في السنة الثانية من الهجرة إلى المدينة على ما ذكره غير واحد وهذه الآية مكية اللهم الا أن يقال لا يبعد أن يكون أصل الصدقة والزكاة كان مأموراً به في ابتداء البعثة كقوله تبارك وتعالى [وآتوا حقه يوم حصاده] فأما الزكاة ذات النصب والمقادير فانما بين أمرها بالمدينة ويكون هذا جمعا بين القولين كما ان أصل الصلاة كان واجبا قبل طلوع الشمس وقبل غروبها في ابتداء البعثة فلما كان ليلة الاسراء قبل الهجرة بسنة ونصف فرض الله تعالى على رسوله ﷺ الصلوات الخمس وفصل شروطها وأركانها وما يتعلق بها بعد ذلك شيئا فشيئا والله أعلم

على ديننا ﴿ قل انما أنا بشر مثلكم ﴾ يعني كواحد منكم ولولا الوحي ما دعوتكم وهو قوله ﴿ يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد ﴾ قال الحسن علمه الله التواضع ﴿ فاستقيموا اليه ﴾ توجهوا اليه بالطاعة ولا تميلوا عن سبيله ﴿ واستغفروه ﴾ من ذنوبكم ﴿ وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكوة ﴾

قال ابن عباس الذين لا يقولون لا إله إلا الله وهي زكاة الانفس والمعنى لا يطهرون أنفسهم من الشرك بالتوحيد وقال الحسن وقتادة لا يقرون بالزكاة ولا يرون ايتاءها واجبا وكان يقول الزكاة قنطرة الاسلام فمن قطعها نجا ومن تخلف عنها هلك وقال الضحاك ومقاتل لا ينفقون في الطاعة

ثم قال جل جلاله بعد ذلك (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون) قال مجاهد وغيره غير مقطوع ولا مجبوب كقوله تعالى [ماكثين فيه أبداً] وكقوله عزوجل [عطاء غير مجذوذ] وقال السدي غير ممنون عليهم وقد رد عليه هذا التفسير بعض الائمة فان المنة لله تعالى على أهل الجنة قال الله تبارك وتعالى (بل الله يمن عليكم أن هداكم للايمان) وقال أهل الجنة فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم ، وقال رسول الله ﷺ « الا أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل »

قل أئنكم لتكفرون بالذى خلق الارض في يومين وتجعلون له أنداداً ذلك ربُّ العـٰلمين (٩) وجعل فيها رواسيَ من فوقها وبٰرك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواءً للسائلين (١٠) ثم استوى الى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين (١١) فقضٰهن سبعَ سمٰوات في يومين وأوحى في كل سماء أمرها وزينّا السماء الدنيا بمصٰبيح وحفظاً ذلك تقدير العزيز العليم (١٢)

هذا انكار من الله تعالى على المشركين الذين عبدوا معه غيره وهو الخالق لكل شيء القاهر لكل شيء المقتدر على كل شيء فقال (قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين وتجعلون له أنداداً) أي نظراء وأمثالا تعبدونها معه (ذلك رب العالمين) أي الخالق للاشياء هو رب العالمين كلهم وهذا المكان فيه تفصيل كقوله تعالى [خلق السموات والارض في ستة أيام] ففصل ههنا مايختص بالارض مما اختص بالسماء فذكر أنه خلق الارض أولا لأنها كالأساس والاصل أن يبدأ بالأساس

ولا يتصدقون وقال مجاهد لا يزكون أعمالهم ﴿ وهم بالآخرة هم كافرون * ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون ﴾

قال ابن عباس غير مقطوع وقال مقاتل غير منقوص ومنه المنون لانه ينقص مُنة الانسان وقوته وقيل غير ممنون عليهم به وقال مجاهد غير محسوب وقال السدي نزلت هذه الآية في المرضى والزمنى والهرمى اذا عجزوا عن الطاعة يكتب لهم الاجر كأصح ما كانوا يعملون فيه

أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي أنا أبو الحسين بن بشران أنا اسمعيل بن محمد الصفار ثنا أحمد ابن منصور الرمادي ثنا عبد الرزاق أنا معمر عن عاصم بن أبي النجود عن خيثمة بن عبد الرحمن عن عبد الله بن عمر قال قال رسول الله ﷺ « ان العبد إذا كان على طريقة حسنة من العبادة ثم مرض قيل للملك الموكل به اكتب له مثل عمله اذا كان طليقا حتى أطلقه أو أكفته إلي »

قوله عز وجل ﴿قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين ﴾ يوم الاحد والاثنين

ثم بعده بالسقف كما قال عز وجل [هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا ثم استوى الى السماء فسواهن سبع سموات] الآية فأما قوله تعالى [أأنتم أشد خلقا أم السماء بناها * رفع سمكها فسواها * وأغطش ليلها وأخرج ضحاها * والارض بعد ذلك دحاها * أخرج منها ماءها ومرعاها * والجبال أرساها متاعا لكم ولأنعامكم] ففي هذه الآية أن دحو الارض كان بعد خلق السماء فالدحو هو مفسر بقوله [أخرج منها ماءها ومرعاها] وكان هذا بعد خلق السماء ، فأما خلق الارض فقبل خلق السماء بالنص وبهذا أجاب ابن عباس رضي الله عنه فيما ذكره البخاري عند تفسير هذه الآية من صحيحه فانه قال : وقال المنهال عن سعيد بن جبير قال : قال رجل لابن عباس رضي الله عنهما إني لأجد في القرآن أشياء تختلف علي، قال [فلا انساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون * وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون - ولا يكتمون الله حديثا - والله ربنا ما كنا مشركين] فقد كتموا في هذه الآية ، وقال تعالى [أأنتم أشد خلقا أم السماء بناها — إلى قوله — والارض بعد ذلك دحاها] فذكر خلق السماء قبل الارض ثم قال تعالى [أئنكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين — الى قوله — طائعين] فذكر في هذه خلق الارض قبل خلق السماء ، قال (وكان الله غفورا رحيما - عزيزاً حكيما - سميعا بصيراً) فكأنه كان ثم مضى

فقال ابن عباس رضي الله عنهما (فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون) في النفخة الاولى (ويوم ينفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض إلا من شاء الله] فلا أنساب بينهم عند ذلك ولا يتساءلون ثم في النفخة الاخرى [وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون] وأما قوله (والله ربنا ما كنا مشركين) (ولا يكتمون الله حديثا) فان الله تعالى يغفر لاهل الاخلاص ذنوبهم فيقول المشركون تعالوا نقول لم نكن مشركين فيختم على أفواههم فتنطق أيديهم فعند ذلك يعرف ان الله تعالى لا يكتم حديثا وعنده (يود الذين كفروا) الآية وخلق الارض في يومين ثم خلق السماء ثم استوى الى السماء فسواها في يومين آخرين ثم دحى الارض ودحيها أن أخرج منها الماء والمرعى وخلق الجبال والرمال والجماد والآكام وما بينها في يومين آخرين فذلك قوله تعالى دحاها وقوله (خلق الارض في يومين) فخلق الارض وما فيها من شيء في أربعة أيام وخلق السموات في يومين (وكان الله غفوراً رحيما) سمى نفسه بذلك وذلك قوله أي لم يزل كذلك فان الله تعالى لم يرد شيئا إلا أصاب به الذي أراد فلا يختلفن عليك القرآن فان كلا من عند الله عز وجل

قال البخاري حدثنيه يوسف بن عدي حدثنا عبيد الله بن عمرو عن زيد بن أبي أنيسة عن المنهال هو ابن عمرو الحديث . وقوله (خلق الارض في يومين) يعني يوم الاحد ويوم الاثنين (وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها) أي جعلها مباركة قابلة للخير والبذر والغراس وقدر فيها أقواتها

﴿وتجعلون له أندادا ذلك رب العالمين * وجعل فيها ﴾ أي في الارض ﴿ رواسي ﴾ جبالا ثوابت ﴿ من

وهو ما يحتاج أهلها اليه من الارزاق والاماكن التي تزرع وتغرس يعني يوم الثلاثاء والاربعاء فهمامع اليومين السابقين أربعة ولهذا قال (في اربعة أيام سواء للسائلين) أي لمن أراد السؤال عن ذلك ليعلمه وقال عكرمة ومجاهد في قوله عز وجل [وقدر فيها أقواتها] جعل في كل أرض ما لا يصلح في غيرها ومنه العصب باليمن والسابوري بسابور والطيالسة بالري

وقال ابن عباس وقتادة والسدي في قوله تعالى [سواء للسائلين] أي لمن أراد السؤال عن ذلك وقال ابن زيد معناه وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين أي على وفق مراده من له حاجة إلى رزق أو حاجة فان الله تعالى قدر له ما هو محتاج اليه وهذا القول يشبه ماذكروه في قوله تعالى (وآتاكم من كل ماسألتموه)والله أعلم

وقوله تبارك وتعالى(ثم استوى الى السماء وهي دخان)وهو بخار الماء المتصاعد منه حين خلقت الارض[فقال لها وللارض ائتيا طوعا أو كرها] أي استجيبا لامري وانفعلا لفعلي طائعتين أومكرهتين قال الثوري عن ابن جريج عن سليمان بن موسى عن مجاهد عن ابن عباس في قوله تعالى [فقال لها وللارض ائتيا طوعا أو كرها] قال قال الله تبارك وتعالى للسموات أطلعي شمسي وقمري ونجومي

فوقها ﴾ من فوق الارض ﴿ وبارك فيها ﴾ أي في الارض بما خلق فيها من البحار والانهار والاشجار والثمار ﴿ وقدر فيها أقواتها ﴾ قال الحسن ومقاتل قسم في الارض أرزاق العباد والبهائم وقال عكرمة والضحاك قدر في كل بلدة ما لم يجعله في الاخرى ليعيش بعضهم من بعض بالتجارة من بلد إلى بلد قال الكلبي قدر الخبز لاهل قطر والتمر لاهل قطر والذرة لاهل قطر والسمك لاهل قطر وكذلك أقواتها ﴿ في أربعة أيام ﴾ يريد خلق مافي الارض وقدر الاقوات في يومين يوم الثلاثاء والاربعاء فهما مع الاحد والاثنين أربعة أيام رد الآخر على الاول في الذكر كما تقول تزوجت أمس امرأة واليوم ثنتين واحداهما هي التي تزوجها بالامس ﴿ سواء للسائلين ﴾ قرأ أبو جعفر سواء رفع على الابتداء أي هي سواء وقرأ يعقوب بالجر على نعت قوله في أربعة أيام وقرأ الآخرون سواء نصب على المصدر أي استوت استواء ومعناه سواء للسائلين عن ذلك،قال قتادة والسدي من سأل عنه فهكذا الامر سواء لا زيادة ولا نقصان جوابا لمن سأل في كم خلقت الارض والاقوات ﴿ ثم استوى الى السماء ﴾ أي عمد الى خلق السماء ﴿ وهي دخان ﴾ وكان ذلك الدخان بخار الماء ﴿ فقال لها وللارض ائتيا طوعا أو كرها ﴾ أي ائتيا ما آمركما أي افعلاه كما يقال ائت ما هو الاحسن أي افعله وقال طاوس عن ابن عباس ائتيا أعطيا يعني أخرجا ما خلقت فيكما من المنافع لمصالح العباد قال ابن عباس قال الله عز وجل أما أنت ياسماء فاطلعي شمسك وقمرك ونجومك وأنت يا أرض فشقي أنهارك وأخرجي ثمارك ونباتك ، وقال لهما افعلا ما أمرتكما طوعا والا ألجأتكما الى ذلك حتى تفعلاه كرها

وقال للارض شققي أنهارك وأخرجي ثمارك [قالتا أتينا طائعين] واختاره ابن جرير رحمه الله قالتا أتينا طائعين أي بل نستجيب لك مطيعين بما فينا مما تريد خلقه من الملائكة والجن والانس جميعا مطيعين لك حكاه ابن جرير عن بعض أهل العربية قال وقيل تنزيلا لهن معاملة من يعقل بكلامهما وقيل ان المتكلم من الارض بذلك هو مكان الكعبة ومن السماء مايسامته منها والله أعلم

وقال الحسن البصري لو أبيا عليه أمره لعذبهماعذابا يجدان ألمه رواه ابن أبي حاتم (فقضاهن سبع سموات في يومين) أي ففرغ من تسويتهن سبع سموات في يومين أي آخرين وهما يوم الخميس ويوم الجمعة (وأوحى في كل سماء أمرها) أى ورتب مقرراً في كل سماء ما تحتاج اليه من الملائكة ومافيها من الاشياء التي لا يعلمها إلا هو (وزينا السماء الدنيا بمصابيح)وهي الكواكب المنيرة المشرقة على أهل الارض [وحفظا] أى حرسا من الشياطين أن تستمع إلى الملأ الاعلى [ذلك تقدير العزيز العليم] أى العزيز الذي قد عز كل شيء فغلبه وقهره العليم بجميع حركات المخلوقات وسكناتهم

قال ابن جرير حدثنا هناد بن السري حدثنا أبو بكر بن عياش عن أبي سعيد البقال عن عكرمة عن ابن عباس قال هناد قرأت سائر الحديث ان اليهود أتت النبي ﷺ فسألته عن خلق السموات والارض فقال ﷺ « خلق الله تعالى الارض يوم الاحد ويوم الاثنين وخلق الجبال يوم الثلاثاء وما فيهن من منافع وخلق يوم الاربعاء الشجر والماء والمدائن والعمران والخراب فهذه أربعة [قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين وتجعلون له أندادا ذلك رب العالمين*وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين] لمن سأله قال وخلق يوم الخميس السماء وخلق يوم الجمعة النجوم والشمس والقمر والملائكة الى ثلاث ساعات بقيت منه وفي الثانية ألقى الآفة على كل شيء مما ينتفع به الناس وفي الثالثة آدم وأسكنه الجنة وأمر ابليس بالسجود له وأخرجه منها في آخر ساعة » ثم قالت اليهود . ثم ماذا يامحمد قال [ثم استوى على العرش ، قالوا قد أصبت لو أتممت . قالوا ثم استراح . فغضب النبي ﷺ غضبا شديداً فنزل [ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب*فاصبر على ما يقولون] هذا الحديث فيه غرابة فأما حديث ابن جريج عن اسماعيل بن أمية عن أيوب بن خالد عن عبد الله بن رافع عن أبي هريرة

فاجابتا بالطوع و ﴿ قالتا أتينا طائعين ﴾ ولم يقل طائعتين لانه ذهب به الى السموات والارض ومن فيهن مجازه أتينا بما فينا طائعين فلما وصفها بالقول أجراها في الجمع مجرى من يعقل ﴿ فقضاهن سبع سموات في يومين ﴾ أى أتمهن وفرغ من خلقهن ﴿ وأوحى في كل سماء أمرها ﴾ قال عطاء عن ابن عباس خلق في كل سماء خلقها من الملائكة وما فيها من البحار وجبال البرد ومالا يعلمه الا الله

وقال قتادة والسدي يعني خلق فيها شمسها وقمرها ونجومها وقال مقاتل وأوحى الى كل سماء

رضي الله قال أخذ رسول الله ﷺ بيدي فقال « خلق الله التربة يوم السبت وخلق فيها الجبال يوم الاحد وخلق الشجر يوم الاثنين وخلق المكروه يوم الثلاثاء وخلق النور يوم الاربعاء وبث فيها الدواب يوم الخميس وخلق آدم بعد العصر يوم الجمعة آخر الخلق في آخر ساعة من ساعات يوم الجمعة فيما بين العصر الى الليل » فقد رواه مسلم والنسائي في كتابيهما من حديث ابن جريج به وهو من غرائب الصحيح وقد علله البخاري في التاريخ فقال رواه بعضهم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن كعب الاحبار وهو الاصح

فان أعرضوا فقل أنذرتكم صٰعقة مثل صٰعقة عاد وثمود (١٣) اذ جاءتهم الرسل من بين أيديهم ومن خلفهم ألا تعبدوا الا الله ، قالوا لو شاء ربنا لأنزل ملٰئكة فانا بما أرسلتم به كٰفرون (١٤) فأما عاد فاستكبروا في الارض بغير الحق وقالوا من أشد منا قوة ؟ أولم يروا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة ؟ وكانوا بآيٰتنا يجحدون (١٥) فأرسلنا عليهم ريحا صرصراً في أيام نحسات لنذيقهم عذاب الخزي في الحيوٰة الدنيا ولعذاب الآخرة أخزى وهم لا ينصرون (١٦) وأما ثمود فهدينٰهم فاستحبوا العمى على الهدى فأخذتهم صٰعقة العذاب الهون بما كانوا يكسبون (١٧) ونجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون (١٨)

يقول تعالى قل يا محمد لهؤلاء المشركين المكذبين بما جئتهم به من الحق ان أعرضتم عما جئتكم به من عند الله تعالى فاني أنذركم حلول نقمة الله بكم كما حلت بالامم الماضين من المكذبين بالمرسلين (صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود) أي ومن شاكلهما ممن فعل كفعلهما (إذ جاءتهم الرسل من بين أيديهم ومن خلفهم) كقوله تعالى (واذكر أخا عاد إذ أنذر قومه بالاحقاف وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه) أي في القرى المجاورة لبلادهم بعث الله اليهم الرسل يأمرون بعبادة الله وحده لا شريك له

ما أراد من الامر والنهي وذلك يوم الخميس والجمعة ﴿ وزينا السماء الدنيا بمصابيح ﴾ كواكب ﴿ وحفظا ﴾ لها ونصب حفظا على المصدر أى حفظناها بالكواكب حفظا من الشياطين الذين يسترقون السمع ﴿ ذلك ﴾ الذي ذكر من صنعه ﴿ تقدير العزيز ﴾ في ملكه ﴿ العليم ﴾ بخلقه

قوله عز وجل ﴿ فان أعرضوا ﴾ يعني هؤلاء المشركين عن الايمان بعد هذا البيان ﴿ فقل أنذرتكم ﴾ خوفتكم ﴿ صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود ﴾ أي هلاكا مثل هلاكهم والصاعقة المهلكة من كل شيء ﴿ إذ جاءتهم ﴾ يعني عادا وثمود ﴿ الرسل من بين أيديهم ومن خلفهم ﴾ أراد بقوله من بين أيديهم

ومبشرين ومنذرين ، ورأوا ما أحل الله بأعدائه من النقم ، وما ألبس أولياءه من النعم ، ومع هذا ما آمنوا ولا صدقوا بل كذبوا وجحدوا وقالوا [لو شاء ربنا لأنزل ملائكة) أي لو أرسل الله رسلا لكانوا ملائكة من عنده [فانا بما أرسلتم به] أي أيها البشر (كافرون) أي لا نتبعكم وأنتم بشر مثلنا ، قال

الرسل الذين أرسلوا إلى آبائهم من قبلهم وما خلفهم يعني من بعد الرسل الذين أرسلوا الى آبائهم الذين أرسلوا اليهم هود وصالح، فالكناية في قوله من بين أيديهم راجعة الى عاد وثمود وفي قوله ومن خلفهم راجعة الى الرسل ﴿ أن لا ﴾ بان لا ﴿ تعبدوا الا الله قالوا لو شاء ربنا لانزل ﴾ بدل هؤلاء الرسل ﴿ ملائكة ﴾ أي لو شاء ربنا دعوة الخلق لأنزل ملائكة ﴿ فانا بما أرسلتم به كافرون ﴾

أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو اسحاق الثعلبي ثنا عبد الله بن حامد الاصفهاني ثنا أحمد بن محمد ابن يحيى العبيدي أنا أحمد بن نجدة بن العريان ثنا الحماني ثنا ابن فضيل عن الاجلح عن الذيال بن حرملة عن جابر بن عبد الله قال: قال الملأ من قريش وأبو جهل قد التبس علينا أمر محمد فلو التمستم رجلا عالما بالشعر والكهانة والسحر فأتاه فكلمه ثم أتانا ببيان من أمره، فقال عتبة بن ربيعة والله لقد سمعت الشعر والكهانة والسحر وعلمت من ذلك علما وما يخفى على ان كان كذلك فأتاه فلما خرج اليه قال يا محمد أنت خير أم هاشم؟ أنت خير أم عبد المطلب أنت خير أم عبد الله فبم تشتم آلهتنا وتضلل آباءنا؟ فان كنت تريد الرياسة عقدنا لك ألويتنا فكنت رأسا ما بقيت، وان كان بك الباءة زوجناك عشر نسوة تختار من أي بنات قريش وان كان بك المال جمعنا لك ما تستغني أنت وعقبك من بعدك ورسول الله ﷺ ساكت لا يتكلم فلما فرغ قرأ رسول الله ﷺ بسم الله الرحمن الرحيم * حم * تنزيل من الرحمن الرحيم * كتاب فصلت آياته - الى قوله - فان أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود) الآية فامسك عتبة على فيه وناشده بالرحم ورجع الى أهله ولم يخرج الى قريش فاحتبس عنهم ، فقال أبو جهل يا معشر قريش والله ما نرى عتبة الا قد صبأ الى دين محمد وقد أعجبه طعامه وما ذاك الا من حاجة أصابته فانطلقوا بنا اليه فانطلقوا اليه فقال أبو جهل والله يا عتبة ما حبسك عنا الا انك صبوت الى دين محمد وأعجبك طعامه فان كانت بك حاجة جمعنا لك من أموالنا ما يغنيك عن طعام محمد فغضب عتبة وأقسم أن لا يكلم محمدا أبدا وقال والله لقد علمتم أني من أكثر قريش مالا ولكني اتيته وقصصت عليه القصة فأجابني بشيء والله ما هو بشعر ولا كهانة ولا سحر وقرأ السورة الى قوله تعالى فان اعرضوا فقل انذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فأمسكت بفيه وناشدته بالرحم ان يكف وقد علمتم ان محمدا اذا قال شيئا لم يكذب فخفت ان ينزل بكم العذاب

وقال محمد بن كعب القرظي حدثت ان عتبة بن ربيعة كان سيداً حليما قال يوما وهو جالس في نادي قريش ورسول الله ﷺ جالس وحده في المسجد قال يا معشر قريش ألا أقوم الى محمد واكلمه وأعرض عليه أمورا لعله يقبل منا بعضها فنعطيه ويكف عنا وذلك حين أسلم حمزة ورأوا اصحاب رسول الله

الله تعالى (فأما عاد فاستكبروا في الارض) أي بغوا وعتوا وعصوا [وقالوا من أشد منا قوة؟] أي منوا بشدة تركيبهم وقواهم واعتقدوا انهم يمتنعون بها من بأس الله [أولم يروا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة؟] أي أفما يتفكرون فيمن يبارزون بالعداوة فانه العظيم الذي خلق الاشياء وركب فيها قواها الحاملة لها وان بطشه شديد كما قال عز وجل [والسماء بنيناها بأيد وإنا لموسعون] فبارزوا الجبار بالعداوة وجحدوا بآياته وعصوا رسله فلهذا قال [فأرسلنا عليهم ريحا صرصراً] قال بعضهم وهي الشديدة الهبوب ، وقيل الباردة ، وقيل هي التي لها صوت ، والحق انها متصفة بجميع ذلك فانها

ﷺ يزيدون ويكثرون فقالوا بلى يا ابا الوليد فقم اليه فكلمه فقام عتبة حتى جلس الى رسول الله ﷺ فقال يا ابن أخي إنك منا حيث علمت من البسطة في العشيرة والمكان في النسب، وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم فرقت جماعتهم ، وسفهت احلامهم ، وعبت آلهتهم ، وكفرت من مضى من آبائهم ،فاسمع مني اعرض عليك أموراً تنظر فيها فقال رسول الله ﷺ « قل يا أبا الوليد » فقال يا ابن أخي ان كنت إنما تريد بما جئت به مالا جمعنا لك من اموالنا حتى تكون اكثرنا مالا ، وان كنت تريد شرفا سودناك علينا ، وان كان هذا الذي بك رئيا تراه لا تستطيع رده طلبنا لك الطب ولعل هذا شعر جاش به صدرك فانكم لعمري بني عبد المطلب تقدرون من ذلك على مالا يقدر عليه غيركم حتى اذا فرغ ماعنده من سائر الامور التي يزعم أنها ترده عما يقول فقال له رسول الله ﷺ « أوقد فرغت يا أبا الوليد؟ » قال نعم قال « فاستمع مني » قال فافعل فقال ﷺ (بسم الله الرحمن الرحيم * حم * تنزيل من الرحمن الرحيم * كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا) ثم مضى فيها يقرأ فلما سمعها عتبة أنصت له والقى يديه خلف ظهره معتمداً عليهما يستمع منه حتى انتهى رسول الله ﷺ الى السجدة فسجد ثم قال « قد سمعت يا أبا الوليد فأنت وذاك » فقام عتبة الى اصحابه فقال بعضهم لبعض نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به، فلما جلس فيهم قالوا ماوراءك يا أبا الوليد فقال ورائي أني قد سمعت قولا والله ماسمعت بمثله قط ما هو بالشعر ولا السحر ولا الكهانة يامعشر قريش أطيعوني خلوا بين هذا الرجل وبين ماهو فيه واعتزلوه فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت نبأ فان تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم وان يظهر على العرب فملكه ملككم وعزه عزكم فأنتم أسعد الناس به، فقالوا سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه فقال هذا رأيي لكم فاصنعوا مابدا لكم

قوله عز وجل ﴿ فأما عاد فاستكبروا في الارض بغير الحق وقالوا من أشد منا قوة ﴾ وذلك أن هوداً هددهم بالعذاب فقالوا من أشد منا قوة ونحن نقدر على دفع العذاب عنا بفضل قوتنا وكانوا ذوي اجسام طوال

قال الله تعالى رداً عليهم ﴿ أولم يروا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة وكانوا بآياتنا يجحدون * فأرسلنا عليهم ريحا صرصراً ﴾ عاصفا شديدة الصوت من الصرة وهي الصيحة وقيل هي الباردة من

كانت ريحا شديدة قوية لتكون عقوبتهم من جنس ما اغتروا به من قواهم وكانت باردة شديدة البرد جداً كقوله تعالى (بريح صرصر عاتية) أي باردة شديدة وكانت ذات صوت مزعج، ومنه سمي النهر المشهور ببلاد المشرق صرصراً لقوة صوت جريه

وقوله تعالى (في أيام نحسات) أي متتابعات (سبع ليال وثمانية أيام حسوما) وكقوله (في يوم نحس مستمر) أي ابتدأوا بهذا العذاب في يوم نحس عليهم واستمر بهم هذا النحس (سبع ليال وثمانية أيام حسوما) حتى أبادهم عن آخرهم واتصل بهم خزي الدنيا بعذاب الآخرة ولهذا قال [لنذيقهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أخزى] أي أشد خزيا لهم [وهم لا ينصرون] أي في الاخرى كما لم ينصروا في الدنيا وما كان لهم من الله من واق يقيهم العذاب ويدرأ عنهم النكال

وقوله عز وجل [وأما ثمود فهديناهم] قال ابن عباس رضي الله عنهما وأبو العالية وسعيد بن جبير وقتادة والسدى وابن زيد : بينا لهم . وقال الثوري دعوناهم [فاستحبوا العمي على الهدى] أى بصرناهم وبينا لهم ووضحنا لهم الحق على لسان نبيهم صالح عليه الصلاة والسلام فخالفوه وكذبوه وعقروا ناقة الله تعالى التى جعلها آية وعلامة على صدق نبيهم [فأخذتهم صاعقة العذاب الهون] أى بعث الله عليهم صيحة ورجفة وذلا وهوانا وعذابا ونكالا [بما كانوا يكسبون] أى من التكذيب والجحود (ونجينا الذين آمنوا) أى من بين أظهرهم لم يمسهم سوء ولا نالهم من ذلك ضرر بل نجاهم الله تعالى مع نبيهم صالح عليه الصلاة والسلام بإيمانهم وتقواهم لله عز وجل

ويوم يُحشر أعداء الله الى النار فهم يوزعون (١٩) حتى اذا ماجاءوها شهد عليهم سمعهم وأبصٰرهم وجلودهم بما كانوا يعملون (٢٠) وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا؟ قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كلَّ شيء وهو خلقكم أول مرة واليه ترجعون (٢١) وما كنتم تستترون أن يشهد

الصر وهو البرد ﴿ في أيام نحسات ﴾ قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو ويعقوب نحسات بسكون الحاء وقرأ الآخرون بكسرها أي نكدات مشؤمات ذات نحوس، وقال الضحاك امسك الله عنهم المطر ثلاث سنين ودامت الرياح عليهم من غير مطر ﴿ لنذيقهم عذاب الخزي ﴾ أي عذاب الهون والذل ﴿ في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أخزى ﴾ أشد اهانة ﴿ وهم لا ينصرون * وأما ثمود فهديناهم ﴾ دعوناهم قاله مجاهد وقال ابن عباس بينا لهم سبيل الهدى وقيل دللناهم على الخير والشر كقوله (هديناه السبيل) ﴿ فاستحبوا العمى على الهدي ﴾ فاختاروا الكفر على الايمان ﴿ فأخذتهم صاعقة العذاب ﴾ أي مهلكة العذاب ﴿ الهون ﴾ اي ذي الهون أي الهوان وهو الذي يهينهم ويخزيهم ﴿ بما كانوا يكسبون * ونجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون * ويوم يحشر أعداء الله الى النار ﴾ قرأ نافع ويعقوب

عليكم سمعكم ولا أبصٰركم ولا جلودكم ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيراً مما تعملون (٢٢)

وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم فأصبحتم من الخٰسرين (٢٣) فان يصبروا فالنار مثوى

لهم وان يستعتبوا فما هم من المعتبين (٢٤)

يقول تعالى [ويوم يحشر أعداء الله الى النار فهم يوزعون] أي اذكر لهؤلاء المشركين يوم يحشرون الى النار يوزعون أي تجمع الزبانية أولهم على آخرهم كما قال تبارك وتعالى [ونسوق المجرمين الى جهنم وردا]أي عطاشا .

وقوله عز وجل [حتى اذا ماجاءوها] أى وقفوا عليها [شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون] أى بأعمالهم مما قدموه وأخروه لايكتم منه حرف [وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا؟] أى لاموا أعضاءهم وجلودهم حين شهدوا عليهم فعند ذلك اجابتهم الاعضاء [قالوا أنطقنا الله الذى انطق كل شيء وهو خلقكم أول مرة] أى فهو لايخالف ولا يمانع واليه ترجعون. قال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا محمد بن عبد الرحيم حدثنا علي بن قادم حدثنا شريك عن عبيد المكتب عن الشعبي عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال ضحك رسول الله ﷺ ذات يوم أو تبسم فقال ﷺ «ألا تسألوني عن أى شيء ضحكت ؟ » قالوا يارسول الله من أى شيء ضحكت ؟ قال ﷺ « عجبت من مجادلة العبد ربه يوم القيامة يقول أى رب أليس وعدتني أن لا تظلمني قال بلى فيقول فاني لا اقبل علي شاهداً إلا من نفسي فيقول الله تبارك وتعالى أوليس كفى بي شهيداً وبالملائكة الكرام الكاتبين؟ قال فيردد هذا الكلام مراراً قال فيختم على فيه وتتكلم اركانه بما كان يعمل، فيقول بعداً لكن وسحقاً عنكن كنت اجادل » ثم رواه هو وابن أبي حاتم من حديث ابي عامر الاسدي عن الثوري عن عبيد المكتب عن فضيل بن عمرو عن الشعبي ثم قال لا نعلم رواه عن أنس رضي الله عنه غير الشعبي وقد اخرجه مسلم والنسائي جميعاً عن أبي بكر ابن ابي النضر عن أبي النضر عن عبيد الله بن عبد الرحمن الاشجعي عن الثورى به، ثم قال النسائي لا أعلم أحداً رواه عن الثورى غير الاشجعي وليس كما قال كما رأيت والله اعلم. وقال ابن ابي حاتم حدثنا ابي حدثنا احمد بن ابراهيم حدثنا اسماعيل بن علية عن يونس بن عبيد عن حميد بن هلال قال قال ابو بردة قال ابو موسى: ويدعى الكافر والمنافق للحساب فيعرض عليه ربه عز وجل عمله فيجحد

نحشر بالنون أعداء، نصب وقرأ الآخرون بالياء ورفعها وفتح الشين أعداء رفع أى يجمع الى النار ﴿ فهم يوزعون ﴾ يساقون ويدفعون الى النار وقال قتادة والسدي يحبس أولهم على آخرهم ليتلاحقوا ﴿ حتى اذا ماجاؤها ﴾ جاؤا النار ﴿ شهد عليهم سمعهم وابصارهم وجلودهم ﴾ أى بشراتهم ﴿ بما كانوا يعملون ﴾ وقال السدى وجماعة المراد بالجلود الفروج وقال مقاتل تنطق جوارحهم بما كتمت الالسن من عملهم ﴿ وقالوا ﴾ يعني الكفار الذين يحشرون الى النار ﴿ لجلودهم لم شهدتم علينا ؟ قالوا أنطقنا الله الذى أنطق كل شيء ﴾ تم الكلام ههنا

ويقول أي رب وعزتك لقد كتب علي هذا الملك مالم أعمل . فيقول له الملك أما عملت في يوم كذا في مكان كذا ؟ فيقول لا وعزتك أى رب ماعملته . قال فاذا فعل ذلك ختم على فيه ، قال الاشعرى رضي الله عنه فاني لأحسب اول ماينطق منه فخذه اليمنى . وقال الحافظ ابو يعلي حدثنا زهير حدثنا حسن عن ابن لهيعة قال دراج عن ابي الليث عن ابي سعيد الخدرى رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال «اذا كان يوم القيامة عرف الكافر بعمله فجحد وخاصم فيقول هؤلاء جيرانك يشهدون عليك فيقول كذبوا فيقول اهلك عشيرتك فيقول كذبوا فيقول احلفوا فيحلفون ثم يصمتهم الله تعالى وتشهد عليهم ألسنتهم ويدخلهم النار» وقال ابن ابي حاتم وحدثنا ابي حدثنا احمد بن ابراهيم حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث قال سمعت ابي يقول حدثنا علي بن زيد عن مسلم بن صبيح أبي الضحى عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال لابن الازرق ان يوم القيامة إني على الناس منه حين لا ينطقون ولا يعتذرون ولا يتكلمون حتى يؤذن لهم ثم يؤذن لهم فيختصمون فيجحد الجاحد بشركه بالله تعالى فيحلفون له كما يحلفون لكم فيبعث الله تعالى عليهم حين يجحدون شهداء من انفسهم جلودهم وأبصارهم وأيديهم وأرجلهم ويختم على افواههم ثم يفتح لهم الافواه فتخاصم الجوارح فتقول (أنطقنا الله الذى أنطق كل شيء وهو خلقكم أول مرة واليه ترجعون) فتقر الالسنة بعد الجحود . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عبدة بن سليمان حدثنا ابن المبارك حدثنا صفوان بن عمرو عن عبد الرحمن بن جبير الحضرمي عن رافع أبي الحسن قال وصف رجلا جحد قال فيشير الله تعالى الى لسانه فيربو في فمه حتي يملأه فلا يستطيع أن ينطق بكلمة ثم يقول لآرابه كلها تكلمي واشهدي عليه فيشهد عليه سمعه وبصره وجلده وفرجه ويداه ورجلاه صنعنا عملنا فعلنا، وقد تقدم أحاديث كثيرة وآثار عند قوله تعالى في سورة يس (اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون) بما أغنى عن إعادته ههنا ، وقال ابن ابي حاتم حدثنا أبي حدثنا سويد بن سعيد حدثنا يحيى بن سليم الطائفي عن أبي خيثم عن ابي الزبير عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال لما رجعت الى رسول الله ﷺ مهاجرة البحر قال « ألا تحدثون بأعاجيب مارأيتم بأرض الحبشة؟ » فقال فتية منهم بلى يارسول الله بينما نحن جلوس إذ مرت علينا عجوز من عجائز رهابينهم تحمل على رأسها قلة من ماء فمرت بفتى منهم فجعل إحدى يديه بين كتفيها ثم دفعها فخرت على ركبتيها فانكسرت قلتها فلما ارتفعت التفتت اليه فقالت سوف تعلم ياغدر اذا وضع الله الكرسي وجمع الاولين والآخرين وتكلمت الايدي والارجل بما كانوا يكسبون فسوف تعلم كيف أمري وأمرك عنده غدا ؟ قال يقول رسول الله ﷺ «صدقت صدقت كيف يقدس الله قوما لايؤخذ لضعيفهم من شديدهم » هذا حديث غريب من هذا الوجه ورواه ابن أبي الدنيا في كتاب الاهوال حدثنا اسحاق بن ابراهيم حدثنا يحيى بن سليم به

وقال الله تعالى ﴿ وهو خلقكم أول مرة ﴾ وليس هذا من جواب الجلود ﴿ واليه ترجعون * وما

وقوله تعالى [وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم] أي تقول لهم الاعضاء والجلود حين يلومونها على الشهادة عليهم ما كنتم تكتمون منا الذي كنتم تفعلونه بل كنتم تجاهرون الله بالكفر والمعاصي ولا تبالون منه في زعمكم لانكم كنتم لا تعتقدون انه يعلم جميع أفعالكم ولهذا قال تعالى (ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيراً مما تعملون * وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم) أي هذا الظن الفاسد وهو اعتقادكم أن الله تعالى لا يعلم كثيراً مما تعملون هو الذي أتلفكم وأرداكم عند ربكم (فأصبحتم من الخاسرين) أي في مواقف القيامة خسرتم أنفسكم وأهليكم

قال الامام أحمد حدثنا أبو معاوية حدثنا الاعمش عن عمار عن عبد الرحمن بن يزيد عن عبدالله رضي الله عنه قال كنت مستتراً بأستار الكعبة فجاء ثلاثة نفر قرشي وختناه ثقفيان — أو ثقفي وختناه قرشيان — كثير شحم بطونهم، قليل فقه قلوبهم فتكلموا بكلام لم أسمعه فقال أحدهم : أترون أن الله يسمع كلامنا هذا ؟ فقال الآخر إنا إذا رفعنا أصواتنا سمعه وإذا لم نرفعه لم يسمعه، فقال الآخر ان سمع منه شيئا سمعه كله — قال — فذكرت ذلك للنبي ﷺ فأنزل الله عز وجل (وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم - إلى قوله - من الخاسرين) وهكذا رواه الترمذي عن هناد عن أبي معاوية باسناده نحوه، وأخرجه أحمد ومسلم والترمذي أيضا من حديث سفيان الثوري من الاعمش عن عمارة بن عمير عن وهب بن ربيعة عن عبد الله بن مسعود بنحوه، ورواه البخاري ومسلم أيضا من حديث السفيانين كلاهما عن منصور عن مجاهد عن أبي معمر عبدالله بن سخبرة عن ابن مسعود رضي الله عنه به

وقال عبد الرزاق حدثنا معمر عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ في قوله تعالى [أن يشهد عليكم سمعكم ولا ابصاركم ولا جلودكم] قال « إنكم تدعون يوم القيامة مفدما على

كنتم تستترون ﴾ أي تستخفون عند أكثر أهل العلم وقال مجاهد تتقون وقال قتادة تظنون ﴿ أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيراً مما تعملون ﴾

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا احمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل ثنا الحميدي أنا سفيان أنا منصور عن مجاهد عن أبي معمر عن عبد الله بن مسعود قال اجتمع عند البيت ثقفيان وقرشي أو قرشيان وثقفي كثير شحم بطونهم قليل فقه قلوبهم فقال أحدهم أترون أن الله يسمع مانقول؟ قال الآخر يسمع ان جهرنا ولا يسمع ان اخفينا وقال الآخر ان كان يسمع اذا جهرنا فانه يسمع اذا اخفينا فانزل الله تعالى (وما كنتم تستترون * أن يشهد عليكم سمعكم ولا ابصاركم ولا جلودكم ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيراً مما تعملون) قيل الثقفي عبد ياليل وختناه القرشيان ربيعة وصفوان بن أمية

قوله تعالى ﴿ وذلك ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم ﴾ أهلككم أي ظنكم ان الله لا يعلم كثيرا مما تعملون أرداكم قال ابن عباس طرحكم في النار ﴿ فأصبحتم من الخاسرين ﴾

افواهكم بالفدام فأول شيء يبين عن احدكم فخذه وكفه » قال معمر : وتلا الحسن [وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم] ثم قال قال رسول الله ﷺ « قال الله تعالى انا مع عبدي عند ظنه بي وأنا معه إذا دعاني » ثم افتر الحسن ينظر في هذا فقال : ألا انما عمل الناس على قدر ظنونهم بربهم فأما المؤمن فأحسن الظن بربه فأحسن العمل ، وأما الكافر والمنافق فأساءا الظن بالله فأساءا العمل ثم قال : قال الله تبارك وتعالى [وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا ابصاركم ـ الى قوله ـ وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم] الآية

وقال الامام احمد حدثنا النضر بن اسماعيل القاص وهو أبو المغيرة حدثنا ابن أبي ليلى عن ابي الزبير عن جابر رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « لا يموتن احدمنكم إلا وهو يحسن بالله الظن فان قوما قد أرداهم سوءظنهم بالله فقال الله تعالى [وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم ارداكم فأصبحتم من الخاسرين] وقوله تعالى [فان يصبروا فالنار مثوى لهم وان يستعتبوا فما هم من المعتبين] اي سواء عليهم صبروا ام لم يصبروا هم في النار لا محيد لهم عنها ولا خروج لهم منها ، وان طلبوا ان يستعتبوا ويبدوا اعذاراً فما لهم اعذار ولا تقال لهم عثرات

قال ابن جرير : ومعنى قوله تعالى [وان يستعتبوا] اي يسألوا الرجعة الى الدنيا فلا جواب لهم قال وهذا كقوله تعالى إخبارا عنهم [قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين * ربنا اخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون * قالوا اخسئوا فيها ولا تكلمون]

وقيضنا لهم قرناء فزينوا لهم ما بين أيديهم وما خلفهم وحقّ عليهم القول في أمم قد خلت من قبلهم من الجن والانس انهم كانوا خاسرين (٢٥) وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون (٢٦) فلنذيقن الذين كفروا عذابا شديدا ولنجزينهم أسوأ الذى كانوا يعملون (٢٧) ذلك جزاء أعداء الله النار لهم فيها دار الخلد جزاء بما كانوا بآيتنا يجحدون (٢٨) وقال الذين كفروا ربنا أرنا الذين أضلانا من الجن والانس نجعلهما تحت أقدامنا ليكونا من الاسفلين (٢٩)

ثم اخبر عن حالهم فقال ﴿ فان يصبروا فالنار مثوى لهم ﴾ مسكن لهم ﴿ وان يستعتبوا ﴾ يسترضوا ويطلبوا العتبى ﴿ فما هم من المعتبين ﴾ المرضين والمعتب الذي قبل اعتابه واجيب الى ماسأل يقال اعتبني فلان أي ارضاني بعد اسخاطه اياي واستعتبته طلبت منه ان يعتب أن يرضى

قوله تعالى ﴿ وقيضنا لهم ﴾ أي بعثنا ووكلنا وقال مقاتل هيأنا وقال الزجاج سببنا لهم ﴿ قرناء ﴾

يذكر تعالى انه هو الذي أضل المشركين وان ذلك بمشيئته وكونه وقدرته وهو الحكيم في أفعاله بما قيض لهم من القرناء من شياطين الانس والجن (فزينوا لهم مابين أيديهم وما خلفهم) أى حسنوا لهم أعمالهم في الماضي وبالنسبة إلى المستقبل فلم يروا أنفسهم إلا محسنين كما قال تعالى (ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهوله قرين * وانهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون انهم مهتدون)

وقوله تعالى [وحق عليهم القول] أي كلمة العذاب كما حق على أمم قد خلت من قبلهم ممن فعل كفعلهم من الجن والانس انهم كانوا خاسرين أي استووا هم واياهم في الخسار والدمار

وقوله تعالى [وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن] أي تواصوا فيما بينهم أن لا يطيعوا للقرآن ولا ينقادوا لأوامره [والغوا فيه] أي اذا تلي لا تسمعوا له كما قال مجاهد والغوا فيه يعني بالمكاء والصفير والتخليط في المنطق على رسول الله ﷺ اذا قرأ القرآن قريش تفعله ، وقال الضحاك عن ابن عباس [والغوا فيه] عيبوه ، وقال قتادة اجحدوا به وأنكروه وعادوه (لعلكم تغلبون) هذا حال هؤلاء الجهلة من الكفار ومن سلك مسلكهم عند سماع القرآن وقد أمر الله سبحانه وتعالى عباده المؤمنين بخلاف ذلك فقال تعالى [واذا قرىء القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون]

ثم قال عز وجل منتصراً ومنتقما ممن عاداه من أهل الكفران [فلنذيقن الذين كفروا عذابا شديدا] أي في مقابلة ما اعتمدوه في القرآن وعند سماعه [ولنجزينهم أسوأ الذي كانوا يعملون] أى بشر أعمالهم وسيء أفعالهم [ذلك جزاء أعداء الله النار لهم فيها دار الخلد جزاء بما كانوا بآياتنا يجحدون * وقال الذين كفروا ربنا أرنا الذين أضلانا من الجن والانس نجعلهما تحت أقدامنا ليكونا

نظراء من الشياطين حتى اضلوهم ﴿ فزينوا لهم مابين ايديهم ﴾ من امر الدنيا حتى آثروه على الآخرة ﴿ وماخلفهم ﴾ من أمر الاخرة فدعوهم الى التكذيب به وانكار البعث ﴿ وحق عليهم القول في أمم ﴾ مع أمم ﴿ قد خلت من قبلهم من الجن والانس انهم كانوا خاسرين وقال الذين كفروا ﴾ من مشركي قريش ﴿ لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه ﴾ قال ابن عباس يعني الغطوا فيه وكان بعضهم يوصي الى بعض اذا رأيتم محمداً يقرأ فعارضوه بالرجز والشعر واللغو

قال مجاهد والغوا فيه بالمكاء والصفير . وقال الضحاك أكثروا الكلام فيختلط عليه ما يقول وقال السدي صيحوا في وجهه ﴿ لعلكم تغلبون ﴾ محمداً على قراءته ﴿ فلنذيقن الذين كفروا عذابا شديداً ولنجزينهم أسوأ الذى ﴾ يعني بأسوأ الذى أى بأقبح الذى ﴿ كانوا يعملون ﴾ في الدنيا وهو الشرك بالله ﴿ ذلك ﴾ الذي ذكرت من العذاب الشديد ﴿ جزاء أعداء الله ﴾ ثم بين ذلك الجزاء فقال ﴿ النار ﴾ أي هو النار ﴿ لهم فيها ﴾ أي في النار ﴿ دار الخلد ﴾ دار الاقامة لا انتقال منها ﴿ جزاء بما كانوا بآياتنا يجحدون * وقال الذين كفروا ﴾ أي في النار يقولون ﴿ ربنا أرنا الذين أضلانا من الجن والانس ﴾ يعنون ابليس وقابيل بن آدم الذي قتل أخاه لانهما سنا المعصية

من الاسفلين] قال سفيان الثوري عن سلمة بن كهيل عن مالك بن الحصين الفزارى عن أبيه عن علي رضي الله عنه في قوله تعالي [اللذين أضلانا] قال ابليس وابن آدم الذى قتل أخاه . وهكذا روى العوفي عن علي رضي الله عنه مثل ذلك

وقال السدى عن علي رضي الله عنه فابليس يدعو به كل صاحب شرك وابن آدم يدعو به كل صاحب كبيرة فابليس الداعي إلى كل شر من شرك فما دونه وابن آدم الاول كما ثبت في الحديث « ماقتلت نفس ظلما إلا كان على ابن آدم الاول كفل من دمها » لانه أول من سن القتل . وقولهم [نجعلهما تحت أقدامنا] أى أسفل منا في العذاب ليكونا أشد عذابا منا ولهذا قالوا [ليكونا من الاسفلين] أى في الدرك الاسفل من النار كما تقدم في الاعراف في سؤال الاتباع من الله تعالى أن يعذب قادتهم أضعاف عذابهم [قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون] أى انه تعالى قد أعطى كلا منهم مايستحقه من العذاب والنكال بحسب عمله وافساده كما قال تعالى [الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون]

(ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقموا تتنزل عليهم الملئكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون (٣٠) نحن أولياؤكم في الحيوة الدنيا وفي الآخرة ولكم فيها ماتشتهي أنفسكم ولكم فيها ماتدعون (٣١) نزلا من غفور رحيم (٣٢)

يقول تعالى [ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا] أى أخلصوا العمل لله وعملوا بطاعة الله تعالى على ماشرع الله لهم، قال الحافظ أبو يعلى الموصلي حدثنا الجراح حدثنا مسلم بن قتيبة أبو قتيبة الشعيري ثنا سهل بن أبي حازم حدثنا ثابت عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قرأ علينا رسول الله ﷺ هذه الآية [إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا] قد قالها ناس ثم كفر أكثرهم فمن قالها حتى يموت فقد استقام عليها ، وكذا رواه النسائي في تفسيره والبزار وابن جرير عن عمرو بن علي الفلاس عن مسلم بن قتيبة به . وكذا رواه ابن أبي حاتم عن أبيه عن الفلاس به

ثم قال ابن جرير حدثنا ابن بشار حدثنا عبد الرحمن حدثنا سفيان عن أبي اسحاق عن عامر بن سعيد عن سعيد بن عمران قال : قرأت عند أبي بكر الصديق رضي الله عنه هذه الآية [إن الذين

﴿ نجعلهما تحت أقدامنا ﴾ في النار ﴿ ليكونا من الاسفلين ﴾ ليكونا في الدرك الاسفل من النار قال ابن عباس ليكونا أشد عذابا منا

قوله عز وجل ﴿ ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا ﴾ سئل ابو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه

قالوا ربنا الله ثم استقاموا] قال هم الذين لم يشركوا بالله شيئا . ثم روى من حديث الاسود بن هلال قال : قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه ماتقولون في هذه الآية [إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا) قال فقالوا (ربنا الله ثم استقاموا) من ذنب فقال لقد حملتموها على غير المحمل قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلم يلتفتوا الى إله غيره . وكذا قال مجاهد وعكرمة والسدي وغير واحد

وقال ابن أبي حاتم حدثنا ابو عبدالله الظهراني أخبرنا حفص بن عمر العقدى عن الحكم بن أبان عن عكرمة قال سئل ابن عباس رضي الله عنهما أى آية في كتاب الله تبارك وتعالى أرخص ؟ قال قوله تعالى [إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا] على شهادة أن لا إله إلا الله ، وقال الزهري تلا عمر رضي الله عنه هذه الآية على المنبر ثم قال استقاموا والله لله بطاعته ولم يروغوا روغان الثعالب

وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما [قالوا ربنا الله ثم استقاموا] على اداء فرائضه ، وكذا قال قتادة قال وكان الحسن يقول اللهم أنت ربنا فارزقنا الاستقامة ، وقال أبو العالية [ثم استقاموا] أخلصوا له الدين والعمل

وقال الامام أحمد حدثنا هشيم حدثنا يعلى بن عطاء عن عبد الله بن سفيان الثقفي عن أبيه أن رجلا قال يارسول الله مرني بأمر في الاسلام لا أسأل عنه أحداً بعدك قال ﷺ « قل آمنت بالله ثم استقم » قلت فما أتقي فأومأ الى لسانه . ورواه النسائي من حديث شعبة عن يعلى بن عطاء به

ثم قال الامام احمد حدثنا يزيد بن هارون أخبرنا ابراهيم بن سعد حدثني ابن شهاب عن عبدالرحمن ابن ماعز الغامدي عن سفيان بن عبد الله الثقفي قال قلت يارسول الله حدثني بامر أعتصم به قال قال ﷺ « قل ربي الله ثم استقم - قلت يارسول الله ما أكثر ما تخاف علي فأخذ رسول الله ﷺ بطرف لسان نفسه ثم قال - هذا » وهكذا رواه الترمذي وابن ماجه من حديث الزهري به وقال الترمذي حسن صحيح . وقد أخرجه مسلم في صحيحه والنسائي من حديث هشام بن عروة عن أبيه عن سفيان ابن عبد الله الثقفي قال قلت يارسول الله قل لي في الاسلام قولا لا أسأل عنه أحداً بعدك قال ﷺ « قل آمنت بالله ثم استقم » وذكر تمام الحديث

عن الاستقامة فقال أن لا تشرك بالله شيئا : وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : الاستقامة أن تستقيم على الامر والنهي ولا تروغ روغان الثعلب ، وقال عثمان بن عفان رضي الله عنه أخلصوا العمل لله ، وقال علي رضي الله عنه أدوا الفرائض ، وقال ابن عباس استقاموا على أداء الفرائض ، وقال الحسن استقاموا على أمر الله تعالى فعملوا بطاعته واجتنبوا معصيته ، وقال مجاهد وعكرمة استقاموا على شهادة أن لا إله إلا الله حتى لحقوا بالله ، وقال مقاتل استقاموا على المعرفة ولم يرتدوا ، وقال قتادة كان الحسن اذا تلا هذه الآية قال اللهم أنت ربنا فارزقنا الاستقامة .

وقوله تعالى [تتنزل عليهم الملائكة] قال مجاهد والسدي وزيد بن أسلم وابنه يعنى عند الموت قائلين (أن لا تخافوا) قال مجاهد وعكرمة وزيد بن أسلم أي مما تقدمون عليه من أمر الآخرة (ولا تحزنوا) على ما خلفتموه من أمر الدنيا من ولد وأهل ومال أو دين فانا نخلفكم فيه [وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون] فيبشرونهم بذهاب الشر وحصول الخير : وهذا كما جاء في حديث البراء رضي الله عنه قال « ان الملائكة تقول لروح المؤمن اخرجي أيتها الروح الطيبة في الجسد الطيب كنت تعمرينه اخرجي الى روح وريحان ورب غير غضبان » وقيل ان الملائكة تتنزل عليهم يوم خروجهم من قبورهم حكاه بن جرير عن ابن عباس والسدي

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا ابو زرعة حدثنا عبد السلام بن مطهر حدثنا جعفر بن سليمان قال سمعت ثابتا قرأ سورة حم السجدة حتى بلغ [ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة] فوقف فقال بلغنا ان العبد المؤمن حين يبعثه الله تعالى من قبره يتلقاه الملكان اللذان كانا معه في الدنيا فيقولان له لا تخف ولا تحزن (وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون) قال فيؤمن الله تعالى خوفه ويقر عينه فما عظيمة يخشى الناس يوم القيامة إلا هي للمؤمن قرة عين لما هداه الله تبارك وتعالى ولما كان يعمل في الدنيا وقال زيد بن أسلم يبشرونه عند موته وفي قبره وحين يبعث . رواه ابن أبي حاتم ، وهذا القول يجمع الاقوال كلها وهو حسن جداً وهو الواقع

وقوله تبارك وتعالى (نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة) أي تقول الملائكة للمؤمنين عند الاحتضار نحن كنا أولياءكم أي قرناءكم في الحياة الدنيا نسددكم ونوفقكم ونحفظكم بأمر الله وكذلك نكون معكم في الآخرة نؤنس منكم الوحشة في القبور وعند النفخة في الصور ونؤمنكم يوم البعث والنشور ونجاوز بكم الصراط المستقيم ونوصلكم الى جنات النعيم (ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم) أي في الجنة من جميع ما تختارون مما تشتهيه النفوس وتقر به العيون (ولكم فيها ماتدعون) أي مهما طلبتم وجدتم وحضر بين أيديكم كما اخترتم (نزلا من غفور رحيم) أي ضيافة وعطاء وانعاما من غفور لذنوبكم رحيم بكم رؤف حيث غفر وستر ورحم ولطف.

قوله عز وجل ﴿ تتنزل عليهم الملائكة ﴾ قال ابن عباس عند الموت ، وقال قتادة ومقاتل اذا قاموا من قبورهم ، قال وكيع بن الجراح البشرى تكون في ثلاث مواطن عند الموت وفي القبر وعند البعث ﴿ أن لا تخافوا ﴾ من الموت قال مجاهد لا تخافوا على ما تقدمون عليه من أمر الاخرة ﴿ ولا تحزنوا ﴾ على ماخلفتم من أهل وولد فانا نخلفكم في ذلك كله وقال عطاء بن أبي رباح لا تخافوا ولا تحزنوا على ذنوبكم فاني أغفرها لكم ﴿ وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون * نحن اولياؤكم ﴾ تقول لهم الملائكة الذين تنزل عليهم بالبشارة نحن اولياؤكم أنصاركم وأحباؤكم ﴿ في الحياة الدنيا وفي الآخرة ﴾ أي في الدنيا والآخرة وقال السدي تقول الملائكة نحن الحفظة الذين كنا معكم في الدنيا ونحن

وقد ذكر ابن أبي حاتم ههنا حديث سوق الجنة عند قوله تعالى ﴿ ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم فيها ما تدعون نزلا من غفور رحيم ﴾ فقال حدثنا أبي ثنا هشام بن عمار ثنا عبدالحميد بن حبيب ابن أبي العشرين أبو سعيد حدثنا الاوزاعي حدثني حسان بن عطية عن سعيد بن المسيب انه لقي أبا هريرة رضي الله عنه فقال أبو هريرة رضي الله عنه اسأل الله أن يجمع بيني وبينك في سوق الجنة فقال سعيد أوفيها سوق؟ فقال نعم أخبرني رسول الله ﷺ ان أهل الجنة اذا دخلوا فيها نزلوا بفضل أعمالهم فيؤذن لهم في مقدار يوم الجمعة من أيام الدنيا فيزورون الله عز وجل ويبرز لهم عرشه ويتبدى لهم في روضة من رياض الجنة ويوضع لهم منابر من نور ومنابر من لؤلؤ ومنابر من ياقوت ومنابر من زبرجد ومنابر من ذهب ومنابر من فضة ويجلس أدناهم وما فيهم دني على كثبان المسك والكافور ما يرون ان أصحاب الكراسي بأفضل منهم مجلسا . قال أبو هريرة رضي الله قلت يارسول الله وهل نرى ربنا قال ﷺ «نعم ، هل تمارون في رؤية الشمس والقمر ليلة البدر؟» قلنا لا : قال ﷺ «فكذلك لا تمارون في رؤية ربكم تعالى ولا يبقى في ذلك المجلس أحد الا حاضره الله محاضرة حتى انه ليقول للرجل منهم يافلان ابن فلان أتذكر يوم عملت كذا وكذا يذكره ببعض غدراته في الدنيا . فيقول أي رب أفلم تغفر لي فيقول بلى ، فبسعة مغفرتي بلغت منزلتك هذه - قال - فبينما هم على ذلك غشيتهم سحابة من فوقهم فأمطرت عليهم طيبا لم يجدوا مثل ريحه شيئا قط - قال - ثم يقول ربنا عز وجل قوموا الى ما أعددت لكم من الكرامة وخذوا ما اشتهيتم » قال فنأتي سوقا قد حفت به الملائكة فيها ما لم تنظر العيون إلى مثله ولم تسمع الآذان ولم يخطر على القلوب قال فيحمل لنا ما اشتهينا ليس يباع فيه شيء ولا يشترى وفي ذلك السوق يلقى أهل الجنة بعضهم بعضا . قال فيقبل الرجل ذو المنزلة الرفيعة فيلقى من هو دونه وما فيهم دني فيروعه ما يرى عليه من اللباس فما ينقضي آخر حديثه حتى يتمثل عليه أحسن منه وذلك لانه لا ينبغي لاحد أن يحزن فيها ثم ننصرف الى منازلنا فيتلقانا أزواجنا فيقلن مرحبا وأهلا بحبيبنا لقد جئت وان بك من الجمال والطيب أفضل مما فارقتنا عليه فيقول انا جالسنا اليوم ربنا الجبار تبارك وتعالى ويحقنا أن ننقلب بمثل ما انقلبنا به . وقد رواه الترمذي في صفة الجنة من جامعه عن محمد بن اسماعيل عن هشام ابن عمار ورواه ابن ماجه عن هشام بن عمار بنحوه . ثم قال الترمذي هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه

وقال الامام احمد حدثنا ابن أبي عدي عن حميد عن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ «من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه» قلنا يارسول الله كلنا نكره الموت قال ﷺ « ليس ذلك كراهية الموت ولكن المؤمن اذا حضر جاءه البشير من الله تعالى بما هو

أوليائكم في الآخرة يقولون لانفارقكم حتى تدخلوا الجنة ﴿ ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ﴾ من الكرامات واللذات ﴿ ولكم فيها ﴾ في الجنة ﴿ ماتدعون ﴾ تتمنون ﴿ نزلا ﴾ رزقا ﴿ من غفور رحيم ﴾

صائر اليه فليس ذلك أحب اليه من أن يكون قد لقي الله تعالى فأحب الله لقاءه قال وان الفاجر أو الكافر اذا حضر جاءه بما هو صائر اليه من الشر أو ما يلقى من الشر فكره لقاء الله فكره الله لقاءه» وهذا حديث صحيح وقد ورد في الصحيح من غير هذا الوجه

ومن أحسنُ قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال إنني من المسلمين (٣٣) ولا تستوي الحسنةُ ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسنُ فاذا الذى بينك وبينه عداوةٌ كأنه ولي حميم (٣٤) وما يُلقَّاها الا الذين صبروا وما يُلقاها الا ذو حظ عظيم (٣٥) واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه هو السميعُ العليمُ (٣٦)

يقول عز وجل (ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله) أى دعا عباد الله اليه (وعمل صالحا وقال انني من المسلمين) أي وهو في نفسه مهتد بما يقوله فنفعه لنفسه ولغيره لازم ومتعد وليس هو من الذين يأمرون بالمعروف ولا يأتونه وينهون عن المنكر ويأتونه بل يأتمر بالخير ويترك الشر ويدعو الخلق الى الخالق تبارك وتعالى وهذه عامة في كل من دعا الى خير وهو في نفسه مهتد ورسول الله ﷺ أولى الناس بذلك كما قال محمد بن سيرين والسدي وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم، وقيل المراد بها المؤذنون الصلحاء كما ثبت في صحيح مسلم «المؤذنون أطول الناس أعناقا يوم القيامة» وفي السنن مرفوعا «الامام ضامن والمؤذن مؤتمن فأرشد الله الائمة وغفر للمؤذنين»

وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا محمد بن عروة الهروي حدثنا غسان قاضي هراة وقال أبو زرعة حدثنا ابراهيم بن سهمان عن مطر عن الحسن عن سعد بن أبي وقاص رضى الله عنه انه قال «سهام المؤذنين عند الله تعالى يوم القيامة كسهام المجاهدين وهو بين الاذان والاقامة كالمتشحط في سبيل

قوله عز وجل ﴿ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله﴾ الى طاعته ﴿وعمل صالحا وقال إنني من المسلمين﴾ قال ابن سيرين والسدي هو رسول الله ﷺ دعا الى شهادة أن لا إله إلا الله وقال الحسن هو المؤمن الذي أجاب الله في دعوته ودعا الناس الى ما أجاب اليه وعمل صالحا في اجابته وقال إنني من المسلمين وقالت عائشة أرى هذه الآية نزلت في المؤذنين وقال عكرمة هو المؤذن وقال أبو امامة الباهلي وعمل صالحا صلى ركعتين بين الأذان والاقامة وقال قيس بن أبي حازم هو الصلاة بين الاذان والاقامة

أخبرنا أبو سعيد احمد بن محمد بن العباس الحميدي أنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحافظ ثنا أبو عبد الله الحسين بن الحسن بن أيوب الطوسي ثنا أبو يحيى بن أبي ميسرة ثنا عبد الله بن يزيد المقري ثنا كهمس بن الحسن عن عبد الله بن بريدة عن عبد الله بن مغفل قال: قال رسول الله ﷺ «بين كل أذانين صلاة ثلاث مرات - ثم قال في الثالثة - لمن شاء»

الله تعالى في دمه »قال وقال ابن مسعود رضي الله عنه لو كنت مؤذنا ما باليت أن لا أحج ولا أعتمر ولا أجاهد قال وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لو كنت مؤذنا لكمل أمري وما باليت أن لا أنتصب لقيام الليل ولا لصيام النهار سمعت رسول الله ﷺ « يقول اللهم اغفر للمؤذنين ثلاثا» فقلت يارسول الله تركتنا ونحن نجتلد على الاذان بالسيوف قال ﷺ « كلا ياعمر انه سيأتي على الناس زمان يتركون الاذان على ضعفائهم وتلك لحوم حرمها الله عز وجل على النار لحوم المؤذنين » قال وقالت عائشة رضي الله تعالى عنها ولهم هذه الآية (ومن أحسن قولا ممن دعى الى الله وعمل صالحا وقال انني من المسلمين) قالت فهو المؤذن اذا قال حي على الصلاة فقد دعا الى الله وهكذا قال ابن عمر رضي الله عنهما وعكرمة انها نزلت في المؤذنين

وقد ذكر البغوي عن أبي امامة الباهلي رضي الله عنه أنه قال في قوله عز وجل وعمل صالحا يعني صلاة ركعتين بين الاذان والاقامة . ثم أورد البغوي حديث عبد الله بن المغفل رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « بين كل أذانين صلاة ـ ثم قال في الثالثة ـ ان شاء »وقد أخرجه الجماعة في كتبهم من حديث عبد الله بن بريدة عنه وحديث الثورى عن زيد العمى عن أبي إياس معاوية بن قرة عن أنس ابن مالك رضي الله عنه قال الثورى لا أراه الا قد رفعه الى النبي ﷺ « الدعاء لا يرد بين الاذان والاقامة »ورواه أبو داود والترمذى والنسائي في اليوم والليلة كلهم من حديث الثورى به وقال الترمذى هذا حديث حسن ،ورواه النسائي أيضا من حديث سليمان التيمي عن قتادة عن أنس به ، والصحيح ان الآية عامة في المؤذنين وفي غيرهم فاما حال نزول هذه الآية فانه لم يكن الاذان مشروعا بالكلية لانها مكية والاذان انما شرع بالمدينة بعد الهجرة حين أريه عبد الله بن زيد بن عبد ربه الانصارى رضي الله عنه في منامه فقصه على رسول الله ﷺ فأمره أن يلقيه على بلال رضي الله عنه فانه أندى صوتا كما هو مقرر في موضعه

فالصحيح إذن أنها عامة كما قال عبد الرزاق عن معمر عن الحسن البصري انه تلا هذه الآية (ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال انني من المسلمين) فقال هذا حبيب الله هذا ولي الله هذا صفوة الله هذا خيرة الله هذا أحب أهل الارض الى الله أجاب الله في دعوته ودعا الناس الى ما أجاب الله فيه من دعوته وعمل صالحا في اجابته وقال انني من المسلمين هذا خليفة الله

وقوله تعالى (ولا تستوي الحسنة ولا السيئة) أي فرق عظيم بين هذه وهذه (ادفع بالتي هي

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أبو منصور السمعاني ثنا أبو جعفر الرياني ثنا حميد بن زنجويه ثنا محمد بن يوسف ثنا سفيان عن زيد العمي عن أبي اياس معاوية بن قرة عن أنس بن مالك قال سفيان لا اعلمه إلا وقد رفعه الى النبي ﷺ قال « لا يرد الدعاء بين الأذان والاقامة »

قوله عز وجل ﴿ ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ﴾ قال الفراء لا هنا صلة معناه ولا تستوي الحسنة

أحسن) أي من أساء اليك فادفعه عنك بالاحسان اليه كما قال عمر رضي الله عنه: ماعاقبت من عصى الله فيك بمثل أن تطيع الله فيه.

وقوله عز وجل (فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم) وهو الصديق أى اذا أحسنت الى من أساء اليك قادته تلك الحسنة اليه الى مصافاتك ومحبتك والحنو عليك حتى يصير كأنه ولي لك حميم أى قريب اليك من الشفقة عليك والاحسان اليك ثم قال عز وجل (وما يلقاها إلا الذين صبروا) أى وما يقبل هذه الوصية ويعمل بها إلا من صبر على ذلك فانه يشق على النفوس (وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم) أى ذو نصيب وافر من السعادة في الدنيا والآخرة، قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في تفسير هذه الآية: أمر الله المؤمنين بالصبر عند الغضب والحلم عند الجهل والعفو عند الاساءة فاذا فعلوا ذلك عصمهم الله من الشيطان وخضع لهم عدوهم كأنه ولي حميم.

وقوله تعالى [وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله] أى ان شيطان الانس ربما ينخدع بالاحسان اليه فأما شيطان الجن فانه لا حيلة فيه اذا وسوس إلا الاستعاذة بخالقه الذى سلطه عليك فاذا استعذت بالله والتجأت اليه كفه عنك ورد كيده، وقد كان رسول الله ﷺ اذا قام الى الصلاة يقول «أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه» وقد قدمنا ان هذا المقام لا نظير له في القرآن إلا في سورة الاعراف عند قوله تعالى [خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين * فاما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه سميع عليم] وفي سورة المؤمنين عند قوله [ادفع بالتي هي أحسن السيئة نحن أعلم بما يصفون * وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين * وأعوذ بك رب أن يحضرون]

وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا

والسيئة يعني الصبر والغضب والحلم والجهل والعفو والاساءة ﴿ ادفع بالتي هي أحسن ﴾ قال ابن عباس أمر بالصبر عند الغضب، وبالحلم عند الجهل، وبالعفو عند الاساءة ﴿ فاذا الذي بينك وبينه عداوة ﴾ يعني اذا فعلت ذلك خضع لك عدوك وصار الذي بينك وبينه عداوة ﴿ كأنه ولي حميم ﴾ كالصديق والقريب قال مقاتل بن حيان نزلت في أبي سفيان بن حرب وذلك انه لان للمسلمين بعد شدة عداوته بالمصاهرة التي حصلت بينه وبين النبي ﷺ ثم أسلم وصار وليا بالاسلام حميا بالقرابة ﴿ وما يلقاها ﴾ مايلقى هذه الخصلة وهي دفع السيئة بالحسنة ﴿ إلا الذين صبروا ﴾ على كظم الغيظ واحتمال المكروه ﴿ وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم ﴾ في الخير والثواب وقال قتادة الحظ العظيم الجنة أي مايلقاها إلا من وجبت له الجنة ﴿ وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه هو السميع ﴾ لاستعاذتك وأقوالك ﴿ العليم ﴾ بأفعالك وأحوالك

قوله ﴿ ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن ﴾

لله الذي خلقهن ان كنتم اياه تعبدون (٣٧) فان استكبروا فالذين عند ربك يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسئمون (٣٨) ومن آيته أنك ترى الارض خشعة فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت، إن الذي أحياها لمحيي الموتى انه على كل شيء قدير (٣٩)

يقول تعالى منبها خلقه على قدرته العظيمة وانه الذي لا نظير له وانه على ما يشاء قادر (ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر) أي انه خلق الليل بظلامه والنهار بضيائه وهما متعاقبان لا يفتران ، والشمس ونورها وإشراقها والقمر وضياءه وتقدير منازله في فلكه واختلاف سيره في سمائه ليعرف باختلاف سيره وسير الشمس مقادير الليل والنهار والجمع والشهور والاعوام ، ويتبين بذلك حلول الحقوق وأوقات العبادات والمعاملات

ثم لما كان الشمس والقمر أحسن الاجرام المشاهدة في العالم العلوي والسفلي نبه تعالى على أنهما مخلوقان عبدان من عبيده تحت قهره وتسخيره فقال [لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن ان كنتم إياه تعبدون] أي ولا تشركوا به فما تنفعكم عبادتكم له مع عبادتكم لغيره فانه لا يغفر أن يشرك به ولهذا قال تعالى [فان استكبروا] أي عن إفراد العبادة له وأبوا إلا أن يشركوا معه غيره (فالذين عند ربك) يعني الملائكة (يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسأمون) كقوله عز وجل (فان يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين)

وقال الحافظ أبو يعلى حدثنا سفيان يعني ابن وكيع حدثنا أبي عن ابن أبي ليلى عن أبي الزبير عن جابر رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ « لا تسبوا الليل ولا النهار ولا الشمس ولا القمر ولا الرياح فانها ترسل رحمة لقوم وعذابا لقوم »

وقوله (ومن آياته) أي على قدرته على إعادة الموتى (أنك ترى الارض خاشعة) اي هامدة لا نبات فيها بل هي ميتة (فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت وربت) اي اخرجت من جميع ألوان الزروع والثمار (ان الذي احياها لمحيي الموتى انه على كل شيء قدير)

إن الذين يلحدون في آيتنا لا يخفون علينا أفمن يلقى في النار خير أم من يأتي آمنا يوم

إنما قال خلقهن بالتأنيث لانه اجراها على طريق جمع التكسير ولم يجرها على طريق التغليب للمذكر على المؤنث ﴿ ان كنتم إياه تعبدون * فان استكبروا ﴾ عن السجود ﴿ فالذين عند ربك ﴾ يعني الملائكة يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسأمون ﴾ لا يملون ولا يفترون ﴿ ومن آياته ﴾ دلائل قدرته ﴿ أنك ترى الارض خاشعة ﴾ يابسة غبراء لا نبات فيها ﴿ فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت وربت إن الذي أحياها لمحيي الموتى إنه على كل شيء قدير * ان الذين يلحدون في آياتنا ﴾ يميلون عن الحق في أدلتنا

القيمة ؟ اعملوا ما شئتم إنه بما تعملون بصير (٤٠) ان الذين كفروا بالذكر لما جاءهم وانه لكتٰب عزيز (٤١) لا يأتيه البٰطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد (٤٢) ما يقال لك إلا ما قد قيل للرسل من قبلك إن ربك لذو مغفرة وذو عقاب أليم (٤٣)

قوله تبارك وتعالى (ان الذين يلحدون في آياتنا) قال ابن عباس : الالحاد وضع الكلام على غير مواضعه . وقال قتادة وغيره هو الكفر والعناد ، وقوله عز وجل [لا يخفون علينا] فيه تهديد شديد ووعيد أكيد اي انه تعالى عالم بمن يلحد في آياته وأسمائه وصفاته وسيجزيه على ذلك بالعقوبة والنكال ولهذا قال تعالى (أفمن يلقى في النار خير أم من يأتي آمنا يوم القيامة ؟) أي أيستوي هذا وهذا ؟ لا يستويان. ثم قال عز وجل تهديداً للكفرة (اعملوا ماشئتم) قال مجاهد والضحاك وعطاء الخراساني (اعملوا ماشئتم) وعيد أي من خير أو شر انه عالم بكم وبصير بأعمالكم ولهذا قال (انه بما تعملون بصير) ثم قال جل جلاله [ان الذين كفروا بالذكر لما جاءهم] قال الضحاك والسدي وقتادة وهو القرآن (وانه لكتاب عزيز) أي منيع الجناب لايرام أن يأتي أحد بمثله (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه) أي ليس للبطلان اليه سبيل لانه منزل من رب العالمين ولهذا قال (تنزيل من حكيم حميد) أي حكيم في أقواله وأفعاله حميد بمعنى محمود أي في جميع ما يأمر به وينهى عنه الجميع محمودة عواقبه وغاياته . ثم قال عز وجل [ما يقال لك إلا ما قد قيل للرسل من قبلك] قال قتادة والسدي وغيرهما

قال مجاهد يلحدون في آياتنا بالمكاء والتصدية واللغو واللغط قال قتادة يكذبون في آياتنا قال السدي يعاندون ويشاقون قال مقاتل نزلت في أبي جهل ﴿ لا يخفون علينا أفمن يلقى في النار ﴾ وهو أبو جهل ﴿خير أم من يأتي آمنا يوم القيامة ﴾ قيل هو حمزة وقيل عثمان وقيل عمار بن ياسر ﴿ اعملوا ماشئتم ﴾ أمر تهديد ووعيد ﴿انه بما تعملون بصير ﴾ عالم فيجازيكم به ﴿ ان الذين كفروا بالذكر ﴾ بالقرآن ﴿ لما جاءهم ﴾ ثم أخذ في وصف الذكر وترك جواب ان الذين كفروا على تقدير ان الذين كفروا بالذكر يجازون بكفرهم وقيل خبره قوله من بعد (أولئك ينادون من مكان بعيد) ﴿ وإنه لكتاب عزيز ﴾ قال الكلبي عن ابن عباس رضي الله عنهما كريم على الله ، قال قتادة أعزه الله عز وجل فلا يجد الباطل اليه سبيلا وهو قوله ﴿ لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ﴾ قال قتادة والسدي الباطل هو الشيطان لا يستطيع أن يغيره أو يزيد فيه أو ينقص منه ، قال الزجاج معناه انه محفوظ من أن ينقص منه فيأتيه الباطل من بين يديه أو يزاد فيه فيأتيه الباطل من خلفه ، وعلى هذا معنى الباطل الزيادة والنقصان ، وقال مقاتل لا يأتيه التكذيب من الكتب التي قبله ولا يجيء من بعده كتاب فيبطله ﴿ تنزيل من حكيم حميد ﴾ ثم عزى نبيه ﷺ على تكذيبهم فقال ﴿ما يقال لك ﴾

مايقال لك من التكذيب إلا كما قد قيل للرسل من قبلك فكما كذبت كذبوا وكما صبروا على أذى قومهم لهم فاصبر أنت على أذى قومك لك . وهذا اختيار ابن جرير ولم يحك هو ولا ابن أبي حاتم غيره

وقوله تعالى (إن ربك لذو مغفرة) أي لمن تاب اليه (وذو عقاب أليم) أي لمن استمر على كفره وطغيانه وعناده وشقاقه ومخالفته

قال ابن ابي حاتم حدثنا أبي حدثنا موسى بن اسماعيل حدثنا حماد عن علي بن زيد عن سعيد بن المسيب قال نزلت هذه الآية [إن ربك لذو مغفرة] قال رسول الله ﷺ « لولا عفو الله وتجاوزه ماهنأ أحدا العيش ، ولولا وعيده وعقابه لاتكل كل أحد »

ولو جعلنه قرآنا أعجميا لقالوا لولا فُصلت آيٰتـه ءأعجمي وعربيٌّ قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لايؤمنون في آذانهم وقرٌ وهو عليهم عمى أولئك يُنادَون من مكان بعيد (٤٤) ولقد آتينا موسى الـكتٰب فاختلف فيه ولولا كلمة سبقت من ربك لقضيَ بينهم وانهم لفي شك منه مُريب (٤٥)

لما ذكر تعالى القرآن وفصاحته وبلاغته وأحكامه في لفظه ومعناه ومع هذا لم يؤمن به المشركون نبه على أن كفرهم به كفر عناد وتعنت كما قال عز وجل [ولو نزلناه على بعض الاعجمين فقرأه عليهم ماكانوا به مؤمنين] وكذلك لو أنزل القرآن كله بلغة العجم لقالوا على وجه التعنت والعناد (لولا فصلت آياته أأعجمي وعربي) أي لقالوا هلا أنزل مفصلا بلغة العرب ولأنكروا ذلك فقالوا أعجمي وعربي أي كيف ينزل كلام أعجمي على مخاطب عربي لايفهمه هكذا روي هذا المعنى عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير والسدي وغيرهم ، وقيل المراد بقولهم (لولا فصلت آياته أأعجمي وعربي) أي هل أنزل بعضها بالاعجمي وبعضها بالعربي هذا قول الحسن البصري وكان يقرؤها كذلك بلا استفهام في قوله أعجمي وهو رواية عن سعيد بن جبير وهو في التعنت والعناد أبلغ

من الاذى ﴿ إلا ماقد قيل للرسل من قبلك ﴾ يقول انه قد قيل للانبياء والرسل قبلك ساحر كما يقال لك وكذبوا كما كذبت ﴿ إن ربك لذو مغفرة ﴾ لمن تاب وآمن بك ﴿ وذو عقاب أليم ﴾ لمن أصر على التكذيب ﴿ ولو جعلناه ﴾ أي جعلنا هذا الكتاب الذي تقرؤه على الناس ﴿ قرآنا أعجميا ﴾ بغير لغة العرب ﴿ لقالوا لولا فصلت آياته ﴾ هلا بينت آياته بالعربية حتى نفهمها ﴿ أأعجمي وعربي ﴾ يعني أكتاب أعجمي ورسول عربي وهذا استفهام على وجه الانكار أي انهم كانوا يقولون المنزل عليه عربي والمنزل أعجمي ، قال مقاتل وذلك ان رسول الله ﷺ كان يدخل على يسار غلام عامر بن الحضرمي وكان يهوديا أعجميا يكنى أبا فكيهة فقال المشركون انما يعلمه يسار فضربه سيده وقال انك تعلم محمداً

ثم قال عز وجل (قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء) أي قل يامحمد هذا القرآن لمن آمن به هدى لقلبه وشفاء لما في الصدور من الشكوك والريب (والذين لايؤمنون في آذانهم وقر) أي لايفهمون مافيه [وهو عليهم عمى] أي لايهتدون إلى مافيه من البيان كما قال سبحانه وتعالى [وننزل من القرآن ماهو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خساراً] (أولئك ينادون من مكان بعيد) قال مجاهد يعني بعيد من قلوبهم

قال ابن جرير معناه كأن من يخاطبهم يناديهم من مكان بعيد لايفهمون مايقول ، قلت وهذا كقوله تعالى [ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لايسمع إلا دعاء ونداء صم بكم عمي فهم لايعقلون] وقال الضحاك ينادون يوم القيامة بأشنع أسمائهم

وقال السدي كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه جالسا عند رجل من المسلمين يقضي إذ قال ياليبيكاه فقال له عمر رضي الله عنه لم تلبي ؟ هل رأيت أحدا أو دعاك أحد ؟ فقال دعاني داع من وراء البحر فقال عمر رضي الله عنه [أولئك ينادون من مكان بعيد] رواه ابن أبي حاتم .

وقوله تبارك وتعالى (ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه) أي كذب وأوذي فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل (ولولا كلمة سبقت من ربك إلى أجل مسمى) بتأخير الحساب الى يوم المعاد [لقضي بينهم] أي لعجل لهم العذاب بل لهم موعد لن يجدوا من دونه موئلا (وانهم لفي شك منه مريب) أي وما كان تكذيبهم له عن بصيرة منهم لما قالوا بل كانوا شاكين فيما قالوه غير محققين لشيء كانوا فيه . هكذا وجهه ابن جرير وهو محتمل والله أعلم

من عمل صلحا فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلّم للعبيد (٤٦) اليه يُرَدّ علم الساعة وما تخرج من ثمرات من أكمامها وما تحمل من أنثى ولا تضع الا بعلمه ، ويوم يناديهم

فقال يسار هو يعلمني فأنزل الله تعالى هذه الآية ﴿ قل ﴾ يامحمد ﴿ هو ﴾ يعني القرآن ﴿ للذين آمنوا هدى وشفاء ﴾ هدى من الضلالة وشفاء لما في القلوب ، وقيل شفاء من الاوجاع ﴿ والذين لايؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى ﴾ قال قتادة عموا عن القرآن وصموا عنه فلاينتفعون به ﴿ أولئك ينادون من مكان بعيد ﴾ أي أنهم لايسمعون ولا يفهمون كما أن من دعي من مكان بعيد لم يسمع ولم يفهم وهذا مثل لقلة انتفاعهم بما يوعظون به كأنهم ينادون من حيث لايسمعون ﴿ ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه ﴾ فمصدق ومكذب كما اختلف قومك في كتابك ﴿ ولولا كلمة سبقت من ربك ﴾ في تأخير العذاب عن المكذبين بالقرآن ﴿ لقضي بينهم ﴾ لفرغ من عذابهم وعجل اهلاكهم ﴿ وانهم لفي شك منه ﴾ من صدقك ﴿ مريب ﴾ موقع لهم الريبة ﴿ من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها

أين شركائي قالوا آذنّـٰك مامنا من شهيد (٤٧) وضل عنهم ماكانوا يدعون من قبل وظنوا مالهم من مَحيص (٤٨)

يقول تعالى [من عمل صالحا فلنفسه] أي انما يعود نفع ذلك على نفسه [ومن أساء فعليها] أي انما يرجع وبال ذلك عليه (وما ربك بظلام للعبيد) أي لا يعاقب أحدا الا بذنبه ولا يعذب أحدا إلا بعد قيام الحجة عليه وارسال الرسول اليه ثم قال جل وعلا [اليه يرد علم الساعة] أى لا يعلم ذلك أحد سواه كما قال محمد صلى الله عليه وسلم وهو سيد البشر لجبريل عليه الصلاة والسلام وهو من سادات الملائكة حين سأله عن الساعة فقال « ماالمسؤل عنها بأعلم من السائل » وكما قال عز وجل [الى ربك منتهاها] وقال جل جلاله [لايجليها لوقتها إلا هو]

وقوله تبارك وتعالى (وما تخرج من ثمرات من اكمامها وما تحمل من انثى ولا تضع إلا بعلمه] أي الجميع بعلمه لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الارض ولا في السماء وقد قال سبحانه وتعالى [وما تسقط من ورقة إلا يعلمها] وقال جلت عظمته [يعلم ماتحمل كل انثى وما تغيض الارحام وما تزداد وكل شيء عنده بمقدار] وقال تعالى [وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره إلا في كتاب إن ذلك على الله يسير] . وقوله جل وعلا [ويوم يناديهم أين شركائي؟] أي يوم القيامة ينادي الله المشركين على رءوس الخلائق أين شركائي الذين عبدتم معي [قالوا آذناك] أي اعلمناك [مامنا من شهيد] أي ليس أحد منا يشهد اليوم أن معك شريكا [وضل عنهم ماكانوا يدعون من قبل] أي ذهبوا فلم ينفعوهم [وظنوا مالهم من محيص] أي وظن المشركون يوم القيامة وهذا بمعنى اليقين [مالهم من محيص] أي لا محيد لهم عن عذاب الله كقوله تعالى [ورأى المجرمون النار فظنوا أنهم مواقعوها ولم يجدوا عنها مصرفا]

لا يَسْـَٔم الانسٰن من دعاء الخير وان مسّـه الشر فيئوس قنوط (٤٩) ولئن أذقناه

وما ربك بظلام للعبيد ، اليـه يرد علم الساعة ﴾ أي علمها اذا سئل عنهـا مردود اليه لا يعلمه غيره ﴿ وما تخرج من ثمرات من أكمامها ﴾ قرأ أهل المدينة والشام وحفص ثمرات على الجمع ، وقرأ الآخرون ثمرة على التوحيد (من أكمامها) أوعيتها واحدها كم ، قال ابن عباس رضي الله عنهما يعني الكفرى قبل أن تنشق ﴿ وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه ﴾ إلا باذنه ، يقول يرد اليه علم الساعة كما يرد اليه علم الثمار والنتاج ﴿ ويوم يناديهم ﴾ ينادي الله المشركين ﴿ أين شركائي ﴾ الذين كنتم تزعمون انها آلهة ﴿ قالوا ﴾ يعني المشركين ﴿ آذناك ﴾ أعلمناك ﴿ مامنا من شهيد ﴾ أي من شاهد بأن لك شريكا لما عاينوا العذاب تبرءوا من الاصنام ﴿ وضل عنهم ما كانوا يدعون ﴾ يعبدون ﴿ من قبل ﴾ في الدنيا ﴿ وظنوا ﴾ أيقنوا ﴿ مالهم من محيص ﴾ مهرب ﴿ لا يسأم الانسان ﴾ لا يمل الكافر ﴿ من دعاء الخير ﴾

رحمة منا من بعد ضراء مسته ليقولن هذا لي وما أظن الساعة قائمة ولئن رجعت الى ربي

ان لي عنده للحسنى فلننبئن الذين كفروا بما عملوا ولنذيقنهم من عذاب غليظ (٥٠)

واذا أنعمنا على الانسن أعرض ونأى بجانبه واذا مسه الشر فذو دعاء عريض (٥١)

يقول تعالى لايمل الانسان من دعاء ربه بالخير وهو المال وصحة الجسم وغير ذلك وان مسه الشر وهو البلاء أو الفقر [فيؤس قنوط] أي يقع في ذهنه أنه لايتهيأ له بعد هذا خير [ولئن أذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته ليقولن هذا لي] أي اذا أصابه خير ورزق بعد ما كان في شدة ليقولن هذا لي إني كنت استحقه عند ربي [وما أظن الساعة قائمة] أي يكفر بقيام الساعة أي لاجل أنه خول نعمة يبطر ويفخر ويكفر كما قال تعالى [كلا إن الانسان ليطغى * أن رآه استغنى] [ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى] أي ولئن كان ثم معاد فليحسنن إلي كما احسن الي في هذه الدار يتمنى على الله عز وجل مع اساءته العمل وعدم اليقين قال الله تبارك وتعالى [فلننبئن الذين كفروا بما عملوا ولنذيقنهم من عذاب غليظ] يتهدد تعالى من كان هذا عمله واعتقاده بالعقاب والنكال ثم قال تعالى [واذا انعمنا على الانسان اعرض ونأى بجانبه] أي اعرض عن الطاعة واستكبر عن الانقياد لاوامر الله عز وجل كقوله جل جلاله [فتولى بركنه] [واذا مسه الشر] أي الشدة [فذو دعاء عريض] أي يطيل المسئلة في الشيء الواحد ، فالكلام العريض ماطال لفظه وقل معناه والوجيز عكسه وهو ماقل ودل وقد قال تعالى [واذا مس الانسان الضر دعانا لجنبه أو قاعداً أو قائما فلما كشفنا عنه ضره مر كأن لم يدعنا الى ضر مسه) الآية

قل أرأيتم ان كان من عند الله ثم كفرتم به من أضل ممن هو في شقاق بعيد (٥٢) سنريهم

أي لايزال يسأل ربه الخير يعني المال والغنى والصحة ﴿ وإن مسه الشر ﴾ الشدة والفقر ﴿ فيؤس ﴾ من روح الله ﴿ قنوط ﴾ من رحمته ﴿ ولئن أذقناه رحمة منا ﴾ آتيناه خيراً وعافية وغنى ﴿ من بعد ضراء مسته ﴾ من بعد شدة وبلاء أصابته ﴿ ليقولن هذا لي ﴾ أي بعملي وأنا محبوب بهذا ﴿ وما أظن الساعة قائمة ولئن رجعت الى ربي إن لي عنده للحسنى ﴾ يقول هذا الكافر لست على يقين من البعث فان كان الأمر على ذلك ورددت الى ربي إن لي عنده الحسنى أي الجنة كما أعطاني في الدنيا سيعطيني في الآخرة ﴿ فلننبئن الذين كفروا بما عملوا ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما لنقفنهم على مساوي أعمالهم ﴿ ولنذيقنهم من عذاب غليظ * وإذا أنعمنا على الانسان أعرض ونأى بجانبه واذا مسه الشر فذو دعاء عريض ﴾ كثير والعرب تستعمل الطول والعرض في الكثرة يقال أطال فلان الكلام والدعاء وأعرض أي أكثر ﴿ قل أرأيتم إن كان ﴾ هذا القرآن ﴿ من عند الله ثم كفرتم به من أضل

آيٰتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق ، أو لم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد ؟ (٥٣) ألا إنهم في مرية من لقاء ربهم ألا إنه بكل شيء محيط (٥٤)

يقول تعالى قل يا محمد لهؤلاء المشركين المكذبين بالقرآن أرأيتم ان كان هذا القرآن من عند الله ثم كفرتم به ؟ أي كيف ترون حالكم عند الذي انزله على رسوله ولهذا قال عز وجل [من أضل ممن هو في شقاق بعيد؟] أي في كفر وعناد ومشاقة للحق ومسلك بعيد من الهدى

ثم قال جل جلاله [سنريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم] أي سنظهر لهم دلالتنا وحججنا على كون القرآن حقا منزلا من عند الله على رسول الله ﷺ بدلائل خارجية [في الآفاق] من الفتوحات وظهور الاسلام على الاقاليم وسائر الاديان قال مجاهد والحسن والسدي ودلائل في انفسهم قالوا وقعة بدر وفتح مكة ونحو ذلك من الوقائع التي حلت بهم نصر الله فيها محمداً ﷺ وصحبه وخذل فيها الباطل وحزبه ويحتمل أن يكون المراد من ذلك ما الانسان مركب منه وفيه وعليه من المواد والاخلاط والهيآت العجيبة كما هو مبسوط في علم التشريح الدال على حكمة الصانع تبارك وتعالى وكذلك ماهو مجبول عليه من الاخلاق المتباينة من حسن وقبيح وغير ذلك وما هو متصرف فيه تحت الاقدار التي لا يقدر بحوله وقوته وحيله وحذره أن يجوزها ولا يتعداها كما أنشده ابن أبي الدنيا في كتابه التفكر والاعتبار عن شيخه أبي جعفر القرشي حيث قال وأحسن المقال

وإذا نظرت تريد معتبرا ... فانظر اليك ففيك معتبر
أنت الذي تمسي وتصبح في ... الدنيا وكل اموره عبر
أنت المصرف كان في صغر ... ثم استقل بشخصك الكبر
أنت الذي تنعاه خلقته ... ينعاه منه الشعر والبشر
أنت الذي تعطي وتسلب لا ... ينجيه من أن يسلب الحذر
أنت الذي لاشيء منه له ... وأحق منه بما له القدر

وقوله تعالى [حتى يتبين لهم أنه الحق أولم يكف بربك انه على كل شيء شهيد] أي كفى بالله

ممن هو في شقاق بعيد ﴾ خلاف للحق بعيد عنه أي فلا أحد أضل منكم ﴿سنريهم آياتنا في الآفاق﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما يعني منازل الأمم الخالية ﴿ وفي أنفسهم ﴾ بالبلاء والامراض ، وقال قتادة في الآفاق يعني وقائع الله في الامم وفي أنفسهم يوم بدر ، وقال مجاهد والحسن والسدي والكلبي (في الآفاق) مايفتح من القرى على محمد ﷺ والمسلمين (وفي أنفسهم) فتح مكة ﴿ حتى يتبين لهم أنه الحق ﴾ يعني دين الاسلام وقيل القرآن يتبين لهم انه من عند الله وقيل محمد ﷺ يتبين لهم انه مؤيد من قبل الله تعالى، وقال عطاء وابن زيد (في الآفاق) يعني أقطار السماء

شهيدا على افعال عباده واقوالهم وهو يشهد أن محمدا ﷺ صادق فيما اخبر به عنه كما قال [لكن الله يشهد بما انزل اليك أنزله بعلمه] الآية

وقوله تعالى ألا انهم في مرية من لقاء ربهم أي في شك من قيام الساعة ولهذا لا يتفكرون فيه ولا يعملون له ولا يحذرون منه بل هو عندهم هدر لا يعبئون به وهو كائن لا محالة وواقع لا ريب فيه

قال ابن أبي الدنيا حدثنا أحمد بن ابراهيم حدثنا خلف بن تميم حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا ابن سعيد الانصاري قال: ان عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد أيها الناس فاني لم أجمعكم لأمر أحدثه فيكم ، ولكن فكرت في هذا الامر الذي أنتم اليه صائرون فعلمت أن المصدق بهذا الامر أحمق والمكذب به هالك ، ثم نزل . ومعنى قوله رضي الله عنه أن المصدق به أحمق أي لانه لا يعمل له عمل مثله ولا يحذر منه ولا يخاف من هوله وهو مع ذلك مصدق به موقن بوقوعه وهو مع ذلك يتمادى في لعبه وغفلته وشهواته وذنوبه فهو أحمق بهذا الاعتبار والاحمق في اللغة ضعيف العقل ، وقوله والمكذب به هالك هذا واضح والله أعلم

ثم قال تعالى مقرراً أنه على كل شيء قدير وبكل شيء محيط وإقامة الساعة لديه يسير سهل عليه تبارك وتعالى (ألا انه بكل شيء محيط) أي المخلوقات كلها تحت قهره وفي قبضته وتحت طي علمه وهو المتصرف فيها كلها بحكمه فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن لا إله الا هو

﴿ آخر تفسير سورة حم السجدة ولله الحمد والمنة ﴾

والارض من الشمس والقمر والنجوم والنبات والاشجار والانهار (وفي أنفسهم) من لطيف الصنعة وبديع الحكمة حتى يتبين لهم أنه الحق ﴿ أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد ؟ ﴾ قال مقاتل : أولم يكف بربك شاهدا ان القرآن من الله قال الزجاج معنى الكفاية ههنا أن الله عز وجل قد بين من الدلائل ما فيه كفاية يعني أولم يكف بربك لانه على كل شيء شهيد شاهد لا يغيب عنه شيء ﴿ ألا إنهم في مرية من لقاء ربهم ﴾ في شك من البعث ﴿ ألا انه بكل شيء محيط ﴾ أحاط بكل شيء علما



تفسير سورة الشورى وهي مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

حم (١) عسق (٢) كذلك يوحي اليك والى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم (٣) له مافي السموات وما في الارض وهو العلي العظيم (٤) تكاد السموات يتفطرن من فوقهن والملئكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الارض ألا إن الله هو الغفور الرحيم (٥) والذين اتخذوا من دونه أولياء الله حفيظ عليهم وما أنت عليهم بوكيل (٦)

قد تقدم الكلام على الحروف المقطعة . وقد روى ابن جرير ههنا أثراً غريبا عجيبا منكرا فقال أخبرنا أحمد بن زهير حدثنا عبد الوهاب بن نجدة الحوطي حدثنا أبو المغيرة عبدالقدوس بن الحجاج عن ارطاة بن المنذر قال : جاء رجل الى ابن عباس رضي الله عنهما فقال له وعنده حذيفة بن اليمان رضي الله تعالى عنه أخبرني عن تفسير قول الله تعالى (حم عسق) قال فأطرق ثم أعرض عنه ثم كرر مقالته فأعرض عنه فلم يجبه بشيء وكره مقالته ، ثم كررها الثالثة فلم يحر اليه شيئا فقال له حذيفة رضي الله عنه أنا أنبئك بها قد عرفت لم كرهها نزلت في رجل من أهل بيته يقال له عبد الاله وعبدالله ينزل على نهر من أنهار المشرق تبنى عليه مدينتان يشق النهر بينهما شقا فاذا أذن الله تبارك وتعالى في زوال ملكهم وانقطاع دولتهم ومدتهم بعث الله عز وجل على إحداهما ناراً ليلا فتصبح سوداء مظلمة وقد احترقت كأنها لم تكن مكانها وتصبح صاحبتها متعجبة كيف أفلتت؟ فما هو الا بياض يومها ذلك حتى يجتمع فيها كل جبار عنيد منهم ثم يخسف الله بها وبهم جميعا فذلك قوله تعالى (حم عسق) يعني عزيمة

﴿ سورة شورى مكية وهي ثلاث وخمسون آية ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ حم عسق ﴾ سئل الحسين بن الفضل لم قطع حم عسق ولم يقطع كهيعص ؟ فقال لأنها سور أوائلها حم فجرت مجرى نظائرها فكان حم مبتدأ وعسق خبره ولأنهما عدا آيتين وأخواتها مثل كهيعص والمص والمر عدت آية واحدة ، وقيل لان أهل التأويل لم يختلفوا في كهيعص وأخواتها انها حروف التهجي لاغير . واختلفوا في حم فأخرجها بعضهم من حيز الحروف وجعلها فعلا وقال معناها حم أي قضي ماهو كائن ، روى عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال ح حلمه م مجده ع علمه س سناؤه ق

من الله تعالى وفتنة وقضاء حم عين يعني عدلا منه سين يعني سيكون ق يعني واقع بهاتين المدينتين

وأغرب منه مارواه الحافظ أبو يعلى الموصلي في الجزء الثاني من مسند ابن عباس رضي الله عنه عن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي ﷺ في ذلك ولكن اسناده ضعيف جدا ومنقطع فانه قال حدثنا أبو طالب عبد الجبار بن عاصم حدثنا أبو عبد الله الحسن بن يحيي الخشني الدمشقي عن أبي معاوية قال : صعد عمر بن الخطاب رضي الله عنه المنبر فقال أيها الناس هل سمع منكم أحد رسول الله صلى الله عليه وسلم يفسر (حم عسق) فوثب ابن عباس رضي الله عنه فقال أنا ، قال حم اسم من أسماء الله تعالي ، قال فعين ؟ قال عاين المولون يوم بدر ، قال فسين ؟ قال سيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون ، قال فقاف ؟ فسكت فقام أبو ذر ففسر كما قال ابن عباس رضي الله عنهما وقال قاف قارعة من السماء تغشي الناس

وقوله عز وجل (كذلك يوحي اليك والى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم) أي كما أنزل اليك هذا القرآن كذلك أنزل الكتب والصحف على الانبياء قبلك ، وقوله تعالى (الله العزيز) أي في انتقامه (الحكيم) في أقواله وأفعاله

قال الامام مالك رحمه الله عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت ان الحارث ابن هشام سأل رسول الله ﷺ فقال يارسول الله كيف يأتيك الوحي ؟ فقال رسول الله ﷺ « أحيانا يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو أشده علي فيفصم عني وقد وعيت ماقال ، وأحيانا يأتيني الملك رجلا فيكلمني فأعي مايقول » قالت عائشة رضي الله عنها فلقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وإن جبينه ﷺ ليتفصد عرقا . أخرجاه في الصحيحين ولفظه للبخاري

وقد رواه الطبراني عن عبد الله بن الامام أحمد عن أبيه عن عامر بن صالح عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها عن الحارث بن هشام أنه سأل رسول الله ﷺ كيف ينزل عليك الوحي ؟ فقال ﷺ « في مثل صلصلة الجرس فيفصم عني وقدوعيت ماقال ـ وقال ـ وهو أشده علي » قال « وأحيانا يأتيني الملك فيتمثل لي فيكلمني فأعي مايقول »

وقال الامام احمد حدثنا قتيبة حدثنا ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب عن عمرو بن الوليد عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال : سألت رسول الله ﷺ فقلت يارسول الله هل تحس بالوحي ؟

قدرته أقسم الله بها . وقال شهر بن حوشب وعطاء بن أبي رباح : ح حرب يعز فيها الذليل ويذل فيها العزيز من قريش م ملك يتحول من قوم إلى قوم ع عدو لقريش يقصدهم س سبي يكون فيهم ق قدرة الله النافذة في خلقه ، وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال ليس من نبي صاحب كتاب إلا وقد أوحيت اليه حم عسق فلذلك قال ﴿ كذلك يوحي اليك ﴾ وقرأ ابن كثير يوحى بفتح الحاء وحجته قوله أوحينا اليك ﴿ والى الذين من قبلك ﴾ وعلى هذه القراءة قوله ﴿ الله العزيز الحكيم ﴾ تبيين

فقال رسول الله ﷺ « أسمع صلاصل ثم أسكت عند ذلك فما من مرة يوحى إلي إلا ظننت أن نفسي تقبض » تفرد به أحمد ، وقد ذكرنا كيفية اتيان الوحي الى رسول الله ﷺ في اول شرح البخاري بما أغنى عن اعادته ههنا ولله الحمد والمنة . وقوله تبارك وتعالى (له ما في السموات وما في الارض) اي الجميع عبيد له وملك له تحت قهره وتصريفه (وهو العلي العظيم) كقوله تعالى (وهو الكبير المتعال — وهو العلي الكبير) والآيات في هذا كثيرة .

وقوله عز وجل (تكاد السموات يتفطرن من فوقهن) قال ابن عباس رضي الله عنهما والضحاك وقتادة والسدي وكعب الاحبار اي فرقا من العظمة [والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الارض] كقوله جل وعلا (الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما)

وقوله جل جلاله (ألا ان الله هو الغفور الرحيم) اعلام بذلك وتنويه به، وقوله سبحانه وتعالى (والذين اتخذوا من دونه أولياء) يعني المشركين (الله حفيظ عليهم) أي شهيد على أعمالهم يحصيها ويعدها عداً ، وسيجزيهم بها أوفر الجزاء [وما أنت عليهم بوكيل] اي انما أنت نذير والله على كل شيء وكيل

وكذلك أوحينا اليك قرآنا عربيا لتنذر أم القرى ومن حولها وتنذر يوم الجمع لاريب فيه فريق في الجنة وفريق في السعير (٧) ولو شاء الله لجعلهم أمة واحدة ولكن يدخل من يشاء في رحمته والظالمون مالهم من ولي ولا نصير (٨)

يقول تعالى وكما أوحينا إلى الانبياء قبلك (أوحينا اليك قرآنا عربيا) اي واضحا جليا بينا (لتنذر ام القرى) وهي مكة (ومن حولها) اي من سائر البلاد شرقا وغربا ، وسميت مكة ام القرى لأنها

للفاعل كأنه قيل من يوحي فقيل الله العزيز الحكيم ، وقرأ الآخرون يوحي بكسر الحاء اليك وإلى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم

قال عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما يريد أخبار الغيب ﴿ له ما في السموات وما في الارض وهو العلي العظيم * تكاد السموات يتفطرن من فوقهن ﴾ أي كل واحدة منها تتفطر فوق التي تليها من قول المشركين اتخذ الله ولداً نظيره في سورة مريم (وقالوا اتخذ الرحمن ولداً لقد جئتم شيئا إدا * تكاد السموات يتفطرن منه) ﴿ والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الارض ﴾ من المؤمنين ﴿ ألا ان الله هو الغفور الرحيم * والذين اتخذوا من دونه أولياء الله حفيظ عليهم ﴾ يحفظ أعمالهم ويحصيها عليهم ليجازيهم بها ﴿ وما أنت عليهم بوكيل ﴾ لم يوكلك الله عليهم حتى تؤخذ بهم ﴿ وكذلك ﴾ مثل ماذكرنا ﴿ أوحينا اليك قرآنا عربيا لتنذر أم القرى ﴾ مكة يعني أهلها ﴿ ومن

أشرف من سائر البلاد لأدلة كثيرة مذكورة في مواضعها ، ومن أوجز ذلك وأدله ما قال الامام أحمد حدثنا ابو اليمان حدثنا شعيب عن الزهري حدثنا ابوسلمة بن عبدالرحمن قال : ان عبدالله بن عدي بن الحمراء الزهري أخبره انه سمع رسول الله ﷺ يقول وهو واقف بالحزورة في سوق مكة « والله انك لخير أرض الله وأحب ارض الله إلي ولولا أني أخرجت منك ماخرجت » هكذا رواية الترمذي والنسائي وابن ماجه من حديث الزهري به وقال الترمذي حسن صحيح

وقوله عز وجل (وتنذر يوم الجمع) وهو يوم القيامة يجمع الله الاولين والآخرين في صعيد واحد وقوله تعالى [لاريب فيه] اى لاشك في وقوعه وانه كائن لا محالة ، وقوله جل وعلا [فريق في الجنة وفريق في السعير] كقوله تعالى [يوم يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم التغابن] أى يغبن أهل الجنة أهل النار ، وكقوله عز وجل [إن في ذلك لآية لمن خاف عذاب الآخرة ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود * وما نؤخره إلا لأجل معدود * يوم يأت لا تكلم نفس إلا باذنه فمنهم شقي وسعيد]

قال الامام احمد حدثنا هاشم بن القاسم حدثنا ليث حدثني ابو قبيل المعافرى عن شفي الاصبحي عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال: خرج علينا رسول الله ﷺ وفي يده كتابان فقال « أتدرون ماهذان الكتابان ؟ » قلنا لا الا أن تخبرنا يارسول الله قال ﷺ للذى في يمينه « هذا كتاب من رب العالمين بأسماء أهل الجنة وأسماء آبائهم وقبائلهم » ثم أجمل على آخرهم لايزاد فيهم ولا ينقص منهم أبداً . ثم قال ﷺ للذى في يساره هذا كتاب أهل النار بأسمائهم وأسماء آبائهم وقبائلهم ثم أجمل على آخرهم لايزاد فيهم ولا ينقص منهم أبداً » فقال أصحاب رسول الله ﷺ فلأي شيء نعمل ان كان هذا أمر قد فرغ منه قال رسول الله ﷺ « سددوا وقاربوا فان صاحب الجنة يختم له بعمل أهل الجنة وان عمل أي عمل ، وان صاحب النار يختم له بعمل أهل النار وان عمل اي عمل » ثم قال ﷺ بيده فقبضها ثم قال « فرغ ربكم عزوجل من العباد ـ ثم قال باليمنى فنبذ بها فقال ـ فريق في الجنة ـ ونبذ

حولها ﴾ يعني قرى الارض كلها ﴿ وتنذر يوم الجمع ﴾ أي تنذرهم بيوم الجمع وهو يوم القيامة يجمع الله الاولين والآخرين وأهل السموات والارضين ﴿ لاريب فيه ﴾ لاشك في الجمع انه كائن ثم بعد الجمع يتفرقون ﴿ فريق في الجنة وفريق في السعير ﴾

أخبرنا أبو سعيد أحمد بن ابراهيم الشريحي أنا أبو اسحاق الثعلبي ثنا أبو منظور الشامي ثنا أبو العباس الاصم ثنا أبو عثمان سعيد التنوخي ثنا بشر بن بكر حدثني سعيد بن عثمان عن أبي الزاهوبه ثنا جرير بن كريب عن عبدالله بن عمرو بن العاص، قال الثعلبي وأخبرنا أبو عبدالله بن فنجويه الدينوري ثنا أبو بكر بن مالك القطيعي ثنا عبد الله بن احمد بن حنبل حدثني أبي هشام بن القاسم ثنا ليث حدثني أبو قبيل المعافري عن شفي الاصبحي عن عبدالله بن عمرو قال خرج علينا رسول الله ﷺ ذات يوم

باليسرى وقال- فريق في السعير» وهكذا رواه الترمذي والنسائي جميعا عن قتيبة عن الليث بن سعد وبكر بن مضر كلاهما عن أبي قبيل عن شفي بن مانع الاصبحي عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما به ، وقال الترمذي حسن صحيح غريب ، وساقه البغوي في تفسيره من طريق بشر بن بكر عن سعيد بن عثمان عن ابي الزاهرية عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي ﷺ فذكره بنحوه وعنده زيادات منها -ثم قال فريق في الجنة وفريق في السعير عدل من الله عز وجل- ورواه ابن أبي حاتم عن أبيه عن عبدالله بن صالح كاتب الليث عن الليث به ، ورواه ابن جرير عن يونس عن ابن وهب عن عمرو بن الحارث عن أبي قبيل عن شفي عن رجل من الصحابة رضي الله عنهم فذكره

ثم روي عن يونس عن ابن وهب عن عمرو بن الحارث وحيوة بن شريح عن يحيى بن أبي أسيد أن أبا فراس حدثه أنه سمع عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما يقول : إن الله تعالى لما خلق آدم نفضه نفض المرود وأخرج منه كل ذريته فخرج أمثال النغف فقبضهم قبضتين ثم قال شقي وسعيد ثم ألقاهما ثم قبضهما فقال فريق في الجنة وفريق في السعير» وهذا الموقوف أشبه بالصواب والله سبحانه وتعالى أعلم

وقال الامام احمد حدثنا عبد الصمد حدثنا حماد يعني بن سلمة أخبرنا الجريري عن أبي نضرة قال « ان رجلا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يقال له أبو عبد الله دخل عليه أصحابه يعني يزورونه فوجدوه يبكي ، فقالوا له ما يبكيك ، ألم يقل لك رسول الله ﷺ خذ من شاربك ثم أقره حتى تلقاني ، قال بلى ولكن سمعت رسول الله ﷺ يقول « ان الله تعالى قبض بيمينه قبضة وأخرى باليد الاخرى قال هذه لهذه وهذه لهذه ولا أبالي» فلا أدري في أي القبضتين أنا . وأحاديث القدر في الصحاح والسنن والمسانيد كثيرة جداً منها حديث علي وابن مسعود وعائشة وجماعة جمة رضي الله عنهم أجمعين

قابضا على كفيه ومعه كتابان فقال « أتدرون ماهذان الكتابان ؟» قلنا لا يارسول الله الا ان تخبرنا فقال للذي في يده اليمنى « هذا كتاب من رب العالمين فيه أسماء أهل الجنة وأسماء آبائهم وعشائرهم وعدتهم قبل أن يستقروا نطفا في الاصلاب ، وقبل أن يستقروا نطفا في الارحام إذهم في الطينة منجدلون فليس بزائد فيهم ولاناقص منهم إجمال من الله عليهم الى يوم القيامة » ثم قال للذي في يساره «هذا كتاب من رب العالمين فيه اسماء أهل النار وأسماء آبائهم وعشائرهم وعدتهم قبل أن يستقروا نطفا في الاصلاب وقبل أن يستقروا نطفا في الارحام إذ هم في الطينة منجدلون فليس بزائد فيهم ولا بناقص منهم إجمال من الله عليهم الى يوم القيامة » قال عبدالله بن عمرو : ففيم العمل إذاً يارسول الله ؟ فقال «اعملوا وسددوا وقاربوا فان صاحب الجنة يختم له بعمل أهل الجنة وان عمل أي عمل ، وان صاحب النار يختم له بعمل أهل النار وان عمل أى عمل - ثم قال - فريق في الجنة فضل من الله ، وفريق في السعير عدل من الله عزوجل »

وقوله تبارك وتعالى (ولو شاء الله لجعلهم أمة واحدة) أي اما على الهداية أو على الضلالة ولكنه تعالى فاوت بينهم فهدى من يشاء الى الحق وأضل من يشاء عنه وله الحكمة والحجة البالغة ولهذا قال عز وجل (ولكن يدخل من يشاء في رحمته والظالمون مالهم من ولي ولا نصير)

وقال ابن جرير حدثني يونس أخبرنا وهيب أخبرني الحارث عن عمرو بن أبي سويد أنه حدثه عن ابن حجيرة انه بلغه أن موسى عليه الصلاة والسلام قال: يارب خلقك الذين خلقتهم جعلت منهم فريقاً في الجنة وفريقا في النار لو ما أدخلتهم كلهم الجنة فقال ياموسى ارفع درعك فرفع قال قد رفعت قال ارفع فرفع فلم يترك شيئا قال يارب قد رفعت قال ارفع قال قد رفعت إلا ما لاخير فيه قال كذلك دخل خلقي كلهم الجنة الا ما لاخير فيه .

أم اتخذوا من دونه أولياء فالله هو الولي وهو يحي الموتى وهو على كل شيء قدير (٩) وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه الى الله ذلكم الله ربي عليه توكلت واليه أنيب (١٠) فاطر السموات والارض جعل لكم من أنفسكم أزواجاً ومن الانعام أزواجا يذرؤكم فيه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير (١١) له مقاليد السموات والارض يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر انه بكل شيء عليم (١٢)

يقول تعالى منكراً على المشركين في اتخاذهم آلهة من دون الله ومخبراً أنه هو الولي الحق الذي لا تنبغي العبادة إلا له وحده فانه هو القادر على إحياء الموتى وهو على كل شيء قدير

ثم قال عز وجل (وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله) أي مهما اختلفتم فيه من الامور وهذا عام في جميع الاشياء (فحكمه إلى الله) أي هو الحاكم فيه بكتابه وسنة نبيه ﷺ كقوله جل وعلا (فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول ذلكم الله ربي) أي الحاكم في كل شيء (عليه توكلت وإليه أنيب) أي أرجع في جميع الامور

قوله تعالى ﴿ ولو شاء الله لجعلهم امة واحدة ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما : على دين واحد وقال مقاتل على ملة الاسلام كقوله تعالى (ولو شاء الله لجمعهم على الهدى) ﴿ ولكن يدخل من يشاء في رحمته ﴾ في دين الاسلام ﴿ والظالمون ﴾ الكافرون ﴿ ما لهم من ولي ﴾ يدفع عنهم العذاب ﴿ ولا نصير ﴾ يمنعهم من النار ﴿ ام اتخذوا ﴾ بل اتخذوا اي الكافرون ﴿ من دونه ﴾ أي من دون الله ﴿ اولياء فالله هو الولي ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما : وليك يامحمد وولي من اتبعك ﴿ وهو يحيي الموتى وهو على كل شيء قدير * وما اختلفتم فيه من شيء ﴾ من أمر الدين ﴿ فحكمه الي الله ﴾ يقضي فيه

وقوله جل جلاله (فاطر السموات والارض) أي خالقهما وما بينهما (جعل لكم من أنفسكم أزواجا) أي من جنسكم وشكلكم منة عليكم وتفضلا جعل من جنسكم ذكراً وأنثى (ومن الانعام أزواجا) أي وخلق لكم من الانعام ثمانية أزواج

وقوله تبارك وتعالى (يذرؤكم فيه) أي يخلقكم فيه أي في ذلك الخلق على هذه الصفة لايزال يذرؤكم فيه ذكوراً وإناثا خلقا من بعد خلق وجيلا بعد جيل ونسلا بعد نسل من الناس والانعام وقال البغوي يذرؤكم فيه أي في الرحم وقيل في البطن وقيل في هذا الوجه من الخلقة. قال مجاهد نسلا بعد نسل من الناس والانعام: وقيل في بمعنى الباء أي يذرؤكم به (ليس كمثله شيء) أي ليس كخالق الازواج كلها شيء لأنه الفرد الصمد الذى لا نظير له (وهو السميع البصير)

وقوله تعالى (له مقاليد السموات والارض) تقدم تفسيره في سورة الزمر وحاصل ذلك انه المتصرف الحاكم فيهما (يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) أى يوسع على من يشاء ويضيق على من يشاء وله الحكمة والعدل التام (انه بكل شيء عليم)

شرع لكم من الدين ما وصّى به نوحا والذي أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه، كبر على المشركين ماتدعوهم اليه الله يجتبي اليه من يشاء ويهدي اليه من ينيب (١٣) وما تفرقوا الا من بعد ماجاءهم العلم بغيا بينهم ولولا كلمة سبقت من ربك إلى أجل مسمًّى لقضيَ بينهم وان الذين أورثوا الكتاب من بعدهم لفي شك منه مريب (١٤)

ويحكم يوم القيامة بالفصل الذي يزيل الريب ﴿ذلكم الله﴾ الذي يحكم بين المختلفين هو ﴿ربي عليه توكلت واليه أنيب* فاطر السموات والارض جعل لكم من انفسكم ازواجا﴾ من مثل خلقكم حلائل قيل انما قال من انفسكم لأنه خلق حواء من ضلع آدم ﴿ومن الانعام ازواجا﴾ اصنافا ذكورا وإناثا ﴿يذرؤكم﴾ يخلقكم ﴿فيه﴾ أي في الرحم وقيل في البطن وقيل على هذا الوجه من الخلقة، قال مجاهد نسلا بعد نسل من الناس والانعام. وقيل في بمعني الباء أي يذرؤكم به، وقيل معناه يكثركم بالتزويج ﴿ليس كمثله شيء﴾ مثل صلة أي ليس هو كشيء فادخل المثل للتوكيد كقوله (فان آمنوا بمثل ما آمنتم به) وقيل الكاف صلة مجازه ليس مثله شيء، قال ابن عباس رضي الله عنهما: ليس له نظير ﴿وهو السميع البصير له مقاليد السموات والارض﴾ مفاتيح الرزق في السموات والارض، قال الكلبي: المطر والنبات ﴿يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر﴾ لان مفاتيح الرزق بيده ﴿انه بكل شيء عليم﴾ قوله عز وجل ﴿شرع لكم من الدين﴾ بين وسن لكم ﴿ما وصى به نوحا﴾ وهو أول أنبياء

يقول تعالى لهذه الامة (شرع لكم من الدين ماوصى به نوحا والذي أوحينا اليك) فذكر أول الرسل بعد آدم عليه السلام وهو نوح عليه السلام وآخرهم وهو محمد ﷺ . ثم ذكر من بين ذلك من أولي العزم وهو ابراهيم وموسى وعيسى بن مريم وهذه الآية انتظمت ذكر الخمسة كما اشتملت آية الاحزاب عليهم في قوله تبارك وتعالى (واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى ابن مريم) الآية والدين الذي جاءت به الرسل كلهم هو عبادة الله وحده لاشريك له كما قال عز وجل (وما ارسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي اليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون)

وفي الحديث « نحن معشر الانبياء أولاد علات ديننا واحد » أي القدر المشترك بينهم هو عبادة الله وحده لاشريك له وان اختلفت شرائعهم ومناهجهم كقوله جل جلاله (لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا) ولهذا قال تعالى ههنا (أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه) أي وصى الله تعالى جميع الانبياء عليهم الصلاة والسلام بالائتلاف والجماعة ونهاهم عن الافتراق والاختلاف

وقوله عز وجل (كبر على المشركين ماتدعوهم اليه) أي شق عليهم وانكروا ماتدعوهم اليه يامحمد من التوحيد . ثم قال جل جلاله (الله يجتبي اليه من يشاء ويهدي اليه من ينيب) أى هو الذى يقدر الهداية لمن يستحقها ويكتب الضلالة على من آثرها على طريق الرشد ولهذا قال تبارك وتعالى (وما اختلفوا إلا من بعد ماجاءهم العلم) أى إنما كان مخالفتهم للحق بعد بلوغه اليهم وقيام الحجة عليهم وما حملهم على ذلك إلا البغى والعناد والمشاقة

ثم قال عز وجل (ولولا كلمة سبقت من ربك إلى أجل مسمى) أى لولا الكلمة السابقة من الله تعالى بانظار العباد باقامة حسابهم الى يوم المعاد لعجل عليهم العقوبة في الدنيا سريعا

الشريعة قال مجاهد أوصيناك وإياه يامحمد دينا واحداً ﴿ والذي أوحينا اليك ﴾ من القرآن وشرائع الاسلام ﴿ وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى ﴾ واختصموا في وجه الآية فقال قتادة تحليل الحلال وتحريم الحرام وقال الحكم تحريم الامهات والبنات والاخوات وقال مجاهد لم يبعث الله نبيا إلا أوصاه باقام الصلاة وإيتاء الزكاة والاقرار لله بالطاعة فذلك دينه الذي شرع لهم وقيل هو التوحيد والبراءة من الشرك وقيل هو ما ذكر من بعد وهو قوله ﴿ أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ﴾ بعث الله الانبياء كلهم باقامة الدين والالفة والجماعة وترك الفرقة والمخالفة ﴿ كبر على المشركين ماتدعوهم اليه ﴾ من التوحيد ورفض الاوثان ثم قال ﴿ الله يجتبي اليه من يشاء ﴾ يصطفي لدينه من عباده من يشاء ﴿ ويهدي إليه من ينيب ﴾ يقبل إلى طاعته ﴿ وما تفرقوا ﴾ يعني أهل الاديان المختلفة . وقال ابن عباس رضي الله عنه يعني أهل الكتاب كما ذكر في سورة المنفكين (وما تفرق الذين أوتوا الكتاب) الآية ﴿ الا من بعد ماجاءهم العلم ﴾ بان الفرقة ضلالة ولكنهم فعلوا ذلك ﴿ بغيا بينهم ﴾ أي للبغي قال عطاء يعني بغيا بينهم على محمد ﷺ ﴿ ولولا كلمة سبقت من ربك ﴾ في تأخير العذاب عنهم ﴿ الى أجل مسمى ﴾

وقوله جلت عظمته (وإن الذين أورثوا الكتاب من بعدهم) يعني الجيل المتأخر بعد القرن الاول المكذب للحق (لفي شك منه مريب) أي ليسوا على يقين من أمرهم وايمانهم وإنماهم مقلدون لآبائهم واسلافهم بلا دليل ولا برهان وهم في حيرة من امرهم وشك مريب وشقاق بعيد

فلذلك فادع واستقم كما أمرتَ ولا تتبع اهواءهم وقل آمنتُ بما أنزل الله من كتٰبٍ وأمرتُ لأَعدل بينكم اللهُ ربنا وربكم لنا اعمٰلنا ولكم أعمٰلكم لاحجةَ بيننا وبينكم اللهُ يجمع بيننا واليه المصير (١٥)

اشتملت هذه الآية الكريمة على عشر كلمات مستقلات كل منها منفصلة عن التي قبلها حكم برأسها قالوا ولا نظير لها سوى آية الكرسي فانها أيضا عشرة فصول كهذه

وقوله (فلذلك فادع) أي فللذي أوحينا اليك من الدين الذي وصينا به جميع المرسلين قبلك أصحاب الشرائع الكبار المتبعة كأولي العزم وغيرهم فادع الناس اليه . وقوله عز وجل (واستقم كما أمرت) أي واستقم أنت ومن اتبعك على عبادة الله تعالى كما أمركم الله عز وجل وقوله تعالى (ولا تتبع أهواءهم) يعني المشركين فيما اختلقوه وكذبوه وافتروه من عبادة الاوثان

وقوله جل وعلا (وقل آمنت بما انزل الله من كتاب) أي صدقت بجميع الكتب المنزلة من السماء على الانبياء لانفرق بين أحد منهم . وقوله (وأمرت لأعدل بينكم) أى في الحكم كما أمرني الله وقوله جلت عظمته [الله ربنا وربكم] أى هو المعبود لا إله غيره فنحن نقر بذلك اختياراً وأنتم وان لم تفعلوه اختياراً فله يسجد من في العالمين طوعا واجباراً

وقوله تبارك وتعالى [لنا اعمالنا ولكم أعمالكم] أى نحن برآء منكم كما قال سبحانه وتعالى [وان كذبوك فقل لي عملي ولكم عملكم أنتم بريئون مما اعمل وأنا بريء مما تعملون] وقوله تعالى [لاحجة

وهو يوم القيامة ﴿ لقضي بينهم ﴾ بين من آمن وكفر يعني أنزل العذاب بالمكذبين في الدنيا ﴿ وإن الذين أورثوا الكتاب ﴾ يعني اليهود والنصارى ﴿ من بعدهم ﴾ أى من بعد أنبيائهم وقيل من بعد الامم الخالية وقال قتادة معناه من قبلهم أى من قبل مشركي مكة ﴿ لفي شك منه مريب ﴾ أى من محمد ﷺ ﴿ فلذلك فادع ﴾ أى فالى ذلك كما يقال دعوت الى فلان ولفلان وذلك إشارة الى ماوصى به الانبياء من التوحيد ﴿ واستقم كما أمرت ﴾ أى اثبت على الدين الذى أمرت به ﴿ ولا تتبع أهواءهم وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب ﴾ أى آمنت بكتب الله كلها ﴿ وأمرت لأعدل بينكم ﴾ أن أعدل بينكم قال ابن عباس رضي الله عنهما أمرت أن لا أحيف عليكم بأكثر مما افترض الله عليكم من الاحكام وقيل لأعدل بينكم في جميع الاحوال والاشياء ﴿ الله ربنا وربكم لنا أعمالنا ولكم أعمالكم ﴾

بيننا وبينكم] قال مجاهد أي لا خصومة قال السدي وذلك قبل نزول آية السيف وهذا متجه لان هذه الآية مكية وآية السيف بعد الهجرة

وقوله عز وجل [الله يجمع بيننا) أي يوم القيامة كقوله (قل يجمع بيننا ربنا ثم يفتح بيننا بالحق وهو الفتاح العليم) وقوله جل وعلا (واليه المصير) أي المرجع والمآب يوم الحساب

والذين يحاجون في الله من بعد ما استجيب له حجتهم داحضة عند ربهم وعليهم غضب ولهم عذاب شديد (١٦) الله الذي أنزل الكتب بالحق والميزان وما يدريك لعل الساعة قريب (١٧) يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها والذين آمنوا مشفقون منها ويعلمون أنها الحق ألا إن الذين يمارون في الساعة لفي ضلل بعيد (١٨)

يقول تعالى متوعدا الذين يصدون عن سبيل الله من آمن به (والذين يحاجون في الله من بعد ما استجيب له) اي يجادلون المؤمنين المستجيبين لله ولرسوله ليصدوهم عما سلكوه من طريق الهدى (حجتهم داحضة عند ربهم) أي باطلة عند الله (وعليهم غضب) اي منه (ولهم عذاب شديد) أي يوم القيامة قال ابن عباس رضي الله عنه ومجاهد جادلوا المؤمنين بعد ما استجابوا لله ولرسوله ليصدوهم عن الهدى وطمعوا أن تعود الجاهلية ، وقال قتادة هم اليهود والنصارى قالوا لهم ديننا خير من دينكم ونبينا قبل نبيكم ونحن خير منكم وأولى بالله منكم وقد كذبوا في ذلك

ثم قال الله تعالى (الله الذي انزل الكتاب بالحق) يعني الكتب المنزلة من عنده على انبيائه والميزان وهو العدل والانصاف قاله مجاهد وقتادة وهذه كقوله تعالى (لقد ارسلنا رسلنا بالبينات وانزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط) وقوله (والسماء رفعها ووضع الميزان * أن لا تطغوا في الميزان * وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان)

يعني إلهنا واحد وان اختلفت أعمالنا فكل يجازى بعمله ﴿ لا حجة ﴾ لا خصومة ﴿ بيننا وبينكم ﴾ نسختها آية القتال فاذا لم يؤمر بالقتال وأمر بالدعوة لم يكن بينه وبين من لا يجيب خصومة ﴿ الله يجمع بيننا ﴾ في المعاد لفصل القضاء ﴿ واليه المصير * والذين يحاجون في الله ﴾ يخاصمون في دين الله تعالى نبيه ﷺ وقال قتادة هم اليهود قالوا كتابنا قبل كتابكم ونبينا قبل نبيكم فنحن خير منكم فهذه خصومتهم ﴿ من بعد ما استجيب له ﴾ أى استجاب له الناس فأسلموا ودخلوا في دينه لظهور معجزته ﴿ حجتهم داحضة ﴾ خصومتهم باطلة ﴿ عند ربهم وعليهم غضب ولهم عذاب شديد ﴾ في الآخرة ﴿ الله الذى أنزل الكتاب بالحق والميزان ﴾ قال قتادة ومجاهد ومقاتل العدل وسمي العدل ميزانا لان الميزان آلة الانصاف والتسوية قال ابن عباس رضي الله عنهما أمر الله تعالى بالوفاء ونهى عن

وقوله تبارك وتعالى (ومايدريك لعل الساعة قريب) فيه ترغيب فيها وترهيب منها وتزهيد في الدنيا وقوله عز وجل (يستعجل بها الذين لايؤمنون بها) أي يقولون متى هـذا الوعد إن كنتم صادقين وانما يقولون ذلك تكذيبا واستبعادا وكفرا وعناداً (والذين آمنوا مشفقون منها) أي خائفون وجلون من وقوعها (ويعلمون أنها الحق) أي كائنة لامحالة فهم مستعدون لها عاملون من أجلها

وقد روي من طرق تبلغ درجة التواتر في الصحاح والحسان والسنن والمسانيد وفي بعض ألفاظه أن رجلا سأل رسول الله ﷺ بصوت جهوري وهو في بعض أسفاره فناداه فقال يامحمد فقال له رسول الله ﷺ نحوا من صوته « هاؤم » فقال له متى الساعة ؟ فقال له رسول الله ﷺ « ويحك انها كائنة فما أعددت لها ؟ » فقال حب الله ورسوله ، فقال ﷺ « أنت مع من أحببت » فقوله في الحديث « المرء مع من أحب » هذا متواتر لامحالة والغرض انه لم يجبه عن وقت الساعة بل أمره بالاستعداد لها

وقوله تعالى (ألا إن الذين يمارون في الساعة) أي يجادلون في وجودها ويدفعون وقوعها [لفي ضلال بعيد] أي في جهل بين لان الذي خلق السموات والارض قادر على إحياء الموتى بطريق الاولى والاحرى كما قال تعالى [وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه]

الله لطيف بعباده يرزق من يشاء وهو القويُّ العزيز (١٩) من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وماله في الآخرة من نصيب (٢٠) أم لهم شركٰـؤ شرعوا لهم من الدين مالم يأذن به الله ولولا كلمة الفصل لقضي بينهم وإن الظّٰلمين لهم عذاب أليم (٢١) ترى الظّٰلمين مشفقين مما كسبوا وهو واقع بهم والذين آمنوا وعملوا الصّٰلحت في روضات الجنات لهم مايشاءون عند ربهم ، ذلك هو الفضل الكبير (٢٢)

يقول تعالى مخبرا عن لطفه بخلقه في رزقه إياهم عن آخرهم لاينسى أحداً منهم سواء في رزقه البر

البخس ﴿ وما يدريك لعل الساعة قريب ﴾ ولم يقل قريبة لان تأنيثها غير حقيقي ومجازه الوقت قريب وقال الكسائي اتيانها قريب قال مقاتل ذكر النبي ﷺ الساعة ذات يوم وعنده قوم من المشركين فقالوا تكذيبا متى تكون الساعة فأنزل الله هذه الآية ﴿ يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها ﴾ ظنا منهم انها غير آتية ﴿ والذين آمنوا مشفقون ﴾ أى خائفون ﴿ منها ويعلمون أنها الحق ﴾ انها آتية لا ريب فيها ﴿ ألا ان الذين يمارون ﴾ يخاصمون وقيل يدخلهم المرية والشك ﴿ في الساعة لفي ضلال بعيد *

والفاجر كقوله عز وجل (وما من دابة في الارض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين) ولها نظائر كثيرة

وقوله جل وعلا (يرزق من يشاء) أي يوسع على من يشاء (وهو القوي العزيز) أي لا يعجزه شيء ثم قال عز وجل (من كان يريد حرث الآخرة) اي عمل الآخرة [نزد له في حرثه] اي نقويه ونعينه على ما هو بصدده ونكثر نماءه ونجزيه بالحسنة عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى ما يشاء الله (ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الآخرة من نصيب) اي ومن كان انما سعيه ليحصل له شيء من الدنيا وليس له الى الآخرة هم البتة بالكلية حرمه الله الآخرة والدنيا إن شاء أعطاه منها وإن لم يشأ لم يحصل لا هذه ولا هذه، وفاز الساعي بهذه النية بالصفقة الخاسرة في الدنيا والآخرة، والدليل على هذا أن هذه الآية ههنا مقيدة بالآية التي في سبحان وهي قوله تبارك وتعالى [من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما مدحورا * ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فاولئك كان سعيهم مشكوراً * كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظوراً * انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا]

وقال الثوري عن معمر عن أبي العالية عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «بشر هذه الامة بالسناء والرفعة والنصر والتمكين في الارض فمن عمل منهم عمل الآخرة للدنيا لم يكن له في الآخرة من نصيب

الله لطيف بعباده ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما حفي بهم قال عكرمة بار بهم وقال السدي رفيق بهم قال مقاتل لطيف بالبر والفاجر حيث لم يهلكهم جوعا بمعاصيهم يدل عليه قوله ﴿ يرزق من يشاء ﴾ وكل من رزقه الله من مؤمن وكافر وذي روح فهو ممن يشاء الله أن يرزقه قال جعفر بن محمد الصادق اللطف في الرزق من وجهين أحدهما انه جعل رزقك من الطيبات والثاني انه لم يدفعه اليك مرة واحدة ﴿ وهو القوى العزيز * من كان يريد حرث الآخرة ﴾ الحرث في اللغة الكسب يعني من كان يريد بعمله الآخرة ﴿ نزد له في حرثه ﴾ بالتضعيف بالواحد عشرة الى ما شاء الله من الزيادة ﴿ ومن كان يريد حرث الدنيا ﴾ يريد بعمله الدنيا ﴿ نؤته منها ﴾ قال قتادة أى نؤته بقدر ما قسم له كما قال (عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد) ﴿وما له في الآخرة من نصيب ﴾ لانه لم يعمل للآخرة

أخبرنا الامام أبو علي الحسين بن محمد القاضي أنا أبو طاهر الزيادي أنا أبو حامد أحمد بن محمد ابن يحيى بن بلال ثنا ابو الازهر أحمد بن منيع البغدادي ثنا محمد بن يونس الفرياني ثنا سفيان عن المغيرة عن أبي العالية عن أبي بن كعب قال قال رسول الله ﷺ بشرت هذه الامة بالسنا والرفعة والنصرة والتمكين في الارض فمن عمل منهم عمل الآخرة للدنيا لم يكن له في الآخرة نصيب

وقوله جل وعلا (أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين مالم يأذن به الله) أي هم لايتبعون ماشرع الله لك من الدين القويم بل يتبعون ماشرع لهم شياطينهم من الجن والانس من تحريم ماحرموا عليهم من البحيرة والسائبة والوصيلة والحام ، وتحليل أكل الميتة والدم والقمار الى نحو ذلك من الضلالات والجهالة الباطلة التي كانوا قد اخترعوها في جاهليتهم من التحليل والتحريم والعبادات الباطلة والاموال الفاسدة وقد ثبت في الصحيح أن رسول الله ﷺ قال « رأيت عمرو بن لحي بن قمعة يجر قصبه في النار » لانه أول من سيب السوائب وكان هذا الرجل أحد ملوك خزاعة وهو أول من فعل هذه الاشياء وهو الذي حمل قريشاً على عبادة الاصنام لعنه الله وقبحه ولهذا قال تعالى (ولولا كلمة الفصل لقضي بينهم) أي لعوجلوا بالعقوبة لولا ماتقدم من الانظار إلى يوم المعاد (وان الظالمين لهم عذاب أليم) أي شديد موجع في جهنم وبئس المصير ، ثم قال تعالى (ترى الظالمين مشفقين مما كسبوا) أي في عرصات القيامة وهو [وهو واقع بهم] اى الذين يخافون منه واقع بهم لامحالة هذا حالهم يوم معادهم وهم في هذا الخوف والوجل (والذين آمنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنات لهم مايشاؤن عند ربهم) فأين هذا من هذا ؟ أى أين من هو في العرصات في الذل والهوان والخوف المحقق عليه بظلمه ممن هو في روضات الجنات فيما يشاء من مآكل ومشارب وملابس ومساكن ومناظر ومناكح وملاذ ممن لاعين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر :

قال الحسن بن عرفة حدثنا عمرو بن عبدالرحمن الابار حدثنا محمد بن سعد الانصاري عن أبي طيبة قال ان الشرب من أهل الجنة لتظلهم السحابة فتقول ما أمطركم ؟ قال فما يدع داع من القوم بشيء إلا أمطرتهم حتى إن القائل منهم ليقول أمطرينا كواعب أترابا . رواه ابن جرير عن الحسن بن عرفة به ، ولهذا قال تعالى (ذلك هو الفضل الكبير) أي الفوز العظيم والنعمة التامة السابغة الشاملة العامة

ذلك الذى يبشر الله عباده الذين آمنوا وعملوا الصّٰلحٰت ، قل لا أسئلكم عليه أجراً

قوله تعالى ﴿ أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين مالم يأذن به الله ﴾ يعني كفار مكة يقول ألهم آلهة سنوا لهم من الدين مالم يأذن به الله ، قال ابن عباس رضي الله عنهما شرعوا لهم دينا غير دين الاسلام ﴿ ولولا كلمة الفصل ﴾ لولا ان الله حكم في كلمة الفصل بين الخلق بتأخير العذاب عنهم إلى يوم القيامة حيث قال (بل الساعة موعدهم) ﴿ لقضي بينهم ﴾ لفرغ من عذاب الذين يكذبونك في الدنيا ﴿ وإن الظالمين ﴾ المشركين ﴿ لهم عذاب أليم ﴾ في الآخرة ﴿ ترى الظالمين ﴾ المشركين يوم القيامة ﴿ مشفقين ﴾ وجلين ﴿ مما كسبوا وهو واقع بهم ﴾ جزاء كسبهم واقع بهم ﴿ والذين آمنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنات لهم مايشاؤن عند ربهم ذلك هو الفضل الكبير * ذلك الذي ﴾ ذكرت

إلا المودّة في القربى ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا إن الله غفور شكور (٢٣)

أم يقولون افترى على الله كذبا فإن يشإ الله يختم على قلبك ويمحُ الله الباطل ويحق الحق بكلماته انه عليم بذات الصدور (٢٤)

يقول تعالى لما ذكر روضات الجنات ، لعباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات (ذلك الذي يبشر الله عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات) أي هذا حاصل لهم كائن لامحالة ببشارة الله تعالى لهم به

وقوله عز وجل (قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى) أي قل يامحمد لهؤلاء المشركين من كفار قريش لاأسألكم على هذا البلاغ والنصح لكم مالا تعطونيه وانما أطلب منكم أن تكفوا شركم عني وتذروني أبلغ رسالات ربي إن لم تنصروني فلا تؤذوني بما بيني وبينكم من القرابة

قال البخاري حدثنا محمد بن بشار حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن عبدالملك بن ميسرة قال سمعت طاوسا يحدث عن ابن عباس رضي الله عنهما انه سئل عن قوله تعالى إلا المودة في القربى فقال سعيد بن جبير قربى آل محمد فقال ابن عباس عجلت[1] إن النبي ﷺ لم يكن بطن من قريش إلا كان له فيهم قرابة فقال الا أن تصلوا مابيني وبينكم من القرابة انفرد به البخاري ، ورواه الامام احمد عن يحيى القطان عن شعبة به ، وهكذا روى عامر الشعبي والضحاك وعلي بن أبي طلحة والعوفي ويوسف بن مهران وغير واحد عن ابن عباس رضي الله عنهما مثله وبه قال مجاهد وعكرمة وقتادة والسدى وابو مالك وعبدالرحمن بن زيد بن أسلم وغيرهم

وقال الحافظ ابو القاسم الطبراني حدثنا هاشم بن القاسم بن يزيد الطبراني وجعفر القلانسي قالا حدثنا آدم بن أبي اياس حدثنا شريك عن خصيف عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال لهم رسول الله ﷺ « لا أسألكم عليه أجراً إلا أن تودوني في نفسي لقرابتي منكم وتحفظوا

(١) في البغوي عجبت

من نعيم الجنة ﴿ يبشر الله عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴾ بأنهم أهله ﴿ قل لاأسئلكم عليه أجراً إلا المودة في القربى ﴾ أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد ابن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل ثنا محمد بن بشار ثنا محمد بن جعفر ثنا شعبة عن عبدالملك بن ميسرة قال سمعت طاوسا عن ابن عباس رضي الله عنهما انه سئل عن قوله (إلا المودة في القربى) قال سعيد ابن جبير (قربى) آل محمد ﷺ فقال ابن عباس رضى الله عنهما عجبت ان النبي ﷺ لم يكن بطن من قريش إلا كان له فيهم قرابة فقال الا أن تصلوا مابيني وبينكم من القرابة وكذلك روى الشعبي وطاوس عن ابن عباس رضي الله عنهما قال (إلا المودة في القربى) يعني أن تحفظوا قرابتي وتودوني وتصلوا رحمي واليه ذهب مجاهد وقتادة وعكرمة ومقاتل والسدي والضحاك رضي الله عنهم ، وقال

القرابة التي بيني وبينكم » وروى الامام احمد عن حسن بن موسى حدثنا قزعة يعني ابن سويد وابن أبي حاتم عن أبيه عن مسلم بن ابراهيم عن قزعة بن سويد عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال « لا أسألكم على ما آتيتكم من البينات والهدى أجراً إلا أن توادوا الله تعالى وأن تقربوا اليه بطاعته » وهكذا روى قتادة عن الحسن البصري مثله وهذا كأنه تفسير بقول ثان كأنه يقول الا المودة في القربى أي الا أن تعملوا بالطاعة التي تقربكم عند الله زلفى ، وقول ثالث وهو ماحكاه البخاري وغيره رواية عن سعيد بن جبير مامعناه أنه قال معنى ذلك أن تودوني في قرابتي أي تحسنوا اليهم وتبروهم

وقال السدي عن أبي الديلم قال : لما جيء بعلي بن الحسين رضي الله عنه أسيراً فأقيم على درج دمشق قام رجل من أهل الشام فقال الحمد لله الذي قتلكم واستأصلكم وقطع قرن الفتنة فقال له علي ابن الحسين رضي الله عنه أقرأت القرآن ؟ قال نعم : قال أقرأت آل حم قال قرأت القرآن ولم أقرأ آل حم قال ما قرأت (قل لا أسألكم عليه أجرا الا المودة في القربى) قال وانكم لأنتم هم قال نعم وقال ابو إسحاق السبيعي سألت عمرو بن شعيب عن قوله تبارك وتعالى (قل لا أسألكم عليه أجرا الا المودة في القربى) فقال قربى النبي ﷺ رواهما ابن جرير

ثم قال ابن جرير حدثنا ابو كريب حدثنا مالك بن اسماعيل حدثنا عبدالسلام حدثني يزيد بن أبي زياد عن مقسم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قالت الانصار فعلنا وفعلنا وكأنهم فخروا فقال ابن عباس اوالعباس رضي الله عنهما - شك عبدالسلام - لنا الفضل عليكم فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فأتاهم في مجالسهم فقال « يامعشر الانصار ألم تكونوا أذلة فأعزكم الله بي ؟ » قالوا بلى يارسول الله قال ﷺ « ألم تكونوا ضلالا فهداكم الله بي ؟ - قالوا بلى يارسول الله قال - أفلاتجيبوني ؟ - قالوا مانقول يارسول الله قال - ألا تقولون ألم يخرجك قومك فآويناك اولم يكذبوك فصدقناك او لم يخذلوك فنصرناك - قال فما زال ﷺ يقول حتى جثوا على الركب وقالوا أموالنا في أيدينا لله ولرسوله قال فنزلت (قل

عكرمة لا أسئلكم على ماأدعوكم اليه أجرا إلا أن تحفظوني في قرابتي بيني وبينكم وليس كما يقول الكذابون وروى ابن أبي نجيح عن مجاهد عن ابن عباس في معنى الآية إلا أن توادوا الله وتتقربوا اليه بطاعته وهذا قول الحسن قال هو القربى الى الله يقول إلا التقرب الى الله والتودد اليه بالطاعة والعمل الصالح وقال بعضهم معناه إلا أن تودوا قرابتي وعترتي وتحفظوني فيهم وهو قول سعيد بن جبير وعمرو بن شعيب واختلفوا في قرابته قيل هم فاطمة الزهراء وعلي وابناهما وفيهم نزل (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت) وروينا عن يزيد بن حيان عن زيد بن أرقم عن النبي ﷺ قال « إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي » قيل لزيد بن أرقم من أهل بيته؟ قال هم آل علي وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس . أخبرنا عبدالواحد المليحي أنا احمد بن عبد الله النعيمي

لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى) وهكذا رواه ابن أبي حاتم عن علي بن الحسين عن عبد المؤمن ابن علي عن عبد السلام عن يزيد بن أبي زياد وهو ضعيف باسناده مثله او قريبا منه

وفي الصحيحين في قسم غنائم حنين قريب من هذا السياق ولكن ليس فيه ذكر نزول هذه الآية ، وذكر نزولها في المدينة فيه نظر لان السورة مكية وليس يظهر بين هذه الآية وهذا السياق مناسبة والله أعلم

وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا رجل سماه حدثنا حسين الاشقر عن قيس عن الاعمش عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنه قال : لما نزلت هذه الآية (قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى) قالوا يارسول الله من هؤلاء الذين أمر الله بودتهم ؟ قال « فاطمة وولدها رضي الله عنهم » وهذا إسناد ضعيف فيه مبهم لا يعرف عن شيخ شيعي مخترق وهو حسين الاشقر ولا يقبل خبره في هذا المحل، وذكر نزول الآية في المدينة بعيد فانها مكية ولم يكن إذ ذاك لفاطمة رضي الله عنها أولاد بالكلية فانها لم تتزوج بعلي رضي الله عنه لا بعد بدر من السنة الثانية من الهجرة

والحق تفسير هذه الآية بما فسرها به حبر الامة وترجمان القرآن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما كما رواه عنه البخاري ولا تنكر الوصاة بأهل البيت والامر بالاحسان اليهم واحترامهم وإكرامهم فانهم من ذرية طاهرة من أشرف بيت وجد على وجه الارض فخراً وحسباً ونسباً ولا سيما إذا كانوا متبعين للسنة النبوية الصحيحة الواضحة الجلية كما كان عليه سلفهم كالعباس وبنيه وعلي وأهل بيته وذريته رضي الله عنهم أجمعين

وقد ثبت في الصحيح أن رسول الله ﷺ قال في خطبته بغدير خم « اني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي وإنهما لم يفترقا حتى يردا علي الحوض »

وقال الامام أحمد حدثنا يزيد بن هارون أنا اسماعيل بن أبي خالد عن يزيد بن أبي زياد عن عبد الله ابن الحارث عن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه قال : قلت يارسول الله إن قريشاً إذا لقي بعضهم

أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل ثنا عبد الله بن عبد الوهاب ثنا خالد ثنا شعبة عن واقد قال سمعت أبي يحدث عن ابن عمر عن أبي بكر قال ارقبوا محمداً في أهل بيته . وقيل هم الذين تحرم عليهم الصدقة من أقاربه ويقسم فيهم الخمس وهم بنو هاشم وبنو المطلب الذين لم يتفرقوا في جاهلية ولا في إسلام ، وقال قوم هذه الآية منسوخة وانما نزلت بمكة وكان المشركون يؤذون رسول الله ﷺ فأنزل الله هذه الآية فأمرهم فيها بمودة رسول الله ﷺ وصلة رحمه ، فلما هاجر الى المدينة وآواه الانصار ونصروه أحب الله عز وجل أن يلحقه باخوانه من الانبياء عليهم السلام حيث قال (وما أسئلكم عليه من أجر إن أجري إلا على رب العالمين) فأنزل الله تعالى (قل لا أسألكم عليه أجرا - قل ما سألتكم من أجر فهو لكم إن أجري) فهي منسوخة بهذه الآية وبقوله (قل ما أسئلكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين)

بعضا لقوهم يبشر حسن وإذا لقونا لقونا بوجوه لا نعرفها ، قال فغضب النبي ﷺ غضبا شديدا وقال « والذي نفسي بيده لا يدخل قلب الرجل الايمان حتى يحبكم لله ولرسوله » ثم قال أحمد حدثنا جرير عن يزيد بن أبي زياد عن عبد الله بن الحارث عن عبد المطلب بن ربيعة قال دخل العباس رضي الله عنه على رسول الله ﷺ فقال إنا لنخرج فنرى قريشا تحدث فاذا رأونا سكتوا فغضب رسول الله ﷺ ودر عرق بين عينيه ثم قال ﷺ « والله لا يدخل قلب امرىء مسلم ايمان حتى يحبكم لله ولقرابتي » وقال البخاري حدثنا عبد الله بن عبد الوهاب حدثنا خالد حدثنا شعبة عن واقد قال سمعت أبي يحدث عن ابن عمر رضي الله عنهما عن أبي بكر — هو الصديق — رضي الله عنه قال : ارقبوا محمدا صلى الله عليه وسلم في أهل بيته . وفي الصحيح أن الصديق رضي الله عنه قال لعلي رضي الله عنه : والله لقرابة رسول الله ﷺ أحب إلي أن أصل من قرابتي

وقال عمر بن الخطاب للعباس رضي الله عنهما : والله لاسلامك يوم أسلمت كان أحب إلي من إسلام الخطاب لو أسلم لان اسلامك كان أحب إلى رسول الله ﷺ من اسلام الخطاب . فحال الشيخين رضي الله عنهما هو الواجب على كل أحد أن يكون كذلك ولهذا كانا أفضل المؤمنين بعد النبيين والمرسلين رضي الله عنهما وعن سائر الصحابة أجمعين

وقال الامام أحمد رحمه الله حدثنا اسماعيل بن ابراهيم عن أبي حيان التيمي حدثني يزيد بن حيان قال انطلقت أنا وحصين بن ميسرة وعمر بن مسلم إلى زيد بن أرقم رضي الله عنه فلما جلسنا اليه قال حصين لقد لقيت يا زيد خيرا كثيرا : رأيت رسول الله ﷺ وسمعت حديثه وغزوت معه وصليت معه . لقد رأيت يا زيد خيرا كثيرا حدثنا يا زيد ما سمعت من رسول الله ﷺ فقال : يا ابن أخي لقد كبر سني وقدم عهدي ونسيت بعض الذي كنت أعي من رسول الله ﷺ فما حدثتكم فاقبلوه

وغيرها من الآيات وإلى هذا ذهب الضحاك بن مزاحم والحسين بن الفضل وهذا قول غير مرضي لأن مودة النبي ﷺ وكف الأذى عنه ومودة أقاربه والتقرب الى الله بالطاعة والعمل الصالح من فرائض الدين وهذه أقاويل السلف في معنى الآية فلا يجوز المصير الى نسخ شيء من هذه الاشياء ، وقوله (إلا المودة في القربى) ليس باستثناء متصل بالاول حتى يكون ذلك أجراً في مقابلة أداء الرسالة بل هو منقطع ومعناه ولكني أذكركم المودة في القربى وأذكركم قرابتي منكم كما روينا في حديث زيد بن أرقم « أذكركم الله في أهل بيتي »

قوله تعالى ﴿ ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا ﴾ أى من يكتسب طاعة نزد له فيها حسنا بالتضعيف ﴿ إن الله غفور ﴾ للذنوب ﴿ شكور ﴾ للقليل حتى يضاعفها ﴿ أم يقولون ﴾ بل يقولون يعني كفار مكة ﴿ افترى على الله كذبا فان يشأ الله يختم على قلبك ﴾ قال مجاهد يربط على قلبك بالصبر

وما لا فلا تكلفونيه . ثم قال رضي الله عنه : قام رسول الله ﷺ يوما خطيبا فينا بماء يدعى خما بين مكة والمدينة فحمد الله تعالى وأثنى عليه وذكر ووعظ ثم قال ﷺ « أما بعد أيها الناس انما أنا بشر يوشك أن يأتيني رسول ربي فأجيب ، وإني تارك فيكم الثقلين أولهما كتاب الله تعالى فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به » فحث على كتاب الله ورغب فيه وقال ﷺ « وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي ، أذكركم الله في أهل بيتي » فقال له حصين ومن أهل بيته يازيد ؟ أليس نساؤه من أهل بيته ؟ قال ان نساءه من أهل بيته ولكن أهل بيته من حرم عليه الصدقة بعده قال ومن هم ؟ قال هم آل علي وآل عقيل وآل جعفر وآل العباس رضي الله عنهم ، قال أكل هؤلاء حرم عليه الصدقة ؟ قال نعم ، وهكذا رواه مسلم في الفضائل والنسائي من طرق عن يزيد بن حيان به

وقال أبو عيسى الترمذي حدثنا علي بن المنذر الكوفي حدثنا محمد بن فضيل حدثنا الاعمش عن عطية عن أبي سعيد والاعمش عن حبيب بن أبي ثابت عن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « إني تارك فيكم ماان تمسكتم به لن تضلوا بعدي أحدهما أعظم من الآخر كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الارض ، والآخر عترتي أهل بيتي ولن يتفرقا حتى يردا علي الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما » تفرد بروايته ثم قال هذا حديث حسن غريب

وقال الترمذي أيضا حدثنا نصر بن عبد الرحمن الكوفي حدثنا زيد بن الحسن عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال : رأيت رسول الله ﷺ في حجته يوم عرفة وهو على ناقته القصواء يخطب فسمعته يقول « ياأيها الناس إني تركت فيكم ماإن أخذتم به لن تضلوا كتاب الله وعترتي أهل بيتي » تفرد به الترمذي أيضا وقال حسن غريب . وفي الباب عن أبي ذر وأبي سعيد وزيد بن أرقم وحذيفة بن أسيد رضي الله عنهم

ثم قال الترمذي أيضا ثنا أبو داود سليمان الاشعث حدثنا يحيي بن معين حدثنا هشام بن يوسف عن عبد الله بن سليمان النوفلي عن محمد بن علي بن عبدالله بن عباس عن أبيه عن جده عبد الله بن عباس رضي الله عنهم قال : قال رسول الله ﷺ « أحبوا الله تعالى لما يغذوكم من نعمه ، وأحبوني بحب الله واحبوا أهل بيتي بحبي » ثم قال حسن غريب انما نعرفه من هذا الوجه وقد أوردنا أحاديث أخر عند قوله تعالى [انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا] بما أغنى عن اعادتها ههنا ولله الحمد والمنة

حتى لايشق عليك أذاهم وقولهم انه مفتر ، قال قتادة يعني يطبع على قلبك فينسيك القرآن وما آتاك فأخبرهم انه لو افترى على الله كذبا لفعل به ما أخبر عنه في هذه الآية ثم ابتدأ فقال (ويمح الله الباطل) قال الكسائي فيه تقديم وتأخير مجازه والله يمحو الباطل فهو في محل رفع ولكنه حذفت منه الواو في المصحف على اللفظ كما حذفت من قوله (ويدع الانسان ، وسندع الزبانية) أخبر أن ما يقولونه

وقال الحافظ أبو يعلى حدثنا سويد بن سعيد حدثنا مفضل بن عبد الله عن أبي اسحاق عن حنش قال سمعت أبا ذر رضي الله عنه وهو آخذ بحلقة الباب يقول: من عرفني فقد عرفني، ومن أنكرني فأنا أبو ذر سمعت رسول الله ﷺ يقول « انما مثل أهل بيتي فيكم كمثل سفينة نوح عليه الصلاة والسلام من دخلها نجا، ومن تخلف عنها هلك » هذا بهذا الاسناد ضعيف

وقوله عز وجل (ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا) أي ومن يعمل حسنة نزد له فيها حسنا أي أجراً وثوابا كقوله تعالى [إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجراً عظيما] وقال بعض السلف إن من ثواب الحسنة الحسنة بعدها، ومن جزاء السيئة السيئة بعدها، وقوله تعالى (إن الله غفور شكور) أي يغفر الكثير من السيئات ويكثر القليل من الحسنات فيستر ويغفر ويضاعف فيشكر

وقوله جل وعلا (أم يقولون افترى على الله كذبا فان يشأ الله يختم على قلبك) أي لو افتريت عليه كذبا كما يزعم هؤلاء الجاهلون [يختم على قلبك] أي يطبع على قلبك وسلبك ما كان آتاك من القرآن كقوله جل جلاله [ولو تقول علينا بعض الاقاويل لأخذنا منه باليمين * ثم لقطعنا منه الوتين * فما منكم من أحد عنه حاجزين] أي لانتقمنا منه أشد الانتقام وما قدر أحد من الناس أن يحجز عنه

وقوله جلت عظمته (ويمح الله الباطل) ليس معطوفا على قوله [يختم] فيكون مجزوما بل هو مرفوع على الابتداء. قاله ابن جرير قال وحذفت من كتابته الواو في رسم المصحف الامام كما حذفت في قوله [سندع الزبانية] وقوله تعالى [ويدع الانسان بالشر دعاءه بالخير] وقوله عز وجل (ويحق الحق بكلماته) معطوف على [ويمح الله الباطل ويحق الحق] أي يحققه ويثبته ويبينه ويوضحه بكلماته أي بحججه وبراهينه (انه عليم بذات الصدور) أي بما تكنه الضمائر وتنطوي عليه السرائر

وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ويعلم ما تفعلون (٢٥) ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله والكافرون لهم عذاب شديد (٢٦) ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض ولكن ينزل بقدر ما يشاء انه بعباده خبير بصير (٢٧)

باطل يمحوه الله ﴿ ويحق الحق بكلماته ﴾ أي الاسلام بما أنزل من كتابه وقد فعل الله ذلك فمحا باطلهم وأعلى كلمة الاسلام ﴿ انه عليم بذات الصدور ﴾ قال ابن عباس لما نزلت (قل لا أسألكم عليه أجراً الا المودة في القربى) وقع في قلوب قوم منهم شيء: وقالوا يريد أن يحثنا على أقاربه من بعده فنزل جبريل فأخبره انهم اتهموه وأنزل هذه الآية: فقال القوم الذين اتهموه يا رسول الله انا نشهد أنك صادق فنزل ﴿ وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ﴾ قال ابن عباس يريد أولياءه وأهل طاعته قيل

وهو الذى ينزل الغيث من بعد ماقنطوا وينشر رحمته وهو الولي الحميد (٢٨)

يقول تعالى ممتنا على عباده بقبول توبتهم اليه اذا تابوا ورجعوا اليه انه من كرمه وحلمه انه يعفو ويصفح ويستر ويغفر كقوله عز وجل (ومن يعمل سوأ أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيما) وقد ثبت في صحيح مسلم رحمة الله عليه حيث قال حدثنا محمد بن الصباح وزهير بن حرب قالا حدثنا عمر بن يونس حدثنا عكرمة بن عمار حدثنا اسحاق بن أبي طلحة حدثني أنس بن مالك وهو عمه رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « لله تعالى أشد فرحا بتوبة عبده حين يتوب اليه من أحدكم كانت راحلته بأرض فلاة فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه فأيس منها فأتى شجرة فاضطجع في ظلها قد أيس من راحلته فبينما هو كذلك اذا هو بها قائمة عنده فأخذ بخطامها ثم قال من شدة الفرح اللهم أنت عبدي وأنا ربك أخطأ من شدة الفرح »

وقد ثبت أيضا في الصحيح من رواية عبد الله بن مسعود رضي الله عنه نحوه ، وقال عبد الرزاق عن معمر عن الزهرى في قوله تعالى (وهو الذى يقبل التوبة عن عباده) إن أبا هريرة رضي الله عنه قال . قال رسول الله ﷺ « لله أشد فرحا بتوبة عبده من أحدكم يجد ضالته في المكان الذى يخاف أن يقتله فيه العطش »

وقال همام بن الحارث سئل ابن مسعود رضي الله عنه عن الرجل يفجر بالمرأة ثم يتزوجها ؟ قال لا بأس به وقرأ (وهو الذى يقبل التوبة عن عباده) الآية . رواه ابن جرير وابن أبي حاتم من حديث شريح القاضي عن ابراهيم بن مهاجر عن ابراهيم النخعي عن همام فذكره

وقوله عز وجل (ويعفو عن السيئات) أي يقبل التوبة في المستقبل ويعفو عن السيئات في الماضي

التوبة ترك المعاصي نية وفعلا والاقبال على الطاعة نية وفعلا قال سهل بن عبد الله التوبة الانتقال من الاحوال المذمومة الى الاحوال المحمودة ﴿ ويعفو عن السيئات ﴾ إذا تابوا فلا يؤاخذهم بها

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أبو منصور محمد بن محمد بن سمعان ثنا ابو جعفر محمد بن أحمد ابن عبد الجبار الرياني أنا حميد بن زنجويه ثنا يحيي بن حماد ثنا أبو عوانة عن سليمان الاعمش عن عمارة بن عمير عن الحارث بن سويد قال : دخلت على عبد الله أعوده فقال سمعت رسول الله ﷺ يقول « لله أفرح بتوبة عبده من رجل أظنه في برية مهلكة معه راحلته عليها طعامه وشرابه فنزل فنام فاستيقظ وقد ضلت راحلته فطاف عليها حتي أدركه العطش فقال أرجع الى حيث كانت راحلتي فأموت عليه فرجع فأغفى فاستيقظ فاذا هو بها عنده عليها طعامه وشرابه »

أخبرنا اسماعيل بن عبد القاهر أنا عبد الغافر بن محمد أنا محمد بن عيسى الجلودي ثنا ابراهيم بن محمد بن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج ثنا محمد بن الصباح وزهير بن حرب قالا ثنا عمر بن يونس ثنا

(ويعلم ماتفعلون) أي هو عالم بجميع مافعلتم وصنعتم وقلتم ومع هذا يتوب على من تاب اليه . وقوله تعالى (ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات) قال السدي يعني يستجيب لهم وكذا قال ابن جرير معناه يستجيب لهم الدعاء لانفسهم ولاصحابهم واخوانهم وحكاه عن بعض النحاة وأنه جعلها كقوله عز وجل (فاستجاب لهم ربهم) ثم روى هو وابن أبي حاتم من حديث الاعمش عن شقيق بن سلمة عن سلمة بن سبرة قال خطبنا معاذ رضي الله عنه بالشام فقال أنتم المؤمنون وانتم أهل الجنة والله إني لارجو أن يدخل الله تعالى من تسبون من فارس والروم الجنـة وذلك بأن أحدكم اذا عمل له يعني أحدهم عملا قال احسنت رحمك الله أحسنت بارك الله فيك ثم قرأ (ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله)

وحكى ابن جرير عن بعض أهل العربية أنه جعل قوله (الذين يستمعون القول) أي هم الذين يستجيبون للحق ويتبعونه كقوله تبارك وتعالى (إنما يستجيب الذين يسمعون والموتى يبعثهم الله) والمعنى الاول أظهر لقوله تعالى (ويزيدهم من فضله) أي يستجيب دعاءهم ويزيدهم فوق ذلك ولهذا قال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا محمد بن المصفى حدثنا بقية حدثنا اسماعيل ابن عبد الله الكندي حدثنا الاعمش عن شقيق عن عبد الله رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ في قوله تعالى (ويزيدهم من فضله) قال « الشفاعة لمن وجبت له النار ممن صنع اليهم معروفا في الدنيا »

وقال قتادة عن ابراهيم النخعي في قوله عز وجل (ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات) قال يشفعون في اخوانهم (ويزيدهم من فضله) قال يشفعون في اخوان اخوانهم . وقوله عز وجل (والكافرون لهم عذاب شديد) لما ذكر المؤمنين وما لهم من الثواب الجزيل ذكر الكافرين ومالهم عنده يوم القيامة من العذاب الشديد الموجع المؤلم يوم معادهم وحسابهم

عكرمة بن عمار ثنا اسحاق بن أبي طلحة حدثني أنس بن مالك وهو عمه قال قال رسول الله ﷺ « لله أشد فرحا بتوبة عبده حين يتوب اليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه فأيس منها فأتى شجرة فاضطجع في ظلها وقد أيس من راحلته فبينا هو كذلك إذا هو بها قائمـة عنده فأخذ بخطامها ثم قال من شدة الفرح اللهم أنت عبدي وأنا ربك » أخطأ من شدة الفرح (ويعفو عن السيئات) فيمحوها إذا تابوا ﴿ ويعلم ما تفعلون ﴾ قرأ حمزة والكسائي وحفص تفعلون بالتاء . وقالوا هو خطاب للمشركين وقرأ الآخرون بالياء لانه بين خبرين عن قوم . فقال قبله يقبل التوبة عن عباده وبعده ويزيدهم من فضله ﴿ ويستجيب الذين آمنوا ﴾ أي ويجيب الذين آمنوا ﴿ وعملوا الصالحات ﴾ اذا دعوه . وقال عطاء عن ابن عباس ويثيب الذين آمنوا ﴿ ويزيدهم من فضله ﴾ سوى ثواب أعمالهم تفضلا منه وقال أبو صالح عنه يشفعهم في اخوانهم (ويزيدهم من فضله) قال في اخوان اخوانهم ﴿ والكافرون لهم عذاب شديد * ولو بسط الله الرزق لعباده ﴾ قال خباب بن الارت فينا

وقوله تعالى (ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض) أي لو اعطاهم فوق حاجتهم من الرزق لحملهم ذلك على البغي والطغيان من بعضهم علي بعض أشراً و بطراً وقال قتادة كان يقال خير العيش مالا يلهيك ولا يطغيك وذكر قتادة حديث « إنما أخاف عليكم مايخرج الله تعالى من زهرة الحياة الدنيا » وسؤال السائل أيأتي الخير بالشر ؟ الحديث

وقوله عز وجل (ولكن ينزل بقدر مايشاء إنه بعباده خبير بصير) أي ولكن يرزقهم من الرزق مايختاره مما فيه صلاحهم وهو أعلم بذلك فيغني من يستحق الغنى ويفقر من يستحق الفقر كما جاء في الحديث المروي « إن من عبادي من لا يصلحه إلا الغنى ولو افقرته لافسدت عليه دينه وان من عبادي من لا يصلحه إلا الفقر ولو اغنيته لافسدت عليه دينه »

وقوله تعالى (وهو الذي ينزل الغيث من بعد ماقنطوا) أي من بعد اياس الناس من نزول المطر ينزله عليهم في وقت حاجتهم وفقرهم اليه كقوله عز وجل (وان كانوا من قبل أن ينزل عليهم من

نزلت هذه الآية وذلك انا نظرنا الى أموال بني قريظة والنضير وبني قينقاع فتمنيناها فأنزل الله عز وجل هذه الآية (ولو بسط الله الرزق) وسع الله الرزق لعباده ﴿لبغوا﴾ لطغوا وعتوا ﴿في الارض﴾ قال ابن عباس بغيهم طلبهم منزلة بعد منزلة ومركبا بعد مركب وملبسا بعد ملبس ﴿ ولكن ينزل ﴾ أرزاقهم ﴿ بقدر ما يشاء ﴾ كما يشاء نظراً منه لعباده والحكمة اقتضتها قدرته ﴿ انه بعباده خبير بصير ﴾

أخبرنا احمد بن عبد الله الصالحي انا أبو عمر بكر بن محمد المزني ثنا ابو بكر محمد بن عبد الله حفيد العباس بن حمزة ثنا الحسين بن الفضل البجلي ثنا ابو حفص عمر بن سعيد الدمشقي ثنا صدقة بن عبد الله ثنا هشام الكناني عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ عن جبريل عن الله عز وجل قال « يقول الله عز وجل من أهان لي وليا فقد بارزني بالمحاربة وإني لأغضب لأوليائي كما يغضب الليث الحرد ، وماتقرب الي عبدي المؤمن بمثل أداء ما افترضت عليه ، وما يزال عبدي المؤمن يتقرب الي بالنوافل حتى أحبه فاذا أحببته كنت له سمعا وبصراً ولسانا ويداً ومؤيداً ، إن دعاني أجبته وإن سألني أعطيته وما ترددت في شيء أنا فاعله ترددي في قبض روح عبدي المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته ولا بد له منه ، وإن من عبادي المؤمنين لمن يسألني الباب من العبادة فأكفه عنه أن لا يدخله عجب فيفسده ذلك ، وإن من عبادي المؤمنين لمن لا يصلح إيمانه الا الغنى ولو أفقرته لافسده ذلك ، وان من عبادي المؤمنين لمن لا يصلح إيمانه إلا الفقر ولو أغنيته لأفسده ذلك ، وإن من عبادي المؤمنين لمن لا يصلح إيمانه إلا الصحة ولو أسقمته لأفسده ذلك ، وان من عبادي المؤمنين لمن لا يصلح ايمانه الا السقم ولو أصححته لأفسده ذلك ، إني أدبر أمر عبادي بعلمي بقلوبهم إني عليم خبير »

قوله عز وجل ﴿ وهو الذي ينزل الغيث ﴾ المطر ﴿ من بعد ما قنطوا ﴾ يعني من بعد ما يئس الناس عنه وذلك أدعى لهم إلى الشكر قال مقاتل حبس الله المطر عن اهل مكة سبع سنين حتى قنطوا

قبله لمبلسين) وقوله جل جلاله (وينشر رحمته) أي يعم بها الوجود على أهل ذلك القطر وتلك الناحية قال قتادة ذكر لنا أن رجلا قال لعمر بن الخطاب رضي الله عنه يا أمير المؤمنين قحط المطر وقنط الناس فقال عمر رضي الله عنه مطرتم ثم قرأ (وهو الذى ينزل الغيث من بعد ماقنطوا وينشر رحمته وهو الولي الحميد) أي هو المتصرف لخلقه بما ينفعهم في دنياهم واخراهم وهو المحمود العاقبة في جميع مايقدره ويفعله

ومن آيته خلق السموٰت والأرض وما بث فيهما من دابة وهو على جمعهم إذا يشاء قدير (٢٩) وما أصبكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير (٣٠) وما أنتم بمعجزين في الأرض وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير (٣١)

يقول تعالى ومن آياته الدالة على عظمته وقدرته العظيمة وسلطانه القاهر (خلق السموات والارض وما بث فيهما) أى ذرأ فيهما أى في السموات والارض (من دابة) وهذا يشمل الملائكه والانس والجن وسائر الحيوانات على اختلاف اشكالهم والوانهم ولغاتهم وطباعهم واجناسهم وانواعهم وقد فرقهم في ارجاء أقطار السموات والارض (وهو) مع هذا كله (على جمعهم اذا يشاء قدير) أى يوم القيامة يجمع الاولين والآخرين وسائر الخلائق في صعيد واحد يسمعهم الداعي وينفذهم البصر فيحكم فيهم بحكمه العدل الحق

وقوله عز وجل (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم) أي مهما أصابكم أيها الناس من المصائب فانما هي سيئات تقدمت لكم (ويعفو عن كثير) أي من السيئات فلا يجازيكم عليها بل يعفو عنها [ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ماترك على ظهرها من دابة] وفي الحديث الصحيح « والذي نفسي بيده مايصيب المؤمن من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن إلا كفر الله عنه بها من خطاياه حتى الشوكة يشاكها »

ثم أنزل الله المطر فذكرهم الله بنعمته ﴿ وينشر رحمته ﴾ يبسط مطره كما قال (وهو الذي يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته) ﴿ وهو الولي ﴾ لاهل طاعته ﴿ الحميد ﴾ عند خلقه ﴿ ومن آياته خلق السموات والارض وما بث فيهما من دابة وهو على جمعهم اذا يشاء قدير ﴾ يعني يوم القيامة ﴿ وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ﴾ قرأ أهل المدينة والشام بما كسبت بغير فاء وكذلك هو في مصاحفهم فمن حذف الفاء جعل ما في أول الآية بمعنى الذي يعنى الذي أصابكم بما كسبت أيديكم ﴿ ويعفو عن كثير ﴾ قال الحسن لما نزلت هذه الآية قال رسول الله ﷺ « والذي نفس محمد بيده ما من خدش عود ولا عثرة قدم ولا اختلاج عرق الا بذنب وما يعفو الله عنه اكثر »

وقال ابن جرير ثنا يعقوب بن ابراهيم حدثنا ابن علية حدثنا أيوب قال : قرأت في كتاب أبي قلابة قال نزلت (فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره * ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره) وأبو بكر رضي الله عنه يأكل فأمسك وقال : يارسول الله إني أرى ماعملت من خير وشر ؟ فقال « أرأيت ما رأيت مما تكره فهو من مثاقيل ذر الشر وتدخر مثاقيل الخير حتى تعطاه يوم القيامة » قال : قال أبو ادريس فاني أرى مصداقها في كتاب الله تعالى (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير) ثم رواه من وجه آخر عن أبي قلابة عن أنس رضي الله عنه قال والاول أصح

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا محمد بن عيسى بن الطباع حدثنا مروان بن معاوية الفزاري حدثنا الأزهر بن راشد الكاهلي عن الخضر بن القواس البجلي عن أبي سخيلة عن علي رضي الله عنه قال : ألا أخبركم بأفضل آية في كتاب الله عز وجل وحدثنا به رسول الله ﷺ قال « ما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير وسأفسرها لك ياعلي ما أصابكم من مرض أو عقوبة أو بلاء في الدنيا فبما كسبت أيديكم والله تعالى أحلم من أن يثني عليه العقوبة في الآخرة وما عفا الله عنه في الدنيا فالله تعالى أكرم من أن يعود بعد عفوه » وكذا رواه الامام أحمد عن مروان بن معاوية وعبدة عن أبي سخيلة قال : قال علي رضي الله عنه فذكر نحوه مرفوعا

ثم روى ابن أبي حاتم نحوه من وجه آخر موقوفا فقال : حدثنا أبي حدثنا منصور بن أبي مزاحم حدثنا أبو سعيد بن أبي الوضاح عن أبي الحسن عن أبي جحيفة قال : دخلت على علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال : ألا أحدثكم بحديث ينبغي لكل مؤمن أن يعيه ؟ قال فسألناه فتلا هذه الآية (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير) قال ما عاقب الله تعالى به في الدنيا فالله أحلم من أن يثني عليه العقوبة يوم القيامة وما عفا الله عنه في الدنيا فالله أكرم من أن يعود في عفوه يوم القيامة

وقال الامام احمد حدثنا يعلى بن عبيد حدثنا طلحة يعني ابن يحيى عن أبي بردة عن معاوية هو ابن أبي سفيان رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول « ما من شيء يصيب المؤمن في جسده يؤذيه الا كفر الله تعالى عنه به من سيئاته » وقال احمد أيضا حدثنا حسن عن زائدة عن ليث عن مجاهد عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اذا كثرت ذنوب العبد ولم يكن له ما يكفرها ابتلاه الله تعالى بالحزن ليكفرها »

أخبرنا ابو سعيد الشريحي أنا ابو اسحاق الثعلبي أخبرني ابو عبد الله بن فنجويه ثنا ابو بكر ابن مالك القطيعي ثنا بشر بن موسى الاسدي ثنا خلف بن الوليد ثنا مروان بن معاوية أخبرني الازهر بن راشد الكاهلي عن الخضر بن القواس البجلي عن أبي سخيلة قال . قال علي بن أبي طالب « ألا أخبركم بأفضل آية في كتاب الله عز وجل حدثنا بها رسول الله ﷺ (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير) قال « وسأفسرها لك ياعلي ما أصابكم من مرض أو عقوبة

وقال ابن أبي حاتم حدثنا عمرو بن عبدالله الاودي حدثنا أبو أسامة عن اسماعيل بن مسلم عن الحسن هو البصري قال في قوله تبارك وتعالى (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير) قال لما نزلت قال رسول الله ﷺ « والذي نفس محمد بيده ما من خدش عود ولا اختلاج عرق ولا عثرة قدم إلا بذنب وما يعفو الله عنه أكثر »

وقال أيضا حدثنا أبي حدثنا عمرو بن علي حدثنا هشيم عن منصور عن الحسن عن عمران بن حصين رضي الله عنه قال : دخل عليه بعض أصحابه وقد كان ابتلي في جسده فقال له بعضهم انا لنبأس لك لما نرى فيك ، قال فلا تبتئس بما ترى فان ما ترى بذنب وما يعفو الله عنه أكثر ثم تلا هذه الآية (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير)

وحدثنا أبي حدثنا يحيى بن عبد الحميد الحماني حدثنا جرير عن أبي البلاد قال قلت للعلاء بن بدر (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم) وقد ذهب بصري وأنا غلام ؟ قال فبذنوب والديك

وحدثنا أبي حدثنا علي بن محمد الطنافسي حدثنا وكيع عن عبد العزيز بن أبي داود عن الضحاك قال ما نعلم أحداً حفظ القرآن ثم نسيه إلا بذنب ثم قرأ الضحاك (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير) ثم يقول الضحاك وأي مصيبة أعظم من نسيان القرآن

ومن آيٰته الجوار في البحر كالأعلٰم (٣٢) إن يشأ يُسكن الريح فيظلَلْن رواكدَ على ظهره إن في ذلك لآيٰت لكل صبّار شكور (٣٣) أو يوبقهُنّ بما كسبوا ويعف عن كثير (٣٤) ويعلمَ الذين يجٰدلون في آيٰتنا ما لهم من محيص (٣٥)

يقول تعالى ومن آياته الدالة على قدرته الباهرة وسلطانه تسخيره البحر لتجري فيه الفلك بأمره وهي الجواري في البحر كالاعلام أي كالجبال قاله مجاهد والحسن والسدي والضحاك أي هذه في البحر كالجبال في البر (إن يشأ يسكن الريح) أي التي تسير في البحر بالسفن لو شاء لسكنها حتى لا تتحرك

أو بلاء في الدنيا بما كسبت أيديكم والله عز وجل أكرم من أن يثني عليه العقوبة في الآخرة ، وما عفا الله عنه في الدنيا فالله أحلم من أن يعود بعد عفوه . قال عكرمة : ما من نكبة أصابت عبداً فما فوقها إلا بذنب لم يكن الله ليغفر له الا بها أو درجة لم يكن الله ليبلغه إلا بها ﴿وما أنتم بمعجزين﴾ بفائتين ﴿في الارض﴾ هربا يعني لا تعجزونني حيثما كنتم ولا تسبقونني ﴿ وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير ﴾

قوله عز وجل ﴿ ومن آياته الجوار ﴾ يعني السفن واحدتها جارية وهي السائرة ﴿ في البحر كالاعلام ﴾ أي الجبال قال مجاهد القصور واحدها علم . وقال الخليل بن احمد كل شيء مرتفع عند

السفن بل تبقى راكدة لاتجيء ولا تذهب بل واقفة على ظهره أي على وجه الماء.(إن في ذلك لآيات لكل صبار) أي في الشدائد (شكور) أي ان في تسخيره البحر واجرائه في الهوى بقدر مايحتاجون اليه لسيرهم لدلالات على نعمه تعالى على خلقه لكل صبار اى في الشدائد شكور في الرخاء.

وقوله عز وجل (أو يوبقهن بما كسبوا) أي ولو شاء لأهلك السفن وغرقها بذنوب أهلها الذين هم راكبون فيها (ويعف عن كثير) أي من ذنوبهم ولو آخذهم بجميع ذنوبهم لأهلك كل من ركب البحر ، وقال بعض علماء التفسير معنى قوله تعالى (أو يوبقهن بما كسبوا) أي لو شاء لأرسل الريح قوية عاتية فأخذت السفن وأحالتها عن سيرها المستقيم فصرفتها ذات اليمين أو ذات الشمال آبقة لاتسير على طريق ولا الى جهة مقصد ، وهذا القول هو يتضمن هلاكها وهو مناسب للاول وهو أنه تعالى لو شاء لسكن الريح فوقفت ، أو لقواه فشردت وأبقت وهلكت ، ولكن من لطفه ورحمته انه يرسله بحسب الحاجة كما يرسل المطر بقدر الكفاية ولو أنزله كثيرا جدا لهدم البنيان أو قليلا لما أنبت الزرع والثمار حتى إنه يرسل الى مثل بلاد مصر سيحا من أرض أخرى غيرها لانهم لا يحتاجون الى مطر ولو أنزل عليهم لهدم بنيانهم وأسقط جدرانهم ، وقوله تعالى (ويعلم الذين يجادلون في آياتنا مالهم من محيص) أي لامحيد لهم عن بأسنا ونقمتنا فانهم مقهورون بقدرتنا

فما أوتيتم من شيء فمتـٰع الحيوة الدنيا وما عند الله خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون (٣٦) والذين يجتنبون كبـٰئر الاثم والفواحش واذا ما غضبوا هم يغفرون (٣٧) والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلوٰة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقنٰهم ينفقون (٣٨) والذين اذا أصابهم البغي هم ينتصرون (٣٩)

العرب فهو علم ﴿ إن يشأ يسكن الريح ﴾ التي تجريها ﴿ فيظللن ﴾ يعنى الجواري ﴿ رواكد ﴾ ثوابت ﴿ على ظهره ﴾ على ظهر البحر لا تجري ﴿ إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور ﴾ أي لكل مؤمن لأن صفة المؤمن الصبر في الشدة والشكر في الرخاء ﴿ أو يوبقهن ﴾ يهلكهن ويغرقهن ﴿ بما كسبوا ﴾ أي بما كسبت ركبانها من الذنوب ﴿ ويعف عن كثير ﴾ من ذنوبهم فلا يعاقب عليها ﴿ ويعلم ﴾ قرأ أهل المدينة والشام ويعلم برفع الميم على الاستئناف كقوله عز وجل في سورة براءة (ويتوب الله على من يشاء) وقرأ الآخرون بالنصب على الصرف والجزم اذا صرف عنه معطوفه نصب . وهو كقوله تعالى (ويعلم الصابرين) صرف من حال الجزم إلى النصب استخفافا وكراهية لتوالي الجزم ﴿ الذين يجادلون في آياتنا ما لهم من محيص ﴾ أي يعلم الذين يكذبون بالقرآن اذا صاروا إلى الله بعد البعث

يقول تعالى محقرا لشأن الحياة الدنيا وزينتها وما فيها من الزهرة والنعيم الفاني بقوله تعالى (فما أوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا) أي مهما حصلتم وجمعتم فلا تغتروا به فانما هو متاع الحياة الدنيا وهي دار دنيئة فانية زائلة لامحالة (وماعند الله خير وأبقى) أي ثواب الله تعالى خير من الدنيا وهو باق سرمدي فلا تقدموا الفاني على الباقي ولهذا قال تعالى (للذين آمنوا) اي للذين صبروا على ترك الملاذ في الدنيا (وعلى ربهم يتوكلون) أي ليعينهم على الصبر في أداء الواجبات ، وترك المحرمات

ثم قال تعالى (والذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش) وقد قدمنا الكلام على الاثم والفواحش في سورة الاعراف (واذا ما غضبوا هم يغفرون) أي سجيتهم تقتضي الصفح والعفو عن الناس ليس سجيتهم الانتقام من الناس

وقد ثبت في الصحيح أن رسول الله ﷺ ما انتقم لنفسه قط الا أن تنتهك حرمات الله . وفي حديث آخر كان يقول لأحدنا عند المعتبة « ماله تربت يمينه » وقال ابن أبي حاتم حدثنا ابي حدثنا ابن أبي عمر حدثنا سفيان عن زائدة عن منصور عن ابراهيم قال : كان المؤمنون يكرهون أن يستذلوا ، وكانوا إذا قدروا عفوا

وقوله عز وجل (والذين استجابوا لربهم) أي اتبعوا رسله ، وأطاعوا أمره واجتنبوا زجره ، (وأقاموا الصلاة) وهي أعظم العبادات لله عز وجل [وأمرهم شورى بينهم] أي لايبرمون أمراً حتى يتشاوروا فيه ليتساعدوا بآرائهم في مثل الحروب وما جرى مجراها كما قال تبارك وتعالى (وشاورهم في الامر) الآية ولهذا كان ﷺ يشاورهم في الحروب ونحوها ليطيب بذلك قلوبهم ، وهكذا لما حضرت عمر بن الخطاب رضي الله عنه الوفاة حين طعن جعل الامر بعده شورى في ستة نفر وهم : عثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد وعبد الرحمن بن عوف رضى الله عنهم فاجتمع رأي الصحابة كلهم رضي الله عنهم على تقديم عثمان عليهم رضي الله عنهم (ومما رزقناهم ينفقون) وذلك بالاحسان إلى خلق الله الاقرب اليهم منهم فالاقرب

أن لا مهرب لهم من عذاب الله ﴿ فما أوتيتم من شيء ﴾ من رياش الدنيا ﴿ فمتاع الحيوة الدنيا ﴾ ليس من زاد المعاد ﴿ وما عند الله ﴾ من الثواب ﴿ خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون ﴾ فيه بيان ان المؤمن والكافر يستويان في أن الدنيا متاع لهما يتمتعان بها فاذا صارا إلى الآخرة كان ما عند الله خيرا للمؤمن ﴿والذين يجتنبون كبائر الاثم﴾ قرأ حمزة والكسائي كبير الاثم على الواحد ههنا وفي سورة النجم وقرأ الآخرون كبائر بالجمع وقد ذكرنا معنى الكبائر في سورة النساء ﴿والفواحش﴾ قال السدي يعني الزنا . وقال مجاهد ومقاتل ما يوجب الحد ﴿ وإذا ما غضبوا هم يغفرون ﴾ يحلمون ويكظمون الغيظ ويتجاوزون ﴿ والذين استجابوا لربهم ﴾ أجابوه إلى ما دعاهم اليه من طاعته ﴿ وأقاموا الصلوة وأمرهم شورى بينهم ﴾ يتشاورون فيما يبدولهم ولا يعجلون ﴿ ومما رزقناهم ينفقون * والذين إذا أصابهم

وقوله عز وجل [والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون] أي فيهم قوة الانتصار ممن ظلمهم واعتدى عليهم ليسوا بالعاجزين ولا الاذلين بل يقدرون على الانتقام ممن بغى عليهم وان كانوا مع هذا إذا قدروا عفوا كما قال يوسف عليه الصلاة والسلام لاخوته [لاتثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم] مع قدرته على مؤاخذتهم ومقابلتهم على صنيعهم اليه، وكما عفا رسول الله ﷺ عن أولئك النفر الثمانين الذين قصدوه عام الحديبية ونزلوا من جبل التنعيم فلما قدر عليهم من عليهم مع قدرته على الانتقام، وكذلك عفوه ﷺ عن غورث بن الحارث الذي أراد الفتك به حين اخترط سيفه وهو نائم فاستيقظ ﷺ وهو في يده مصلتا فانتهره فوضعه من يده وأخذ رسول الله ﷺ السيف في يده ودعا أصحابه ثم أعلمهم بما كان من أمره وأمر هذا الرجل وعفا عنه، وكذلك عفا ﷺ عن لبيد بن الاعصم الذي سحره عليه السلام ومع هذا لم يعرض له ولا عاتبه مع قدرته عليه وكذلك عفوه ﷺ عن المرأة اليهودية ـ وهي زينب أخت مرحب اليهودي الخيبري الذي قتله محمود بن سلمة ـ التي سمت الذراع يوم خيبر فأخبره الذراع بذلك فدعاها فاعترفت فقال ﷺ «ماحملك على ذلك؟» قالت أردت ان كنت نبيا لم يضرك وان لم تكن نبيا استرحنا منك فأطلقها عليه الصلاة والسلام، ولكن لما مات منه بشر بن البراء رضي الله عنه قتلها به، والاحاديث والآثار في هذا كثيرة جدا والله سبحانه وتعالى أعلم

وجزاؤ سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله إنه لايحب الظلمين (٤٠) ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ماعليهم من سبيل (٤١) إنما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون في الارض بغير الحق أولئك لهم عذاب أليم (٤٢) ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الامور (٤٣)

قوله تبارك وتعالى (وجزاء سيئة سيئة مثلها) كقوله تعالى (فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم) وكقوله (وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به الآية فشرع العدل وهو القصاص

البغي ﴾ الظلم والعدوان ﴿ هم ينتصرون ﴾ ينتقمون من ظالميهم من غير أن يعتدوا. قال ابن زيد جعل الله المؤمنين صنفين صنف يعفون عن ظالميهم فبدأ بذكرهم وهو قوله (واذا ما غضبوا هم يغفرون) وصنف ينتصرون من ظالميهم وهم الذين ذكروا في هذه الآية قال ابراهيم في هذه الآية كانوا يكرهون أن يستذلوا فاذا قدروا عفوا. قال عطاء هم المؤمنون الذين أخرجهم الكفار من مكة وبغوا عليهم ثم مكنهم الله في الارض حتى انتصروا ممن ظلمهم. ثم ذكر الله الانتصار فقال ﴿ وجزاء سيئة سيئة مثلها ﴾ سمى الجزاء سيئة وإن لم يكن سيئة لتشابههما في الصورة. قال مقاتل يعني القصاص في

وندب الى الفضل وهو العفو كقوله جل وعلا (والجروح قصاص فمن تصدق به فهو كفارة له) ولهذا قال ههنا (فمن عفا وأصلح فأجره على الله) أي لا يضيع ذلك عند الله كما صح ذلك في الحديث ، وما زاد الله تعالى عبدا بعفو إلا عزا

وقوله تعالى (انه لا يحب الظالمين) اي المعتدين وهو المبتدىء بالسيئة ثم قال جل وعلا (ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل) اي ليس عليهم جناح في الانتصار ممن ظلمهم قال ابن جرير حدثنا محمد بن عبدالله بن بزيع حدثنا معاذ بن معاذ حدثنا ابن عون قال كنت أسأل عن الانتصار (ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل) فحدثني علي بن زيد بن جدعان عن ام محمد امرأة أبيه قال ابن عون: زعموا أنها كانت تدخل على ام المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت قالت ام المؤمنين رضي الله عنها دخل علينا رسول الله ﷺ وعندنا زينب بنت جحش رضي الله عنها فجعل ﷺ يصنع بيده شيئا فلم يفطن لها فقلت بيده حتى فطنته لها فأمسك وأقبلت زينب رضي الله عنها تقحم لعائشة رضي الله عنها فنهاها فأبت أن تنتهي، فقال لعائشة رضي الله عنها « سبيها » فسبتها فغلبتها وانطلقت زينب رضي الله عنها فأتت عليا رضي الله عنه فقالت ان عائشة تقع بكم وتفعل بكم فجاءت فاطمة رضي الله عنها فقال ﷺ لها « انها حبة أبيك ورب الكعبة » فانصرفت وقالت لعلي رضي الله عنه اني قلت له ﷺ كذا وكذا فقال لي كذا وكذا قال وجاء علي الى النبي ﷺ وكلمه في ذلك هكذا أورد هذا السياق وعلي بن زيد بن جدعان يأتي في رواياته بالمنكرات غالبا وهذا فيه نكارة ، والصحيح خلاف هذا السياق كما رواه النسائي وابن ماجه من حديث خالد بن سلمة الفأفاء عن عبدالله البهي عن عروة قال قالت عائشة رضي الله عنها ما علمت حتى دخلت علي زينب بغير إذن وهي غضبى ثم قالت لرسول الله ﷺ حسبك اذا قلبت لك ابنة ابي بكر درعها ثم أقبلت علي فأعرضت عنها حتى قال النبي ﷺ « دونك فانتصري » فأقبلت عليها حتى رأيت ريقها قد يبس في فمها ما ترد علي شيئا فرأيت النبي ﷺ يتهلل وجهه وهذا لفظ النسائي

الجراحات والدماء . قال مجاهد والسدي هو جواب القبيح إذا قال له أحد أخزاك الله . يقول أخزاك الله : وإذا شتمك فاشتمه بمثلها من غير أن تعتدي . قال سفيان بن عيينة قلت لسفيان الثوري ما قوله عز وجل وجزاء سيئة سيئة مثلها . قال أن يشتمك رجل فتشتمه . أو أن يفعل بك فتفعل به فلم أجد عنده شيئا . فسألت هشام بن حجيرة عن هذه الآية . فقال إن الجارح إذا جرح يقتص منه وليس هو أن يشتمك فتشتمه . ثم ذكر العفو فقال ﴿ فمن عفا ﴾ عمن ظلمه ﴿ وأصلح ﴾ بالعفو بينه وبين ظالمه ﴿ فأجره على الله ﴾ قال الحسن إذا كان يوم القيامة نادى مناد من كان له على الله أجر فليقم فلا يقوم إلا من عفا . ثم قرأ هذه الآية ﴿ انه لا يحب الظالمين ﴾ قال ابن عباس الذين يبدؤن بالظلم ﴿ ولمن انتصر بعد ظلمه ﴾ أي بعد ظلم الظالم إياه ﴿ فأولئك ﴾ يعني المنتصرين ﴿ ما عليهم من سبيل ﴾

وقال البزار حدثنا يوسف بن موسى حدثنا ابو غسان حدثنا ابو الاحوص عن أبي حمزة عن ابراهيم عن الاسود عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله ﷺ « من دعا على من ظلمه فقد انتصر » ، رواه الترمذي من حديث أبي الاحوص عن أبي حمزة واسمه ميمون ثم قال لا نعرفه إلا من حديثه ، وقد تكلم فيه من قبل حفظه

وقوله عز وجل (إنما السبيل) أي انما الحرج والعنت (على الذين يظلمون الناس ويبغون في الارض بغير الحق) أي يبدءون الناس بالظلم كما جاء في الحديث الصحيح « المستبان ما قالا فعلى البادىء مالم يعتد المظلوم » (أولئك لهم عذاب أليم) أي شديد موجع

قال ابو بكر بن أبي شيبة حدثنا الحسن بن موسى حدثنا سعيد بن زيد أخو حماد بن زيد ثنا عثمان الشحام حدثنا محمد بن واسع قال قدمت مكة فاذا على الخندق قنطرة فأخذت فانطلق بي الى مروان بن المهلب وهو أمير على البصرة فقال ماحاجتك؟ يا أبا عبدالله قلت حاجتي ان استطعت أن تكون كما كان أخو بني عدي، قال ومن أخو بني عدي؟ قال العلاء بن زياد استعمل صديقا له مرة على عمل فكتب اليه أما بعد فان استطعت أن لا تبيت إلا وظهرك خفيف وبطنك خميص وكفك نقية من دماء المسلمين وأموالهم فانك اذا فعلت ذلك لم يكن عليك سبيل (انما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون في الارض بغير الحق أولئك لهم عذاب أليم) فقال مروان صدق والله ونصح ثم قال ماحاجتك يا أبا عبدالله؟ قلت حاجتي أن تلحقني بأهلي قال نعم. رواه ابن أبي حاتم ثم ان الله تعالى لما ذم الظلم وأهله وشرع القصاص قال نادبا إلى العفو والصفح (ولمن صبر وغفر) أي صبر على الاذى وستر السيئة (فان ذلك لمن عزم الامور) قال سعيد بن جبير يعني لمن حق الامور التي أمر الله تعالى بها أي لمن الامور المشكورة والافعال الحميدة التي عليها ثواب جزيل وثناء جميل

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عمران بن موسى الطرسوسي حدثنا مصمد بن يزيد خادم الفضيل بن عياض قال سمعت الفضيل بن عياض يقول اذا أتاك رجل يشكو اليك رجلا فقل ياأخي اعف عنه فان العفو أقرب للتقوى فان قال لا يحتمل قلبي العفو ولكن أنتصر كما أمرني الله عز وجل فقل له ان كنت تحسن أن تنتصر والا فارجع الى باب العفو فانه باب واسع فانه من عفا وأصلح فأجره على الله ، وصاحب العفو ينام على فراشه بالليل وصاحب الانتصار يقلب الامور

وقال الامام أحمد حدثنا يحيى يعني ابن سعيد القطان عن ابن عجلان حدثنا سعيد بن أبي سعيد عن أبي هريرة رضى الله عنه قال ان رجلا شتم أبا بكر رضى الله عنه والنبي ﷺ جالس فجعل النبي ﷺ يعجب ويتبسم فلما أكثر رد عليه بعض قوله فغضب النبي ﷺ وقام فلحقه أبو بكر

بعقوبة ومؤاخذة ﴿ انما السبيل على الذين يظلمون الناس ﴾ يبدؤن بالظلم ﴿ ويبغون في الارض بغير الحق ﴾ يعملون فيها بالمعاصي ﴿ أولئك لهم عذاب أليم ولمن صبر وغفر ﴾ فلم ينتصر ﴿ ان ذلك ﴾ الصبر

رضي الله عنه فقال يارسول الله انه كان يشتمني وأنت جالس فلما رددت عليه بعض قوله غضبت وقمت قال « انه كان معك ملك يرد عنك فلما رددت عليه بعض قوله حضر الشيطان فلم أكن لأقعد مع الشيطان - ثم قال - يا أبا بكر ثلاث كلهن حق ما من عبد ظلم بمظلمة فيغضي عنها لله الا أعزه الله تعالى بها ونصره ، وما فتح رجل باب عطية يريد بها صلة الا زاده الله بها كثرة ، وما افتتح رجل باب مسئلة يريد بها كثرة الا زاده الله عز وجل بها قلة

وكذا رواه أبو داود عن عبد الاعلى بن حماد عن سفيان بن عيينة قال ورواه صفوان بن عيسى كلاهما عن محمد بن عجلان ورواه من طريق الليث عن سعيد المقبري عن بشر بن المحرر عن سعيد بن المسيب مرسلا وهذا الحديث في غاية الحسن في المعنى وهو مناسب للصديق رضي الله عنه

ومن يضلل الله فما له من ولي من بعده وترى الظالمين لما رأوا العذاب يقولون هل الى مرد من سبيل؟ (٤٤) وتراهم يُعرضون عليها خٰشعين من الذل ينظرون من طرف خفي وقال الذين آمنوا ان الخٰسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيٰمة ألا إن الظالمين في عذاب مقيم (٤٥) وما كان لهم من أولياء ينصرونهم من دون الله ومن يُضْلل الله فما له من سبيل (٤٦)

يقول تعالى مخبرا عن نفسه الكريمة (انه ما شاء كان ولا راد له وما لم يشأ لم يكن فلا موجد له وانه من هداه فلا مضل له ومن يضلل الله فلا هادي له كما قال عز وجل (ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا) ثم قال عز وجل مخبرا عن الظالمين وهم المشركون بالله (لما رأوا العذاب) أي يوم القيامة تمنوا الرجعة الى الدنيا (هل الى مرد من سبيل؟) كما قال جل وعلا (ولو ترى اذ وقفوا على النار فقالوا ياليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين * بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون)

والتجاوز ﴿ لمن عزم الامور ﴾ حقها وحزمها . قال مقاتل من الامور التي أمر الله بها . قال الزجاج الصابر يؤتى بصبره الثواب فالرغبة في الثواب أتم عزما ﴿ ومن يضلل الله فما له من ولي من بعده ﴾ فما له من أحد يلي هدايته بعد إضلال الله إياه أو يمنعه من عذاب الله ﴿ وترى الظالمين لما رأوا العذاب ﴾ يوم القيامة ﴿ يقولون هل الى مرد من سبيل ؟ ﴾ يسألون الرجعة الى الدنيا ﴿ وتراهم يعرضون عليها ﴾ أي

وقوله عز وجل (وتراهم يعرضون عليها) أي على النار (خاشعين من الذل) اى الذي قد اعتراهم بما أسلفوا من عصيان الله تعالى [ينظرون من طرف خفي] قال مجاهد يعني ذليل أي ينظرون اليها مسارقة خوفا منها والذي يحذرون منه واقع لامحالة وما هو أعظم مما في نفوسهم أجارنا الله من ذلك [وقال الذين آمنوا] أي يقولون يوم القيامة [ان الخاسرين] أي الخسار الاكبر (الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة) أي ذهب بهم الى النار فعدموا لذتهم في دار الابد وخسروا أنفسهم وفرق بينهم وبين أحبابهم وأصحابهم وأهاليهم وقراباتهم فخسروهم (ألا ان الظالمين في عذاب مقيم) أي دائم سرمدي ابدي لاخروج لهم منها ولا محيد لهم عنها

وقوله تعالى (وما كان لهم من أولياء ينصرونهم من دون الله) أي ينقذونهم مما هم فيه من العذاب والنكال (ومن يضلل الله فما له من سبيل) أي ليس له خلاص

استجيبوا لربكم من قبل أن يأتي يوم لامرد له من الله ، ما لكم من ملجأ يومئذ وما لكم من نكير (٤٧) فان أعرضوا فما أرسلناك عليهم حفيظا ، إن عليك الا البلغ وإنا إذا أذقنا الانسن منا رحمة فرح بها وان تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم فان الانسن كفور (٤٨)

لما ذكر تعالى ما يكون في يوم القيامة من الاهوال والامور العظام الهائلة حذر منه وأمر بالاستعداد له فقال (استجيبوا لربكم من قبل أن يأتي يوم لامرد له من الله) أي اذا أمر بكونه فانه كلمح البصر يكون وليس له دافع ولا مانع

وقوله عز وجل (مالكم من ملجأ يومئذ وما لكم من نكير) أي ليس لكم حصن تتحصنون فيه ولا

على النار ﴿ خاشعين ﴾ خاضعين متواضعين ﴿ من الذل ينظرون من طرف خفي ﴾ خفي النظر لما عليهم من الذل يسارقون النظر إلى النار خوفا منها وذلة في أنفسهم وقيل من بمعنى الباء أي بطرف خفي ضعيف من الذل وقيل انما قال من طرف خفي لانه لا يفتح عينه انما ينظر ببعضها وقيل معناه ينظرون الى النار بقلوبهم لانهم يحشرون عميا والنظر بالقلب خفي ﴿ وقال الذين آمنوا ان الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة ﴾ قيل خسروا أنفسهم بان صاروا الى النار وأهليهم بأن صاروا لغيرهم في الجنة ﴿ ألا إن الظالمين في عذاب مقيم * وما كان لهم من أولياء ينصرونهم من دون الله ومن يضلل الله فما له من سبيل ﴾ طريق الى الصواب والى الوصول الى الحق في الدنيا والجنة في العقبى قد انسدت عليهم طرق الخير ﴿ استجيبوا لربكم ﴾ أجيبوا داعي الله يعني محمداً ﷺ ﴿ من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله ﴾ لا يقدر أحد على دفعه وهو يوم القيامة ﴿ ما لكم من ملجأ ﴾ تلجأون اليه ﴿ يومئذ ومالكم من نكير ﴾ من منكر يغير ما بكم ﴿ فان أعرضوا ﴾ عن الاجابة ﴿ فما أرسلناك عليهم

مكان يستركم وتتنكرون فيه فتغيبون عن نصره تبارك وتعالى بل هو محيط بكم بعلمه وبصره وقدرته فلا ملجأ منه الا اليه (يقول الانسان يومئذ أين المفر ؟ كلا لاوزر إلى ربك يومئذ المستقر)
وقوله تعالى (فان أعرضوا) يعني المشركين [فما أرسلناك عليهم حفيظا] أي لست عليهم بمسيطر وقال عز وجل [ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء] وقال تعالى [فانما عليك البلاغ وعلينا الحساب] وقال جل وعلا ههنا [إن عليك الا البلاغ] أي انما كلفناك أن تبلغهم رسالة الله اليهم
ثم قال تبارك وتعالى (وإنا اذا أذقنا الانسان منا رحمة فرح بها أي اذا أصابه رخاء ونعمة فرح بذلك (وان تصبهم) يعني الناس (سيئة) أي جدب ونقمة وبلاء وشدة (فان الانسان كفور) أي يجحد ماتقدم من النعم ولا يعرف إلا الساعة الراهنة فان أصابته نعمة أشر وبطر وان أصابته محنة يئس وقنط كما قال رسول الله ﷺ للنساء « يامعشر النساء تصدقن فاني رأيتكن أكثر أهل النار » فقالت امرأة ولم يارسول الله ؟ فقال ﷺ « لأنكن تكثرن الشكاية وتكفرن العشير ، لو احسنت الى احداهن الدهر ثم تركت يوما قالت ما رأيت منك خيرا قط » وهذا حال أكثر النساء إلا من من هداه الله تعالى وألهمه رشده وكان من الذين آمنوا وعملوا الصالحات فالمؤمن كما قال ﷺ « ان أصابته سراء شكر فكان خيراً له ، وان أصابته ضراء صبر فكان خيراً له » وليس ذلك لأحد إلا المؤمن

لله ملك السموٰت والارض يخلق مايشاء يهب لمن يشاء إنٰثا ويهب لمن يشاء الذكور (٤٩)

أو يزوجهم ذكرانا وإنٰثا ويجعل من يشاء عقيما انه عليم قدير (٥٠)

يخبر تعالى انه خالق السموات والارض ومالكهما والمتصرف فيهما وانه ماشاء كان ومالم يشأ لم يكن وانه يعطي من يشاء ويمنع من يشاء ولا مانع لما أعطى ولا معطي لما منع وأنه يخلق مايشاء (يهب لمن يشاء أناثا) أي يرزقه البنات فقط قال البغوى ومنهم لوط عليه الصلاة والسلام (ويهب لمن يشاء الذكور) أى يرزقه البنين فقط قال البغوى كابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام لم يولد له انثى (أو يزوجهم ذكرانا واناثا) أى ويعطي لمن يشاء من الناس الزوجين الذكر والانثى أى من هذا وهذا قال البغوى كمحمد ﷺ (ويجعل من يشاء عقيما) أى لايولد له قال البغوى كيحيي

حفيظا ان عليك » ماعليك « الا البلاغ وانا اذا أذقنا الانسان منا رحمة » قال ابن عباس يعني الغنى والصحة « فرح بها وان تصبهم سيئة » قحط « بما قدمت أيديهم فان الانسان كفور » أي لما تقدم من نعمة الله عليه ينسي ويجحد بأول شدة جميع ماسلف من النعم « لله ملك السموات والارض » له التصرف فيهما بما يريد « يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء اناثا » فلا يكون له ولد ذكر . قيل من يمن المرأة تبكيرها بالأنثى قبل الذكر لان الله تعالى بدأ بالاناث « ويهب لمن يشاء الذكور » فلا يكون له أنثى « أو يزوجهم ذكرانا واناثا » يجمع له بينهما فيولد له الذكور والاناث « ويجعل من يشاء عقيما » فلا

وعيسى عليهما الصلاة والسلام ، فجعل الناس أربعة أقسام منهم من يعطيه البنات ومنهم من يعطيه البنين ومنهم من يعطيه من النوعين ذكوراً واناثا ومنهم من يمنعه هذا وهذا فيجعله عقيما لانسل له ولا ولد له (انه عليم) أي بمن يستحق كل قسم من هذه الاقسام (قدير) أي على مايشاء من تفاوت الناس في ذلك وهذا المقام شبيه بقوله تبارك وتعالى عن عيسى عليه الصلاة والسلام (ولنجعله آية للناس) أي دلالة لهم على قدرته تعالى وتقدس حيث خلق الخلق على أربعة أقسام فآدم عليه الصلاة والسلام مخلوق من تراب لامن ذكر ولا انثى، حواء عليها السلام مخلوقة من ذكر بلا انثى، وسائر الخلق سوى عيسى عليه السلام من ذكر وانثى،وعيسى عليه السلام من انثى بلا ذكر فتمت الدلالة بخلق عيسى بن مريم عليهما الصلاة والسلام . ولهذا قال تعالى (ولنجعله آية للناس) فهذا المقام في الآباء والمقام الاول في الابناء وكل منهما أربعة أقسام فسبحان العليم القدير

وماكان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحي باذنه مايشاء انه علي حكيم (٥١) وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نوراً نهدي به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم (٥٢) صراط الله الذي له مافي السموات وما في الارض ألا إلى الله تصير الامور (٥٣)

هذه مقامات الوحي بالنسبة الى جناب الله عزوجل وهو انه تبارك وتعالى تارة يقذف في روع النبي ﷺ شيئا لايمارى فيه أنه من الله عز وجل كما جاء في صحيح ابن حبان عن رسول الله ﷺ انه قال « إن روح القدس نفث في روعي ان نفسا لن تموت حتى تستكمل رزقها وأجلها فاتقوا الله واجملوا في الطلب . وقوله تعالى (أو من وراء حجاب) كما كلم موسى عليه الصلاة والسلام فانه سأل الرؤية بعد التكلم فحجب عنها

يلد ولا يولد له ، قيل هذا في الانبياء عليهم السلام يهب لمن يشاء اناثا يعني لوطا لم يولد له ذكر إنما يولد له ابنتان (ويهب لمن يشاء الذكور) يعني ابراهيم عليه السلام لم يولد له أنثى (أو يزوجهم ذكرانا واناثا) يعني محمداً ﷺ ولد له بنون وبنات (ويجعل من يشاء عقيما) يحيى وعيسى عليهما السلام لم يولد لهما وهذا على وجه التمثيل والآية عامة في حق كافة الناس ﴿ انه عليم قدير ﴾

قوله عز وجل ﴿ وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا ﴾ وذلك ان اليهود قالوا للنبي ﷺ ألا تكلم الله وتنظر اليه ان كنت نبيا كما كلمه موسى ونظر اليه فقال لم ينظر موسى الى الله عزوجل فأنزل الله تعالى (وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا) يوحى اليه في المنام أو بالالهام ﴿ أو من وراء

وفي الصحيح أن رسول الله ﷺ قال لجابر بن عبد الله رضي الله عنهما « ماكلم الله أحداً إلا من وراء حجاب وإنه كلم أباك كفاحا » كذا جاء في الحديث وكان قد قتل يوم أحد ولكن هذا في عالم البرزخ والآية إنما هي في الدار الدنيا

وقوله عز وجل [أو يرسل رسولا فيوحي باذنه مايشاء] كما ينزل جبريل عليه الصلاة والسلام وغيره من الملائكة على الانبياء عليهم الصلاة والسلام [انه علي حكيم] فهو علي عليم خبير حكيم

وقوله عز وجل [وكذلك أوحينا اليك روحا من امرنا] يعني القرآن [ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان] اي على التفصيل الذي شرع لك في القرآن [ولكن جعلناه) أي القرآن [نوراً نهدي به من نشاء من عبادنا] كقوله تعالى [قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى] الآية

وقوله تعالى [وإنك] اي يامحمد (لتهدي الى صراط مستقيم) وهو الحق القويم ثم فسره بقوله تعالى (صراط الله) أي شرعه الذي أمر به الله (الذي له ما في السموات وما في الارض) أي ربهما ومالكهما والمتصرف فيهما والحاكم الذي لا معقب لحكمه (ألا الى الله تصير الامور) أي ترجع الامور فيفصلها ويحكم فيها سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون والجاحدون علواً كبيراً

حجاب ﴾ يسمعه كلامه ولا يراه كما كلمه موسى عليه الصلاة والسلام ﴿ أو يرسل رسولا ﴾ إما جبريل أو غيره من الملائكة ﴿ فيوحي باذنه ما يشاء ﴾ أي يوحي ذلك الرسول الى المرسل اليه باذن الله ما يشاء، قرأ نافع أو يرسل برفع اللام على الابتداء فيوحي ساكنة الياء وقرأ الآخرون بنصب اللام والياء عطفا على محل الوحي لان معناه وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا أن يوحي اليه أو يرسل رسولا ﴿ انه علي حكيم * وكذلك ﴾ أي كما أوحينا إلى سائر رسلنا ﴿ أوحينا اليك روحا من أمرنا ﴾ قال ابن عباس نبوة . وقال الحسن رحمة . وقال السدي ومقاتل وحيا وقال الكلبي كتابا. وقال الربيع جبريل. وقال مالك بن دينار يعني القرآن ﴿ ما كنت تدري ﴾ قبل الوحي ﴿ ما الكتاب ولا الايمان ﴾ يعني شرائع الايمان ومعالمه .

قال محمد بن اسحاق بن خزيمة الايمان في هذا الموضع الصلاة ودليله قوله عز وجل (وما كان الله ليضيع إيمانكم) وأهل الاصول على أن الانبياء عليهم السلام كانوا مؤمنين قبل الوحي . وكان النبي ﷺ يعبد الله قبل الوحي على دين ابراهيم ولم يتبين له شرائع دينه ﴿ ولكن جعلناه نوراً ﴾ قال ابن عباس يعني الايمان وقال السدى يعني القرآن ﴿ نهدى به ﴾ نرشد به ﴿ من نشاء من عبادنا وانك لتهدى ﴾ أى لتدعو ﴿ إلى صراط مستقيم ﴾ يعني الاسلام ﴿ صراط الله الذى له مافي السموات وما في الارض ألا الى الله تصير الامور ﴾ أى أمور الخلائق كلها في الآخرة

تفسير سورة الزخرف وهى مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

حم (١) والكتٰب المبين (٢) إنا جعلنٰه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون (٣) وانه في أم الكتٰب لدينا لعليٌّ حكيم (٤) أفنضرب عنكم الذكر صفحا أن كنتم قوما مسرفين (٥) وكم أرسلنا من نبي في الاولين (٦) وما يأتيهم من نبي إلا كانوا به يستهزءون (٧) فأهلكنا أشدّ منهم بطشاً ومضى مَثَل الاولين (٨)

يقول تعالى (حم والكتاب المبين) أي البين الواضح الجلي المعاني والالفاظ لانه نزل بلغة العرب التي هي أفصح اللغات للتخاطب بين الناس ولهذا قال تعالى (انا جعلناه) أي أنزلناه (قرآنا عربيا) أي بلغة العرب فصيحا واضحا (لعلكم تعقلون) أي تفهمونه وتتدبرونه كما قال عز وجل (بلسان عربي مبين) وقوله تعالى (وانه في أم الكتاب لدينا لعلي حكيم) بين شرفه في الملأ الأعلى ليشرفه ويعظمه ويطيعه أهل الارض فقال تعالى (وانه) أي القرآن (في أم الكتاب) أي اللوح المحفوظ قاله ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد (لدينا) أي عندنا قاله قتادة وغيره (لعلي) أي ذو مكانة عظيمة

﴿ سورة الزخرف مكية وهي تسع وثمانون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ حم والكتاب المبين ﴾ أقسم بالكتاب الذي أبان طرق الهدى من طرق الضلالة وأبان ماتحتاج اليه الامة من الشريعة ﴿ انا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون ﴾ قوله جعلناه أي صيرنا هذا الكتاب عربيا وقيل بيناه وقيل سميناه وقيل وصفناه يقال جعل فلان زيداً أعلم الناس أي وصفه بهذا كقوله تعالى (وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا ـ وقوله ـ جعلوا القرآن عضين) وقال (أجعلتم سقاية الحاج) كلها بمعنى الوصف والتسمية ﴿ وانه ﴾ يعني القرآن ﴿ في أم الكتاب ﴾ في اللوح المحفوظ . قال قتادة أم الكتاب أصل الكتاب وأم كل شيء أصله . قال ابن عباس أول ما خلق الله القلم فأمره أن يكتب بما يريد أن يخلق فالكتاب عنده ، ثم قرأ وانه في أم الكتاب ﴿ لدينا ﴾ فالقرآن مثبت عند الله في اللوح المحفوظ كما قال (بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ ﴿ لعلي حكيم ﴾ قال قتادة يخبر عن منزلته

وشرف وفضل قاله قتادة (حكيم) أي محكم بري من اللبس والزيغ وهذا كله تنبيه على شرفه وفضله كما قال تبارك وتعالى [إنه لقرآن كريم في كتاب مكنون * لا يمسه إلا المطهرون * تنزيل من رب العالمين] وقال تعالى (كلا انها تذكرة * فمن شاء ذكره في صحف مكرمة * مرفوعة مطهرة * بأيدي سفرة كرام بررة)ولهذا استنبط العلماء رضي الله عنهم من هاتين الآيتين أن المحدث لا يمس المصحف كما ورد به الحديث إن صح لان الملائكة يعظمون المصاحف المشتملة على القرآن في الملأ الاعلى، فأهل الارض بذلك أولى وأحرى، لانه نزل عليهم، وخطابه متوجه اليهم، فهم أحق أن يقابلوه بالاكرام والتعظيم، والانقياد له بالقبول والتسليم، لقوله تعالى (وانه في أم الكتاب لدينا لعلي حكيم)

وقوله عز وجل (أفنضرب عنكم الذكر صفحا أن كنتم قوما مسرفين؟) اختلف المفسرون في معناها فقيل معناها أتحسبون أن نصفح عنكم فلا نعذبكم ولم تفعلوا ما أمرتم به . قاله ابن عباس رضي الله عنهما وأبو صالح ومجاهد والسدي واختاره ابن جرير ، وقال قتادة في قوله تعالى (أفنضرب عنكم الذكر صفحا ؟) والله لو أن هذا القرآن رفع حين ردته أوائل هذه الامة لهلكوا ولكن الله تعالى عاد بعائدته ورحمته فكرره عليهم ودعاهم اليه عشرين سنة أو ماشاء الله من ذلك وقول قتادة لطيف المعنى جداً وحاصله أنه يقول في معناه انه تعالى من لطفه ورحمته بخلقه لا يترك دعاءهم الى الخير والى الذكر الحكيم وهو القرآن وإن كانوا مسرفين معرضين عنه بل أمر به ليهتدى من قدر هدايته وتقوم الحجة على من كتب شقاوته

ثم قال جل وعلا مسليا لنبيه ﷺ في تكذيب من كذبه من قومه وآمراً له بالصبر عليهم (وكم

وشرفه أى إن كذبتم بالقرآن يا أهل مكة فانه عندنا لعلي رفيع شريف محكم من الباطل﴿أفنضرب عنكم الذكر صفحا؟﴾ يقال ضربت عنه وأضربت عنه اذا تركته و أمسكت عنه، والصفح مصدر قولهم صفحت عنه إذا أعرضت عنه وذلك حين توليه صفحة وجهك وعنقك والمراد بالذكر القرآن ومعناه أفنترك عنكم الوحي ونمسك عن انزال القرآن فلا نأمركم ولا ننهاكم من أجل انكم أسرفتم في كفركم وتركتم الايمان، استفهام بمعنى الانكار أى لا نفعل ذلك وهذا قول قتادة وجماعة . قال قتادة والله لو كان هذا القرآن رفع حين رده أوائل هذه الأمة لهلكوا ولكن الله عاد عليهم بعائدته ورحمته فكرره عليهم عشرين سنة أو ماشاء الله . وقيل معناه (أفنضرب عنكم الذكر) تذكيرنا إياكم صافحين معرضين قال الكسائي والسدي أفنطوي عنكم الذكر طيا؟ فلا تدعون ولا توعظون وقال الكلبي أفنترككم سدى لا نأمركم ولا ننهاكم

وقال مجاهد والسدي أفنعرض عنكم ونترككم فلا نعاقبكم على كفركم ﴿ أن كنتم قوما مسرفين؟﴾ قرأ أهل المدينة وحمزة والكسائي بكسر الهمزة على معنى اذ كنتم كقوله وأنتم الاعلون ان كنتم مؤمنين وقرأ الآخرون بالفتح على معنى لان كنتم مسرفين مشركين ﴿ وكم أرسلنا من نبي في

أرسلنا من نبي في الاولين) أي في شيع الاولين (وما يأتيهم من نبي إلا كانوا به يستهزئون) أي يكذبونه ويسخرون به . وقوله تبارك وتعالى (فأهلكنا أشد منهم بطشا) أي فأهلكنا المكذبين بالرسل وقد كانوا أشد بطشا من هؤلاء المكذبين لك يا محمد كقوله عز وجل [أفلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أكثر منهم وأشد قوة] والآيات في ذلك كثيرة جداً

وقوله جل جلاله (ومضى مثل الاولين) قال مجاهد سنتهم ، وقال قتادة عقوبتهم، وقال غيرهما عبرتهم أي جعلناهم عبرة لمن بعدهم من المكذبين أن يصيبهم ما أصابهم كقوله تعالى في آخر هذه السورة (فجعلناهم سلفا ومثلا للآخرين) وكقوله جلت عظمته [سنة الله التي قد خلت في عباده] وقال عز وجل [ولن تجد لسنة الله تبديلا]

ولئن سألتهم من خلق السموٰات والارض ليقولُن خلقهن العزيز العليم (٩) الذي جعل لكم الارض مهداً وجعل لكم فيها سبلا لعلكم تهتدون (١٠) والذي نزل من السماء ماء بقدر فأنشرنا به بلدة ميتا كذلك تخرجون (١١) والذي خلق الازواج كلها وجعل لكم من الفلك والانعم ما تركبون (١٢) لتستوُا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم إذا استويتم عليه وتقولوا سبحٰن الله الذي سخر لنا هذا وما كنا له مُقرنين (١٣) وإنا الى ربنا لمنقلبون (١٤)

يقول تعالى ولئن سألت يا محمد هؤلاء المشركين بالله العابدين معه غيره (من خلق السموات والارض؟ ليقولن خلقهن العزيز العليم) أى ليعترفن بأن الخالق لذلك هو الله وحده لا شريك له وهم مع هذا يعبدون معه غيره من الاصنام والانداد ثم قال تعالى (الذى جعل لكم الارض مهداً) أى فراشا قراراً ثابتة تسيرون عليها وتقومون وتنامون وتنصرفون مع أنها مخلوقة على تيار الماء لكنه أرساها بالجبال لئلا تميد هكذا ولا هكذا (وجعل لكم فيها سبلا) أى طرقا بين الجبال والاودية

الاولين * وما يأتيهم ﴾ أي وما كان يأتيهم ﴿ من نبي الا كانوا به يستهزئون ﴾ كاستهزاء قومك بك يعزي به نبيه ﷺ ﴿ فأهلكنا أشد منهم بطشا ﴾ أي أقوى من قومك يعني الاولين الذين أهلكوا بتكذيب الرسل ﴿ ومضى مثل الاولين ﴾ أي صفتهم وسنتهم وعقوبتهم فعاقبة هؤلاء كذلك في الاهلاك ﴿ ولئن سألتهم ﴾ أي سألت قومك ﴿ من خلق السموات والارض؟ ليقولن خلقهن العزيز العليم ﴾ وأقروا بأن الله خالقها وأقروا بعزه وعلمه ثم عبدوا غيره وأنكروا قدرته على البعث لفرط جهلهم ، الى ههنا تم الاخبار عنهم ثم ابتدأ دالا على نفسه بصنعه فقال ﴿ الذي جعل لكم الارض مهدا

(لعلكم تهتدون) أى في سيركم من بلد الى بلد ، وقطر الى قطر ، واقليم الى اقليم (والذي نزل من السماء ماء بقدر) أي بحسب الكفاية لزروعكم وثماركم وشربكم لأنفسكم ولأنعامكم وقوله، تبارك وتعالى (فأنشرنا به بلدة ميتا) أي أرضا ميتة فلما جاءها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج ، ثم نبه تعالى باحياء الارض على احياء الاجساد يوم المعاد بعد موتها فقال (كذلك تخرجون)

ثم قال عز وجل (والذى خلق الازواج كلها) اى مما تنبت الارض من سائر الاصناف من نبات وزروع وثمار وأزاهير وغير ذلك ، ومن الحيوانات على اختلاف أجناسها وأصنافها (وجعل لكم من الفلك) أى السفن (والانعام ماتركبون) أى ذللها لكم وسخرها ويسرها لأكلكم لحومها وشربكم ألبانها وركوبكم ظهورها ولهذا قال جل وعلا (لتستووا على ظهوره) اي لتستووا متمكنين مرتفقين (على ظهوره) أى على ظهور هذا الجنس (ثم تذكروا نعمة ربكم) أى فيما سخر لكم (اذا استويتم عليه وتقولوا سبحان الذى سخر لنا هـذا وما كنا له مقرنين) أى مقاومين ولولا تسخير الله لنا هذا ماقدرنا عليه . قال ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة والسدي وابن زيد مقرنين أي مطيقين (وانا إلى ربنا لمنقلبون) أي لصائرون اليه بعد مماتنا واليه سيرنا الاكبر وهذا من باب التنبيه بسير الدنيا على سير الآخرة كما نبه بالزاد الدنيوي على الزاد الاخروي في قوله تعالى (وتزودوا فان خير الزاد التقوى) وباللباس الدنيوي على الاخروي في قوله تعالى (وريشاً ولباس التقوى ذلك خير)

﴿ ذكر الاحاديث الواردة عند ركوب الدابة ﴾

﴿حديث أمير المؤمنين علي بن أبي طالب﴾ رضي الله عنه قال الامام أحمد حدثنا يزيد حدثنا شريك ابن عبد الله عن أبي إسحاق عن علي بن ربيعة قال رأيت عليا رضي الله عنه أتي بدابة فلما وضع رجله

وجعل لكم فيها سبلا لعلكم تهتدون ﴾ الى مقاصدكم في أسفاركم ﴿ والذي نزل من السماء ماء بقدر ﴾ أي بقدر حاجتكم اليه لا كما أنزل على قوم نوح بغير قدر حتى أهلكهم ﴿ فأنشرنا ﴾ أحيينا ﴿ به بلدة ميتا كذلك ﴾ أي كما أحيينا هذه البلدة الميتة بالمطر كذلك ﴿ تخرجون ﴾ من قبوركم أحياء ﴿ والذي خلق الازواج كلها ﴾ أي الاصناف كلها ﴿ وجعل لكم من الفلك والانعام ماتركبون ﴾ في البر والبحر ﴿ لتستووا على ظهوره ﴾ ذكر الكناية لانه ردها الى ما ﴿ ثم تذكروا نعمة ربكم اذا استويتم عليه ﴾ بتسخير المراكب في البر والبحر ﴿ وتقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا ﴾ ذلل لنا هـذا ﴿ وما كنا له مقرنين ﴾ مطيقين وقيل ضابطين ﴿ وانا الى ربنا لمنقلبون ﴾ لمنصرفون في المعاد

أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي أنا أبو الحسين علي بن محمد بن عبد الله بن بشران أنا اسمعيل ابن محمد الصفار أنا أحمد بن منصور الرمادي ثنا عبد الرزاق أنا معمر عن أبي اسحاق أخبرني علي بن أبي

في الركاب قال بسم الله فلما استوى عليها قال الحمد لله (سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وانا الى ربنا لمنقلبون) ثم حمد الله تعالى ثلاثا وكبر ثلاثا ثم قال سبحانك لا إله الا أنت قد ظلمت نفسي فاغفر لي ثم ضحك فقلت له مم ضحكت يا أمير المؤمنين؟ فقال رضي الله عنه رأيت رسول الله ﷺ فعل مثل ما فعلت ثم ضحك فقلت مم ضحكت يارسول الله فقال ﷺ «يعجب الرب تبارك وتعالى من عبده اذا قال رب اغفر لي ويقول علم عبدي أنه لا يغفر الذنوب غيري» وهكذا رواه ابو داود والترمذي والنسائي من حديث أبي الاحوص زاد النسائي ومنصور عن أبي إسحاق السبيعي عن علي بن ربيعة الاسدي الوالبي به وقال الترمذي حسن صحيح، وقد قال عبدالرحمن بن مهدي عن شعبة قلت لابي إسحاق السبيعي ممن سمعت هذا الحديث؟ قال من يونس بن خباب فلقيت يونس بن خباب فقلت ممن سمعته؟ فقال من رجل سمعه من علي بن ربيعة ورواه بعضهم عن يونس بن خباب عن شقيق بن عقبة الاسدي عن علي بن ربيعة الوالبي به

﴿حديث عبد الله بن عباس﴾ رضي الله عنهما قال الامام أحمد حدثنا ابو المغيرة حدثنا ابو بكر ابن عبدالله عن علي بن أبي طلحة عن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما قال: ان رسول الله ﷺ أردفه على دابته فلما استوى عليها كبر رسول الله ﷺ ثلاثا وحمد ثلاثا وسبح ثلاثا وهلل الله واحدة ثم استلقى عليه وضحك ثم أقبل عليه فقال «مامن امرىء مسلم يركب دابته فيصنع كما صنعت إلا أقبل الله عز وجل عليه فضحك اليه كما ضحكت اليك» تفرد به أحمد

﴿حديث عبد الله بن عمر﴾ رضي الله عنهما قال الامام أحمد حدثنا أبو كامل حدثنا حماد بن سلمة عن أبي الزبير عن علي بن عبد الله البارقي عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: ان النبي ﷺ كان اذا ركب راحلته كبر ثلاثا ثم قال «سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وانا الى ربنا لمنقلبون - ثم يقول - اللهم اني أسألك في سفري هذا البر والتقوى، ومن العمل ما ترضى، اللهم هون علينا السفر واطو لنا البعيد، اللهم أنت الصاحب في السفر والخليفة في الاهل، اللهم اصحبنا في سفرنا واخلفنا في أهلنا» وكان ﷺ اذا رجع الى أهله قال «آيبون تائبون ان شاء الله عابدون لربنا حامدون» وهكذا رواه مسلم وأبو داود والنسائي من حديث ابن جريج والترمذي من حديث حماد بن سلمة كلاهما عن أبي الزبير به

﴿حديث آخر﴾ قال الامام أحمد حدثنا محمد بن عبيد حدثنا محمد بن اسحاق عن محمد بن ابراهيم

ربيعة انه شهد عليا رضي الله عنه حين ركب فلما وضع رجله في الركاب قال بسم الله فلما استوى قال الحمد لله ثم قال سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وانا الى ربنا لمنقلبون ثم حمد ثلاثا وكبر ثلاثا ثم قال لا اله الا الله ظلمت نفسي فاغفر لي ذنوبي فانه لا يغفر الذنوب الا أنت ثم ضحك فقيل له ما يضحكك يا أمير المؤمنين؟ قال رأيت رسول الله ﷺ فعل مثل ما فعلت وقال مثل ما قلت ثم

عن عمرو بن الحكم بن ثوبان عن أبي لاس الخزاعي قال حملنا رسول الله ﷺ على ابل من ابل الصدقة الى الحج فقلنا يارسول الله مانرى أن تحملنا هذه فقال ﷺ « مامن بعير الا في ذروته شيطان فاذكروا اسم الله عليها اذا ركبتموها كما آمركم ثم امتهنوها لانفسكم فانما يحمل الله عز وجل » أبو لاس اسمه محمد بن الاسود بن خلف

﴿ حديث آخر ﴾ في معناه قال احمد حدثنا عتاب أخبرنا عبدالله ح وعلي بن اسحاق أخبرنا عبدالله يعني ابن المبارك أخبرنا اسامة بن زيد أخبرني محمد بن حمزة أنه سمع أباه يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول « على ظهر كل بعير شيطان فاذا ركبتموها فسموا الله عز وجل ثم لاتقصروا عن حاجاتكم »

وجعلوا له من عباده جزءاً إن الانسـٰن لكفور مبين (١٥) أم اتخذ مما يخلق بنات وأصفـٰكم بالبنين (١٦) وإذا بُشّر أحدهم بما ضرب للرحمـٰن مثلا ظَلّ وجهه مسودًّا وهو كظيم (١٧) أو من يُنَشَّؤ في الحلية وهو في الخصام غير مبين ؟ (١٨) وجعلوا الملـٰئكة الذين هم عبـٰد الرحمـٰن إنـٰثا أشهدوا خلقهم؟ ستكتب شهـٰدتهم ويسئلون (١٩) وقالوا لوشاء الرحمـٰن ماعبدنهم مالهم بذلك من علم إن هم الا يخرُصون (٢٠)

يقول تعالى مخبراً عن المشركين فيما افتروه وكذبوه في جعلهم بعض الانعام لطواغيتهم وبعضها لله تعالى كما ذكر الله عز وجل عنهم في سورة الانعام في قوله تبارك وتعالى (وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل الى الله وما كان لله فهو يصل الى شركائهم ساء مايحكمون) وكذلك جعلوا له من قسمي البنات والبنين أخسهما وأردأها وهو البنات كما قال تعالى (ألكم الذكر وله الانثى؟ تلك إذاً قسمة ضيزى) وقال جل وعلا ههنا [وجعلوا له من عباده جزءاً إن الانسان لكفور مبين] ثم قال جل وعلا [أم اتخذ مما يخلق بنات وأصفاكم بالبنين؟) وهذا انكار عليهم غاية الانكار

ضحك فقلنا ما يضحكك يا نبي الله ؟ قال عجبت العبد - أو قال عجبت للعبد - اذا قال لا اله الا الله ظلمت نفسي فاغفرلي انه لا يغفر الذنوب الا أنت، يعلم انه لا يغفر الذنوب الا هو »

قوله تعالى ﴿ وجعلوا له من عباده جزءاً ﴾ أي نصيباً وبعضا وهو قولهم الملائكة بنات الله ومعنى الجعل ههنا الحكم بالشيء. والقول كما تقول جعلت زيداً أفضل الناس أي وصفته وحكمت به ﴿ ان الانسان ﴾ يعني الكافر ﴿ لكفور ﴾ لجحود لنعم الله ﴿ مبين ﴾ ظاهر الكفران ﴿ أم اتخذ مما يخلق بنات ﴾ هذا استفهام توبيخ وانكار يقول اتخذ ربكم لنفسه البنات ﴿ وأصفاكم بالبنين ؟ ﴾ كقوله

ثم ذكر تمام الانكار فقال جلت عظمته (واذا بشر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلا ظل وجهه مسوداً وهو كظيم) أي اذا بشر أحد هؤلاء بما جعلوه لله من البنات يأنف من ذلك غاية الانفة وتعلوه كآبة من سوء مابشر به ويتوارى من القوم من خجله من ذلك يقول تبارك وتعالى فكيف تأنفون أنتم من ذلك وتنسبونه الى الله عز وجل ؟

ثم قال سبحانه وتعالى [أومن ينشأ في الحلية وهو في الخصام غير مبين؟] أى المرأة ناقصة يكمل نقصها بلبس الحلي منذ تكون طفلة واذا خاصمت فلا عبارة لها بل هي عاجزة عيية أومن يكون هكذا ينسب الى جناب الله العظيم؟ فالانثى ناقصة الظاهر والباطن في الصوة والمعنى فيكمل نقص ظاهرها وصورتها بلبس الحلي وما في معناه ليجبر مافيها من نقص كما قال بعض شعراء العرب

وما الحلي إلا زينة من نقيصة يتمم من حسن اذا الحسن قصرا
وأما اذا كان الجمال موفراً كحسنك لم يحتج الى أن يزورا

وأما نقص معناها فانها ضعيفة عاجزة عن الانتصار عند الانتصار لاعبارة لها ولاهمة كما قال بعض العرب وقد بشر ببنت ماهي بنعم الولد نصرها بكاء ، وبرها سرقة

وقوله تبارك وتعالى [وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا] أي اعتقدوا فيهم ذلك فانكر عليهم تعالى قولهم ذلك فقال [أشهدوا خلقهم؟] أي شاهدوه وقد خلقهم الله اناثا [ستكتب

[أفأصفاكم ربكم بالبنين واتخذ من الملائكة اناثا؟] ﴿ واذا بشر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلا ﴾ اى بما جعل لله شبها وذلك ان ولد كل شيء يشبهه يعنى اذا بشر أحدهم بالبنات، كما ذكر في سورة النحل [واذا بشر أحدهم بالانثى] ﴿ ظل وجهه مسوداً وهو كظيم ﴾ من الغيظ والحزن ﴿ أو من ينشأ ﴾ قرأ حمزة والكسائي وحفص ينشأ بضم الياء وفتح النون وتشديد الشين أي يربى وقرأ الآخرون بفتح الياء وسكون النون وتخفيف الشين أي ينبت ويكبر ﴿ في الحلية ﴾ في الزينة يعني النساء ﴿ وهو في الخصام غير مبين ﴾ للحجة من ضعفهن وسفههن

قال قتادة في هذه الآية قلما تتكلم امرأة تريد أن تتكلم بحجتها الا تكلمت بالحجة عليها ، ومن في محل من ثلاثة أوجه الرفع على الابتداء والنصب على الاضمار، مجازه أو من ينشأ في الحلية يجعلونه بنات الله والخفض ردا على قوله مما يخلق وقوله بما ضرب ﴿ وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا ﴾ قرأ أهل الكوفة وأبو عمرو عباد الرحمن بالباء والالف بعدها ورفع الدال كقوله تعالى [بل عباد مكرمون] وقرأ الآخرون عند الرحمن بالنون ونصب الدال على الظرف وتصديقه كقوله عزوجل (ان الذين عند ربك) الاية ﴿ أشهدوا خلقهم؟ ﴾

قرأ أهل المدينة على مالم يسم فاعله ولينوا الهمزة الثانية بعد همزة الاستفهام اى أحضروا خلقهم؟ وقرأ الاخرون بفتح الشين اى أحضروا خلقهم حين خلقوا وهذا كقوله (أم خلقنا الملائكة اناثا

شهادتهم] أي بذلك [ويسئلون] عن ذلك يوم القيامة وهذا تهديد شديد ووعيد أكيد [وقالوا لو شاء الرحمن ماعبدناهم] أي لو أراد الله لحال بيننا وبين عبادة الاصنام التي هي على صورة الملائكة التي هي بنات الله فانه عالم بذلك وهو يقررنا عليه فجمعوا بين انواع كثيرة من الخطأ (أحدها) جعلهم لله تعالى ولداً تعالى وتقدس وتنزه عن ذلك علواً كبيرا [الثاني] دعواهم انه اصطفى البنات على البنين فجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا [الثالث] عبادتهم لهم مع ذلك كله بلا دليل ولا برهان ولا اذن من الله عز وجل بل بمجرد الآراء والاهواء، والتقليد للاسلاف والكبراء والآباء والخبط في الجاهلية الجهلاء. [الرابع] احتجاجهم بتقديرهم على ذلك قدرا وقد جهلوا في هذا الاحتجاج جهلا كبيراء، فانه تعالى قد انكر ذلك عليهم أشد الانكار فانه منذ بعث الرسل وانزل الكتب يأمر بعبادته وحده لاشريك له وينهى عن عبادة ماسواه قال تعالى [ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين ؟]

وقال عز وجل [واسأل من أرسلنا قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون؟] وقال جل وعلا في هذه الآية بعد أن ذكر حجتهم هذه [مالهم بذلك من علم] أي بصحة ما قالوه واحتجوا به [ان هم إلا يخرصون] أي يكذبون ويتقولون وقال مجاهد في قوله تعالى [مالهم بذلك من علم ان هم إلا يخرصون] يعني مايعلمون قدرة الله تبارك وتعالى على ذلك

أم آتينهم كتٰبا من قبله فهم به مستمسكون (٢١) بل قالوا انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثٰرهم مهتدون (٢٢) وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير إلا قال مترفوها انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثٰرهم مقتدون (٢٣) قل أولو جئتكم بأهدى

وهم شاهدون] ﴿ ستكتب شهادتهم ﴾ على الملائكة أنهم بنات الله ﴿ ويسئلون ﴾ عنها قال الكلبي ومقاتل لما قالوا هذا القول سألهم النبي ﷺ فقال ما يدريكم أنهم بنات الله قالوا سمعنا من آبائنا ونحن نشهد انهم لم يكذبوا فقال الله تعالى [ستكتب شهادتهم ويسئلون] عنها في الاخرة ﴿ وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم ﴾ يعني الملائكة قاله قتادة ومقاتل والكلبي وقال مجاهد يعني الاوثان وانما لم يجعل عقوبتنا على عبادتنا اياها لرضاه منا بعبادتها

قال الله تعالى ﴿ مالهم بذلك من علم ﴾ فيما يقولون ماهم الا كاذبون في قولهم ان الله تعالى رضي منا بعبادتها وقيل ان هم الا يخرصون فيما يقولون ﴿ ان هم الا يخرصون ﴾ في قولهم ان الملائكة اناث وانهم بنات الله ﴿ أم آتيناهم كتابا من قبله ﴾ أي من قبل القرآن بأن يعبدوا غير الله ﴿ فهم

مما وجدتم عليه اباءكم قالوا انا بما ارسلتم به كفرون (٢٤) فانتقمنا منهم فانظر كيف كان عقبة المكذبين (٢٥)

يقول تعالى منكرا على المشركين في عبادتهم غير الله بلا برهان ولا دليل ولا حجة [أم آتيناهم كتابا من قبله] أي من قبل شركهم [فهم به مستمسكون] أي فيما هم فيه أي ليس الامر كذلك كقوله عز وجل (أم انزلنا عليهم سلطانا فهو يتكلم بما كانوا به يشركون) أي لم يكن ذلك. ثم قال تعالى [بل قالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مهتدون] أي ليس لهم مستند فيما هم فيه من الشرك سوى تقليد الآباء والاجداد بأنهم كانوا على أمة والمراد بها الدين ههنا وفي قوله تبارك وتعالى [وإن هذه أمتكم أمة واحدة) وقولهم [وإنا على آثارهم] أي وراءهم [مهتدون] دعوى منهم بلا دليل

ثم بين جل وعلا أن مقالة هؤلاء قد سبقهم اليها أشباههم ونظراؤهم من الامم السالفة المكذبة للرسل تشابهت قلوبهم فقالوا مثل مقالتهم [كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول إلا قالوا ساحر أو مجنون * أتواصوا به بل هم قوم طاغون ؟] وهكذا قال ههنا [وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير إلا قال مترفوها انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون] ثم قال عز وجل [قل] أي يامحمد لهؤلاء المشركين [أولو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم ؟ قالوا انا بما أرسلتم به كافرون] أي ولو علموا وتيقنوا صحة ماجئتهم به لما انقادوا لذلك لسوء قصدهم ومكابرتهم للحق وأهله قال الله تعالى (فانتقمنا منهم) أي من الامم المكذبة بأنواع من العذاب كما فصله تبارك وتعالى في قصصهم [فانظر كيف كان عاقبة المكذبين] أي كيف بادوا وهلكوا وكيف نجى الله المؤمنين

وإذ قال ابراهيم لأبيه وقومه إنني براء مما تعبدون (٢٦) إلا الذي فطرني فانه

به مستمسكون * بل قالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة ﴾ على دين وملة قال مجاهد على امام ﴿ وإنا على آثارهم مهتدون ﴾ جعلوا أنفسهم باتباع آبائهم الاولين مهتدين ﴿ وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير الا قال مترفوها ﴾ أغنياؤها ورؤساؤها ﴿ انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون ﴾ بهم ﴿ قال ﴾ قرأ ابن عامر وحفص قال على الخبر وقرأ الآخرون قل على الامر ﴿ أو لو جئتكم ﴾ قرأ أبو جعفر جئناكم على الجمع والآخرون على الواحد ﴿ بأهدى ﴾ بدين أصوب ﴿ مما وجدتم عليه آباءكم ﴾ قال الزجاج قال لهم أتتبعون ما وجدتم عليه آباءكم وان جئتكم بأهدى منه فأبوا أن يقبلوه ﴿ قالوا انا بما أرسلتم به كافرون * فانتقمنا منهم فانظر كيف كان عاقبة المكذبين ﴾

قوله عز وجل ﴿ وإذ قال ابراهيم لابيه وقومه انني براء ﴾ أي بريء ولا يثنى البراء ولا يجمع

سيهدين (٢٧) وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون (٢٨) بل متعت هؤلاء وآباءهم حتى جاءهم الحق ورسول مبين (٢٩) ولما جاءهم الحق قالوا هذا سحر وإنا به كفرون (٣٠) وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم (٣١) أهم يقسمون رحمت ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحيوة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجت ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ورحمت ربك خير مما يجمعون (٣٢) ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون (٣٣) ولبيوتهم أبوابا وسررا عليها يتكئون (٣٤) وزخرفا وإن كل ذلك لما متع الحيوة الدنيا والآخرة عند ربك للمتقين (٣٥)

يقول تعالى مخبراً عن عبده ورسوله وخليله امام الحنفاء ووالد من بعث بعده من الانبياء الذي تنتسب اليه قريش في نسبها ومذهبها أنه تبرأ من أبيه وقومه في عبادتهم الاوثان فقال [انني براء مما تعبدون الا الذي فطرني فانه سيهدين * وجعلها كلمة باقية في عقبه] أي هذه الكلمة وهي عبادة الله وحده لاشريك له وخلع ماسواه من الاوثان وهي لاإله الا الله أي جعلها دائمة في ذريته يقتدى به فيها من هداه الله تعالى من ذرية ابراهيم عليه الصلاة والسلام (لعلهم يرجعون) أي اليها ، قال عكرمة ومجاهد والضحاك وقتادة والسدي وغيرهم في قوله عز وجل (وجعلها كلمة باقية في عقبه) يعني لاإله الا الله لايزال في ذريته من يقولها . وروي نحوه عن ابن عباس رضي الله عنهما ، وقال ابن زيد كلمة الاسلام وهو يرجع إلى ماقاله الجماعة

ثم قال جل وعلا (بل متعت هؤلاء) يعني المشركين (وآباءهم) أي فتطاول عليهم العمر في

ولا يؤنث لانه مصدر وضع موضع النعت ﴿ مما تعبدون الا الذي فطرني فانه سيهدين ﴾ يرشدني لدينه ﴿وجعلها ﴾ يعنى هذه الكلمة كلمة باقية في عقبه ، قال مجاهد وقتادة يعني كلمة التوحيد وهي لا اله الا الله ﴿ كلمة باقية في عقبه ﴾ أي في ذريته قال قتادة لا يزال في ذريته من يعبد الله ويوحده وقال القرظي يعني جعل وصية ابراهيم التي أوصى بها بنيه باقية في نسله وذريته وهو قوله عز وجل [ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب] وقال ابن زيد يعني قوله [أسلمت لرب العالمين] وقرأ (هو سماكم المسلمين) ﴿ لعلهم يرجعون ﴾ لعل أهل مكة يتبعون هذا الدين ويرجعون عماهم عليه الى دين ابراهيم

وقال السدي لعلهم يتوبون ويرجعون الى طاعة الله عز وجل ﴿ بل متعت هؤلاء وآباءهم ﴾ يعني

ضلالهم (حتى جاءهم الحق ورسول مبين) أي بين الرسالة والنذارة [ولما جاءهم الحق قالوا هذا سحر وإنا به كافرون] أي كابروه وعاندوه ودفعوا بالصدور والراح كفراً وحسداً وبغياً [وقالوا] أي كالمعترضين على الذي أنزله تعالى وتقدس (لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم) أي هلا كان انزال هذا القرآن على رجل عظيم كبير في أعينهم من القريتين يعنون مكة والطائف . قاله ابن عباس رضي الله عنهما وعكرمة ومحمد بن كعب القرظي وقتادة والسدي وابن زيد

وقد ذكر غير واحد منهم أنهم أرادوا بذلك الوليد بن المغيرة وعروة بن مسعود الثقفي ، وقال مالك عن زيد بن أسلم والضحاك والسدي يعنون الوليد بن المغيرة ومسعود بن عمرو الثقفي ، وعن مجاهد يعنون عمير بن عمرو بن مسعود الثقفي ، وعنه أيضاً أنهم يعنون عتبة بن ربيعة ، وعن ابن عباس رضي الله عنهما جبار من جبابرة قريش ، وعنه رضي الله عنهما أنهم يعنون الوليد بن المغيرة وحبيب بن عمرو بن عمير الثقفي وعن مجاهد يعنون عتبة بن ربيعة بمكة وابن عبد ياليل بالطائف ، وقال السدي عنوا بذلك الوليد بن المغيرة وكنانة بن عبد عمرو بن عمير الثقفي والظاهر أن مرادهم رجل كبير من أى البلدتين كان

قال الله تبارك وتعالى راداً عليهم في هذا الاعتراض (أهم يقسمون رحمة ربك) أى ليس الامر مردوداً اليهم بل الى الله عز وجل والله أعلم حيث يجعل رسالاته فانه لا ينزلها إلا على أزكى الخلق قلبا ونفسا وأشرفهم بيتا وأطهرهم أصلا

ثم قال عز وجل مبينا أنه قد فاوت بين خلقه فيما أعطاهم من الاموال والارزاق والعقول والفهوم وغير ذلك من القوى الظاهرة والباطنة فقال [نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا] الآية، وقوله جلت عظمته [ليتخذ بعضهم بعضا سخريا] قيل معناه ليسخر بعضهم بعضا في الاعمال لاحتياج هذا

المشركين في الدنيا ولم أعاجلهم بالعقوبة على كفرهم ﴿ حتى جاءهم الحق ﴾ يعنى القرآن وقال الضحاك الاسلام ﴿ ورسول مبين ﴾ يبين لهم الاحكام وهو محمد ﷺ وكان من حق هذا الانعام أن يطيعوه فلم يفعلوا وعصوا وهو قوله ﴿ ولما جاءهم الحق ﴾ يعنى القرآن ﴿ قالوا هذا سحر وإنا به كافرون * وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم ﴾

يعنون الوليد بن المغيرة من مكة وعروة بن مسعود الثقفى بالطائف قاله قتادة وقال مجاهد عتبة ابن ربيعة من مكة وابن عبد ياليل الثقفى من الطائف وقيل الوليد بن المغيرة من مكة ومن الطائف حبيب ابن عمرو بن عمير الثقفى ويروى هذا عن ابن عباس رضي الله عنهما

قال الله تعالى ﴿ أهم يقسمون رحمة ربك ﴾ يعنى النبوة قال مقاتل يقول أبأيديهم مفاتيح الرسالة فيضعونها حيث شاؤا ثم قال ﴿ نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحيوة الدنيا ﴾ فجعلنا هذا غنيا وهذا فقيرا وهذا ملكا وهذا مملوكا فكما فضلنا بعضهم على بعض في الرزق كما شئنا كذلك اصطفينا بالرسالة من شئنا ﴿ ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ﴾ بالغنى والمال ﴿ ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ﴾

إلى هذا وهذا الى هذا . قاله السدي وغيره ، وقال قتادة والضحاك ليملك بعضهم بعضا وهو راجع الى الاول ، ثم قال عز وجل [ورحمة ربك خير مما يجمعون] أي رحمة الله بخلقه خير لهم مما بأيديهم من الاموال ومتاع الحياة الدنيا

ثم قال سبحانه وتعالى [ولولا أن يكون الناس أمة واحدة] أي لولا أن يعتقد كثير من الناس الجهلة أن اعطاءنا المال دليل على محبتنا لمن أعطيناه فيجتمعوا على الكفر لاجل المال ، هذا معنى قول ابن عباس والحسن وقتادة والسدي وغيرهم [لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج] أي سلالم ودرجا من فضة . قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة والسدي وابن زيد وغيرهم [عليها يظهرون] أي يصعدون [ولبيوتهم أبوابا] أي اغلاقا على أبوابهم [وسررا عليها يتكئون] أي جميع ذلك يكون فضة (وزخرفا) أي وذهبا . قاله ابن عباس وقتادة والسدي وابن زيد

ثم قال تبارك وتعالى (وإن كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا) أي انما ذلك من الدنيا الفانية الزائلة الحقيرة عند الله تعالى أي يعجل لهم بحسناتهم التي يعملونها في الدنيا مآكل ومشارب ليوافوا الآخرة وليس لهم عند الله تبارك وتعالى حسنة يجزيهم بها كما ورد به الحديث الصحيح . وورد في حديث آخر « لو أن الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ماسقى منها كافراً شربة ماء » أسنده البغوي من رواية زكريا ابن منظور عن أبي حازم عن سهل بن سعد رضي الله عنه عن النبي ﷺ فذكره ، ورواه الطبراني من طريق

ليستخدم بعضهم بعضا فيسخر الاغنياء باموالهم الاجراء الفقراء بالعمل فيكون بعضهم لبعض سبب المعاش هذا بماله وهذا بأعماله فيلتئم قوام أمر العالم

وقال قتادة والضحاك يملك بعضهم بما لهم بعضا بالعبودية والملك ﴿ ورحمة ربك ﴾ يعني الجنة ﴿ خير ﴾ للمؤمنين ﴿ مما يجمعون ﴾ مما يجمع الكفار من الاموال ﴿ ولولا أن يكون الناس أمة واحدة ﴾ أي لولا أن يصيروا كلهم كفارا فيجتمعون على الكفر ﴿ لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ﴾ قرأ ابن كثير وأبو جعفر وأبو عمرو سقفا بفتح السين وسكون القاف على الواحد ومعناه الجمع كقوله تعالى فخر عليهم السقف من فوقهم ، وقرأ الآخرون بضم السين والقاف على الجمع وهي جمع سقف مثل رهن ورهن

قال أبو عبيدة ولا ثالث لهما وقيل هو جمع سقيف وقيل جمع سقوف جمع الجمع ﴿ ومعارج ﴾ مصاعد ودرجا من فضة ﴿ عليها يظهرون ﴾ يعلون ويرتقون يقال ظهرت على السطح اذا علوته ﴿ ولبيوتهم أبوابا ﴾ من فضة ﴿ وسررا ﴾ أي وجعلنا لهم سررا من فضة ﴿ عليها يتكئون وزخرفا ﴾ أي ولجعلنا مع ذلك لهم زخرفا وهو الذهب نظيره أو يكون لك بيت من زخرف ﴿ وان كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا ﴾ قرأ عاصم وحمزة لما بالتشديد على معنى وما كل ذلك الا متاع الحياة الدنيا فكأن لما بمعنى الا وخففه الآخرون على معنى وكل ذلك متاع الحياة الدنيا فيكون ان للابتداء وما صلة يريد ان

زمعة بن صالح عن أبي حازم عن سهل بن سعد عن النبي ﷺ « لو عدلت الدنيا عند الله جناح بعوضة ما أعطى كافراً منها شيئاً » ثم قال سبحانه وتعالى [والآخرة عند ربك للمتقين] أي هي لهم خاصة لا يشاركهم فيها أحد غيرهم ولهذا لما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لرسول الله ﷺ حين صعد اليه في تلك المشربة لما آلى ﷺ من نسائه فرآه على رمال حصير قد أثر بجنبه فابتدرت عيناه بالبكاء وقال يارسول الله هذا كسرى وقيصر فيما هما فيه وأنت صفوة الله من خلقه وكان رسول الله ﷺ متكئاً فجلس وقال « أوفي شك أنت يا ابن الخطاب ؟ » ثم قال ﷺ « اولئك قوم عجلت لهم طيباتهم في حياتهم الدنيا » وفي رواية « أما ترضى أن تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة ؟ »

وفي الصحيحين أيضا وغيرهما أن رسول الله ﷺ قال « لا تشربوا في آنية الذهب والفضة ولا تأكلوا في صحافها فانها لهم في الدنيا ولنا في الآخرة » وإنما خولهم الله تعالى في الدنيا لحقارتها كما روى الترمذي وابن ماجه من طريق أبي حازم عن سهل بن سعد قال قال رسول الله ﷺ « لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى منها كافراً شربة ماء أبدا » قال الترمذي حسن صحيح

ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطاناً فهو له قرين (٣٦) وإنهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون أنهم مهتدون (٣٧) حتى إذا جاءنا قال يليت بيني وبينك بعد المشرقين فبئس القرين (٣٨) ولن ينفعكم اليوم إذ ظلمتم أنكم في العذاب مشتركون (٣٩) أفأنت تسمع الصم أو تهدى العمي ومن كان في ضلال مبين ؟ (٤٠) فإما نذهبن بك فإنا منهم منتقمون (٤١)

هذا كله متاع الحياة الدنيا يزول ويذهب ﴿ والآخرة عند ربك للمتقين ﴾ خاصة يعني الجنة

أخبرنا الامام أبو علي الحسين بن محمد القاضي أنا أبو العباس عبدالله بن محمد بن هارون الطيسفوني أنا أبو الحسن محمد بن أحمد الترابي أنا أبو بكر أحمد محمد بن عمر بن بسطام أنا احمد بن سيار القريشى ثنا عبد الرحمن بن يونس ثنا أبو مسلم ثنا أبو بكر بن ممطور عن أبي حازم عن سهل بن سعد قال قال رسول الله ﷺ « لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها قطرة ماء »

أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن أبي توبة أنا أبو طاهر محمد بن أحمد بن الحارث أنا محمد ابن يعقوب الكسائي أنا عبد الله بن محمود أنا ابراهيم بن عبد الله الخلال أنا عبد الله بن المبارك عن خالد بن سعيد عن قيس بن حازم عن المستورد بن شداد أخي بنى فهر قال كنت في الركب الذين وقفوا مع رسول الله ﷺ على السخلة الميتة فقال رسول الله ﷺ « أترون هذه هانت على أهلها حتى ألقوها ؟ » قالوا من هوانها ألقوها قال رسول الله ﷺ « فالدنيا أهون على الله من هذه على أهلها »

قوله عز وجل ﴿ ومن يعش عن ذكر الرحمن ﴾ أى يعرض عن ذكر الرحمن فلم يخف عقابه ولم

أو نرينك الذى وعدناهم فانا عليهم مقتدرون (٤٢) فاستمسك بالذى أوحي اليك إنك على صراط مستقيم (٤٣) وانه لذكر لك ولقومك وسوف تُسئلون (٤٤) واسئل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون ؟ (٤٥)

يقول تعالى [ومن يعش] أي يتعامى ويتغافل ويعرض (عن ذكر الرحمن) والعشا في العين ضعف بصرها ، والمراد ههنا عشا البصيرة [نقيض له شيطانا فهو له قرين] كقوله تعالى [ومن يشاقق الرسول من بعد ماتبين له الهدى] الآية وكقوله [فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم] وكقوله جل جلاله [وقيضنا لهم قرناء فزينوا لهم ما بين أيديهم وماخلفهم] الآية ولهذا قال تبارك وتعالى ههنا [وانهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون انهم مهتدون * حتى اذا جاءنا] أي هذا الذي تغافل عن الهدى نقيض له من الشياطين من يضله ويهديه الى صراط الجحيم ، فاذا وافى الله عز وجل يوم القيامة يتبرم بالشيطان الذي وكل به [قال ياليت بيني وبينك بعد المشرقين فبئس القرين] وقرأ بعضهم [حتى إذا جاآنا] يعني القرين والمقارن

قال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن سعيد الجريري قال : بلغنا أن الكافر إذا بعث من قبره يوم القيامة شفع بيده شيطان فلم يفارقه حتى يصيرهما الله تبارك وتعالى الى النار فذلك حين يقول [ياليت بيني و بينك بعد المشرقين فبئس القرين] والمراد بالمشرقين ههنا هو ما بين المشرق والمغرب ، وانما استعمل ههنا تغليبا كما يقال : القمران والعمران والأبوان . قاله ابن جرير وغيره

يوج ثوابه يقال عشوت الى النار أعشوا عشوا اذا قصدتها مهتديا بها وعشوت عنها أعرضت عنها كما يقول عدلت إلى فلان وعدلت عنه وملت اليه وملت عنه ، قال القرطبي يول ظهره عن ذكر الرحمن وهو القرآن ، قال أبو عبيدة والاخفش يظلم بصره عنه ، قال الخليل بن أحمد أصل العشو النظر ببصر ضعيف ، وقرأ ابن عباس ومن يعش بفتح الشين أي يعم يقال عشى يعشى عشيا اذا عمى فهو أعشى وامرأة عشواء ﴿ نقيض له شيطانا ﴾ قرأ يعقوب يقيض بالياء والباقون بالنون نسبب له شيطانا ونضمه اليه ونسلطه عليه ﴿ فهو له قرين ﴾ لايفارقه يزين له العمى ويخيل اليه أنه على الهدى ﴿ وانهم ﴾ يعني الشياطين ﴿ ليصدونهم عن السبيل ﴾ أي ليمنعونهم عن الهدى وجمع الكناية لان قوله (ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا) في مذهب جمع وإن كان اللفظ على الواحد ﴿ ويحسبون أنهم مهتدون ﴾ ويحسب كفار بني آدم أنهم على هدى ﴿ حتى اذا جاءنا ﴾ قرأ أهل العراق غير أبي بكر جاءنا على الواحد يعنون الكافر ، وقرأ الآخرون جاءانا على التثنية يعنون الكافر وقرينه قد جعلا في سلسلة واحدة ﴿ قال ﴾ الكافر لقرينه الشيطان ﴿ ياليت بيني وبينك بعد المشرقين ﴾ أي بعدما بين المشرق

ثم قال تعالى [ولن ينفعكم اليوم إذ ظلمتم أنكم في العذاب مشتركون] أي لا يغني عنكم اجتماعكم في النار واشتراككم في العذاب الاليم

وقوله جلت عظمته [أفأنت تسمع الصم أو تهدي العمي ومن كان في ضلال مبين ؟] أي ليس ذلك اليك انما عليك البلاغ وليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء ويضل من يشاء وهو الحكم العدل في ذلك . ثم قال تعالى [فاما نذهبن بك فانا منهم منتقمون] أي لا بد أن ننتقم منهم ونعاقبهم ولو ذهبت أنت [أو نرينك الذي وعدناهم فانا عليهم مقتدرون] أي نحن قادرون على هذا وعلى هذا ، ولم يقبض الله تعالى رسوله ﷺ حتى أقر عينه من أعدائه وحكمه في نواصيهم ، وملكه ما تضمنته صياصيهم ، هذا معنى قول السدي واختاره ابن جرير

وقال ابن جرير حدثنا ابن عبد الأعلى حدثنا أبو ثور عن معمر قال تلا قتادة [فاما نذهبن بك فانا منهم منتقمون] فقال ذهب النبي ﷺ وبقيت النقمة ولم ير الله تبارك وتعالى نبيه ﷺ في أمته شيئا يكرهه حتى مضى ولم يكن نبي قط الا وقد رأى العقوبة في أمته إلا نبيكم ﷺ قال وذكر لنا أن رسول الله ﷺ أري ما يصيب أمته من بعده فما رئي ضاحكا منبسطا حتى قبضه الله عز وجل وذكر من رواية سعيد بن أبي عروبة عن قتادة نحوه

ثم روى ابن جرير عن الحسن نحو ذلك أيضا وفي الحديث النجوم أمنة للسماء فاذا ذهبت النجوم أتى السماء ما توعد وأنا أمنة لأصحابي فاذا ذهبت أتى أصحابي ما يوعدون

والمغرب فغلب اسم أحدهما على الآخر كما يقال للشمس والقمر القمران ولأبي بكر وعمر العمران ، وقيل أراد بالمشرقين مشرق الصيف ومشرق الشتاء والاول أصح ﴿ فبئس القرين ﴾

قال أبو سعيد الخدري اذا بعث الكافر زوج بقرينه الشيطان فلا يفارقه حتى يصيروا الى النار ﴿ ولن ينفعكم اليوم ﴾ في الآخرة ﴿ اذ ظلمتم ﴾ أشركتم في الدنيا ﴿ انكم في العذاب مشتركون ﴾ يعني لا ينفعكم الاشتراك في العذاب ولا يخفف الاشتراك عنكم العذاب لان لكل واحد من الكفار والشياطين الحظ الاوفر من العذاب قال مقاتل لن ينفعكم الاعتذار والندم اليوم فأنتم وقرناؤكم اليوم مشتركون في العذاب كما كنتم مشتركين في الكفر ﴿ أفأنت تسمع الصم أو تهدي العمي ومن كان في ضلال مبين ﴾ يعني الكافرين الذين حقت عليهم كلمة العذاب لا يؤمنون ﴿ فاما نذهبن بك ﴾ بأن نميتك قبل أن نعذبهم ﴿فانا منهم منتقمون﴾ بالقتل بعدك ﴿أو نرينك﴾ في حياتك ﴿الذي وعدناهم ﴾ من العذاب ﴿فانا عليهم مقتدرون﴾ قادرون متى شئنا عذبناهم وأراد به مشركي مكة انتقم منهم يوم بدر وهذا قول أكثر المفسرين . وقال الحسن وقتادة عنى به أهل الاسلام من أمة محمد ﷺ وقد كان بعد النبي ﷺ نقمة شديدة في أمته فأكرم الله نبيه وذهب به ولم يره في أمته إلا الذي يقر عينه وأبقى النقمة بعده . وروي أن النبي ﷺ أري ما يصيب أمته بعده فما رئي ضاحكا منبسطا حتى

ثم قال عز وجل (فاستمسك بالذي أوحي اليك انك على صراط مستقيم) اي خذ بالقرآن المنزل على قلبك فانه هو الحق ومايهدي اليه هو الحق المفضي الى صراط الله المستقيم، الموصل الى جنات النعيم، والخير الدائم المقيم . ثم قال جل جلاله (وانه لذكر لك ولقومك) قيل معناه لشرف لك ولقومك قاله ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ومجاهد وقتادة والسدي وابن زيد واختاره ابن جرير ولم يحك سواه . وأورد الترمذي ههنا حديث الزهري عن محمد بن جبير بن مطعم عن معاوية رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « ان هذا الامر في قريش لاينازعهم فيه أحد الا أكبه الله تعالى على وجهه ما أقاموا الدين » رواه البخاري ومعناه أنه شرف لهم من حيث انه أنزل بلغتهم فهم أفهم الناس له فينبغي أن يكونوا أقوم الناس به وأعملهم بمقتضاه ، وهكذا كان خيارهم وصفوتهم من الخلص من المهاجرين السابقين الاولين ومن شابههم وتابعهم ، وقيل معناه (وانه لذكر لك ولقومك) أي لتذكير لك ولقومك وتخصيصهم بالذكر لاينفى من سواهم كقوله تعالى (لقد أنزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم أفلا تعقلون) وكقوله تبارك وتعالى (وأنذر عشيرتك الاقربين) (وسوف تسئلون) أي عن هذا القرآن وكيف كنتم في العمل به والاستجابة له

وقوله سبحانه وتعالى (واسئل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون) أي جميع الرسل دعوا الى مادعوت الناس اليه من عبادة الله وحده لاشريك له ونهوا عن

قبضه الله ﴿ فاستمسك بالذي أوحي اليك انك على صراط مستقيم * وانه ﴾ يعني القرآن ﴿ لذكر لك ﴾ أي لشرف لك ﴿ ولقومك ﴾ من قريش نظيره لقد أنزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم أي شرفكم ﴿ وسوف تسئلون ﴾ عن حقه واداء شكره ، روى الضحاك عن ابن عباس أن النبي ﷺ كان اذا سئل لمن هذا الامر بعدك لم يجب بشيء حتى نزلت هذه الآية فكان بعد ذلك اذا سئل لمن هذا قال لقريش

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا عبد الرحمن بن شريح أنا ابو القاسم البغوي ثنا علي بن الجعد أنا عاصم بن محمد بن زيد عن أبيه عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لايزال هذا الامر في قريش مابقي اثنان »

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا احمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل حدثنا أبو اليمان أنا شعيب عن الزهري قال كان محمد بن جبير بن مطعم يحدث عن معاوية قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « إن هذا الامر في قريش لايعاديهم أحد الا أكبه الله على وجهه ما أقاموا الدين » وقال مجاهد القوم هم العرب فالقرآن لهم شرف إذ نزل بلغتهم ثم يختص بذلك الشرف الاخص فالاخص من العرب حتى يكون الاكثر لقريش ولبني هاشم ، وقيل ذلك شرف لك بما أعطاك من الحكمة ولقومك المؤمنين بما هداهم الله به وسوف تسئلون عن القرآن وعما يلزمكم من القيام بحقه

قوله ﴿ واسئل من أرسلنا من قبلك من رسلنا اجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون ﴾ اختلفوا

عبادة الاصنام والانداد كقوله جلت عظمته (ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) قال مجاهد في قراءة عبدالله بن مسعود رضي الله عنه (واسئل الذين أرسلنا اليهم قبلك رسلنا) وهكذا حكاه قتادة والضحاك والسدي عن ابن مسعود رضي الله عنه، وهذا كأنه تفسير لا تلاوة والله أعلم. وقال عبدالرحمن بن زيد بن أسلم واسألهم ليلة الاسراء فان الانبياء عليهم الصلاة والسلام جمعوا له، واختار ابن جرير الاول والله أعلم

ولقد أرسلنا موسى بآيتنا إلى فرعون وملائه فقال اني رسول رب العلمين (٤٦) فلما جاءهم بآيتنا اذا هم منها يضحكون (٤٧) وما نريهم من آية الا هي أكبر من أختها وأخذنهم بالعذاب لعلهم يرجعون (٤٨) وقالوا ياأيها الساحر ادع لنا ربك بما عهد عندك اننا لمهتدون (٤٩) فلما كشفنا عنهم العذاب إذا هم ينكثون (٥٠)

يقول تعالى مخبراً عن عبده ورسوله موسى عليه الصلاة والسلام انه ابتعثه الى فرعون وملئه من الامراء والوزراء والقادة والاتباع والرعايا من القبط وبني اسرائيل، يدعوهم الى عبادة الله وحده لاشريك له وينهاهم عن عبادة ماسواه، وانه بعث معه آيات عظاما كيده وعصاه، وما أرسل معه من الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم، ومن نقص الزروع والانفس والثمرات، ومع هذا كله استكبروا عن اتباعها والانقياد لها وكذبوها وسخروا منها وضحكوا ممن جاءهم بها (وماتأتيهم من آية الا هي أكبر من اختها) ومع هذا مارجعوا عن غيهم وضلالهم، وجهلهم وخبالهم، وكلما جاءتهم آية من هذه

في هؤلاء المسؤلين قال عطاء عن ابن عباس لما أسرى بالنبي ﷺ بعث الله له آدم وولده من المرسلين فاذن جبريل ثم أقام وقال يامحمد تقدم فصل بهم فلما فرغ من الصلاة قال له جبريل سل يامحمد من أرسلنا قبلك من رسلنا الآية فقال رسول الله ﷺ «لا أسأل فقد اكتفيت» وهذا قول الزهري وسعيد بن جبير وابن زيد قالوا جمع الله له المرسلين ليلة أسرى به وأمره أن يسألهم فلم يشك ولم يسأل وقال اكثر المفسرين سل مؤمني أهل الكتاب الذين أرسلت اليهم الانبياء هل جاءتهم الرسل الا بالتوحيد، وهو قول ابن عباس في سائر الروايات ومجاهد وقتادة والضحاك والسدي والحسن ومقاتل يدل عليه قراءة عبد الله وأبي (واسئل الذين أرسلنا اليهم قبلك رسلنا) ومعنى الامر بالسؤال التقرير لمشركي قريش أنه لم يأت رسول ولا كتاب بعبادة غير الله عز وجل ﴿ولقد أرسلنا موسى بآياتنا الي فرعون وملئه فقال اني رسول رب العالمين * فلما جاءهم بآياتنا إذا هم منها يضحكون﴾ استهزاء ﴿وما نريهم من آية الا هي أكبر من أختها﴾ قرينتها وصاحبتها التي كانت

الآيات يضرعون الى موسى عليه الصلاة والسلام ويتلطفون له في العبارة بقولهم (ياأيها الساحر) أي العالم قاله ابن جرير وكان علماء زمانهم هم السحرة ، ولم يكن السحر في زمانهم مذموما عندهم فليس هذا منهم على سبيل الانتقاص منهم لان الحال حال ضرورة منهم اليه لاتناسب ذلك وانما هو تعظيم في زعمهم ففي كل مرة يعدون موسى عليه السلام ان كشف عنهم هذا أن يؤمنوا به ويرسلوا معه بني إسرائيل ، وفي كل مرة ينكثون ما عاهدوا عليه وهذا كقوله تبارك وتعالى (فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين * ولما وقع عليهم الرجز قالوا ياموسى ادع لنا ربك بما عهد عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني إسرائيل * فلما كشفنا عنهم الرجز إلى أجل هم بالغوه إذا هم ينكثون)

ونادى فرعونُ في قومه قال يٰقوم أليس لي ملكُ مصر وهذه الأنهر تجري من تحتي أفلا تبصرون ؟ (٥١) أم أنا خير من هذا الذى هو مهين ولا يكاد يبين ؟ (٥٢) فلولا ألقي عليه أسورة من ذهب أو جاء معه الملٰئكة مقترنين (٥٣) فاستخف قومه فأطاعوه إنهم كانوا قوما فٰسقين (٥٤) فلما آسفونا انتقمنا منهم فأغرقنٰهم أجمعين (٥٥) فجعلنٰهم سلفا ومثلا للآخرين (٥٦)

يقول تعالى مخبراً عن فرعون وتمرده وعتوه وكفره وعناده أنه جمع قومه فنادى فيهم متبجحا مفتخراً بملك مصر وتصرفه فيها (أليس لي ملك مصر وهذه الانهار تجري من تحتي) قال قتادة قد

قبلها ﴿ وأخذناهم بالعذاب ﴾ بالسنين والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمس فكانت هذه دلالات لموسى وعذاباً لهم فكانت كل واحدة اكبر من التي قبلها ﴿ لعلهم يرجعون ﴾ عن كفرهم ﴿ وقالوا ﴾ لموسى لما عاينوا العذاب ﴿ يا أيه الساحر ﴾ ياأيها العالم الحاذق وانما قالوا هذا توقيرا وتعظيما له لان السحر عندهم كان علما عظيما وصفة ممدوحة وقيل معناه ياأيها الذى غلبنا بسحره وقال الزجاج خاطبوه به لما تقدم له عندهم من التسمية بالساحر ﴿ ادع لنا ربك بما عهد عندك ﴾ أى بما أخبرتنا من عهده اليك إن آمنا كشف عنا العذاب فاسأله يكشف عنا العذاب ﴿ اننا لمهتدون ﴾ مؤمنون فدعا موسى فكشف عنهم فلم يؤمنوا فذلك قوله عز وجل . ﴿ فلما كشفنا عنهم العذاب اذاهم ينكثون ﴾ ينقضون عهدهم ويصرون على كفرهم

﴿ ونادى فرعون في قومه قال يا قوم أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار ﴾ أنهار النيل ﴿ تجري من تحتي ﴾ من تحت قصوري ، وقال قتادة تجري من بين يدي في جناني وبساتيني . وقال الحسن بأمري ﴿ أفلا

كانت لهم جنات وأنهار ماء (أفلا تبصرون) أي أفلا ترون ما أنا فيه من العظمة والملك يعني وموسى وأتباعه فقراء ضعفاء وهذا كقوله تعالى (فحشر فنادى فقال أنا ربكم الأعلى فأخذه الله نكال الآخرة والاولى)

وقوله [ام أنا خير من هذا الذي هو مهين] قال السدي يقول بل أنا خير من هذا الذي هو مهين وهكذا قال بعض نحاة البصرة ان أم ههنا بمعنى بل ، ويؤيد هذا ماحكاه الفراء عن بعض القراء أنه قرأها (أما أنا خير من هذا الذي هو مهين) قال ابن جرير ولو صحت هذه القراءة لكان معناها صحيحا واضحا ولكنها خلاف قراءة الامصار فانهم قرؤا (أم أنا خير من هذا الذي هو مهين) على الاستفهام قلت وعلى كل تقدير فانما يعني فرعون لعنه الله بذلك انه خير من موسى عليه الصلاة والسلام وقد كذب في قوله هذا كذبا بينا واضحا فعليه لعائن الله المتتابعة الى يوم القيامة ، ويعني بقوله مهين كما قال سفيان حقير وقال قتادة والسدي يعني ضعيف ، وقال ابن جرير يعني لا ملك له ولا سلطان ولا مال (ولا يكاد يبين) يعني لا يكاد يفصح عن كلامه فهو عيي حصر قال السدي (لا يكاد يبين) أي لا يكاد يفهم وقال قتادة والسدي وابن جرير يعني عيي اللسان وقال سفيان يعني في لسانه شيء من الجمرة حين وضعها في فمه وهو صغير ، وهذا الذي قاله فرعون لعنه الله كذب واختلاق وانما حمله على هذا الكفر والعناد وهو ينظر الى موسى عليه الصلاة والسلام بعين كافرة شقية وقد كان موسى عليه السلام من الجلالة والعظمة والبهاء في صورة يبهر أبصار ذوي الالباب ، وقوله [مهين] كذب بل هو المهين الحقير خلقة وخلقا ودينا ، وموسى هو الشريف الرئيس الصادق البار الراشد ، وقوله (ولا يكاد يبين) افتراء ايضا فانه وان كان قد أصاب لسانه في حال صغره شيء من جهة تلك الجمرة فقد سأل الله عز وجل أن يحل عقدة من لسانه ليفقهوا قوله وقد استجاب الله تبارك وتعالى له ذلك في قوله [قد أوتيت سؤلك ياموسى] وبتقدير أن يكون قد بقي شيء لم يسأل ازالته كما قاله الحسن البصري وانما سأل زوال مايحصل معه الا بلاغ والافهام فالاشياء الخلقية التي ليست من فعل العبد لا يعاب بها ولا يذم عليها وفرعون وان كان يفهم وله عقل فهو يدري هذا وانما أراد الترويج على رعيته فانهم كانوا جهلة أغبياء وهكذا قوله (فلولا القي عليه اسورة من ذهب) وهي ما يجعل في الايدي من الحلي قاله

تبصرون ﴾ عظمتي وشدة ملكي ﴿ أم أنا خير ﴾ بل أنا خير أم بمعنى بل وليس بحرف عطف على قول أكثر المفسرين . وقال الفراء الوقف على قوله أم وفيه إضمار مجازه أفلا تبصرون ألا تبصرون . ثم ابتدأ فقال أنا خير ﴿ من هذا الذي هو مهين ﴾ ضعيف حقير يعني موسى قوله ﴿ ولا يكاد يبين ﴾ يفصح بكلامه للثغته التي في لسانه ﴿ فلولا ألقي عليه ﴾ ان كان صادقا ﴿ أسورة من ذهب ﴾ قرأ حفص ويعقوب أسورة جمع سوار وقرأ الآخرون أساورة على جمع الاسورة وهي جمع الجمع . قال مجاهد كانوا اذا سودوا رجلا سوروه بسوار وطوقوه بطوق من ذهب يكون ذلك دلالة لسيادته فقال فرعون هلا

ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة وغير واحد (أو جاء معه الملائكة مقترنين) أي يكتنفونه خدمة له ويشهدون بتصديقه نظر الى الشكل الظاهر ولم يفهم السر المعنوي الذى هو أظهر مما نظر اليه لو كان يفهم ولهذا قال تعالى (فاستخف قومه فأطاعوه) أى استخف عقولهم فدعاهم الى الضلالة فاستجابوا له (إنهم كانوا قوما فاسقين)

قال الله تعالى (فلما آسفونا انتقمنا منهم فاغرقناهم أجمعين) قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما آسفونا اسخطونا وقال الضحاك عنه أغضبونا وهكذا قال ابن عباس أيضا ومجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير ومحمد بن كعب القرظي وقتادة والسدى وغيرهم من المفسرين

وقال ابن أبي حاتم حدثنا عبيد الله بن أخي ابن وهب حدثنا عمي حدثنا ابن لهيعة عن عقبة ابن مسلم التجيبي عن عقبة بن عامر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « اذا رأيت الله تبارك وتعالى يعطي العبد مايشاء وهو مقيم على معاصيه فانما ذلك استدراج منه له » ثم تلا ﷺ (فلما آسفونا انتقمنا منهم فاغرقناهم أجمعين) وحدثنا أبي حدثنا يحيى بن عبد الحميد الحماني حدثنا قيس بن الربيع عن قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب قال كنت عند عبد الله رضي الله عنه فذكر عنده موت الفجأة فقال تخفيف على المؤمن وحسرة على الكافر ثم قرأ رضي الله عنه [فلما آسفونا انتقمنا منهم فاغرقناهم أجمعين] وقال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه وجدت النقمة مع الغفلة يعني قوله تبارك وتعالى [فلما آسفونا انتقمنا منهم فاغرقناهم أجمعين]

وقوله سبحانه وتعالى (فجعلناهم سلفا ومثلا للآخرين) قال أبو مجلز سلفا لمثل من عمل بعملهم وقال هو ومجاهد ومثلا أي عبرة لمن بعدهم والله سبحانه وتعالى الموفق للصواب واليه المرجع والمآب

ولما ضُرِب ابن مريم مثلا إذا قومُك منه يصِدُّون (٥٧) وقالوا ءآلهتنا خير أم هو ؟ماضربوه

ألقى رب موسى عليه أسورة من ذهب إن كان سيداً تجب علينا طاعته ﴿أو جاء معه الملائكة مقترنين﴾ متتابعين يتابع بعضهم بعضا يشهدون له بصدقه ويعينونه على أمره . قال الله تعالى ﴿ فاستخف قومه ﴾ أي استخف فرعون قومه القبط أي وجدهم جهالا وقيل حملهم على الخفة والجهل يقال استخفه عن رأيه إذا حمله على الجهل وأزاله عن الصواب ﴿ فأطاعوه ﴾ على تكذيبه موسى ﴿ إنهم كانوا قوما فاسقين * فلما آسفونا ﴾ أغضبونا ﴿ انتقمنا منهم فأغرقناهم أجمعين * فجعلناهم سلفا ﴾ قرأ حمزة والكسائي سلفا بضم السين واللام ، قال الفراء هو جمع سليف من سلف بضم اللام يسلف أي تقدم . وقرأ الآخرون بفتح السين واللام على جمع السالف مثل حارس وحرس وخادم وخدم وراصد ورصد وهما جميعا الماضون المتقدمون من الامم يقال سلف يسلف إذا تقدم والسالف من تقدم من الآباء فجعلناهم متقدمين ليتعظ بهم الآخرون ﴿ ومثلا للآخرين ﴾ عبرة وعظة لمن بقي بعدهم وقيل سلفا لكفار هذه الامة إلى النار ومثلا لمن يجيء بعدهم ﴿ ولما ضرب ابن مريم مثلا ﴾ قال ابن عباس

لك إلا جدلا بل هم قوم خصمون (٥٨) إن هو إلا عبد أنعمنا عليه وجعلناه مثلا لبني اسرائيل (٥٩) ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة في الارض يخلفون (٦٠) وانه لعلم للساعة فلا تمترن بها واتبعون هذا صراط مستقيم (٦١) ولا يصدنكم الشيطان انه لكم عدو مبين (٦٢) ولما جاء عيسى بالبينات قال قد جئتكم بالحكمة ولأبين لكم بعض الذي تختلفون فيه فاتقوا الله وأطيعون (٦٣) ان الله هو ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم (٦٤) فاختلف الاحزاب من بينهم فويل للذين ظلموا من عذاب يوم أليم (٦٥)

يقول تعالى مخبرا عن تعنت قريش في كفرهم وتعمدهم العناد والجدل (ولما ضرب ابن مريم مثلا اذا قومك منه يصدون) قال غير واحد عن ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وعكرمة والسدي والضحاك يضحكون أي اعجبوا بذلك

وقال قتادة يجزعون ويضحكون. وقال ابراهيم النخعي يعرضون. وكان السبب في ذلك ماذكره محمد بن اسحاق في السيرة حيث قال: وجلس رسول الله ﷺ فيما بلغني يوما مع الوليد بن المغيرة في المسجد فجاء النضر بن الحارث حتى جلس معهم وفي المجلس غير واحد من رجال قريش فتكلم رسول الله ﷺ فعرض له النضر بن الحارث فكلمه رسول الله ﷺ حتى أفحمه ثم تلا عليه وعليهم [انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون] الآيات. ثم قام رسول الله ﷺ وأقبل عبد الله بن الزبعرى التميمي حتى جلس فقال الوليد بن المغيرة له: والله ماقام النضر بن الحارث لابن عبد المطلب وما قعد، وقد زعم محمد أنا وما نعبد من آلهتنا هذه حصب جهنم، فقال عبد الله بن الزبعرى: أما والله لو وجدته لخصمته سلوا محمداً أكل مايعبد من دون الله في جهنم مع من عبده ؟ فنحن نعبد الملائكة واليهود تعبد عزيراً والنصارى تعبد المسيح عيسى بن مريم، فعجب الوليد ومن كان معه في المجلس من قول عبدالله بن الزبعرى ورأوا أنه قد احتج وخاصم فذكر ذلك لرسول الله ﷺ فقال « كل من أحب أن يعبد من دون الله فهو مع من عبده فانهم انما يعبدون الشيطان ومن أمرهم بعبادته » فأنزل الله عز وجل [ان الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون] أي عيسى وعزير ومن عبد معهما من الاحبار والرهبان الذين مضوا على طاعة الله عز وجل فاتخذهم من بعدهم من أهل الضلالة أربابا من دون الله ونزل فيما يذكر من انهم يعبدون الملائكة

وأكثر المفسرين ان الآية نزلت في مجادلة عبد الله بن الزبعرى مع النبي ﷺ في شأن عيسى عليه السلام لما نزل قوله تعالى (انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم) وقد ذكرناه في سورة الانبياء عليهم السلام ﴿ اذا قومك منه يصدون ﴾ قرأ أهل المدينة والشام والكسائي يصدون بضم الصاد أي

وأنهم بنات الله [وقالوا اتخذ الرحمن ولداً سبحانه بل عباد مكرمون] الآيات ونزل فيما يذكر من أمر عيسى عليه الصلاة والسلام وانه يعبد من دون الله وعجب الوليد ومن حضره من حجته وخصومته [ولما ضرب ابن مريم مثلا إذا قومك منه يصدون] أي يصدون عن أمرك بذلك من قوله ، ثم ذكر عيسى عليه الصلاة والسلام فقال [ان هو الا عبد أنعمنا عليه وجعلناه مثلا لبني اسرائيل ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة في الارض يخلفون * وانه لعلم للساعة] أي ما وضع على يديه من الآيات من إحياء الموتى وابراء الاسقام فكفى به دليلا على علم الساعة يقول (فلا تمترن بها واتبعون هذا صراط مستقيم)

وذكر ابن جرير من رواية العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما قوله [ولما ضرب ابن مريم مثلا اذا قومك منه يصدون] قال يعني قريشا لما قيل لهم [انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون] الى آخر الآيات فقالت له قريش فما ابن مريم ؟ قال « ذاك عبد الله ورسوله » فقالوا والله مايريد هذا الا أن نتخذه ربا كما اتخذت النصارى عيسى بن مريم ربا فقال الله عز وجل [ماضربوه لك الا جدلا بل هم قوم خصمون]

وقال الامام أحمد حدثنا هاشم بن القاسم حدثنا شيبان عن عاصم بن أبي النجود عن أبي رزين عن أبي يحيى مولى بن عقيل الانصاري قال قال ابن عباس رضي الله عنهما : لقد علمت آية من القرآن ماسألني عنها رجل قط ولا أدري أعلمها الناس فلم يسألوا عنها أم لم يفطنوا لها فيسألوا عنها . قال ثم طفق يحدثنا فلما قام تلاومنا أن لا نكون سألناه عنها فقلت أنا لها اذا راح غداً فلما راح الغد قلت يا ابن عباس ذكرت أمس ان آية من القرآن لم يسألك عنها رجل قط فلا تدري أعلمها الناس أم لم يفطنوا لها فقلت أخبرني عنها وعن اللاتي قرأت قبلها، قال رضي الله عنه نعم ان رسول الله ﷺ قال لقريش « يامعشر قريش انه ليس أحد يعبد من دون الله فيه خير » وقد علمت قريش أن النصارى

يعرضون نظيره قوله تعالى [يصدون عنك صدوداً] وقرأ الآخرون بكسر الصاد واختلفوا في معناه قال الكسائي هما لغتان مثل يعرشون ويعرشون وشد عليه يشد ويشد ونم بالحديث ينم وينم وقال ابن عباس معناه يضجون وقال سعيد بن المسيب يصيحون ، وقال الضحاك يعجون . وقال قتادة يجزعون وقال القرظي يضجرون (ولما ضرب ابن مريم مثلا اذا قومك منه يصدون) يقولون مايريد منا محمد إلا أن نعبده ونتخذه إلها كما عبدت النصارى عيسى ﴿ وقالوا ءآلهتنا خير أم هو ﴾ قال قتادة أم هو يعنون محمداً فنعبده ونطيعه ونترك آلهتنا ، وقال السدي وابن زيد أم هو يعنون عيسى ، قالوا يزعم محمد أن كل ما عبد من دون الله في النار فنحن نرضى أن تكون آلهتنا مع عيسى وعزير والملائكة في النار قال الله تعالى ﴿ ما ضربوه ﴾ يعني المثل ﴿ لك إلا جدلا ﴾ خصومة بالباطل وقد علموا أن المراد من قوله (إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم) هؤلاء الاصنام ﴿ بل هم قوم خصمون ﴾ أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو اسحاق الثعلبي أنا أبو بكر عبد الرحمن بن عبد الله

تعبد عيسى بن مريم عليهما الصلاة والسلام وما تقول في محمد ﷺ فقالوا يا محمد ألست تزعم أن عيسى عليه الصلاة والسلام كان نبيا وعبداً من عباد الله صالحا فان كنت صادقا كان آلهتهم كما تقولون قال فأنزل الله عز وجل [ولما ضرب ابن مريم مثلا اذا قومك منه يصدون] قلت مايصدون ؟ قال يضحكون [وانه لعلم للساعة] قال هو خروج عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام قبل يوم القيامة

وقال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن يعقوب الدمشقي حدثنا آدم حدثنا شيبان عن عاصم بن أبي النجود عن أبي أحمد مولى الانصار عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ « يامعشر قريش انه ليس أحد يعبد من دون الله فيه خير » فقالوا له ألست تزعم أن عيسى كان نبيا وعبداً من عباد الله صالحا فقد كان يعبد من دون الله فأنزل الله عز وجل (ولما ضرب ابن مريم مثلا اذا قومك منه يصدون) وقال مجاهد في قوله تعالى (ولما ضرب ابن مريم مثلا اذا قومك منه يصدون) قالت قريش انما يريد محمد أن نعبده كما عبد قوم عيسى عيسى عليه السلام ونحو هذا قال قتادة

وقوله (وقالوا أ آلهتنا خير أم هو) قال قتادة يقولون آلهتنا خير منه ، وقال قتادة قرأ ابن مسعود رضي الله عنه وقالوا آلهتنا خير أم هذا يعنون محمداً ﷺ

وقوله تبارك وتعالى (ماضربوه لك إلا جدلا) أي مراء وهم يعلمون انه ليس بوارد على الآية لأنها لما لا يعقل وهي قوله تعالى (انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم) ثم هي خطاب لقريش وهم انما كانوا يعبدون الاصنام والانداد ولم يكونوا يعبدون المسيح حتى يوردوه فتعين أن مقالتهم انما كانت جدلا منهم ليسوا يعتقدون صحتها

وقد قال الامام أحمد رحمه الله حدثنا ابن نمير حدثنا حجاج بن دينار عن أبي غالب عن أبي امامة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « ماضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أورثوا الجدل » ثم تلا رسول الله ﷺ هذه الآية (ماضربوه لك الا جدلا بل هم قوم خصمون) وقد رواه الترمذي وابن ماجه وابن جرير من حديث حجاج بن دينار به ، ثم قال الترمذي حسن صحيح لا نعرفه إلا من حديثه كذا قال .

الجشادي أنا احمد بن جعفر بن حمدان القطيعي ثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل حدثني أبي ثنا عبد الله ابن نمير ثنا حجاج بن دينار الواسطي عن أبي غالب عن أبي امامة قال ، قال رسول الله ﷺ « ماضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل » ثم قرأ (ما ضربوه لك إلا جدلا بل هم قوم خصمون) ثم ذكر عيسى فقال ﴿ إن هو ﴾ ما هو يعني عيسى عليه السلام ﴿ إلا عبد أنعمنا عليه ﴾ بالنبوة ﴿ وجعلناه مثلا ﴾ آية وعبرة ﴿ لبني اسرائيل ﴾ يعرفون به قدرة الله عز وجل على ما يشاء حيث خلقه من غير أب ﴿ ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة ﴾ أي ولو نشاء لأهلكناكم وجعلنا بدلا منكم ملائكة ﴿ في الارض يخلفون ﴾ يكونون خلفاء منكم يعمرون الارض ويعبدونني ويطيعونني وقيل يخلف بعضهم بعضا ﴿ وانه ﴾ يعني عيسى عليه السلام ﴿ لعلم للساعة ﴾ يعني نزوله من أشراط الساعة

(١) هذه الرواية غير موجودة في النسخة المكية

[1]وقد روي من وجه آخر عن أبي امامة رضي الله عنه بزيادة فقال ابن أبي حاتم حدثنا حميد بن عياش الرملي حدثنا مؤمل حدثنا حماد أخبرنا ابن مخزوم عن القاسم بن أبي عبد الرحمن السامي عن أبي امامة رضي الله عنه قال حماد لاأدري رفعه أم لا ؟ قال : ماضلت أمة بعد نبيها الا كان أول ضلالها التكذيب بالقدر ، وما ضلت أمة بعد نبيها إلا أعطوا الجدل . ثم قرأ (ماضربوه لك الا جدلا بل هم قوم خصمون) وقال ابن جرير أيضا حدثنا أبو كريب حدثنا أحمد بن عبد الرحمن عن عبادة بن عباد عن جعفر عن القاسم عن أبي امامة رضي الله عنه قال : إن رسول الله ﷺ خرج على الناس وهم يتنازعون في القرآن فغضب غضبا شديداً حتى كأنما صب على وجهه الخل ثم قال ﷺ « لا تضربوا كتاب الله بعضه ببعض فانه ماضل قوم قط الا أوتوا الجدل » ثم تلا صلى الله عليه وسلم (ماضربوه لك الا جدلا بل هم قوم خصمون)

وقوله تعالى (إن هو الا عبد أنعمنا عليه) يعني عيسى عليه الصلاة والسلام ماهو الا عبد من عباد الله عز وجل أنعم الله عليه بالنبوة والرسالة (وجعلناه مثلا لبني اسرائيل) أي دلالة وحجة وبرهانا على قدرتنا على مانشاء ، وقوله عز وجل (ولو نشاء لجعلنا منكم) أي بدلكم (ملائكة في الارض يخلفون) قال السدي يخلفونكم فيها ، وقال ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة يخلف بعضهم بعضا كما يخلف بعضكم بعضا وهذا القول يستلزم الاول ، وقال مجاهد يعمرون الارض بدلكم

وقوله سبحانه وتعالى (وانه لعلم للساعة) تقدم تفسير ابن اسحاق أن المراد من ذلك ما بعث به عيسى عليه الصلاة والسلام من احياء الموتى وابراء الاكمه والابرص وغير ذلك من الاسقام وفي هذا نظر ، وأبعد منه ماحكاه قتادة عن الحسن البصري وسعيد بن جبير أن الضمير في وانه عائد على القرآن بل الصحيح أنه عائد على عيسى عليه الصلاة والسلام فان السياق في ذكره ثم المراد بذلك نزوله قبل يوم القيامة كما قال تبارك وتعالى (وإن من أهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته) أي قبل موت عيسى عليه الصلاة والسلام (ثم يوم القيامة يكون عليهم شهيداً) ويؤيد هذا المعنى القراءة الاخرى

يعلم به قربها وقرأ ابن عباس وأبو هريرة وقتادة (وانه لعلم للساعة) بفتح اللام والعين أي أمارة وعلامة وروينا عن النبي ﷺ أنه قال « ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكما عدلا يكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية وتهلك في زمانه الملل كلها الا الاسلام »

ويروى انه ينزل على ثنية بالارض المقدسة وعليه ثوبان ممصرتان وشعر رأسه دهين وبيده حربة وهي التي يقتل بها الدجال فيأتي بيت المقدس والناس في صلاة العصر فيتأخر الامام فيقدمه عيسى ويصلي خلفه على شريعة محمد ﷺ ثم يقتل الخنازير ويكسر الصليب ويخرب البيع والكنائس ويقتل النصارى إلا من آمن به

[وانه لعلم للساعة] أي أمارة ودليل على وقوع الساعة قال مجاهد [وانه لعلم للساعة] أي آية للساعة خروج عيسى بن مريم عليه السلام قبل يوم القيامة وهكذا روي عن أبي هريرة وابن عباس وأبي العالية وأبي مالك وعكرمة والحسن وقتادة والضحاك وغيرهم ، وقد تواترت الاحاديث عن رسول الله ﷺ أنه أخبر بنزول عيسى عليه السلام قبل يوم القيامة اماما عادلا وحكما مقسطا

وقوله تعالى (فلا تمترن بها) أي لا تشكوا فيها إنها واقعة وكائنة لا محالة [واتبعون] أي فيما أخبركم به [هذا صراط مستقيم * ولا يصدنكم الشيطان] أي عن اتباع الحق [انه لكم عدو مبين ولما جاء عيسى بالبينات قال قد جئتكم بالحكمة] أي بالنبوة [ولأ بين لكم بعض الذى تختلفون فيه] قال ابن جرير يعني من الامور الدينية لا الدنيوية وهذا الذى قاله حسن جيد ثم رد قول من زعم أن بعض ههنا بمعني كل واستشهد بقول لبيد الشاعر حيث قال :

نزال أمكنـة اذا لم أرضـها   أو يعتلق بعض النفوس حمامها

وأولوه على أنه أراد جميع النفوس ، قال ابن جرير وانما أراد نفسه فقط وعبر بالبعض عنها وهذا الذى قاله محتمل . وقوله عز وجل (فاتقوا الله) أى فيما أمركم به (وأطيعون) فيما جئتكم به (إن الله هو ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم) أى أنا وأنتم عبيد له فقراء اليه مشتركون في عبادته وحده لا شريك له (هذا صراط مستقيم) أى هذا الذى جئتكم به هو الصراط المستقيم وهو عبادة الرب جل وعلا وحده . وقوله سبحانه وتعالى (فاختلف الاحزاب من بينهم) أى اختلفت الفرق وصاروا شيعا فيه منهم من يقر بأنه عبد الله ورسوله وهو الحق ، ومنهم من يدعي أنه ولد الله ، ومنهم من يقول إنه الله ، تعالى

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا احمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل ثنا ابن بكير ثنا الليث عن يونس عن ابن شهاب عن نافع مولى أبي قتادة الانصارى ان أبا هريرة قال قال رسول الله ﷺ « كيف أنتم اذا نزل ابن مريم فيكم وامامكم منكم ؟ » وقال الحسن وجماعة وانه يعني وان القرآن لعلم للساعة يعلمكم قيامها ويخبركم باحوالها وأهوالها ﴿ فلا تمترن بها ﴾ فلا تشكن فيها قال ابن عباس لا تكذبوا بهـا ﴿ واتبعون ﴾ على التوحيد ﴿ هـذا ﴾ الذي أنا عليه ﴿ صراط مستقيم * ولا يصدنكم ﴾ لا يصرفنكم ﴿ الشيطان ﴾ عن دين الله ﴿ إنه ﴾ لانه ﴿ لكم عدو مبين * ولما جاء عيسى بالبينات قال قد جئتكم بالحكمة ﴾ بالنبوة ﴿ ولأ بين لكم بعض الذي تختلفون فيه ﴾ من أحكام التوراة قال قتادة يعني اختلاف الفرق الذين تحزبوا على أمر عيسى قال الزجاج الذي جاء به عيسى في الانجيل انما هو بعض الذي اختلفوا فيه وبين لهم في غير الانجيل ما احتاجوا اليه ﴿ فاتقوا الله وأطيعون * ان الله هو ربي وربكم فاعبدوه * هذا صراط

الله عن قولهم علواً كبيراً ، ولهذا قال تعالى (فويل للذين ظلموا من عذاب يوم أليم)

هل ينظرون إلا الساعة أن تأتيهم بغتة وهم لا يشعرون؟ (٦٦) الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين (٦٧) يعباد لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون (٦٨) الذين آمنوا بآيتنا وكانوا مسلمين (٦٩) ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم تحبرون (٧٠) يطاف عليهم بصحاف من ذهب وأكواب وفيها ماتشتهيه الانفس وتلذ الأعين وأنتم فيها خلدون (٧١) وتلك الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون (٧٢) لكم فيها فاكهة كثيرة منها تأكلون (٧٣)

يقول تعالى هل ينتظر هؤلاء المشركون المكذبون للرسل إلا الساعة أن تأتيهم بغتة وهم لا يشعرون ؟ أي فانها كائنة لا محالة وواقعة وهؤلاء غافلون عنها غير مستعدين ، فاذا جاءت انما تجيء وهم لا يشعرون بها فحينئذ يندمون كل الندم حيث لا ينفعهم ولا يدفع عنهم

وقوله تعالى (الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين) أي كل صداقة وصحابة لغير الله فانها تنقلب يوم القيامة عداوة إلا ما كان لله عز وجل فانه دائم بدوامه وهذا كما قال ابراهيم عليه الصلاة والسلام لقومه (انما اتخذتم من دون الله أوثانا مودة بينكم في الحياة الدنيا ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضاً ومأواكم النار ومالكم من ناصرين)

وقال عبدالرزاق أخبرنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن الحارث عن علي رضي الله عنه (الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين) قال خليلان مؤمنان وخليلان كافران فتوفي أحد المؤمنين وبشر بالجنة فذكر خليله فقال اللهم ان فلانا خليلي كان يأمرني بطاعتك وطاعة رسولك ويأمرني بالخير وينهاني

مستقيم * فاختلف الاحزاب من بينهم فويل للذين ظلموا من عذاب يوم أليم * هل ينظرون ﴾ هل ينتظرون ﴿ الا الساعة ﴾ يعني أنها تأتيهم لا محالة فكأنهم ينتظرونها ﴿ أن تأتيهم بغتة ﴾ فجأة ﴿ وهم لا يشعرون * الاخلاء ﴾ على المعصية في الدنيا ﴿ يومئذ ﴾ يوم القيامة ﴿ بعضهم لبعض عدو * الا المتقين ﴾ الا المتحابين في الله عز وجل على طاعة الله عز وجل

أخبرنا أحمد بن ابراهيم الشريحي أنا أبو اسحاق أحمد بن محمد بن ابراهيم الثعلبي أخبرني عقيل ابن محمد بن أحمد أن أبا الفرج البغدادي القاضي أخبرهم عن محمد بن جرير ثنا ابن عبد الاعلى عن قتادة ثنا أبو ثور عن معمر عن قتادة عن أبي اسحاق أن عليا قال في هذه الآية خليلان مؤمنان وخليلان كافران فمات أحد المؤمنين فقال يارب ان فلانا كان يأمرني بطاعتك وطاعة رسولك ويأمرني

عن الشر وينبئني أني ملاقيك اللهم فلا تضله بعدي حتى تريه مثل ما أريتني ، وترضى عنه كما رضيت عني ، فيقال له اذهب فلو تعلم ماله عندي لضحكت كثيراً وبكيت قليلا قال ثم يموت الآخر فتجتمع أرواحهما فيقال ليثن أحدكما على صاحبه فيقول كل واحد منهما لصاحبه نعم الاخ ونعم الصاحب ونعم الخليل ، واذا مات أحد الكافرين وبشر بالنار ذكر خليله فيقول اللهم ان خليلي فلاناً كان يأمرني بمعصيتك ومعصية رسولك ، ويأمرني بالشر وينهاني عن الخير ويخبرني أني غير ملاقيك اللهم فلاتهده بعدي حتى تريه مثل ما أريتني وتسخط عليه كما سخطت علي قال فيموت الكافر الآخر فيجمع بين أرواحهما ، فيقال ليثن كل واحد منكما على صاحبه فيقول كل واحد منهما لصاحبه بئس الاخ وبئس الصاحب وبئس الخليل. رواه ابن أبي حاتم ، وقال ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وقتادة صارت كل خلة عداوة يوم القيامة إلا المتقين

وروى الحافظ بن عساكر في ترجمة هشام بن أحمد عن هشام بن عبدالله بن كثير حدثنا أبو جعفر محمد بن الخضر بالرقة عن معافي حدثنا حكيم بن نافع عن الاعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « لو أن رجلين تحابا في الله أحدهما بالمشرق والآخر بالمغرب لجمع الله تعالى بينهما يوم القيامة يقول هذا الذي أحببته في »

وقوله تبارك وتعالى (ياعباد لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون) ثم بشرهم فقال (الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين) أي آمنت قلوبهم وبواطنهم وانقادت لشرع الله جوارحهم وظواهرهم قال المعتمر بن سليمان عن أبيه اذا كان يوم القيامة فان الناس حين يبعثون لايبقى احد منهم الافزع فينادي مناد (ياعباد لاخوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون) فيرجوها الناس كلهم قال فيتبعها (الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين) قال فييأس الناس منها غير المؤمنين [ادخلوا الجنة] أي يقال لهم ادخلوا الجنة [أنتم وأزواجكم] أي نظراؤكم [تحبرون] أي تتنعمون وتسعدون ، وقد تقدم تفسيرها في سورة الروم [يطاف عليهم بصحاف من ذهب] أي زبادي آنية الطعام (وأكواب)وهي آنية الشراب أي

بالخير وينهاني عن الشر ويخبرني أني ملاقيك يارب فلا تضله بعدي واهده كما هديتني وأكرمه كما أكرمتني، فاذا مات خليله المؤمن جمع بينهما فيقول ليثن أحدكما على صاحبه فيقول نعم الاخ ونعم الخليل ونعم الصاحب، قال ويموت أحد الكافرين فيقول يا رب ان فلانا كان ينهاني عن طاعتك وطاعة رسولك ويأمرني بالشر وينهاني عن الخير ويخبرني اني غير ملاقيك[1] بئس الاخ وبئس الخليل وبئس الصاحب ﴿ ياعباد ﴾ فيقال لهم ياعبادي ﴿ لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون ﴾

روي عن المعتمر بن سليمان عن أبيه قال سمعت أن الناس حين يبعثون ليس منهم أحد الا فزع فينادي مناد(ياعباد لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون) فيرجوها الناس كلهم فيتبعها ﴿ الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين ﴾ فييأس الناس منها غير المسلمين فيقال لهم ﴿ ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم تحبرون ﴾ تسرون وتنعمون ﴿ يطاف عليهم بصحاف ﴾ جمع صحفة وهي القصعة الواسعة ﴿ من ذهب

(١) كذا في الاصول وقد رواه ابن كثير مع زيادة فليراجع في أعلى الصفحة

من ذهب لاخر اطيم لها ولا عرى (وفيها ماتشتهي الانفس) وقرأ بعضهم تشتهيه الانفس (وتلذ الاعين) أي طيب الطعم والريح وحسن المنظر قال عبدالرزاق أخبرنا معمر أخبرني اسماعيل بن أبي سعيد قال : ان عكرمة مولى ابن عباس رضي الله عنهما أخبره أن رسول الله ﷺ قال « ان أدنى أهل الجنة منزلة وأسفلهم درجة لرجل لا يدخل الجنة بعده أحد يفسح له في بصره مسيرة مائة عام في قصور من ذهب وخيام من لؤلؤ ليس فيها موضع شبر الا معمور يغدى عليه ويراح بسبعين الف صحفة من ذهب ليس فيها صحفة الا فيها لون ليس في الأخرى مثله ، شهوته في آخرها كشهوته في أولها لو نزل به جميع أهل الارض لوسع عليهم مما أعطي لا ينتقص ذلك مما أوتي شيئاً »

وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين بن الجنيد حدثنا عمرو بن سواد السرحي حدثني عبدالله بن وهب عن ابن لهيعة عن عقيل بن خالد عن الحسن عن أبي هريرة رضي الله عنه أن أباامامة رضي الله عنه حدث أن رسول الله ﷺ حدثهم وذكر الجنة فقال « والذي نفس محمد بيده ليأخذن أحدكم اللقمة فيجعلها في فيه ثم يخطر على باله طعام آخر فيتحول الطعام الذي في فيه على الذي اشتهى » ثم قرأ رسول الله ﷺ [وفيها ماتشتهيه الانفس وتلذ الاعين وأنتم فيها خالدون]

وقال الامام احمد حدثنا حسن هو ابن موسى حدثنا مسكين بن عبد العزيز ثنا أبو الاشعث الضرير عن شهر بن حوشب عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « إن ادنى أهل الجنة منزلة من له السبع درجات وهو على السادسة وفوقه السابعة وان له ثلثمائة خادم ويغدى عليه ويراح كل يوم بثلثمائة صحفة ولا اعلمه إلا قال من ذهب في كل صحفة لون ليس في الاخرى وإنه ليلذ أوله كما يلذ آخره ، ومن الاشربة ثلثمائة اناء في كل أناء لون ليس في الآخر وانه ليلذ أوله كما يلذ آخره وانه ليقول يارب لو أذنت لي لأطعمت أهل الجنة وسقيتهم لم ينقص مما عندي شيء وإن له من الحور العين لاثنين وسبعين زوجة سوي أزواجه من الدنيا وإن الواحدة منهن لتأخذ مقعدها قدر

وأكواب ﴾ جمع كوب وهو اناء مستدير مدور الرأس لا عرى لها ﴿ وفيها ﴾ أي في الجنة ﴿ ما تشتهيه الانفس ﴾ قرأ أهل المدينة والشام وحفص تشتهيه الانفس وكذلك هي في مصاحفهم وقرأ الاخرون بحذف الهاء ﴿ وتلذ الاعين وأنتم فيها خالدون ﴾

أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن أبى توبة أنا أبو طاهر محمد بن أحمد بن الحارث أنا محمد ابن يعقوب الكسائي أبا عبد الله بن محمود أنا ابراهيم بن عبد الله الخلال ثنا عبد الله بن المبارك عن سفيان عن علقمة بن مرثد عن عبد الرحمن بن سابط قال قال رجل يارسول الله أفي الجنة خيل فانى أحب الخيل؟ فقال « ان يدخلك الله الجنة فلا تشاء ان تركب فرسا من ياقوتة حمراء تطير بك في أي الجنة شئت الا فعلت » وقال أعرابي يارسول الله أفي الجنة إبل فانى أحب الابل؟ فقال « يا أعرابي

ميل من الارض . وقوله تعالى (وأنتم فيها) أي في الجنة (خالدون) أي لاتخرجون منها ولا تبغون عنها حولا . ثم قيل لهم على وجه التفضل والامتنان (وتلك الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون) أي اعمالكم الصالحة كانت سببا لشمول رحمة الله إياكم فانه لايدخل أحداً عمله الجنة ولكن برحمة الله وفضله وإنما الدرجات ينال تفاوتها بحسب الاعمال الصالحات

قال ابن أبي حاتم ثنا الفضل بن شاذان المقري ثنا يوسف بن يعقوب يعني الصفار حدثنا أبو بكر ابن عياش عن الاعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « كل أهل النار يرى منزله من الجنة حسرة فيقول (لو أن الله هداني لكنت من المتقين) وكل أهل الجنة يرى منزله من النار فيقول (وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله) فيكون له شكرا » قال وقال رسول الله ﷺ « مامن أحد إلا وله منزل في الجنة ومنزل في النار فالكافر يرث المؤمن منزله من النار ، والمؤمن يرث الكافر منزله من الجنة » وذلك قوله تعالى (وتلك الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون)

وقوله تعالى (لكم فيها فاكهة كثيرة) أي من جميع الانواع (منها تأكلون) أي مهما اخترتم وأردتم ولما ذكر الطعام والشراب ذكر بعده الفاكهة لتتم النعمة والغبطة والله تعالى أعلم

إن المجرمين في عذاب جهنم خـٰلدون (٧٤) لا يُفتر عنهم وهم فيه مبلسون (٧٥) وما ظلمنٰهم ولـٰكن كانوا هم الظـٰلمين (٧٦) ونادوا يـٰملك ليقض علينا ربك قال إنكم مـٰكثون (٧٧) لقد جئنـٰكم بالحق ولـٰكنّ أكثركم للحق كـٰرهون (٧٨) أم أبرموا أمراً فإنا مبرمون (٧٩) أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجوىٰهم ؟ بلى ورسلنا لديهم يكتبون (٨٠)

لما ذكر تعالى حال السعداء ثنى بذكر الاشقياء فقال (إن المجرمين في عذاب جهنم خالدون * لا يفتر عنهم) أي ساعة واحدة (وهم فيه مبلسون) أي آيسون من كل خير (وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين) أي باعمالهم السيئة بعد قيام الحجة عليهم وارسال الرسل اليهم فكذبوا وعصوا فجوزوا بذلك جزاء وفاقا وما ربك بظلام للعبيد (ونادوا يامالك) وهو خازن النار

قال البخاري حدثنا حجاج بن منهال حدثنا سفيان بن عيينة عن عمر بن عطاء عن صفوان

إن يدخلك الله الجنة أصبت فيها ما اشتهت نفسك ولذت عينك » ﴿ وتلك الجنة التى أورثتموها بما كنتم تعملون * لكم فيها فاكهة كثيرة منها تأكلون ﴾ وفي الحديث لا ينزع رجل من الجنة من ثمرها الا نبت مكانها مثلاها ﴿ ان المجرمين ﴾ المشركين ﴿ في عذاب جهنم خالدون * لا يفتر عنهم وهم فيه مبلسون * وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين ، ونادوا يامالك ﴾ يدعون خازن النار ﴿ ليقض علينا ربك ﴾

ابن يعلى عن أبيه رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقرأ على المنبر (ونادوا يامالك ليقض علينا ربك) أي يقبض أرواحنا فيريحنا مما نحن فيه فانهم كما قال تعالى (لايقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها) وقال عز وجل (ويتجنبها الاشقى الذي يصلى النار الكبرى ثم لايموت فيها ولا يحيا) فلما سألوا أن يموتوا أجابهم مالك (قال إنكم ماكثون) قال ابن عباس مكث ألف سنة ثم قال إنكم ماكثون رواه ابن أبي حاتم أى لاخروج لكم منها ولا محيد لكم عنها، ثم ذكر سبب شقوتهم وهو مخالفتهم الحق ومعاندتهم له فقال (لقد جئناكم بالحق) أى بيناه لكم ووضحناه وفسرناه (ولكن أكثركم للحق كارهون) أى ولكن كانت سجاياكم لاتقبله ولا تقبل عليه وانما تنقاد للباطل وتعظمه وتصد عن الحق وتأباه وتبغض أهله فعودوا على أنفسكم بالملامة واندموا حيث لاتنفعكم الندامة . ثم قال تبارك وتعالى (أم أبرموا أمرا؟ فانا مبرمون) قال مجاهد أرادوا كيد شر فكدناهم وهذا الذى قاله مجاهد كما قال تعالى (ومكروا مكرا ومكرنا مكرا وهم لايشعرون) وذلك لان المشركين كانوا يتحيلون في رد الحق بالباطل بحيل ومكر يسلكونه فكادهم الله تعالى ورد وبال ذلك عليهم ولهذا قال [أم يحسبون أنا لانسمع سرهم ونجواهم؟] أي سرهم وعلانيتهم [بلى ورسلنا لديهم يكتبون] أي نحن نعلم ماهم عليه والملائكة أيضايكتبون أعمالهم صغيرهاو كبيرها

قل ان كان للرحمن ولد فأنا أول العبدين (٨١) سبحن رب السموات والارض رب

ليميتنا ربك فنستريح فيجيبهم مالك بعد ألف سنة ﴿ قال انكم ماكثون ﴾ مقيمون في العذاب

أخبرنا محمد بن عبد الله بن أبي توبة أنا محمد بن أحمد بن الحارث أنا محمد بن يعقوب الكسائي أنا عبد الله بن محمود انا ابراهيم بن عبد الله الخلال ثنا عبد الله بن المبارك عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة يذكره عن ابي أيوب عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال ان اهل النار يدعون مالكا فلا يجيبهم اربعين عاما ثم يرد عليهم انكم ماكثون قال هانت والله دعوتهم على مالك وعلى رب مالك ثم يدعون ربهم فيقولون (ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين، ربنا اخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون) قال فيسكت عنهم قدر الدنيامرتين ثم يرد عليهم (اخسئوا فيها ولا تكلمون) قال فوالله مانبس القوم بعدها بكلمة وما هو الا الزفير والشهيق في نار جهنم تشبه اصواتهم بأصوات الحمير او لها زفير وآخرها شهيق ﴿ لقد جئناكم بالحق ﴾ يقول ارسلنا اليكم يامعشر قريش رسولنا بالحق ﴿ولكن اكثركم للحق كارهون ام ابرموا ﴾ احكموا ﴿ امراً ﴾ في المكر برسول الله ﷺ ﴿ فانا مبرمون ﴾ محكمون امرا في مجازاتهم قال مجاهد ان كادوا شرا كدتهم مثله ﴿ ام يحسبون انا لانسمع سرهم ونجواهم ﴾ ما يسرونه من غيرهم ويتناجون به بينهم ﴿ بلى ﴾ نسمع ذلك ونعلم ﴿ ورسلنا ﴾ ايضا من الملائكة يعني الحفظة ﴿ لديهم يكتبون قل ان كان الرحمن ولد فأنا اول العابدين ﴾ يعني ان كان للرحمن

العرش عما يصفون (٨٢) فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يُلقوا يومهم الذي يوعدون (٨٣)

وهو الذي في السماء إلٰه وفي الارض إلٰه وهو الحكيم العليم (٨٤) وتبارك الذي له ملك

السموات والارض وما بينهما وعنده علمُ الساعة واليه تُرْجعون (٨٥) ولا يملك الذين

يدعون من دونه الشفعة الا من شهد بالحق وهم يعلمون (٨٦) ولئن سألتهم من خلقهم

ليقولن الله فأنى يؤفكون (٨٧) وقيله يٰرب ان هؤلاء قوم لايؤمنون (٨٨) فاصفح

عنهم وقل سلٰم فسوف يعلمون (٨٩)

يقول تعالى [قل] يامحمد [إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين] أي لو فرض هذا لعبدته على ذلك لأني عبد من عبيده مطيع لجميع مايأمرني به ليس عندي استكبار ولا اباء عن عبادته فلو فرض هذا لكان هذا ولكن هذا ممتنع في حقه تعالى والشرط لايلزم منه الوقوع ولا الجواز أيضاً كما قال عز وجل [لو أراد الله أن يتخذ ولداً لاصطفى مما يخلق مايشاء سبحانه هو الله الواحد القهار]

وقال بعض المفسرين في قوله تعالى [فأنا أول العابدين] أى الآنفين ومنهم سفيان الثورى والبخارى حكاه فقال ويقال أول العابدين الجاحدين من عبد يعبد، وذكر ابن جرير لهذا القول من الشواهد مارواه عن يونس بن عبدالأعلى عن ابن وهب حدثني ابن ابي ذئب عن أبي قسيط عن بعجة ابن بدر الجهني ان امرأة منهم دخلت على زوجها وهو رجل منهم أيضاً فولدت له في ستة أشهر فذكر ذلك زوجها لعثمان بن عفان رضي الله عنه فأمر بها أن ترجم فدخل عليه علي بن ابي طالب رضي الله عنه فقال : ان الله تعالى يقول في كتابه [وحمله وفصاله ثلاثون شهراً] وقال عز وجل [وفصاله في عامين] قال فوالله ماعبد عثمان رضي الله عنه ان بعث اليها ترد قال يونس قال ابن وهب عبد استنكف وقال الشاعر

متى مايشأ ذو الود يصرم خليله ويعبد عليه لامحالة ظالما

وهذا القول فيه نظر لانه كيف يلتئم مع الشرط فيكون تقديره ان كان هذا فأنا ممتنع منه هذا فيه نظر فليتأمل اللهم الا أن يقال إن ان ليست شرطا وانما هي نافية كما قال علي بن أبي طلحة عن ابن

ولد في قولكم وعلى زعمكم فأنا اول من عبده بأنه واحد لا شريك له ولا ولد

قال ابن عباس ان كان اي ما كان للرحمن ولد فأنا اول العابدين الشاهدين له بذلك جعل ان بمعنى الجحد ، وقال السدي معناه لو كان للرحمن ولد فأنا أول من عبده بذلك ولكن لا ولد له ، وقيل العابدين بمعنى الآنفين يعني اول الجاحدين والمنكرين لما قلتم، ويقال معناه انا اول من غضب للرحمن

عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى (قل ان كان للرحمن ولد) يقول لم يكن للرحمن ولد فأنا أول الشاهدين وقال قتادة هي كلمة من كلام العرب [ان كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين] أي ان ذلك لم يكن فلا ينبغي ، وقال ابو صخر [قل ان كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين] أي فأنا أول من عبده بأن لا ولد له ، وأول من وحده ، وكذا قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، وقال مجاهد [فأنا أول العابدين] أي أول من عبده ووحده وكذبكم

وقال البخاري (فأنا أول العابدين) الا نفين وهما لغتان رجل عابد وعبد والاول أقرب على أنه شرط وجزاء ولكن هو ممتنع ، وقال السدي [قل ان كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين] يقول لو كان له ولد كنت أول من عبده بأن له ولدا ولكن لا ولد له وهو اختيار ابن جرير ورد قول من زعم أن ان نافية ، ولهذا قال تعالى (سبحان رب السموات والارض رب العرش عما يصفون) أي تعالى وتقدس وتنزه خالق الاشياء عن أن يكون له ولد فانه فرد أحد صمد لا نظير له ولا كفء له فلا ولد له

وقوله تعالى (فذرهم يخوضوا) أي في جهلهم وضلالهم (ويلعبوا) في دنياهم حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون وهو يوم القيامة أي فسوف يعلمون كيف يكون مصيرهم ومآلهم وحالهم في ذلك اليوم

وقوله تبارك وتعالى (وهو الذي في السماء إله وفي الارض إله) أي هو إله من في السماء واله من في الارض يعبده أهلهما وكلهم خاضعون له أذلاء بين يديه وهو الحكيم العليم وهذه الآية كقوله سبحانه وتعالى (وهو الله في السموات وفي الارض يعلم سركم وجهركم ويعلم ماتكسبون) أي هو المدعو الله في السموات والارض (وتبارك الذي له ملك السموات والارض ومابينهما) أي هو خالقهما ومالكهما والمتصرف فيهما بلا مدافعة ولا ممانعة فسبحانه وتعالى عن الولد وتبارك أي استقر له السلامة من العيوب والنقائص لانه الرب العلي العظيم المالك للاشياء الذي بيده أزمة الامور نقضا وابراما (وعنده علم الساعة) أي لا يجليها لوقتها الا هو (واليه ترجعون) أي فيجازى كلا بعمله ان خيراً فخير وإن شراً فشر . ثم قال تعالى (ولا يملك الذي يدعون من دونه) أي من الاصنام والاوثان (الشفاعة)

أن يقال له ولد يقال عبد يعبد اذا أنف أو غضب عبدا وقال قوم قلما يقال عبد فهو عابد انما يقال عبد فهو عبد ثم نزه نفسه فقال ﴿ سبحان رب السموات والارض رب العرش عما يصفون ﴾ عما يقولون من الكذب ﴿ فذرهم يخوضوا ﴾ في باطلهم ﴿ ويلعبوا ﴾ فى دنياهم ﴿ حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون ﴾ يعنى يوم القيامة ﴿ وهو الذى فى السماء إله وفي الارض إله ﴾

قال قتادة يعبد في السماء وفي الارض لا إله الا هو ﴿ وهو الحكيم ﴾ في تدبير خلقه ﴿ العليم ﴾ بمصالحهم ﴿ وتبارك الذي له ملك السموات والارض وما بينهما وعنده علم الساعة واليه ترجعون ﴾ قرأ ابن كثير وحمزة والكسائى يرجعون بالياء والآخرون بالتاء ﴿ ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة الا من شهد بالحق ﴾ وهم عيسى وعزير والملائكة فانهم عبدوا من دون الله ولهم الشفاعة

أي لايقدرون على الشفاعة لهم [إلا من شهد بالحق وهم يعلمون] هذا استثناء منقطع أي لكن من شهد بالحق على بصيرة وعلم فانه تنفع شفاعته عنده باذنه له

ثم قال عز وجل (ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله فأنى يؤفكون) أي ولئن سألت هؤلاء المشركين بالله العابدين معه غيره (من خلقهم ليقولن الله) أي هم يعترفون أنه الخالق للاشياء جميعها وحده لاشريك له في ذلك ، ومع هذا يعبدون معه غيره ممن لايملك شيئا ولا يقدر على شيء فهم في ذلك في غاية الجهل والسفاهة وسخافة العقل ، ولهذا قال تعالى (فأنى يؤفكون)

وقوله جل وعلا (وقيله يارب ان هؤلاء قوم لايؤمنون) أي وقال محمد ﷺ قيله أى شكى الى ربه شكواه من قومه الذين كذبوه فقال يارب ان هؤلاء قوم لايؤمنون كما أخبر تعالى في الآية الاخرى [وقال الرسول يا رب ان قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا] وهذا الذي قلناه هو قول ابن مسعود رضي الله عنه ومجاهد وقتادة وعليه فسر ابن جرير ، قال البخاري وقرأ عبدالله يعني ابن مسعود رضي الله عنه [وقال الرسول يارب] وقال مجاهد في قوله (وقيله يارب إن هؤلاء قوم لايؤمنون) قال يأثر الله عز وجل قول محمد ﷺ وقال قتادة هو قول نبيكم ﷺ يشكو قومه إلى ربه عز وجل

ثم حكى ابن جرير في قوله تعالى [وقيله يارب] قراءتين احداهما النصب ولها توجيهان احدهما أنه معطوف على قوله تبارك وتعالى [نسمع سرهم ونجواهم] والثاني أن يقدر فعل وقال قيله ، والثانية الخفض وقيله عطفا على قوله [وعنده علم الساعة] تقديره وعلم قيله

وقوله تعالى (فاصفح عنهم) اى المشركين [وقل سلام] أى لاتجاوبهم بمثل مايخاطبونك به من الكلام السيء ولكن تألفهم واصفح عنهم فعلا وقولا [فسوف يعلمون] هذا تهديد من الله تعالى لهم ولهذا أحل بهم بأسه الذى لايرد وأعلى دينه وكلمته وشرع بعد ذلك الجهاد والجلاد حتى دخل الناس في دين الله أفواجا وانتشر الاسلام في المشارق والمغارب والله أعلم

﴿ آخر تفسير سورة الزخرف ﴾

وعلى هذا يكون من في محل الرفع وقيل من في محل الخفض وأراد بالذين يدعون عيسى وعزيرا والملائكة يعنى انهم لا يملكون الشفاعة الا لمن شهد بالحق والاول أصح وأراد بشهادة الحق قول لا إله الا الله كلمة التوحيد ﴿ وهم يعلمون ﴾ بقلوبهم ما شهدوا به بالسنتهم ﴿ ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله فانى يؤفكون ﴾ يصرفون عن عبادته ﴿ وقيله يارب ﴾ يعنى قول محمد ﷺ شاكيا الى ربه يارب ﴿ ان هؤلاء قوم لايؤمنون ﴾

قرأ عاصم وحمزة وقيله بجر اللام والهاء على معنى وعنده علم الساعة وعلم قيله يارب وقرأ الاخرون بالنصب وله وجهان احدهما معناه ام يحسبون انا لا نسمع سرهم ونجواهم وقيله يارب والثاني وقال قيله ﴿ فاصفح عنهم ﴾ اعرض عنهم ﴿ وقل سلام ﴾ معناه المتاركة كقوله تعالى (سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين) ﴿ فسوف يعلمون ﴾ قرأ أهل المدينة والشام بالتاء وقرأ الباقون بالياء قال مقاتل نسختها آية السيف

تفسير سورة الدخان وهي مكية

قال الترمذي حدثنا سفيان بن وكيع حدثنا زيد بن الحباب عن عمر بن أبي خثعم عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « من قرأ حم الدخان في ليلة أصبح يستغفر له سبعون ألف ملك » ثم قال غريب لانعرفه إلا من هذا الوجه وعمر بن أبي خثعم يضعف قال البخاري منكر الحديث

ثم قال حدثنا نصر بن عبد الرحمن الكوفي حدثنا زيد بن الحباب عن هشام ابي المقدام عن الحسن عن ابي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « من قرأ حم الدخان في ليلة الجمعة غفر له » ثم قال غريب لانعرفه الا من هذا الوجه وهشام ابو المقدام يضعف والحسن لم يسمع من ابي هريرة رضي الله عنه . كذا قال أيوب ويونس بن عبيد وعلي بن زيد رحمة الله عليهم أجمعين

وفي مسند البزار من رواية أبي الطفيل عامر بن واثلة عن زيد بن حارثة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لابن صياد « إني قد خبأت خبأ فما هو » وخبأ له رسول الله ﷺ سورة الدخان فقال هو الدخ ، فقال « اخسأ ماشاء الله » ثم انصرف

بسم الله الرحمن الرحيم

حم (١) والكتاب المبين (٢) انا أنزلناه في ليلة مباركة إنا كنا منذرين (٣) فيها يفرق كل أمر حكيم (٤) أمراً من عندنا انا كنا مرسلين (٥) رحمة من ربك انه هو السميع العليم (٦) رب السموات والارض وما بينهما ان كنتم موقنين (٧) لا اله الا هو يحيي ويميت ربكم ورب آبائكم الاولين (٨)

﴿ سورة الدخان مكية وهي تسع وخمسون آية ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ حم ❁ والكتاب المبين ❁ إنا أنزلناه في ليلة مباركة ﴾ قال قتادة وابن زيد هي ليلة القدر أنزل الله القرآن في ليلة القدر من أم الكتاب إلى السماء الدنيا ثم نزل به جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم نجوما في عشرين سنة وقال آخرون هي ليلة النصف من شعبان

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أبو منصور السمعاني ثنا أبو جعفر الرياني ثنا حميد بن زنجويه ثنا

يقول تعالى مخبراً عن القرآن العظيم أنه أنزله في ليلة مباركة وهي ليلة القدر كما قال عز وجل (انا أنزلناه في ليلة القدر) وكان ذلك في شهر رمضان كما قال تبارك وتعالى [شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن] وقد ذكرنا الاحاديث الواردة في ذلك في سورة البقرة بما أغنى عن اعادته ، ومن قال انها ليلة النصف من شعبان كما روي عن عكرمة فقد أبعد النجعة فان نص القرآن أنها في رمضان، والحديث الذي رواه عبد الله بن صالح عن الليث عن عقيل عن الزهري أخبرني عثمان بن محمد بن المغيرة بن الاخنس قال : إن رسول الله ﷺ قال « تقطع الآجال من شعبان إلى شعبان حتى ان الرجل لينكح ويولد له وقد أخرج اسمه في الموتى » فهو حديث مرسل ومثله لا يعارض به النصوص

وقوله عز وجل (انا كنا منذرين) أي معلمين الناس ماينفعهم ويضرهم شرعا لتقوم حجة الله على عباده ، وقوله (فيها يفرق كل أمر حكيم) أي في ليلة القدر يفصل من اللوح المحفوظ الى الكتبة أمر السنة وما يكون فيها من الآجال والارزاق وما يكون فيها إلى آخرها . وهكذا روي عن ابن عمر ومجاهد وأبي مالك والضحاك وغير واحد من السلف

وقوله جل وعلا (حكيم) أي محكم لا يبدل ولا يغير ولهذا قال جل جلاله (أمراً من عندنا) أي جميع مايكون ويقدره الله تعالى وما يوحيه فبأمره واذنه وعلمه (انا كنا مرسلين) أي إلى الناس

الاصبغ بن فرج أخبرني ابن وهب عمرو بن الحارث ان عبد الملك بن عبد الملك حدثه أن ابن أبي ذئب حدثه عن القاسم بن محمد عن أبيه أو عمه عن جده عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ينزل الله جل ثناؤه ليلة النصف من شعبان الى السماء الدنيا فيغفر لكل نفس إلا انسانا في قلبه شحناء أو مشركا بالله ﴿ إنا كنا منذرين * فيها ﴾ أى في الليلة المباركة ﴿ يفرق ﴾ أى يفصل ﴿ كل أمر حكيم ﴾ محكم وقال ابن عباس يكتب من أم الكتاب في ليلة القدر ما هو كائن في السنة من الخير والشر والارزاق والآجال حتى الحجاج يقال يحج فلان ويحج فلان قال الحسن ومجاهد وقتادة يبرم في ليلة القدر في شهر رمضان كل أجل وعمل وخلق ورزق وما يكون في تلك السنة ، وقال عكرمة هي ليلة النصف من شعبان يبرم فيها أمر السنة وتنسخ الاحياء من الاموات فلا يزاد فيهم أحد ولا ينقص منهم احد ، أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا ابو منصور السمعاني ثنا أبو جعفر الرياني ثنا حميد بن زنجويه ثنا عبد الله بن صالح حدثني الليث حدثني عقيل عن ابن شهاب أخبرني عثمان بن محمد بن المغيرة بن الاخنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « تقطع الآجال من شعبان الى شعبان حتى إن الرجل لينكح ويولد له ولقد خرج اسمه في الموتى »

وروى ابو الضحى عن ابن عباس رضي الله عنه ان الله يقضى الاقضية في ليلة النصف من شعبان ويسلمها الى أربابها في ليلة القدر ﴿ أمرا ﴾ اى انزلنا امرا ﴿ من عندنا ﴾ قال الفراء نصب على معنى فيها يفرق كل امر حكيم فرقا وامرا اي نأمر أمرا ببيان ذلك ﴿ انا كنا مرسلين ﴾ محمدا صلى الله

رسولا يتلو عليهم آيات الله مبينات فان الحاجة كانت ماسة اليه ولهذا قال تعالى (رحمة من ربك انه هو السميع العليم * رب السموات والارض وما بينهما) أي الذي أنزل القرآن هو رب السموات والارض وخالقهما ومالكهما وما فيهما (إن كنتم موقنين) أي إن كنتم متحققين ثم قال تعالى (لا إله إلا هو يحيي ويميت ربكم ورب آبائكم الاولين) وهذه الآية كقوله تعالى [قل ياأيها الناس إني رسول الله اليكم جميعا الذي له ملك السموات والارض لا إله الا هو يحيي ويميت] الآية

بل هم في شك يلعبون (٩) فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين (١٠) يغشى الناس هذا عذاب أليم (١١) ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون (١٢) أنى لهم الذكرى وقد جاءهم رسول مبين (١٣) ثم تولوا عنه وقالوا معلم مجنون (١٤) انا كاشفو العذاب قليلا انكم عائدون (١٥) يوم نبطش البطشة الكبرى انا منتقمون (١٦)

يقول تعالى بل هؤلاء المشركون في شك يلعبون أي قد جاءهم الحق اليقين وهم يشكون فيه ويمترون ولا يصدقون به ، ثم قال عز وجل متوعداً لهم ومهدداً (فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين) قال سليمان بن مهران الاعمش عن أبي الضحى عن مسلم بن صبيح عن مسروق قال دخلنا المسجد يعنى مسجد الكوفة عند أبواب كندة فاذا رجل يقص على أصحابه (يوم تأتي السماء بدخان مبين) تدرون ماذلك الدخان ؟ ذلك دخان يأتي يوم القيامة فيأخذ بأسماع المنافقين وأبصارهم ويأخذ المؤمنين منه شبه الزكام قال فأتينا ابن مسعود رضي الله عنه فذكرنا ذلك له وكان مضطجعا ففزع فقعد وقال ان الله عز وجل قال لنبيكم ﷺ (قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين) ان من العلم ان يقول الرجل لما لا يعلم الله أعلم سأحدثكم عن ذلك ان قريشا لما أبطأت عن الاسلام واستعصت على رسول الله ﷺ دعا عليهم بسنين كسني يوسف فاصابهم من الجهد والجوع حتى أكلوا العظام والميتة وجعلوا يرفعون أبصارهم الى السماء فلا يرون الا الدخان وفي رواية فجعل الرجل ينظر إلى السماء فيرى ما بينه وبينها كهيئة الدخان من الجهد قال الله تعالى (فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين يغشى الناس هذا عذاب أليم) فأتي رسول

عليه وسلم ومن قبله من الانبياء ﴿ رحمة من ربك ﴾ قال ابن عباس رأفة مني بخلقي ونعمة عليهم بما بعثنا اليهم من الرسل ، وقال الزجاج أنزلناه في ليلة مباركة للرحمة ﴿انه هو السميع العليم * رب السموات والارض وما بينهما ﴾ قرأ أهل الكوفة بجر رب على قوله من ربك ورفعه الآخرون ردا على قوله هو السميع العليم وقيل على الابتداء ﴿ان كنتم موقنين ﴾ أن الله رب السموات والارض ﴿ لا إله الا هو يحيي ويميت ربكم ورب آبائكم الاولين * بل هم في شك ﴾ من هذا القرآن ﴿ يلعبون ﴾ يهزأون به لاهون عنه ﴿فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين * يغشى الناس هذا عذاب أليم ﴾ تقديره هذا عذاب إلهي ويجوز أن يكون حكاية

الله ﷺ فقيل يا رسول الله استسق الله لمضر فانها قد هلكت فاستسقى ﷺ لهم فسقوا فنزلت (انا كاشفو العذاب قليلا إنكم عائدون) قال ابن مسعود رضي الله عنه فيكشف عنهم العذاب يوم القيامة فلما أصابهم الرفاهيـة عادوا الى حالهم فانزل الله عز وجل (يوم نبطش البطشة الكبرى إنا منتقمون) قال يعني يوم بدر قال ابن مسعود رضي الله عنه فقد مضى خمسة : الدخان والروم والقمر والبطشة واللزام، وهذا الحديث مخرج في الصحيحين ورواه الامام احمد في مسنده وهو عند الترمذي والنسائي في تفسيريهما وعند ابن جرير وابن أبي حاتم من طرق متعددة عن الاعمش به وقد وافق ابن مسعود رضي الله عنه على تفسير الآية بهذا وأن الدخان مضى جماعة من السلف كمجاهد وأبي العالية وابراهيم النخعي والضحاك وعطية العوفي وهو اختيار ابن جرير

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا جعفر بن مسافر حدثنا يحيي بن حسان حدثنا ابن لهيعة حدثنا عبد الرحمن الاعرج في قوله عز وجل (يوم تأتي السماء بدخان مبين) قال كان يوم فتح مكة وهذا القول غريب جداً بل منكر. وقال آخرون لم يمض الدخان بعد بل هو من أمارات الساعة كما تقدم من حديث أبي سريحة حذيفة بن أسيد الغفاري رضي الله عنـه قال أشرف علينا رسول الله ﷺ من عرفة ونحن نتذاكر الساعة فقال ﷺ « لا تقوم الساعة حتى تروا عشر آيات : طلوع الشمس من مغربها، والدخان والدابة وخروج يأجوج ومأجوج وخروج عيسى بن مريم والدجال وثلاثة خسوف خسف بالمشرق ، وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب ونار تخرج من قعر عدن تسوق الناس- أو تحشر الناس- تبيت معهم حيث باتوا ، وتقيل معهم حيث قالوا» تفرد باخراجه مسلم في صحيحه

وفي الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال لابن صياد « إني خبأت لك خبأ » قال هو الدخ فقال ﷺ له « اخسأ فلن تعدو قدرك » قال وخبأ له رسول الله ﷺ (فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين) وهذا فيه اشعار بأنه من المنتظر المرتقب وابن صياد كاشف على طريقـة الكهان بلسان الجان وهم يقرطون العبارة ولهذا قال هو الدخ يعني الدخان فعندها عرف رسول الله ﷺ مادته وانها شيطانية فقال ﷺ « اخسأ فلن تعدو قدرك » ثم قال ابن جرير وحدثني عصام بن رواد بن الجراح حدثنا أبي حدثنا سفيان بن أبي سعيد الثوري حدثنا منصور بن المعتمر عن ربعي بن خراش قال سمعت

لكلامهم بما بعده أي يقولون هذا عذاب أليم اختلفوا في هذا الدخان

أخبرنا عبد الواحد المليحي انا احمد بن عبد الله النعيمي انا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل ثنا محمد بن كثير عن سفيان ثنا منصور والاعمش عن أبي الضحى عن مسروق قال بينما رجل يحدث في كندة فقال يجيء دخان يوم القيامة فيأخذ بأسماع المنافقين وأبصارهم ويأخذ المؤمنين كهيئة الزكام ففزعنا فأتيت ابن مسعود وكان متكئا فنهض فجلس فقال من علم فليقل ومن لم يعـلم فليقل الله أعلم فان من العلم أن يقول لما لا يعلم: لا أعلم ، الله ورسوله أعلم فان الله قال لنبيه صـلى الله عليه وسلم (قل

حذيفة بن اليمان رضي الله عنه يقول قال رسول الله ﷺ « إن أول الآيات الدجال ونزول عيسى ابن مريم عليهما الصلاة والسلام ونار تخرج من قعر عدن أبين تسوق الناس الى المحشر تقيل معهم اذا قالوا والدخان - قال حذيفة رضي الله عنه يارسول الله وما الدخان ؟ فتلا رسول الله ﷺ هذه الآية (فارتقب يوم تأتي السما بدخان مبين * يغشى الناس هذا عذاب أليم) - يملأ ما بين المشرق والمغرب يمكث أربعين يوما وليلة أما المؤمن فيصيبه منه كهيئة الزكمة، وأما الكافر فيكون بمنزلة السكران يخرج من منخريه وأذنيه ودبره » قال ابن جرير لو صح هذا الحديث لكان فاصلا وانما لم اشهد له بالصحة لأن محمد بن خلف العسقلاني حدثني أنه سأل روادا عن هذا الحديث هل سمعه من سفيان ؟ فقال له لا قال فقلت أقرأته عليه ؟ قال لا قال فقلت له أقرئ عليه وأنت حاضر فأقر به ؟ فقال لا فقلت له فمن أين جئت به فقال جاءني به قوم فعرضوه علي وقالوا لي اسمعه منا فقرءوه علي ثم ذهبوا به فحدثوا به عني أو كما قال وقد أجاد ابن جرير في هذا الحديث ههنا فانه موضوع بهذا السند وقد أكثر ابن جرير من سياقه في أماكن من هذا التفسير وفيه منكرات كثيرة جدا ولاسيما في أول سورة بني اسرائيل في ذكر المسجد الاقصى والله أعلم

وقال ابن جرير أيضا حدثني محمد بن عوف حدثنا محمد بن اسماعيل بن عياش حدثني أبي حدثني ضمضم بن زرعة عن شريح بن عبيد عن أبي مالك الاشعري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « ان ربكم انذركم ثلاثا الدخان يأخذ المؤمن كالزكمة ، ويأخذ الكافر فينتفخ حتى يخرج من كل مسمع منه ، والثانية الدابة والثالثة الدجال » ورواه الطبراني عن هاشم بن يزيد عن محمد بن اسماعيل ابن عياش به وهذا اسناد جيد

وقال ابن ابي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا صفوان حدثنا الوليد حدثنا خليل عن الحسن عن أبي سعيد الخدرى رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « يهيج الدخان بالناس فأما المؤمن فيأخذه كالزكمة وأما الكافر فينفخه حتى يخرج من كل مسمع منه » ورواه سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن الحسن عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه موقوفا ، وروى سعيد بن عوف عن الحسن مثله

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عبد الله بن صالح بن مسلم حدثنا اسرائيل عن أبي اسحاق عن الحارث عن علي رضي الله عنه قال : لم تمض آية الدخان بعد يأخذ المؤمن كهيئة الزكام وتنفخ الكافر حتى

ما أسئلكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين) وإن قريشا أبطؤا عن الاسلام فدعا عليهم النبي صلى الله عليه فقال« اللهم أعني عليهم بسبع كسبع يوسف » فأخذتهم سنة حتى هلكوا فيها وأكلوا الميتة والعظام ويرى الرجل ما بين السماء والارض كهيئة الدخان فجاءه ابو سفيان فقال يا محمد جئت تأمر بصلة الرحم وان قومك قد هلكوا فادع الله لهم فقرأ [فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين - الى قوله - انكم عائدون] أفيكشف عنهم عذاب الآخرة اذا جاء ثم عادوا الى كفرهم فذلك قوله (يوم نبطش البطشة

ينفد . وروى ابن جرير من حديث الوليد بن جميع عن عبد الملك بن المغيرة عن عبد الرحمن بن البليماني عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : يخرج الدخان فيأخذ المؤمن كهيئة الزكام ويدخل مسامع الكافر والمنافق حتي يكون كالرأس الحنيذ أي المشوي على الرضف

ثم قال ابن جرير حدثني يعقوب حدثنا ابن علية عن ابن جريج عن عبد الله بن أبي مليكة قال غدوت على ابن عباس رضي الله عنهما ذات يوم فقال مانمت الليلة حتى أصبحت قلت لم؟ قال قالوا طلع الكوكب ذو الذنب فخشيت أن يكون الدخان قد طرق فما نمت حتى أصبحت ، وهكذا رواه ابن أبي حاتم عن أبيه عن ابن عمر عن سفيان عن عبدالله بن أبي مليكة عن ابن عباس رضي الله عنهما فذكره ، وهذا إسناد صحيح إلى ابن عباس رضي الله عنهما حبر الامة وترجمان القرآن ، وهكذا قول من وافقه من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم أجمعين مع الاحاديث المرفوعة من الصحاح والحسان وغيرهما التي أوردوها مما فيه مقنع ودلالة ظاهرة على أن الدخان من الآيات المنتظرة مع انه ظاهر القرآن قال الله تبارك وتعالى [فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين] أي بين واضح يراه كل أحد وعلى مافسر به ابن مسعود رضي الله عنه انما هو خيال رأوه في أعينهم من شدة الجوع والجهد وهكذا قوله تعالى (يغشى الناس) أي يتغشاهم ويعميهم ، ولو كان أمراً خياليا يخص أهل مكة المشركين لماقيل فيه (يغشى الناس)

وقوله تعالى (هذا عذاب أليم) أي يقال لهم ذلك تقريعا وتوبيخا كقوله عز وجل (يوم يدعون إلى نار جهنم دعا هذه النار التي كنتم بها تكذبون) أو يقول بعضهم لبعض ذلك

وقوله سبحانه وتعالى (ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون) أي يقول الكافرون إذا عاينوا عذاب الله وعقابه سائلين رفعه وكشفه عنهم كقوله جلت عظمته (ولو ترى إذ وقفوا على النار فقالوا

الكبرى] يعني يوم بدر ولزاما يوم بدر [الم غلبت الروم - الى - سيغلبون] والروم قد مضى ورواه محمد ابن اسماعيل عن يحيى عن وكيع عن الاعمش قال قالوا ﴿ ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون ﴾ فقيل له ان كشفنا عنهم عادوا الى كفرهم فدعاربه فكشف عنهم فعادوا فانتقم الله منهم يوم بدر فذلك قوله [فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين - الى قوله - انا منتقمون]

أخبرنا عبد الواحد المليحي انا احمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل ثنا يحيى ثنا وكيع عن الاعمش عن مسلم عن مسروق عن عبد الله قال خمس قد مضين : اللزام والروم والبطشة والقمر والدخان ، وقال قوم هو دخان يجيء قبل قيام الساعة ولم يأت بعد فيدخل في أسماع الكفار والمنافقين حتى يكون كالرأس الحنيذ ويعتري المؤمن منه كهيئة الزكام وتكون الارض كلها كبيت أوقد فيه النار وهو قول ابن عباس وابن عمر والحسن

أخبرنا أبو سعيد الشريحي انا ابو اسحاق الثعلبي أخبرني عقيل بن محمد الجرجاني ثنا ابو الفرج المعافي ثنا زكريا البغدادي ثنا محمد بن جرير الطبري حدثني عصام بن رواد بن الجراح ثنا أبي أنا

ياليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين) وكذا قوله جل وعلا (وأنذر الناس يوم يأتيهم العذاب فيقول الذين ظلموا ربنا أخرنا إلى أجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل ، أولم تكونوا أقسمتم من قبل ؟ مالكم من زوال) وهكذا قال جل وعلا ههنا (أنى لهم الذكرى وقد جاءهم رسول مبين * ثم تولوا عنه وقالوا معلم مجنون) يقول كيف لهم بالتذكر وقد أرسلنا اليهم رسولا بين الرسالة والنذارة ومع هذا تولوا عنه وما وافقوه بل كذبوه وقالوا معلم مجنون وهذا كقوله جلت عظمته (يوم يتذكر الانسان وأنى له الذكرى) الآية وكقوله عز وجل (ولو ترى إذ فزعوا فلا فوت وأخذوا من مكان قريب وقالوا آمنا به وأنى لهم التناوش من مكان بعيد) إلى آخر السورة

وقوله تعالى (إنا كاشفو العذاب قليلا إنكم عائدون) يحتمل معنيين (أحدهما) انه يقول تعالى ولو كشفنا عنكم العذاب ورجعناكم إلى الدار الدنيا لعدتم الى ما كنتم فيه من الكفر والتكذيب كقوله تعالى (ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر للجوا في طغيانهم يعمهون) وكقوله جلت عظمته (ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون)

[والثاني] أن يكون المراد إنا مؤخرو العذاب عنكم قليلا بعد انعقاد أسبابه ووصوله اليكم وأنتم مستمرون فيما أنتم فيه من الطغيان والضلال ولا يلزم من الكشف عنهم أن يكون باشرهم كقوله تعالى [الا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتعناهم إلى حين] ولم يكن العذاب باشرهم واتصل بهم بل كان قد انعقد سببه عليهم ، ولا يلزم أيضا أن يكونوا قد أقلعوا عن كفرهم ثم عادوا اليه قال الله تعالى اخباراً عن شعيب عليه السلام انه قال لقومه حين قالوا (لنخرجنك ياشعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودن في ملتنا قال أولو كنا كارهين ؟ قد افترينا على الله كذبا ان عدنا في ملتكم بعد اذ نجانا الله منها) وشعيب عليه السلام لم يكن قط على ملتهم وطريقتهم وقال قتادة انكم عائدون الى عذاب الله

وقوله عز وجل [يوم نبطش البطشة الكبرى انا منتقمون] فسر ذلك ابن مسعود رضي الله عنه

أبو سفيان بن سعيد ثنا منصور بن المعتمر عن ربعي بن خراش قال سمعت حذيفة بن اليمان يقول قال رسول الله ﷺ « أول الآيات الدخان ونزول عيسى بن مريم ونار تخرج من قعر عدن أبين تسوق الناس إلى المحشر تقيل معهم اذا قالوا ، والدخان - قال حذيفة يا رسول الله وما الدخان ؟ فتلا هذه الآية (يوم تأتي السماء بدخان مبين) - يملأ ما بين المشرق والمغرب يمكث أربعين يوما وليلة ، أما المؤمن فيصيبه منه كهيئة الزكام وأما الكافر فيكون بمنزلة السكران يخرج من منخريه وأذنيه ودبره » ﴿ أنى لهم الذكرى ﴾ من أين لهم التذكر والاتعاظ يقول كيف يتذكرون ويتعظون ﴿ وقد جاءهم رسول مبين ﴾ ظاهر الصدق يعني محمداً ﷺ ﴿ ثم تولوا عنه ﴾ أعرضوا عنه ﴿ وقالوا معلم ﴾ أي يعلمه بشر ﴿ مجنون ﴾ قال الله تعالى ﴿ انا كاشفو العذاب ﴾ أي عذاب الجوع ﴿قليلا﴾ أي زمانا يسيراً قال مقاتل الى يوم بدر ﴿ إنكم عائدون ﴾ الى كفركم ﴿ يوم نبطش البطشة الكبرى ﴾ وهو يوم بدر ﴿ إنا منتقمون ﴾ وهذا قول

يوم بدر وهذا قول جماعة ممن وافق ابن مسعود رضي الله عنه على تفسيره الدخان بما تقدم وروي أيضا عن ابن عباس رضي الله عنهما من رواية العوفي عنه وعن أبي بن كعب رضي الله عنه وهو محتمل والظاهر أن ذلك يوم القيامة وان كان يوم بدر يوم بطشة أيضا

قال ابن جرير حدثني يعقوب حدثنا ابن علية حدثنا خالد الحذاء عن عكرمة قال قال ابن عباس رضي الله عنهما قال ابن مسعود رضي الله عنه : البطشة الكبرى يوم بدر وأنا أقول هي يوم القيامة وهذا اسناد صحيح عنه وبه يقول الحسن البصري وعكرمة في أصح الروايتين عنه والله أعلم

ولقد فتنّا قبلهم قوم فرعون وجاءهم رسول كريم (١٧) أن أدوا الي عباد الله اني لكم رسول أمين (١٨) وأن لا تعلوا على الله إني آتيكم بسلطٰن مبين (١٩) وإني عذت بربي وربكم أن ترجمون (٢٠) وإن لم تؤمنوا لي فاعتزلون (٢١) فدعا ربه أن هؤلاء قوم مجرمون (٢٢) فأسر بعبادي ليلا انكم متبعون (٢٣) واترك البحر رهواً إنهم جند مغرقون (٢٤) كم تركوا من جنّٰت وعيون (٢٥) وزروع ومقام كريم (٢٦) ونعمة كانوا فيها فاكهين (٢٧) كذلك وأورثنها قوما آخرين (٢٨) فما بكت عليهم السماء والارض وما كانوا منظرين (٢٩) ولقد نجينا بني اسراءيل من العذاب المهين (٣٠) من فرعون انه كان عاليا من المسرفين (٣١) ولقد اخترنٰهم على علم على العلمين (٣٢) وآتينٰهم من الايٰت مافيه بلٰؤ مبين (٣٣)

يقول تعالى ولقد اختبرنا قبل هؤلاء المشركين قوم فرعون وهم قبط مصر (وجاءهم رسول كريم) يعني موسى كليمه عليه الصلاة والسلام (أن أدوا إلي عباد الله) كقوله عز وجل [أن أرسل معنا بني اسرائيل ولا تعذبهم قد جئناك بآية من ربك والسلام على من اتبع الهدى] وقوله جل وعلا [إني لكم رسول أمين] أى مأمون على ما أبلغكموه

وقوله تعالى (وأن لا تعلوا على الله) أى لا تستكبروا عن اتباع آياته والانقياد لحججه والايمان ببراهينه كقوله عز وجل [إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين] (إني آتيكم

ابن مسعود وأكثر العلماء وقال الحسن يوم القيامة . وروى عكرمة ذلك عن ابن عباس ﴿ ولقد فتنا ﴾ بلونا ﴿ قبلهم ﴾ قبل هؤلاء ﴿ قوم فرعون وجاءهم رسول كريم ﴾ على الله وهو موسى بن عمران ﴿ أن أدوا إلي عباد الله ﴾ يعني بني اسرائيل أطلقهم ولا تعذبهم ﴿ إني لكم رسول أمين ﴾ على الوحي ﴿ وأن لا تعلوا على الله ﴾ أي لا تتجبروا عليه بترك طاعته ﴿ إني آتيكم بسلطان مبين ﴾ ببرهان بين على

بسلطان مبين) أي بحجة ظاهرة واضحة وهي ماأرسله الله تعالى به من الآيات البينات والادلة القاطعات (وإني عذت بربي وربكم أن ترجمون) قال ابن عباس رضي الله عنهما وأبو صالح هو الرجم باللسان وهو الشتم ، وقال قتادة الرجم بالحجارة أي أعوذ بالله الذي خلقني وخلقكم من أن تصلوا إلي بسوء من قول أو فعل (وإن لم تؤمنوا لي فاعتزلون) أي فلا تتعرضوا لي ودعوا الامر بيني وبينكم مسالمة إلى أن يقضي الله بيننا فلما طال مقامه ﷺ بين أظهرهم وأقام حجج الله تعالى عليهم كل ذلك وما زادهم ذلك إلا كفراً وعناداً دعا ربه عليهم دعوة نفذت فيهم كما قال تبارك وتعالى (وقال موسى ربنا انك آتيت فرعون وملأه زينة وأموالا في الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم - قال قد أجيبت دعوتكما فاستقيما) وهكذا قال ههنا (فدعا ربه أن هؤلاء قوم مجرمون) فعند ذلك أمره الله تعالى أن يخرج بني اسرائيل من بين أظهرهم من غير أمر فرعون ومشاورته واستئذانه ولهذا قال جل جلاله (فأسر بعبادي ليلا انكم متبعون) كما قال تعالى [ولقد أوحينا إلى موسى أن أسر بعبادي فاضرب لهم طريقا في البحر يبسا لاتخاف دركا ولا تخشى]

وقوله عز وجل ههنا (واترك البحر رهوا انهم جند مغرقون) وذلك أن موسى عليه الصلاة والسلام لما جاوز هو وبنو اسرائيل البحر أراد موسى أن يضربه بعصاه حتى يعود كما كان ليصير حائلا بينهم وبين فرعون فلا يصل اليهم فأمره الله تعالى أن يتركه على حاله ساكنا وبشره بأنهم جند مغرقون فيه وأنه لايخاف دركا ولا يخشى ، قال ابن عباس رضي الله عنهما (واترك البحر رهواً) كهيئته وامضه ، وقال مجاهد رهواً طريقا يبسا كهيئته يقول لاتأمره يرجع اتركه حتى يرجع آخرهم وكذا قال عكرمة والربيع بن أنس والضحاك وقتادة وابن زيد وكعب الاحبار وسماك بن حرب وغير

صدق قولي فلما قال ذلك توعدوه بالقتل فقال ﴿ وإني عذت بربي وربكم أن ترجمون ﴾ أن تقتلوني وقال ابن عباس تشتموني وتقولوا هو ساحر . وقال قتادة ترجموني بالحجارة ﴿ وإن لم تؤمنوا لي فاعتزلون ﴾ فاتركوني لا معي ولا علي . وقال ابن عباس فاعتزلوا أذاي باليد واللسان فلم يؤمنوا ﴿ فدعا ربه ان هؤلاء قوم مجرمون ﴾ مشركون فأجابه الله وأمره أن يسري فقال ﴿ فأسر بعبادي ليلا ﴾ أي ببني اسرائيل ﴿ انكم متبعون ﴾ يتبعكم فرعون وقومه ﴿ واترك البحر ﴾ اذا قطعته أنت وأصحابك ﴿ رهوا ﴾ ساكنا على حالته وهيئته بعد أن ضربته ودخلته، معناه لا تأمره أن يرجع اتركه حتى يدخله آل فرعون وأصل الرهو السكون . وقال مقاتل معناه اترك البحر راهيا أي ساكنا فسمي بالمصدر أي ذا رهو . وقال كعب اتركه طريقا ، قال قتادة طريقا يابسا ، قال قتادة لما قطع موسى البحر عطف ليضرب البحر بعصاه ليلتئم وخاف أن يتبعه فرعون وجنوده فقيل له اترك البحر رهواً كما هو ﴿ إنهم جند مغرقون ﴾ أخبر موسى انه يغرقهم ليطمئن قلبه في تركه البحر كما جاوزه ثم ذكر ما تركوا بمصر فقال

واحد ثم قال تعالى(كم تركوا من جنات) وهي البساتين [وعيون وزروع] والمراد بها الانهار والآبار [ومقام كريم] وهي المساكن الانيقة والاماكن الحسنة

وقال مجاهد وسعيد بن جبير [ومقام كريم] المنابر ، وقال ابن لهيعة عن وهب بن عبد الله المعافري عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال نيل مصر سيد الانهار سخر الله تعالى له كل نهر بين المشرق والمغرب وذلله له فاذا أراد الله عز وجل أن يجرى نيل مصر أمر كل نهر أن يمده فأمدته الانهار بمائها وفجر الله تبارك وتعالى له الارض عيونا فاذا انتهى جريه إلى ما أراد الله جل وعلا أوحى الله تعالى إلى كل ماء أن يرجع إلى عنصره وقال في قول الله تعالى [فأخرجناهم من جنات وعيون * وزروع ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين] قال كانت الجنان بحافتي نهر النيل من أوله إلى آخره في الشقين جميعا ما بين اسوان الى رشيد وكان له تسع خلج : خليج الاسكندرية ، وخليج دمياط ، وخليج سردرس ، وخليج منف ، وخليج الفيوم ، وخليج المنتهى متصلة لا ينقطع منها شيء عن شيء ، وذرع ما بين الجبلين كله من أول مصر إلى آخر ما يبلغه الماء وكانت جميع أرض مصر تروى من ستة عشر ذراعا لما قدروا ودبروا من قناطرها وجسورها وخلجها (ونعمة كانوا فيها فاكهين) أي عيشة كانوا يتفكهون فيها فيأكلون ما شاؤا ويلبسون ما أحبوا مع الاموال والجاهات والحكم في البلاد فسلبوا ذلك جميعه في صبيحة واحدة وفارقوا الدنيا وصاروا إلى جهنم وبئس المصير ، واستولى على البلاد المصرية وتلك الحواصل الفرعونية ، والممالك القبطية بنو اسرائيل كما قال تبارك وتعالى (كذلك وأورثناها بني اسرائيل)

وقال في الآية الاخرى (وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها التي باركنا فيها وتمت كلمة ربك الحسنى على بني إسرائيل بما صبروا ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون) وقال عز وجل ههنا (كذلك وأورثناها قوما آخرين) وهم بنو إسرائيل كما تقدم

وقوله سبحانه وتعالى (فما بكت عليهم السماء والارض) أي لم تكن لهم أعمال صالحة تصعد في أبواب السماء فتبكي على فقدهم ولا لهم في الارض بقاع عبدوا الله تعالى فيها فقدتهم فلهذا استحقوا ان لا ينظروا ولا يؤخروا لكفرهم واجرامهم وعتوهم وعنادهم

قال الحافظ أبو يعلى الموصلي في مسنده حدثنا أحمد بن إسحاق البصرى حدثنا مكي بن ابراهيم حدثنا موسى بن عبيدة حدثني يزيد الرقاشي حدثني أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال

﴿ كم تركوا ﴾ يعني بعد الغرق ﴿ من جنات وعيون وزروع ومقام كريم ﴾ مجلس شريف. قال قتادة الكريم الحسن ﴿ ونعمة ﴾ ومتعة وعيش لين ﴿ كانوا فيها فاكهين ﴾ ناعمين وفاكهين أشرين بطرين ﴿ كذلك ﴾ قال الكلبي كذلك أفعل بمن عصاني ﴿ وأورثناها قوما آخرين ﴾ يعني بني اسرائيل ﴿ فما بكت عليهم السماء والارض ﴾ وذلك [أن المؤمن إذا مات تبكي عليه السماء والارض أربعين صباحا وهؤلاء لم يكن يصعد لهم عمل صالح فتبكي السماء على فقده ولا لهم على الارض عمل صالح فتبكي الارض

« مامن عبد إلا وله في السماء بابان باب يخرج منه رزقه وباب يدخل منه عمله وكلامه فاذا مات فقداه وبكيا عليه وتلا هذه الآية (فما بكت عليهم السماء والارض) - وذكر - انهم لم يكونوا عملوا على الارض عملا صالحا يبكي عليهم ولم يصعد لهم الى السماء من كلامهم ولا من عملهم كلام طيب ولا عمل صالح فتفقدهم فتبكي عليهم » ورواه ابن أبي حاتم من حديث موسى بن عبيدة وهو الزبدى

وقال ابن جرير حدثني يحيى بن طلحة حدثنا عيسى بن يونس عن صفوان بن عمرو عن شريح ابن عبيد الحضرمي قال : قال رسول الله ﷺ « ان الاسلام بدأ غريبا وسيعود غريبا كما بدأ ألالا غربة على مؤمن، ما مات مؤمن في غربة غابت عنه فيها بواكيه الا بكت عليه السماء والارض - ثم قرأ رسول الله ﷺ - (فما بكت عليهم السماء والارض) ثم قال - انهما لا يبكيان على الكافر »

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن عصام حدثنا ابو أحمد يعني الزبيري حدثنا العلاء بن صالح عن المنهال بن عمرو عن عباد بن عبدالله قال سأل رجل عليا رضي الله عنه هل تبكي السماء والارض على أحد ؟ فقال له لقد سألتني عن شيء ماسألني عنه أحد قبلك انه ليس من عبد الا له مصلى في الارض ومصعد عمله من السماء ، وان آل فرعون لم يكن لهم عمل صالح في الارض ولا عمل يصعد في السماء ثم قرأ علي رضي الله عنه (فما بكت عليهم السماء والارض وما كانوا منظرين)

وقال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا طلق بن غنام عن زائدة عن منصور عن منهال عن سعيد ابن جبير قال أتى ابن عباس رضي الله عنهما رجل فقال ياأبا العباس أرأيت قول الله تعالى [فما بكت عليهم السماء والارض وما كانوا منظرين ؟] فهل تبكي السماء والارض على أحد ؟ قال رضي الله عنه نعم انه ليس أحد من الخلائق الا وله باب في السماء منه ينزل رزقه وفيه يصعد عمله فاذا مات المؤمن فأغلق بابه من السماء الذي كان يصعد فيه عمله وينزل منه رزقه ففقده بكى عليه واذا فقده مصلاه من الارض التي كان يصلي فيها ويذكر الله عز وجل فيها بكت عليه ، وان قوم فرعون لم تكن لهم في الارض آثار صالحة ولم يكن يصعد إلى الله عز وجل منهم خير فلم تبك عليهم السماء والارض وروى العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما نحو هذا

وقال سفيان الثورى عن أبي يحيى القتات عن مجاهد عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : كان

عليه : أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا ابو اسحاق الثعلبي أنا أبو عبد الله الفنجوى ثنا أبو علي المقرى ثنا أبو يعلى الموصلي ثنا أحمد بن اسحاق البصرى ثنا مكي بن ابراهيم ثنا موسى بن عبيدة الزبدى أخبرني يزيد الرقاشي عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ أنه قال « ما من عبد إلا له في السماء بابان باب يخرج منه رزقه وباب يدخل فيه عمله فاذا مات فقداه وبكيا عليه » ثم تلا (فما بكت عليهم السماء والارض) قال عطاء بكاء السماء حمرة أطرافها ، قال السدى لما قتل الحسين بن علي بكت عليه السماء وبكاؤها حمرتها ﴿ وما كانوا منظرين ﴾ لم ينظروا حين أخذهم العذاب لتوبة ولا لغيرها ﴿ ولقد

يقال تبكي الارض على المؤمن أربعين صباحا ، وكذا قال مجاهد وسعيد بن جبير وغير واحد وقال مجاهد أيضا ماما مات مؤمن إلا بكت عليه السماء والارض أربعين صباحا قال فقلت له أتبكي الارض؟ فقال أتعجب؟ وما للأرض لاتبكي على عبد كان يعمرها بالركوع والسجود ؟ وما للسماء لاتبكي على عبد كان لتكبيره وتسبيحه فيها دوي كدوي النحل ، وقال قتادة كانوا أهون على الله عز وجل من أن تبكي عليهم السماء والارض

وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا عبدالسلام بن عاصم حدثنا إسحاق بن اسماعيل حدثنا المستورد بن سابق عن عبيد المكتب عن ابراهيم قال مابكت السماء منذ كانت الدنيا الاعلى اثنين قلت لعبيد أليس السماء والارض تبكي على المؤمن ؟ قال ذاك مقامه حيث يصعد عمله قال وتدري مابكاء السماء ؟ قلت لا قال تحمر وتصير وردة كالدهان ان يحيى بن زكريا عليه الصلاة والسلام لماقتل احمرت السماء وقطرت دما ، وان الحسين بن علي رضي الله عنهما لما قتل احمرت السماء

وحدثنا علي بن الحسين حدثنا أبو غسان محمد بن عمرو زنيج حدثنا جرير عن يزيد بن أبي زياد قال لما قتل الحسين بن علي رضي الله عنهما احمرت آفاق السماء أربعة أشهر قال يزيد واحمرارها بكاؤها وهكذا قال السدي الكبير وقال عطاء الخراساني بكاؤها أن تحمر أطرافها ، وذكروا أيضا في مقتل الحسين رضي الله عنه انه ماقلب حجر يومئذ إلا وجد تحته دم عبيط وانه كسفت الشمس واحمر الافق وسقطت حجارة وفي كل من ذلك نظر ، والظاهر انه من سخف الشيعة وكذبهم ليعظموا الامر ولا شك انه عظيم ولكن لم يقع هذا الذي اختلقوه وكذبوه وقد وقع ماهو اعظم من قتل الحسين رضي الله عنه ولم يقع شيء مما ذكروه فانه قد قتل أبوه علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهو افضل منه بالاجماع ولم يقع شيء من ذلك ، وعثمان بن عفان رضي الله عنه قتل محصورا مظلوما ولم يكن شيء من ذلك ، وعمر بن الخطاب رضي الله عنه قتل في المحراب في صلاة الصبح وكأن المسلمين لم تطرقهم مصيبة قبل ذلك ولم يكن شيء من ذلك وهذا رسول الله ﷺ وهو سيد البشر في الدنيا والآخرة يوم مات لم يكن شيء مما ذكروه ، ويوم مات ابراهيم بن النبي ﷺ خسفت الشمس فقال الناس خسفت لموت ابراهيم فصلى بهم رسول الله ﷺ صلاة الكسوف وخطبهم وبين لهم أن الشمس والقمر لا ينخسفان لموت أحد ولا لحياته

وقوله تبارك وتعالى (ولقد نجينا بني اسرائيل من العذاب المهين * من فرعون إنه كان عاليا من المسرفين) يمتن عليهم تعالى بذلك حيث انقذهم مما كانوا فيه من اهانة فرعون واذلاله لهم وتسخيره إياهم في الاعمال المهينة الشاقة وقوله تعالى (من فرعون إنه كان عاليا) أي مستكبرا جبارا عنيدا كقوله عز وجل (إن فرعون علا في الارض) ، وقوله جلت عظمته (فاستكبروا وكانوا قوما عالين) من المسرفين أي مسرف في أمره سخيف الرأى على نفسه

نجينا بني اسرائيل من العذاب المهين ﴾ قتل الابناء واستحياء النساء والتعب في العمل ﴿ من فرعون

وقوله جل جلاله (ولقد اخترناهم على علم على العالمين) قال مجاهد (اخترناهم على علم على العالمين) على من هم بين ظهريه وقال قتادة اختيروا على أهل زمانهم ذلك وكان يقال ان لكل زمان عالما وهذا كقوله تعالى (قال ياموسى إني اصطفيتك على الناس) أى أهل زمانه ذلك كقوله عز وجل لمريم عليها السلام [واصطفاك على نساء العالمين] أى في زمنها فان خديجة رضي الله عنها إما افضل منها أو متساوية لها في الفضل وكذا آسية بنت مزاحم امرأة فرعون وفضل عائشة رضي الله عنها على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام

وقوله جل جلاله [وآتيناهم من الآيات] أى الحجج والبراهين وخوارق العادات (مافيه بلاء مبين] أى اختبار ظاهر جلي لمن اهتدى به

إن هؤلاء ليقولون (٣٤) إن هي الا موتتنا الاولى وما نحن بمنشرين (٣٥) فاءتوا بآبائنا ان كنتم صدقين (٣٦) أهم خير أم قوم تبع والذين من قبلهم اهلكناهم إنهم كانوا مجرمين (٣٧)

يقول تعالى منكرا على المشركين في انكارهم البعث والمعاد وأنه ما ثم إلا هذه الحياة الدنيا ولا حياة بعد الممات ولا بعث ولا نشور ويحتجون بآبائهم الماضين الذين ذهبوا فلم يرجعو فان كان البعث حقا [فائتوا بآبائنا ان كنتم صادقين] وهذه حجة باطلة وشبهة فاسدة فان المعاد إنما هو يوم القيامة لافي الدار الدنيا بل بعد انقضائها وذهابها وفراغها يعيد الله العالمين خلقا جديداء ويجعل الظالمين لنار جهنم وقودا ، يوم تكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا ،

ثم قال تعالى متهددا لهم ومتوعدا ومنذرا لهم بأسه الذي لا يرد كما حل باشباههم ونظرائهم من المشركين المنكرين للبعث كقوم تبع وهم سبأ حيث اهلكهم الله عز وجل وخرب بلادهم وشردهم في البلاد وفرقهم شذر مذر كما تقدم ذلك في سورة سبأ وهي مصدرة بانكار المشركين للمعاد وكذلك ههنا شبههم بأولئك وقد كانوا عربا من قحطان كما أن هؤلاء عرب من عدنان وقد كانت حمير وهم سبأ كلما ملك فيهم رجل سموه تبعا كما يقال كسرى لمن ملك الفرس وقيصر لمن ملك الروم وفرعون لمن ملك مصر كافرا والنجاشي لمن ملك الحبشة وغير ذلك من أعلام الاجناس ، ولكن اتفق أن بعض

انه كان عاليا من المسرفين﴾ * ولقد اخترناهم ﴾ يعني مؤمني بني اسرائيل ﴿ على علم ﴾ بهم ﴿ على العالمين ﴾ على عالمي زمانهم ﴿ وآتيناهم من الآيات مافيه بلاء مبين ﴾ قال قتادة نعمة بينة من فلق البحر وتظليل الغمام وإنزال المن والسلوى والنعم التي أنعمها عليهم ، قال ابن زيد ابتلاهم بالرخاء والشدة وقرأ (ونبلوكم بالشر والخير فتنة) ﴿ ان هؤلاء ﴾ يعني المشركين ﴿ ليقولون إن هي الا موتتنا الاولى﴾ أي لا موتة الا هذه التي نموتها في الدنيا ثم لا بعث بعدها وهو قوله ﴿ وما نحن بمنشرين ﴾ بمبعوثين بعد موتتنا ﴿ فائتوا بآبائنا ﴾ الذين ماتوا ﴿ ان كنتم صادقين ﴾ انا نبعث أحياء بعد الموت ثم خوفهم

تبابعتهم خرج من اليمن وسار في البلاد حتى وصل الى سمرقند واشتد ملكه وعظم سلطانه وجيشه واتسعت مملكته و بلاده وكثرت رعاياه وهو الذي مصر الحيرة فاتفق أنه مر بالمدينة النبوية وذلك في أيام الجاهلية فأراد قتال أهلها فمانعوه وقاتلوه بالنهار وجعلوا يقرونه بالليل فاستحيا منهم وكف عنهم واستصحب معه حبرين من أحبار يهود كانا قد نصحاه واخبراه انه لاسبيل له على هذه البلدة فانها مهاجر نبي يكون في آخر الزمان فرجع عنها وأخذهما معه الى بلاد اليمن فلما اجتاز بمكة أراد هدم الكعبة فنهياه عن ذلك أيضا واخبراه بعظمة هذا البيت وانه من بناء ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام وانه سيكون له شأن عظيم على يدي ذلك النبي المبعوث في آخر الزمان فعظمها وطاف بها وكساها الملاء والوصائل والحبر ثم كر راجعا الى اليمن ودعا أهلها الى التهود معه وكان اذ ذاك دين موسى عليه الصلاة والسلام فيه من يكون على الهداية قبل بعثة المسيح عليه الصلاة والسلام فتهود معه عامة أهل اليمن ، وقد ذكر القصة بطولها الامام محمد بن اسحاق في كتابه السيرة وقد ترجمه الحافظ ابن عساكر في تاريخه ترجمة حافلة أورد فيها أشياء كثيرة مما ذكرنا ومما لم نذكر وذكر انه ملك دمشق وانه كان اذا استعرض الخيل صفت له من دمشق الى اليمن، ثم ساق من طريق عبد الرزاق عن معمر عن ابن أبي ذئب عن المقبري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال « ماأدري الحدود طهارة لأهلها أم لا؟ ولا أدري أتبع كان لعينا أم لا؟ ولا أدرى ذو القرنين نبيا كان أم ملكا وقال غيره - عزير أكان نبيا أم لا » وكذا رواه ابن أبي حاتم عن محمد بن حماد الطبراني عن عبد الرزاق قال الدارقطني تفرد به عبد الرزاق

مثل عذاب الامم الخالية فقال ﴿ أم خير أم قوم تبع ؟ ﴾ اي ليسوا خيراً منهم يعني أقوى واشد وأكثر من قوم تبع ، قال قتادة هو تبع الحميري وكان سار بالجيوش حتى مصر الحيرة وبنى سمرقند وكان من ملوك اليمن، سمي تبعا لكثرة أتباعه وكل واحد منهم يسمى تبعاً لانه يتبع صاحبه وكان هذا الملك يعبد النار فأسلم ودعا قومه الى الاسلام وهم حمير فكذبوه وكان من خبره ما ذكره محمد بن اسحاق وغيره وذكر عكرمة عن ابن عباس قال كان تبع الآخر وهو ابو كرب أسعد بن مالك ابن يكرب حين أقبل من المشرق وجعل طريقه على المدينة ، وقد كان حين مر بها خلف بين أظهرهم ابنا له فقتل غيلة فقدمها وهو مجمع على خرابها واستئصال أهلها فجمع له هذا الحي من الانصار حين سمعوا ذلك من أمره فخرجوا لقتاله وكان الانصار يقاتلونه بالنهار ويقرونه بالليل فأعجبه ذلك وقال ان هؤلاء لكرام فبينما هو كذلك إذ جاءه حبران اسمهما كعب وأسد من أحبار بنى قريظة عالمان وكانا ابني عم حين سمعا ما يريد من اهلاك المدينة وأهلها فقالا له أيها الملك لا تفعل فانك ان أبيت الا ما تريد حيل بينك وبينها ولم نأمن عليك عاجل العقوبة فانها مهاجر نبي يخرج من هذا الحي من قريش اسمه محمد مولده مكة وهذه دار هجرته ومنزلك الذي أنت به يكون به من القتل والجراح أمر كبير في أصحابه

ثم روي ابن عساكر من طريق محمد بن كريب عن أبيه عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعا «عزير لا أدري أنبيا كان ام لا؟ ولا أدرى ألعين تبعا أم لا؟» ثم أورد ماجاء في النهي عن سبه ولعنته كما سيأتي إن شاء الله تعالى وكأنه والله أعلم كان كافراً ثم أسلم وتابع دين الكليم على يدي من كان من أحبار اليهود في ذلك الزمان على الحق قبل بعثة المسيح عليه السلام وحج البيت في زمن الجرهميين وكساه الملاء والوصائل من الحرير والحبر ونحر عنده ستة آلاف بدنة وعظمه وأكرمه، ثم عاد الى اليمن

وقد ساق قصته بطولها الحافظ ابن عساكر من طرق متعددة مطولة مبسوطة عن أبي بن كعب وعبدالله بن سلام وعبد الله بن عباس رضي الله عنهم وكعب الاحبار واليه المرجع في ذلك كله والى عبد الله بن سلام أيضا وهو أثبت وأكبر وأعلم، وكذا روى قصته وهب بن منبه ومحمد بن اسحاق في السيرة كما هو مشهور فيها

وقد اختلط على الحافظ ابن عساكر في بعض السياقات ترجمة تبع هذا بترجمة آخر متأخر عنه بدهر طويل فان تبعا هذا المشار اليه في القرآن أسلم قومه على يديه ثم لما توفي عادوا بعده الى عبادة النيران والاصنام فعاقبهم الله تعالى كما ذكره في سورة سبأ وقد بسطنا قصتهم هنالك ولله الحمد والمنة

وقال سعيد بن جبير كسا تبع الكعبة وكان سعيد ينهى عن سبه وتبع هذا هو تبع الأوسط واسمه أسعد أبو كريب بن مليكرب اليماني ذكروا أنه ملك على قومه ثلاثمائة سنة وستة وعشرين سنة ولم يكن في حمير أطول مدة منه وتوفي قبل مبعث رسول الله ﷺ بنحو من سبعمائة سنة. وذكروا انه لما ذكر له الحبران من يهود المدينة ان هذه البلدة مهاجر نبي في آخر الزمان اسمه أحمد قال في ذلك شعراً واستودعه عند أهل المدينة فكانوا يتوارثونه ويروونه خلفا عن سلف وكان ممن يحفظه أبو أيوب خالد بن زيد الذي نزل رسول الله ﷺ في داره وهو

وفي عدوهم قال تبع من يقاتله وهو نبي قالا يسير اليه قومه فيقتتلون ههنا فتناهى لقولهما عما كان يريد بالمدينة ثم انهما دعواه الى دينهما فأجابهما واتبعهما على دينهما وأكرمهما وانصرف عن المدينة وخرج بهما ونفر من اليهود عامدين الى اليمن فأتاه في الطريق نفر من هذيل وقالوا انا ندلك على بيت فيه كنز من لؤلؤ وزبرجد وفضة قال أي بيت قالوا بيت بمكة وانما تريد هذيل هلاكه لانهم عرفوا انه لم يرده أحد قط بسوء الا هلك فذكر ذلك للاحبار فقالوا ما نعلم لله في الارض بيتا غير هذا البيت فاتخذه مسجداً وأنسك عنده وانحر واحلق رأسك وما أراد القوم الا هلاكك لانه ما ناواه أحد قط الا هلك فأكرمه واصنع عنده ما يصنع أهله فلما قالوا له ذلك أخذ النفر من هذيل فقطع أيديهم وأرجلهم وسمل أعينهم ثم صلبهم فلما قدم مكة نزل الشعب شعب البطائح وكسا البيت الوصائل وهو أول من كسا البيت ونحر بالشعب ستة آلاف بدنة وأقام به ستة أيام وطاف به وحلق وانصرف فلما دنا من اليمن ليدخلها حالت حمير بين ذلك وبينه وقالوا لا تدخل علينا وقد فارقت ديننا فدعاهم إلى

شهدت على أحمد انه رسول من الله باري النسم
فلو مد عمري إلى عمره لكنت وزيراً له وابن عم
وجاهدت بالسيف أعداءه وفرجت عن صدره كل غم

وذكر ابن أبي الدنيا انه حفر قبر بصنعاء في الاسلام فوجدوا فيه امرأتين صحيحتين وعند رءوسهما لوح من فضة مكتوب فيه بالذهب : هذا قبر حبي وتميس وروي حبي وتماضر ابنتي تبع ماتتا وهما تشهدان أن لا إله إلا الله ولا تشركان به شيئا وعلى ذلك مات الصالحون قبلهما . وقد ذكرنا في سورة سبأ شعر سبأ في ذلك أيضا

قال قتادة ذكر لنا أن كعبا كان يقول في تبع نعت نعت الرجل الصالح ذم الله تعالى قومه ولم يذمه قال وكانت عائشة رضي الله عنها تقول : لاتسبوا تبعا فانه قد كان رجلا صالحا

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا صفوان حدثنا الوليد حدثنا عبد الله بن لهيعة عن أبي زرعة - يعني عمرو بن جابر الحضرمي قال سمعت سهل بن سعد الساعدى رضي الله عنه يقول قال رسول الله ﷺ « لاتسبوا تبعا فانه قد كان أسلم » ورواه الامام أحمد في مسنده عن حسن بن موسى عن أبي لهيعة به . وقال الطبراني حدثنا أحمد بن علي الابار حدثنا أحمد بن محمد بن أبي برزة حدثنا مؤمل بن اسماعيل حدثنا سفيان عن سماك بن حرب عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال « لاتسبوا تبعا فانه قد أسلم »

وقال عبدالرزاق أيضا أخبرنا معمر عن ابن أبي ذئب عن المقبري عن أبي هريرة رضي الله عنه

دينه وقال انه دين خير من دينكم قالوا فحاكمنا الى النار وكانت باليمن نار في أسفل جبل يتحاكمون اليها فيما يختلفون فيه فتأكل الظالم ولا تضر المظلوم ، فقال تبع أنصفتم : فخرج القوم بأوثانهم وما يتقربون به في دينهم وخرج الحبران بمصاحفهما في أعناقهما حتى قعدوا للنار عند مخرجها الذي تخرج منه ، فخرجت النار فأقبلت حتى غشيتهم فأكلت الاوثان وما قربوا معها ومن حمل ذلك من رجال حمير وخرج الحبران بمصاحفهما في أعناقهما يتلوان التوراة تعرق جباههما لم تضرهما ونكصت النار حتى رجعت الى مخرجها الذي خرجت منه فاصفقت عند ذلك حمير على دينهما فمن هنالك كان أصل اليهودية في اليمن . وذكر أبو حاتم عن الرقاشي قال كان ابو كرب أسعد الحميري من التبابعة آمن بالنبي محمد ﷺ قبل أن يبعث بسبعمائة سنة وذكر لنا ان كعبا كان يقول ذم الله قومه ولم يذمه وكانت عائشة تقول لا تسبوا تبعا فانه كان رجلا صالحا وقال سعيد بن جبير هو الذي كسا البيت

أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو اسحاق الثعلبي أنا عبد الله بن فنجويه الدينوري ثنا أبو بكر ابن مالك القطيعي ثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل ثنا أبي ثنا حسين بن موسى ثنا ابن لهيعة ثنا أبو

قال قال رسول الله ﷺ « ما أدري تبع نبيا كان ام غير نبي » وتقدم بهذا السند من رواية ابن أبي حاتم كما أورده ابن عساكر «لا أدري تبع كان لعينا أم لا» فالله أعلم. ورواه ابن عساكر من طريق زكريا ابن يحيى المدني عن عكرمة عن ابن عباس موقوفا

وقال عبد الرزاق أخبرنا عمران أبو الهذيل أخبرني تميم بن عبد الرحمن قال قال عطاء بن أبي رباح لا تسبوا تبعا فان رسول الله ﷺ نهى عن سبه والله تعالى أعلم

وما خلقنا السموٰت والارض وما بينهما لٰعبين (٣٨) ما خلقنٰهما الا بالحق ولكن أكثرهم لا يعلمون (٣٩) ان يوم الفصل ميقٰتهم أجمعين (٤٠) يوم لا يغني مولى عن مولى شيئاً ولاهم ينصرون (٤١) إلا من رحم الله انه هو العزيز الرحيم (٤٢)

يقول تعالى مخبراً عن عدله وتنزيهه نفسه عن اللعب والعبث والباطل كقوله جل وعلا (وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار) وقال تعالى (أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون * فتعالى الله الملك الحق لا إلٰه إلا هو رب العرش الكريم) ثم قال تعالى (ان يوم الفصل ميقاتهم أجمعين) وهو يوم القيامة يفصل الله تعالى فيه بين الخلائق فيعذب الكافرين ويثيب المؤمنين. وقوله عز وجل [ميقاتهم أجمعين] أى يجمعهم كلهم أولهم وآخرهم [يوم لا يغني مولى عن مولى شيئا] أى لا ينفع قريب قريبا كقوله سبحانه وتعالى [فاذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون] وكقوله جلت عظمته [ولا يسأل حميم حميما يبصرونهم] أى لا يسأل أخا له عن حاله وهو يراه عيانا

زرعة بن عمر بن جرير عن سهل بن سعد قال سمعت النبي ﷺ يقول «لا تسبوا تبعا فانه كان قد أسلم»

أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو اسحاق الثعلبي أخبرني ابن فنجويه ثنا ابن أبي شيبة ثنا محمد ابن علي بن سالم الهمداني ثنا أبو الازهر أحمد بن الازهر النيسابوري ثنا عبد الرزاق ثنا معمر عن ابن أبي ذئب عن المقبري عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ « ما أدري تبع أكان نبيا أو غير نبي » ﴿ والذين من قبلهم ﴾ من الامم الكافرة ﴿ أهلكناهم انهم كانوا مجرمين * وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين * ما خلقناهما الا بالحق ﴾ قيل يعني للحق وهو الثواب على الطاعة والعقاب على المعصية ﴿ ولكن أكثرهم لا يعلمون * ان يوم الفصل ﴾ يوم يفصل الرحمن بين العباد ﴿ ميقاتهم أجمعين ﴾ يوافى يوم القيامة الاولون والآخرون ﴿ يوم لا يغني مولى عن مولى شيئا ﴾ لا ينفع قريب

وقوله جل وعلا (ولاهم ينصرون) أى لاينصر القريب قريبه ولا يأتيه نصره من خارج ثم قال (إلا من رحم الله) أي لاينفع يومئذ الا رحمة الله عز وجل بخلقه (انه هو العزيز الرحيم) أى هو عزيز ذو رحمة واسعة

إن شجرة الزقوم (٤٣) طعامُ الاثيم (٤٤) كالمُهل يَغلي في البطون (٤٥) كغلي الحميم (٤٦) خذوه فاعتِلوه الي سواء الجحيم (٤٧) ثم صُبوا فوق رأسه من عذاب الحميم (٤٨) ذق إنك أنت العزيزُ الكريم (٤٩) إن هذا ماكنتم به تَمترون (٥٠)

يقول تعالى مخبراً عما يعذب به الكافرين الجاحدين للقائه (إن شجرة الزقوم طعام الاثيم) والاثيم أي في قوله وفعله وهو الكافر وذكر غير واحد أنه أبو جهل ولا شك في دخوله في هذه الآية ولكن ليست خاصة به

قال ابن جرير حدثنا محمد بن بشار حدثنا عبد الرحمن حدثنا سفيان عن الاعمش عن ابراهيم عن همام بن الحارث أن أبا الدرداء كان يقريء رجلا (إن شجرة الزقوم طعام الاثيم) فقال طعام اليتيم فقال أبو الدرداء رضي الله عنه قل إن شجرة الزقوم طعام الفاجر أي ليس له طعام من غيرها ، قال مجاهد ولو وقعت قطرة منها في الارض لأفسدت على أهل الارض معايشهم ، وقد تقدم نحوه مرفوعا ، وقوله (كالمهل) قالوا كعكر الزيت (يغلي في البطون كغلي الحميم) أي من حرارتها ورداءتها ، وقوله (خذوه) أي الكافر ، وقد ورد أنه تعالى اذا قال للزبانية خذوه ابتدره سبعون ألفا منهم ، وقوله (فاعتلوه) أي سوقوه سحبا ودفعا في ظهره ، قال مجاهد (خذوه فاعتلوه) أي خذوه فادفعوه وقال الفرزدق :

قريبه ولا يدفع عنه شيئا ﴿ ولا هم ينصرون ﴾ لا يمنعون من عذاب الله ﴿ الا من رحم الله ﴾ يريد المؤمنين فانه يشفع بعضهم لبعض ﴿ انه هو العزيز ﴾ في انتقامه من أعدائه ﴿ الرحيم ﴾ بالمؤمنين ﴿ ان شجرة الزقوم طعام الاثيم ﴾ أى ذى الاثم وهو أبو جهل ﴿ كالمهل ﴾ هو دردي الزيت الاسود ﴿ يغلي في البطون ﴾ قرأ ابن كثير وحفص يغلي باليا جعلا الفعل للمهل وقرأ الآخرون بالتاء لتأنيث الشجرة في البطون أى بطون الكفار ﴿ كغلي الحميم ﴾ كالماء الحار اذا اشتد غليانه

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أبو بكر العبدوسي أنا أبو بكر محمد بن حمدون بن خالد ابن يزيد ثنا سليمان بن يوسف ثنا وهب بن جرير ثنا شعبة عن الاعمش عن مجاهد عن عبد الله بن عباس قال قال رسول الله ﷺ «أيها الناس اتقوا الله حق تقاته فلو أن قطرة من الزقوم قطرت على الارض لأمرت على أهل الدنيا معيشتهم فكيف بمن تكون طعامه وليس لهم طعام غيره؟»

قوله تعالى ﴿ خذوه ﴾ أى يقال للزبانية خذوه يعني الاثيم ﴿ فاعتلوه ﴾ قرأ أهل الكوفة وأبو

ليس الكرام بناحليك أباهم حتى ترد إلى عطية تعتل

(إلى سواء الجحيم) أي وسطها [ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم] كقوله عز وجل [يصب من فوق رءوسهم الحميم يصهر به مافي بطونهم والجلود] وقد تقدم أن الملك يضربه بمقمعة من حديد فتفتح دماغه ثم يصب الحميم على رأسه فينزل في بدنه فيسلت مافي بطنه من امعائه حتى تمرق من كعبيه أعاذنا الله تعالى من ذلك

وقوله تعالى (ذق انك أنت العزيز الكريم) أي قولوا له ذلك على وجه التهكم والتوبيخ ، وقال الضحاك عن ابن عباس رضى الله عنهما أي لست بعزيز ولا كريم . وقد قال الاموي في مغازيه حدثنا أسباط بن محمد حدثنا أبو بكر الهذلي عن عكرمة قال لقي رسول الله ﷺ أبا جهل لعنه الله فقال « إن الله تعالى أمرني أن أقول لك أولى لك فأولى ثم أولى لك فأولى » قال فنزع ثوبه من يده وقال ماتستطيع لي أنت ولا صاحبك من شيء ولقد علمت أني أمنع أهل البطحاء وأنا العزيز الكريم ، قال فقتله الله تعالى يوم بدر وأذله وعيره بكلمته وأنزل (ذق انك أنت العزيز الكريم)

وقوله عز وجل (ان هذا ماكنتم به تمترون) كقوله تعالى [يوم يدعون الى نار جهنم دعا هذه النار التي كنتم بها تكذبون * أفسحر هذا أم أنتم لاتبصرون] ولهذا قال تعالى ههنا (إن هذا ماكنتم به تمترون)

ان المتقين في مقام أمين (٥١) في جنٰت وعيون (٥٢) يلبسون من سندس وإستبرق متقٰبلين (٥٣) كذلك وزوجنٰهم بحور عين (٥٤) يدعون فيها بكل فاكهة آمنين (٥٥) لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى ووقٰهم عذاب الجحيم (٥٦) فضلا من ربك ذلك هو الفوز العظيم (٥٧) فانما يسرنٰه بلسانك لعلهم يتذكرون (٥٨) فارتقب انهم مرتقبون (٥٩)

جعفر وأبو عمرو بكسر التاء وقرأ الباقون بضمها وهما لغتان أى ادفعوه وسوقوه يقال عتله يعتله عتلا اذا ساقه بالعنف والدفع والجذب ﴿ إلى سواء الجحيم ﴾ وسطه ﴿ ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم ﴾ قال مقاتل ان خازن النار يضربه على رأسه فينقلب رأسه عن دماغه ثم يصب فيه ماء حميم قد انتهى حره ثم يقال له ﴿ ذق ﴾ هذا العذاب ﴿ انك ﴾ قرأ الكسائي انك بفتح الالف أى لانك كنت تقول انا العزيز الكريم وقرأ الآخرون بكسرها على الابتداء ﴿ أنت العزيز الكريم ﴾ عند قومك بزعمك وذلك ان أبا جهل كان يقول أنا أعز أهل الوادى وأكرمهم فتقول له هذا اللفظ خزنة النار على طريق الاستهزاء والتوبيخ ﴿ ان هذا ما كنتم به تمترون ﴾ تشكون فيه ولا تؤمنون به ثم ذكر مستقر المتقين فقال ﴿ ان المتقين في مقام أمين ﴾

لما ذكر تعالى حال الاشقيا. عطف بذكر السعداء ولهذا سمى القرآن مثاني فقال (ان المتقين) أي لله في الدنيا (في مقام أمين) أي في الآخرة وهو الجنة قد أمنوا فيها من الموت والخروج من كل هم وحزن وجزع وتعب ونصب ومن الشيطان وكيده وسائر الآفات والمصائب (في جنات وعيون) وهذا في مقابلة ماأولئك فيه من شجرة الزقوم وشرب الحميم

وقوله تعالى (يلبسون من سندس) وهو رفيع الحرير كالقمصان ونحوها (واستبرق) وهومافيه بريق ولمعان وذلك كالرياش وما يلبس على أعالي القماش (متقابلين) أي على السرر لا يجلس أحد منهم وظهره إلى غيره وقوله تعالى (كذلك وزوجناهم بحورعين) أي هذا العطاء مع ماقدمنحناهم من الزوجات الحور العين الحسان اللاتي لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان * كأنهن الياقوت والمرجان (هل جزاء الاحسان الا الاحسان ؟)

قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا نوح بن حبيب حدثنا نصر بن مزاحم العطار حدثنا عمر بن سعد عن رجل عن أنس رضي الله عنه رفعه نوح قال : لو أن حوراء بزقت في بحر لجي لعذب ذلك الماء لعذوبة ريقها . وقوله عز وجل (يدعون فيها بكل فاكهة آمنين) أي مهما طلبوا من أنواع الثمار أحضر لهم وهم آمنون من انقطاعه وامتناعه بل يحضر اليهم كلما أرادوا

وقوله (لايذوقون فيها الموت إلا الموتة الاولى) هذا استثناء يؤكد النفي فانه استثناء منقطع ومعناه أنهم لايذوقون فيها الموت أبداً كما ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال « يؤتى بالموت في صورة كبش أملح فيوقف بين الجنة والنار ثم يذبح ثم يقال يا أهل الجنة خلود فلاموت ويا أهل النار خلود فلا موت » وقد تقدم في الحديث في سورة مريم عليها الصلاة والسلام

قرأ أهل المدينة والشام في مقام بضم الميم على المصدر أى في اقامة وقرأ الآخرون بفتح الميم أى في مجالس أمين أمنوا فيه من التغير أى من الموت ومن الخروج منه ﴿ في جنات وعيون * يلبسون من سندس واستبرق متقابلين * كذلك وزوجناهم ﴾ أى كما أكرمناهم بما وصفنا من الجنات والعيون واللباس كذلك أكرمناهم بأن زوجناهم ﴿ بحور عين ﴾ أى قرناهم بهن ليس من عقد التزويج لانه لا يقال زوجته بامرأة قال أبو عبيدة جعلناهم أزواجا لهن كما يزوج النعل بالنعل أى جعلناهم اثنين اثنين والحور هن النساء النقيات البياض قال مجاهد يحار فيهن الطرف من بياضهن وصفاء لونهن وقال أبو عبيدة الحور هن شديدات بياض الاعين الشديدات سوادها واحدها أحور والمرأة حوراء والعين جمع العيناء وهي عظيمة العينين ﴿ يدعون فيها بكل فاكهة ﴾ اشتهوها ﴿ آمنين ﴾ من نفادها ومن مضرتها وقال قتادة آمنين من الموت والاوصاب والشياطين ﴿ لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى ﴾ أى سوى الموتة الاولى التي ذاقوها في الدنيا وبعدها ، وضع إلا موضع سوى وبعد وهذا كقوله تعالى

وقال عبدالرزاق حدثنا سفيان الثوري عن أبي إسحاق عن أبي مسلم الاغر عن أبي سعيد وأبي هريرة رضي الله عنهما قالا قال رسول الله ﷺ « يقال لأهل الجنة إن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبداً ، وان لكم أن تعيشوا فلا تموتوا أبداً ، وإن لكم أن تنعموا فلا تبأسوا أبداً ، وان لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبداً » رواه مسلم عن إسحاق بن راهويه وعبد بن حميد كلاهما عن عبدالرزاق به هكذا يقول أبو إسحاق وأهل العراق أبو مسلم الاغر وأهل المدينة يقولون أبو عبدالله الاغر

وقال أبو بكر بن أبي داود السجستاني حدثنا أحمد بن حفص عن أبيه عن ابراهيم بن طهمان عن الحجاج هو ابن حجاج عن عبادة عن عبيدالله بن عمرو عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « من اتقى الله دخل الجنة ينعم فيها ولا يبأس ويحيا فيها فلا يموت لاتبلى ثيابه ولا يفنى شبابه » وقال أبو القاسم الطبراني حدثنا احمد بن يحيى حدثنا عمرو بن محمد الناقد حدثنا سليم ابن عبدالله الرقي حدثنا مصعب بن ابراهيم حدثنا عمران بن الربيع الكوفي عن يحيى بن سعيد الانصاري عن محمد بن المنكدر عن جابر رضي الله عنه قال : سئل نبي الله ﷺ أينام أهل الجنة ؟ فقال ﷺ « النوم أخو الموت وأهل الجنة لاينامون » وهكذا رواه أبو بكر بن مردويه في تفسيره حدثنا أحمد ابن القاسم بن صدقة المصري حدثنا المقدام بن داود حدثنا عبدالله بن المغيرة حدثنا سفيان الثوري عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبدالله رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « النوم أخو الموت وأهل الجنة لاينامون »

وقال أبو بكر البزار في مسنده حدثنا الفضل بن يعقوب حدثنا محمد بن يوسف الفريابي عن سفيان عن محمد بن المنكدر عن جابر رضي الله عنه قال قيل يارسول الله هل ينام أهل الجنة ؟ قال ﷺ « لا النوم أخو الموت » ثم قال لا نعلم أحداً أسنده عن ابن المنكدر عن جابر رضي الله عنه الا الثوري ولا عن الثوري إلا الفريابي هكذا قال وقد تقدم خلاف ذلك والله أعلم

وقوله تعالى (ووقاهم عذاب الجحيم) أي مع هذا النعيم العظيم المقيم قد وقاهم وسلمهم ونجاهم وزحزحهم عن العذاب الاليم في دركات الجحيم فحصل لهم المطلوب ونجاهم من المرهوب ولهذا قال عز وجل (فضلا من ربك ذلك هو الفوز العظيم) أي انما كان هذا بفضله عليهم واحسانه اليهم كما

[ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء الا ما قد سلف] أي سوى ما قد سلف وبعد ما قد سلف وقيل انما استثنى الموتة الاولى وهي في الدنيا من موت في الجنة لان السعداء حين يموتون يصيرون بلطف الله الى أسباب الجنة يلقون الروح والريحان ويرون منازلهم في الجنة فكان موتهم في الدنيا كانهم في الجنة لاتصالهم بأسبابها ومشاهدتهم اياها ﴿ ووقاهم عذاب الجحيم *فضلا من ربك ﴾ أي فعل ذلك بهم فضلا منه ﴿ ذلك هو الفوز العظيم *فانما يسرناه ﴾ سهلنا القرآن كناية عن غير مذكور

ثبت في الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال « اعملوا وسددوا وقاربوا واعلموا أن أحداً لن يدخله عمله الجنة قالوا ولا أنت يارسول الله قال ﷺ ولا أنا الا أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل »

وقوله تبارك وتعالى (فانما يسرناه بلسانك لعلهم يتذكرون) أي إنما يسرنا هذا القرآن الذي أنزلناه سهلا واضحا بينا جليا بلسانك الذي هو أفصح اللغات وأجلاها وأحلاها وأعلاها (لعلهم يتذكرون) أي يتفهمون ويعملون . ثم لما كان مع هذا الوضوح والبيان من الناس من كفر وخالف وعاند قال الله تعالى لرسوله ﷺ مسليا له وواعداً له بالنصر ومتوعداً لمن كذبه بالعطب والهلاك (فارتقب) أي انتظر (انهم مرتقبون) أي فسيعلمون لمن تكون النصرة والظفر وعلو الكلمة في الدنيا والآخرة فانها لك يامحمد ولاخوانك من النبيين والمرسلين ومن اتبعكم من المؤمنين كما قال تعالى (كتب الله لأغلبن أنا ورسلي) الآية وقال تعالى (انا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد * يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار)

(آخر تفسير سورة الدخان)

ولله الحمد والمنة والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿ بلسانك ﴾ على لسانك ﴿ لعلهم يتذكرون ﴾ يتعظون ﴿ فارتقب ﴾ فانتظر النصر من ربك وقيل فانتظر لهم العذاب ﴿ انهم مرتقبون ﴾ منتظرون قهرك بزعمهم

أخبرنا ابو سعيد الشريحي أنا ابو اسحاق الثعلبي أخبرني الحسين بن فنجويه
ثنا يحيى بن محمد بن يحيى ثنا أبو عيسى موسى بن علي الختلي ثنا أبو هاشم الرفاعي
ثنا زيد بن الحباب ثنا عمر بن عبد الله بن أبي خثعم عن يحيى بن كثير
عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ
« من قرأ الدخان في ليلة أصبح يستغفر له
سبعون ألف ملك »
والله أعلم

تفسير سورة الجاثية وهى مكية

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

حم (١) تنزيل الكتٰب من الله العزيز الحكيم (٢) إن في السموٰت والارض لآيٰت للمؤمنين (٣) وفي خلقكم وما يبث من دابة آيٰت لقوم يوقنون (٤) واختلٰف اليل والنهار وما أنزل الله من السماء من رزق فأحيا به الارض بعد موتها وتصريف الريح آيٰت لقوم يعقلون (٥)

يرشد تعالى خلقه إلى التفكر في آلائه ونعمه وقدرته العظيمة التي خلق بها السموات والارض وما فيهما من المخلوقات المختلفة الاجناس والانواع من الملائكة والجن والانس والدواب والطيور والوحوش والسباع والحشرات وما في البحر من الاصناف المتنوعة واختلاف الليل والنهار في تعاقبهما دائبين لا يفتران هذا بظلامه وهذا بضيائه وما أنزل الله تبارك وتعالى من السحاب من المطر في وقت الحاجة اليه وسماه رزقا لأن به يحصل الرزق (فأحيا به الارض بعد موتها) أي بعد ما كانت هامدة لا نبات فيها ولا شيء. وقوله عز وجل (وتصريف الرياح) أي جنوبا وشمالا ودبوراً وصبا برية وبحرية ليلية ونهارية، ومنها ماهو للمطر، ومنها ماهو للقاح، ومنها ماهو غذاء للأرواح، ومنها ماهو عقيم لا ينتج. وقال سبحانه وتعالى أولا (لآيات للمؤمنين) ثم يوقنون ثم يعقلون وهو ترق من حال شريف إلى ماهو أشرف منه وأعلى، وهذه الآيات شبيهة بآية البقرة وهي قوله تعالى (إن في خلق السموات

﴿ سورة الجاثية مكية وهى سبع وثلاثون آية ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم * ان في السموات والارض لآيات للمؤمنين * وفي خلقكم وما يبث من دابة آيات ﴾

قرأ حمزة والكسائي ويعقوب آيات وتصريف الرياح آيات بكسر التاء فيهما رداً على قوله لآيات وهو في موضع النصب، وقرأ الآخرون برفعهما على الاستئناف على ان العرب تقول ان لي عليك مالا وعلى أخيك مال ينصبون الثاني ويرفعونه ﴿ لقوم يوقنون ﴾ أنه لا إله غيره ﴿ واختلاف الليل والنهار وما أنزل الله من السماء من رزق ﴾ يعني الغيث الذي هو سبب أرزاق العباد « فأحيا

والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الارض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والارض لآيات لقوم يعقلون) وقد أورد ابن أبي حاتم ههنا عن وهب بن منبه أثراً طويلاغريبا في خلق الانسان من الاخلاط الاربعة والله أعلم

(٥) تلك آيٰت الله نتلوها عليك بالحق فبأي حديث بعد الله وآيٰته يؤمنون (٦) ويل لكل أفاك أثيم (٧) يسمع آيٰت الله تتلى عليه ثم يصر مستكبراً كأن لم يسمعها فبشره بعذاب أليم (٨) واذا علم من آياتنا شيأ اتخذها هزوا أولئك لهم عذاب مهين (٩) من ورائهم جهنم ولا يغني عنهم ما كسبوا شيأ ولا ما اتخذوا من دون الله أولياء ولهم عذاب عظيم (١٠) هذا هدى والذين كفروا بآيات ربهم لهم عذاب من رجز أليم

يقول تعالى (تلك آيات الله) يعني القرآن بما فيه من الحجج والبينات (نتلوها عليك بالحق) أى متضمنة الحق من الحق فاذا كانوا لا يؤمنون بها ولا ينقادون لها فبأي حديث بعد الله وآياته يؤمنون ؟ ثم قال تعالى (ويل لكل أفاك أثيم) اي أفاك في قوله كذاب حلاف مهين أثيم في فعله وقلبه كافر بآيات الله ولهذا قال (يسمع آيات الله تتلى عليه) أي تقرأ عليه (ثم يصر) أي على كفره وجحوده استكبارا وعناداً (كأن لم يسمعها) أي كأنه ماسمعها (فبشره بعذاب أليم) أي فاخبره أن له عند الله تعالى يوم القيامة عذاباً أليما موجعا (واذا علم من آياتنا شيئا اتخذها هزوا) أي اذا حفظ شيئاً من القرآن كفر به واتخذه سخريا وهزوا (أولئك لهم عذاب مهين) أي في مقابلة ما استهان بالقرآن واستهزأ به

به الارض بعد موتها وتصريف الرياح آيات لقوم يعقلون * تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق ﴾ يريد هذا الذى قصصنا عليك من آيات الله نقصها عليك بالحق ﴿ فبأي حديث بعد الله ﴾ بعد كتاب الله ﴿ وآياته يؤمنون ﴾ قرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وأبو بكر ويعقوب تؤمنون بالتاء على معنى قل لهم يامحمد فبأي حديث تؤمنون وقرأ الآخرون بالياء ﴿ ويل لكل أفاك أثيم ﴾ كذاب صاحب اثم يعني النضر بن الحارث ﴿ يسمع آيات الله تتلى عليه ثم يصر مستكبرا كأن لم يسمعها كأن في أذنيه وقرا فبشره بعذاب أليم *واذا علم من آياتنا ﴾

قال مقاتل من القرآن ﴿ شيئا اتخذها هزوا أولئك لهم عذاب مهين ﴾ وذكر بلفظ الجمع رداً

ولهذا روي مسلم في صحيحه عن ابن عمر رضي الله عنهما قال نهى رسول الله ﷺ أن يسافر بالقرآن إلى أرض العدو مخافة أن يناله العدو ثم فسر العذاب الحاصل له يوم معاده فقال (من ورائهم جهنم) أى كل من اتصف بذلك سيصيرون إلى جهنم يوم القيامة (ولا يغني عنهم ما كسبوا شيئا) أى لا تنفعهم أموالهم ولا أولادهم (ولا ما اتخذوا من دون الله أولياء) أى ولا تغني عنهم الآلهة التى عبدوها من دون الله شيئا (ولهم عذاب عظيم)

ثم قال تبارك وتعالى (هذا هدى) يعني القرآن (والذين كفروا بآيات ربهم لهم عذاب من رجز أليم) وهو المؤلم الموجع والله سبحانه وتعالى أعلم

---

(١١) الله الذي سخر لكم البحر لتجري الفلك فيه بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون (١٢) وسخر لكم مافي السموات وما في الارض جميعاً منه ان في ذلك لآيت لقوم يتفكرون (١٣) قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله ليجزي قوما بما كانوا يكسبون (١٤) من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها ثم الي ربكم ترجعون (١٥)

يذكر تعالى نعمه على عبيده فيما سخر لهم من البحر (لتجري الفلك) وهي السفن فيه بأمره تعالى فانه هو الذي أمر البحر بحملها (ولتبتغوا من فضله) أي في المتاجر والمكاسب (ولعلكم تشكرون) أي على حصول المنافع المجلوبة اليكم من الاقاليم النائية والآفاق القاصية

ثم قال عز وجل (وسخر لكم ما في السموات وما في الارض) أي من الكواكب والجبال والبحار والانهار وجميع ما تنتفعون به أي الجميع من فضله واحسانه ولهذا قال (جميعا منه) أي من عنده وحده لاشريك له في ذلك كما قال تبارك وتعالى (وما بكم من نعمة فمن الله ثم إذا مسكم الضر فاليه تجأرون)

الى كل في قوله (لكل أفاك أثيم) ﴿من ورائهم﴾ أمامهم ﴿جهنم﴾ يعنى أنهم في الدنيا ممتعون بأموالهم ولهم في الآخرة النار يدخلونها ﴿ولا يغنى عنهم ما كسبوا﴾ من الاموال ﴿شيئاً ولا ما اتخذوا من دون الله أولياء﴾ ولا ماعبدوا من دون الله من الآلهة ﴿ولهم عذاب عظيم * هذا﴾ يعنى هذا القرآن ﴿هدى﴾ بيان من الضلالة ﴿والذين كفروا بآيات ربهم لهم عذاب من رجز أليم * الله الذى سخر لكم البحر لتجري الفلك فيه بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون * وسخر لكم مافي السموات وما في الارض﴾ ومعنى تسخيرها انه خلقها لمنافعنا فهو مسخر لنا من حيث اننا ننتفع به ﴿جميعا منه﴾ فلا تجعلوا لله أنداداً ، قال ابن عباس جميعا منه كل ذلك رحمة منه ، قال الزجاج كل ذلك تفضل منه

وروى ابن جرير من طريق العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تبارك وتعالى (وسخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعا منه) كل شيء هو من الله وذلك الاسم فيه اسم من أسمائه فذلك جميع منه ولا ينازعه فيه المنازعون واستيقن انه كذلك

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا محمد بن خلف العسقلاني حدثنا الفريابي عن سفيان عن الاعمش عن المنهال بن عمرو عن أبي أراكة قال سأل رجل عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال مم خلق الخلق؟ قال من النور والنار والظلمة والثرى قال وائت ابن عباس رضي الله عنهما فاسأله فأتاه فقال له مثل ذلك فقال ارجع اليه فسله مم خلق ذلك كله؟ فرجع اليه فسأله فتلا [وسخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعا منه] أثر غريب وفيه نكارة (ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون)

وقوله تعالى (قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله) أي ليصفحوا عنهم ويتحملوا الأذى منهم وكان هذا في ابتداء الاسلام أمروا أن يصبروا على أذى المشركين وأهل الكتاب ليكون ذلك كالتأليف لهم ثم لما أصروا على العناد شرع الله للمؤمنين الجلاد والجهاد هكذا روي عن ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة وقال مجاهد (لا يرجون أيام الله) لا ينالون نعم الله تعالى

وقوله تبارك وتعالى (ليجزي قوما بما كانوا يكسبون) أي اذا صفحوا عنهم في الدنيا فان الله عز وجل مجازيهم باعمالهم السيئة في الآخرة ولهذا قال تعالى (من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها ثم الى ربكم ترجعون) أي تعودون اليه يوم القيامة فتعرضون باعمالكم عليه فيجزيكم بأعمالكم خيرها وشرها والله سبحانه وتعالى أعلم

ولقد آتينا بني اسرائيل الكتٰب والحكم والنبوّة ورزقنٰهم من الطيّبٰت وفضلنٰهم على

واحسان ﴿ ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون * قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله ﴾ أي لا يخافون وقائع الله ولا يبالون نقمته ، قال ابن عباس ومقاتل نزلت في عمر بن الخطاب رضي الله عنه وذلك ان رجلا من بني غفار شتمه بمكة فهم عمر رضي الله تعالى عنه أن يبطش به فأنزل الله هذه الآية وأمره أن يعفو عنه . وقال القرظي والسدي نزلت في أناس من أصحاب رسول الله ﷺ من أهل مكة كانوا في أذى شديد من المشركين من قبل أن يؤمروا بالقتال فشكوا ذلك الى رسول الله ﷺ فأنزل الله هذه الآية ثم نسختها آية القتال ﴿ ليجزي قوما ﴾ قرأ ابن عامر وحمزة والكسائي لنجزي بالنون، وقرأ الآخرون بالياء أي ليجزي الله وقرأ أبو جعفر ليجزى بضم الياء الاولى وسكون الثانية وفتح الزاي ، قال أبو عمرو وهو لحن قال الكسائي معناه ليجزى الجزاء قوما ﴿ بما كانوا يكسبون من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها ثم الى ربكم ترجعون * ولقد آتينا بني اسرائيل الكتاب ﴾

العٰلمين (١٦) وآتينٰهم بينٰت من الامر فما اختلفوا إلا من بعد ماجاءهم العلم بغيا بينهم ان ربك

يقضي بينهم يوم القيٰمة فيما كانوا فيه يختلفون (١٧) ثم جعلنٰك على شريعة من الامر فاتّبعها

ولا تتبع أهواء الذين لايعلمون (١٨) انهم لن يغنوا عنك من الله شيئا وان الظّٰلمين بعضهم

أولياء بعض والله ولي المتقين (١٩) هذا بصٰئر للناس وهدى ورحمة لقوم يوقنون (٢٠)

يذكر تعالى ما أنعم به على بني اسرائيل من انزال الكتب عليهم وارسال الرسل اليهم وجعله الملك فيهم ولهذا قال تبارك وتعالى (ولقد آتينا بني اسرائيل الكتاب والحكم والنبوة ورزقناهم من الطيبات) أي من المآكل والمشارب (وفضلناهم على العالمين) أي في زمانهم (وآتيناهم بينات من الامر) أي حججا وبراهين وأدلة قاطعات فقامت عليهم الحجج ثم اختلفوا بعد ذلك من بعد قيام الحجة وانما كان ذلك بغيا منهم على بعضهم بعضا (ان ربك) يامحمد (يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) أي سيفصل بينهم بحكمه العدل وهذا فيه تحذير لهذه الامة أن تسلك مسلكهم وأن تقصد منهجهم ولهذا قال جل وعلا (ثم جعلناك على شريعة من الامر فاتبعها) أي اتبع ما أوحي اليك من ربك لاإله إلا هو وأعرض عن المشركين

وقال جل جلاله ههنا (ولا تتبع أهواء الذين لايعلمون * إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئا وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض) أي وماذا تغني عنهم ولايتهم لبعضهم بعضا فانهم لايزيدونهم إلا خسارا ودمارا وهلاكا (والله ولي المتقين) وهو تعالى يخرجهم من الظلمات الى النور والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات، ثم قال عز وجل (هذا بصائر للناس) يعني القرآن (وهدى ورحمة لقوم يوقنون)

التوراة ﴿ والحكم والنبوة ورزقناهم من الطيبات ﴾ الحلالات يعني المن والسلوى ﴿ وفضلناهم على العالمين ﴾ أي عالمي زمانهم قال ابن عباس لم يكن أحد من العالمين في زمانهم أكرم على الله ولا أحب اليه منهم ﴿ وآتيناهم بينات من الامر ﴾ يعني العلم بمبعث محمد ﷺ وما بين لهم من امره ﴿ فما اختلفوا الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ان ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون * ثم جعلناك ﴾ يامحمد ﴿ على شريعة ﴾ سنة وطريقة بعد موسى ﴿ من الامر ﴾ من الدين ﴿ فاتبعها ولاتتبع أهواء الذين لايعلمون ﴾ يعني مراد الكافرين، وذلك انهم كانوا يقولون له ارجع الى دين آبائك فانهم كانوا أفضل منك . فقال جل ذكره ﴿ انهم لن يغنوا عنك من الله شيئا ﴾ لن يدفعوا عنك من عذاب الله شيئا ان اتبعت أهواءهم ﴿ وان الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولي المتقين * هذا ﴾ يعني القرآن ﴿ بصائر ﴾ معالم ﴿ للناس ﴾ في الحدود والاحكام يبصرون بها ﴿ وهدى ورحمة لقوم يوقنون *

أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصٰلحٰت سواء محيهم ومماتهم ساء مايحكمون (٢١) وخلق الله السمٰوات والارض بالحق ولتُجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يُظلمون (٢٢) أفرءيت من اتخذ الٰهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غِشٰوة فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكّرون ؟ (٢٣)

يقول تعالى لا يستوي المؤمنون والكافرون كما قال عز وجل (لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون)

وقال تبارك وتعالى ههنا (أم حسب الذين اجترحوا السيئات) أي عملوها وكسبوها (أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ؟) أي نساويهم بهم في الدنيا والآخرة (ساء مايحكمون) أي ساء ماظنوا بنا وبعدلنا أن نساوي بين الابرار ، والفجار في الدار الآخرة وفي هذه الدار قال الحافظ أبو يعلى حدثنا مؤمل بن اهاب حدثنا بكير بن عثمان التنوخي حدثنا الوضين بن عطاء عن يزيد بن مزيد الباجي عن أبي ذر رضي الله عنه قال : إن الله تعالى بنى دينه على أربعة اركان فمن صبر عليهن ولم يعمل بهن لقي الله من الفاسقين قيل وما هن يا أبا ذر ؟ قال يسلم حلال الله لله ، وحرام الله لله ، وأمر الله لله ، ونهي الله لله لا يؤتمن عليهن إلا الله قال أبو القاسم ﷺ « كما انه لا يجتنى من الشوك العنب كذلك لا ينال الفجار منازل الابرار » هذا حديث غريب من هذا الوجه

وقد ذكر محمد بن اسحاق في كتاب السيرة أنهم وجدوا حجراً بمكة في أس الكعبة مكتوب عليه : تعملون السيئات وترجون الحسنات أجل كما يجنى من الشوك العنب . وقد روى الطبراني من حديث شعبة عن عمرو بن مرة عن أبي الضحى عن مسروق ان تميما الداري قام ليلة حتى اصبح يردد هذه الآية (أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات ؟) ولهذا قال تعالى

أم حسب ﴾ بل حسب ﴿ الذين اجترحوا السيئات ﴾ اكتسبوا المعاصي والكفر ﴿ أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات ؟ ﴾ نزلت في نفر من مشركي مكة قالوا للمؤمنين لئن كان ما تقولون حقا لنفضلن عليكم في الآخرة كما فضلنا عليكم في الدنيا ﴿ سواء محياهم ﴾ قرأ حمزة والكسائي وحفص ويعقوب سواء بالنصب أي نجعلهم سواء يعني أحسبوا ان حياة الكافرين ﴿ ومماتهم ﴾ كحياة المؤمنين وموتهم سواء ؟ كلا وقرأ الآخرون بالرفع على الابتداء والخبر أي محياهم ومماتهم سواء فالضمير فيها يرجع الى المؤمنين والكافرين جميعا ، معناه المؤمن مؤمن محياه ومماته أي في الدنيا والآخرة والكافر كافر محياه ومماته في الدنيا والآخرة ﴿ ساء ما يحكمون ﴾ بئس ما يقضون ، قال مسروق قال لي رجل من أهل مكة هذا مقام أخيك تميم الداري ، لقد رأيته ذات ليلة حتى أصبح أو كرب أن يصبح ،

(ساء مايحكمون) وقال عز وجل (وخلق الله السموات والارض بالحق) أي بالعدل (ولتجزى كل نفس بما كسبت وهم لايظلمون)

ثم قال جل وعلا (أفرأيت من اتخذ إلهه هواه ؟) أي انما يأتمر بهواه فمهما رآه حسنا فعله ومهما رآه قبيحا تركه وهذا قد يستدل به على المعتزلة في قولهم بالتحسين والتقبيح العقليين وعن مالك فيما روى عنه من التفسير لايهوى شيئا إلا عبده وقوله (وأضله الله على علم) يحتمل قولين (أحدهما) وأضله الله لعلمه أنه يستحق ذلك (والآخر) وأضله الله بعد بلوغ العلم اليه وقيام الحجة عليه والثاني يستلزم الاول ولا ينعكس (وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة) أي فلا يسمع ماينفعه ولا يعي شيئا يهتدي به ولا يرى حجة يستضيء بها ولهذا قال تعالى (فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون) كقوله تعالى (من يضلل الله فلا هادي له ويذرهم في طغيانهم يعمهون)

وقالوا ماهي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر وما لهم بذلك من علم إن هم إلا يظنون (٢٤) واذا تتلى عليهم آيـٰتنا بينـٰت ماكان حجتهم إلا أن قالوا ائتوا بآبائنا إن كنتم صـٰدقين (٢٥) قل الله يحييكم ثم يميتكم ثم يجمعكم الى يوم القيـٰمة لاريب فيه ولـٰكن أكثر الناس لايعلمون (٢٦)

يخبر تعالى عن قول الدهرية من الكفار ومن وافقهم من مشركي العرب في انكار المعاد (وقالوا

يقرأ آية من كتاب الله يرددها يركع بها ويسجد ويبكي (أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات) الآية ﴿ وخلق الله السموات والارض بالحق ولتجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون * أفرأيت من اتخذ الهه هواه؟ ﴾ قال ابن عباس والحسن وقتادة معناه ذلك الكافر اتخذ دينه ما يهواه فلا يهوى شيئا إلا ركبه لانه لا يؤمن بالله ولا يخافه ولا يحرم ماحرم الله ، وقال الآخرون معناه اتخذ معبوده هواه فيعبد ما تهواه نفسه .

قال سعيد ابن جبير كانت العرب يعبدون الحجارة والذهب والفضة فاذا وجدوا شيئا أحسن من الاول رموه وكسروه وعبدوا الآخر قال الشعبي انما سمي الهوى لانه يهوي بصاحبه في النار ﴿وأضله الله على علم ﴾ منه بعاقبة أمره وقيل على ماسبق في علمه انه ضال قبل أن يخلقه ﴿وختم ﴾ طبع ﴿على سمعه ﴾ فلم يسمع الهدى ﴿وقلبه ﴾ فلم يعقل الهدى ﴿ وجعل على بصره غشاوة ﴾

قرأ حمزة والكسائي غشوة بفتح الغين وسكون الشين والباقون غشاوة ظلمة فهو لايبصر الهدى ﴿ فمن يهديه من بعد الله؟ ﴾ أي فمن يهديه بعد أن أضله الله ﴿ أفلا تذكرون * وقالوا ﴾ يعني منكري

ماهي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا) أي ماثم إلا هذه الدار يموت قوم ويعيش آخرون وما ثم معاد ولا قيامة وهذا يقوله مشركو العرب المنكرون المعاد وتقوله الفلاسفة الالهيون منهم وهم ينكرون البداءة والرجعة وتقوله الفلاسفة الدهرية الدورية المنكرون للصانع المعتقدون ان في كل ستة وثلاثين ألف سنة يعود كل شيء إلى ماكان عليه وزعموا أن هذا قد تكرر مرات لاتتناهى فكابروا المعقول وكذبوا المنقول ولهذا قالوا (وما يهلكنا إلا الدهر) قال الله تعالى [وما لهم بذلك من علم إن هم الا يظنون] أي يتوهمون ويتخيلون . فأما الحديث الذي أخرجه صاحبا الصحيح وأبو داود والنسائي من رواية سفيان بن عيينة عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « يقول الله تعالى يؤذيني ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر ، بيدي الامر أقلب ليله ونهاره » وفي رواية « لاتسبوا الدهر فان الله تعالى هو الدهر »

وقد أورده ابن جرير بسياق غريب جدا فقال : حدثنا أبو كريب حدثنا سفيان بن عيينة عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال « كان أهل الجاهلية يقولون انما يهلكنا الليل والنهار وهو الذي يهلكنا يميتنا ويحيينا فقال الله تعالى في كتابه (وقالوا ماهي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر) ويسبون الدهر فقال الله عز وجل « يؤذيني ابن ادم يسب الدهر وأنا الدهر بيدى الامر أقلب الليل والنهار »

وكذا رواه ابن أبي حاتم عن أحمد بن منصور عن شريح بن النعمان عن ابن عيينة مثله، ثم روي عن يونس عن ابن وهب عن الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « قال الله تعالى يسب ابن آدم الدهر وأنا الدهر بيدي الليل والنهار » وأخرجه صاحبا الصحيح والنسائي من حديث يونس بن يزيد به

البعث ﴿ ماهي الا حياتنا الدنيا ﴾ أي ما الحياة الا حياتنا الدنيا ﴿ نموت ونحيا ﴾ أي يموت الآباء ويحيا الابناء ، وقال الزجاج يعني نحن نموت ونحيا فالوا والاجتماع ﴿ وما يهلكنا الا الدهر ﴾ أي وما يفنينا الا مر الزمان وطول العمر واختلاف الليل والنهار ﴿ وما لهم بذلك ﴾ أي الذي قالوه ﴿من علم﴾ أي لم يقولوه عن علم علموه ﴿ ان هم إلا يظنون ﴾

أخبرنا أبو علي حسان بن سعيد المنيعي أنا أبو طاهر محمد بن محمد بن محمش الزيادي أنا أبو بكر محمد بن الحسين القطان ثنا ابو الحسن احمد بن يوسف السلمي ثنا عبد الرزاق أنا معمر عن همام بن منبه ثنا أبو هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « قال الله تعالى لا يقل ابن آدم ياخيبة الدهر فاني أنا الدهر أرسل الليل والنهار فاذا شئت قبضتهما»

أخبرنا أبو سعيد عبد الله بن احمد الطاهري ثنا جدي عبد الصمد بن عبد الرحمن البزار أنا محمد

وقال محمد بن اسحاق عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « يقول الله تعالى استقرضت عبدي فلم يعطني وسبني عبدي يقول وادهراه وأنا الدهر » قال الشافعي وأبو عبيدة وغيرهما من الائمة في تفسير قوله ﷺ « لا تسبوا الدهر فان الله هو الدهر » كانت العرب في جاهليتها اذا أصابهم شدة أو بلاء أو نكبة قالوا ياخيبة الدهر فيسندون تلك الافعال إلى الدهر ويسبونه وانما فاعلها هو الله تعالى فكأنهم انما سبوا الله عز وجل لأنه فاعل ذلك في الحقيقة فلهذا نهي عن سب الدهر بهذا الاعتبار لان الله تعالى هو الدهر الذي يعنونه ويسندون اليه تلك الافعال هذا أحسن ماقيل في تفسيره وهو المراد والله أعلم ، وقد غلط ابن حزم ومن نحا نحوه من الظاهرية في عدهم الدهر من الاسماء الحسنى أخذاً من هذا الحديث

وقوله تعالى (واذا تتلى عليهم آياتنا بينات) أى اذا استدل عليهم وبين لهم الحق وأن الله تعالى قادر على اعادة الابدان بعد فنائها وتفرقها [ماكان حجتهم إلا أن قالوا ائتوا بآبائنا إن كنتم صادقين] أى أحيوهم إن كان ماتقولونه حقا قال الله تعالى [قل الله يحييكم) أي كما تشاهدون ذلك يخرجكم من العدم الى لوجود (كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فاحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ؟) [ثم يميتكم] أى الذي قدر على البداءة قادر على الاعادة بطريق الاولى والاحرى (وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه) [ثم يجمعكم إلى يوم القيامة لاريب فيه] أى انما يجمعكم الى يوم القيامة لايعيدكم في الدنيا حتى تقولوا [ائتوا بآبائنا إن كنتم صادقين] (يوم يجمعكم ليوم الجمع - لأي يوم أجلت - ليوم الفصل - وما نؤخره إلا لأجل معدود) وقال ههنا [ثم يجمعكم الى يوم القيامة لاريب فيه] أى لاشك فيه [ولكن أكثر الناس لا يعلمون] أى فلهذا ينكرون المعاد ويستبعدون قيام الاجساد قال الله تعالى [إنهم يرونه بعيداً ونراه قريبا] أى يرون وقوعه بعيداً والمؤمنون يرون ذلك سهلا قريبا

وللهِ مُلكُ السمٰوات والارض ويوم تقوم الساعة يومئذ يَخسَر المبطلون (٢٧) وترى

ابن زكريا العذافري أنا اسحاق بن ابراهيم الدبري ثنا عبد الرزاق أنا معمر عن أيوب عن ابن سيرين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « لا يسب احدكم الدهر فان الله هو الدهر ولا يقولن للعنب الكرم فان الكرم هو الرجل المسلم » ومعنى الحديث أن العرب كان من شأنهم ذم الدهر وسبه عند النوازل لأنهم كانوا ينسبون اليه ما يصيبهم من المصائب والمكاره فيقولون أصابتهم قوارع الدهر وأبادهم الدهر كما أخبر الله تعالى عنهم وما يهلكنا الا الدهر فاذا أضافوا الى الدهر مانالهم من الشدائد سبوا فاعلها وكان مرجع سبهم الى الله عز وجل إذ هو الفاعل في الحقيقة للامور التي يضيفونها الى الدهر فنهوا عن سب الدهر ﴿ واذا تتلى عليهم آياتنا بينات ما كان حجتهم إلا أن قالوا ائتوا بآبائنا ان كنتم صادقين * قل الله يحييكم ثم يميتكم ثم يجمعكم الى يوم القيامة ﴾ أي ليوم القيامة ﴿ لا ريب فيه ولكن أكثر الناس لا يعلمون * ولله ملك السموات والارض ويوم تقوم الساعة يومئذ

كل أمة جاثية كل أمة تدعى الى كتـبها اليوم تجزون ما كنتم تعملون (٢٨) هذا كتـبنا ينطق عليكم بالحق إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون (٢٩)

يخبر تعالى انه مالك السموات والارض والحاكم فيهما في الدنيا والآخرة ولهذا قال عز وجل (ويوم تقوم الساعة) أي يوم القيامة (يخسر المبطلون) وهم الكافرون بالله الجاحدون بما أنزله على رسله من الآيات البينات والدلائل الواضحات

وقال ابن أبي حاتم قدم سفيان الثوري المدينة فسمع المعافري يتكلم ببعض ما يضحك به الناس فقال له ياشيخ أما علمت ان لله تعالى يوما يخسر فيه المبطلون ؟ قال فما زالت تعرف في المعافري حتى لحق بالله تعالى ذكره ابن أبي حاتم

ثم قال تعالى (وترى كل أمة جاثية) أي على ركبها من الشدة والعظمة ويقال إن هذا اذا جيء بجهنم فانها تزفر زفرة لا يبقى أحد الا جثا لركبتيه حتى ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام ويقول نفسي نفسي نفسي لا أسألك اليوم الا نفسي وحتى ان عيسى عليه الصلاة والسلام ليقول لا أسألك اليوم الا نفسي لا أسألك مريم التي ولدتني . قال مجاهد وكعب الاحبار والحسن البصري (كل أمة جاثية) أي على الركب وقال عكرمة جاثية متميزة على ناحيتها وليس على الركب والاول أولى

قال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن عبد الله بن يزيد المقري حدثنا سفيان بن عيينة عن عمرو عن عبد الله بن باباه أن رسول الله ﷺ قال « كأني أراكم جاثين بالكوم دون جهنم »

وقال اسمعيل أبي بن رافع المدني عن محمد بن كعب عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا في حديث الصور فيتميز الناس وتجثو الامم وهي التي يقول الله تعالى (وترى كل أمة جاثية) كل أمة تدعى الى كتابها وهذا فيه جمع بين القولين ولا منافاة والله أعلم

وقوله عز وجل (كل أمة تدعى الى كتابها) يعني كتاب أعمالها كقوله جل جلاله (ووضع الكتاب وجيء بالنبيين والشهداء) ولهذا قال سبحانه وتعالى (اليوم تجزون ما كنتم تعملون) أي

يخسر المبطلون ﴾ يعني الكافرين الذين هم أصحاب الاباطيل يظهر في ذلك اليوم خسرانهم بأن يصيروا الى النار ﴿ وترى كل أمة جاثية ﴾ باركة على الركب وهي جلسة المخاصم بين يدي الحاكم ينتظر القضاء من الله ، قال سلمان الفارسي إن في القيامة ساعة هي عشر سنين يخر الناس فيها جثاة على ركبهم حتى ابراهيم عليه السلام ينادي ربه لا أسألك الا نفسي ﴿ كل أمة تدعى الى كتابها ﴾ الذي فيه أعمالهم وقرأ ابن يعقوب كل أمة نصب ويقال لهم ﴿ اليوم تجزون ما كنتم تعملون * هذا كتابنا ﴾ يعني

تجازون بأعمالكم خيرها وشرها كقوله عز وجل (ينبأ الانسان يومئذ بما قدم وأخر * بل الانسان على نفسه بصيرة ولو ألقى معاذيره) ولهذا قال جلت عظمته (هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق) أي يستحضر جميع أعمالكم من غير زيادة ولا نقص كقوله جل جلاله (ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا مالهذا الكتاب لايغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك أحدا) وقوله عز وجل (انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون) أي انا كنا نأمر الحفظة ان تكتب أعمالكم عليكم قال ابن عباس رضي الله عنهما وغيره تكتب الملائكة أعمال العباد ثم تصعد بها الى السماء فيقابلون الملائكة الذين في ديوان الاعمال على ما بأيدي الكتبة مما قد أبرز لهم من اللوح المحفوظ في كل ليلة قدر مما كتبه الله في القدم على العباد قبل ان يخلقهم فلا يزيد حرفا ولا ينقص حرفا ثم قرأ [انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون]

فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم ربهم في رحمته ذلك هو الفوز المبين (٣٠) وأما الذين كفروا أفلم تكن آياتي تتلى عليكم فاستكبرتم وكنتم قوما مجرمين ؟ (٣١) واذا قيل ان وعد الله حق والساعة لا ريب فيها قلتم ما ندري ما الساعة ، ان نظن الا ظنًا وما نحن بمستيقنين (٣٢) وبدا لهم سيئات ما عملوا وحاق بهم ما كانو به يستهزءون (٣٣) وقيل اليوم ننساكم كما نسيتم لقاء يومكم هذا ومأواكم النار وما لكم من ناصرين (٣٤) ذلكم بأنكم اتخذتم آيات الله هزواً وغرّتكم الحيوة الدنيا فاليوم لا يُخرجون منها ولاهم يُستعتبون (٣٥) فلله الحمد رب السموات ورب الارض رب العالمين (٣٦) وله الكبرياء في السموات والارض وهو العزيز الحكيم (٣٧)

ديوان الحفظة ﴿ ينطق عليكم بالحق ﴾ يشهد عليكم ببيان شاف فكأنه ينطق وقيل المراد بالكتاب اللوح المحفوظ ﴿ انا كنا نستنسخ ماكنتم تعملون ﴾ أي نأمر الملائكة بنسخ أعمالكم أي بكتبها واثباتها عليكم وقيل نستنسخ أي نأخذ نسخته وذلك ان الملكين يرفعان عمل الانسان فيثبت الله منه ما كان له فيه ثواب أو عقاب ويطرح منه اللغو ، نحو قولهم ، هلم واذهب ، وقيل الاستنساخ من اللوح المحفوظ تنسخ الملائكة كل عام ما يكون من أعمال بني آدم ، والاستنساخ لا يكون الا من أصل فينسخ كتاب من كتاب ، وقال الضحاك نستنسخ أي نثبت ، وقال السدي نكتب ، وقال الحسن نحفظ ﴿ فأما

يخبر تعالى عن حكمه في خلقه يوم القيامة فقال تعالى [فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات] أي آمنت قلوبهم وعملت جوارحهم الاعمال الصالحة وهي الخالصة الموافقة للشرع [فيدخلهم ربهم في رحمته] وهي الجنة كما ثبت في الصحيح ان الله تعالى قال للجنة أنت رحمتي ارحم بك من أشاء [ذلك هو الفوز المبين] أي البين الواضح

ثم قال تعالى [وأما الذين كفروا أفلم تكن آياتي تتلى عليكم فاستكبرتم ؟] أي يقال لهم ذلك تقريعا وتوبيخا أما قرئت عليكم آيات الله تعالى فاستكبرتم عن اتباعها وأعرضتم عن سماعها وكنتم قوما مجرمين في أفعالكم مع ما اشتملت عليه قلوبكم من التكذيب ؟ (وإذا قيل ان وعد الله حق والساعة لا ريب فيها) أي إذا قال لكم المؤمنون ذلك [قلتم ما ندري ما الساعة] أي لا نعرفها [ان نظن الا ظنا] أي إن نتوهم وقوعها إلا توهما أي مرجوحا ولهذا قال (وما نحن بمستيقنين) أي بمتحققين

قال الله تعالى (وبدا لهم سيئات ما عملوا) أي وظهر لهم عقوبة أعمالهم السيئة (وحاق بهم) أي أحاط بهم (ما كانوا به يستهزئون) أي من العذاب والنكال [وقيل اليوم ننساكم] أي نعاملكم معاملة الناسي لكم في نار جهنم [كما نسيتم لقاء يومكم هذا] أي فلم تعملوا له لانكم لم تصدقوا به [ومأواكم النار وما لكم من ناصرين]

وقد ثبت في الصحيح ان الله تعالى يقول لبعض العبيد يوم القيامة « ألم أزوجك؟ ألم أكرمك؟ ألم أسخر لك الخيل والابل وأذرك ترأس وتربع ؟ فيقول بلى يارب فيقول أفظننت أنك ملاقي ؟ فيقول لا فيقول الله تعالى فاليوم انساك كما نسيتني »

قال الله تعالى (ذلكم بأنكم اتخذتم آيات الله هزوا) أي انما جازيناكم هذا الجزاء لانكم اتخذتم حجج الله عليكم سخريا تسخرون وتستهزئون بها [وغرتكم الحياة الدنيا] أى خدعتكم فاطمأننتم اليها فاصبحتم من الخاسرين ولهذا قال عز وجل [فاليوم لا يخرجون منها] أى من النار [ولا هم يستعتبون]

الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم ربهم في رحمته ذلك هو الفوز المبين ﴾ الظفر الظاهر ﴿ وأما الذين كفروا ﴾ يقال لهم ﴿ أفلم تكن آياتي تتلى عليكم فاستكبرتم وكنتم قوما مجرمين؟﴾ متكبرين كافرين ﴿واذا قيل إن وعد الله حق والساعة لاريب فيها ﴾ قرأ حمزة والساعة نصب عطفها على الوعد وقرأ الآخرون بالرفع على الابتداء ﴿ قلتم ما ندري ما الساعة ان نظن الا ظنا ﴾ أي ما نعلم ذلك الا حدسا وتوهما ﴿ وما نحن بمستيقنين ﴾ انها كائنة ﴿ وبدا لهم ﴾ في الآخرة ﴿ سيئات ما عملوا﴾ في الدنيا أي جزاؤها ﴿ وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون * وقيل اليوم ننساكم ﴾ نترككم في النار ﴿ كما نسيتم لقاء يومكم هذا ﴾ تركتم الايمان والعمل للقاء هذا اليوم ﴿ ومأواكم النار وما لكم من ناصرين * ذلكم بأنكم اتخذتم آيات الله هزوا وغرتكم الحيوة الدنيا ﴾ حتى قلتم لا بعث ولا حساب ﴿ فاليوم لا يخرجون منها ﴾

أي يطلب منهم العتبى بل يعذبون بغير حساب ولا عتاب كما تدخل طائفة من المؤمنين بغير عذاب ولا حساب . ثم لما ذكر تعالى حكمه في المؤمنين والكافرين قال [فلله الحمد رب السموات ورب الارض] أي المالك لهما وما فيهما ولهذا قال [رب العالمين] ثم قال جل وعلا [وله الكبرياء في في السموات والارض] قال مجاهد يعني السلطان أي هو العظيم الممجد الذي كل شيء خاضع لديه فقير اليه

وقد ورد في الحديث الصحيح « يقول الله تعالى العظمة ازاري ، والكبرياء ردائي فمن نازعني واحداً منهما اسكنته ناري » رواه مسلم من حديث الاعمش عن أبي اسحاق عن الأغر أبي مسلم عن أبي هريرة وأبي سعيد رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ بنحوه ، وقوله تعالى [وهو العزيز] أي الذي لا يغالب ولا يمانع [الحكيم] في اقواله وأفعاله وشرعه وقدره تعالى وتقدس لا إله إلا هو

آخر تفسير سورة الجاثية ولله الحمد والمنة

وبه التوفيق والعصمة

قرأ حمزة والكسائي بفتح الياء وضم الراء وقرأ الآخرون بضم الياء وفتح الراء ﴿ولا هم يستعتبون﴾ لا يطلب منهم أن يرجعوا الى طاعة الله لانه لا يقبل ذلك اليوم عذر ولا توبة ﴿فلله الحمد رب السموات ورب الارض رب العالمين * وله الكبرياء﴾ العظمة ﴿في السموات والارض وهو العزيز الحكيم﴾

أخبرنا الامام ابو علي الحسين بن محمد القاضي ثنا السيد ابو الحسن محمد بن الحسين العلوي أنا أبو حامد أحمد بن محمد بن الحسن الشرقي ثنا احمد بن حفص وعبدالله بن محمد الفراء وقطن بن ابراهيم قالوا أنا حفص بن عبد الله حدثني ابراهيم بن طهمان عن عطاء بن السائب عن الاغر أبي مسلم عن أبي هريرة رضي الله قال « قال رسول الله ﷺ يقول الله عز وجل الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمن نازعني في واحد منهما أدخلته النار »



تفسير سورة الاحقاف وهى مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

حم (١) تنزيل الكتب من الله العزيز الحكيم (٢) ماخلقنا السموٰت والارض وما بينهما الا بالحق وأجل مسمى والذين كفروا عما أنذروا معرضون (٣) قل أرأيتم ماتدعون من دون الله؟ أروني ماذا خلقوا من الارض أم لهم شرك في السموٰات ائتوني بكتب من قبل هذا أو أثرة من علم ان كنتم صدقين (٤) ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له الى يوم القيٰمة وهم عن دعائهم غفلون؟ (٥) واذا حشر الناس كانوا لهم أعداءً وكانوا بعبادتهم كفرين (٦)

يخبر تعالى انه انزل الكتاب على عبده ورسوله محمد ﷺ صلوات الله وسلامه عليه دائما الى يوم الدين ووصف نفسه بالعزة التي لاترام، والحكمة في الاقوال والافعال ثم قال تعالى [ماخلقنا السموات والارض وما بينهما إلا بالحق] أي لاعلى وجه العبث والباطل [وأجل مسمى] أي والى مدة معينة مضروبة لاتزيد ولا تنقص

وقوله تعالى [والذين كفروا عما انذروا معرضون] أي لاهون عما يراد بهم وقد انزل الله تعالى اليهم كتابا وارسل اليهم رسولا وهم معرضون عن ذلك كله أي وسيعلمون غب ذلك

ثم قال تعالى (قل) أي لهؤلاء المشركين العابدين مع الله غيره (أرأيتم ماتدعون من دون الله أروني ماذا خلقوا من الارض؟) أي ارشدوني الى المكان الذي استقلوا بخلقه من الارض (أم لهم شرك في السموات؟) أي ولا شرك لهم في السموات ولا في الارض وما يملكون من قطمير ان الملك

﴿ سورة الاحقاف مكية وهي خمس وثلاثون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ حم * تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم * ما خلقنا السموات والارض وما بينهما إلا بالحق وأجل مسمى ﴾ يعني يوم القيامة وهو الاجل الذي تنتهي اليه السموات والارض وهو إشارة إلى فنائهما ﴿ والذين كفروا عما أنذروا ﴾ خوفوا به في القرآن من البعث والحساب ﴿ معرضون * قل أرأيتم ماتدعون من دون الله أروني ماذا خلقوا من الارض ؟ أم لهم شرك في السموات؟ ائتوني بكتاب

والتصرف كله إلا لله عز وجل فكيف تعبدون معه غيره وتشركون به من أرشدكم الى هذا من دعاكم اليه أهو امركم به ؟ أم هو شيء اقترحتموه من عند انفسكم ولهذا قال (ائتوني بكتاب من قبل هذا) أي هاتوا كتابا من كتب الله المنزلة على الانبياء عليهم الصلاة والسلام يأمركم بعبادة هذه الاصنام (أو أثارة من علم) أي دليل بين على هذا المسلك الذي سلكتموه [ان كنتم صادقين] أي لا دليل لكم لا نقليا ولا عقليا على ذلك ولهذا قرأ آخرون أو اثرة من علم أي أو علم صحيح تأثرونه عن أحد ممن قبلكم كما قال مجاهد في قوله تعالى [أو أثارة من علم] أو أحد يأثر علما وقال العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما أو بينة من الامر

وقال الامام احمد حدثنا يحيى عن سفيان عن صفوان بن سليم عن أبي سلمة بن عبدالرحمن عن ابن عباس رضي الله عنهما قال سفيان لا أعلم إلا عن النبي ﷺ أو أثرة من علم قال الخط وقال أبو بكر بن عياش أو بقية من علم وقال الحسن البصري أو أثارة شي يستخرجه فيثيره وقال ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وأبو بكر بن عياش ايضا أو أثارة من علم يعنى الخط وقال قتادة أو أثارة من علم خاصة من علم وكل هذه الاقوال متقاربة وهي راجعة الى ماقلناه وهو اختيار ابن جرير رحمه الله واكرمه وأحسن مثواه

وقوله تبارك وتعالى [ومن اضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له الى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون؟] اي لا أضل ممن يدعو من دون الله اصناما ويطلب منها مالا تستطيعه الى يوم القيامة وهي غافلة عما يقول لاتسمع ولا تبصر ولا تبطش لانها جماد حجارة صم

وقوله تبارك وتعالى [واذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين] كقوله عز وجل [واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا * كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا] أي سيخونونهم احوج مايكونون اليهم وقال الخليل عليه الصلاة والسلام [انما اتخذتم من دون الله اوثانا مودة بينكم في الحياة الدنيا ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا ومأواكم النار وما لكم من ناصرين]

من قبل هذا ﴾ أي بكتاب جاءكم من الله قبل القرآن فيه بيان ما تقولون ﴿ أو أثارة من علم ﴾ قال الكلبي أي بقية من علم يؤثر عن الاولين أو يسند اليهم . قال مجاهد وعكرمة ومقاتل رواية عن الانبياء وقال قتادة خاصة من علم وأصل الكلمة من الاثر وهو الرواية ، يقال أثرت الحديث أثراً وإثارة ومنه قيل للخبر أثر ﴿ ان كنتم صادقين * ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له ﴾ يعني الاصنام لا تجيب عابديها الى شيء يسألونها ﴿ الى يوم القيامة ﴾ يعني أبداً ما دامت الدنيا ﴿ وهم عن دعائهم غافلون ﴾ لانها جماد لا تسمع ولا تفهم ﴿ واذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم

و إذا تتلى عليهم آيـٰتنا بينـٰت قال الذين كفروا للحق لما جاءهم هذا سحر مبين (٧)
أم يقولون افترىٰه ؟ قل ان افتريته فلا تملكون لي من الله شيئا هو أعلم بما تفيضون فيه كفى
به شهيداً بيني وبينكم وهو الغفور الرحيم (٨) قل ما كنت بدعا من الرسل وما أدري
ما يفعل بي ولا بكم إن أتبع الا مايوحى إلي وما أنا الا نذير مبين (٩)

يقول عز وجل مخبرا عن المشركين في كفرهم وعنادهم أنهم إذا تتلى عليهم آيات الله بينات أي في حال بيانها ووضوحها وجلائها يقولون (هـٰذا سحر مبين) أي سحر واضح وقد كذبوا وافتروا وضلوا وكفروا (أم يقولون افتراه ؟) يعنون محمداً ﷺ

قال الله عز وجل (قل ان افتريته فلا تملكون لي من الله شيئا) أي لو كذبت عليه وزعمت أنه أرسلني وليس كذلك لعاقبني أشد العقوبة ولم يقدر أحد من أهل الارض لا أنتم ولا غيركم أن يجيرني منه كقوله تبارك وتعالى (قل إني لن يجيرني من الله أحد ولن أجد من دونه ملتحدا * إلا بلاغا من الله ورسالاته) وقال تعالى (ولو تقول علينا بعض الاقاويل * لأخذنا منه باليمين * ثم لقطعنا منه الوتين * فما منكم من أحد عنه حاجزين) ولهذا قال سبحانه وتعالى ههنا (قل ان افتريته فلا تملكون لي من الله شيئا هو أعلم بما تفيضون فيه كفى به شهيدا بيني وبينكم) هذا تهديد لهم ووعيد أكيد وترهيب شديد : وقوله جل وعلا (وهو الغفور الرحيم) ترغيب لهم إلى التوبة والانابة أي ومع هذا كله ان رجعتم وتبتم تاب عليكم وعفا عنكم وغفر ورحم وهذه الآية كقوله عز وجل في سورة الفرقان (وقالوا أساطير الاولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلا قل أنزله الذي يعلم السر في السموات والارض انه كان غفورا رحيما)

وقوله تبارك وتعالى (قل ما كنت بدعا من الرسل) أي لست بأول رسول طرق العالم بل قد

كافرين ﴿ جاحدين بيانه قوله (تبرأنا اليك ما كانوا إيانا يعبدون) ﴿ وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا للحق لما جاءهم هذا سحر مبين ﴾ يسمون القرآن سحراً ﴿ أم يقولون افتراه ؟ ﴾ محمد من قبل نفسه ، فقال الله عز وجل ﴿ قل ﴾ يا محمد ﴿ ان افتريته فلا تملكون لي من الله شيئا ﴾ لا تقدرون أن تردوا عني عذابه ان عذبني على افترائي فكيف أفتري على الله من أجلكم ؟ ﴿ هو أعلم ﴾ أي الله أعلم ﴿ بما تفيضون فيه ﴾ تخوضون فيه من التكذيب بالقرآن والقول فيه انه سحر ﴿ كفى به شهيداً بيني وبينكم ﴾ ان القرآن جاء من عنده ﴿ وهو الغفور الرحيم ﴾ في تأخير العذاب عنكم

قال الزجاج هذا دعاء لهم الى التوبة معناه إن الله عز وجل غفور لمن تاب منكم رحيم به ﴿ قل ما كنت بدعا من الرسل ﴾ أي بديعا مثل نصف ونصيف وجمع البدع أبداع أي لست بأول مرسل، قد بعث

جاءت الرسل من قبلي فما أنا بالامر الذي لا نظير له حتى تستنكروني وتستبعدون بعثتي اليكم فانه قد أرسل الله جل وعلا قبلي جميع الانبياء إلى الامم قال ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وقتادة [قل ما كنت بدعا من الرسل] ما أنا بأول رسول ولم يحك ابن جرير ولا ابن أبي حاتم غير ذلك

وقوله تعالى [وما أدري مايفعل بي ولا بكم] قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما في هذه الآية نزل بعدها [ليغفر لك الله ماتقدم من ذنبك وما تأخر] وهكذا قال عكرمة والحسن وقتادة انها منسوخة بقوله تعالى [ليغفر لك الله ماتقدم من ذنبك وما تأخر] قالوا ولما نزلت هذه الآية قال رجل من المسلمين هذا قد بين الله تعالى ماهو فاعل بك يارسول الله فما هو فاعل بنا؟ فأنزل الله تعالى [ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار] هكذا قال والذي هو ثابت في الصحيح أن المؤمنين قالوا هنيئا لك يارسول الله فما لنا؟ فأنزل الله سبحانه وتعالى هذه الآية وقال الضحاك [وما أدري مايفعل بي ولا بكم] أي ماأدري بماذا أومر وبماذا أنهى بعد هذا؟ وقال ابو بكر الهذلي عن الحسن البصري في قوله تعالى [وما أدري مايفعل بي ولا بكم] قال أما في الآخرة فمعاذ الله وقد علم أنه في الجنة ولكن قال لاأدري مايفعل بي ولا بكم في الدنيا أخرج كما أخرجت الانبياء عليهم الصلاة والسلام من قبلي؟ أم أقتل كما قتلت الانبياء من قبلي ولاأدرى أيخسف بكم أو ترمون بالحجارة وهذا القول هو الذى عول عليه ابن جرير وأنه لايجوز غيره ولا شك أن

قبلي كثير من الانبياء فكيف تنكرون نبوتي ﴿وما أدري ما يفعل بي ولا بكم؟﴾ اختلف العلماء في معنى هذه الآية فقال بعضهم معناه ما أدري ما يفعل بي ولا بكم يوم القيامة؟ فلما نزلت هذه الآية فرح المشركون فقالوا واللات والعزى ما أمرنا وأمر محمد عند الله الا واحد وما له علينا من مزية وفضل ولولا انه ابتدع ما يقوله من ذات نفسه لأخبره الذي بعثه بما يفعل به فأنزل الله (ليغفر لك الله ماتقدم من ذنبك وما تأخر) فقالت الصحابة هنيئا لك يا نبي الله، قد علمنا ما يفعل بك، فما ذا يفعل بنا؟ فأنزل الله تعالى (ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات) الآية وأنزل (وبشر المؤمنين بان لهم من الله فضلا كبيراً) فبين الله تعالى ما يفعل به وبهم وهذا قول أنس وقتادة والحسن وعكرمة قالوا انما قال هذا قبل أن يخبر بغفران ذنبه وإنما أخبر بغفران ذنبه عام الحديبية فنسخ ذلك

أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي أنا ابو الحسين علي بن محمد بن عبد الله بن بشران انا اسماعيل ابن محمد الصفار ثنا احمد بن منصور الرمادي ثنا عبد الرزاق انا معمر عن الزهري عن خارجة بن زيد قال كانت أم العلاء الانصارية تقول لما قدم المهاجرون المدينة اقترعت الانصار على سكناهم قالت فطار لنا عثمان بن مظعون في السكنى فمرض فمرضناه، ثم توفي فجاء رسول الله ﷺ فدخل فقلت رحمة الله عليك أبا السائب فشهادتي عليك أن قد أكرمك الله، فقال النبي ﷺ «وما يدريك ان الله قد أكرمه؟» فقلت لا والله لا أدري، فقال النبي ﷺ «أما هو فقد أتاه اليقين من ربه وإني لأرجو

هذا هو اللائق به ﷺ فانه بالنسبة الي الآخرة جازم أنه يصير الى الجنة هو ومن اتبعه ، وأما في الدنيا فلم يدر ما كان يؤل اليه أمره وأمر مشركي قريش الى ماذا يؤمنون أم يكفرون فيعذبون فيستأصلون بكفرهم ، فأما الحديث الذي رواه الامام أحمد حدثنا يعقوب حدثنا أبي عن ابن شهاب عن خارجة بن زيد بن ثابت عن أم العلاء وهي امرأة من نسائهم أخبرته وكانت بايعت رسول الله ﷺ قالت طار لهم في السكنى حين اقترعت الانصار على سكنى المهاجرين عثمان بن مظعون رضي الله عنه فاشتكى عثمان رضي الله عنه عندنا فمرضناه حتى اذا توفى أدرجناه في أثوابه فدخل علينا رسول الله ﷺ فقلت رحمة الله عليك أبا السائب شهادتي عليك لقد أكرمك الله عز وجل فقال رسول الله ﷺ « وما يدريك أن الله تعالى أكرمه ؟ » فقلت لا أدري بأبي أنت وأمي فقال رسول الله ﷺ « أما هو فقد جاءه اليقين من ربه واني لأرجو له الخير ، والله ما أدري وأنا رسول الله ما يفعل بي » قالت فقلت والله لا أزكي أحداً بعده أبدا وأحزنني ذلك فنمت فرأيت لعثمان رضي الله عنه عينا تجري فجئت إلى رسول الله ﷺ فأخبرته بذلك فقال رسول الله ﷺ « ذاك عمله » فقد انفرد باخراجه البخاري دون مسلم ، وفي لفظ له « ما أدري وأنا رسول الله ﷺ ما يفعل به » وهذا أشبه أن يكون هو المحفوظ بدليل قولها فأحزنني ذلك وفي هذا وأمثاله دلالة على أنه لا يقطع لمعين بالجنة إلا الذي نص الشارع على تعيينهم كالعشرة وابن سلام والعميصاء وبلال وسراقة وعبدالله بن عمرو بن

له الخير والله ما أدري وأنا رسول الله ما يفعل بي ولا بكم » قالت فوالله لا أزكي بعده أحداً أبداً ، قالت ثم رأيت لعثمان بعد في النوم عينا تجري فقصصتها على رسول الله ﷺ فقال « ذاك عمله » وقال جماعة قوله ما أدري ما يفعل بي ولا بكم في الدنيا أما في الآخرة فقد علم انه في الجنة وأن من كذبه فهو في النار ، ثم اختلفوا فيه قال ابن عباس رضي الله عنهما لما اشتد البلاء بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى رسول الله ﷺ فيما يرى النائم وهو بمكة أرضا ذات سباخ ونخل رفعت له يهاجر اليها فقال له أصحابه متى تهاجر الى الارض التي أريت ؟ فسكت ، فأنزل الله تعالى هذه الآية (وما أدري ما يفعل بي ولا بكم) أأترك في مكاني أم أخرج أنا وأنتم إلى الارض التي رفعت لي وقال بعضهم وما أدري ما يفعل بي ولا بكم إلى ما ذا يصير عاقبة أمري وأمركم في الدنيا بأن أقيم معكم في مكانكم أم أخرج كما خرجت الانبياء من قبلي أم أقتل كما قتل الانبياء من قبلي وأنتم أيها المصدقون لا أدري تخرجون معي أم تتركون أم ماذا يفعل بكم أيها المكذبون أترمون بالحجارة من السماء أم يخسف بكم أم أي شيء يفعل بكم كما فعل بالامم المكذبة

ثم أخبر الله عز وجل انه يظهر دينه على الأديان فقال (هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله) وقال في أمته (وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم

حرام والد جابر والقراء السبعين الذين قتلوا ببئر معونة وزيد بن حارثة وجعفر وابن رواحة وماأشبه هؤلاء رضي الله عنهم . وقوله (إن أتبع الا مايوحى إلي) أي انما أتبع ماينزله الله علي من الوحي (وما أنا إلا نذير مبين) أي بين النذارة أمري ظاهر لكل ذي لب وعقل والله أعلم

قل أرءيتم إن كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بني اسرءيل على مثله فآمن واستكبرتم إن الله لايهدي القوم الظلمين (١٠) وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيراً ماسبقونا اليه وإذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا إفك قديم (١١) ومن قبله كتب موسى إماما ورحمة وهذا كتب مصدق لسانا عربيا لينذر الذين ظلموا وبشرى للمحسنين (١٢) إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقموا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون (١٣) أولئك أصحب الجنة خلدين فيها جزاءً بما كانوا يعملون (١٤)

يقول تعالى قل يامحمد لهؤلاء المشركين الكافرين بالقرآن أرأيتم إن كان هذا القرآن [من عند الله وكفرتم به] أى ماظنكم أن الله صانع بكم إن كان هذا الكتاب الذي جئتكم به قد أنزله علي لأبلغكموه وقد كفرتم به وكذبتموه (وشهد شاهد من بنى اسرائيل على مثله) أى وقدشهدت بصدقه وصحته الكتب المتقدمة المنزلة على الانبياء عليهم الصلاة والسلام قبلي بشرت به وأخبرت بمثل ماأخبر هذا القرآن به

وقوله عز وجل (فآمن) أى هذا الذي شهد بصدقه من بنى اسرائيل لمعرفته بحقيقته (واستكبرتم أنتم عن اتباعه ، وقال مسروق فآمن هذا الشاهد بنبيه وكتابه وكفرتم أنتم بنبيكم وكتابكم (إن الله لايهدي القوم الظالمين) وهذا الشاهد اسم جنس يعم عبد الله بن سلام رضي الله عنه وغيره فان

وهم يستغفرون) فأخبر الله ما يصنع به وبأمته هذا قول السدي ﴿ إن أتبع إلا ما يوحى إلي ﴾ أي ما أتبع الا القرآن ولا أبتدع من عندي شيئا ﴿ وما أنا إلا نذير مبين * قل أرأيتم ﴾ معناه اخبروني ما ذا تقولون ﴿ إن كان ﴾ يعني القرآن ﴿ من عند الله وكفرتم به ﴾ أيها المشركون ﴿ وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله ﴾ المثل صلة يعني عليه أي على أنه من عند الله ﴿ فآمن ﴾ يعني الشاهد ﴿ واستكبرتم ﴾ عن الايمان به وجواب قوله [إن كان من عند الله] محذوف على تقدير أليس قد ظلمتم يدل على هذا المحذوف قوله ﴿ ان الله لا يهدي القوم الظالمين ﴾ وقال الحسن جوابه فمن أضل منكم كما قال في سورة السجدة، واختلفوا في هذا الشاهد قال قتادة والضحاك هو عبدالله بن سلام شهد على نبوة المصطفى ﷺ وآمن به واستكبر اليهود فلم يؤمنوا

هذه الآية مكية نزلت قبل اسلام عبد الله بن سلام رضي الله عنه وهذه كقوله تبارك وتعالى [واذا يتلى عليهم قالوا آمنا به انه الحق من ربنا انا كنا من قبله مسلمين] وقال [إن الذين أوتوا العلم من قبله اذا يتلى عليهم يخرون للاذقان سجداً ويقولون سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولا] قال مسروق والشعبي ليس بعبد الله بن سلام هذه الآية مكية واسلام عبد الله بن سلام رضي الله عنه كان بالمدينة . رواه عنهما ابن جرير وابن ابي حاتم واختاره ابن جرير

وقال مالك عن أبي النضر عن عامر بن سعد عن أبيه قال ماسمعت رسول الله ﷺ يقول لأحد يمشي على وجه الارض إنه من أهل الجنة الا لعبد الله بن سلام رضي الله عنه قال وفيه نزلت (وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله) رواه البخاري ومسلم والنسائي من حديث مالك به ، وكذا قال ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد والضحاك وقتادة وعكرمة ويوسف بن عبد الله بن سلام وهلال بن يساف والسدي والثوري ومالك بن أنس وابن زيد أنهم كلهم قالوا إنه عبد الله بن سلام

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا احمد بن عبد الله النعيمي انا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل ثنا عبد الله بن منير سمع عبد الله بن بكر ثنا حميد عن أنس قال سمع عبد الله سلام بقدم رسول الله ﷺ وهو في أرض يخترف فأتى النبي ﷺ فقال إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن الا نبي فما أول أشراط الساعة وما أول طعام أهل الجنة وما ينزع الولد الى ابيه أو الى أمه ؟ قال « أخبرني بهن جبريل آنفا ـ قال جبريل ؟ قال ـ نعم ـ قال ذاك عدو اليهود من الملائكة فقرأ هذه الآية [قل من كان عدواً لجبريل فانه نزله على قلبك باذن الله] ـ أما أول أشراط الساعة فنار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد الحوت ، واذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع الولد واذا سبق ماء المرأة نزعت » قال أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله يارسول الله ان اليهود قوم بهت وانهم ان يعلموا باسلامي من قبل أن تسألهم يبهتوني ، فجاءت اليهود ، فقال لهم « أي رجل عبد الله فيكم ؟ » قالوا خيرنا وابن خيرنا ، وسيدنا وابن سيدنا ، قال « أرأيتم ان أسلم عبد الله بن سلام » قالوا أعاذه الله من ذلك فخرج عبد الله بن سلام . فقال : أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله : فقالوا شرنا وابن شرنا . فانتقصوه . قال هذا الذي كنت أخاف يارسول الله

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل ثنا عبد الله بن يوسف قال سمعت مالكا يحدث عن أبي النضر مولى عمر بن عبيد الله عن عامر ابن سعد بن أبي وقاص عن أبيه قال ما سمعت النبي ﷺ يقول لاحد يمشي على وجه الارض انه من اهل الجنة الا لعبد الله بن سلام وفيه نزلت هذه الآية [وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله] قال لاأدري قال مالك الآية أو في الحديث ، وقال الآخرون الشاهد هو موسى بن عمران

وقوله تعالى (وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيراً ماسبقونا اليه) أي قالوا عن المؤمنين بالقرآن لو كان القرآن خيراً ماسبقنا هؤلاء اليه يعنون بلالا وعماراً وصهيبا وخبابا رضي الله عنهم وأشباههم وأضرابهم من المستضعفين والعبيد والاماء وما ذاك الا لأنهم عند أنفسهم يعتقدون أن لهم عند الله وجاهة وله بهم عناية ، وقد غلطوا في ذلك غلطا فاحشا وأخطؤا خطأ بينا كما قال تبارك وتعالى [وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا] أي يتعجبون كيف اهتدى هؤلاء دوننا ولهذا قالوا [لو كان خيراً ماسبقونا اليه] وأما أهل السنة والجماعة فيقولون في كل فعل وقول لم يثبت عن الصحابة رضي الله عنهم هو بدعة لأنه لو كان خيراً لسبقونا اليه لأنهم لم يتركوا خصلة من خصال الخير إلا وقد بادروا اليها

وقوله تعالى (واذ لم يهتدوا به) أي بالقرآن [فسيقولون هذا افك قديم] أي كذب قديم أي مأثور عن الناس الاقدمين فينتقصون القرآن وأهله وهذا هو الكبر الذي قال رسول الله ﷺ « بطر الحق وغمط الناس » ثم قال تعالى (ومن قبله كتاب موسى) وهوالتوراة [اماما ورحمة وهذا كتاب] يعنى القرآن [مصدق] أي لما قبله من الكتب (لسانا عربيا) أي فصيحا بينا واضحا (لينذر الذين ظلموا وبشرى للمحسنين) أي مشتمل على النذارة للكافرين والبشارة للمؤمنين

وقال الشعبي قال مسروق في هذه الآية والله ما نزلت في عبد الله بن سلام بالمدينة لان آل [حم] نزلت بمكة وانما أسلم عبد الله بن سلام بالمدينة ونزلت هذه الآية في محاجة كانت من رسول الله ﷺ لقومه . ومثل القرآن التوراة فشهد موسى علي التوراة ومحمد ﷺ على القرآن . وكل واحد يصدق الآخر وقيل هو نبى من بني اسرائيل فآمن واستكبرتم فلم تؤمنوا ﴿ وقال الذين كفروا ﴾ من اليهود ﴿ للذين آمنوا لو كان ﴾ دين محمد ﷺ ﴿ خيراً ماسبقونا اليه ﴾ يعني عبد الله بن سلام وأصحابه وقال قتادة نزلت في مشركي مكة . قالوا لو كان مايدعونا اليه محمد خيراً ما سبقنا اليه فلان وفلان وقال الكلبي الذين كفروا أسد وغطفان قالوا للذين آمنوا يعني جهينة ومزينة لو كان ماجاء به محمد خيرا ما سبقنا اليه رعاء البهم قال الله تعالى ﴿ واذ لم يهتدوا به ﴾ يعني بالقرآن كما اهتدى أهل الايمان ﴿ فسيقولون هذا إفك قديم ﴾ كما قالوا أساطير الاولين ﴿ ومن قبله ﴾ أي، ومن قبل القرآن ﴿ كتاب موسى ﴾ يعني التوراة ﴿ اماما ﴾ يقتدى به ﴿ ورحمة ﴾ من الله لمن آمن به ونصبا على الحال عن الكسائي وقال أبو عبيدة فيه اضمار أي جعلناه اماما ورحمة وفي الكلام محذوف تقديره وتقدمه كتاب موسى إماما ولم يهتدوا به كما قال في الآية الاولى وإذ لم يهتدوا به ﴿ وهذا كتاب مصدق ﴾ أى القرآن مصدق للكتب التي قبله ﴿ لسانا عربيا ﴾ نصب على الحال وقيل بلسان عربي ﴿ لينذر الذين ظلموا ﴾ يعني مشركي مكة قرأ أهل الحجاز والشام ويعقوب لتنذر بالتاء على خطاب النبي ﷺ وقرأ الآخرون بالياء يعني الكتاب ﴿ وبشرى للمحسنين ﴾ وبشرى في محل الرفع أي هذا كتاب مصدق وبشرى

وقوله تعالى (إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا) تقدم تفسيرها في سورة حم السجدة ، وقوله تعالى (فلا خوف عليهم) أي فيما يستقبلون (ولا هم يحزنون) على ماخلفوا (أولئك أصحاب الجنة خالدين فيها جزاء بما كانوا يعملون) أي الاعمال سبب لنيل الرحمة لهم وسبوغها عليهم والله أعلم

ووصينا الانسٰنَ بوالديه احسٰنا حملته أمه كُرها ووضعته كرها وحمله وفصٰله ثلٰثون شهراً حتى اذا بلغ أشُدَّه وبلغ أربعين سنةً قال رب أوزعني أن أشكر نعمتَكَ التي أنعمتَ عليَّ وعلى والديَّ وأن أعمَلَ صٰلحا ترضٰه وأصلِح لي في ذريّتي إني تبت اليك وإني من المسلمين (١٥) أولئك الذين نتقبل عنهم أحسنَ ماعمِلوا ونتجاوزُ عن سيئٰتهم في أصحٰب الجنة وعدَ الصدق الذي كانوا يوعدون (١٦)

لما ذكر تعالى في الآية الاولى التوحيد له واخلاص العبادة والاستقامة اليه عطف بالوصية بالوالدين كما هو مقرون في غير ما آية من القرآن كقوله عز وجل [وقضى ربك ألا تعبدوا الا إياه وبالوالدين إحسانا] وقوله جل جلاله [أن اشكرلي ولوالديك الى المصير] الى غير ذلك من الآيات الكثيرة وقال عز وجل ههنا [ووصينا الانسان بوالديه إحسانا] أي أمرناه بالاحسان اليهما والحنو عليهما وقال أبو داود الطيالسي حدثنا شعبة أخبرني سماك بن حرب قال سمعت مصعب بن سعد يحدث عن سعد رضي الله عنه قال قالت أم سعد لسعد أليس قد أمر الله بطاعة الوالدين فلا آكل طعاما ولا أشرب شرابا حتى تكفر بالله تعالى فامتنعت من الطعام والشراب حتى جعلوا يفتحون فاها بالعصا ونزلت هذه الآية (ووصينا الانسان بوالديه إحسانا) الآية ، ورواه مسلم وأهل السنن إلا ابن ماجه من حديث شعبة باسناد نحوه وأطول منه (حملته أمه كرها) أي قاست بسببه في حال حمله مشقة وتعبا من وحم وغشيان وثقل وكرب إلى غير ذلك مما تنال الحوامل من التعب والمشقة (ووضعته كرها) أي بمشقة أيضا من الطلق وشدته [وحمله وفصاله ثلاثون شهرا]

وقد استدل علي رضي الله عنه بهذه الآية مع التي في لقمان (وفصاله في عامين) وقوله تبارك وتعالى

﴿ ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون * أولئك أصحاب الجنة خالدين فيها جزاء بما كانوا يعملون ﴾

قوله عز وجل ﴿ ووصينا الانسان بوالديه حسنا ﴾ وقرأ أهل الكوفة احسانا . كقوله تعالى (وبالوالدين احسانا) ﴿ حملته أمه كرها ووضعته كرها ﴾ يريد شدة الطلق قرأ أهل الحجاز وأبو عمرو كرها بفتح الكاف فيهما وقرأ الآخرون بضمهما ﴿ وحمله وفصاله ﴾ فطامه وقرأ يعقوب وفصله بغير

[والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد يتم الرضاعة] على ان أقل مدة الحمل ستة أشهر وهو استنباط قوي صحيح ووافقه عليه عثمان وجماعة من الصحابة رضي الله عنهم قال محمد بن اسحاق ابن يسار عن يزيد بن عبد الله بن قسيط عن معمر بن عبد الله الجهني قال تزوج رجل منا امرأة من جهينة فولدت له لتمام ستة أشهر فانطلق زوجها الى عثمان رضي الله عنه فذكر ذلك له فبعث اليها فلما قامت لتلبس ثيابها بكت أختها فقالت وما يبكيك فوالله ما التبس بي أحد من خلق الله تعالى غيره قط فيقضي الله سبحانه وتعالى في ما شاء فلما أتي بها عثمان رضي الله عنه أمر برجمها فبلغ ذلك عليا فأتاه فقال له ما تصنع؟ قال ولدت تماما لستة أشهر وهل يكون ذلك؟ فقال له علي رضي الله عنه أما تقرأ القرآن؟ قال بلى قال أما سمعت الله عز وجل يقول (وحمله وفصاله ثلاثون شهرا) وقال (حولين كاملين) فلم نجده بقي الا ستة أشهر قال فقال عثمان رضي الله عنه والله ما فطنت بهذا علي بالمرأة فوجدوها قد فرغ منها قال فقال معمر فوالله ما الغراب بالغراب ولا البيضة بالبيضة بأشبه منه بأبيه فلما رآه أبوه قال ابني والله لا أشك فيه قال وابتلاه الله تعالى بهذه القرحة بوجهه الآكلة مازالت تأكله حتى مات رواه ابن أبي حاتم وقد أوردناه من وجه آخر عند قوله عز وجل (فأنا أول العابدين)

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي ثنا فروة بن أبي المغراء حدثنا علي بن مسهر عن داود بن أبي هند عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: اذا وضعت المرأة لتسعة أشهر كفاه من الرضاع أحد وعشرون شهرا واذا وضعته لسبعة أشهر كفاه من الرضاع ثلاثة وعشرون شهرا واذا وضعته لستة أشهر فحولين كاملين لان الله تعالى يقول (وحمله وفصاله ثلاثون شهرا حتى اذا بلغ أشده) أي قوي وشب وارتجل (وبلغ أربعين سنة) أي تناهى عقله وكمل فهمه وحلمه ويقال انه لا يتغير غالبا عما يكون عليه ابن الاربعين قال أبو بكر بن عياش عن الاعمش عن القاسم بن عبد الرحمن قال قلت لمسروق متى يؤخذ الرجل بذنوبه قال إذا بلغت الاربعين فخذ حذرك

وقال الحافظ أبو يعلى الموصلي حدثنا أبو عبد الله القواريري حدثنا عروة بن قيس الازدي وكان

الف ﴿ثلاثون شهرا﴾ يريد أقل مدة الحمل وهي ستة اشهر واكثر مدة الرضاع اربعة وعشرون شهرا وروى عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنه قال اذا حملت المرأة تسعة اشهر ارضعت احدى وعشرين شهرا واذا حملت ستة أشهر أرضعت أربعة وعشرين شهراً ﴿حتى اذا بلغ اشده﴾ نهاية قوته وغاية شبابه واستوائه وهو ما بين ثماني عشرة سنة الى اربعين سنة فذلك قوله ﴿وبلغ اربعين سنة﴾ وقال السدي والضحاك نزلت في سعد بن ابي وقاص وقد مضت القصة، وقال الآخرون نزلت في ابي بكر الصديق وابيه ابي قحافة عثمان بن عمرو وأمه ام الخير بنت صخر بن عمر وقال علي بن ابي طالب نزلت الآية في أبي بكر اسلم ابواه جميعا ولم يجتمع لاحد من المهاجرين اسلم ابواه غيره اوصاه الله

قد بلغ مائة سنة حدثنا أبو الحسن الكوفي عمرو بن أوس قال قال محمد بن عمرو بن عثمان عن عثمان رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال «العبد المسلم إذا بلغ أربعين سنة خفف الله تعالى حسابه وإذا بلغ ستين سنة رزقه الله تعالى الانابة اليه واذا بلغ سبعين سنة أحبه أهل السماء وإذا بلغ ثمانين سنة ثبت الله تعالى حسناته ومحا سيئاته وإذا بلغ تسعين سنة غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وشفعه الله تعالى في أهل بيته وكتب في السماء أسير الله في أرضه»

وقد روي هذا من غير هذا الوجه وهو في مسند الامام أحمد وقد قال الحجاج بن عبد الله الحكمي أحد أمراء بني أمية بدمشق تركت المعاصي والذنوب أربعين سنة حياء من الناس ثم تركتها حياء من الله عز وجل وما أحسن قول الشاعر

صبا ماصبا حتى علا الشيب رأسه * فلما علاه قال للباطل ابعد

(قال رب أوزعني) أي ألهمني (أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحا ترضاه) أي في المستقبل (وأصلح لي في ذريتي) أي نسلي وعقبي (اني تبت إليك وإني من المسلمين) وهذا فيه ارشاد لمن بلغ الاربعين ان يجدد التوبة والانابة الى الله عز وجل ويعزم عليها

وقد روى أبو داود في سننه عن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يعلمهم أن يقولوا في التشهد «اللهم ألف بين قلوبنا وأصلح ذات بيننا ، واهدنا سبل السلام ، ونجنا من الظلمات إلى النور وجنبنا الفواحش ماظهر منها وما بطن ، وبارك لنا في أسماعنا وأبصارنا وقلوبنا وأزواجنا وذرياتنا ، وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم ، واجعلنا شاكرين لنعمتك مثنين بها عليك قابليها وأتمها علينا ، قال الله عز وجل (أولئك الذين نتقبل عنهم أحسن ماعملوا ونتجاوز عن سيئاتهم في

بهما ولزم ذلك من بعده وكان ابو بكر صحب النبي ﷺ وهو ابن ثماني عشرة سنة والنبي صلى الله عليه وسلم ابن عشرين سنة في تجارة الى الشام فلما بلغ اربعين سنة ونبىء النبي ﷺ آمن به ودعا ربه ﴿ قال رب اوزعني ﴾ الهمني ﴿ ان اشكر نعمتك التي انعمت علي وعلى والدي ﴾ بالهداية والايمان ﴿ وان اعمل صالحا ترضاه ﴾

قال ابن عباس وأجابه الله عز وجل فأعتق تسعة من المؤمنين يعذبون في الله ولم يرد شيئا من الخير الا اعانه الله عليه ودعا ايضا فقال ﴿ وأصلح لي في ذريتي ﴾ فأجابه الله فلم يكن له ولد الا آمنوا جميعا فاجتمع له اسلام ابويه واولاده جميعا فأدرك ابو قحافة النبي ﷺ وابنه ابو بكر وابنه عبد الرحمن ابن ابي بكر وابن عبد الرحمن ابو عتيق كلهم أدركوا النبي ﷺ ولم يكن ذلك لاحد من الصحابة قوله ﴿ اني تبت اليك واني من المسلمين * أولئك الذين نتقبل عنهم أحسن ماعملوا ﴾ يعني أعمالهم الصالحة التي عملوها في الدنيا وكلها حسن والاحسن بمعنى الحسن فيثيبهم عليها ﴿ ونتجاوز عن سيئاتهم ﴾ فلا نعاقبهم عليها قرأ حمزة والكسائي وحفص نتقبل ونتجاوز بالنون أحسن نصب وقرأ الآخرون بالياء وضمها

أصحاب الجنة) أي هؤلاء المتصفون بما ذكرنا التائبون إلى الله المنيبون اليه المستدركون مافات بالتوبة والاستغفار هم الذين نتقبل عنهم أحسن ماعملوا ونتجاوز عن سيئاتهم فيغفر لهم الكثير من الزلل ونتقبل منهم اليسير من العمل في أصحاب الجنة) أي هم في جملة أصحاب الجنة وهذا حكمهم عند الله كما وعد الله عز وجل من تاب اليه وأناب ، ولهذا قال تعالى (وعد الصدق الذي كانوا يوعدون)

قال ابن جرير حدثني يعقوب بن ابراهيم حدثنا المعتمر بن سليمان عن الحكم بن أبان عن الغطريف عن جابر بن زيد عن ابن عباس رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ عن الروح الامين عليه الصلاة والسلام قال « يؤتى بحسنات العبد وسيئاته فيقتص بعضها ببعض فان بقيت حسنة وسع الله تعالى له في الجنة » قال فدخلت على يزداد فحدث بمثل هذا قال قلت فان ذهبت الحسنة قال (أولئك الذين نتقبل عنهم أحسن ماعملوا ونتجاوز عن سيئاتهم في أصحاب الجنة * وعد الصدق الذي كانوا يوعدون) وهكذا رواه ابن أبي حاتم عن أبيه عن محمد بن عبد الاعلى الصنعاني عن المعتمر بن سليمان باسناده مثله وزاد عن الروح الامين . قال قال الرب جل جلاله يؤتى بحسنات العبد وسيئاته فذكره وهو حديث غريب وإسناده جيد لا بأس به

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا سليمان بن معبد حدثنا عمرو بن عاصم الكلائي حدثنا أبو عوانة عن أبي بشر جعفر بن أبي وحشية عن أبي وحشية عن يوسف بن سعد عن محمد بن حاطب قال ونزل في داري حيث ظهر علي رضي الله عنه على أهل البصرة فقال لي يوما لقد شهدت أمير المؤمنين عليا رضي الله عنه وعنده عمار وصعصعة والاشتر ومحمد بن أبي بكر رضي الله عنهم فذكروا عثمان رضي الله عنه فنالوا منه فكان علي رضي الله عنه على السرير ومعه عود في يده فقال قائل منهم إن عندكم من يفصل بينكم فسألوه فقال علي رضي الله عنه كان عثمان رضي الله عنه من الذين قال الله تعالى (أولئك الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا ونتجاوز عن سيئاتهم في أصحاب الجنة * وعد الصدق الذي كانوا يوعدون) قال والله عثمان وأصحاب عثمان رضي الله عنهم قالها ثلاثا قال يوسف فقلت لمحمد بن حاطب آلله لسمعت هذا من علي رضي الله عنه؟ قال آلله لسمعت هذا من علي رضي الله عنه

والذي قال لوالديه أفٍّ لكما أتعدانني أن أخرجَ وقد خلت القرونُ من قبلي وهما يستغيثان الله ويلك آمن إنّ وعد الله حقٌّ ، فيقول ماهذا إلا أساطيرُ الاولين(١٧) أولئك الذين حقّ عليهم القولُ في أمم قد خلت من قبلهم من الجن والانس إنهم كانوا خسرين(١٨)

أحسن رفع ﴿ في أصحاب الجنة ﴾ مع أصحاب الجنة ﴿ وعد الصدق الذي كانوا يوعدون ﴾ وهو قوله عز وجل (وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار) ﴿ والذي قال لوالديه ﴾ إذ

ولكلٍ درجٰت مما عملوا وليوفيهم أعمٰلهم وهم لا يظلمون (١٩) ويوم يُعرض الذين كفروا على النار أذهبتم طيبٰتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها فاليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون في الارض بغير الحق وبما كنتم تفسقون (٢٠)

لما ذكر تعالى حال الداعين للوالدين البارين بهما وما لهم عنده من الفوز والنجاة عطف بحال الاشقياء العاقين للوالدين فقال (والذي قال لوالديه أف لكما) وهذا عام في كل من قال هذا ومن زعم أنها نزلت في عبدالرحمن بن أبي بكر رضي الله عنهما فقوله ضعيف لأن عبدالرحمن بن أبي بكر رضي الله عنهما أسلم بعد ذلك وحسن اسلامه وكان من خيار أهل زمانه وروى العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنها نزلت في ابن لأبي بكر الصديق رضي الله عنهما وفي صحة هذا نظر والله تعالى أعلم

وقال ابن جرير عن مجاهد نزلت في عبدالله بن أبي بكر رضي الله عنهما قاله ابن جريج ، وقال آخرون عبدالرحمن بن أبي بكر رضي الله عنهما ، وهذا أيضا قول السدي وانما هذا عام في كل من عق والديه وكذب بالحق فقال لوالديه أف لكما عقهما

وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا محمد بن العلاء حدثنا يحيى بن أبي زائدة عن اسماعيل بن أبي خالد اخبرني عبدالله بن المديني قال إني لفي المسجد حين خطب مروان فقال ان الله تعالى قد أرى أمير المؤمنين في يزيد رأيا حسنا وإن يستخلفه فقد استخلف أبو بكر عمر رضي الله عنهما فقال عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنهما أهرقلية؟ إن أبا بكر رضي الله عنه والله ماجعلها في أحد من ولده ولا أحد من أهل بيته ولا جعلها معاوية إلا رحمة وكرامة لولده فقال مروان ألست الذي قال لوالديه أف لكما؟ فقال عبد الرحمن رضي الله عنه ألست ابن الذين الذي لعن رسول الله ﷺ أباك قال وسمعتها عائشة رضي الله عنها فقالت يامروان أنت القائل لعبدالرحمن رضي الله عنه كذا وكذا كذبت مافيه نزلت ولكن نزلت في فلان بن فلان ثم انتحب مروان ثم نزل عن المنبر حتى أتى باب حجرتها فجعل يكلمها حتى انصرف

وقد رواه البخاري باسناد آخر ولفظ آخر فقال حدثنا موسى بن اسماعيل حدثنا أبو عوانة عن أبي بشر عن يوسف بن ماهك قال كان مروان على الحجاز استعمله معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما فخطب وجعل يذكر يزيد بن معاوية لكي يبايع له بعد أبيه فقال له عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنهما شيئا فقال خذوه فدخل بيت عائشة رضي الله عنها فلم يقدروا عليه فقال مروان ان

دعواه إلى الايمان بالله والاقرار بالبعث (أف لكما) وهي كلمة كراهية (أتعدانني أن اخرج) من

هذا الذي انزل فيه (والذي قال لوالديه أف لكما أتعدانني أن أخرج وقد خلت القرون من قبلي) فقالت عائشة رضي الله عنها من وراء الحجاب : ما انزل الله عز وجل فينا شيئا من القرآن إلا أن الله تعالى انزل عذري .

﴿ طريق اخرى ﴾ قال النسائي حدثنا علي بن الحسين حدثنا أمية بن خالد حدثنا شعبة عن محمد ابن زياد قال لما بايع معاوية رضي الله عنه لابنه قال مروان سنة أبي بكر وعمر رضى الله عنهما فقال عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنهما سنة هرقل وقيصر فقال مروان هذا الذي انزل الله تعالى فيه [والذي قال لوالديه أف لكما] الآية فبلغ ذلك عائشة رضي الله عنها فقالت كذب مروان والله ماهو به ولو شئت أن اسمي الذي انزلت فيه لسميته ولكن رسول الله ﷺ لعن أبا مروان ومروان في صلبه فمروان نفيض من لعنه الله

وقوله (أتعدانني أن اخرج ؟) أي ابعث (وقد خلت القرون من قبلي) أي مضى الناس فلم يرجع منهم مخبر وهما يستغيثان الله أي يسألان الله فيه أن يهديه ويقولان لولدهما (ويلك آمن ان وعد الله حق فيقول ماهذا إلا أساطير الاولين)

قال الله تعالى (أولئك الذين حق عليهم القول في أمم قد خلت من قبلهم من الجن والانس إنهم كانوا خاسرين) أي دخلوا في زمرة اشباههم واضرابهم من الكافرين الخاسرين أنفسهم واهليهم يوم القيامة وقوله (أولئك) بعد قوله والذي قال دليل على ماذكرناه من أنه جنس يعم كل من كان كذلك وقال الحسن وقتادة هو الكافر الفاجر العاق لوالديه المكذب بالبعث

وقد روى الحافظ ابن عساكر في ترجمة سهل بن داود من طريق همام بن عمار حدثنا حماد بن عبد الرحمن حدثنا خالد الزبرقان الحلبي عن سليم بن حبيب عن أبي امامة الباهلي رضي الله عنه عن[1]

(١) هذا الحديث غير موجود في النسخة المكية

قبري حيا ﴿ وقد خلت القرون من قبلي ﴾ فلم يبعث منهم أحد ﴿ وهما يستغيثان الله ﴾ يستصرخان ويستغيثان الله عليه ويقولان له ﴿ ويلك آمن ان وعد الله حق فيقول ماهذا ﴾ ماهذا الذي تدعواني اليه ﴿ إلا أساطير الاولين ﴾

قال ابن عباس والسدي ومجاهد نزلت في عبد الله ، وقيل في عبد الرحمن بن ابي بكر قبل اسلامه كان أبواه يدعوانه الى الاسلام وهو يأبى ويقول : أحيوا لي عبدالله بن جدعان وعامر بن كعب ومشايخ قريش حتى أسألهم عما تقولون . وأنكرت عائشة رضي الله عنها أن يكون هذا في عبد الرحمن ابن أبي بكر، والصحيح انها نزلت في كافر عاق لوالديه قاله الحسن وقتادة . وقال الزجاج قول من قال انها نزلت في عبد الرحمن بن ابي بكر قبل اسلامه يبطله قوله ﴿ أولئك الذين حق عليهم القول ﴾ الآية. أعلم الله تعالى ان هؤلاء قد حقت عليهم كلمة العذاب وعبد الرحمن مؤمن من أفاضل المسلمين فلا يكون ممن حقت عليه كلمة العذاب ومعنى أولئك الذين حق عليهم القول وجب عليهم العذاب

النبي ﷺ قال « أربعة لعنهم الله تعالى من فوق عرشه وأمنت عليهم الملائكة مضل المساكين قال خالد الذي يهوي بيده الى المسكين فيقول هلم أعطيك فاذا جاءه قال ليس معي شيء ، والذي يقول للماعون ابن (١) وليس بين يديه شيء والرجل يسأل عن دار القوم فيدلونه على غيرها والذي يضرب الوالدين حتى يستغيثا » غريب جدا

وقوله تبارك وتعالى (ولكل درجات مما عملوا) أي لكل عذاب بحسب عمله [وليوفيهم اعمالهم وهم لايظلمون] أي لايظلمهم مثقال ذرة فما دونها قال عبد الرحمن بن زيد بن اسلم درجات النار تذهب سفالا ودرجات الجنة تذهب علوا

(١) كذا في النسخة الاميرية

﴿ في أمم ﴾ مع أمم ﴿ قد خلت من قبلهم من الجن والانس إنهم كانوا خاسرين * ولكل درجات مما عملوا ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما يريد من سبق الى الاسلام فهو أفضل ممن تخلف عنه ولو بساعة قال مقاتل ولكل فضائل باعمالهم فيوفيهم الله جزاء أعمالهم وقيل ولكل يعني ولكل واحد من الفريقين المؤمنين والكافرين درجات منازل ومراتب عند الله يوم القيامة بأعمالهم فيجازيهم عليها قال ابن زيد في هذه الآية درج أهل النار تذهب سفالا ودرج أهل الجنة تذهب علوا ﴿ وليوفيهم ﴾ قرأ ابن كثير وأهل البصرة وعاصم بالياء وقرأ الباقون بالنون ﴿ أعمالهم ﴾ ليكتمل لهم ثواب أعمالهم ﴿ وهم لا يظلمون * ويوم يعرض الذين كفروا على النار ﴾ فيقال لهم ﴿ أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا ﴾ قرأ ابن كثير وابن عامر وابو جعفر ويعقوب أأذهبتم؟ بالاستفهام ويهمز ابن عامر همزتين والآخرون بلا استفهام على الخبر وكلاهما فصيحان لان العرب تستفهم بالتوبيخ وتترك الاستفهام فتقول اذهبت ففعلت كذا وذهبت ففعلت كذا ﴿ واستمتعتم بها ﴾ يقول أذهبتم طيباتكم يعني اللذات وتمتعتم بها ﴿ فاليوم تجزون عذاب الهون ﴾ أي العذاب الذي فيه ذل وخزي ﴿ بما كنتم تستكبرون ﴾ تتكبرون ﴿ في الارض بغير الحق وبما كنتم تفسقون ﴾ فلما وبخ الله الكافرين بالتمتع بالطيبات في الدنيا آثر النبي ﷺ وأصحابه والصالحون اجتناب اللذات في الدنيا رجاء ثواب الآخرة

وروينا عن عمر قال دخلت على رسول الله ﷺ فاذا هو مضطجع على رمال حصير قد أثر الرمال بجنبه فقلت يارسول الله ادع الله فليوسع على أمتك فان فارس والروم قد وسع عليهم وهم لايعبدون الله فقال أولئك « قوم قد عجلوا طيباتهم في الحياة الدنيا »

أخبرنا ابو محمد عبد الله بن عبد الصمد الجورجاني انا ابو القاسم علي بن احمد الخزاعي أنا أبو سعيد الهيثم بن كليب ثنا ابو عيسى الترمذي ثنا محمد بن المثنى ومحمد بن بشار قالا ثنا محمد بن جعفر ثنا شعبة عن أبي اسحاق قال سمعت عبد الرحمن بن يزيد يحدث عن الاسود بن يزيد عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : ما أشبع آل محمد ﷺ من خبز الشعير يومين متتابعين حتى قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم

وقوله عز وجل [ويوم يعرض الذين كفروا على النار أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها] أي يقال لهم ذلك تقريعا وتوبيخا، وقد تورع أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن كثير من طيبات المآكل والمشارب وتنزه عنها ويقول إني أخاف أن أكون كالذين قال الله لهم وبخهم وقرعهم [أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها] وقال أبو مجلز ليفقدن أقوام حسنات كانت لهم في الدنيا فيقال لهم أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا

وقوله عز وجل [فاليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون في الارض بغير الحق وبما

أخبرنا احمد بن عبد الله الصالحي أنا ابو الحسين بن بشران أنا اسماعيل بن محمد الصفار ثنا احمد ابن المنصور الرمادي ثنا عبد الرزاق ثنا معمر عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: لقد كان يأتي علينا الشهر مانوقد فيه نارا وما لنا الا الماء والتمر غير أن جزى الله نساء من الانصار خيرا كن ربما أهدين لنا شيئا من اللبن

أخبرنا عبد الله بن عبد الصمد الجورجاني أنا أبو القاسم الخزاعي أنا الهيثم بن كليب ثنا ابو عيسى الترمذي ثنا عبد الله بن معاوية الجمحي ثنا ثابت بن يزيد عن هلال بن خباب عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يبيت الليالي المتتابعة طاويا وأهله لا يجدون عشاء وكان أكثر خبزهم خبز الشعير

أخبرنا عبدالله بن عبدالصمد الجورجاني أنا ابو القاسم الخزاعي أنا الهيثم بن كليب ثنا ابو عيسى ثنا عبد الله بن عبد الرحمن ثنا روح بن أسلم ثنا ابو حاتم البصري ثنا حماد بن سلمة أنا ثابت عن أنس قال قال رسول الله ﷺ « لقد أخفت في الله وما يخاف أحد ولقد أوذيت في الله وما يؤذى أحد ولقد أتت علي ثلاثون من بين ليلة ويوم وما لي ولبلال طعام يأكله ذو كبد الا شيء من التمر يواريه ابط بلال »

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا احمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل ثنا يوسف بن عيسى ثنا ابن فضيل عن أبيه عن أبي حازم عن ابي هريرة انه قال: لقد رأيت سبعين الفا من أصحاب الصفة مامنهم رجل عليه رداء إما إزار وإما كساء قد ربطوا في أعناقهم فمنها مايبلغ نصف الساقين ومنها ما يبلغ الكعبين فيجمعه بيده كراهية ان ترى عورته

أخبرنا ابو بكر محمد بن عبد الله بن أبي توبة الكشميهني ثنا ابو طاهر محمد بن احمد بن الحارث ثنا ابو الحسن محمد بن يعقوب الكسائي أنا عبد الله بن محمود أنا ابراهيم بن عبد الله الخلال ثنا عبدالله بن المبارك عن شعبة بن الحجاج عن سعد بن ابراهيم عن ابيه ابراهيم ان عبد الرحمن بن عوف أتي بطعام وكان صائما فقال: قتل مصعب بن عمير وهو خير مني فكفن في بردة ان غطي بها رأسه بدت رجلاه وان غطي بها رجلاه بدا رأسه قال وأراه، قال وقتل حمزة وهو خير مني ثم بسط لنا من الدنيا

كنتم تفسقون] فجوزوا من جنس عملهم فكما متعوا انفسهم واستكبروا عن اتباع الحق وتعاطوا الفسق والمعاصي جازاهم الله تبارك وتعالى بعذاب الهون وهو الاهانة والخزى والآلام الموجعة والحسرات المتتابعة والمنازل في الدركات المفظعة أجارنا الله سبحانه وتعالى من ذلك كله

واذكر أخا عادٍ اذ أنذر قومه بالاحقافِ وقد خلت النُّذرُ من بين يديه ومن خلفه ألاّ تعبدُوا إلا اللهَ إني أخافُ عليكمْ عذابَ يوم عظيم (٢١) قالوا أجئتنا لتأفكنا عن آلهتنا فأتنا بما تعدُنا إن كنتَ من الصدقين (٢٢) قال انما العلم عند الله وأبلغكم ماأرسلت به ولكني أريٰكم قوما تجهلون (٢٣) فلما رأوه عارضا مستقبِلَ أوديتهم قالوا هذا عارض ممطرُنا بل هو ما استعجلتمْ به ريحٌ فيها عذابٌ أليم (٢٤) تُدمّرُ كل شيء بأمر ربّها فأصبحوا لا يُرىَ الا مسٰكنُهم كذلكَ نجزي القومَ المجرمين (٢٥)

يقول تعالى مسليا لنبيه ﷺ في تكذيب من كذبه من قومه (واذكر أخا عاد) وهو هود عليه الصلاة والسلام بعثه الله عز وجل الى عاد الاولى وكانوا يسكنون الاحقاف جمع حقف وهو الجبل من الرمل قاله ابن زيد ، وقال عكرمة الاحقاف الجبل والغار ، وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : الاحقاف واد بحضرموت يدعى برهوت تلقى فيه أرواح الكفار ، وقال قتادة ذكر لنا أن عاداً كانوا حيا باليمن أهل رمل مشرفين على البحر بأرض يقال لها الشحر

قال ابن ماجه ﴿ باب اذا دعا فليبدأ بنفسه ﴾ حدثنا الحسين بن علي الخلال حدثنا أبي حدثنا

ما بسط أو قال أعطينا من الدنيا ما اعطينا ، وقد خشينا ان تكون حسناتنا عجلت لنا ثم جعل يبكي حتى ترك الطعام ، وقال جابر بن عبد الله رأى عمر بن الخطاب لحما معلقا في يدي ، فقال ما هذا ياجابر ؟ قلت اشتهيت لحما فاشتريته فقال عمر أوكلما اشتهيت شيئا ياجابر اشتريته ؟ أما تخاف هذه الآية ؟ (أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا)

قوله عز وجل ﴿ واذكر أخا عاد ﴾ يعني هودا ﴿ اذ أنذر قومه بالاحقاف ﴾ قال ابن عباس الاحقاف واد بين عمان ومهرة وقال مقاتل كانت منازل عاد باليمن في حضرموت بموضع يقال له مهرة واليها تنسب الابل المهرية وكانوا أهل عمد سيارة في الربيع فاذا هاج العود رجعوا إلى منازلهم وكانوا من قبيلة ارم قال قتادة ذكر لنا ان عادا كانوا حيا باليمن وكانوا أهل رمل مشرفين على البحر بارض يقال

زيد بن الحباب حدثنا سفيان حدثنا علي بن اسحاق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ « يرحمنا الله وأخا عاد »

وقوله تعالى (وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه) يعني وقد أرسل الله تعالى الى من حول بلادهم في القرى مرسلين ومنذرين كقوله عز وجل [فجعلناها نكالا لما بين يديها وما خلفها] وكقوله جل وعلا [فان أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود إذ جاءتهم الرسل من بين أيديهم ومن خلفهم ألا تعبدوا إلا الله إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم] أي قال لهم هود ذلك فأجابه قومه قائلين [أجئتنا لتأفكنا عن آلهتنا؟] أي لتصدنا عن آلهتنا [فائتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين] استعجلوا عذاب الله وعقوبته استبعاداً منهم وقوعه كقوله جلت عظمته [يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها] [قال انما العلم عند الله] أي الله أعلم بكم إن كنتم مستحقين لتعجيل العذاب فسيفعل ذلك بكم وأما أنا فمن شأني أني أبلغكم ما أرسلت به [ولكني أراكم قوما تجهلون] أي لا تعقلون ولا تفهمون

قال الله تعالى (فلما رأوه عارضاً مستقبل أوديتهم) أي لما رأوا العذاب مستقبلهم اعتقدوا أنه عارض ممطر ففرحوا واستبشروا به وقد كانوا ممحلين محتاجين إلى المطر قال الله تعالى (بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب أليم) أي هو العذاب الذي قلتم فائتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين (تدمر) أي تخرب (كل شيء) من بلادهم مما من شأنه الخراب (بأمر ربها) أي باذن الله لها في ذلك كقوله سبحانه وتعالى [ما تذر من شيء أتت عليه إلا جعلته كالرميم] أي كالشيء البالي ولهذا قال عز وجل (فأصبحوا لا يرى الا مساكنهم) أي قد بادوا كلهم عن آخرهم ولم تبق لهم باقية (كذلك نجزي القوم المجرمين) أي هذا حكمنا فيمن كذب رسلنا وخالف أمرنا ، وقد ورد حديث في قصتهم وهو غريب جداً من غرائب الحديث وافراده

قال الامام أحمد حدثنا زيد بن الحباب حدثني أبو المنذر سلام بن سليمان النحوي قال حدثنا عاصم ابن أبي النجود عن أبي وائل عن الحارث البكري قال خرجت أشكو العلاء بن الحضرمي إلى رسول

لها الشحر ، والاحقاف جمع حقف وهي المستطيل المعوج من الرمال قال ابن زيد هي ما استطال من الرمل كهيئة الجبل ولم يبلغ أن يكون جبلا

قال الكسائي هي ما استدار من الرمال ﴿ وقد خلت النذر ﴾ مضت الرسل ﴿ من بين يديه ﴾ أي من قبل هود ﴿ ومن خلفه ﴾ إلى قومهم ﴿ ألا تعبدوا الا الله اني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم * قالوا اجئتنا لتأفكنا ﴾ لتصرفنا ﴿ عن آلهتنا؟ ﴾ أي عن عبادتها ﴿ فائتنا بما تعدنا ﴾ من العذاب ﴿ إن كنت من الصادقين ﴾ ان العذاب نازل بنا ﴿ قال ﴾ هود ﴿ انما العلم عند الله ﴾ وهو يعلم متى يأتيكم العذاب ﴿ وأبلغكم ما أرسلت به ﴾ من الوحي اليكم ﴿ ولكني أراكم قوما تجهلون فلما رأوه ﴾ يعني ما يوعدون به من العذاب ﴿ عارضا ﴾ سحابا يعرض أي يبدو في ناحية من السماء ثم يطبق

الله ﷺ فمررت بالربذة فاذا عجوز من بني تميم منقطع بها فقالت لي ياعبد الله : إن لي الى رسول الله حاجة فهل أنت مبلغي اليه ؟ قال فحملتها فأتيت بها المدينة فاذا المسجد غاص بأهله ، واذا راية سوداء تخفق ، واذا بلال رضي الله عنه متقلداً السيف بين يدي رسول الله ﷺ فقلت ماشأن الناس ؟ قالوا يريد أن يبعث عمرو بن العاص وجها قال فجلست فدخل منزله أو قال رحله فاستأذنت عليه فأذن لي فدخلت فسلمت فقال ﷺ « هل كان بينكم وبين تميم شيء ؟ » قلت نعم وكانت لنا الدائرة عليهم ومررت بعجوز من بني تميم منقطع بها فسألتني أن أحملها اليك فهاهي بالباب فأذن لها فدخلت فقلت يارسول الله إن رأيت أن تجعل بيننا وبين تميم حاجزاً فاجعل الدهناء فحميت العجوز واستوفزت وقالت يارسول الله فالى أين يضطر مضطرك ؟ قال قلت ان مثلي ماقال الاول: معزى حملت حتفها. حملت هذه ولا أشعر انها كانت لي خصما أعوذ بالله ورسوله أن أكون كوافد عاد قال «هي وما وافد عاد؟» وهو أعلم بالحديث منه، ولكن يستطعمه قلت إن عاداً قحطوا فبعثوا وفداً لهم يقال له قيل فمر بمعاوية ابن بكر فأقام عنده شهراً يسقيه الخمر وتغنيه جاريتان يقال لهما الجرادتان فلما مضى الشهر خرج الى جبال مهرة فقال اللهم انك تعلم أني لم أجيء إلى مريض فأداويه ولا إلى أسير فأفاديه اللهم اسق عاداً ماكنت تسقيه فمرت به سحابات سود فنودي منها اختر فأومأ الى سحابة منها سوداء فنودي منها خذها رماداً رمدداً، لاتبقي من عاد أحداً ، قال فما بلغني أنه أرسل عليهم من الريح إلا قدر مايجري في خاتمي هذا حتى هلكوا ، قال أبو وائل وصدق ، وكانت المرأة والرجل اذا بعثوا وافداً لهم قالوا لاتكن كوافد عاد . ورواه الترمذي والنسائي وابن ماجه كما تقدم في سورة الاعراف .

وقال الامام أحمد حدثنا هارون بن معروف اخبرنا ابن وهب اخبرنا عمرو أن ابا النضر حدثه عن سليمان بن يسار عن عائشة رضي الله عنها انها قالت ما رأيت رسول الله ﷺ مستجمعا ضاحكا

السماء ﴿ مستقبل أوديتهم ﴾ فخرجت عليهم سحابة سوداء من واد لهم يقال له المغيث وكانوا قد حبس عنهم المطر فلما رأوها استبشروا ﴿ قالوا هذا عارض ممطرنا ﴾

يقول الله تعالى ﴿ بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب أليم ﴾ فجعلت الريح تحمل الفسطاط وتحمل الظعينة حتى ترى كأنها جرادة ﴿ تدمر كل شيء ﴾ مرت به من رجال عاد وأموالها ﴿ بأمر ربها ﴾ فأول ما عرفوا انها عذاب رأوا ما كان خارجا من ديارهم من الرجال والمواشي تطير بهم الريح بين السماء والارض فدخلوا بيوتهم وأغلقوا أبوابهم فجاءت الريح فقلعت أبوابهم وصرعتهم وأمر الله الريح فأمالت عليهم الرمال وكانوا تحت الرمل سبع ليال وثمانية أيام لهم أنين ثم أمر الله الريح فكشفت عنهم الرمال فاحتملتهم فرمت بهم في البحر

أخبرنا الامام أبو علي الحسين بن محمد القاضي أنا أبو نعيم عبد الملك بن الحسن الاسفرايني أنا أبو عوانة يعقوب بن اسحاق الحافظ أنا يونس أنا ابن وهب انا عمرو بن الحارث انا النضر حدثه

حتى أرى منه لهواته انما كان يتبسم وقالت كان رسول الله ﷺ اذا رأى غيما أو ريحا عرف ذلك في وجهه قالت يارسول الله إن الناس إذا رأوا الغيم فرحوا رجاء أن يكون فيه المطر وأراك إذا رأيته عرفت في وجهك الكراهية فقال رسول الله ﷺ « ياعائشة ما يؤمنني ان يكون فيه عذاب، قد عذب قوم بالريح وقد رأى قوم العذاب وقالوا هذا عارض ممطرنا » واخرجاه من حديث ابن وهب

﴿ طريق اخرى ﴾ قال الامام احمد حدثنا عبد الرحمن عن سفيان عن المقدام ابن شريح عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت إن رسول الله ﷺ كان إذا رأى ناشئا في أفق من آفاق السماء ترك عمله وان كان في صلاته ثم يقول « اللهم إني أعوذ بك من شر عاقبته فان كشفه الله تعالى حمد الله عز وجل وان أمطر قال اللهم صيبا نافعا »

طريق أخرى قال مسلم في صحيحه حدثنا ابو بكر الطاهر اخبرنا ابن وهب قال سمعت ابن جريج يحدثنا عن عطاء بن أبي رباح عن عائشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله ﷺ إذا عصفت الريح قال « اللهم إني أسألك خيرها وخير ما فيها وخير ما أرسلت به، وأعوذ بك من شرها وشر ما فيها وشر ما أرسلت به » قالت وإذا تخيلت السماء تغير لونه وخرج ودخل وأقبل وأدبر فاذا امطرت سري عنه فعرفت ذلك عائشة رضي الله عنها فسألته فقال رسول الله ﷺ « لعله ياعائشة كما قال قوم عاد (فلما راوه عارضا مستقبل اوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا) وقد ذكرنا قصة هلاك قوم عاد في سورة الاعراف وهود بما اغنى عن اعادته ههنا ولله تعالى الحمد والمنة

وقال الطبراني حدثنا عبدان بن احمد ثنا اسماعيل بن زكريا الكوفي حدثنا ابو مالك بن مسلم الملائي عن مجاهد وسعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ « ما فتح على عاد من الريح إلا مثل موضع الخاتم ثم ارسلت عليهم البدو الى الحضر فلما رآها اهل الحضر قالوا

عن سليمان بن يسار عن عائشة أنها قالت: مارأيت رسول الله ﷺ مستجمعا ضاحكا حتى أرى منه لهواته وكان إذا رأى غيما أو ريحا عرف ذلك في وجهه فقلت يارسول الله ان الناس اذا رأوا الغيم فرحوا رجاء أن يكون فيه المطر وإذا رأيته عرف في وجهك الكراهية فقال « ياعائشة مايؤمنني أن يكون فيه عذاب قد عذب قوم بالريح وقد رأى قوم العذاب فقالوا هذا عارض ممطرنا » الآية

أخبرنا الامام أبو علي الحسين بن محمد القاضي انا أبو نعيم عبد الملك بن الحسن الاسفرايني انا ابو عوانة ثنا يوسف هو ابن مسلم ثنا حجاج عن ابن جريج عن عطاء قال قالت عائشة كان النبي ﷺ اذا رأى مخيلة تغير وجهه وتلون ودخل وخرج وأقبل وادبر فاذا أمطرت السماء سري عنه قالت وذكرت له الذي رأيت قال « وما يدريك لعله ياعائشة كما قال قوم عاد فلما راوه عارضا مستقبل اوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا » الآية ﴿ فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم ﴾

قرأ عاصم وحمزة ويعقوب يرى بضم الياء مساكنهم برفع النون يعني لايرى شيء الا مساكنهم

هذا عارض ممطرنا مستقبل اوديتنا وكان اهل البوادي فيها فألقى اهل البادية على اهل الحاضرة حتى هلكوا قال عتت على خزائنها حتى خرجت من خلال الابواب والله سبحانه وتعالى اعلم

ولقد مكنّٰهم فيما إن مكنّٰكم فيه وجعلنا لهم سمعاً وأبصراً وأفئدة فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصٰرهم ولا أفئدتهم من شيء اذ كانوا يجحدون بآيٰت الله وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن (٢٦) ولقد أهلكنا ما حولكم من القرى وصرّفنا الآيٰت لعلهم يرجعون (٢٧) فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا آلهة بل ضلّوا عنهم وذلك افكهم وما كانوا يفترون (٢٨)

يقول تعالى ولقد مكنا الامم السالفة في الدنيا من الاموال والاولاد واعطيناهم منها ما لم نعطكم مثله ولا قريبا منه وجعلنا لهم سمعا وابصارا وافئدة (فما اغني عنهم سمعهم ولا ابصارهم ولا افئدتهم من شيء إذ كانوا يجحدون بآيات الله وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون) اي واحاط بهم العذاب والنكال الذى كانوا يكذبون به ويستبعدون وقوعه اي فاحذروا ايها المخاطبون ان تكونوا مثلهم فيصيبكم مثل ما اصابهم من العذاب في الدنيا والآخرة

وقوله تعالى (ولقد اهلكنا ما حولكم من القرى] يعني اهل مكة وقد اهلك الله الامم المكذبة بالرسل مما حولها كعاد وكانوا بالاحقاف بحضرموت عند اليمن وثمود وكانت منازلهم بينهم وبين الشام وكذلك سبأ وهم اهل اليمن ومدين وكانت في طريقهم وممرهم الى غزة وكذلك بحيرة قوم لوط كانوا يمرون بها ايضا وقوله عز وجل [وصرفنا الآيات] اى بيناها واوضحناها [لعلهم يرجعون فلولا

وقرأ الاخرون بالتاء وفتحها مساكنهم نصب يعني لا ترى انت يا محمد الا مساكنهم لان السكان والانعام بادت بالريح فلم يبق الا هود ومن آمن معه ﴿ كذلك نجزي القوم المجرمين * ولقد مكناهم فيما ان مكناكم فيه ﴾ يعنى فيما لم نمكنكم فيه من قوة الابدان وطول العمر وكثرة المال

قال المبرد ما في قوله فيما بمنزلة الذي وان بمنزلة ما وتقديره ولقد مكناهم * في الذي ما مكناكم وإن صلة فيه ﴿ وجعلنا لهم سمعا وأبصاراً وأفئدة فما اغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء اذ كانوا يجحدون بآيات الله وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون * ولقد أهلكنا ما حولكم ﴾ يا أهل مكة ﴿ من القرى ﴾ كحجر ثمود وأرض سدوم ونحوهما ﴿ وصرفنا الايات ﴾ الحجج والبينات ﴿ لعلهم يرجعون ﴾ عن كفرهم فلم يرجعوا فأهلكناهم يخوف مشركي مكة ﴿ فلولا ﴾ فهلا ﴿ نصرهم الذين اتخذوا

نصرهم الذين اتخذا من دون الله قربانا آلهة] اى فهل نصروهم عند احتياجهم اليهم [بل ضلوا عنهم] اي بل ذهبوا عنهم احوج ما كانوا إليهم [وذلك افكهم] اي كذبهم [وما كانوا يفترون] اي وافتراؤهم في اتخاذهم اياهم آلهة وقد خابوا وخسروا في عبادتهم لها واعتمادهم عليها والله اعلم

وإذ صرفنا اليك نفراً من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا فلما قضي ولّوا إلى قومهم منذرين (٢٩) قالوا يا قومنا انا سمعنا كتاباً أنزل من بعد موسى مصدقاً لما بين يديه يهدي الى الحق والي طريق مستقيم (٣٠) يا قومنا أجيبوا داعي الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم (٣١) ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الارض وليس له من دونه أولياء أولئك في ضلال مبين (٣٢)

(١) قال الامام احمد حدثنا سفيان حدثنا عمرو سمعت عكرمة عن الزبير (واذ صرفنا إليك نفرا من الجن يستمعون القرآن قال بنخلة ورسول الله ﷺ يصلي العشاء الاخرة (كادوا يكونون عليه لبدا) قال سفيان البد بعضهم على بعض كاللبد بعضه على بعض تفرد به احمد وسيأتي من رواية ابن جرير عن عكرمة عن ابن عباس انهم سبعة من جن نصيبين

وقال الامام احمد حدثنا عفان حدثنا ابو عوانة ح

وقال الامام الشهير الحافظ أبو بكر البيهقي في كتابه دلائل النبوة أخبرنا أبو الحسن علي بن أحمد ابن عبدان أخبرنا احمد بن عبيد الصفار حدثنا اسماعيل القاضي أخبرنا مسدد حدثنا أبو عوانة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : ما قرأ رسول الله ﷺ على الجن ولا

(١) هذا الحديث غير موجود في النسخة المكية

من دون الله قربانا آلهة ﴾ يعني الاوثان التى اتخذوها آلهة يتقربون بها إلى الله عز وجل والقربان كل ما يتقرب به الى الله عز وجل وجمعه قرابين كالرهبان والرهابين ﴿ بل ضلوا عنهم ﴾

قال مقاتل بل ضلت الآلهة عنهم فلم تنفعهم عند نزول العذاب ﴿ وذلك افكهم ﴾ أي كذبهم الذي كانوا يقولون انها تقربهم إلى الله عز وجل وتشفع لهم ﴿ وما كانوا يفترون ﴾ يكذبون انها آلهة

قوله عز وجل ﴿ واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القرآن ﴾ الآية

قال المفسرون لما مات أبو طالب خرج رسول الله ﷺ وحده الى الطائف يلتمس من ثقيف النصر والمنعة له من قومه، فروى محمد بن اسحاق عن يزيد بن زياد عن محمد بن كعب القرظي قال لما انتهى رسول الله ﷺ الى الطائف عمد الى نفر من ثقيف وهم يومئذ سادة ثقيف وأشرافهم وهم إخوة ثلاثة : عبد ياليل ومسعود وحبيب بنو عمرو بن عمير وعند أحدهم امرأة من قريش من بني

رآهم انطلق رسول الله ﷺ في طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء وأرسلت عليهم الشهب فرجعت الشياطين إلى قومهم فقالوا مالكم؟ فقالوا حيل بيننا وبين خبر السماء وأرسلت علينا الشهب قالوا ماحال بينكم وبين خبر السماء إلا شيء حدث فاضربوا مشارق الارض ومغاربها وانظروا ماهذا الذي حال بينكم وبين خبر السماء فانطلقوا يضربون مشارق الارض ومغاربها يبتغون ماهذا الذي حال بينهم وبين خبر السماء فانصرف أولئك النفر الذين توجهوا نحو تهامة إلى رسول الله ﷺ وهو بنخلة عامدا إلى سوق عكاظ وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر فلما سمعوا القرآن استمعوا له فقالوا هذا والله الذي حال بينكم وبين خبر السماء فهنالك حين رجعوا الى قومهم (قالوا ياقومنا إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدي الى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحداً) وأنزل الله على نبيه ﷺ (قل أوحي إلي أنه استمع نفر من الجن) وإنما أوحي اليه قول الجن رواه البخاري عن مسدد بنحوه ، وأخرجه مسلم عن شيبان بن فروخ عن أبي عوانة به ، ورواه الترمذي والنسائي في التفسير من حديث أبي عوانة

وقال الامام أحمد أيضا حدثنا أبو أحمد حدثنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كان الجن يستمعون الوحي فيسمعون الكلمة فيزيدون فيها عشراً فيكون ماسمعوا حقا ومازادوا باطلا وكانت النجوم لا يرمى بها قبل ذلك فلما بعث رسول الله ﷺ كان أحدهم لا يأتي مقعده إلا رمي بشهاب يحرق ما أصاب فشكوا ذلك إلى ابليس فقال ماهذا إلا من أمر قد حدث فبث جنوده فاذا بالنبي ﷺ يصلي بين جبلي نخلة فأتوه فأخبروه فقال هذا الحدث الذي حدث في الارض ، ورواه الترمذي والنسائي في كتابي التفسير من سننيهما من حديث إسرائيل به ، وقال الترمذي حسن صحيح ، وهكذا رواه أيوب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما ، وكذا رواه العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما أيضا بمثل هذا السياق بطوله وهكذا قال الحسن البصري إنه ﷺ ماشعر بأمرهم حتى أنزل الله تعالى عليه بخبرهم

جمع فجلس اليهم فدعاهم الى الله وكلمهم بما جاءهم له من نصرته على الاسلام والقيام معه على من خالفه من قومه فقال له أحدهم هو يمرط ثياب الكعبة ان كان الله أرسلك وقال الآخر ما وجد الله أحداً يرسله غيرك وقال الثالث والله ما أكلمك كلمة أبداً لئن كنت رسولا من الله كما تقول لانت أعظم خطرا من أن أرد عليك الكلام ولئن كنت تكذب على الله فما ينبغي لي أن أكلمك فقام رسول الله ﷺ من عندهم وقد يئس من خير ثقيف وقال لهم اذ فعلتم مافعلتم فاكتموه علي وكره رسول الله ان يبلغ قومه فيذيرهم عليه ذلك فلم يفعلوا وأغروا به سفهاءهم وعبيدهم يسبونه ويصيحون به حتى اجتمع عليه الناس وألجأوه الى حائط لعتبة وشيبة ابني ربيعة وهما فيه فرجع عنه سفهاء ثقيف ومن كان تبعه فعمد الى ظل حبلة من عنب فجلس فيه وابنا ربيعة ينظران اليه ويريان ما لقي من سفهاء

وذكر محمد بن إسحاق عن يزيد بن رومان عن محمد بن كعب القرظي قصة خروج النبي ﷺ إلى الطائف ودعائه إياهم إلى الله عز وجل وإبائهم عليه فذكر القصة بطولها وأورد ذلك الدعاء الحسن «اللهم اليك أشكو ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس ياأرحم الراحمين أنت أرحم الراحمين وأنت رب المستضعفين وأنت ربي الى من تكلني ؟ الى عدو بعيد يتجهمني أم الى صديق قريب ملكته أمري ان لم يكن بك غضب علي فلا أبالي غير أن عافيتك أوسع لي ، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة أن ينزل بي غضبك أو يحل بي سخطك ولك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة الا بك» قال فلما انصرف عنهم بات بنخلة فقرأ تلك الليلة من القرآن فاستمعه الجن من أهل نصيبين. وهذا صحيح ولكن قوله ان الجن كان استماعهم تلك الليلة فيه نظر فان الجن كان استماعهم في ابتداء الايحاء كما دل عليه حديث ابن عباس رضي الله عنهما المذكور وخروجه ﷺ الى الطائف كان بعد موت عمه ، وذلك قبل الهجرة بسنة أو سنتين كما قرره ابن اسحاق وغيره والله أعلم

وقال ابو بكر بن أبي شيبة حدثنا أبو احمد الزبيري حدثنا سفيان عن عاصم عن زر عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال : هبطوا على النبي ﷺ وهو يقرأ القرآن ببطن نخلة فلما سمعوه قالوا أنصتوا قال صه وكانوا تسعة أحدهم زوبعة فأنزل الله عز وجل (واذصرفنا اليك نفراً من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا فلما قضي ولوا إلى قومهم منذرين -إلى- ضلال مبين) فهذا مع الاول من رواية ابن عباس رضي الله عنهما يقتضي أن رسول الله ﷺ لم يشعر بحضورهم في هذه المرة ، وانما استمعوا قراءته ثم رجعوا إلى قومهم ثم بعد ذلك وفدوا اليه ارسالا قوما بعد قوم وفوجا بعد فوج كما ستأتي بذلك الاخبار في موضعها والآثار مما سنوردها ههنا إن شاء الله تعالى وبه الثقة

فأما مارواه البخاري ومسلم جميعا عن أبي قدامة عبيدالله بن سعيد السرخسي عن أبي اسامة حماد بن اسامة عن مسعر بن كدام عن معن بن عبدالرحمن قال سمعت أبي يقول سألت مسروقا من آذن النبي ﷺ ليلة

ثقيف ولقد لقي رسول الله ﷺ تلك المرأة من بني جمح فقال لها ماذا لقينا من احمائك فلما اطمأن رسول الله ﷺ قال « اللهم اني أشكو اليك ضعف قوتي وقلة حيلة وهواني على الناس وأنت أرحم الراحمين أنت رب المستضعفين وأنت ربي الى من تكلني؟ الى بعيد يتجهمني أو إلى عدو ملكته أمري؟ ان لم يكن بك علي غضب فلا أبالي ولكن عافيتك هي أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن ينزل بي غضبك أو يحل علي سخطك لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة الا بك »

فلما رأى ابنا ربيعة ما لقي تحركت له رحمتهما فدعوا غلاما لهما نصرانيا يقال له عداس فقالا له خذ قطفا من هذا العنب وضعه في ذلك الطبق ثم اذهب به الى ذلك الرجل فقل له يأكل منه ففعل

استمعوا القرآن فقال حدثني أبوك يعني ابن مسعود رضي الله عنه أنه آذنته بهم شجرة فيحتمل أن يكون هذا في المرة الاولى ويكون اثباتا مقدما على نفي ابن عباس رضي الله عنهما ويحتمل أن يكون في الاولى ولـكن لم يشعر بهم حال استماعهم حتى آذنته بهم الشجرة أي أعلمته باجتماعهم والله أعلم ويحتمل أن يكون هذا في بعض المرات المتأخرات والله أعلم

قال الحافظ البيهقي وهذا الذي حكاه ابن عباس رضي الله عنهما انما هو أول ماسمعت الجن قراءة رسول الله ﷺ وعلمت حاله وفي ذلك الوقت لم يقرأ عليهم ولم يرهم ثم بعد ذلك أتاه داعي الجن فقرأ عليهم القرآن ودعاهم الى الله عز وجل كما رواه عبدالله بن مسعود رضي الله عنه

﴿ ذكر الرواية عنه بذلك ﴾

قال الامام أحمد حدثنا اسماعيل بن ابراهيم حدثنا داود عن الشعبي وابن ابي زائدة أخبرنا داود عن الشعبي عن علقمة قال : قلت لعبد الله بن مسعود رضي الله عنه هل صحب رسول الله ﷺ ليلة الجن منكم أحد ؟ فقال ماصحبه منا أحد ولكنا فقدناه ذات ليلة بمكة فقلنا اغتيل استطير مافعل؟ قال فبتنا بشر ليلة بات بها قوم فلما كان في وجه الصبح أو قال في السحر اذا نحن به يجيء من قبل حراء فقلنا يارسول الله فذكروا له الذي كانوا فيه فقال « انه أتاني داعي الجن فأتيتهم فقرأت عليهم » قال فانطلق فأرانا آثارهم وآثار نيرانهم قال : قال الشعبي سألوه الزاد ، قال عامر سألوه بمكة وكانوا من جن الجزيرة فقال « كل عظم ذكر اسم الله عليه يقع في أيديكم أوفر مايكون لحما وكل بعرة أو روثة علف لدوابكم قال فلا تستنجوا بهما فانهما زاد اخوانكم من الجن » وهكذا رواه مسلم في صحيحه عن علي ابن حجر عن اسماعيل بن علية به نحوه

وقال مسلم أيضاً حدثنا محمد بن المثنى حدثنا عبد الاعلى حدثنا داود وهو ابن أبي هند عن عامر قال سألت علقمة هل كان ابن مسعود رضي الله عنه شهد مع رسول الله ﷺ ليلة الجن ؟ قال فقال

ذلك عداس ثم أقبل به حتى وضعه بين يدي رسول الله ﷺ فلما وضع رسول الله ﷺ يده قال « بسم الله » ثم أكل فنظر عداس الى وجهه ثم قال والله إن هذا الـكلام ما يقوله أهل هذه البلدة فقال له رسول الله ﷺ « من أي البلاد أنت يا عداس وما دينك؟ » قال أنا نصراني وأنا رجل من أهل نينوى فقال له رسول الله ﷺ « أمن قرية الرجل الصالح يونس بن متى؟ » قال له وما يدريك مايونس بن متى فقال له رسول الله ﷺ « ذاك أخي كان نبيا وأنا نبي » فأكب عداس على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبل رأسه ويديه وقدميه قال فيقول ابنا ربيعة أحدهما لصاحبه اما غلامك فقد أفسده عليك فلما جاءهم عداس قالا له ويلك يا عداس مالك تقبل رأس هذا الرجل ويديه وقدميه؟ قال ياسيدي ما في الارض خير من هذا الرجل لقد اخبرني بأمر مايعلمه الا نبي ، فقال ويحك ياعداس لا يصرفنك عن

علقمة أنا سألت ابن مسعود رضي الله عنه فقلت هل شهد أحد منكم مع رسول الله ﷺ ليلة الجن؟ قال لا ولكنا كنا مع رسول الله ﷺ ذات ليلة ففقدناه فالتمسناه في الاودية والشعاب فقيل استطير اغتيل قال فبتنا بشر ليلة بات بها قوم فلما أصبحنا اذا هو جاء من قبل حراء قال فقلنا يارسول الله فقدناك فطلبناك فلم نجدك فبتنا بشر ليلة بات بها قوم فقال « أتاني داعي الجن فذهبت معهم فقرأت عليهم القرآن » قال فانطلق بنا فأرانا آثارهم وآثار نيرانهم وسألوه الزاد فقال « كل عظم ذكر اسم الله عليه يقع في أيديكم أوفر مايكون لحما وكل بعرة أو روثة علف لدوابكم » قال رسول الله ﷺ « فلا تستنجوا بهما فانهما طعام اخوانكم »

﴿ طريق أخرى ﴾ عن ابن مسعود رضي الله عنه قال ابوجعفر ابن جرير حدثني احمد بن عبدالرحمن حدثني عمي حدثني يونس عن الزهري عن عبيدالله قال : إن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول « بت الليلة اقرأ على الجن واقفا بالحجون »

﴿ طريق أخرى ﴾ فيها انه كان معه ليلة الجن قال ابن جرير رحمه الله حدثني أحمد بن عبدالرحمن ابن وهب حدثنا عمي عبد الله بن وهب أخبرني يونس عن ابن شهاب عن أبي عثمان بن شبة الخزاعي وكان من أهل الشام قال : إن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ لأصحابه وهو بمكة « من أحب منكم أن يحضر أمر الجن الليلة فليفعل » فلم يحضر منهم أحد غيري قال فانطلقنا حتى اذا كنا بأعلى مكة خط لي برجله خطا ثم أمرني أن أجلس فيه ثم انطلق حتى قام فافتتح القرآن فغشيته أسودة كثيرة حالت بيني وبينه حتى ماأسمع صوته ثم طفقوا يتقطعون مثل قطع السحاب ذاهبين حتى بقي منهم رهط ففرغ رسول الله ﷺ مع الفجر فانطلق فتبرز ثم أتاني فقال « مافعل الرهط ؟ » قلت هم أولئك يارسول الله فأعطاهم عظما وروثا زادا ثم نهى أن يستطيب أحد بروث أو عظم . ورواه ابن جرير عن محمد بن عبد الله بن عبد الحكم عن ابي زرعة وهب بن راشد عن يونس بن يزيد الايلي به

دينك فان دينك خير من دينه ، ثم ان رسول الله ﷺ انصرف من الطائف راجعا الى مكة حين يئس من خير ثقيف حتى اذا كان بنخلة قام من جوف الليل يصلي فمر به نفر من جن أهل نصيبين اليمن فاستمعوا له فلما فرغ من صلاته ولوا الى قومهم منذرين قد آمنوا واجابوا لما سمعوا فقص الله خبرهم عليه فقال (واذ صرفنا اليك نفراً من الجن) الآية

اخبرنا عبد الواحد المليحي انا احمد بن عبد الله النعيمي انا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل ثنا مسدد ثنا ابو عوانة عن ابي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال « انطلق النبي ﷺ في طائفة من اصحابه عامدين الى سوق عكاظ ، وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء ، فأرسلت عليهم الشهب ، فرجعت الشياطين الى قومهم ، فقالوا مالكم ؟ قالوا حيل بيننا وبين خبر السماء وارسلت علينا

ورواه البيهقي في الدلائل من حديث عبد الله بن صالح كاتب الليث عن يونس به ، وقد روى اسحاق بن راهويه عن جرير عن قابوس بن أبي ظبيان عن أبيه عن ابن مسعود رضي الله عنه فذكر نحو ماتقدم . ورواه الحافظ أبو نعيم من طريق موسى بن عبيدة عن سعيد بن الحارث عن أبي المعلى عن ابن مسعود رضي الله عنه فذكر نحوه أيضاً

﴿ طريق أخرى ﴾ قال أبو نعيم حدثنا أبو بكر بن مالك حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل حدثني أبي قال حدثنا عفان وعكرمة قالا حدثنا معتمر قال: قال أبي حدثني أبو تميمة عن عمرو ولعله قد يكون قال البكالي يحدثه عمرو عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : استتبعني رسول الله ﷺ فانطلقنا حتى أتينا مكان كذا وكذا فخط لي خطا فقال « كن بين ظهر هذه لاتخرج منها فانك إن خرجت منها هلكت » فذكر الحديث بطوله وفيه غرابة شديدة

﴿ طريق أخرى ﴾ قال ابن جرير حدثنا ابن عبد الاعلى حدثنا ابن ثور عن معمر عن يحيى بن أبي كثير عن عبد الله بن عمرو بن غيلان الثقفي أنه قال لابن مسعود رضي الله عنه حدثت انك كنت مع رسول الله ﷺ ليلة وفد الجن قال أجل ، قال فكيف كان فذكر الحديث وذكر أن النبي ﷺ خط عليه خطا وقال « لاتبرح منها » فذكر مثل العجاجة السوداء فغشيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فذعر ثلاث مرات حتى إذا كان قريبا من الصبح أتاني النبي ﷺ فقال « أنمت ؟ » فقلت لا والله ولقد هممت مراراً أن استغيث بالناس حتى سمعتك تقرعهم بعصاك تقول « اجلسوا » فقال ﷺ « لو خرجت لم آمن أن يتخطفك بعضهم » ثم قال ﷺ « هل رأيت شيئا ؟ » قلت نعم رأيت رجالا سوداً مستثفرين ثيابا بياضا[1] قال ﷺ « أولئك جن نصيبين سألوني المتاع والمتاع الزاد فمتعتهم بكل عظم حائل أو بعرة أو روثة - فقلت يارسول الله ومايغني ذلك عنهم ؟ فقال ﷺ - إنهم لايجدون عظما إلا وجدوا عليه لحمه يوم أكل ، ولا روثا إلا وجدوا فيها حبها يوم أكلت فلا يستنقين أحد منكم إذا خرج من الخلاء بعظم ولا بعرة ولا روثة »

(١) في النسخة المكية بثياب بياض

الشهب ، قالوا ماحال بينكم وبين خبر السماء إلا شيء حدث ، فاضربوا مشارق الارض ومغاربها فانظروا ما هذا الذي حال بينكم وبين خبر السماء ، فانصرف اولئك الذين توجهوا الى تهامة الى النبي ﷺ وهو بنخلة عامدين الى سوق عكاظ وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر ، فلما سمعوا القرآن استمعوا له ، فقالوا هذا والله الذي حال بينكم وبين خبر السماء ، فهنالك رجعوا الى قومهم ، فقالوا (ياقومنا انا سمعنا قرآنا عجبا يهدي الى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا احدا) فأنزل الله على نبيه (قل أوحي إلي انه استمع نفر من الجن) وانما اوحي اليه قول الجن .

وروي انهم لما رجموا بالشهب بعث ابليس سراياه لتعرف الخبر وكان اول بعث بعث ركبا من اهل نصيبين وهم اشراف الجن وساداتهم فبعثهم الى تهامة ، وقال ابو حمزة اليماني بلغنا انهم من بني

﴿ طريق اخرى ﴾ قال الحافظ أبو بكر البيهقي أخبرنا أبو عبد الرحمن السلمي وأبو نصر بن قتادة قال اخبرنا أبو محمد يحيي بن منصور القاضي حدثنا أبو عبد الله محمد بن ابراهيم البوشنجي حدثنا روح بن صلاح حدثنا موسى بن علي بن رباح عن أبيه عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال استتبعني رسول الله ﷺ فقال « إن نفراً من الجن خمسة عشر بني اخوة وبني عم يأتوني الليلة اقرأ عليهم القرآن » فانطلقت معه الى المكان الذي أراد فخط لي خطا وأجلسني فيه وقال لي « لا تخرج من هذا » فبت فيه حتى أتاني رسول الله ﷺ مع السحر في يده عظم حائل وروثة وحمة فقال « إذا ذهبت الى الخلاء فلا تستنج بشيء من هؤلاء » قال فلما اصبحت قلت لأعلمن حيث كان رسول الله ﷺ قال فذهبت فرأيت موضع مبرك ستين بعيراً

﴿ طريق اخرى ﴾ قال البيهقي اخبرنا أبو عبد الله الحافظ اخبرنا أبو العباس الأصم حدثنا العباس بن محمد الدوري حدثنا عثمان بن عمر عن الشمر بن الريان عن أبي الجوزاء عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال انطلقت مع رسول الله ﷺ ليلة الجن حتى أتى الحجون فخط لي خطا ثم تقدم اليهم فازدحموا عليه فقال سيد لهم يقال له وزدان أنا ارحلهم عنك فقال إني لن يجيرني من الله أحد

﴿ طريق اخرى ﴾ قال الامام احمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا سفيان عن أبي فزارة العبسي حدثنا ابو زيد مولى عمرو بن حريث عن ابن مسعود رضي الله عنه قال لما كان ليلة الجن قال لي النبي ﷺ « امعك ماء ؟ » قلت ليس معي ماء ولكن معي إداوة فيها نبيذ فقال النبي ﷺ « تمرة طيبة وماء طهور » رواه ابو داود والترمذي وابن ماجه من حديث ابن زيد به

﴿ طريق اخرى ﴾ قال الامام احمد حدثنا يحيى بن اسحاق اخبرنا ابن لهيعة عن قيس بن الحجاج عن حنش الصنعاني عن ابن عباس عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنهم قال إنه كان مع رسول الله ﷺ ليلة الجن فقال رسول الله ﷺ « ياعبدالله أمعك ماء ؟ » قال معي نبيذ في إداوة قال ﷺ « اصبب علي » فتوضأ فقال النبي ﷺ « ياعبد الله شراب وطهور » تفرد به احمد من هذا الوجه وقد اورده الدارقطني من طريق آخر عن ابن مسعود رضي الله عنه به

الشيصبان وهم اكثر الجن عددا وهم عامة جنود ابليس ، فلما رجعوا قالوا [انا سمعنا قرآنا عجبا] وقال جماعة بل امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينذر الجن ويدعوهم الى الله تعالى ، ويقرأ عليهم القرآن فصرف اليه نفرا من الجن من أهل نينوى وجمعهم له فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إني أمرت أن أقرأ على الجن الليلة فأيكم يتبعني ، فأطرقوا ، ثم استتبعهم فأطرقوا ، ثم استتبعهم الثالثة فأطرقوا ، فاتبعه عبد الله بن مسعود ، قال عبد الله ولم يحضر معه أحد غيري ، فانطلقنا حتى اذا كنا بأعلى مكة دخل نبي الله ﷺ شعبا يقال له شعب الحجون وخط لي خطا ثم أمرني أن أجلس فيه وقال لا تخرج منه حتى أعود اليك . ثم انطلق حتى قام فافتتح القرآن فجعلت أرى أمثال النسور تهوي

﴿ طريق اخرى ﴾ قال الامام احمد حدثنا عبد الرزاق أخبرني أبي عن ميناء عن عبد الله رضي الله عنه قال كنت مع رسول الله ﷺ ليلة وفد الجن فلما انصرف تنفس فقلت ماشأنك؟ قال « نعيت إلي نفسي يا ابن مسعود » هكذا رأيته في المسند مختصراً وقد رواه الحافظ أبو نعيم في كتابه دلائل النبوة فقال حدثنا سليمان بن احمد بن أيوب حدثنا اسحاق بن ابراهيم وحدثنا أبو بكر بن مالك حدثنا عبد الله بن احمد بن حنبل حدثنا أبي قالا حدثنا عبد الرزاق عن أبيه عن ميناء عن ابن مسعود قال كنت مع رسول الله ﷺ ليلة وفد الجن فتنفس فقلت مالك يارسول الله؟ قال « نعيت إلي نفسي يا ابن مسعود » قلت استخلف قال « من ؟ » قلت أبا بكر قال فسكت ثم مضى ساعة فتنفس فقلت ماشأنك بأبي أنت وأمي يارسول الله ؟ قال « نعيت إلي نفسي يا ابن مسعود » قلت استخلف قال « من ؟ » قلت عمر فسكت ثم مضى ساعة ثم تنفس فقلت ماشأنك ؟ قال « نعيت الي نفسي » قلت فاستخلف قال ﷺ « من؟ » قلت علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال ﷺ « أما والذي نفسي بيده لئن أطاعوه ليدخلن الجنة اجمعين أكتعين » وهو حديث غريب جداً وأحر به أن لا يكون محفوظا وبتقدير صحته فالظاهر أن هذا بعد وفودهم اليه بالمدينة على ماسنورده ان شاء الله تعالى فان في ذلك الوقت كان في آخر الامر لما فتحت مكة ودخل الناس والجان أيضا في دين الله أفواجا نزلت سورة (اذا جاء نصر الله والفتح * ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا * فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا) وهي السورة التي نعيت نفسه الكريمة فيها اليه كما نص على ذلك ابن عباس رضي الله عنهما ووافقه عمر بن الخطاب رضي الله عنه عليه وقد ورد في ذلك حديث سنورده ان شاء الله تعالى عند تفسيرها والله أعلم

وقد رواه أبو نعيم أيضا عن الطبراني عن محمد بن عبدالله الحضرمي عن علي بن الحسين بن أبي بردة عن يحيى بن سعيد الاسلمي عن حرب بن صبيح عن سعيد بن سلمة عن أبي مرة الصنعاني عن أبي عبدالله الجدلي عن ابن مسعود رضي الله عنه فذكره وذكر فيه قصة الاستخلاف وهذا إسناد غريب وسياق عجيب

﴿ طريق أخرى ﴾ قال الامام أحمد : حدثنا أبو سعيد حدثنا حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن أبي رافع عن ابن مسعود أن رسول الله ﷺ خط حوله فكان أحدهم مثل سواد النحل وقال « لا تبرح

وسمعت لغطا شديداً حتى خفت على نبي الله ﷺ وغشيته أسودة كثيرة حالت بيني وبينه حتى ما أسمع صوته ، ثم طفقوا يتقطعون مثل قطع السحاب ذاهبين ففرغ رسول الله ﷺ مع الفجر فانطلق الي وقال لي « أنمت؟ » فقلت لا والله يارسول الله ولقد هممت مرارا أن أستغيث بالناس حتى سمعتك تقرعهم بعصاك تقول « اجلسوا » قال لو خرجت لم آمن عليك أن يتخطفك بعضهم ثم قال « هل رأيت شيئا » قلت نعم يارسول الله رأيت رجالا سودا مستثفري ثياب بيض ، قال « أولئك جن نصيبين

مكانك فاقرأهم كتاب الله » فلما رأى المرعى قال كأنهم هؤلاء . وقال النبي ﷺ « أمعك ماء ؟ » قلت لا قال « أمعك نبيذ؟ » قلت نعم فتوضأ به

﴿ طريق أخرى مرسلة ﴾ قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو عبد الله الطبراني أخبرنا حفص بن عمر العدني حدثنا الحكم بن أبان عن عكرمة في قوله تعالى (وإذ صرفنا اليك نفراً من الجن) قال هم اثنا عشر ألفا جاؤا من جزيرة الموصل فقال النبي ﷺ لابن مسعود رضي الله عنه « انظرني حتى آتيك » وخط عليه خطا وقال « لا تبرح حتى آتيك » فلما خشيهم ابن مسعود رضي الله عنه كاد أن يذهب فذكر قول رسول الله ﷺ فلم يبرح فقال له النبي ﷺ « لو ذهبت ما التقينا الى يوم القيامة »

﴿ طريق أخرى مرسلة أيضا ﴾ قال سعيد بن أبي عروبة عن قتادة في قوله تعالى (وإذ صرفنا اليك نفراً من الجن يستمعون القرآن) قال ذكر لنا أنهم صرفوا اليه من نينوى وان نبي الله ﷺ قال « اني أمرت أن أقرأ على الجن فايكم يتبعني ؟ » فأطرقوا ثم استتبعهم فأطرقوا ثم استتبعهم الثالثة فقال رجل يا رسول الله ان ذاك لذو ندبة فأتبعه ابن مسعود رضى الله عنه أخو هذيل قال فدخل النبي ﷺ شعبا يقال له شعب الحجون وخط عليه وخط على ابن مسعود رضي الله عنه خطا ليثبته بذلك قال فجعلت أهال وأرى أمثال النسور تمشي في دفوفها وسمعت لغطا شديداً حتى خفت على نبي الله ﷺ ثم تلا القرآن فلما رجع رسول الله ﷺ قلت يا رسول الله ما اللغط الذي سمعت ؟ قال ﷺ « اختصموا في قتيل فقضي بينهم بالحق » رواه ابن جرير وابن أبي حاتم

فهذه الطرق كلها تدل على انه ﷺ ذهب الى الجن قصداً فتلا عليهم القرآن ودعاهم إلى الله عز وجل وشرع الله تعالى لهم على لسانه ماهم محتاجون اليه في ذلك الوقت . وقد يحتمل أن أول مرة سمعوه يقرأ القرآن لم يشعر بهم كما قاله ابن عباس رضي الله عنهما، ثم بعد ذلك وفدوا اليه كما رواه ابن مسعود رضي الله عنه

وأما ابن مسعود رضي الله عنه فانه لم يكن مع رسول الله ﷺ حال مخاطبته للجن ودعائه إياهم وانما كان بعيداً منه ولم يخرج مع النبي ﷺ أحد سواه ومع هذا لم يشهد حال المخاطبة ، هذه طريقة البيهقي . وقد يحتمل أن يكون أول مرة خرج اليهم لم يكن معه ﷺ ابن مسعود رضي الله عنه ولا

سألوني المتاع والمتاع الزاد فمتعتهم بكل عظم حائل وروثة وبعرة » قال فقالوا يارسول الله تقذرها الناس فنهى النبي صلى الله عليه وسلم أن يستنجى بالعظم والروث : قال فقلت يارسول الله وما يغني ذلك عنهم ؟ قال « انهم لا يجدون عظما الا وجدوا عليه لحمه يوم أكل، ولا روثة إلا وجدوا فيها حبها يوم أكلت » قال . فقلت يارسول الله سمعت لغطا شديدا فقال « ان الجن تدارأت من قتيل قتل بينهم فتحاكموا إلي فقضيت بينهم بالحق » قال ثم تبرز رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم أتاني ، فقال « هل معك ماء؟ » قلت يارسول الله معي إداوة فيها شيء من نبيذ التمر فاستدعاه فصببت على يده فتوضأ وقال « تمرة طيبة

غيره كما هو ظاهر سياق الرواية الاولى من طريق الامام أحمد وهي عند مسلم ، ثم بعد ذلك خرج معه ليلة أخرى والله أعلم كما روى ابن أبي حاتم في تفسير (قل أوحي إلي) من حديث ابن جريج قال قال عبد العزيز بن عمر : أما الجن الذين لقوه بنخلة فجن نينوى وأما الجن الذين لقوه بمكة فجن نصيبين وتأوله البيهقي على انه يقول فبتنا بشر ليلة بات بها قوم على غير ابن مسعود رضي الله عنه ممن لم يعلم بخروجه ﷺ إلى الجن وهو محتمل على بعد والله أعلم

وقد قال الحافظ أبو بكر البيهقي أخبرنا أبو عمرو محمد بن عبد الله الاديب حدثنا أبو بكر الاسماعيلي أخبرنا الحسن بن سفيان حدثني سويد بن سعيد حدثنا عمرو بن يحيى عن جده سعيد بن عمرو قال كان أبو هريرة رضي الله عنه يتبع رسول الله ﷺ باداوة لوضوئه وحاجته فأدركه يوما فقال «من هذا؟» قال أنا أبو هريرة قال ﷺ « ائتني بأحجار أستنجي بها ولا تأتني بعظم ولا روثة » فأتيته بأحجار في ثوبي فوضعتها إلى جنبه حتى إذا فرغ وقام اتبعته فقلت يا رسول الله ما بال العظم والروثة ؟ قال ﷺ « أتاني وفد جن نصيبين فسألوني الزاد فدعوت الله تعالى لهم أن لا يمروا بروثة ولا عظم إلا وجدوه طعاما » أخرجه البخاري في صحيحه عن موسى بن اسماعيل عن عمرو بن يحيى باسناده قريبا منه. فهذا يدل مع ما تقدم على انهم وفدوا عليه بعد ذلك . وسنذكر ان شاء الله تعالى ما يدل على تكرار ذلك .

وقد روي عن ابن عباس غير ما روي عنه أولا من وجه جيد فقال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا عبد الحميد الحماني حدثنا النضر بن عربي عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى (وإذ صرفنا اليك نفراً من الجن) الآية قال كانوا سبعة نفر من أهل نصيبين فجعلهم رسول الله ﷺ رسلا إلى قومهم . فهذا يدل على انه قد روى القصتين

وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا سويد بن عبد العزيز حدثنا رجل سماه عن ابن جريج عن مجاهد (وإذ صرفنا اليك نفراً من الجن) الآية قال كانوا سبعة نفر ثلاثة من أهل حران وأربعة من أهل نصيبين وكانت أسماؤهم حسى وحسى ومسى وساصر وناصر والارد وابيان والاحتم

وذكر أبو حمزة الثمالي ان هذا الحي من الجن كان يقال لهم بنو الشيصبان وكانوا أكثر الجن عددا وأشرفهم نسبا وهم كانوا عامة جنود ابليس

وماء طهور » وقال قتادة ذكر لنا ان ابن مسعود لما قدم الكوفة رأى شيوخا شمطا من الزط فأفزعوه حين رآهم فقال اظهروا فقيل له ان هؤلاء قوم من الزط . فقال ما أشبههم بالنفر الذين صرفوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد الجن

أخبرنا اسماعيل بن عبد القاهر أنا عبد الغافر بن محمد ثنا محمد بن عيسى الجلودي ثنا ابراهيم ابن محمد بن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج ثنا محمد بن المثنى ثنا عبد الاعلى ثنا داود وهو ابن أبي هند

وقال سفيان الثوري عن عاصم عن زر عن ابن مسعود (رض) كانوا تسعة أحدهم زوبعة أتوه من أصل نخلة وتقدم عنهم أنهم كانوا خمسة عشر ، وفي رواية أنهم كانوا على ستين راحلة وتقدم عنه أن اسم سيدهم وردان وقيـل كانوا ثلثمائة وتقدم عن عكرمة أنهم كانوا اثنى عشر الفا فلعل هذا الاختلاف دليل على تكرر وفادتهم عليه ﷺ ومما يدل على ذلك ماقاله البخاري في صحيحه حدثنا يحيى بن سليمان حدثني ابن وهب حدثني عمر هو ابن محمد قال ان سالما حدثه عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال ماسمعت عمر (رض) يقول لشيء قط اني لأظنه هكذا إلا كان كما يظن بينما عمر ابن الخطاب [رض] جالس اذ مر به رجل جميل فقال لقد أخطأ ظني أو أن هذا على دينه في الجاهلية أو لقد كان كاهنهم علي بالرجل ندعى له فقال له ذلك فقال مارأيت كاليوم استقبل به رجل مسلم قال فاني أعزم عليك الا ما أخبرتني قال كنت كاهنهم في الجاهلية قال فما أعجب ماجاءتك به جنيتك قال بينما أنا يوما في السوق جاءتني أعرف فيها الفزع فقالت

ألم تر الجن وابلاسها ويأسها من بعد انكاسها ولحوقها بالقلاص واحلاسها

قال عمر [رض] صدق بينما أنا نائم عند آلهتهم إذ جاء رجل بعجل فذبحه فصرخ به صارخ لم أسمع صارخا قط أشد صوتا منه يقول ياجليح أمر نجيح رجل فصيح يقول لا اله إلا الله قال فوثب القوم فقلت لا أبرح حتى أعلم ماوراء هذا ثم نادى ياجليح أمر نجيح رجل فصيح يقول لااله إلا الله فقمت فما نشبنا ان قيل هذا نبي . هذا سياق البخاري، وقد رواه البيهقي من حديث ابن وهب بنحوه ثم قال وظاهر هذه الرواية يوهم أن عمر [رض] بنفسه سمع الصارخ يصرخ من العجل الذي ذبح وكذلك هو صريح في رواية ضعيفة عن عمر رضي الله عنه وسائر الروايات تدل على أن هذا الكاهن هو الذي أخبر بذلك عن رؤيته وسماعه والله أعلم ، وهذا الذي قاله البيهقي هو المتجه وهذا الرجل هو سواد بن قارب ، وقد ذكرت هذا مستقصى في سيرة عمر رضي الله عنه فمن أراده فليأخذه من ثم ولله الحمد والمنة . وقال البيهقي حديث سواد بن قارب ويشبه أن يكون هذا هو الـكاهن الذي لم يذكر اسمه في الحديث الصحيح

أخبرنا ابو القاسم الحسن بن محمد بن حبيب المفسر من أصل سماعه أخبرنا أبو عبدالله محمد بن

عن عامر قال سألت علقمة هل كان ابن مسعود شهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الجن ؟ قال فقال علقمة انا سألت بن مسعود فقلت هل شهد أحد منكم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الجن ؟ قال لا ، ولكنا كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة ففقدناه . فالتمسناه في الاودية والشعاب فقلنا استطير أو اغتيل . قال فبتنا بشر ليلة بات بها قوم . فلما أصبحنا اذا هو جاء من قبل حراء . قال فقلنا يارسول الله فقدناك فطلبناك فلم نجدك فبتنا بشر ليلة بات بها قوم فقال «أتاني داعي الجن فذهبت معه فقرأت عليهم القرآن » قال فانطلق بنا فأرانا آثارهم وآثار نيرانهم قال وسألوه

عبدالله الصفار الاصبهاني قراءة عليه حدثنا أبو جعفر أحمد بن موسى الحمار السكوفي بالكوفة حدثنا زياد بن يزيد بن بادويه ثنا ابو بكر القصري حدثنا محمد بن نواس الكوفي حدثنا أبو بكر بن عياش عن أبي إسحاق عن البراء رضي الله عنه قال بينما عمر بن الخطاب [رض] يخطب الناس على منبر رسول الله ﷺ اذ قال أيها الناس أفيكم سواد بن قارب ؟ قال فلم يجبه أحد تلك السنة فلما كانت السنة المقبلة قال: أيها الناس أفيكم سواد بن قارب؟ قال فقلت يا أمير المؤمنين وما سواد بن قارب ؟ قال فقال له عمر [رض] ان سواد بن قارب كان بدء اسلامه شيئا عجيبا قال فبينما نحن كذلك إذ طلع سواد بن قارب قال فقال له عمر (رض) ياسواد حدثنا ببدء اسلامك كيف كان قال سواد [رض] فاني كنت نازلا بالهند وكان لي رئي من الجن قال فبينا أنا ذات ليلة نائم اذ جاءني في منامي ذلك قال قم فافهم واعقل إن كنت تعقل قد بعث رسول من لؤي بن غالب ثم أنشأ يقول

عجبت للجن وتحساسها　　وشدها العيس بأحلاسها
تهوي الى مكة تبغي الهدى　　ماخير الجن كأنجاسها
فانهض الى الصفوة من هاشم　　واسم بعينيك الى رأسها

قال ثم أنبهني فأفزعني وقال ياسواد بن قارب ان الله عز وجل بعث نبيا فانهض اليه تهتد وترشد فلما كان من الليلة الثانية أتاني فأنبهني ثم أنشأ يقول

عجبت للجن وتطلابها　　وشدها العيس بأقتابها
تهوي الى مكة تبغي الهدى　　ليس قداماها كأذنابها
فانهض الى الصفوة من هاشم　　واسم بعينيك الى قابها

فلما كان في الليلة الثالثة أتاني فأنبهني ثم قال

عجبت للجن وتخبارها　　وشدها العيس بأكوارها
تهوي الى مكة تبغي الهدى　　ليس ذوو الشر كأخيارها
فانهض الى الصفوة من هاشم　　مامؤمنو الجن ككفارها

قال فلما سمعته تكرر ليلة بعد ليلة وقع في قلبي حب الاسلام من أمر رسول الله ﷺ ماشاء الله قال فانطلقت إلى رحلي فشددته على راحلتي فما حللت تسعة ولا عقدت أخرى حتى أتيت رسول الله ﷺ فاذا هو بالمدينه يعني مكة والناس عليه كعرف الفرس فلما رآني النبي ﷺ قال « مرحبا بك ياسواد بن قارب قد علمنا ماجاء بك » قال قلت يارسول الله قد قلت شعراً فاسمعه مني قال صلى الله عليه وسلم « قل ياسواد » فقلت

الزاد فقال لكم كل عظم ذكر اسم الله عليه يقع في أيديكم أوفر ما يكون لحما وكل بعرة علف لدوابكم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « فلا تستنجوا بهما فانهما طعام اخوانكم » ورواه مسلم عن علي بن حجر

أتاني رئي بعد ليل وهجعة ولم يك فيما قد بلوت بكاذب
ثلاث ليال قوله كل ليلة أتاك رسول من لؤي بن غالب
فشمرت عن ساقي الازار ووسطت بي الدعلب الوجناء غبر السباسب
فأشهد أن الله لارب غيره وأنك مأمون على كل غائب
وانك أدنى المرسلين وسيلة إلى الله يا ابن الاكرمين الاطايب
فمرنا بما يأتيك ياخير مرسل وإن كان فيما جاء شيب الذوائب
وكن لي شفيعا يوم لاذو شفاعة سواك بمغن عن سواد بن قارب

قال فضحك النبي ﷺ حتى بدت نواجذه وقال لي « أفلحت ياسواد » فقال له عمر رضي الله عنه هل يأتيك رئيك الآن ؟ فقال « منذ قرأت القرآن لم يأتني ونعم العوض كتاب الله عز وجل من الجن » ثم أسنده البيهقي من وجهين آخرين

ومما يدل على وفادتهم اليه ﷺ بعد ماهاجر إلى المدينة الحديث الذي رواه الحافظ أبو نعيم في كتاب دلائل النبوة حدثنا سليمان بن أحمد حدثنا محمد بن عبدة المصيصي حدثنا أبو توبة الربيع ابن نافع حدثنا معاوية بن سلام عن زيد بن أسلم أنه سمع أبا سلام يقول حدثني من حدثه عمرو بن غيلان الثقفي قال أتيت عبد الله بن مسعود رضي الله عنه فقلت له حدثت انك كنت مع رسول الله ﷺ ليلة وفد الجن ؟ قال أجل ، قلت حدثني كيف كان شأنه ؟ فقال إن أهل الصفة أخذ كل رجل منهم رجل يعشيه وتركت فلم يأخذني أحد منهم فمر بي رسول الله ﷺ فقال « من هذا ؟ » فقلت أنا ابن مسعود ، فقال ﷺ « ماأخذك أحد يعشيك ؟ » فقلت لا ، قال ﷺ « فانطلق لعلي أجد لك شيئا » قال فانطلقنا حتى أتى رسول الله ﷺ حجرة أم سلمة رضي الله عنها فتركني قائما ودخل الى أهله ثم خرجت الجارية فقالت ياابن مسعود إن رسول الله ﷺ لم يجد لك عشاء فارجع إلى مضجعك قال فرجعت إلى المسجد فجمعت حصباء المسجد فتوسدته والتففت بثوبي فلم ألبث إلا قليلا حتى جاءت الجارية فقالت أجب رسول الله فاتبعتها وأنا أرجو العشاء حتى بلغت مقامي خرج رسول الله ﷺ وفي يده عسيب من نخل فعرض به على صدري فقال ﷺ « انطلق أنت معي حيث انطلقت قلت ماشاء الله فأعادها علي ثلاث مرات كل ذلك أقول ماشاء الله فانطلق وانطلقت معه حتى أتينا بقيع الغرقد فخط ﷺ بعصاه خطا ثم قال « اجلس فيها ولا تبرح حتى آتيك » ثم انطلق يمشي وأنا أنظر اليه خلال النخل حتى اذا كان من حيث لاأراه ثارت قبله العجاجة السوداء ففرقت فقلت ألحق برسول الله ﷺ فاني أظن أن هوازن مكروا برسول الله ﷺ ليقتلوه فأسعى إلى البيوت فأستغيث

ثنا اسماعيل بن ابراهيم عن داود بهذا الاسناد الى قوله وآثار نيرانهم . قال الشعبي وسألوه الزاد وكانوا من جن الجزيرة إلى آخر الحديث من قول الشعبي مفصلا من حديث عبد الله . قوله عزوجل

الناس فذكرت أن رسول الله ﷺ أوصاني أن لا أبرح مكاني الذي أنا فيه فسمعت رسول الله ﷺ يقرعهم بعصاه ويقول «اجلسوا» فجلسوا حتى كاد ينشق عمود الصبح ثم ثاروا وذهبوا فأتاني رسول الله ﷺ فقال «أنمت بعدي؟» فقلت لا ولقد فزعت الفزعة الاولى حتى رأيت أن آتي البيوت فأستغيث الناس حتى سمعتك تقرعهم بعصاك وكنت أظنها هوازن مكروا برسول الله ﷺ ليقتلوه فقال «لو أنك خرجت من هذه الحلقة ماأمنت عليك أن يختطفك بعضهم فهل رأيت من شيء منهم؟» فقلت رأيت رجالا سوداً مستثفرين بثياب بيض، فقال رسول الله ﷺ «أولئك وفد جن نصيبين أتوني فسألوني الزاد والمتاع فمتعتهم بكل عظم حائل أو روثة أو بعرة» قلت فما يغني عنهم ذلك؟ قال ﷺ «انهم لا يجدون عظما الا وجدوا عليه لحمه الذي كان عليه يوم أكل، ولا روثة إلا وجدوا فيها حبها الذي كان فيها يوم أكلت فلا يستنقي أحد منكم بعظم ولا بعرة» وهذا اسناد غريب جداً ولكن فيه رجل مبهم لم يسم والله تعالى أعلم

وقد روى الحافظ أبو نعيم من حديث بقية بن الوليد حدثني نمير بن زيد القنبر حدثنا أبي حدثنا قحافة بن ربيعة حدثني الزبير بن العوام رضي الله عنه قال: صلى بنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح في مسجد المدينة فلما انصرف قال «أيكم يتبعني إلى وفد الجن الليلة؟» فاسكت القوم ثلاثا فمر بي فأخذ بيدي فجعلت أمشي معه حتى حبست عنا جبال المدينة كلها وأفضينا إلى أرض براز فاذا برجال طوال كأنهم الرماح مستثفرين بثيابهم من بين أرجلهم فلما رأيتهم غشيتني رعدة شديدة ثم ذكر نحو حديث ابن مسعود المتقدم وهذا حديث غريب والله أعلم

ومما يتعلق بوفود الجن مارواه الحافظ أبو نعيم حدثنا أبو محمد بن حبان حدثنا أبو الطيب أحمد ابن روح حدثنا يعقوب الدورقي حدثنا الوليد بن بكر التيمي حدثنا حصين بن عمر اخبرني عبيد المكتب عن ابراهيم قال خرج نفر من اصحاب عبد الله يريدون الحج حتى اذا كانوا في بعض الطريق اذاهم بحية تنثني على الطريق أبيض ينفح منه ريح المسك فقلت لاصحابي امضوا فلست ببارح حتى انظر الى ما يصير اليه أمر هذه الحية قال فما لبثت أن ماتت فعمدت إلى خرقة بيضاء فلففتها فيها ثم نحيتها عن الطريق فدفنتها وأدركت أصحابي في المتعشى، قال فوالله إنا لقعود اذ أقبل أربع نسوة من قبل المغرب فقالت واحدة منهن: أيكم دفن عمرا؟ قلنا ومن عمرو؟ قالت أيكم دفن الحية؟ قال فقلت أنا قالت أما والله لقد دفنت صواما قواما يأمر بما أنزل الله تعالى ولقد آمن بنبيكم وسمع صفته من السماء قبل أن يبعث بأربعمائة عام قال الرجل فحمدنا الله تعالى ثم قضينا حجتنا ثم مررت بعمر بن الخطاب رضي الله عنه بالمدينة فأنبأته بأمر الحية فقال صدقت سمعت رسول الله ﷺ يقول «لقد آمن بي قبل أن ابعث بأربعمائة سنة» وهذا حديث غريب جدا والله أعلم

(وإذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القرآن) اختلفوا في عدد ذلك النفر: فقال ابن عباس

قال أبو نعيم : وقد روى الثوري عن أبي اسحاق عن الشعبي عن رجل من ثقيف بنحوه ، وروى عبدالله بن أحمد والطبراني عن صفوان بن المعطل - هو الذي نزل ودفن تلك الحية من بين الصحابة وانهم قالوا انه آخر التسعة موتا الذين أتوا رسول الله ﷺ يستمعون القرآن

وروى أبو نعيم من حديث الليث بن سعد عن عبد العزيز بن أبي سلمة الماجشون عن عمه عن معاذ بن عبد الله بن معمر قال كنت جالسا عند عثمان بن عفان رضي الله عنه فجاء رجل فقال يا أمير المؤمنين اني كنت بفلاة من الارض فذكر أنه رأى ثعبانين اقتتلا ثم قتل أحدهما الآخر قال فذهبت الى المعترك فوجدت حيات كثيرة مقتولة وإذ ينفح من بعضها ريح المسك فجعلت أشمها واحدة واحدة حتى وجدت ذلك من حية صفراء رقيقة فلففتها في عمامتي ودفنتها ، فبينا أنا أمشي إذ ناداني مناد : ياعبد الله لقد هديت هذان حيان من الجن بنو شعيبان وبنو قيس التقوا فكان من القتل ما رأيت واستشهد الذي دفنته وكان من الذين سمعوا الوحي من رسول الله ﷺ قال فقال عثمان لذلك الرجل ان كنت صادقا فقد رأيت عجبا وان كنت كاذبا فعليك كذبك

وقوله تبارك وتعالى (وإذ صرفنا اليك نفراً من الجن) أي طائفة من الجن (يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا) أي استمعوا وهذا أدب منهم

وقد قال الحافظ البيهقي حدثنا الامام أبو الطيب سهل بن محمد بن سليمان أخبرنا ابو الحسن محمد ابن عبدالله الدقاق حدثنا محمد بن ابراهيم البوشنجي حدثنا هشام بن عمار الدمشقي حدثنا الوليد ابن مسلم عن زهير بن محمد عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال قرأ رسول الله ﷺ سورة الرحمن حتى ختمها ثم قال « مالي أراكم سكوتا ؟ للجن كانوا أحسن منكم رداً ما قرأت عليهم هذه الآية من مرة (فبأي آلاء ربكما تكذبان) إلا قالوا : ولا بشيء من آلائك أو نعمك ربنا نكذب فلك الحمد » ورواه الترمذي في التفسير عن أبي مسلم عبد الرحمن بن واقد عن الوليد بن مسلم به قال خرج رسول الله ﷺ على أصحابه فقرأ عليهم سورة الرحمن فذكره ثم قال الترمذي : غريب لا نعرفه إلا من حديث الوليد عن زهير ، كذا قال وقد رواه البيهقي من حديث مروان ابن محمد الطاطري عن زهير بن محمد به مثله

كانوا سبعة من جن نصيبين فجعلهم رسول الله صلى الله وسلم رسلا الى قومهم . وقال آخرون كانوا تسعة وروى عاصم عن زر بن حبيش كان زوبعة من التسعة الذين استمعوا القرآن ﴿فلما حضروه قالوا أنصتوا﴾ قالوا صه وروي في الحديث ان الجن ثلاثة أصناف صنف لهم أجنحة يطيرون بها في الهواء وصنف حيات وكلاب وصنف يحلون ويظعنون فلما حضروه قال بعضهم لبعض أنصتوا اسكتوا لنستمع الى قراءته فلا يحول بيننا وبين الاستماع شيء فأنصتوا واستمعوا القرآن حتى كاد يقع بعضهم

وقوله عز وجل (فلما قضى) أي فرغ كقوله تعالى (فاذا قضيت الصلاة - فقضاهن سبع سموات في يومين - فاذا قضيتم مناسككم) [ولوا إلى قومهم منذرين] أي رجعوا الى قومهم فأنذروهم ماسمعوه من رسول الله (ص) كقوله جل وعلا (ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون) وقد استدل بهذه الآية على انه في الجن نذر وليس فيهم رسل ولا شك ان الجن لم يبعث الله تعالى منهم رسولا كقوله تعالى (وما أرسلنا قبلك إلا رجالا نوحي اليهم من أهل القرى) وقال عز وجل (وما أرسلنا قبلك من المرسلين الا انهم ليأكلون الطعام ويمشون في الاسواق) وقال عن ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام (وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب) فكل نبي بعثه الله تعالى بعد ابراهيم فمن ذريته وسلالته

فأما قوله تبارك وتعالى في الانعام (يامعشر الجن والانس ألم يأتكم رسل منكم) فالمراد من مجموع الجنسين فيصدق على أحدهما وهو الانس كقوله (يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان) اي أحدهما ثم انه تعالى فسر انذار الجن لقومهم فقال مخبراً عنهم (قالوا ياقومنا انا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى) ولم يذكروا عيسى لان عيسى عليه السلام أنزل عليه الانجيل فيه مواعظ وترقيقات وقليل من التحليل والتحريم وهو في الحقيقة كالمتمم لشريعة التوراة فالعمدة هو التوراة فلهذا قالوا أنزل من بعد موسى ، وهكذا قال ورقة بن نوفل حين أخبره النبي ﷺ بقصة نزول جبريل عليه عليه الصلاة والسلام أول مرة فقال بخ بخ هذا الناموس الذي كان يأتي موسى ياليتني أكون فيها جذعا (مصدقا لما بين يديه) أي من الكتب المنزلة على الانبياء قبله ، وقولهم (يهدي إلى الحق) أي في الاعتقاد والاخبار وإلى طريق مستقيم) في الاعمال فان القرآن مشتمل على شيئين خبر وطلب فخبره صدق وطلبه عدل كما قال تعالى (وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا)

وقال سبحانه وتعالى (هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق) فالهدى هو العلم النافع ودين الحق هو العمل الصالح ، وهكذا قالت الجن (يهدي إلى الحق) في الاعتقادات (وإلى طريق مستقيم) أي في العمليات (ياقومنا أجيبوا داعي الله) فيه دلالة على أنه تعالى أرسل محمداً ﷺ إلى الثقلين الجن والانس حيث دعاهم إلى الله تعالى وقرأ عليهم السورة التي فيها خطاب الفريقين وتكليفهم ووعدهم ووعيدهم وهي سورة الرحمن ولهذا قال (أجيبوا داعي الله وآمنوا به)

وقوله تعالى (يغفر لكم من ذنوبكم) قيل إن من ههنا زائدة وفيه نظر لان زيادتها في الاثبات

على بعض من شدة حرصهم ﴿ فلما قضي ﴾ فرغ من تلاوته ﴿ولوا إلى قومهم﴾ انصرفوا اليهم ﴿منذرين﴾ مخوفين داعين بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ قالوا ياقومنا انا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه يهدي الى الحق والى طريق مستقيم ﴾ قال عطاء كان دينهم اليهودية لذلك قالوا إنا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى ﴿ ياقومنا أجيبوا داعي الله ﴾ يعني محمدا صلى الله عليه وسلم (تفسيرا ابن كثير والبغوي)

قليل ، وقيل انها على بابها للتبعيض (ويجركم من عذاب أليم) أي ويقيكم من عذابه الاليم، وقد استدل بهذه الآية من ذهب من العلماء إلى أن الجن المؤمنين لايدخلون الجنة وانما جزاء صالحيهم أن يجاروا من عذاب النار يوم القيامة ولهذا قالوا هذا في هذا المقام وهو مقام تبجح ومبالغة فلو كان لهم جزاء على الايمان أعلى من هذا لأوشك أن يذكروه .

وقال ابن ابي حاتم حدثنا أبي قال حدثت عن جرير عن ليث عن مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : لايدخل مؤمنو الجن الجنة لانهم من ذرية ابليس ولا تدخل ذرية ابليس الجنة ، والحق أن مؤمنيهم كمؤمني الانس يدخلون الجنة كما هو مذهب جماعة من السلف وقد استدل بعضهم لهذا بقوله عز وجل (لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان) وفي هذا الاستدلال نظر ، وأحسن منه قوله جل وعلا [ولمن خاف مقام ربه جنتان فبأي آلاء ربكما تكذبان] فقد امتن تعالى على الثقلين بأن جعل جزاء محسنهم الجنة وقد قابلت الجن هذه الآية بالشكر القولي أبلغ من الانس فقالوا ولا بشيء من آلائك ربنا نكذب فلك الحمد فلم يكن تعالى ليمتن عليهم بجزاء لايحصل لهم وأيضاً فانه اذا كان يجازى كافرهم بالنار وهو مقام عدل فلأن يجازى مؤمنهم بالجنة وهو مقام فضل بطريق الاولى والاحرى . ومما يدل أيضاً على ذلك عموم قوله تعالى [إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا] وما أشبه ذلك من الآيات

وقد أفردت هذه المسئلة في جزء على حدة ولله الحمد والمنة وهذه الجنة لايزال فيها فضل حتى ينشيء الله تعالى لها خلقا أفلا يسكنها من آمن به وعمل له صالحا وما ذكروه ههنا من الجزاء على الايمان من تكفير الذنوب والاجارة من العذاب الاليم هو يستلزم دخول الجنة لانه ليس في الآخرة الا الجنة أو النار فمن أجير من النار دخل الجنة لامحالة ولم يرد معنا نص صريح ولا ظاهر عن الشارع أن مؤمني الجن لايدخلون الجنة وإن أجيروا من النار ولو صح لقلنا به والله أعلم

وهذا نوح عليه الصلاة والسلام يقول لقومه (يغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم إلى أجل مسمى)

﴿ وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ﴾ من صلة أي ذنوبكم كلها ﴿ ويجركم من عذاب اليم ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما فاستجاب لهم من قومهم نحو من سبعين رجلا من الجن فرجعوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فوافوه في البطحاء فقرأ عليهم القرآن وأمرهم ونهاهم ، وفيه دليل على انه صلى الله عليه وسلم كان مبعوثا الى الجن والانس جميعا ، قال مقاتل لم يبعث قبله نبي الى الانس والجن جميعا، واختلف العلماء في حكم مؤمني الجن فقال قوم ليس لهم ثواب الا نجاتهم من النار وتأولوا قوله (يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم) واليه ذهب أبو حنيفة رضي الله تعالى عنه وحكى سفيان عن ليث قال الجن ثوابهم ان يجاروا من النار ثم يقال لهم كونوا ترابا وهذا مثل البهائم وعن أبي الزناد قال اذا قضى بين الناس قيل لمؤمني الجن عودوا ترابا فيعودون ترابا فعند ذلك يقول الكافر ياليتني كنت ترابا

ولا خلاف أن مؤمني قومه في الجنة فكذلك هؤلاء . وقد حكي فيهم أقوال غريبة فعن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه أنهم لايدخلون بحبوحة الجنة وانما يكونون في ربضها وحولها وفي أرجائها ومن الناس من زعم أنهم في الجنة يراهم بنو آدم ولا يرون بني آدم بعكس ماكانوا عليه في الدار الدنيا ، ومن الناس من قال لا يأكلون في الجنة ولا يشربون وانما يلهمون التسبيح والتحميد والتقديس عوضاً عن الطعام والشراب كالملائكة لأنهم من جنسهم ، وكل هذه الاقوال فيها نظر ولا دليل عليها ، ثم قال مخبراً عنهم (ومن لايجب داعي الله فليس بمعجز في الارض) أي بل قدرة الله شاملة له ومحيطة به (وليس لهم من دونه أولياء) أي لايجيرهم منه أحد (أولئك في ضلال مبين) وهذا مقام تهديد وترهيب فدعوا قومهم بالترغيب والترهيب ولهذا نجع في كثير منهم وجاؤا إلى رسول الله ﷺ وفوداً وفودا كما تقدم بيانه ولله الحمد والمنة والله أعلم .

أو لم يروا أن الله الذي خلق السموات والارض ولم يعي بخلقهن بقدر على أن يحيي الموتى بلى انه على كل شيء قدير (٣٣) ويوم يُعرض الذين كفروا على النار أليس هذا بالحق ؟ قالوا بلى وربنا ، قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون (٣٤) فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل ولا تستعجل لهم كأنهم يوم يرون مايوعدون لم يلبثوا إلا ساعة من نهار بلاغ فهل يُهلك إلا القومُ الفسقون ؟ (٣٥)

يقول تعالى أولم ير هؤلاء المنكرون للبعث يوم القيامة المستبعدون لقيام الاجساد يوم المعاد أن الله الذي خلق السموات والارض (ولم يعي بخلقهن) أي ولم يكترثه خلقهن بل قال لها كوني فكانت بلا ممانعة ولا مخالفة بل طائعة مجيبة خائفة وجلة أفليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى ؟ كما قال عز

وقال الآخرون يكون لهم الثواب في الاحسان كما يكون عليهم العقاب في الاساءة كالانس واليه ذهب مالك وابن أبي ليلى وقال جرير عن الضحاك الجن يدخلون الجنة ويأكلون ويشربون ، وذكر النقاش في تفسيره حديثاً أنهم يدخلون الجنة فقيل هل يصيبون من نعيمها قال يلهمهم الله تسبيحه وذكره فيصيبون من لذته ما يصيبه بنو آدم من نعيم الجنة ، وقال ارطاة بن المنذر سألت ضمرة بن حبيب هل للجن ثواب قال نعم وقرأ (لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان) قال فالانسيات للانس والجنيات للجن وقال عمر بن عبد العزيز ان مؤمني الجن حول الجنة في ربض ورحاب وليسوا فيها ﴿ ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الارض ﴾ لا يعجز الله فيفوته ﴿ وليس له من دونه أولياء ﴾ أنصار يمنعونه من الله ﴿ أولئك في ضلال مبين * أو لم يروا أن الله الذي خلق السموات والارض ولم يعي بخلقهن ﴾

وجل في الآية الاخرى (لخلق السموات والارض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون) ولهذا قال تعالى [بلى انه على كل شيء قدير]

ثم قال جل جلاله متهدداً ومتوعداً لمن كفر به [ويوم يعرض الذين كفروا على النار أليس هذا بالحق؟] أي يقال لهم أما هذا حق أفسحر هذا أم أنتم لا تبصرون [قالوا بلى وربنا] أي لا يسعهم إلا الاعتراف [قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون]

ثم قال تبارك وتعالى آمراً رسوله ﷺ بالصبر على تكذيب من كذبه من قومه (فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل) أي على تكذيب قومهم لهم، وقد اختلفوا في تعداد أولي العزم على أقوال وأشهرها انهم نوح وابراهيم وموسى وعيسى وخاتم الانبياء كلهم محمد ﷺ قد نص الله تعالى على أسمائهم من بين الانبياء في آيتين من سورتي الاحزاب والشورى، وقد يحتمل أن يكون المراد بأولي العزم جميع الرسل فتكون [من] في قوله من الرسل لبيان الجنس والله أعلم

لم يعجز عن ابداعهن ﴿ بقادر ﴾ هكذا قراءة العامة واختلفوا في وجه دخول الباء فيه فقال أبو عبيدة والاخفش الباء زائدة للتأكيد كقوله (تنبت بالدهن)

وقال الكسائي والفراء العرب تدخل الباء في الاستفهام مع الجحد فتقول ما أظنك بقائم وقرأ يعقوب (يقدر) بالياء على الفعل واختار أبو عبيدة قراءة العامة لأنها في قراءة عبدالله قادر بغير باء ﴿ على أن يحيي الموتى بلى انه على كل شيء قدير * ويوم يعرض الذين كفروا على النار ﴾ فيقال لهم ﴿ أليس هذا بالحق ؟قالوا بلى وربنا قال ﴾ أي فيقال لهم ﴿ فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون * فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل ﴾ قال ابن عباس ذوو الحزم ، وقال الضحاك ذوو الجد والصبر واختلفوا فيهم فقال ابن زيد كل الرسل كانوا أولي عزم لم يبعث الله نبياً إلا كان ذا عزم وحزم ورأي وكمال عقل ، وانما أدخلت من للتجنيس لا للتبعيض كما يقال اشتريت أكسية من الخز واردية من البز. وقال بعضهم الانبياء كلهم أولو عزم إلا يونس بن متى لعجلة كانت منه ألا ترى انه قيل للنبي ﷺ (ولا تكن كصاحب الحوت) وقال قوم هم نجباء الرسل المذكورين في سورة الانعام وهم ثمانية عشر لقوله تعالى بعد ذكرهم (أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده)

وقال الكلبي هم الذين أمروا بالجهاد وأظهروا المكاشفة مع أعداء الدين وقيل هم ستة نوح وهود وصالح ولوط وشعيب وموسى عليهم السلام وهم المذكورون على النسق في سورة الاعراف والشعراء وقال مقاتل :هم ستة نوح صبر على أذى قومه وابراهيم صبر على النار وإسحاق صبر على الذبح ويعقوب صبر على فقد ولده وذهاب بصره ويوسف صبر على البئر والسجن وأيوب صبر على الضر ، وقال ابن عباس وقتادة هم نوح وابراهيم وموسى وعيسى أصحاب الشرائع فهم مع محمد ﷺ خمسة قال الشيخ الامام محيي السنة قلت ذكرهم الله على التخصيص في قوله (واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن

وقد قال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن الحجاج الحضرمي حدثنا السري بن حيان حدثنا عباد بن عباد حدثنا مجالد بن سعيد عن الشعبي عن مسروق قال قالت لي عائشة رضي الله عنها : ظل رسول الله ﷺ صائما ثم طواه ثم ظل صائما ثم طواه ثم ظل صائما ثم قال « ياعائشة ان الدنيا لا تنبغي لمحمد ولا لآل محمد يا عائشة ان الله تعالى لم يرض من أولي العزم من الرسل إلا بالصبر على مكروهها والصبر عن محبوبها ثم لم يرض مني إلا أن يكلفني ما كلفهم فقال (فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل) واني والله لأصبرن كما صبروا جهدي ولا قوة إلا بالله » [ولا تستعجل لهم] أي لا تستعجل لهم حلول العقوبة بهم كقوله تبارك وتعالى [فذرني والمكذبين أولي النعمة ومهلهم قليلا] وكقوله تعالى [فمهل الكافرين أمهلهم رويداً] (كأنهم يوم يرون مايوعدون لم يلبثوا إلا ساعة من نهار) كقوله جل وعلا (كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشية أو ضحاها) وكقوله عز وجل (ويوم نحشرهم كأن لم يلبثوا إلا ساعة من النهار يتعارفون بينهم) الآية. وقوله جل وعلا (بلاغ) قال ابن جرير يحتمل معنيين (أحدهما) أن يكون تقديره وذلك لبث بلاغ (والآخر) أن يكون تقديره هذا القرآن بلاغ

وقوله تعالى (فهل يهلك الا القوم الفاسقون؟) أي لا يهلك على الله الا هالك ، وهذا من عدله عز وجل انه لا يعذب إلا من يستحق العذاب والله أعلم

نوح وابراهيم وموسى وعيسى بن مريم) وفي قوله تعالى (شرع لكم من الدين ماوصى به نوحا) الآية. أخبرنا أبو طاهر المطهر بن علي بن عبيدالله الفارسي ثنا أبو ذر محمد بن ابراهيم سبط الصالحاني أنا ابو محمد عبدالله بن محمد بن جعفر بن حيان المعروف بأبي الشيخ الحافظ أنا عبدالرحمن بن أبي حاتم أنا محمد بن الحجاج أنا السري بن حبان أنا عباد بن عباد ثنا مجالد بن سعيد عن الشعبي عن مسروق قال قالت عائشة (رض) قال لي رسول الله ﷺ « ياعائشة إن الدنيا لا تنبغي لمحمد ولا لآل محمد ياعائشة ان الله لم يرض من أولي العزم الا بالصبر على مكروهها والصبر عن محبوبها ولم يرض مني الا أن كلفني ما كلفهم وقال (فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل) واني والله لابد لي من طاعته والله لأصبرن كما صبروا وأجهدن كما جهدوا ولا قوة الا بالله »

قوله تعالى ﴿ ولا تستعجل لهم ﴾ أي ولا تستعجل العذاب لهم فانه نازل بهم لا محالة كأنه ضجر بعض الضجر فأحب أن ينزل العذاب بمن أبى منهم فأمر بالصبر وترك الاستعجال ثم أخبر عن قرب العذاب فقال ﴿ كأنهم يوم يرون ما يوعدون ﴾ من العذاب في الآخرة ﴿ لم يلبثوا ﴾ في الدنيا ﴿ الا ساعة من نهار ﴾ أي اذا عاينوا العذاب صار طول لبثهم في الدنيا والبرزخ كأنه ساعة من نهار لان ما مضى وان كان طويلا كأن لم يكن ثم قال ﴿ بلاغ ﴾ أي هذا القرآن وما فيه من البيان بلاغ من الله اليكم والبلاغ بمعنى التبليغ ﴿ فهل يهلك ﴾ بالعذاب اذا نزل ﴿ الا القوم الفاسقون ﴾ الخارجون من أمر الله قال الزجاج تأويله لا يهلك مع رحمة الله وفضله الا القوم الفاسقون ولهذا قال قوم ما في الرجاء لرحمة الله آية أقوى من هذه الآية

تفسير سورة القتال وهى مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم

الذين كفروا وصدّوا عن سبيل الله أضل أعمٰلهم (١) والذين آمنوا وعملوا الصٰلحٰت وآمنوا بما نُزِّل على محمد وهو الحقُّ من ربهم كفّر عنهم سيئاتهم وأصلح بالهم (٢) ذلك بأن الذين كفروا اتبعوا البٰطل وأن الذين آمنوا اتبعوا الحقّ من ربهم كذلك يضرب اللهُ للناس أمثٰلهم (٣).

يقول تعالى (الذين كفروا) أي بآيات الله (وصدوا) غيرهم (عن سبيل الله أضل أعمالهم) أي أبطلها وأذهبها ولم يجعل لها ثوابا ولا جزاء كقوله تعالى (وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا) ثم قال جل وعلا (والذين آمنوا وعملوا الصالحات) أي آمنت قلوبهم وسرائرهم وانقادت لشرع الله جوارحهم وبواطنهم وظواهرهم (وآمنوا بما نزل على محمد) عطف خاص على عام وهو دليل على أنه شرط في صحة الايمان بعد بعثته ﷺ

وقوله تبارك وتعالى (وهو الحق من ربهم) جملة معترضة حسنة ولهذا قال جل جلاله (كفر عنهم سيئاتهم وأصلح بالهم) قال ابن عباس رضي الله عنهما : أي أمرهم وقال مجاهد : شأنهم وقال قتادة وابن زيد حالهم والكل متقارب

وقد جاء في حديث تشميت العاطس « يهديكم الله ويصلح بالكم » ثم قال عز وجل [ذلك بأن

﴿ سورة محمد ﷺ مدنية وهي ثمان وثلاثون آية ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله أضل أعمالهم ﴾ أبطلها فلم يقبلها واراد بالاعمال ما فعلوا من اطعام الطعام وصلة الارحام قال الضحاك ابطل كيدهم ومكرهم بالنبي ﷺ وجعل الدائرة عليهم ﴿ والذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما نزل على محمد ﴾ قال سفيان الثورى يعني لم يخالفوه في شيء ﴿ وهو الحق من ربهم ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما (الذين كفروا وصدوا) مشركو مكة (والذين آمنوا وعملوا الصالحات) الانصار ﴿ كفر عنهم سيئاتهم وأصلح بالهم ﴾ حالهم قال ابن عباس رضي الله عنهما عصمهم أيام حياتهم يعني ان هذا الاصلاح يعود الى اصلاح أعمالهم

الذين كفروا اتبعوا الباطل] أي انما أبطلنا أعمال الكفار، وتجاوزنا عن سيئات الابرار، وأصلحنا شؤنهم لان الذين كفروا اتبعوا الباطل أي اختاروا الباطل على الحق (وان الذين آمنوا اتبعوا الحق من ربهم كذلك يضرب الله للناس أمثالهم) أي يبين لهم مآل أعمالهم، وما يصيرون اليه في معادهم، والله سبحانه وتعالى أعلم

فاذا لقيتم الذين كفروا فضربَ الرقاب حتى إذا أثخنتموهم فشدُّوا الوثاق فإما منًّا بعدُ وإما فداء حتى تضعَ الحرب أوزارها، ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلوَ بعضكم ببعض والذين قتلوا في سبيل الله فلن يُضل أعمالهم (٤) سيهديهم ويُصلح بالهم (٥) ويدخلهم الجنةَ عرَّفها لهم (٦) يا أيها الذين آمنوا ان تنصروا الله ينصرْكم ويثبت أقدامكم (٧) والذين كفروا فتعساً لهم وأضل أعمالهم (٨) ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله فأحبطَ أعمالهم (٩)

يقول تعالى مرشداً للمؤمنين الى ما يعتمدونه في حروبهم مع المشركين (فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب) أي اذا واجهتموهم فاحصدوهم حصداً بالسيوف(حتى اذا أثخنتموهم) أي أهلكتموهم قتلا(فشدوا الوثاق) الاسارى الذين تأسرونهم ثم انتم بعد انقضاء الحرب وانفصال المعركة مخيرون في أمرهم ان شئتم مننتم عليهم فأطلقتم أساراهم مجانا وان شئتم فاديتموهم بمال تأخذونه منهم وتشارطونهم عليه، والظاهر ان هذه الآية نزلت بعد وقعة بدر فان الله سبحانه وتعالى عاتب المؤمنين على الاستكثار من الاسارى يومئذ ليأخذوا منهم الفداء والتقليل من القتل يومئذ فقال (ما كان لنبي أن يكون له اسرى حتى يثخن في الارض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم) ثم قد ادعى بعض العلماء أن هذه الاية المخيرة بين مفاداة الاسير والمن عليه منسوخة بقوله تعالى (فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين

حتى لا يعصوا ﴿ ذلك بان الذين كفروا اتبعوا الباطل ﴾ الشيطان ﴿ وان الذين آمنوا اتبعوا الحق من ربهم ﴾ يعني القرآن ﴿ كذلك يضرب الله للناس أمثالهم ﴾ اشكالهم قال الزجاج كذلك يبين الله أمثال حسنات المؤمنين واضلال أعمال الكافرين ﴿ فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب ﴾ نصب على الاغراء أي فاضربوا رقابهم يعني أعناقهم ﴿ حتى إذا أثخنتموهم ﴾ بالغتم في القتل وقهرتموهم ﴿ فشدوا الوثاق ﴾ يعني في الاسر حتى لا يفلتوا منكم والاسر يكون بعد المبالغة في القتل كما قال (ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الارض) ﴿ فامامنا بعدواما فداء ﴾ يعني بعد أن تأسروهم

حيث وجدتموهم) الآية رواه العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما وقاله قتادة والضحاك والسدي وابن جريج وقال الآخرون وهم الاكثرون ليست بمنسوخة، ثم قال بعضهم انما الامام مخير بين المن على الاسير ومفاداته فقط ولا يجوز له قتله وقال آخرون منهم بل له ان يقتله ان شاء لحديث قتل النبي ﷺ النضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط من أسارى بدر وقال ثمامة بن أثال لرسول الله ﷺ حين قال له « ما عندك يا ثمامة ؟ » فقال ان تقتل تقتل ذادم وان تمنن تمنن على شاكر وان كنت تريد المال فاسأل تعط منه ما شئت، وزاد الشافعي رحمة الله عليه فقال الامام مخير بين قتله أو المن عليه أو مفاداته أو استرقاقه أيضا وهذه المسئلة محررة في علم الفروع وقد دللنا على ذلك في كتابنا الاحكام ولله سبحانه وتعالى الحمد والمنة

فاما أن تمنوا عليهم منا باطلاقهم من غير عوض واما أن تفادوهم فداء ، واختلف العلماء في حكم هذه الاية فقال قوم هى منسوخة بقوله فاما تثقفنهم في الحرب فشرد بهم من خلفهم وبقوله اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم والى هذا القول ذهب قتادة والضحاك والسدى وابن جريج وهو قول الاوزاعي وأصحاب الرأي قالوا لا يجوز المن على من وقع في الاسر من الكفار ولا الفداء وذهب آخرون الى ان الآية محكمة والامام بالخيار في الرجال العاقلين من الكفار اذا وقعوا في الاسر بين أن يقتلهم أو يسترقهم أو يمن عليهم فيطلقهم بلا عوض أو يفاديهم بالمال أو بأسارى المسلمين واليه ذهب ابن عمر وبه قال الحسن وعطاء وأكثر الصحابة والعلماء وهو قول الثوري والشافعي وأحمد واسحاق قال ابن عباس لما كثر المسلمون واشتد سلطانهم أنزل الله عز وجل في الاسارى فاما منا بعد واما فداء وهذا هو الاصح والاختيار لانه عمل به رسول الله ﷺ والخلفاء بعده

أخبرنا عبد الواحد بن احمد المليحي انا احمد بن عبد الله النعيمى ثنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل ثنا عبد الله بن يوسف ثنا الليث ثنا سعيد بن أبي سعيد سمع أبا هريرة قال بعث النبي ﷺ خيلا قبل نجد فجاءت برجل من بني حنيفة يقال له ثمامة بن أثال سيد أهل اليمامة فربطوه بسارية من سواري المسجد فخرج اليه رسول الله ﷺ فقال « ماذا عندك يا ثمامة ؟ » فقال عندي يا محمد خير إن تقتل تقتل ذا دم وإن تنعم تنعم على شاكر وان كنت تريد المال فسل تعط منه ما شئت فتركه رسول الله ﷺ حتى كان الغد فقال له « ما عندك يا ثمامة ؟ » فقال عندي ما قلت لك ان تنعم تنعم على شاكر فتركه رسول الله ﷺ حتى كان الغد فقال له « ما عندك يا ثمامة؟ » فقال عندي ما قلت لك فقال رسول الله ﷺ أطلقوا ثمامة فانطلق الى نخل قريب من المسجد فاغتسل ثم دخل المسجد فقال أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، يا محمد والله ما كان على وجه الارض وجه أبغض إلي من وجهك، فقد أصبح وجهك أحب الوجوه كلها إلي، والله ما كان من دين أبغض إلي من دينك فأصبح دينك أحب الدين كله إلي والله ما كان من بلد أبغض إلي من بلدك فأصبح بلدك أحب البلاد كلها إلي، وان خيلك أخذتني وأنا أريد العمرة فما ذا ترى ، فبشره رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمره أن يعتمر ، فلما قدم مكة قال له

وقوله عز وجل (حتى تضع الحرب أوزارها) قال مجاهد حتى ينزل عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام وكأنه أخذه من قوله ﷺ «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق حتى يقاتل آخرهم الدجال» وقال الامام أحمد حدثنا الحكم بن نافع حدثنا اسماعيل بن عياش عن ابراهيم بن سليمان عن الوليد بن عبد الرحمن الجرشي عن جبير بن نفير قال ان سلمة بن نفيل أخبرهم أنه أتى رسول الله ﷺ فقال اني سيبت الخيل وألقيت السلاح ووضعت الحرب أوزارها وقلت لا قتال فقال له النبي صلى الله عليه وسلم «الآن جاء القتال لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الناس يزيغ الله تعالى قلوب أقوام فيقاتلونهم ويرزقهم الله منهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك، الا ان عقددار المؤمنين الشام والخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة» وهكذا رواه النسائي من طريقين عن جبير بن نفير عن سلمة بن نفيل السكوني به

وقال أبو القاسم البغوي حدثنا داود بن رشيد حدثنا الوليد عن جبير بن محمد بن مهاجر عن الوليد بن عبد الرحمن الجرشي عن جبير بن نفير عن النواس بن سمعان (رض) قال لما فتح على رسول الله ﷺ فتح فقالوا يارسول الله سيبت الخيل ووضعت السلاح ووضعت الحرب أوزارها قالوا لا قتال قال «كذبوا الآن جاء القتال لا تزال الله تعالى يزيغ قلوب قوم يقاتلونهم فيرزقهم منهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك وعقددار المسلمين بالشام» وهكذا رواه الحافظ أبو يعلى الموصلي عن داود بن رشيد به، والمحفوظ أنه من رواية سلمة بن نفيل كما تقدم وهذا يقوي القول بعدم النسخ كأنه شرع هذا الحكم في الحرب الى أن لا يبقى حرب

قائل أصبوت؟ فقال لا، ولكني أسلمت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا والله لا يأتيكم من اليمامة حبة حنطة حتى يأذن فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم»

أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب أنا عبد العزيز بن احمد الخلال ثنا أبو العباس الاصم أنا الربيع أنا الشافعي أنا عبد الوهاب بن عبد المجيد الثقفي عن أيوب عن أبي قلابة عن أبي المهلب عن عمران بن حصين قال أسر أصحاب رسول الله ﷺ رجلا من بني عقيل فأوثقوه وكانت ثقيف قد أسرت رجلين من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ففداه رسول الله صلى الله عليه وسلم بالرجلين اللذين أسرتهما ثقيف

قوله تعالى ﴿حتى تضع الحرب أوزارها﴾ أي أثقالها وأحمالها يعني حتى تضع أهل الحرب السلاح فيمسكوا عن الحرب، وأصل الوزر ما يحمله الانسان فسمى الاسلحة أوزارا لانها تحمل وقيل الحرب هم المحاربون كالشرب والركب وقيل الاوزار الآثام ومعناه حتى يضع المحاربون آثامها بأن يتوبوا من كفرهم فيؤمنوا بالله ورسوله وقيل حتى تضع حربكم وقتالكم أوزار المشركين وقبائح أعمالهم بأن يسلموا، ومعنى الآية أثخنوا المشركين بالقتل والاسر حتى يدخل أهل الملل كلها في

وقال قتادة حتى تضع الحرب أوزارها حتى لا يبقى شرك وهذا كقوله تعالى (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله) ثم قال بعضهم حتى تضع الحرب أوزارها أي أوزار المحاربين وهم المشركون بأن يتوبوا إلى الله عز وجل وقيل أوزار أهلها بأن يبذلوا الوسع في طاعة الله تعالى

وقوله عز وجل (ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم) أى هذا ولو شاء الله لانتقم من الكافرين بعقوبة ونكال من عنده (ولكن ليبلو بعضكم ببعض) أي ولكن شرع لكم الجهاد وقتال الاعداء ليختبركم ويبلو أخباركم كما ذكر حكمته في شرعية الجهاد في سورتي آل عمران وبراءة في قوله تعالى (أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين)

وقال تبارك وتعالى في سورة براءة (قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين ويذهب غيظ قلوبهم ويتوب الله على من يشاء والله عليم حكيم) ثم لما كان من شأن القتال أن يقتل كثير من المؤمنين قال (والذين قتلوا في سبيل الله فلن يضل أعمالهم) أي لن يذهبها بل يكثرها وينميها ويضاعفها . ومنهم من يجري عليه عمله طول برزخه كما ورد بذلك الحديث الذي رواه الامام أحمد في مسنده حيث قال حدثنا زيد بن يحي الدمشقي حدثنا ابن ثوبان عن أبيه عن مكحول عن كثير بن مرة عن قيس الجذامي رجل كانت له صحبة قال قال رسول الله ﷺ « يعطى الشهيد ست خصال : عند أول قطرة من دمه تكفر عنه كل خطيئة ويرى مقعده من الجنة ويزوج من الحور العين ويأمن من الفزع الاكبر ومن عذاب القبر ويحلى حلة الايمان » تفرد به أحمد رحمه الله

﴿ حديث آخر ﴾ قال أحمد أيضا حدثنا الحكم بن نافع حدثني اسماعيل بن عياش عن يحيى بن سعيد عن خالد بن معدان عن المقدام بن معد يكرب الكندي رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « إن للشهيد عند الله ست خصال أن يغفر له في أول دفقة من دمه ، ويرى مقعده من الجنة ، ويحلى

الاسلام ويكون الدين كله لله فلا يكون بعده جهاد ولا قتال ، وذلك عند نزول عيسى بن مريم عليهما السلام ، وجاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم « الجهاد ماض منذ بعثني الله الى أن يقاتل آخر أمتي الدجال » وقال الكلبي حتى يسلموا أو يسالموا ، وقال الفراء حتى لا يبقى الا مسلم أو مسالم ﴿ ذلك ﴾ الذي ذكرت وبينت من حكم الكفار ﴿ ولو يشاء الله لانتصر منهم ﴾ فأهلكهم وكفاكم أمرهم بغير قتال ﴿ ولكن ﴾ أمركم بالقتال ﴿ ليبلو بعضكم ببعض ﴾ فيصير من قتل من المؤمنين الى الثواب ومن قتل من الكافرين الى العذاب ﴿ والذين قتلوا في سبيل الله ﴾ قرأ أهل البصرة وحفص قتلوا بضم القاف وكسر التاء خفيف يعني الشهداء ، وقرأ الآخرون قاتلوا بالالف من المقاتلة وهم المجاهدون ﴿ فلن يضل أعمالهم ﴾ قال قتادة ذكر لنا ان هذه الآية نزلت يوم أحد وقد فشت في

حلة الايمان ، ويزوج من الحور العين ويجار من عذاب القبر ، ويأمن من الفزع الاكبر ، ويوضع على رأسه تاج الوقار مرصع بالدر والياقوت الياقوتة منه خير من الدنيا ومافيها ويزوج اثنتين وسبعين زوجة من الحور العين ويشفع في سبعين انسانا من أقاربه » وقد أخرجه الترمذي وصححه وابن ماجه

وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن أبي قتادة (رض) أن رسول الله ﷺ قال « يغفر للشهيد كل شيء إلا الدين » وروي من حديث جماعة من الصحابة رضي الله عنهم ، وقال أبو الدرداء (رض) قال رسول الله ﷺ « يشفع الشهيد في سبعين من أهل بيته » ورواه أبو داود والاحاديث في فضل الشهيد كثيرة جداً

وقوله تبارك وتعالى (سيهديهم) أي إلى الجنة كقوله تعالى (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بإيمانهم تجري من تحتهم الانهار في جنات النعيم)

وقوله عز وجل (ويصلح بالهم) أي أمرهم وحالهم (ويدخلهم الجنة عرفها لهم) أي عرفهم بها وهداهم اليها قال مجاهد يهتدي أهلها إلى بيوتهم ومساكنهم وحيث قسم الله لهم منها لا يخطئون كأنهم ساكنوها منذ خلقوا لا يستدلون عليها أحداً ، وروى مالك عن زيد بن أسلم نحو هذا ، وقال محمد بن كعب يعرفون بيوتهم اذا دخلوا الجنة كما تعرفون بيوتكم اذا انصرفتم من الجمعة

وقال مقاتل بن حيان بلغنا أن الملك الذي كان وكل بحفظ عمله في الدنيا يمشي بين يديه في الجنة ويتبعه ابن آدم حتى يأتي أقصى منزل هو له فيعرفه كل شيء أعطاه الله تعالى في الجنة فاذا انتهى الى أقصى منزله في الجنة دخل الى منزله وأزواجه وانصرف الملك عنه ذكره ابن أبي حاتم رحمه الله

وقد ورد الحديث الصحيح بذلك أيضا رواه البخاري من حديث قتادة عن أبي المتوكل الناجي عن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « اذا خلص المؤمنون من النار حبسوا بقنطرة بين الجنة والنار يتقاضون مظالم كانت بينهم في الدنيا حتى إذا هذبوا ونقوا أذن لهم في دخول الجنة والذي نفسي بيده ان أحدهم بمنزله في الجنة اهدى منه بمنزله الذي كان في الدنيا »

ثم قال تعالى (يأيها الذين آمنوا ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم) كقوله عز وجل (ولينصرن الله من ينصره) فان الجزاء من جنس العمل ولهذا قال تعالى (ويثبت أقدامكم) كما جاء

المسلمين الجراحات والقتل ﴿ سيهديهم ﴾ أيام حياتهم في الدنيا الى أرشد الامور وفي الآخرة إلى الدرجات ﴿ ويصلح بالهم ﴾ يرضي خصماءهم ويقبل أعمالهم ﴿ ويدخلهم الجنة عرفها ﴾ أي بين لهم منازلهم في الجنة حتى يهتدوا الى مساكنهم لا يخطئون ولا يستدلون عليها أحداً كأنهم سكانها منذ خلقوا فيكون المؤمن أهدى الى درجته وزوجته وخدمه منه الى منزله وأهله في الدنيا هذا قول أكثر المفسرين ، وروى عطاء عن ابن عباس عرفها لهم أي طيبها لهم من العرف وهو الريح الطيبة وطعام معرف أي مطيب ﴿ يا أيها الذين آمنوا ان تنصروا الله ﴾ أي دينه ورسوله ﴿ ينصركم ﴾ على عدوكم

في الحديث « من بلغ ذا سلطان حاجة من لا يستطيع ابلاغها ثبت الله تعالى قدميه على الصراط يوم القيامة» ثم قال تبارك وتعالى (والذين كفروا فتعسا لهم) عكس تثبيت الاقدام للمؤمنين الناصرين لله تعالى ولرسوله (ص) وقد ثبت في الحديث عن رسول الله [ص] أنه قال « تعس عبد الدنيا تعس عبد الدرهم تعس عبد القطيفة تعس وانتكس واذا شيك فلا انتقش» أي فلا شفاه الله عز وجل

وقوله سبحانه وتعالى (وأضل أعمالهم) أي أحبطها وأبطلها ولهذا قال (ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله) أي لا يريدونه ولا يحبونه فأحبط أعمالهم

أفلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عـٰقبةُ الذين من قبلهم دمّر اللهُ عليهم وللكـٰفرين أمثـٰلها (١٠) ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وأن الكـٰفرين لا مولى لهم (١١) إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصـٰلحـٰت جنـٰت تجري من تحتها الانهـٰر والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الانعم والنار مثوًى لهم (١٢) وكأيّن من قرية هي أشد قوة من قريتك التى أخرجتك أهلكنـٰهم فلا ناصر لهم (١٣)

يقول تعالى (أفلم يسيروا) يعني المشركين بالله المكذبين لرسوله (في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم دمر الله عليهم) أي عاقبهم بتكذيبهم وكفرهم أي ونجى المؤمنين من بين أظهرهم ولهذا قال تعالى (وللكافرين أمثالها)

ثم قال (ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وأن الكافرين لا مولى لهم) ولهذا لما قال أبو سفيان صخر بن حرب رئيس المشركين يوم أحد حين سأل عن النبي ﷺ وعن أبي بكر وعمر رضي الله عنهما فلم يجب وقال أما هؤلاء فقد هلكوا ، وأجابه عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال كذبت ياعدو الله بل ابقى الله تعالى لك مايسوءك وإن الذين عددت لأحياء ، فقال أبو سفيان يوم بيوم بدر

﴿ ويثبت أقدامكم ﴾ عند القتال ﴿ والذين كفروا فتعساً لهم ﴾ قال ابن عباس بعدا لهم وقال أبو العالية سقوطا لهم ، وقال الضحاك خيبة لهم ، وقال ابن زيد شقاء لهم ، قال الفراء هو نصب على المصدر على سبيل الدعاء ، وقيل في الدنيا العثرة وفي الآخرة التردي في النار ويقال للعاثر تعسا اذا لم يريدوا قيامه وضده لعا اذا أرادوا قيامه ﴿ وأضل أعمالهم ﴾ لانها كانت في طاعة الشيطان ﴿ ذلك ﴾ التعس والاضلال ﴿ بأنهم كرهوا ما أنزل الله فأحبط أعمالهم ﴾ ثم خوف الكفار فقال ﴿ أفلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم دمر الله عليهم ﴾ أي أهلكهم ﴿ وللكافرين أمثالها ﴾ ان لم يؤمنوا بتوعد مشركي مكة ﴿ ذلك ﴾ الذي ذكرت ﴿ بأن الله مولى الذين آمنوا ﴾ وليهم وناصرهم

والحرب سجال أما إنكم ستجدون مثلة لم آمر بها ولم انه عنها ثم ذهب يرتجز ويقول * اعل هبل اعل هبل * فقال رسول الله ﷺ « ألا تجيبوه ؟ » فقالوا يارسول الله وما نقول ؟ قال ﷺ قولوا « الله أعلى وأجل » ثم قال أبو سفيان لنا العزى ولا عزى لكم فقال ﷺ « ألا تجيبوه ؟ » قالوا وما نقول يارسول الله ؟ قال قولوا « الله مولانا ولا مولى لكم »

ثم قال سبحانه وتعالى (إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار) أي يوم القيامة (والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الانعام) أي في دنياهم يتمتعون بها ويأكلون منها كأكل الانعام خضما وقضما ليس لهم همة إلا في ذلك ولهذا ثبت في الصحيح « المؤمن يأكل في معى واحد ، والكافر يأكل في سبعة أمعاء » ثم قال تعالى (والنار مثوى لهم)أي يوم جزائهم وقوله عز وجل (وكأين من قرية هي أشد قوة من قريتك التي أخرجتك) يعني مكة هلكناهم فلا ناصر لهم وهذا تهديد شديد ووعيد أكيد لأهل مكة في تكذيبهم لرسول الله ﷺ وهو سيد الرسل وخاتم الانبياء فاذا كان الله عز وجل قد أهلك الامم الذين كذبوا الرسل قبله بسببهم وقد كانوا أشد قوة من هؤلاء فماذا ظن هؤلاء أن يفعل الله بهم في الدنيا والاخرى ؟فان رفع عن كثير منهم العقوبة في الدنيا لبركة وجود الرسول نبي الرحمة فان العذاب يوفر على الكافرين به في معادهم (يضاعف لهم العذاب ماكانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون) وقوله تعالى (من قريتك التي أخرجتك)أي الذين أخرجوك من بين أظهرهم

وقال ابن أبي حاتم ذكر أبي عن محمد بن عبد الاعلى عن المعتمر بن سليمان عن أبيه عن حنش عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ لما خرج من مكة الى الغار وأتاه فالتفت الى مكة وقال « أنت أحب بلاد الله الى الله ، وأنت أحب بلاد الله إلي ، ولولا أن المشركين أخرجوني لم أخرج منك » فأعدى الاعداء من عدا على الله تعالى في حرمه ، أو قتل غير قاتله ، أو قتل بذحول الجاهلية فانزل الله تعالى على نبيه ﷺ (وكأين من قرية هي أشد قوة من قريتك التي أخرجتك أهلكناهم فلا ناصر لهم)

﴿ وان الكافرين لا مولى لهم ﴾ لا ناصر لهم ثم ذكر مآل الفريقين فقال ﴿ ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار والذين كفروا يتمتعون ﴾ في الدنيا ﴿ ويأكلون كما تأكل الانعام ﴾ ليس لهم همة الا بطونهم وفروجهم وهم لاهون ساهون عما في غد قيل المؤمن في الدنيا يتزود والمنافق يتزين والكافر يتمتع ﴿ والنار مثوى لهم * وكأين من قرية هي أشد قوة من قريتك ﴾ أي أشد قوة من اهل مكة ﴿ التي أخرجتك ﴾ أي اخرجك أهلها ، قال ابن عباس كم رجال هم أشد من اهل مكة يدل عليه قوله ﴿ اهلكناهم ﴾ ولم يقل أهلكناها ﴿ فلا ناصر لهم ﴾ قال ابن عباس لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة إلى الغار التفت الى مكة وقال « أنت أحب بلاد الله الى

أفمن كان على بيّنةٍ من ربه كمن زُين له سوءُ عمله واتبعوا أهواءهم (١٤) مثل الجنة التي وُعِدَ المتقون فيها أنهٰرٌ من ماءٍ غير آسنٍ وأنهٰرٌ من لبنٍ لم يتغير طعمه وأنهٰرٌ من خمرٍ لذةٍ للشٰربين وأنهٰرٌ من عسلٍ مصفًّى، ولهم فيها من كل الثمرات ومغفرةٌ من ربهم كمن هو خٰلد في النار وسقوا ماءً حميما فقطع أمعاءهم (١٥)

يقول تعالى (أفمن كان على بينة من ربه) أي على بصيرة ويقين في أمر الله ودينه بما أنزل الله في كتابه من الهدى والعلم وبما جبله الله عليه من الفطرة المستقيمة (كمن زين له سوء عمله واتبعوا أهواءهم) أي ليس هذا كهذا كقوله تعالى أفمن يعلم انما أنزل اليك من ربك الحق كمن هو أعمى وكقوله (لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون) ثم قال عز وجل (مثل الجنة التي وعد المتقون) قال عكرمة (مثل الجنة) أي نعتها فيها أنهار من ماء غير آسن قال ابن عباس رضي الله عنهما والحسن وقتادة يعني غير متغير وقال قتادة والضحاك وعطاء الخراساني غير منتن والعرب تقول أسن الماء اذا تغير ريحه ، وفي حديث مرفوع أورده ابن أبي حاتم غير آسن يعني الصافي الذي لا كدر فيه وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الاشج حدثنا وكيع عن الاعمش عن عبد الله بن مرة عن مسروق قال قال عبد الله رضي الله عنه أنهار الجنة تفجر من جبل من مسك (وأنهار من لبن لم يتغير طعمه) أي بل في غاية البياض والحلاوة والدسومة وفي حديث مرفوع « لم يخرج من ضروع الماشية » (وأنهار من خمر لذة للشاربين) أي ليست كريهة الطعم والرائحة كخمر الدنيا بل حسنة المنظر والطعم والرائحة والفعل (لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون ـ لا يصدعون عنها ولا ينزفون ـ بيضاء لذة للشاربين) وفي حديث مرفوع « لم يعصرها الرجال باقدامهم » (وأنهار من عسل مصفى) أي وهو في غاية الصفاء وحسن اللون والطعم والريح وفي حديث مرفوع « لم يخرج من بطون النحل » وقال الامام أحمد حدثنا يزيد بن هارون أخبرنا الجريري عن حكيم بن معاوية عن أبيه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « في الجنة بحر اللبن وبحر الماء وبحر العسل وبحر الخمر ثم تشقق

الله الي وأحب بلادا لله إلي ولو أن المشركين لم يخرجوني لم اخرج منك؟ فأنزل الله هذه الآية ﴿ أفمن كان على بينة من ربه ﴾ يقين من دينه محمد والمؤمنون ﴿ كمن زين له سوء عمله واتبعوا أهواءهم ﴾ يعني عبادة الاوثان وهم أبو جهل والمشركون ﴿ مثل الجنة التي وعد المتقون ﴾ أي صفتها ﴿ فيها انهار من ماء غير آسن ﴾ آجن متغير منتن قرأ ابن كثير اسن بالقصر والآخرون بالمد وهما لغتان يقال اسن الماء يأسن اسنا وآسن يأسن ويأسن وآجن ياجن ويأجن اسونا واجونا اذا تغير ﴿ وانهار من لبن لم يتغير طعمه وانهار من خمر لذة ﴾ لذيذة ﴿ للشاربين ﴾ لم تدنسها الارجل ولم تدنسها الايدى ﴿ وانهار من عسل مصفى ﴾

الانهار منها بعد » ورواه الترمذي في صفة الجنة عن محمد بن يسار عن يزيد بن هارون عن سعيد بن أبي اياس الجريري به وقال حسن صحيح

وقال أبو بكر بن مردويه حدثنا أحمد بن محمد بن عاصم حدثنا عبدالله بن محمد بن النعمان حدثنا مسلم بن ابراهيم حدثنا الحارث بن عبيد ابو قدامة الايادي حدثنا أبو عمران الجوني عن أبي بكر بن عبدالله بن قيس عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ « هذه الانهار تشخب من جنة عدن في جوبة ثم تصدع بعد أنهاراً » وفي الصحيح « اذا سألتم الله تعالى فاسألوه الفردس فانه أوسط الجنة وأعلى الجنة ومنه تفجر أنهار الجنة ، وفوقه عرش الرحمن »

وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني حدثنا مصعب بن ابراهيم بن حمزة الزبيري وعبدالله بن الصقر السكري قالا حدثنا ابراهيم بن المنذر الحرامي حدثنا عبد الرحمن بن المغيرة حدثنى عبد الرحمن بن عياش عن دلهم بن الاسود قال دلهم وحدثنيه أيضاً أبو الاسود عن عاصم بن لقيط أن لقيط بن عامر خرج وافداً إلى رسول الله ﷺ قلت يارسول الله فعلى مانطلع من الجنة ؟ قال ﷺ « على أنهار عسل مصفى ، وأنهار من خمر مابها صداع ولا ندامة ، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه ، وماء غير آسن ، وفاكهة لعمر إلهك ماتعلمون وخير من مثله ، وأزواج مطهرة » قلت يارسول الله أولنا فيها أزواج مصلحات ؟ قال « الصالحات للصالحين تلذونهن مثل لذاتكم في الدنيا ويلذونكم غير أن لا توالد »

وقال أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي الدنيا حدثنا يعقوب بن عبيد عن يزيد بن هارون أخبرني الجريري عن معاوية بن قرة عن أبيه عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : لعلكم تظنون أن أنهار الجنة تجرى في أخدود في الارض والله انها لتجري سائحة على وجه الارض حافاتها قباب اللؤلؤ وطينها المسك الاذفر . وقد رواه أبو بكر بن مردويه من حديث مهدي بن حكيم عن يزيد بن هارون به مرفوعا .

وقوله تعالى (ولهم فيها من كل الثمرات) كقوله عز وجل [يدعون فيها بكل فاكهة آمنين] وقوله تبارك وتعالى [فيهما من كل فاكهة زوجان] وقوله سبحانه (ومغفرة من ربهم) أي مع ذلك كله ، وقوله سبحانه وتعالى (كمن هو خالد في النار) أي أهؤلاء الذين ذكرنا منزلتهم من الجنة كمن هو

اخبرنا اسماعيل بن عبد القاهر انا عبد الغافر بن محمد انا محمد بن عيسى الجلودي ثنا ابراهيم ابن محمد بن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج ثنا ابو بكر بن ابي شيبة انا ابو اسامة وعبدالله بن نمير وعلي ابن مسهر عن عبد الله بن عمر عن حبيب بن عبد الرحمن عن حفص بن عاصم عن ابي هريرة قال قال رسول ﷺ « سيحان وجيحان والنيل والفرات كل من انهار الجنة » قال كعب الاحبار نهر دجلة نهر ماء أهل الجنة ونهر الفرات نهر لبنهم ونهر مصر نهر خمرهم ونهر سيحان نهر عسلهم وهذه الانهار الاربعة تخرج من نهر الكوثر ﴿ ولهم فيها من كل الثمرات ومغفرة من ربهم كمن هو خالد في النار ﴾

خالد في النار ليس هؤلاء كهؤلاء، وليس من هو في الدرجات كمن هو في الدركات (وسقوا ماء حميا) أي حارا شديد الحر لا يستطاع (فقطع أمعاءهم) أي قطع مافي بطونهم من الامعاء والاحشاء عياذاً بالله تعالى من ذلك

ومنهم من يستمع اليك حتى اذا خرجوا من عندك قالوا للذين أوتوا العلم ماذا قال آنفا؟ أولئك الذين طبع الله على قلوبهم واتبعوا أهواءهم (١٦) والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم (١٧) فهل ينظرون إلا الساعة أن تأتيهم بغتة فقد جاء أشراطها فأنى لهم اذا جاءتهم ذكراهم (١٨) فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات والله يعلم متقلبكم ومثواكم (١٩)

يقول تعالى مخبراً عن المنافقين في بلادتهم وقلة فهمهم حيث كانوا يجلسون إلى رسول الله ﷺ ويستمعون كلامه فلا يفهمون منه شيئا فاذا خرجوا من عنده (قالوا للذين أوتوا العلم) من الصحابة رضي الله عنهم (ماذا قال آنفا) أي الساعة، لا يعقلون ماقال ولا يكترثون له قال الله تعالى (أولئك الذين طبع الله على قلوبهم واتبعوا أهواءهم) أي فلا فهم صحيح ولا قصد صحيح، ثم قال عز وجل (والذين اهتدوا زادهم هدى) أى والذين قصدوا الهداية وفقهم الله تعالى لها فهداهم اليها وثبتهم عليها وزادهم منها (وآتاهم تقواهم) أى ألهمهم رشدهم

وقوله تعالى (فهل ينظرون إلا الساعة أن تأتيهم بغتة) أى وهم غافلون عنها (فقد جاء أشراطها)

أي من كان في هذا النعيم كمن هو خالد في النار ﴿ وسقوا ماء حميا ﴾ شديد الحر تسعر عليه جهنم منذ خلقت اذا أدني منهم يشوي وجوههم ووقعت فروة رؤوسهم فاذا شربوه ﴿ فقطع امعاءهم ﴾ فخرجت من أدبارهم والامعاء جميع مافي البطن من الحوايا واحدها معى ﴿ ومنهم ﴾ يعني من هؤلاء الكفار ﴿ من يستمع اليك ﴾ وهم المنافقون يستمعون قولك فلا يعونه ولا يفهمونه تهاونا به وتغافلا ﴿ حتى إذا خرجوا من عندك ﴾ يعني فاذا خرجوا من عندك ﴿ قالوا للذين أوتوا العلم ﴾ من الصحابة ﴿ ماذا قال محمد ﴿ آنفا ﴾ يعني الآن وهو من الائتناف ويقال ائتنفت الامر أي ابتدأته وأنف الشيء اوله قال مقاتل وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يخطب ويعيب المنافقين فاذا خرجوا من المسجد سألوا عبد الله بن مسعود استهزاء ماذا قال رسول الله صلى عليه وسلم؟ قال ابن عباس وقد سئلت فيمن سئل ﴿ أولئك الذين طبع الله على قلوبهم ﴾ فلم يؤمنوا ﴿ واتبعوا أهواءهم ﴾ في الكفر والنفاق ﴿ والذين اهتدوا ﴾ يعنى المؤمنين ﴿ زادهم ﴾ ما قال الرسول ﴿ هدى وآتاهم تقواهم ﴾ وفقهم للعمل بما أمرهم به وهو التقوى، قال سعيد بن جبير وآتاهم ثواب تقواهم ﴿ فهل ينظرون إلا الساعة أن تأتيهم بغتة ﴾

أي أمارات اقترابها كقوله تبارك وتعالى [هـذا نذير من النذر الاولى أزفت الآزفة] وكقوله جلت عظمته [اقتربت الساعة وانشق القمر] وقوله سبحانه وتعالى [أتى أمر الله فلا تستعجلوه] وقوله جل وعلا [اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون] فبعثة رسول الله ﷺ من أشراط الساعة لأنه خاتم الرسل الذين أكمل الله تعالى به الدين وأقام به الحجة على العالمين ، وقد أخبر ﷺ بأمارات الساعة وأشراطها وأبان عن ذلك وأوضحه بما لم يؤته نبي قبله كما هو مبسوط في موضعه ، وقال الحسن البصري بعثة محمد ﷺ من أشراط الساعة وهو كما قال ولهذا جاء في أسمائه ﷺ أنه نبي التوبة ونبي الملحمة والحاشر الذي يحشر الناس على قدميه ، والعاقب الذى ليس بعده نبي

وقال البخارى حدثنا أحمد بن المقدام حدثنا فضيل بن سليمان حدثنا أبو رجاء حدثنا سهل بن سعد رضي الله عنه قال : رأيت رسول الله ﷺ قال بأصبعيه هكذا بالوسطى والتي تليها « بعثت أنا

أخبرنا أبو الحسن عبد الرحمن بن محمد الداودي أنا أبو الحسن أحمد بن محمد بن موسى بن الصلت ثنا أبو اسحاق الهاشمي ثنا الحسين بن الحسن ثنا ابن المبارك أنا معمر بن راشد عمن سمع المقبري يحدث عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « ما ينتظر أحدكم من الدنيا الا غنى مطغيا او فقراً منسيا او مرضا مفسدا او هرما مفنداً أو موتا مجهزاً او الدجال فالدجال شر غائب ينتظر او الساعة والساعة ادهى وامر »

قوله عز وجل ﴿ فقد جاء أشراطها ﴾ اي اماراتها وعلاماتها واحدها شرط وكان النبي صلى الله عيه وسلم من اشراط الساعة

اخبرنا عبد الواحد المليحي انا احمد بن عبد الله النعيمي انا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل ثنا احمد بن المقدام ثنا فضيل بن سليمان ثنا ابو حازم ثنا سهل بن سعد قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم قال بأصبعيه هكذا بالوسطى والتي تلي الابهام « بعثت انا والساعة كهاتين »

اخبرنا عبد الواحد المليحي انا احمد بن عبد الله النعيمي انا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل ثنا حفص بن عمر الحوضي ثنا هشام عن قتادة عن انس قال لأحدثنكم بحديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحدثنكم به احد غيري سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إن من اشراط الساعة ان يرفع العلم ويكثر الجهل ويكثر الزنا ويكثر شرب الخمر ويقل الرجال ويكثر النساء حتى يكون لخمسين امرأة القيم الواحد »

اخبرنا عبد الواحد المليحي انا احمد بن عبد الله النعيمي انا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل ثنا محمد بن سنان ثنا فليح حدثني هلال بن علي عن عطاء بن يسار عن ابي هريرة رضي الله عنه قال: بينما النبي صلى الله عليه وسلم في مجلس يحدث القوم إذ جاءه اعرابي فقال متى الساعة ؟ فمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث فقال بعض القوم سمع ماقال فكره ماقال ، وقال بعضهم بل لم يسمع حتى اذا

والساعة كهاتين » ثم قال تعالى (فأنى لهم اذا جاءتهم ذكراهم؟) أي فكيف للكافرين بالتذكر اذا جاءتهم القيامة حيث لا ينفعهم ذلك؟ كقوله تعالى (يوم يتذكر الانسان وأنى له الذكرى ؟ * وقالوا آمنا به وأنى لهم التناوش من مكان بعيد)

وقوله عز وجل (فاعلم أنه لا إله الا الله) هذا إخبار بأنه لا إله إلا الله ولا يتأتى كونه آمراً بعلم ذلك ولهذا عطف عليه قوله عز وجل (واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات) وفي الصحيح أن رسول الله ﷺ كان يقول « اللهم اغفر لي خطيئتي وجهلي وإسرافي في أمري وما أنت أعلم به مني اللهم اغفر لي هزلي وجدي وخطئي وعمدي وكل ذلك عندي »

وفي الصحيح انه كان يقول في آخر الصلاة « اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت وما أسرفت وما أنت أعلم به مني أنت إلهي لا إله الا أنت » وفي الصحيح انه قال « يا أيها الناس توبوا إلى ربكم فاني أستغفر الله وأتوب اليه في اليوم أكثر من سبعين مرة »

وقال الامام أحمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن عاصم الاحول قال سمعت عبد الله بن سرخس قال أتيت رسول الله ﷺ فأكلت معه من طعامه فقلت غفر الله لك يا رسول الله فقال ﷺ « ولك » فقلت أستغفر لك ؟ فقال رسول الله ﷺ « نعم ولكم » وقرأ (واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات) ثم نظرت إلى بعض كتفه الايمن - أو كتفه الايسر شعبة الذي شك - فاذا هو كهيئة الجمع عليه الثآليل. ورواه مسلم والترمذي والنسائي وابن جرير وابن أبي حاتم من طرق عن عاصم الاحول به ، وفي الحديث الآخر الذي رواه أبو يعلى حدثنا محمد بن عون حدثنا عثمان بن

قضى حديثه ، قال « أين السائل عن الساعة » قال ها أنا يا رسول الله قال « فاذا ضيعت الامانة فانتظر الساعة » قال كيف اضاعتها قال « اذا وسد الامر الى غير اهله فانتظر الساعة »

قوله عز وجل ﴿ فأنى لهم اذا جاءتهم ذكراهم ﴾ فمن اين لهم التذكر والاتعاظ والتوبة إذا جاءتهم الساعة نظيره (يومئذ يتذكر الانسان وانى له الذكرى) ﴿ فاعلم انه لا إله إلا الله ﴾ قيل الخطاب مع النبي صلى الله عليه وسلم والمراد به غيره وقيل معناه فاثبت عليه ، وقال الحسين بن الفضل فازدد علما على علمك ، وقال ابو العالية وابن عيينة هو متصل بما قبله معناه إذا جاءتهم الساعة فاعلم انه لا ملجأ ولا مفزع عند قيامها الا الى الله وقيل (فاعلم انه لا إله إلا الله) ان الممالك تبطل عند قيامها فلا ملك ولا حكم لاحد الا الله ﴿ واستغفر لذنبك ﴾ أمر بالاستغفار مع انه مغفور له لتستن به أمته

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا احمد بن عبد الله النعيمي أنا ابو منصور السمعاني أنا أبو جعفر الرياني ثنا حميد بن زنجويه ثنا سليمان بن حرب ثنا حماد بن زيد عن ثابت عن أبي بردة عن الاغر المزني قال « قال رسول الله ﷺ انه ليغان على قلبي واني لأستغفر الله في كل يوم مائة مرة »

قوله عز وجل ﴿ وللمؤمنين والمؤمنات ﴾ هذا اكرام من الله تعالى لهذه الامة حيث أمر نبيهم

مطر حدثنا عبد الغفور عن أبي نصر عن أبي رجاء عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ انه قال « عليكم بلا إله الا الله والاستغفار فأكثروا منهما فان ابليس قال انما أهلكت الناس بالذنوب وأهلكوني بلا إله الا الله والاستغفار فلما رأيت ذلك أهلكتهم بالاهواء فهم يحسبون انهم مهتدون » وفي الاثر المروي « قال ابليس وعزتك وجلالك لا أزال أغويهم مادامت أرواحهم في أجسادهم فقال الله عز وجل وعزتي وجلالي لا ازال أغفر لهم ما استغفروني » والاحاديث في فضل الاستغفار كثيرة جداً وقوله تبارك وتعالى (والله يعلم متقلبكم ومثواكم) أي يعلم تصرفكم في نهاركم ومستقركم في ليلكم كقوله تبارك وتعالى (وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ماجرحتم بالنهار) وقوله سبحانه وتعالى (وما من دابة في الارض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين) وهذا القول ذهب اليه ابن جريج وهو اختيار ابن جرير ، وعن ابن عباس رضي الله عنهما : متقلبكم في الدنيا ومثواكم في الآخرة ، وقال السدي متقلبكم في الدنيا ومثواكم في قبوركم والاول أولى وأظهر والله أعلم

ويقول الذين آمنوا لولا نزّلت سورة فاذا أنزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال رأيت الذين في قلوبهم مرض ينظرون اليك نظر المغشي عليه من الموت فأولى لهم (٢٠) طاعة وقول معروف ، فاذا عزم الامرُ فلو صدقوا الله لكان خيراً لهم (٢١) فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الارض وتقطّعوا أرحامكم (٢٢) أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم (٢٣)

يقول تعالى مخبراً عن المؤمنين انهم تمنوا شرعية الجهاد فلما فرضه الله عز وجل وأمر به نكل عنه كثير من الناس كقوله تبارك وتعالى (ألم تر إلى الذين قيل لهم كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة فلما كتب عليهم القتال إذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية وقالوا

ﷺ أن يستغفر لذنوبهم وهو الشفيع المجاب فيهم ﴿ والله يعلم متقلبكم ومثواكم ﴾ قال ابن عباس والضحاك متقلبكم منصرفكم ومنتشركم في أعمالكم في الدنيا (ومثواكم) مصيركم في الآخرة إلى الجنة أو إلى النار ، وقال مقاتل وابن جرير (متقلبكم) منصرفكم لاشغالكم بالنهار (ومثواكم) مأواكم الى مضاجعكم بالليل ، وقال عكرمة متقلبكم من أصلاب الآباء إلى أرحام الامهات (ومثواكم) مقامكم في الارض ، وقال ابن كيسان متقلبكم من ظهر إلى بطن (ومثواكم) مقامكم في القبور والمعنى أنه عالم بجميع أحوالكم فلا يخفى عليه شيء منها

وقوله تعالى ﴿ ويقول الذين آمنوا ﴾ حرصاً منهم على الجهاد ﴿ لولا نزلت سورة ﴾ تأمرنا بالجهاد

ربنا لم كتبت علينا القتال لولا أخرتنا إلى أجل قريب قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون فتيلا) وقال عز وجل ههنا (ويقول الذين آمنوا لولا نزلت سورة) أي مشتملة على حكم القتال ولهذا قال (فاذا أنزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال رأيت الذين في قلوبهم مرض ينظرون اليك نظر المغشي عليه من الموت) أي من فزعهم ورعبهم وجبنهم من لقاء الاعداء

ثم قال مشجعا لهم [فأولى لهم طاعة وقول معروف] أي وكان الأولى بهم أن يسمعوا ويطيعوا أي في الحالة الراهنة [فاذا عزم الامر] أي جد الحال ، وحضر القتال [فلو صدقوا الله] أي أخلصوا له النية [لكان خيراً لهم]

وقوله سبحانه وتعالى (فهل عسيتم إن توليتم) أي عن الجهاد ونكلتم عنه (أن تفسدوا في الارض وتقطعوا أرحامكم؟) أي تعودوا الى ما كنتم فيه من الجاهلية الجهلاء تسفكون الدماء وتقطعون الارحام ولهذا قال تعالى (أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم) وهذا نهي عن الافساد في الارض عموما وعن قطع الارحام خصوصا بل قد أمر الله تعالى بالاصلاح في الارض وصلة الارحام وهو الاحسان الى الاقارب في المقال والافعال وبذل الاموال ، وقد وردت الاحاديث الصحاح والحسان بذلك عن رسول الله ﷺ من طرق عديدة ووجوه كثيرة

قال البخارى حدثنا خالد بن مخلد حدثنا سليمان حدثني معاوية بن أبي مزرد عن سعيد بن يسار عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال « خلق الله تعالى الخلق فلما فرغ منه قامت الرحم فأخذت بحقوي الرحمن عز وجل فقال مه فقالت هذا مقام العائذ بك من القطيعة فقال تعالى : ألا ترضين ان أصل من وصلك وأقطع من قطعك؟ قالت بلى قال فذاك لك » قال أبو هريرة [رض] اقرءوا ان شئتم (فهل عسيتم ان توليتم أن تفسدوا في الارض وتقطعوا أرحامكم) ثم رواه البخاري من طريقين آخرين عن معاوية بن أبي مزرد به قال : قال رسول الله ﷺ « اقرءوا إن شئتم فهل عسيتم ان توليتم أن تفسدوا في الارض وتقطعوا أرحامكم » ورواه مسلم من حديث معاوية بن أبي مزرد به

وقال الامام احمد حدثنا اسماعيل بن علية حدثنا عيينة بن عبد الرحمن بن جوشن عن أبيه عن أبي

﴿ فاذا أنزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال ﴾ قال قتادة كل سورة ذكر فيها الجهاد فهي محكمة وهي أشد القرآن على المنافقين ﴿ رأيت الذين في قلوبهم مرض ﴾ يعني المنافقين ﴿ ينظرون اليك ﴾ شزراً بتحديق شديد كراهية منهم للجهاد وجبنا عن لقاء العدو ﴿ نظر المغشي عليه من الموت ﴾ كما ينظر الشاخص بصره عند الموت ﴿ فأولى لهم ﴾ وعيد وتهديد ومعنى قولهم في التهديد أولى لك أى وليك وقاربك ماتكره ثم قال ﴿ طاعة وقول معروف ﴾ وهذا ابتداء محذوف الخبر تقديره طاعة وقول أمثل أي لو أطاعوا وقالوا قولا معروفا كان أمثل وأحسن ، وقيل مجازه يقول هؤلاء المنافقون قبل نزول سورة المحكمة طاعة رفع على الحكاية أي أمرنا طاعة أو منا طاعة وقول معروف حسن ، وقيل هو

بكرة [رض] قال : قال رسول الله ﷺ « مامن ذنب أحرى أن يعجل الله تعالى عقوبته في الدنيا مع مايدخر لصاحبه في الآخرة من البغي وقطيعة الرحم » ورواه ابو داود والترمذي وابن ماجه من حديث اسماعيل هو ابن علية به وقال الترمذي هذا حديث صحيح

وقال الامام أحمد حدثنا محمد بن بكر حدثنا ميمون أبو محمد المراني حدثنا محمد بن عباد المخزومي عن ثوبان [رض] عن رسول الله ﷺ قال « من سره النساء في الاجل والزيادة في الرزق فليصل رحمه » تفرد به أحمد وله شاهد في الصحيح

وقال أحمد أيضا حدثنا يزيد بن هارون حدثنا حجاج بن أرطاة عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال يارسول الله إن لي ذوي أرحام أصل ويقطعون وأعفو ويظلمون وأحسن ويسيئون أفأ كافئهم قال ﷺ « لا ، اذن تتركون جميعا ولكن جد بالفضل وصلهم فانه لن يزال معك ظهير من الله عز وجل ما كنت على ذلك » تفرد به أحمد من هذا الوجه وله شاهد من وجه آخر

وقال الامام أحمد حدثنا يعلى حدثنا مطر عن مجاهد عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ « ان الرحم معلقة بالعرش وليس الواصل بالمكافي. ولكن الواصل الذي اذا قطعت رحمه وصلها » رواه البخارى

وقال أحمد حدثنا بهز حدثنا حماد بن سلمة أخبرنا قتادة عن أبي ثمامة الثقفي عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ « توضع الرحم يوم القيامة لها حجبة كحجبة المغزل تكلم بلسان طلق ذلق فتقطع من قطعها وتصل من وصلها »

وقال الامام أحمد حدثنا سفيان حدثنا عمرو عن أبي قابوس عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما يبلغ به النبي ﷺ قال « الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا أهل الارض يرحمكم أهل السماء والرحم شجنة من الرحمن من وصلها وصلته ومن قطعها بتته » وقد رواه ابو داود والترمذي من حديث سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار به وهذا هو الذي يروى بتسلسل الاولية وقال الترمذى حسن صحيح

متصل بما قبله واللام في قوله لهم بمعنى الباء مجازه فأولى بهم طاعة الله ورسوله وقول معروف بالاجابة أى لو أطاعوا كانت الطاعة والاجابة أولى بهم وهذا معنى قول ابن عباس في رواية عطاء ﴿ فاذا عزم الامر ﴾ أى جد الامر ولزم فرض القتال وصار الامر معزوما ﴿ فلو صدقوا الله ﴾ في اظهار الايمان والطاعة ﴿ لكان خيراً لهم ﴾ وقيل جواب اذا محذوف تقديره فاذا عزم الامر نكلوا وكذبوا فيما وعدوا (فلو صدقوا الله لكان خيراً) ﴿ فهل عسيتم ﴾ فلعلكم ﴿ إن توليتم ﴾ أعرضتم عن القرآن وفارقتم أحكامه ﴿ أن تفسدوا في الارض ﴾ تعودوا إلى ماكنتم عليه في الجاهلية فتفسدوا في الارض بالمعصية والبغي وسفك الدماء وترجعوا إلى الفرقة بعد ماجمعكم الله بالاسلام ﴿ وتقطعوا أرحامكم ﴾

وقال الامام احمد حدثنايزيد بن هارون حدثناهشام الدستوائي عن يحيى بن أبي كثير عن ابراهيم ابن عبدالله بن فارض ان أباه حدثه أنه دخل على عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه وهو مريض فقال له عبدالرحمن [رض] وصلتك رحم ان رسول الله ﷺ قال « قال الله عزوجل انا الرحمن خلقت الرحم وشققت لها اسمها من اسمي فمن يصلها اصله ومن يقطعها اقطعه فأبته – اوقال – من بتها أبته » تفرد به احمد من هذا الوجه ، ورواه احمد ايضا من حديث الزهري عن ابي سلمة عن المرداد اوأبي المرداد عن عبدالرحمن ابن عوف به ، ورواه ابوداود والترمذي من رواية ابي سلمة عن ابيه ، والاحاديث في هذا كثيرة جداً

(١) وقال الطبراني حدثنا علي بن عبدالعزيز حدثنا محمد بن عمار الموصلي حدثنا عيسى بن يونس عن الحجاج بن يونس عن الحجاج بن القرافصة عن أبي عمر البصري عن سلمان قال : قال رسول الله ﷺ « الارواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف » وبه قال رسول الله ﷺ « اذا ظهر القول وخزن العمل وائتلفت الألسنة وتباغضت القلوب وقطع كل ذي رحم رحمه فعند ذلك لعنهم الله وأصمهم وأعمى أبصارهم » والاحاديث في هذا كثيرة والله أعلم

(١) هذا الحديث غير موجود في النسخة المكية

أفلا يتدبَّرون القرآن أم على قلوب أقفالهـا؟ (٢٤) إن الذين ارتدوا على أدبٰرهم من بعد ما تبين لهم الهدى الشيطٰنُ سوَّل لهم وأملىَ لهم (٢٥) ذلك بأنهم قالوا للذين كرهوا مانزل الله سنطيعكم في بعض الأمر والله يعلم إسرارهم (٢٦) فكيف إذا توفتهم الملٰئكة يضربون وجوههم وأدبٰرهم ؟ (٢٧) ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه فأحبط أعمٰلهم (٢٨)

يقول تعالى آمراً بتدبر القرآن وتفهمه وناهيا عن الاعراض عنه فقال (أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها ؟) أي بل على قلوب أقفالها فهي مطبقة لايخلص إليها شيء من معانيه

قرأ يعقوب (وتقطعوا) بفتح التاء خفيف والآخرون بالتشديد من التقطيع على التكثير لاجل الارحام قال قتادة كيف رأيتم القوم حين تولوا عن كتاب الله؟ ألم يسفكوا الدم الحرام وقطعوا الارحام وعصوا الرحمن ؟ وقال بعضهم هو من الولاية ، وقال المسيب بن شريك والفراء يقول فهل عسيتم إن وليتم أمر الناس أن تفسدوا في الارض بالظلم نزلت في بني أمية وبني هاشم يدل عليه قراءة علي بن ابي طالب توليتم بضم التاء والواو وكسر اللام يقول إن وليتكم ولاة جائرة خرجتم معهم في الفتنة وعاونتموهم ﴿ أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم ﴾ عن الحق ﴿ أفلا يتدبرون القرآن ام على قلوب أقفالها؟ ﴾ فلا تفهم مواعظ القرآن وأحكامه ، وأم بمعنى بل

قال ابن جرير حدثنا بشر حدثنا حماد بن زيد حدثنا هشام بن عروة عن أبيه رضي الله عنه قال تلا رسول الله ﷺ يوما (أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها؟) فقال شاب من أهل اليمن بل عليها أقفالها حتى يكون الله تعالى يفتحها أو يفرجها فما زال الشاب في نفس عمر رضي الله عنه حتى ولي فاستعان به . ثم قال تعالى (إن الذين ارتدوا على أدبارهم من بعد ماتبين لهم الهدى) أى فارقوا الايمان ورجعوا الى الكفر (من بعد ما تبين لهم الهدى الشيطان سول لهم) أي زين لهم ذلك وحسنه (وأملى لهم) أي غرهم وخدعهم (ذلك بأنهم قالوا للذين كرهوا مانزل الله سنطيعكم في بعض الامر) أي مالؤهم وناصحوهم في الباطن على الباطل وهذا شأن المنافقين يظهرون خلاف مايبطنون ولهذا قال الله عز وجل (والله يعلم اسرارهم) أي مايسرون وما يخفون والله مطلع عليه وعالم به كقوله تبارك وتعالى (والله يكتب مايبيتون)

ثم قال تعالى (فكيف اذا توفتهم الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم) أي كيف حالهم اذا جاءتهم الملائكة لقبض أرواحهم وتعاصت الارواح في أجسادهم واستخرجتها الملائكة بالعنف والقهر والضرب كما قال سبحانه وتعالى (ولو ترى إذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم) الآية وقال تعالى (ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطو أيديهم) أي بالضرب

اخبرنا احمد بن ابراهيم انا ابو اسحاق الثعلبي انبأني عقيل بن محمد انا المعافي بن زكريا انا محمد بن جرير ثنا بشر ثنا حماد بن زيد ثنا هشام بن عروة عن ابيه قال : تلا رسول الله ﷺ (أفلا يتدبرون القرآن ام على قلوب أقفالها؟) فقال شاب من اهل اليمن بل على قلوب أقفالها حتى يكون الله يفتحها أو يفرجها فما زال الشاب في نفس عمر حتى ولي فاستعان به

قوله ﴿إن الذين ارتدوا على ادبارهم﴾ رجعوا كفاراً ﴿من بعد ماتبين لهم الهدى﴾ قال قتادة هم كفار اهل الكتاب كفروا بمحمد ﷺ بعد ماعرفوه ووجدوا نعته في كتابهم ، وقال ابن عباس والضحاك والسدي هم المنافقون ﴿الشيطان سول لهم﴾ زين لهم القبيح ﴿واملى لهم﴾ قرأ اهل البصرة بضم الالف وكسر اللام وفتح الياء على مالم يسم فاعله ، وقرأ مجاهد بارسال الياء على وجه الخبر من الله عز وجل عن نفسه انه يفعل ذلك وتروى هذه القراءة عن يعقوب وقرأ الآخرون وأملى لهم بفتح الالف أي وأملى الشيطان لهم مد لهم في الامل ﴿ذلك بأنهم﴾ يعني المنافقين أو اليهود ﴿قالوا للذين كرهوا ما نزل الله﴾ وهم المشركون ﴿سنطيعكم في بعض الامر﴾ في التعاون على عداوة محمد ﷺ والقعود عن الجهاد وكانوا يقولونه سرا فأخبر الله تعالى عنهم ﴿والله يعلم إسرارهم﴾ قرأ أهل الكوفة غير أبي بكر بكسر الهمزة على المصدر والباقون بفتحها على جمع السر ﴿فكيف إذا توفتهم الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم؟ ذلك﴾ أي الضرب ﴿بأنهم اتبعوا ما أسخط الله﴾ قال ابن

(أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق و كنتم عن آياته تستكبرون) ولهذا قال ههنا (ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله و كرهوا رضوانه فأحبط أعمالهم)

أم حسب الذين في قلوبهم مرض أن لن يُخرجَ الله أضغنهم (٢٩) ولو نشاء لأرينكهم فلعرفتهم بسيمٰهم ولتعرفنّهم في لحن القول والله يعلم أعمالكم (٣٠) ولنبلونكم حتى نعلم المجٰهدين منكم والصٰبرين ونبلو أخباركم (٣١)

يقول تعالى (أم حسب الذين في قلوبهم مرض أن لن يخرج الله أضغانهم ؟) أي أيعتقد المنافقون أن الله لا يكشف أمرهم لعباده المؤمنين بل سيوضح أمرهم ويجليه حتى يفهمهم ذوو البصائر وقد أنزل الله تعالى في ذلك سورة براءة فبين فيها فضائحهم وما يعتمدونه من الافعال الدالة على نفاقهم ولهذا كانت تسمى الفاضحة . والاضغان جمع ضغن وهو ما في النفوس من الحسد والحقد للاسلام وأهله والقائمين بنصره، وقوله تعالى (ولو نشاء لأريناكهم فلعرفتهم بسيماهم) يقول عز وجل ولو نشاء يا محمد لأريناك أشخاصهم فعرفتهم عيانا ولكن لم يفعل تعالى ذلك في جميع المنافقين سترا منه على خلقه وحملا للأمور على ظاهر السلامة ورداً للسرائر إلى عالمها (ولتعرفنهم في لحن القول) أي فيما يبدو من كلامهم الدال على مقاصدهم يفهم المتكلم من أي الحزبين هو بمعاني كلامه وفحواه وهو المراد من لحن القول كما قال أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه : ما أسر أحد سريرة الا أبداها الله على صفحات وجهه وفلتات لسانه

وفي الحديث « ما أسر أحد سريرة إلا كساه الله تعالى جلبابها إن خيرا فخير وان شرا فشر »

عباس بما كتموا من التورات وكفروا بمحمد (ص) ﴿ وكرهوا رضوانه ﴾ كرهوا ما فيه رضوان الله وهو الطاعة والايمان ﴿ فأحبط أعمالهم * أم حسب الذين في قلوبهم مرض ﴾ يعني المنافقين ﴿ أن لن يخرج الله أضغانهم؟ ﴾ أن لن يظهر أحقادهم على المؤمنين فيبديها حتى يعرفوا نفاقهم واحدها ضغن قال ابن عباس حسدهم ﴿ ولو نشاء لأريناكهم ﴾ أي لعلمناكهم وعرفناكهم ﴿ فلعرفتهم بسيماهم ﴾ بعلامتهم قال الزجاج المعنى لو نشاء لجعلنا على المنافقين علامة تعرفهم بها

قال أنس ما خفي على رسول الله (ص) بعد نزول هذه الآية شيء من المنافقين كان يعرفهم بسيماهم ﴿ ولتعرفنهم في لحن القول ﴾ في معناه ومقصده واللحن وجهان صواب وخطأ فالفعل من الصواب لحن يلحن لحنا فهو لحن اذا فطن للشيء ومنه قول النبي (ص) « ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض » والفعل من الخطأ لحن يلحن لحنا فهو لاحن والاصل فيه ازالة الكلام عن جهته، والمعنى تعرفهم فيما يعرضون به من تهجين أمرك وأمر المسلمين والاستهزاء بهم فكان بعد

وقد ذكرنا مايستدل به على نفاق الرجل وتكلمنا على نفاق العمل والاعتقاد في أول شرح البخاري بما أغنى عن إعادته ههنا وقد ورد في الحديث تعيين جماعة من المنافقين

قال الامام أحمد حدثنا وكيع حدثنا سفيان عن سلمة بن عياض عن أبيه عن أبي مسعود عقبة بن عمرو رضي الله عنه قال خطبنا رسول الله ﷺ خطبة فحمد الله تعالى وأثنى عليه ثم قال « إن منكم منافقين فمن سميت فليقم – ثم قال – قم يافلان قم يا فلان قم يا فلان – حتى سمى ستة وثلاثين رجلا ثم قال – ان فيكم – أو منكم – منافقين فاتقوا الله » قال فمر عمر رضي الله عنه برجل ممن سمى مقنع قد كان يعرفه فقال مالك ؟ فحدثه بما قال رسول الله ﷺ فقال بعدا لك سائر اليوم

وقوله عز وجل (ولنبلونكم) أي لنختبرنكم بالاوامر والنواهي (حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم) وليس في تقدم علم الله تعالى بما هو كائن انه سيكون شك ولا ريب فالمراد حتى نعلم وقوعه ولهذا يقول ابن عباس رضي الله عنهما في مثل هذا إلا لنعلم أي لنرى

ان الذين كفروا وصدُّوا عن سبيل الله وشاقوا الرسول من بعد ماتبين لهم الهدى لن يضرُّوا الله شيئا وسيحبط أعمالهم (٣٢) يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا اعمالكم (٣٣) إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفَّار فلن يغفر الله لهم (٣٤) فلا تهنوا وتدعوا إلى السَّلم وأنتم الاعلوْن والله معكم ولن يَتِرَكم أعمالكم (٣٥)

يخبر تعالى عمن كفر وصد عن سبيل الله وخالف الرسول وشاقه وارتد عن الايمان من بعد ماتبين له الهدى انه لن يضر الله شيئا وانما يضر نفسه ويخسرها يوم معادها وسيحبط الله عمله

هذا لا يتكلم منافق عند النبي (ص) الا عرفه بقوله ويستدل بفحوى كلامه على فساد خلته وعقيدته ﴿ والله يعلم أعمالكم * ولنبلونكم ﴾ ولنعاملنكم معاملة المختبر بأن نامركم بالجهاد والقتال ﴿حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ﴾ أي علم الوجود يريد حتى يتبين المجاهد والصابر على دينه من غيره ﴿ ونبلو أخباركم ﴾ أي نظهرها ونكشفها باباه من يابي القتال ولا يصبر على الجهاد وقرأ أبو بكر عن عاصم وليبلونكم حتى يعلم ويبلو بالياء فيهن لقوله تعالى [والله يعلم أعمالكم]

وقرأ الآخرون بالنون فيهن لقوله تعالى [ولو نشاء لاريناكهم] وقرأ يعقوب ونبلو ساكنة الواو ردا على قوله ولنبلونكم وقرأ الآخرون بالفتح ردا على قوله حتى نعلم ﴿ ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ﴾ أي سبيل رسول الله (ص) ﴿ وشاقوا الرسول من بعد ما تبين لهم الهدى لن يضروا

فلا يثيبه على سالف ماتقدم من عمله الذي عقبه بردته مثقال بعوضة من خير بل يحبطه ويمحقه بالكلية كما ان الحسنات يذهبن السيئات

وقد قال الامام محمد بن نصر المروزي في كتاب الصلاة حدثنا أبو قدامة حدثنا وكيع حدثنا أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية قال كان أصحاب رسول الله (ص) يرون أنه لايضر مع لا إله إلا الله ذنب كما لاينفع مع الشرك عمل فنزلت (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم) فخافوا أن يبطل الذنب العمل ، ثم روي من طريق عبدالله بن المبارك أخبرني بكر بن معروف عن مقاتل بن حيان عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : كنا معشر أصحاب رسول الله (ص) نرى أنه ليس شيء من الحسنات إلا مقبول حتى نزلت (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم) فقلنا ماهذا الذي يبطل أعمالنا ؟ فقلنا الكبائر والموجبات والفواحش حتى نزل قوله تعالى (إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء) فلما نزلت كففنا عن القول في ذلك فكنا نخاف على من أصاب الكبائر والفواحش ونرجو لمن لم يصبها

ثم أمر تبارك وتعالى عباده المؤمنين بطاعته وطاعة رسوله التي هي سعادتهم في الدنيا والآخرة ونهاهم عن الارتداد الذي هو مبطل للاعمال ولهذا قال تعالى (ولا تبطلوا أعمالكم) اي بالردة ، ولهذا قال بعدها (ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لهم) كقوله سبحانه وتعالى (ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء) الآية

ثم قال جل وعلا لعباده المؤمنين (فلا تهنوا) أي لا تضعفوا عن الاعداء (وتدعوا الى السلم) أي المهادنة والمسالمة ووضع القتال بينكم وبين الكفار في حال قوتكم وكثرة عددكم وعددكم ولهذا قال (فلا تهنوا وتدعوا الى السلم وأنتم الاعلون) اي في حال علوكم على عدوكم ، فأما إذا كان الكفار

الله شيئا ﴾ انما يضرون أنفسهم ﴿ وسيحبط أعمالهم ﴾ فلا يرون لها ثوابا في الآخرة قال ابن عباس رضي الله عنهما هم المطعمون يوم بدر نظيرها قوله عز وجل [ان الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله] الاية ﴿ يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم ﴾ قال عطاء بالشك والنفاق وقال الكلبي بالرياء والسمعة وقال الحسن بالمعاصي والكبائر وقال أبو العالية كان أصحاب رسول الله ﷺ يرون انه لا يضر مع الاخلاص ذنب كما لا ينفع مع الشرك عمل فنزلت هذه الآية فخافوا الكبائر بعده أن تحبط الاعمال وقال مقاتل لا تمنوا على رسول الله ﷺ فتبطلوا أعمالكم نزلت في بني أسد وسنذكره في سورة الحجرات ان شاء الله تعالى

﴿ ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لهم ﴾ قيل هم أصحاب القليب وحكمها عام ﴿ فلا تهنوا ﴾ لا تضعفوا ﴿ وتدعوا إلى السلم ﴾ أي لا تدعوا إلى الصلح ابتداء

فيهم قوة وكثرة بالنسبة الى جميع المسلمين ورأى الامام في المهادنة والمعاهدة مصلحة فله ان يفعل ذلك كما فعل رسول الله ﷺ حين صده كفار قريش عن مكة ودعوه الى الصلح ووضع الحرب بينهم وبينه عشر سنين فأجابهم ﷺ الى ذلك

وقوله جلت عظمته (والله معكم) فيه بشارة عظيمة بالنصر والظفر على الاعداء. (ولن يتركم اعمالكم) أي ولن يحبطها ويبطلها ويسلبكم اياها بل يوفيكم ثوابها ولا ينقصكم منها شيئا والله أعلم

إنما الحيوٰة الدنيا لعب ولهو وإن تؤمنوا وتتقوا يؤتكم أجوركم ولا يسئلكم أموالكم (٣٦) ان يسئلكموها فيحفكم تبخلوا ويخرج أضغنكم (٣٧) هأنتم هؤلاء تدعون لتنفقوا في سبيل الله فمنكم من يبخل ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه، والله الغني وأنتم الفقراء وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثلكم (٣٨)

يقول تعالى تحقيرا لأمر الدنيا وتهوينا لشأنها [انما الحياة الدنيا لعب ولهو] أي حاصلها ذلك إلا ما كان منها لله عز وجل ولهذا قال تعالى [وإن تؤمنوا وتتقوا يؤتكم أجوركم ولا يسألكم أموالكم] أي هو غني عنكم لا يطلب منكم شيئا وإنما فرض عليكم الصدقات من الاموال مواساة لأخوانكم الفقراء ليعود نفع ذلك عليكم، ويرجع ثوابه اليكم

ثم قال جل جلاله (إن يسألكموها فيحفكم تبخلوا) أي يحوجكم تبخلوا (ويخرج أضغانكم) قال قتادة: قد علم الله تعالى ان في إخراج الاموال اخراج الاضغان وصدق قتادة فان المال محبوب ولا يصرف الا فيما هو أحب الى الشخص منه

منع الله المسلمين ان يدعوا الكفار الى الصلح وأمرهم بحربهم حتى يسلموا ﴿ وأنتم الاعلون ﴾ الغالبون قال الكلبي آخر الامر لكم وان غلبوكم في بعض الاوقات ﴿ والله معكم ﴾ بالعون والنصرة ﴿ ولن يتركم أعمالكم ﴾ لن ينقصكم شيئا من ثواب أعمالكم يقال وتره يتره وترا وترة اذا نقص حقه قال ابن عباس وقتادة ومقاتل والضحاك ان يظلمكم أعمالكم الصالحة بل يؤتيكم أجورها ثم حض على طلب الآخرة فقال ﴿ إنما الحياة الدنيا لعب ولهو ﴾ باطل وغرور ﴿ وان تؤمنوا وتتقوا ﴾ الفواحش ﴿ يؤتكم أجوركم ﴾ جزاء أعمالكم في الاخرة ﴿ ولا يسألكم ﴾ ربكم ﴿ أموالكم ﴾ لايتاء الاجر بل يامركم بالايمان والطاعة ليثيبكم عليها الجنة نظيره قوله [ما أريد منهم من رزق] وقيل لا يسألكم محمد أموالكم نظيره [قل ما أسالكم عليه من أجر] وقيل معنى الاية لا يسألكم الله ورسوله أموالكم كلها في الصدقات انما يسألانكم غيضا من فيض ربع العشر فطيبوا بها نفسا وقروا عينا والى هذا القول ذهب ابن عيينة يدل عليه سياق الآية ﴿ ان يسألكموها فيحفكم ﴾ أي يجهدكم ويلحف عليكم بمسئلة

وقوله تعالى (هاأنتم هؤلاء تدعون لتنفقوا في سبيل الله فمنكم من يبخل) أي لايجيب الى ذلك (ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه) أي انما نقص نفسه من الاجر وانما يعود وبال ذلك عليه (والله الغني) أي عن كل ما سواه وكل شيء فقير اليه دائما ولهذا قال تعالى (وأنتم الفقراء) أي بالذات اليه، فوصفه بالغنى وصف لازم له، ووصف الخلق بالفقر وصف لازم لهم لاينفكون عنه

وقوله تعالى (وان تتولوا) أي عن طاعته واتباع شرعه (يستبدل قوما غيركم ثم لايكونوا أمثالكم) أي ولكن يكونون سامعين مطيعين له ولأوامره

وقال ابن أبي حاتم وابن جرير حدثنا يونس بن عبد الأعلى حدثنا ابن وهب أخبرني مسلم بن خالد عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال ان رسول الله ﷺ تلا هذه الآية (وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم) قالوا يا رسول الله من هؤلاء الذين ان تولينا استبدل بنا ثم لايكونوا أمثالنا؟ قال فضرب بيده على كتف سلمان الفارسي رضي الله عنه ثم قال «هذا وقومه ولو كان الدين عند الثريا لتناوله رجال من الفرس» تفرد به مسلم بن خالد الزنجي ورواه عنه غير واحد وقد تكلم فيه بعض الأئمة رحمة الله عليهم والله أعلم

آخر تفسير سورة القتال ولله الحمد والمنة

جميعها يقال أحفى فلان فلانا اذا أجهده وألحف عليه بالمسئلة ﴿ تبخلوا ﴾ بها فلا تعطوها ﴿ ويخرج أضغانكم ﴾ بغضكم وعداوتكم قال قتادة علم الله ان مسئلة الاموال خروج الاضغان ﴿ ها أنتم هؤلاء تدعون لتنفقوا في سبيل الله ﴾ يعني اخراج مافرض الله عليكم ﴿ فمنكم من يبخل ﴾ بما فرض عليه من الزكاة ﴿ ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه والله الغني ﴾ عن صدقاتكم وطاعتكم ﴿ وأنتم الفقراء ﴾ اليه وإلى ما عنده من الخير ﴿ وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لايكونوا أمثالكم ﴾ بل يكونوا أمثل منكم وأطوع لله منكم قال الكلبي هم كندة والنخع وقال الحسن هم العجم وقال عكرمة فارس والروم

أخبرنا أبو بكر أحمد بن أبي نصر الكوفاني أنا أبو محمد عبد الرحمن بن عمر بن محمد بن اسحاق التجيبي المصري المعروف بابن النحاس أنا أبو الطيب الحسن بن محمد الرياش ثنا يونس بن عبد الأعلى ثنا ابن وهب ثنا مسلم بن خالد عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة ان رسول الله ﷺ تلا هذه الاية (وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لايكونوا أمثالكم) قالوا يارسول الله من هؤلاء الذين ان تولينا استبدلوا بنا ثم لا يكونوا أمثالنا؟ فضرب على فخذ سلمان الفارسي ثم قال « هذا وقومه ولو كان الدين عند الثريا لتناوله رجال من الفرس »

تفسير سورة الفتح وهى مدنية

قال الامام أحمد حدثنا وكيع حدثنا شعبة عن معاوية بن قرة قال سمعت عبد الله بن مغفل يقول قرأ رسول الله (ص) عام الفتح في مسيره سورة الفتح على راحلته فرجع فيها قال معاوية لولا اني أكره أن يجتمع الناس علينا لحكيت قراءته، أخرجاه من حديث شعبة به

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

إنَّا فتحنا لك فتحاً مبيناً (١) ليغفرَ لك الله ماتقدم من ذنبك وما تأخر ويتمَّ نعمتَه عليك ويهديَكَ صرطاً مستقيماً (٢) وينصرَكَ الله نصراً عزيزاً (٣)

﴿ سورة الفتح مدنية تسع وعشرون آية ﴾

أخبرنا أبو الحسن محمد بن محمد السرخسي أنا أبو علي زاهر بن أحمد الطوسي أنا أبو اسحاق ابراهيم بن عبد الصمد الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن زيد بن أسلم عن أبيه أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يسير مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره فسأله عمر عن شيء فلم يجبه ثم سأله فلم يجبه ثم سأله فلم يجبه فقال ثكلتك أمك ياعمر كررت على رسول الله ﷺ ثلاث مرات كل ذلك لا يجيبك قال عمر فحركت بعيري ثم تقدمت أمام الناس وخشيت أن ينزل في قرآن فما لبثت ان سمعت صارخا يصرخ بي فقلت لقد خشيت أن يكون نزل في قرآن فجئت رسول الله ﷺ فسلمت عليه فقال « لقد أنزلت علي الليلة سورة لهي أحب إلي مما طلعت عليه الشمس » ثم قرأ (انا فتحنا لك فتحامبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر)

أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي أنا أبو عمر بكر المزني ثنا أبو بكر محمد بن عبدالله حفيد العباس ابن حمزة ثنا الحسين البجلي ثنا عفان ثنا همام ثنا قتادة ثنا أنس قال نزلت على النبي ﷺ (انا فتحنا لك فتحا مبينا) الى آخر الآية مرجعه من الحديبية وأصحابه مخالطهم الحزن والكآبة فقال نزلت علي آية هي أحب إلي من الدنيا جميعا فلما تلاها نبي الله ﷺ قال رجل من القوم هنيئا مريئا لك قد بين الله مايفعل بك فماذا يفعل بنا ؟ فانزل الله هذه الاية التي بعدها (ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار) حتى ختم الاية

بسم الله الرحمن الرحيم

(قوله عز وجل ﴿ انا فتحنا لك فتحا مبينا ﴾ اختلفوا في هذا الفتح، روي عن أبي جعفر الرازي

(نزلت هذه السورة الكريمة لما رجع رسول الله (ص) من الحديبية في ذي القعدة من سنة ست من الهجرة حين صده المشركون عن الوصول الى المسجد الحرام فيقضي عمرته فيه وحالوا بينه وبين ذلك ثم مالوا إلى المصالحة والمهادنة وأن يرجع عامه هذا) ثم يأتي من قابل فأجابهم الى ذلك على تكره من جماعة من الصحابة منهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه كما سيأتي تفصيله في موضعه من تفسير هذه السورة إن شاء الله تعالى ، (فلما نحر هديه حيث أحصر ورجع أنزل الله عز وجل هذه السورة فيما كان من أمره وامرهم وجعل ذلك الصلح فتحا باعتبار مافيه من المصلحة وما آل الامر اليه كما روى ابن مسعود رضي الله عنه وغيره أنه قال: انكم تعدون الفتح فتح مكة ونحن نعد الفتح صلح الحديبية، وقال الاعمش عن أبي سفيان عن جابر رضي الله عنه قال: ما كنا نعد الفتح إلا يوم الحديبية)

وقال البخاري حدثنا عبيدالله بن موسى عن اسرائيل عن أبي اسحاق عن البراء رضي الله عنه قال: تعدون أنتم الفتح فتح مكة وقد كان فتح مكة فتحا ونحن نعد الفتح بيعة الرضوان يوم الحديبية كنا مع رسول الله ﷺ أربع عشرة مائة والحديبية بئر فنزحناها فلم نترك فيها قطرة فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فأتاها فجلس على شفيرها ثم دعا باناء من ماء فتوضأ ثم تمضمض ودعا ثم صبه فيها فتركناها غير بعيد ثم انها أصدرتنا ماشئنا نحن وركائبنا

(وقال الامام أحمد حدثنا نوح حدثنا مالك بن أنس عن زيد بن أسلم عن أبيه عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: كنا مع رسول الله ﷺ في سفر قال فسألته عن شيء ثلاث مرات فلم يرد علي ، قال فقلت في نفسي ثكلتك أمك يا ابن الخطاب ألححت كررت على رسول الله ﷺ ثلاث مرات فلم يرد عليك، قال فركبت راحلتي فحركت بعيري فتقدمت مخافة أن يكون نزل في شيء قال فاذا أنا بمناد يا عمر قال فرجعت وأنا أظن أنه نزل في شيء قال فقال النبي ﷺ « نزل علي البارحة سورة هي أحب إلي من الدنيا وما فيها » (انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر الله لك ماتقدم من ذنبك وما تأخر) ورواه البخاري والترمذي والنسائي من طرق عن مالك رحمه الله ، وقال علي بن المديني هذا اسناد مدني جيد لم نجده إلا عندهم

عن قتادة عن أنس انه فتح مكة ، وقال مجاهد فتح خيبر والاكثرون على أنه صلح الحديبية ومعنى الفتح فتح المنغلق والصلح مع المشركين بالحديبية كان متعذراً حتى فتحه الله عز وجل ، وروى شعبة عن قتادة عن أنس انا فتحنا لك فتحا مبينا قال صلح الحديبية

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا احمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل ثنا عبيدالله بن موسى عن اسرائيل عن أبي اسحاق عن البراء قال: تعدون أنتم الفتح فتح مكة وقد كان فتح مكة فتحا، ونحن نعد الفتح بيعة الرضوان يوم الحديبية كنا مع النبي ﷺ أربع عشرة مائة والحديبية بئر فنزحناها فلم نترك فيها قطرة فبلغ ذلك النبي ﷺ فأتاها فجلس على شفيرها ثم دعا

وقال الامام أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن قتادة عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال نزلت على النبي ﷺ (ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر) مرجعه من الحديبية قال النبي ﷺ «لقد أنزلت علي الليلة آية أحب إلي مما على الارض» ثم قرأها عليهم النبي ﷺ فقالوا هنيئا مريئا يانبي الله بين الله عز وجل مايفعل بك فماذا يفعل بنا؟ فنزلت عليه صلى الله عليه وسلم (ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار — حتى بلغ — فوزاً عظيما) أخرجاه في الصحيحين من رواية قتادة به.

وقال الامام أحمد حدثنا اسحاق بن عيسى حدثنا مجمع بن يعقوب قال سمعت أبي يحدث عن عمه عبد الرحمن بن زيد الانصاري عن عمه مجمع بن حارثه الانصاري رضي الله عنه وكان أحد القراء الذين قرؤا القرآن قال شهدنا الحديبية فلما انصرفنا عنها اذا الناس ينفرون الاباعر فقال الناس بعضهم لبعض ماللناس قالوا أوحي إلى رسول الله ﷺ فخرجنا مع الناس نوجف فاذا رسول الله ﷺ على راحلته عند كراع الغميم فاجتمع الناس عليه فقرأ عليهم (انا فتحنا لك فتحا مبينا) قال فقال رجل من أصحاب رسول الله ﷺ أي رسول الله أوفتح هو؟ قال ﷺ «أي والذي نفس محمد بيده انه لفتح» قسمت خيبر على أهل الحديبية لم يدخل معهم فيها أحد إلا من شهد الحديبية فقسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم ثمانية عشر سهما وكان الجيش ألفا وخمسمائة منهم ثلثمائة فارس فأعطى الفارس سهمين وأعطى الرجل سهما، ورواه أبو داود في الجهاد عن محمد بن عيسى عن مجمع بن يعقوب به.

وقال ابن جرير حدثنا محمد بن عبد الله بن بزيع حدثنا أبو يحيى حدثنا شعبة حدثنا جامع بن شداد عن أبي عبد الرحمن بن أبي علقمة قال سمعت عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يقول: لما أقبلنا من الحديبية عرسنا فنمنا فلم نستيقظ إلا والشمس قد طلعت فاستيقظنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم نائم قال فقلنا أيقظوه فاستيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال «افعلوا ماكنتم تفعلون وكذلك يفعل من نام أو نسي» قال وفقدنا ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم فطلبناها فوجدناها قد تعلق

باناء من ماء فتوضأ ثم تمضمض ودعا ثم صبه فيها فتركناها غير بعيد ثم انها أصدرتنا ما شئنا نحن وركابنا، قال الشعبي في قوله (إنا فتحنا لك فتحا مبينا) قال فتح الحديبية غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وأطعموا نخل خيبر وبلغ الهدي محله وظهرت الروم على فارس ففرح المؤمنون بظهور أهل الكتاب على المجوس، قال الزهري لم يكن فتح أعظم من صلح الحديبية وذلك ان المشركين اختلطوا بالمسلمين فسمعوا كلامهم فتمكن الاسلام في قلوبهم أسلم في ثلاث سنين خلق كثير وكثر بهم سواد الاسلام، قوله عز وجل (انا فتحنا لك فتحا مبينا) أي قضينا لك قضاء بيناء وقال الضحاك انا فتحنا لك فتحا مبينا بغير قتال وكان الصلح من الفتح المبين قيل اللام في قوله ليغفر لام كي معناه انا فتحنا لك فتحا مبينا لكي يجتمع لك مع المغفرة تمام النعمة في الفتح، وقال الحسين بن الفضل هو مردود إلى

خطامها بشجرة فأتيته بها فركبها فبينا نحن نسير اذ أتاه الوحي قال وكان اذا أتاه الوحي اشتد عليه فلما سري عنه أخبرنا أنه أنزل عليه (انا فتحنا لك فتحا مبينا) وقد رواه أحمد وأبو داود والنسائي من غير وجه عن جامع بن شداد به

وقال الامام أحمد حدثنا عبد الرحمن حدثنا سفيان عن زياد بن علاقة قال سمعت المغيرة بن شعبة يقول: كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي حتى ترم قدماه فقيل له أليس قد غفر الله لك ماتقدم من ذنبك وما تأخر؟ فقال صلى الله عليه وسلم «أفلا أكون عبداً شكوراً» أخرجاه وبقية الجماعة الا أبا داود من حديث زياد به

وقال الامام احمد حدثنا هارون بن معروف حدثنا بن وهب حدثني أبو صخر عن ابن قسيط عن عروة بن الزبير عن عائشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله ﷺ اذا صلى قام حتى تتفطر رجلاه فقالت له عائشة رضي الله عنها يارسول الله أتصنع هذا وقد غفر لك الله ماتقدم من ذنبك وما تأخر؟ فقال ﷺ «ياعائشة أفلا أكون عبداً شكوراً» أخرجه مسلم في الصحيح من رواية عبدالله بن وهب به

وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا عبدالله بن عون الخراز وكان ثقة بمكة حدثنا محمد بن بشر حدثنا مسعر عن قتادة عن أنس قال قام رسول الله ﷺ حتى تورمت قدماه أو قال ساقاه فقيل له أليس قد غفر الله لك ماتقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال «أفلا أكون عبداً شكوراً» غريب من هذا الوجه. فقوله (إنا فتحنا لك فتحا مبينا) أي بينا ظاهرا والمراد به صلح الحديبية فانه حصل بسببه خير جزيل، وآمن الناس واجتمع بعضهم ببعض، وتكلم المؤمن مع الكافر وانتشر العلم النافع والايمان

وقوله تعالى (ليغفر لك الله ماتقدم من ذنبك وما تأخر) هذا من خصائصه ﷺ التي لا يشاركه فيها غيره وليس في حديث صحيح في ثواب الاعمال لغيره غفر له ماتقدم من ذنبه وما تأخر وهذا فيه تشريف عظيم لرسول الله ﷺ وهو ﷺ في جميع أموره على الطاعة والبر والاستقامة التي لم ينلها بشر سواه لا من الاولين ولا من الآخرين وهو ﷺ أكمل البشر على الاطلاق وسيدهم في

قوله [واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات] (ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر) [وليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات] الآية وقال محمد بن جرير هو راجع الى قوله (اذا جاء نصر الله والفتح * ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا * فسبح بحمد ربك واستغفره) (ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك) في الجاهلية قبل الرسالة (وما تأخر) الى وقت نزول هذه السورة وقيل ما تأخر مما يكون وهذا على طريقة من يجوز الصغائر على الانبياء، وقال سفيان الثوري ما تقدم مما عملت في الجاهلية وما تأخر كل شيء لم تعمله، ويذكر مثل ذلك على طريق التأكيد كما يقال أعطى من رآه ومن لم يره، وضرب من لقيه ومن لم يلقه، وقال عطاء الخراساني ما تقدم من ذنبك يعني ذنب أبويك

الدنيا والآخرة ، ولما كان أطوع خلق الله تعالى وأشدهم تعظيما لأوامره ونواهيه قال حين بركت به الناقة حبسها حابس الفيل ثم قال ﷺ « والذي نفسي بيده لا يسألوني اليوم شيئا يعظمون به حرمات الله إلا أجبتهم اليها » فلما أطاع الله في ذلك وأجاب الى الصلح قال الله تعالى له (إنا فتحنا لك فتحا مبينا * ليغفر لك الله ماتقدم من ذنبك وما تأخر * (ويتم نعمته عليك) أي في الدنيا والآخرة (ويهديك صراطا مستقيما) أي بما يشرعه لك من الشرع العظيم والدين القويم (وينصرك الله نصراً عزيزاً) أي بسبب خضوعك لامر الله عز وجل يرفعك الله وينصرك على أعدائك كما جاء في الحديث الصحيح « وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً وما تواضع أحد لله عز وجل إلا رفعه الله تعالى »

وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه قال : ما عاقبت أحداً عصى الله تعالى فيك بمثل أن أن تطيع الله تبارك وتعالى فيه

هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا إيمٰنا مع إيمٰنهم ولله جنود السمٰوٰت والارض وكان الله عليما حكيما (٤) ليدخل المؤمنين والمؤمنٰت جنٰت تجري من تحتها الانهٰر خٰلدين فيها ويكفر عنهم سيئاتهم وكان ذلك عند الله فوزا عظيما (٥) ويعذب المنٰفقين والمنٰفقٰت والمشركين والمشركٰت الظانين بالله ظن السوء عليهم دائرة السوء وغضب الله عليهم ولعنهم وأعد لهم جهنم وساءت مصيراً (٦) ولله جنود السموٰت والارض وكان الله عزيزاً حكيما (٧)

يقول تعالى (هو الذي أنزل السكينة) أي جعل الطمأنينة قاله ابن عباس رضي الله عنهما وعنه الرحمة ، وقال قتادة الوقار في قلوب المؤمنين وهم الصحابة رضي الله عنهم يوم الحديبية الذين استجابوا لله ولرسوله ، وانقادوا لحكم الله ورسوله فلما اطمأنت قلوبهم بذلك واستقرت زادهم إيمانا مع إيمانهم

آدم وحواء ببركتك وما تأخر ذنوب أمتك بدعوتك ﴿ويتم نعمته عليك﴾ بالنبوة والحكمة ﴿ويهديك صراطا مستقيما﴾ أي يثبتك عليه ، والمعنى ليجتمع لك مع الفتح تمام النعمة بالمغفرة والهداية الى الصراط المستقيم وهو الاسلام وقيل ويهديك أي يهدي بك ﴿ وينصرك الله نصراً عزيزاً ﴾ غالبا وقيل معزا ﴿ هو الذي أنزل السكينة ﴾ الطمأنينة والوقار ﴿ في قلوب المؤمنين ﴾ لئلا تنزعج نفوسهم لما يرد عليهم قال ابن عباس كل سكينة في القرآن فهي طمأنينة إلا التي في سورة البقرة ﴿ليزدادوا إيمانا مع إيمانهم ﴾ قال ابن عباس بعث الله رسوله بشهادة أن لا اله الا الله فلما صدقوه زادهم الصلاة ثم الزكاة ثم الصيام

وقد استدل بها البخاري وغيره من الائمة على تفاضل الايمان في القلوب ثم ذكر تعالى انه لوشاء لانتصر من الكافرين فقال سبحانه وتعالى (ولله جنود السموات والارض) أي ولو أرسل عليهم ملكا واحدا لأباد خضراءهم ولكنه تعالى شرع لعباده المؤمنين الجهاد والقتال لماله في ذلك من الحكمة البالغة والحجة القاطعة والبراهين الدامغة ولهذا قال جلت عظمته (وكان الله عليما حكيما)

ثم قال عز وجل (ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها) قد تقدم حديث أنس رضي الله عنه حين قالوا هنيئا لك يارسول الله هذا لك فما لنا؟ فأنزل الله تعالى (ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها) أي ماكثين فيها أبداً (ويكفر عنهم سيئاتهم) أي خطاياهم وذنوبهم فلا يعاقبهم عليها بل يعفو ويصفح ويغفر ويستر ويرحم ويشكر (وكان ذلك عند الله فوزاً عظيما) كقوله جل وعلا (فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز) الآية . وقوله تعالى (ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات الظانين بالله ظن السوء) أي يتهمون الله تعالى في حكمه ويظنون بالرسول (ص) وأصحابه رضي الله عنهم أن يقتلوا ويذهبوا بالكلية ولهذا قال تعالى (عليهم دائرة السوء وغضب الله عليهم ولعنهم) أي أبعدهم من رحمته (وأعد لهم جهنم وساءت مصيراً)

ثم قال عز وجل (مؤكداً لقدرته على الانتقام من الاعداء أعداء الاسلام من الكفرة والمنافقين (ولله جنود السموات والارض وكان الله عزيزا حكيما)

انا أرسلناك شهداً ومبشراً ونذيراً (٨) لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه وتسبحوه بكرة وأصيلا (٩) إن الذين يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم فمن نكث فانما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عهد عليه الله فسيؤتيه أجراً عظيما (١٠)

ثم الحج ثم الجهاد حتى أكمل لهم دينهم فكلما أمروا بشيء فصدقوه ازدادوا تصديقا الى تصديقهم وقال الضحاك يقينا مع يقينهم ، قال الكلبي هذا في أمر الحديبية حين صدق الله رسوله الرؤيا بالحق ﴿ ولله جنود السموات والارض وكان الله عليما حكيما * ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ويكفر عنهم سيئاتهم وكان ذلك عند الله فوزا عظيما ﴾ وقد ذكرنا عن أنس ان الصحابة قالوا لما نزل (ليغفر لك الله) هنيئا مريئا فما يفعل بنا فنزل (ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات) الآية ﴿ ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ﴾ يريد أهل النفاق بالمدينة وأهل الشرك بمكة ﴿ الظانين بالله ظن السوء ﴾ أن لن ينصر محمداً والمؤمنين ﴿ عليهم دائرة السوء ﴾ بالعذاب والهلاك ﴿ وغضب الله عليهم ولعنهم وأعد لهم جهنم وساءت مصيراً * ولله جنود السموات والارض وكان الله عزيزاً حكيما * انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا * لتؤمنوا بالله ورسوله

يقول تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم (انا أرسلناك شاهداً) أي على الخلق (ومبشراً) أي للمؤمنين (ونذيراً) أي للكافرين وقد تقدم تفسيرها في سورة الاحزاب (لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه) قال ابن عباس رضي الله عنهما وغير واحد تعظموه (وتوقروه) من التوقير وهو الاحترام والاجلال والاعظام (وتسبحوه) أي تسبحون الله (بكرة وأصيلا) أي أول النهار وآخره ثم قال عز وجل لرسوله ﷺ تشريفا له وتعظيما وتكريما (إن الذين يبايعونك انما يبايعون الله كقوله جل وعلا (من يطع الرسول فقد أطاع الله) (يد الله فوق أيديهم) أي هو حاضر معهم يسمع أقوالهم ويرى مكانهم ويعلم ضمائرهم وظواهرهم فهو تعالى هو المبايع بواسطة رسول الله صلى الله عليه وسلم كقوله تعالى (إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقا في التوراة والانجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم)

وقد قال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا الفضل بن يحيى الانباري حدثنا علي بن بكار عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من سل سيفه في سبيل الله فقد بايع الله »

وحدثنا أبي حدثنا يحيى بن المغيرة أخبرنا جرير عن عبدالله بن عثمان بن خثيم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ في الحجر « والله ليبعثنه الله عز وجل يوم القيامة له عينان ينظر بهما ولسان ينطق به ويشهد على من استلمه بالحق فمن استلمه فقد بايع الله تعالى » ثم قرأ رسول الله [ص] (إن الذين يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم) ولهذا قال تعالى (فمن نكث فانما ينكث على نفسه) أي انما يعود وبال ذلك على الناكث والله غني عنه (ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجراً عظيما) أي ثوابا جزيلا وهذه البيعة هي بيعة الرضوان وكانت تحت شجرة سمرة بالحديبية وكان الصحابة رضي الله عنهم الذين بايعوا رسول الله (ص) يومئذ قيل ألفا وثلثمائة ، وقيل وأربعمائة ، وقيل وخمسمائة والاوسط أصح

﴿ ذكر الاحاديث الواردة في ذلك ﴾

قال البخاري حدثنا قتيبة حدثنا سفيان عن عمرو عن جابر رضي الله عنه قال كنا يوم الحديبية ألفا وأربعمائة . ورواه مسلم من حديث سفيان بن عيينة به ، وأخرجاه أيضا من حديث الاعمش عن سالم بن أبي الجعد عن جابر رضي الله قال : كنا يومئذ ألفا وأربعمائة ووضع يده في ذلك الماء فجعل

وتعزروه ﴾ أي تعينوه وتنصروه ﴿ وتوقروه ﴾ أي تعظموه وتفخموه وهذه الكنايات راجعة الى النبي ﷺ وههنا وقف ﴿ وتسبحوه ﴾ أي تسبحوا الله يريد تصلوا له ﴿ بكرة وأصيلا ﴾ بالغداة والعشي

الماء ينبع من بين أصابعه حتى رووا كلهم وهذا مختصر من سياق آخر حين ذكر قصة عطشهم يوم الحديبية وأن رسول الله [ص] أعطاهم سهما من كنانته فوضعوه في بئر الحديبية فجاشت بالماء حتى كفتهم فقيل لجابر رضي الله عنه كم كنتم يومئذ ؟ قال كنا ألفا وأربعمائة ولو كنا مائة ألف لكفانا ، وفي رواية في الصحيحين عن جابر رضي الله عنه أنهم كانوا خمس عشرة مائة

وروى البخاري من حديث قتادة قلت لسعيد بن المسيب كم كان الذين شهدوا بيعة الرضوان ؟ قال خمس عشرة مائة ، قلت فان جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال كانوا أربع عشرة مائة قال رحمه الله وهم هو حدثني أنهم كانوا خمس عشرة مائة . قال البيهقي هذه الرواية تدل على أنه كان في القديم يقول خمس عشرة مائة ثم ذكر الوهم فقال أربع عشرة مائة

وروى العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنهم كانوا ألفا وخمسمائة وخمسة وعشرين والمشهور الذي رواه عنه غير واحد أربع عشرة مائة وهذا هو الذي رواه البيهقي عن الحاكم عن الاصم عن العباس الدوري عن يحيى بن معين عن شبابة بن سوار عن شعبة عن قتادة عن سعيد بن المسيب عن أبيه قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت الشجرة ألفا وأربعمائة ، وكذلك هو الذي في رواية سلمة بن الاكوع ومعقل بن يسار والبراء بن عازب رضي الله عنهم ، وبه يقول غير واحد من أصحاب المغازي والسير ، وقد أخرج صاحبا الصحيح من حديث شعبة عن عمرو بن مرة قال : سمعت عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه يقول : كان أصحاب الشجرة ألفا وأربعمائة وكانت أسلم يومئذ ثمن المهاجرين .

وروى محمد بن اسحاق في السيرة عن الزهري عن عروة بن الزبير عن المسور بن مخرمة ومروان ابن الحكم أنهما حدثاه قالا : خرج رسول الله ﷺ عام الحديبية يريد زيارة البيت لا يريد قتالا وساق معه الهدي سبعين بدنة وكان الناس سبعمائة رجل كل بدنة عن عشرة نفر وكان جابر بن عبد الله رضي الله عنهما فيما بلغني عنه يقول : كنا أصحاب الحديبية أربعة عشرة مائة . كذا قال ابن اسحاق وهو معدود من أوهامه فان المحفوظ في الصحيحين أنهم كانوا بضع عشرة مائة كما سيأتي إن شاء الله تعالى .

﴿ ذكر سبب هذه البيعة العظيمة ﴾

قال محمد بن إسحاق بن يسار في السيرة ثم دعا رسول الله [ص] عمر بن الخطاب [رض] ليبعثه إلى مكة ليبلغ عنه أشراف قريش ما جاء له فقال يا رسول الله إني أخاف قريشا على نفسي وليس

قرأ ابن كثير وأبو عمرو ليؤمنوا ويعزروه ويوقروه ويسبحوه بالياء فيهن لقوله ﴿ في قلوب المؤمنين ﴾ وقرأ الآخرون بالتاء فيهن ﴿ ان الذين يبايعونك ﴾ يا محمد بالحديبية على ان لا يفروا ﴿ انما يبايعون الله ﴾ لانهم باعوا أنفسهم من الله بالجنة

بمكة من بني عدي بن كعب من يمنعني وقد عرفت قريش عداوتي إياها وغلظي عليها ولكني أدلك على رجل أعز بها مني عثمان بن عفان [رض] نبعثه الى أبي سفيان وأشراف قريش يخبرهم أنه لم يأت لحرب وانه انما جاء زائرا لهذا البيت ومعظما لحرمته فخرج عثمان [رض] الى مكة فلقيه أبان بن سعيد بن العاص حين دخل مكة أو قبل أن يدخلها فحمله بين يديه ثم أجاره حتى بلغ رسالة رسول الله [ص] فانطلق عثمان [رض] حتى أتى أبا سفيان وعظماء قريش فبلغهم عن رسول الله (ص) ما أرسله به فقالوا لعثمان [رض] حين فرغ من رسالة رسول الله (ص) اليهم ان شئت أن تطوف بالبيت فطف فقال ما كنت لأفعل حتى يطوف به رسول الله [ص] واحتبسته قريش عندها فبلغ رسول الله [ص] والمسلمين ان عثمان [رض] قد قتل

قال ابن اسحاق فحدثني عبدالله بن أبي بكر أن رسول الله [ص] قال حين بلغه أن عثمان قد قتل « لا نبرح حتى نناجز القوم » ودعا رسول الله [ص] الناس الى البيعة فكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة فكان الناس يقولون بايعهم رسول الله [ص] على الموت وكان جابر بن عبدالله رضي الله عنهما يقول : ان رسول الله [ص] لم يبايعهم على الموت ولكن بايعنا على أن لا نفر فبايع الناس ولم يتخلف أحد من المسلمين حضرها الا الجد بن قيس أخو بني سلمة فكان جابر رضي الله عنه يقول والله لكأني أنظر اليه لاصقا بابط ناقته قد صبا اليها يستتر بها من الناس ثم أتى رسول الله [ص] أن الذي كان من أمر عثمان رضي الله عنه باطل

وذكر ابن لهيعة عن أبي الاسود عن عروة ابن الزبير رضي الله عنهما قريبا من هذا السياق وزاد في سياقه ان قريشا بعثوا وعندهم عثمان [رض] سهيل بن عمرو وحويطب بن عبد العزى ومكرز بن حفص الى رسول الله ﷺ فبينما هم عندهم اذ وقع كلام بين بعض المسلمين وبعض المشركين وتراموا بالنبل والحجارة وصاح الفريقان كلاهما وارتهن كل من الفريقين من عنده من الرسل ونادى منادي رسول الله [ص] ألا ان روح القدس قد نزل على رسول الله [ص] وأمر بالبيعة فاخرجوا على اسم الله تعالى فبايعوا فسار المسلمون الى رسول الله [ص] وهو تحت الشجرة فبايعوه على أن لا يفروا أبدا فارعب ذلك المشركين وأرسلوا من كان عندهم من المسلمين ودعوا الى الموادعة والصلح

وقال الحافظ أبو بكر البيهقي أخبرنا علي بن أحمد بن عبدان أخبرنا أحمد بن عبيد الصفار حدثنا هشام حدثنا الحسن بن بشير حدثنا الحكم بن عبدالملك عن قتادة عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال لما أمر رسول الله ﷺ ببيعة الرضوان كان عثمان بن عفان رضي الله عنه رسول رسول الله ﷺ إلى أهل مكة فبايع الناس فقال رسول الله ﷺ « اللهم ان عثمان في حاجة الله تعالى وحاجة رسوله

أخبرنا عبد الواحد المليحي انا احمد بن عبد الله النعيمي انا محمد بن يوسف حدثنا محمد بن اسماعيل ثنا قتيبة بن سعيد ثنا حاتم بن اسماعيل عن يزيد بن ابي عبيد قال قلت اسامة بن الاكوع

فضرب باحدى يديه على الاخرى فكانت يد رسول الله ﷺ لعثمان رضي الله عنه خير من أيديهم لانفسهم »

قال ابن هشام حدثني من أثق به عمن حدثه باسناده عن ابن أبي مليكة عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : بايع رسول الله ﷺ لعثمان رضى الله عنه فضرب باحدى يديه على الاخرى. وقال عبد الملك بن هشام النحوي فذكر وكيع عن اسماعيل بن أبي خالد عن الشعبي قال : ان أول من بايع رسول الله ﷺ بيعة الرضوان ابو سنان الاسدي ، وقال أبو بكر عبد الله بن الزبير الحميدي حدثنا سفيان حدثنا ابن أبي خالد عن الشعبي قال لما دعا رسول الله ﷺ الناس الى البيعة كان أول من انتهى اليه أبو سنان الاسدي فقال ابسط يدك أبايعك فقال النبي ﷺ « علام تبايعني ؟ » فقال أبو سنان [رض] على ما في نفسك ، هذا أبو سنان بن وهب الاسدي [رض]

وقال البخارى حدثنا شجاع بن الوليد أنه سمع النضر بن محمد يقول حدثنا صخر بن الربيع عن نافع [رض] قال ان الناس يتحدثون أن ابن عمر [رض] أسلم قبل عمر وليس كذلك ولكن عمر [رض] يوم الحديبية أرسل عبدالله الى فرس له عند رجل من الانصار أن يأتي به ليقاتل عليه ورسول الله ﷺ يبايع عند الشجرة وعمر [رض] لا يدري بذلك فبايعه عبدالله [رض] ثم ذهب الى الفرس فجاء به الى عمر رضي الله عنه وعمر رضي الله عنه يستلئم للقتال فأخبره أن رسول الله ﷺ يبايع تحت الشجرة فانطلق فذهب معه حتى بايع رسول الله ﷺ وهي التي يتحدث الناس أن ابن عمر أسلم قبل عمر رضي الله عنهما

ثم قال البخاري وقال هشام بن عمار حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا عمرو بن محمد العمري أخبرني نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : إن الناس كانوا مع رسول الله ﷺ قد تفرقوا في ظلال الشجر فاذا الناس محدقون بالنبي ﷺ فقال يعني عمر رضي الله عنه يا عبد الله انظر ما شأن الناس قد أحدقوا برسول الله ﷺ فوجدهم يبايعون فبايع ثم رجع إلى عمر رضي الله عنه فخرج فبايع

وقد أسنده البيهقي عن أبي عمرو الاديب عن أبي بكر الاسماعيلي عن الحسن بن سفيان عن دحيم حدثني الوليد بن مسلم فذكره ، وقال الليث عن أبي الزبير عن جابر رضي الله عنه قال : كنا يوم الحديبية ألفا وأربعمائة فبايعناه وعمر رضي الله عنه آخذ بيده تحت الشجرة وهي سمرة وقال بايعناه على أن لا نفر ولم نبايعه على الموت . رواه مسلم عن قتيبة عنه

وروى مسلم عن يحيى بن يحيى عن يزيد بن زريع عن خالد عن الحكم بن عبد الله الاعرج عن معقل بن يسار رضي الله عنه قال : لقد رأيتني يوم الشجرة والنبي ﷺ يبايع الناس وأنا رافع غصنا

على أي شيء بايعتم رسول الله ﷺ يوم الحديبية قال على الموت

اخبرنا اسماعيل بن عبد القاهر أنا عبد الغافر بن محمد انا محمد بن عيسى الجلودي ثنا ابراهيم

من أغصانها عن رأسه ونحن أربع عشرة مائة قال ولم نبايعه على الموت ولكن بايعناه على أن لانفر

وقال البخاري حدثنا المكي بن ابراهيم عن يزيد بن أبي عبيد عن سلمة بن الاكوع رضي الله عنه قال : بايعت رسول الله ﷺ تحت الشجرة قال يزيد قلت ياأبا مسلمة على أي شيء كنتم تبايعون يومئذ ؟ قال على الموت .

وقال البخاري أيضاً حدثنا أبو عاصم حدثنا يزيد بن أبي عبيد عن سلمة رضي الله عنه قال : بايعت رسول الله ﷺ يوم الحديبية ثم تنحيت فقال ﷺ « ياسلمة ألا تبايع ؟ » قلت قد بايعت، قال ﷺ « أقبل فبايع » فدنوت فبايعته ، قلت علام بايعته ياسلمة ؟ قال على الموت . وأخرجه مسلم من وجه آخر عن يزيد بن أبي عبيد ، وكذا روى البخاري عن عباد بن تميم أنهم بايعوه على الموت.

وقال البيهقي أخبرنا أبو عبد الله الحافظ أخبرنا ابو الفضل بن ابراهيم حدثنا أحمد بن سلمة حدثنا اسحاق بن ابراهيم حدثنا ابو عامر العقدي حدثنا عبد الملك بن عمرو حدثنا عكرمة بن عمار اليمامي عن اياس بن سلمة عن ابيه سلمة بن الاكوع رضي الله عنه قال : قدمنا الحديبية مع رسول الله ﷺ ونحن أربع عشرة مائة وعليها خمسون شاة لاترويها فقعد رسول الله ﷺ على جباها يعني الركى فاما دعا وإما بصق فيها فجاشت فسقينا واستقينا ، قال ثم ان رسول الله ﷺ دعا إلى البيعة في أصل الشجرة فبايعته أول الناس ثم بايع وبايع حتى اذا كان في وسط الناس قال ﷺ « بايعني ياسلمة » قال قلت يارسول الله قد بايعتك في أول الناس قال« وأيضاً » قال ورآني رسول الله ﷺ عزلا فأعطاني جحفة أو درقة ثم بايع حتى اذا كان في آخر الناس قال ﷺ « ألا تبايع ياسلمة ؟ » قال قلت يارسول قد بايعتك في أول الناس وأوسطهم ، قال ﷺ « وأيضا » فبايعته الثالثة ، فقال ﷺ « ياسلمة أين جحفتك أو درقتك التي أعطيتك ؟ » قال قلت يارسول الله لقيني عامر عزلا فأعطيتها إياه فضحك رسول الله ﷺ ثم قال « انك كالذي قال الاول اللهم ابغني حبيبا هو أحب إلي من نفسي » قال ثم ان المشركين من أهل مكة راسلونا في الصلح حتى مشى بعضنا في بعض فاصطلحنا قال وكنت خادما لطلحة بن عبيدالله رضي الله عنه أسقي فرسه وأجنبه وآكل من طعامه وتركت أهلي ومالي مهاجراً إلى الله ورسوله ، فلما اصطلحنا نحن وأهل مكة واختلط بعضنا بعض أتيت شجرة فكسحت شوكها ثم اضطجعت في أصلها في ظلها فأتاني أربعة من مشركي أهل مكة فجعلوا يقعون في رسول الله ﷺ فأبغضتهم وتحولت إلى شجرة أخرى فعلقوا سلاحهم واضطجعوا فبينما هم كذلك إذ نادى مناد من أسفل الوادي ياللمهاجرين قتل ابن زنيم فاخترطت سيفي فشددت على أولئك الاربعة وهم رقود

ابن محمد بن سفيان عن مسلم بن الحجاج ثنا يحيى بن يحيى ثنا يزيد بن زريع عن خالد عن الحكم بن عبد الله بن الاعرج عن معقل بن يسار قال لقد رأيتني يوم الشجرة والنبي ﷺ يبايع الناس وأنا رافع غصنا من أغصانها عن رأسه ونحن اربع عشرة مائة قال لم نبايعه على الموت ولكن بايعناه على

فأخذت سلاحهم وجعلته ضغثا في يدي ثم قلت والذي كرم وجه محمد ﷺ لا يرفع أحد منكم رأسه إلا ضربت الذي فيه عيناه ، قال ثم جئت بهم أسوقهم إلى رسول الله ﷺ قال وجاء عمي عامر برجل من العبلات يقال له مكرز من المشركين يقوده حتى وقفنا بهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم في سبعين من المشركين فنظر اليهم رسول الله ﷺ وقال « دعوهم يكن لهم بدء الفجور وثناؤه » فعفا عنهم رسول الله ﷺ وأنزل الله عز وجل (وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم) الآية ، وهكذا رواه مسلم عن إسحاق بن راهويه بسنده نحوه أو قريبا منه

وثبت في الصحيحين من حديث أبي عوانة عن طارق عن سعيد بن المسيب قال : كان أبي ممن بايع رسول الله ﷺ تحت الشجرة قال فانطلقنا من قابل حاجين فخفي علينا مكانها فان كان بينت لكم فأنتم أعلم ، وقال أبو بكر الحميدي حدثنا سفيان حدثنا أبو الزبير حدثنا جابر رضي الله عنه قال لما دعا رسول الله ﷺ الناس إلى البيعة وجدنا رجلا منا يقال له الجد بن قيس مختبئا تحت إبط بعيره ، رواه مسلم من حديث ابن جريج عن ابن الزبير به

وقال الحميدي أيضاً حدثنا سفيان عن عمرو انه سمع جابراً رضي الله عنه قال كنا يوم الحديبية الفا وأربعمائة فقال لنا رسول الله ﷺ « أنتم خير أهل الارض اليوم » قال جابر رضي الله عنه : لو كنت أبصر لأريتكم موضع الشجرة ، قال سفيان أنهم اختلفوا في موضعها أخرجاه من حديث سفيان ، وقال الامام أحمد حدثنا يونس حدثنا الليث عن أبي الزبير عن جابر رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ انه قال « لا يدخل النار أحد ممن بايع تحت الشجرة »

وقال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن هارون الفلاس المخرمي حدثنا سعيد بن عمرو الاشعثي حدثنا محمد بن ثابت العبدي عن خداش بن عياش عن أبي الزبير عن جابر رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « يدخل من بايع تحت الشجرة كلهم الجنة إلا صاحب الجمل الاحمر » قال فانطلقنا نبتدره فاذا رجل قد أضل بعيره فقلنا تعال فبايع قال أصيب بعيري أحب إلي من أن أبايع

وقال عبد الله بن أحمد حدثنا عبيد الله بن معاذ حدثنا أبي حدثنا قرة عن أبي الزبير عن جابر رضي الله عنه عن النبي ﷺ انه قال « من يصعد الثنية ثنية المرار فانه يحط عنه ما حط عن بني إسرائيل » فكان أول من صعد خيل بني الخزرج ثم تبادر الناس بعد فقال النبي ﷺ « كلكم مغفور له إلا صاحب

أن لا نفر ، قال ابو عيسى معنى الحديثين صحيح بايعه جماعة على الموت أي لا نزال نقاتل بين يديك ما لم نقتل وبايعه آخرون وقالوا لا نفر ﴿ يد الله فوق أيديهم ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما يد الله بالوفاء لما وعدهم من الخير فوق أيديهم وقال السدي كانوا يأخذون بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم ويبايعونه ويد الله فوق أيديهم في المبايعة قال الكلبي نعمة الله عليهم في الهداية فوق ما صنعوا من

الجمل الاحمر » فقلنا تعال يستغفر لك رسول الله ﷺ فقال والله لأن أجد ضالتي أحب إلي من أن يستغفر لي صاحبكم فاذاهو رجل ينشد ضالة ، رواه مسلم عن عبيد الله به

وقال ابن جريج أخبرني أبو الزبير انه سمع جابراً رضي الله عنه يقول أخبرتني أم مبشر انها سمعت رسول الله ﷺ يقول عند حفصة رضي الله عنها « لا يدخل النار ان شاء الله تعالى من أصحاب الشجرة الذين بايعوا تحتها أحد » قالت بلى يارسول الله فانتهرها فقالت حفصة رضي الله عنها (وإن منكم إلا واردها) فقال النبي ﷺ « قد قال الله تعالى (ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا) » رواه مسلم ، وفيه ايضا عن قتيبة عن الليث عن أبي الزبير عن جابر رضي الله عنه قال : ان عبد الحاطب بن أبي بلتعة جاء يشكو حاطبا فقال يا رسول الله ليدخلن حاطب النار فقال رسول الله (ص) « كذبت لا يدخلها فانه قد شهد بدراً والحديبية » ولهذا قال تعالى في الثناء عليهم (ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله ، يد الله فوق أيديهم فمن نكث فانما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه اجرا عظيما) كما قال عز وجل في الآية الاخرى [لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم مافي قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحا قريبا]

سيقول لك المخلفون من الاعراب شغلتنا أموالنا وأهلونا فاستغفر لنا ، يقولون بألسنتهم ماليس في قلوبهم ، قل فمن يملك لكم من الله شيئا ان أراد بكم ضرًّا أو أراد بكم نفعا ؟ بل كان الله بما تعملون خبيراً (١١) بل ظننتم أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون إلى أهليهم أبداً وزُيِّن ذلك في قلوبكم وظننتم ظن السوء وكنتم قوما بُورا (١٢) ومن لم يؤمن بالله ورسوله فإنا أعتدنا للكفرين سعيرا (١٣) ولله ملك السموٰت والارض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء وكان الله غفورا رحيما (١٤)

يقول تعالى مخبرا رسوله [ص] بما يعتذر به المخلفون من الاعراب الذين اختاروا المقام في أهليهم وشغلهم وتركوا المسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعتذروا بشغلهم بذلك وسألوا أن يستغفر

البيعة ﴿فمن نكث﴾ نقض البيعة ﴿ فانما ينكث على نفسه) عليه وباله ﴿ ومن أوفى بما عاهد عليه الله﴾ ثبت على البيعة ﴿ فسيؤتيه ﴾ قرأ أهل العراق فسيؤتيه بالياء، وقرأ الآخرون بالنون ﴿ أجراً عظيما ﴾ وهو الجنة ﴿ سيقول لك المخلفون من الاعراب ﴾ قال ابن عباس ومجاهد يعني أعراب بني غفار ومزينة وجهينة وأشجع وأسلم وذلك ان رسول الله ﷺ حين أراد المسير الى مكة عام الحديبية

لهم الرسول صلى الله عليه وسلم ، وذلك قول منهم لا على سبيل الاعتقاد بل على وجه التقية والمصانعة ولهذا قال تعالى [يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم قل فمن يملك لكم من الله شيئا ان أراد بكم ضرا أو أراد بكم نفعا ؟] أي لا يقدر أحد أن يرد ما أراده الله فيكم تعالى وتقدس وهو العليم بسرائركم وضمائركم وان صانعتمونا ونافقتمونا ولهذا قال تعالى [بل كان الله بما تعملون خبيرا]

ثم قال تعالى [بل ظننتم أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون الى أهليهم أبدا] أي لم يكن تخلفكم تخلف معذور ولا عاص بل تخلف نفاق [بل ظننتم أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون إلى أهليهم أبدا] أي اعتقدتم انهم يقتلون وتستأصل شأفتهم وتستباد خضراؤهم ولا يرجع منهم مخبر (وظننتم ظن السوء وكنتم قوما بوراً) أي هلكى قاله ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وغير واحد ، وقال قتادة فاسدين ، وقيل هي لغة عمان

ثم قال تعالى (ومن لم يؤمن بالله ورسوله) أي من لم يخلص العمل في الظاهر والباطن لله فان الله تعالى سيعذبه في السعير وان أظهر للناس ما يعتقدون خلاف ما هو عليه في نفس الامر . ثم بين تعالى أنه الحاكم المالك المتصرف في أهل السموات والارض (يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء وكان الله غفورا رحيما) أي لمن تاب اليه وأناب وخضع لديه

معتمرا استنفر من حول المدينة من الاعراب وأهل البوادي ليخرجوا معه حذرا من قريش أن يعرضوا له بحرب أو يصدوه عن البيت فأحرم بالعمرة وساق معه الهدي ليعلم الناس انه لا يريد حربا فتثاقل عنه كثير من الاعراب وتخلفوا واعتلوا بالشغل فأنزل الله تعالى فيهم ﴿ سيقول لك المخلفون من الاعراب ﴾ يعني الذين خلفهم الله عز وجل عن صحبتك فاذا انصرفت من سفرك اليهم فعاتبهم على التخلف عنك ﴿ شغلتنا أموالنا وأهلونا ﴾ يعني النساء والذراري أي لم يكن لنا من يخلفنا فيهم ﴿ فاستغفر لنا ﴾ تخلفنا عنك فكذبهم الله عز وجل في اعتذارهم فقال ﴿ يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم ﴾ من أمر الاستغفار فانهم لا يبالون استغفر لهم النبي ﷺ أو لا ﴿ قل فمن يملك لكم من الله شيئا إن أراد بكم ضرا ﴾ سوءا ﴿ أو أراد بكم نفعا ؟ ﴾ قرأ حمزة والكسائي ضرا بضم الضاد وقرأ الآخرون بفتحها لانه قابله بالنفع والنفع ضد الضر ، وذلك انهم ظنوا ان تخلفهم عن النبي ﷺ يدفع عنهم الضر ويعجل لهم النفع بالسلامة في انفسهم وأموالهم فاخبرهم الله تعالى انه إن أراد بهم شيئا من ذلك لم يقدر احد على دفعه ﴿ بل كان الله بما تعملون خبيرا * بل ظننتم أن لم ينقلب الرسول والمؤمنون إلى اهليهم أبدا ﴾ أي ظننتم ان العدو يستأصلهم فلا يرجعون ﴿ وزين ذلك في قلوبكم ﴾ زين الشيطان ذلك الظن في قلوبكم ﴿ وظننتم ظن السوء ﴾ وذلك انهم قالوا ان محمدا وأصحابه أكلة رأس فلا يرجعون فأين تذهبون معه ؟ انتظروا ما يكون من أمرهم ﴿ وكنتم قوما بورا ﴾ هلكى لا تصلحون لخير ﴿ ومن لم يؤمن بالله ورسوله فانا أعتدنا للكافرين سعيرا * ولله ملك السموات

سيقول المخلفون إذا انطلقتم إلى مغانم لتأخذوها ذرونا نتبعكم يريدون أن يبدّلوا

كلٰم الله قل لن تتبعونا كذٰلكم قال الله من قبل فسيقولون بل تحسُدوننا بل كانوا

لا يفقهون الا قليلا (١٥)

يقول تعالى مخبرا عن الاعراب الذين تخلفوا عن رسول الله ﷺ في عمرة الحديبية اذ ذهب النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم الى خيبر يفتحونها انهم يسألون أن يخرجوا معهم الى المغنم وقد تخلفوا عن وقت محاربة الاعداء ومجالدتهم ومصابرتهم فأمر الله تعالى رسول الله [ص] أن لا يأذن لهم في ذلك معاقبة لهم من جنس ذنبهم فان الله تعالى قد وعد أهل الحديبية بمغانم خيبر وحدهم لا يشاركهم فيها غيرهم من الاعراب المتخلفين فلا يقع غير ذلك شرعا ولا قدرا ولهذا قال تعالى (يريدون أن يبدلوا كلام الله) قال مجاهد وقتادة وجويبر وهو الوعد الذي وعد به أهل الحديبية واختاره ابن جرير ، وقال ابن زيد هو قوله تعالى (فان رجعك الله الى طائفة منهم فاستأذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معي أبدا ولن تقاتلوا معي عدوا إنكم رضيتم بالقعود أول مرة فاقعدوا مع الخالفين) وهذا الذي قاله ابن زيد فيه نظر لان هذه الآية التي في براءة نزلت في غزوة تبوك وهي متأخرة عن عمرة الحديبية وقال ابن جريج [يريدون أن يبدلوا كلام الله] يعني بتثبيطهم المسلمين عن الجهاد [قل لن تتبعونا كذلكم قال الله من قبل] أي وعد الله أهل الحديبية قبل سؤالكم الخروج معهم [فسيقولون بل

والارض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء وكان الله غفورا رحيما * سيقول المخلفون ﴾ يعني هؤلاء الذين تخلفوا عن الحديبية ﴿ اذا انطلقتم ﴾ سرتم وذهبتم أيها المؤمنون ﴿ إلى مغانم لتأخذوها ﴾ يعني غنائم خيبر ﴿ ذرونا نتبعكم ﴾ الى خيبر نشهد معكم قتال أهلها وذلك انهم لما انصرفوا من الحديبيه وعدهم الله فتح خيبر وجعل غنائمها لمن شهد الحديبية خاصة عوضاً عن غنائم أهل مكة اذا انصرفوا عنهم على صلح ولم يصيبوا منهم شيئا

قال الله تعالى ﴿ يريدون أن يبدلوا كلام الله ﴾ قرأ حمزة والكسائي كلم الله بغير الف جمع كلمة وقرأ الآخرون كلام الله قيل يريدون أن يغيروا مواعيد الله تعالى لاهل الحديبية بغنيمة خيبر خاصة وقال مقاتل يعنى أمر الله نبيه ﷺ أن لا يسير معه منهم أحد قال ابن زيد هو قول الله عز وجل (فاستأذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معي أبدا)والاول أصوب وعليه عامة أهل التأويل ﴿قل لن تتبعونا ﴾ الى خيبر ﴿ كذلكم قال الله من قبل ﴾ أي من قبل مرجعنا اليكم ان غنيمة خيبر لمن شهد الحديبية ليس لغيرهم فيها نصيب ﴿ فسيقولون بل تحسدوننا ﴾ أي يمنعكم الحسد من أن نصيب معكم الغنائم

تحسدوننا] أي ان نشرككم في المغانم [بل كانوا لايفقهون إلا قليلا] أي ليس الامر كما زعموا ولكن لافهم لهم

قل للمخلفين من الاعراب ستُدعَوْن إلى قوم أولي بأس شديد تقاتلونهم أو يُسلمون فان تطيعوا يؤتكم الله أجراً حسنا وان تتولوا كما توليتم من قبل يعذبكم عذابا أليما (١٦) ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج ومن يطع الله ورسوله يدخله جنٰت تجري من تحتها الانهٰر ومن يتول يعذبه عذابا أليما (١٧)

اختلف المفسرون في هؤلاء القوم الذين يدعون اليهم الذين هم أولو بأس شديد على أقوال (أحدها) أنهم هوازن رواه شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير أو عكرمة أو جميعا ورواه هشيم عن أبي بشر عنهما وبه يقول قتادة في رواية عنه

[الثاني] ثقيف قاله الضحاك [الثالث] بنوحنيفة قاله جويبر ورواه محمد بن إسحاق عن الزهري وروي مثله عن سعيد وعكرمة (الرابع) هم أهل فارس رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما وبه يقول عطاء ومجاهد وعكرمة في احدى الروايات عنه ، وقال كعب الاحبار هم الروم وعن ابن أبي ليلى وعطاء والحسن وقتادة هم فارس والروم ، وعن مجاهد هم أهل الاوثان وعنه أيضا هم رجال أولو بأس شديد ولم يعين فرقة وبه يقول ابن جريج وهو اختيار ابن جرير

وقال ابن أبي حاتم حدثنا الاشج حدثنا عبدالرحمن بن اسحاق القواريري عن معمر عن الزهري في قوله تعالى [ستدعون الى قوم أولي بأس شديد] قال لم يأت أولئك بعد وحدثنا أبي حدثنا ابن أبي عمر حدثنا سفيان عن ابن أبي خالد عن أبيه عن ابى هريرة [رض] في قوله تعالى [ستدعون الى قوم أولي بأس شديد] قال هم البارزون

قال وحدثنا سفيان عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي [ص] قال « لاتقوم الساعة حتى تقاتلوا قوما صغار الاعين ذلف الانوف كأن وجوههم المجان المطرقة »

﴿ بل كانوا لا يفقهون ﴾ لا يعلمون عن الله مالهم وعليهم من الدين ﴿ الا قليلا ﴾ منهم وهو من صدق الله والرسول ﴿ قل للمخلفين من الاعراب ستدعون الى قوم أولي بأس شديد ﴾ قال ابن عباس ومجاهد وعطاء هم أهل فارس وقال كعب هم الروم وقال الحسن فارس والروم وقال سعيد بن جبير هوازن وثقيف وقال قتادة هوازن وغطفان يوم حنين وقال الزهري ومقاتل وجماعة هم بنو حنيفة أهل اليمامة أصحاب مسيلمة الكذاب قال رافع بن خديج كنا نقرأ هذه الآية ولا نعلم من هم حتى

قال سفيان هم الترك قال ابن أبي عمرو وجدت في مكان آخر حدثنا ابن أبي خالد عن أبيه قال نزل علينا أبو هريرة [رض] ففسر قول رسول الله ﷺ « تقاتلون قوما نعالهم الشعر » قال هم البارزون يعنى الاكراد

وقوله تعالى (تقاتلونهم أو يسلمون) يعني شرع لكم جهادهم وقتالهم فلا يزال ذلك مستمراً عليهم ولكم النصرة عليهم أو يسلمون فيدخلون في دينكم بلا قتال بل باختيار . ثم قال عز وجل (فان تطيعوا) أي تستجيبوا وتنفروا في الجهاد وتؤدوا الذي عليكم فيه (يؤتكم الله أجراً حسنا وان تتولوا كما توليتم من قبل) يعني زمن الحديبية حيث دعيتم فتخلفتم (يعذبكم عذابا أليما)

ثم ذكر تعالى الاعذار في ترك الجهاد فمنها لازم كالعمى والعرج المستمر وعارض كالمرض الذي يطرأ أياما ثم يزول فهو في حال مرضه ملحق بذوي الاعذار اللازمة حتى يبرأ

ثم قال تبارك وتعالى مرغبا في الجهاد وطاعة الله ورسوله (ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الانهار ومن يتول) أي ينكل عن الجهاد ويقبل على المعاش (يعذبه عذابا أليما) في الدنيا بالمذلة وفي الآخرة بالنار والله تعالى أعلم .

لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم مافي قلوبهم فأنزل السكينة

عليهم وأثابهم فتحا قريبا (١٨) ومغانم كثيرة يأخذونها وكان الله عزيزاً حكيما (١٩)

يخبر تعالى عن رضاه عن المؤمنين الذين بايعوا رسول الله ﷺ تحت الشجرة وقد تقدم ذكر عدتهم وأنهم كانوا ألفا وأربعمائة وأن الشجرة كانت سمرة بأرض الحديبية

قال البخاري حدثنا محمود حدثنا عبيدالله عن اسرائيل عن طارق بن عبد الرحمن رضي الله عنه

دعا أبو بكر الى قتال بني حنيفة فعلمنا انهم هم وقال ابن جريج دعاهم عمر رضي الله عنه إلى قتال فارس وقال أبو هريرة لم يأت تأويل هذه الآية بعد ﴿ تقاتلونهم أو يسلمون فان تطيعوا يؤتكم الله أجرا حسنا ﴾ يعنى الجنة ﴿ وان تتولوا ﴾ تعرضوا ﴿ كما توليتم من قبل ﴾ عام الحديبية ﴿ يعذبكم عذابا أليما ﴾ وهو النار فلما نزلت هذه الاية قال أهل الزمانة كيف بنايا رسول الله فانزل ؟ الله تعالي ﴿ ليس على الاعمى حرج ﴾ يعني في التخلف عن الجهاد ﴿ ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج * ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الانهار ومن يتول يعذبه عذابا أليما ﴾

قرا اهل المدينة والشام ندخله ونعذبه بالنون فيهما وقرأ الآخرون بالياء لقوله (ومن يطع الله ورسوله) ﴿ لقد رضي عن المؤمنين إذ يبايعونك ﴾ بالحديبية على ان يناجزوا قريشا ولا يفروا ﴿ تحت الشجرة ﴾ وكانت سمرة قال سعيد بن المسيب حدثني ابي انه كان فيمن بايع رسول الله ﷺ تحت الشجرة قال فلما خرجنا من العام المقبل نسيناها فلم نقدر عليها وروي ان عمر بن الخطاب رضي الله

قال انطلقت حاجا فمررت بقوم يصلون فقلت ماهذا المسجد ؟ قالوا هذه الشجرة حيث بايع رسول الله ﷺ بيعة الرضوان فأتيت سعيد بن المسيب فأخبرته فقال سعيد حدثني أبي أنه كان فيمن بايع رسول الله ﷺ تحت الشجرة قال فلما خرجنا من العام المقبل نسيناها فلم نقدر عليها فقال سعيد إن أصحاب محمد ﷺ لم يعلموها وعلمتموها أنتم فأنتم أعلم

وقوله تعالى (فعلم مافي قلوبهم) أي من الصدق والوفاء والسمع والطاعة (فأنزل السكينة) وهي الطمأنينة (عليهم وأثابهم فتحا قريبا) وهو ماأجرى الله عز وجل على أيديهم من الصلح بينهم وبين أعدائهم وما حصل بذلك من الخير العام المستمر المتصل بفتح خيبر وفتح مكة ثم فتح سائر البلاد والاقاليم عليهم وما حصل لهم من العز والنصر والرفعة في الدنيا والآخرة ولهذا قال تعالى (ومغانم كثيرة يأخذونها وكان الله عزيزاً حكيما)

عنه مر بذلك المكان بعد ان ذهبت الشجرة فقال اين كانت ؟ فجعل بعضهم يقول ههنا و بعضهم ههنا فلما كثر اختلافهم قال سيروا قد ذهبت الشجرة

أخبرنا عبد الواحد بن احمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي انا محمد بن يوسف ثنا محمد ابن اسمعيل ثنا علي بن عبد الله ثنا سفيان قال عمرو سمعت جابر بن عبد الله قال قال لنا رسول الله ﷺ يوم الحديبية «أنتم خير أهل الارض» وكنا ألفا وأربع مائة ولو كنت أبصر اليوم لأريتكم مكان الشجرة

أخبرنا اسمعيل بن عبدالقاهر أنا عبد الغافر بن محمد أنا محمد بن عيسى الجلودي ثنا ابراهيم بن محمد بن سفيان عن مسلم بن الحجاج ثنا محمد بن حاتم ثنا حجاج عن ابن جريج أخبرني أبو الزبير أنه سمع جابرا يسئل كم كانوا يوم الحديبية قال كنا أربع عشرة مائة فبايعناه وعمر آخذ بيده تحت الشجرة وهي سمرة فبايعناه غير جد بن قيس الانصاري اختبأ تحت بطن بعيره

وروى سالم عن جابر قال كنا خمس عشرة مائة وقال عبد الله بن أبي أوفى كان أصحاب الشجرة الفا وثلاثمائة وكانت اسلم ثمن المهاجرين . وكان سبب هذه البيعة على ما ذكره محمد بن اسحاق عن أهل العلم ان رسول الله ﷺ دعا خراش بن أبي أمية الخزاعي حين نزل الحديبية فبعثه الى قريش بمكة وحمله على جمل له يقال له الثعلب ليبلغ أشرافهم عنه ماجاء له فعقروا به جمل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأرادوا قتله فمنعته الاحابيش فخلوا سبيله حتى أتى رسول الله صلى الله وسلم فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب ليبعثه الى مكة فقال يارسول الله إني أخاف قريشا على نفسي وليس بمكة من بنى عدي بن كعب أحد يمنعني وقد عرفت قريش عداوتي اياها وغلظتي عليها ولكن أدلك على رجل هو أعز بها مني عثمان بن عفان فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عثمان فبعثه إلى أبي سفيان وأشراف قريش يخبرهم انه لم يأت لحرب وانما جاء زائرا لهذا البيت معظما لحرمته فخرج عثمان الى مكة فلقيه أبان بن سعيد بن العاص حين دخل مكة أو قبل أن يدخلها فنزل عن دابته وحمله

قال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن محمد بن يحيى بن سعيد القطان حدثنا عبيدالله بن موسى يعني ابن عبيدة حدثني إياس بن سلمة عن أبيه قال: بينما نحن قائلون إذ نادى منادي رسول الله ﷺ أيها الناس البيعة البيعة نزل روح القدس قال فثرنا إلى رسول الله ﷺ وهو تحت شجرة سمرة فبايعناه فذلك قول الله تعالى (لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة) قال فبايع رسول الله صلى الله عليه وسلم لعثمان رضى الله عنه باحدى يديه على الاخرى فقال الناس هنيئا لابن عفان يطوف بالبيت ونحن ههنا فقال رسول الله ﷺ «لو مكث كذا وكذا سنة ماطاف حتى أطوف»

وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها فعجل لكم هذه وكف أيدي الناس عنكم ولتكون آية للمؤمنين ويهديكم صراطا مستقيما (٢٠) وأخرى لم تقدروا عليها قد أحاط الله بها وكان الله على كل شيء قديراً (٢١) ولو قـٰتلكم الذين كفروا لولّوا الادبٰر ثم لايجدون وليا

بين يديه ثم أردفه وأجاره حتى بلغ رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال أبو سفيان وعظماء قريش لعثمان حين فرغ من رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم ان شئت أن تطوف بالبيت فطف به، قال ما كنت لافعل حتى يطوف به رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحتبسته قريش عندها فبلغ رسول الله (ص) والمسلمين أن عثمان قد قتل فقال رسول الله (ص) «لا نبرح حتى نناجز القوم» ودعا الناس الى البيعة فكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة وكان الناس يقولون بايعهم رسول الله (ص) على الموت قال بكر بن الاشج بايعوه على الموت فقال رسول الله (ص) «بل على ما استطعتم» وقال جابر بن عبد الله ومعقل بن يسار لم نبايعه على الموت ولكن بايعناه على أن لا نفر فكان أول من بايع بيعة الرضوان رجلا من بني أسد يقال له ابو سنان بن وهب ولم يتخلف عنه أحد من المسلمين حضرها الاجد بن قيس أخو بنى سلمة قال جابر لكأني أنظر اليه لاصقا بابط ناقته مستترا بها من الناس ثم أتى رسول الله وسلم ان الذي ذكر من أمر عثمان باطل

أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا ابو اسحاق الثعلبي أخبرني الحسين بن محمد بن فنجويه ثنا علي ابن احمد بن نضرويه ثنا ابو عمران موسي بن سهل بن عبد الحميد الجوني ثنا محمد بن رمح ثنا الليث ابن سعد عن أبي الزبير عن جابر عن رسول الله (ص) انه قال «لا يدخل النار أحد ممن بايع تحت الشجر

قوله عز وجل ﴿فعلم ما في قلوبهم﴾ من الصدق والوفاء ﴿فأنزل السكينة﴾ الطمأنينة والرضا ﴿عليهم وأثابهم فتحا قريبا﴾ يعنى فتح خيبر ﴿ومغانم كثيرة يأخذونها﴾ من أموال يهود خيبر وكانت خيبر ذات عقار واموال فاقتسمها رسول الله (ص) بينهم ﴿وكان الله عزيزا حكيما * وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها﴾ وهي الفتوح التي تفتح لهم الى يوم القيامة ﴿فعجل لكم هذه﴾ يعنى خيبر

ولا نصيراً (٢٢) سُنَّةَ الله التي قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا (٢٣) وهو الذى كف أيديَهم عنكم وأيديَكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم وكان الله بما تعملون بصيراً (٢٤)

قال مجاهد في قوله تعالى (وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها ، هي جميع المغانم إلى اليوم (فعجل لكم هذه) يعني فتح خيبر ، وروى العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما (فعجل لكم هذه) يعنى صلح الحديبية (وكف أيدي الناس عنكم) أي لم ينلكم سوء مما كان أعداؤكم أضمروه لكم من المحاربة والقتال ، وكذلك كف أيدي الناس عنكم الذين خلفتموهم وراء ظهوركم عن عيالكم وحريمكم (ولتكون آية للمؤمنين) أي يعتبرون بذلك فان الله تعالى حافظهم وناصرهم على سائر الاعداء مع قلة عددهم وليعلموا بصنيع الله هذا بهم أنه العالم بعواقب الامور وأن الخيرة فيما يختاره لعباده المؤمنين وأن كرهوه في الظاهر كما قال عز وجل [وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم - ويهديكم صراطا مستقيما) أي بسبب انقيادكم لأمره واتباعكم طاعته وموافقتكم رسوله ﷺ

وقوله تبارك وتعالى (وأخرى لم تقدروا عليها قد أحاط الله بها وكان الله على كل شيء قديراً)

﴿ وكف أيدي الناس عنكم ﴾ وذلك ان النبي (ص) لما قصد خيبر وحاصر أهلها همت قبائل من بنى أسد وغطفان ان يغيروا على عيال المسلمين وذراريهم بالمدينة فكف الله أيديهم بالقاء الرعب في قلوبهم وقيل كف أيدي الناس عنكم يعني أهل مكة بالصلح ﴿ ولتكون ﴾ كفهم وسلامتكم ﴿ آية للمؤمنين ﴾ على صدقك ويعلموا ان الله هو المتولي حياطتهم وحراستهم في مشهدهم ومغيبهم ﴿ ويهديكم صراطا مستقيما ﴾ يثبتكم على الاسلام ويزيدكم بصيرة ويقينا بصلح الحديبية وفتح خيبر وذلك ان رسول الله (ص) لما رجع من الحديبية أقام بالمدينة بقية ذي الحجة وبعض المحرم ثم خرج في بقية المحرم سنة سبع الى خيبر .

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا احمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل ثنا قتيبة بن سعيد ثنا اسماعيل بن جعفر عن حميد عن أنس بن مالك أن النبي (ص) كان اذا غزا بنا قوما لم يكن يغزو بنا حتى يصبح وينظر اليهم فان سمع أذانا كف عنهم وان لم يسمع أذانا أغار عليهم قال فخرجنا الى خيبر فانتهينا اليهم ليلا فلما أصبح ولم يسمع أذانا ركب وركبت خلف أبي طلحة وان قدمي لتمس قدم النبي (ص) قال فخرجوا الينا بمكاتلهم ومساحيهم فلما رأوا النبي (ص) قالوا محمد والله محمد والخميس فلجأوا الى الحصن فلما رآهم رسول الله (ص) قال الله أكبر الله أكبر خربت خيبر إنا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين

أخبرنا اسماعيل بن عبد القاهر أنا عبد الغافر بن محمد انا محمد بن عيسى الجلودي ثنا ابراهيم ابن محمد بن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج ثنا عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي أنا ابو علي الحنفي ثنا عبيد الله

أي وغنيمة أخرى وفتحا آخر معينا لم تكونوا تقدرون عليها قد يسرها الله عليكم وأحاط بها لكم فانه تعالى يرزق عباده المتقين له من حيث لا يحتسبون ، وقد اختلف المفسرون في هذه الغنيمة فاما المراد بها فقال العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما هي خيبر وهذا على قوله في قوله عز وجل (فعجل لكم هذه) انها صلح الحديبية ، وقاله الضحاك وابن اسحاق وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، وقال قتادة هي مكة واختاره ابن جرير ، وقال ابن أبي ليلى والحسن البصري هي فارس والروم ، وقال مجاهد هي كل فتح وغنيمة إلى يوم القيامة

وقال أبو داود الطيالسي حدثنا شعبة عن سماك الحنفي عن ابن عباس رضي الله عنهما (وأخرى لم تقدروا عليها قد أحاط الله بها) قال هذه الفتوح التي تفتح الى اليوم

وقوله تعالى (ولو قاتلكم الذين كفروا لولوا الادبار ثم لا يجدون وليا ولا نصيرا) يقول عزوجل مبشراً لعباده المؤمنين بأنه لو ناجزهم المشركون لنصر الله رسوله وعباده المؤمنين عليهم ولانهزم جيش الكفر فاراً مدبراً لا يجد وليا ولا نصيراً لأنهم محاربون لله ولرسوله ولحزبه المؤمنين

ابن عبد المجيد ثنا عكرمة بن عمار ثنا اياس بن سلمة حدثني أبي قال خرجنا الى خيبر مع رسول الله (ص) قال فجعل عمي يرتجز بالقوم شعرا

تالله لولا الله ما اهتدينا ... ولا تصدقنا ولا صلينا

ونحن عن فضلك ما استغنينا ... فثبت الاقدام إن لاقينا

وأنزلن سكينة علينا ... ان الألى قد بغوا علينا

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا ؟ قال أنا عامر قال غفر لك ربك قال وما استغفر رسول الله (ص) لانسان يخصه الا استشهد قال فنادى عمر بن الخطاب وهو على جمل له يانبي الله لولا متعتنا بعامر قال فلما قدمنا خيبر خرج ملكهم مرحب يخطر بسيفه يقول شعرا

قد علمت خيبر أني مرحب ... شاكي السلاح بطل مجرب ... اذا الحروب أقبلت تلتهب

قال وبرز له عمي عامر فقال

قد علمت خيبر اني عامر ... شاكي السلاح بطل مغامر

قال فاختلفا ضربتين فوقع سيف مرحب في ترس عامر وذهب عامر يسفل له فرجع سيفه على نفسه فقطع اكحله وكانت فيها نفسه قال سلمة فخرجت فاذا نفر من أصحاب النبي [ص] يقولون بطل عمل عامر قتل نفسه فأتيت النبي [ص] وأنا أبكي فقلت يارسول الله بطل عمل عامر قتل نفسه قال رسول الله ﷺ « من قال ذلك ؟ » قال قلت ناس من أصحابك ، قال « كذب من قال ذلك، بل له أجره مرتين » ثم أرسلني الى علي رضي الله عنه وهو أرمد فقال « لأعطين الراية غداً رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله » قال فأتيت عليا رضي الله عنه فجئت به أقوده وهو أرمد حتى أتيت به

ثم قال تبارك وتعالى (سنة الله التي قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا) اي هذه سنة الله وعادته في خلقه : ماتقابل الكفر والايمان في موطن فيصل إلا نصر الله الايمان على الكفر فرفع الحق ووضع الباطل ، كما فعل تعالى يوم بدر بأوليائه المؤمنين نصرهم على أعدائه من المشركين مع قلة عدد المسلمين وعددهم وكثرة المشركين وعددهم

وقوله سبحانه وتعالى (وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم وكان الله بما تعملون بصيراً) هذا امتنان من الله تعالى على عباده المؤمنين حين كف أيدي المشركين عنهم فلم يصل اليهم منهم سوء وكف أيدي المؤمنين عن المشركين فلم يقاتلوهم عند المسجد الحرام بل صان كلا من الفريقين وأوجد بينهم صلحا فيه خيرة المؤمنين وعافية لهم في الدنيا والآخرة ، وقد تقدم في حديث سلمة بن الاكوع رضي الله عنه حين جاءوا باولئك السبعين الاساري فأوثقوهم بين يدي رسول الله ﷺ فنظر اليهم فقال «أرسلوهم يكن لهم بدء الفجور وثناؤه» قال وفي ذلك أنزل الله عز وجل [وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم] الآية

رسول الله ﷺ فبصق في عينه فبرأ وأعطاه الراية وخرج مرحب به

قد علمت خيبر اني مرحب شاكي السلاح بطل مجرب اذا الحروب أقبلت تلهب

فقال علي رضي الله عنه

أنا الذي سمتني أمي حيدره كليث غابات كريه المنظره أوفيهم بالصاع كيل السندره

قال فضرب رأس مرحب فقتله ، ثم كان الفتح على يديه ، وروى حديث خيبر جماعة سهل بن سعد وأنس وأبو هريرة يزيدون وينقصون ، وفيه ان رسول الله ﷺ كان قد اخذته الشقيقة فلم يخرج إلى الناس فأخذ أبو بكر رضي الله راية رسول الله ﷺ ثم نهض فقاتل قتالا شديداً ثم رجع فأخذها عمر رضي الله عنه فقاتل قتالا شديدا هو أشد من القتال الاول ثم رجع فأخبر رسول الله ﷺ بذلك فقال «لأعطين الراية غداً رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله يفتح الله على يديه» فدعا علي ابن أبي طالب فأعطاه إياها وقال له « امش ولا تلفت حتى يفتح الله عليك» فأتى مدينة خيبر ، فخرج مرحب صاحب الحصن وعليه مغفر وحجر قد ثقبه مثل البيضة على رأسه وهو يرتجز ، فبرز اليه علي فضربه فقد الحجر والبيضة والمغفر وفلق رأسه حتى أخذ السيف في الاضراس ، ثم خرج بعد مرحب أخوه ياسر وهو يرتجز فخرج اليه الزبير بن العوام فقالت أمه صفية بنت عبد المطلب أيقتل ابني يارسول الله قال « لا » بل ابنك يقتله ان شاء الله ثم التقيا فقتله الزبير ، ثم لم يزل رسول الله ﷺ يفتح الحصون ويقتل المقاتلة ويسبي الذرية ويحوز الاموال : قال محمد بن اسحاق وكان أول حصونهم افتتح حصن ناعم وعنده قتل محمود بن مسلمة ألقت عليه اليهود حجرا فقتله : ثم فتح القموص حصن ابن أبي الحقيق فأصاب منه سبايا منهم صفية بنت حيي بن أخطب جاء بلال بها وبأخرى معها فمر

وقال الامام أحمد حدثنا يزيد بن هارون حدثنا حماد عن ثابت عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال لما كان يوم الحديبية هبط على رسول الله ﷺ وأصحابه ثمانون رجلا من أهل مكة بالسلاح من قبل جبل التنعيم يريدون غرة رسول الله ﷺ فدعا عليهم فأخذوا قال عفان فعفا عنهم ونزلت هذه الآية [وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم] ورواه مسلم وأبو داود في سننه والترمذي والنسائي في التفسير من سننيهما من طرق عن حماد بن سلمة به وقال احمد أيضا حدثنا زيد بن الحباب حدثنا الحسين بن واقد حدثنا ثابت البناني عن عبدالله ابن مغفل المزني [رض] قال كنا مع رسول الله ﷺ في أصل الشجرة التي قال الله تعالى في القرآن وكان يقع من أغصان تلك الشجرة على ظهر رسول الله ﷺ وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه وسهيل ابن عمر بين يديه فقال رسول الله ﷺ لعلي رضي الله عنه « اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فأخذ

بهما على قتلى من قتلى يهود فلما رأتهم التي مع صفية صاحت وصكت وجهها وحثت التراب على رأسها فلما رآها رسول الله ﷺ قال « أعزبوا عني هذه الشيطانة وأمر بصفية فحيزت خلفه وألقى عليها رداءه فعرف المسلمون ان رسول الله ﷺ اصطفاها لنفسه ، وقال رسول الله ﷺ لبلال لما رأى من تلك اليهودية ما رأى « أنزعت منك الرحمة يا بلال حيث تمر بامرأتين على قتلى رجالهما ؟ » وكانت صفية قد رأت في المنام وهي عروس بكنانة بن الربيع بن أبي الحقيق ان القمر وقع في حجرها فعرضت رؤياها على زوجها فقال ما هذا الا انك تتمنين ملك الحجاز محمداً ، فلطم وجهها لطمة اخضرت عينها منها فأتي رسول الله ﷺ بها وبها أثر منها فسألها ما هو فأخبرته هـذا الخبر ، وأتي رسول الله ﷺ بزوجها كنانة بن الربيع وكان عنده كنز بني النضير فسأله فجحده أن يكون يعلم مكانه فأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم برجل من اليهود فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اني قد رأيت كنانة يطوف بهذه الخربة كل غداة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكنانة « أرأيت ان وجدناه عندك أنقتلك » قال نعم : فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخربة فحفرت فأخرج منها بعض كنزهم ثم سأله ما بقي فأبى ان يؤديه فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الزبير بن العوام فقال « عذبه حتى تستأصل ما عنده » فكان الزبير يقدح بزند في صدره حتى أشرف على نفسه ثم دفعه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى محمد بن مسلمة فضرب عنقه بأخيه محمود بن مسلمة

أخبرنا عبد الواحد المليحي انا احمد بن عبد الله النعيمي انا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل ثنا يعقوب بن ابراهيم ثنا بن علية ثنا عبد العزيز بن صهيب عن أنس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم غزا خيبر فصلينا عندها صلاة الغداة بغلس فركب رسول الله صلى الله عليه وسلم وركب أبو طلحة وأنا رديف أبي طلحة فأجرى نبي الله صلى الله عليه وسلم في زقاق خيبر وان ركبتي لتمس فخذ نبي الله ثم أحسر الازار عن فخذه حتى اني لانظر الى بياض فخذ نبي الله صلى الله عليه وسلم فلما دخل القرية قال

سهيل بيده، وقال ما نعرف الرحمن الرحيم أكتب في قضيتنا ما نعرف فقال «اكتب باسمك اللهم - وكتب - هذا ما صالح عليه محمد رسول الله أهل مكة» فأمسك سهيل بن عمرو بيده وقال لقد ظلمناك إن كنت رسوله اكتب في قضيتنا ما نعرف فقال «اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله» فبينا نحن كذلك إذ خرج علينا ثلاثون شابا عليهم السلاح فثاروا في وجوهنا فدعا عليهم رسول الله ﷺ فأخذ الله تعالى بأسماعهم فقمنا اليهم فأخذناهم فقال رسول الله ﷺ «هل جئتم في عهد أحد؟ أو هل جعل لكم أحد أمانا؟» فقالوا لا فخلى سبيلهم فأنزل الله تعالى [وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم] الآية رواه النسائي من حديث حسين بن واقد به

وقال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا يعقوب القمي حدثنا جعفر عن ابن أبزى قال لما خرج النبي ﷺ بالهدي وانتهى إلى ذي الحليفة قال له عمر [رض] يانبي الله تدخل على قوم لك حرب

« الله أكبر خربت خيبر انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين » قالها ثلاثا قال وخرج القوم الى أعمالهم فقالوا محمد قاله عبد العزيز وقال بعض أصحابنا والخميس يعني الجيش قال فأصبناها عنوة فجمع السبي فجاء دحية فقال يانبي الله أعطني جارية من السبي قال « اذهب فخذ جارية فاخذ » صفية بنت حيي فجاء رجل الى نبي الله صلى الله عليه وسلم فقال يانبي الله أعطيت دحية صفية بنت حيي سيدة قريظة والنضير لا تصلح إلا لك ، قال « ادعوه بها » فجاء بها فلما نظر اليها النبي صلى الله عليه وسلم قال « خذ جارية من السبي غيرها » قال فاعتقها النبي صلى الله عليه وسلم وتزوجها فقال له ثابت يا أباحمزة ما أصدقها قال نفسها أعتقها فتزوجها حتى اذا كان بالطريق جهزتها له أم سليم فأهدتها له من الليل فأصبح النبي صلى الله عليه وسلم عروسا فقال من كان عنده شيء فليجيء به وبسط نطعا فجعل الرجل يجيء بالتمر وجعل الآخر يجيء بالسمن قال وأحسبه قد ذكر السويق قال فحاسوا حيسا فكانت وليمة رسول الله صلى الله عليه وسلم

أخبرنا عبد الواحد بن احمد المليحي انا احمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد ابن اسماعيل ثنا موسى بن اسماعيل ثنا عبد الواحد الشيباني قال سمعت ابن أبي أوفى يقول أصابتنا مجاعة ليالي خيبر فلما كان يوم خيبر وقعنا في الحمر الاهلية فانتحرناها فلما غلت القدور نادى منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم : اكفؤا القدور ولا تطعموا من لحوم الحمر شيئا ، قال عبد الله بن عباس فقلنا انما نهى النبي صلى الله عليه وسلم عنها لانها لم تخمس ، وقال آخرون حرمها البتة وسألت عنها سعيد بن جبير فقال حرمها البتة

اخبرنا اسمعيل بن عبد القاهر انا عبد الغافر بن محمد انا محمد بن عيسى الجلودي ثنا ابراهيم بن محمد بن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج ثنا يحيي بن حبيب الحارثي أنا خالد بن الحارث ثنا شعبة عن هشام ابن يزيد عن أنس ان امرأة يهودية أتت رسول الله بشاة مسمومة فأكل منها فجيء بها إلى رسول

بغير سلاح ولا كراع قال فبعث ﷺ إلى المدينة فلم يدع فيها كراعا ولا سلاحا إلا حمله فلما دنا من مكة منعوه أن يدخل فسار حتى أتى منى فنزل بمنى فأتاه عينه أن عكرمة بن أبي جهل قد خرج عليك في خمسمائة فقال لخالد بن الوليد رضي الله عنه «ياخالد هذا ابن عمك قد أتاك في الخيل» فقال خالد رضي الله عنه أنا سيف الله وسيف رسوله فيومئذ سمي سيف الله فقال يارسول الله ابعثني أين شئت فبعثه على خيل فلقي عكرمة في الشعب فهزمه حتى أدخله حيطان مكة ثم عاد في الثانية فهزمه حتى أدخله حيطان مكة ثم عاد في الثالثة فهزمه حتى أدخله حيطان مكة فأنزل الله تعالى [وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة — إلى قوله تعالى — عذابا أليما] قال فكف الله عز وجل النبي ﷺ عنهم من بعد أن أظفره عليهم لبقايا من المسلمين كانوا أبقوا فيها كراهية أن تطأهم الخيل

ورواه ابن أبي حاتم عن ابن أبزى بنحوه وهذا السياق فيه نظر فانه لايجوز أن يكون ايام الحديبية

الله ﷺ فسألها عن ذلك فقالت أردت ان أقتلك قال «ما كان الله ليسلطك على ذلك ـ أو قال علي» قال قالوا ألا نقتلها يارسول الله قال «لا» وتجاوز عنها رسول الله ﷺ قال فما زلت أعرفها في لهوات رسول الله (ص) وقال محمد بن اسمعيل قال يونس عن الزهري قال عروة قالت عائشة كان النبي ﷺ يقول في مرضه الذي مات فيه ياعائشة ما أزال أجد ألم الطعام الذي أكلت بخيبر فهذا أوان وجدت انقطاع أبهري من ذلك السم

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا احمد بن عبدالله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل أنا محمد بن بشار أنا حرمي أنا شعبة قال أخبرني عمارة عن عكرمة عن عائشة قالت لما فتحت خيبر قلنا الآن نشبع من التمر . أنا عبد الواحد المليحي أنا احمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل ثنا احمد بن المقدام ثنا فضيل بن سليمان ثنا موسى بن عقبة أخبرني نافع عن بن عمر أن عمر بن الخطاب أجلى اليهود والنصارى من أرض الحجاز وكان رسول الله ﷺ لما ظهر على أهل خيبر أراد أن يخرج اليهود منها وكانت الارض حين ظهر عليها لله ولرسوله والمسلمين فسأل اليهود رسول الله ﷺ أن يتركهم على أن يكفوا العمل ولهم نصف التمر فقال رسول الله ﷺ «نقركم على ذلك ما شئنا» فأقروا حتى أجلاهم عمر في امارته إلى تيماء وأريحاء . قال محمد بن اسحاق فلما سمع أهل فدك بما صنع رسول الله ﷺ بخيبر بعثوا الى رسول الله ﷺ يسألونه أن يسيرهم ويحقن لهم دماءهم ويخلوا له الاموال ففعل ثم ان أهل خيبر سألوا رسول الله ﷺ أن يعاملهم الاموال على النصف ففعل على أنا اذا شئنا أخرجناكم فصالحه أهل فدك على مثل ذلك فكانت خيبر للمسلمين وكانت فدك خالصة لرسول الله ﷺ لانهم لم يجلبوا عليها بخيل ولا ركاب فلما اطمأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أهدت له زينب بنت الحارث امرأة سلام بن مشكم شاة مصلية وقد سألت أي عضو من الشاة أحب الى رسول الله (ص) فقيل لها الذراع فأكثرت فيها السم وسمت سائر الشاة ثم جاءت بها فلما وضعتها

لان خالداً [رض] لم يكن أسلم بل قد كان طليعة المشركين يومئذ كما ثبت في الصحيح ولا يجوز أن يكون في عمرة القضاء لانهم قاضوه على أن يأتي في العام القابل فيعتمر ويقيم بمكة ثلاثة أيام ولما قدم ﷺ لم يمانعوه ولا حاربوه ولا قاتلوه ، فان قيل فيكون يوم الفتح فالجواب ولايجوز أن يكون يوم الفتح لانه لم يسق عام الفتح هديا وانما جاء محاربا مقاتلا في جيش عرمرم فهذا السياق فيه خلل وقد وقع فيه شيء فليتأمل والله أعلم

وقال ابن إسحاق : حدثني من لاأتهم عن عكرمة مولى ابن عباس رضي الله عنه قال إن قريشاً بعثوا أربعين رجلا منهم أو خمسين وأمروهم أن يطيفوا بعسكر رسول الله ﷺ ليصيبوا من أصحابه أحداً فأخذوا أخذاً فأتي بهم رسول الله ﷺ فعفا عنهم وخلى سبيلهم وقد كانوا رموا إلى عسكر

بين يدي رسول الله (ص) تناول الذراع فأخذها فلاك منها مضغة فلم يسغها ومعه بشر بن البراء ابن معرور وقد اخذ منها كما اخذ رسول الله (ص) فأما بشر فأساغها وأما رسول الله (ص) فلفظها ثم قال « ان هذا العضو ليخبرني انه مسموم ثم دعا بها فاعترفت فقال « ما حملك على ذلك ؟ » قالت بلغت من قومي ما لم يخف عليك فقلت ان كان ملكا استرحت منه وان كان نبيا فسيخبر عنها فتجاوز عنها رسول الله (ص) . ومات بشر بن البراء من أكلته التي أكل. قال ودخلت أم بشر بن البراء على رسول الله (ص) تعوده في مرضه الذي توفي فيه « فقال يا أم بشر مازالت أكلة خيبر التي أكلت بخيبر مع ابنك تعاودني فهذا اوان انقطاع أبهري » وكان المسلمون يرون ان رسول الله (ص) مات شهيدا مع ما أكرمه الله من النبوة

قوله عز وجل ﴿ وأخرى لم تقدروا عليها ﴾ أي وعدكم الله فتح بلدة أخرى لم تقدروا عليها ﴿ قد أحاط الله بها ﴾ حتى يفتحها لكم كأنه حفظها لكم ومنعها من غيركم حتى تأخذوها قال ابن عباس علم الله انه يفتحها لكم واختلفوا فيها فقال ابن عباس والحسن ومقاتل هي فارس والروم وما كانت العرب تقدر على قتال فارس والروم بل كانوا خولا لهم حتى قدروا عليها بالاسلام وقال الضحاك وابن زيد هي خيبر وعدها الله نبيه ﷺ قبل أن يصيبها ولم يكونوا يرجونها وقال قتادة هي مكة وقال عكرمة حنين وقال مجاهد ما فتحوا حتى اليوم ﴿ وكان الله على كل شيء قديرا * ولو قاتلكم الذين كفروا ﴾ يعني أسد وغطفان وأهل خيبر ﴿ لولوا الادبار ﴾ لانهزموا ﴿ ثم لا يجدون وليا ولا نصيرا * سنة الله التى قد خلت من قبل ﴾ أي كسنة الله في نصر أوليائه وقهر أعدائه ﴿ ولن تجد لسنة الله تبديلا ﴾

قوله عز وجل ﴿ وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم وكان الله بما تعملون بصيرا ﴾ قرأ أبو عمرو بالياء وقرأ الآخرون بالتاء واختلفوا في هؤلاء

اخبرنا اسمعيل بن عبد القاهر أنا عبد الغافر بن محمد أنا محمد بن عيسى الجلودي ثنا ابراهيم بن

رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحجارة والنبل . قال ابن إسحاق وفي ذلك أنزل الله تعالى (وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم) الآية

وقال قتادة ذكر لنا أن رجلا يقال له ابن زنيم اطلع على الثنية من الحديبية فرماه المشركون بسهم فقتلوه فبعث رسول الله ﷺ خيلا فأتوه باثني عشر من الكفار فقال لهم «هل لكم علي عهد؟ هل لكم علي ذمة؟» قالوا لا فأرسلهم وأنزل الله تعالى في ذلك (وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم) الآية

هُمُ الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام والهديَ معكوفا أن يبلغ محله، ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنٰت لم تعلموهم أن تطؤهم فتصيبكم منهم معرّة بغير علم ليدخلَ الله في رحمته من يشاء، لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا أليما (٢٥) إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحميةَ حميةَ الجٰهلية فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وألزمهم كلمةَ التقوى وكانوا أحقّ بها وأهلها، وكان اللهُ بكل شيء عليما (٢٦)

يقول تعالى مخبراً عن الكفار من مشركي العرب من قريش ومن مالأهم على نصرتهم على رسول الله ﷺ (هم الذين كفروا) أي هم الكفار دون غيرهم (وصدوكم عن المسجد الحرام) أي وأنتم

محمد بن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج ثنا عمر بن محمد الناقد ثنا يزيد بن هارون أنا حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس بن مالك رضي الله عنهم أن ثمانين رجلا من أهل مكة هبطوا على رسول الله ﷺ من جبل التنعيم متسلحين يريدون غدر النبي ﷺ وأصحابه فأخذوا سبايا فاستحياهم وأنزل الله عز وجل هذه الاية [وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم] وقال عبد الله بن مغفل المزني كنا مع النبي ﷺ بالحديبية في أصل الشجرة التى قال الله تعالى في القرآن وعلى ظهره غصن من أغصان تلك الشجرة فرفعته عن ظهره وعلي بن أبي طالب بين يديه يكتب كتاب الصلح فخرج علينا ثلاثون شبابا عليهم السلاح فثاروا في وجوهنا فدعا عليهم نبي الله ﷺ فأخذ الله بأبصارهم فقمنا اليهم فأخذناهم فقال لهم رسول الله ﷺ «جئتم في عهد أحد أو جعل لكم أحد أمانا؟» فقالوا اللهم لا فخلى سبيلهم فأنزل الله عز وجل هذه الآية

قوله عز وجل ﴿ هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام ﴾ الاية روى الزهري عن عروة ابن الزبير عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم قالا خرج رسول الله ﷺ من المدينة زمن الحديبية في بضع عشرة مائة من أصحابه يريدون زيارة البيت لا يريد قتالا وساق معه سبعين بدنة والناس سبعمائة رجل وكانت كل بدنة عن عشرة نفر فلما أتى ذا الحليفة قلد الهدي وأشعره وأحرم

أحق به وأنتم أهله في نفس الامر (والهدي معكوفا أن يبلغ محله) أي وصدوا الهدي أن يصل إلى محله وهذا من بغيهم وعنادهم وكان الهدي سبعين بدنة كما سيأتي بيانه ان شاء الله تعالى

وقوله عز وجل [ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات] أي بين أظهرهم ممن يكتم إيمانه ويخفيه منهم خيفة على أنفسهم من قومهم لكنا سلطناكم عليهم فقتلتموهم وأبدتم خضراءهم ولكن بين أفنائهم من المؤمنين والمؤمنات أقوام لا تعرفونهم حالة القتل ولهذا قال تعالى [لم تعلموهم أن تطؤهم فتصيبكم منهم معرة] أي اثم وغرامة [بغير علم ليدخل الله في رحمته من يشاء] أي يؤخر عقوبتهم ليخلص من بين أظهرهم المؤمنين وليرجع كثير منهم إلى الاسلام

ثم قال تبارك وتعالى [لو تزيلوا] أي لو تميز الكفار من المؤمنين الذين بين أظهرهم [لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا أليما] أي لسلطناكم عليهم فلقتلتموهم قتلا ذريعا

قال الحافظ أبو القاسم الطبراني حدثنا أبو الزنباع روح بن الفرج حدثنا عبد الرحمن بن أبي عباد المكي حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله بن سعيد مولى بني هاشم حدثنا حجر بن خلف قال سمعت عبد الله بن عمرو يقول سمعت جنيد بن سبيع يقول قاتلت رسول الله ﷺ أول النهار كافرا وقاتلت معه آخر النهار مسلما وفينا نزلت [ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات] قال كنا تسعة نفر سبعة رجال وامرأتين ثم رواه من طريق أخرى عن محمد بن عباد المكي به وقال فيه عن أبي جمعة جنيد بن سبيع فذكره والصواب أبو جعفر حبيب بن سباع ، ورواه ابن أبي حاتم من حديث حجر بن خلف به وقال كنا ثلاثة رجال وتسع نسوة وفينا نزلت [ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات]

وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا محمد بن اسماعيل البخاري حدثنا عبد الله بن عثمان بن جبلة عن أبي حمزة عن عطاء عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى

منها بعمرة وبعث عينا له من خزاعة يخبره عن قريش وسار النبي ﷺ حتى كان بغدير الاشطاط قريبا من عسفان أتاه عتبة الخزاعي وقال ان قريشا جمعوا لك جموعا وقد جمعوا لك الاحابيش وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت فقال النبي ﷺ « أشيروا علي أيها الناس أترون أن أميل على ذراري هؤلاء الذين عاونوهم فنصيبهم فان قعدوا قعدوا موتورين وان نجوا تكن عنقا قطعها الله ، أو ترون أن نؤم البيت فمن صدنا عنه قاتلناه » فقال أبو بكر يارسول الله انما خرجت عامدا لهذا البيت لا تريد قتال أحد ولا حربا فتوجه له فمن صدنا عنه قاتلناه قال « امضوا على اسم الله » فنفذوا قال النبي ﷺ « ان خالد بن الوليد بالغميم في خيل لقريش طليعة فخذوا ذات اليمين » فوالله ماشعر بهم خالد حتى إذا هم بقترة الجيش فانطلق يركض نذيرا لقريش وسار النبي ﷺ حتى اذا كان بالثنية التي يهبط عليهم منها بركت به راحلته فقال الناس حل حل فألحت فقالوا خلأت القصوا خلأت القصواء فقال النبي ﷺ « ماخلأت القصواء وماذاك لها بخلق ولكن حبسها حابس الفيل - ثم قال - » والذي نفسي بيده

[لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا أليما] يقول لو تزيل الكفار من المؤمنين لعذبهم الله عذابا أليما بقتلهم إياهم . وقوله عز وجل [إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية] وذلك حين أبوا أن يكتبوا بسم الله الرحمن الرحيم وأبوا أن يكتبوا هـذا ما قاضى عليـه محمد رسول الله [فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وألزمهم كلمة التقوى] وهي قول لا إله الا الله كما قال ابن جرير وعبد الله بن الامام أحمد حدثنا الحسن بن قزعة أبو علي البصري حدثنا سفيان بن حبيب حدثنا شعبة عن ثوير عن أبيه عن الطفيل يعني ابن أبي بن كعب عن أبيه رضي الله عنه انه سمع رسول الله ﷺ يقول [وألزمهم كلمة التقوى] قال « لا إله الا الله » وكذا رواه الترمذي عن الحسن بن قزعة وقال غريب لا نعرفه الا من حديثه وسألت ابازرعة عنه فلم يعرفه الا من هذا الوجه

وقال ابن أبي حاتم حـدثنا احمد بن منصور الرمادي حدثنا عبـد الله بن صالح حدثني الليث حدثني عبد الرحمن بن خالد عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب ان أباهريرة رضي الله عنه أخبره أن رسول الله ﷺ قال « أمرت أن أقاتل الناس حتي يقولوا لا اله إلا الله فمن قال لا إله إلا الله فقد عصم مني ماله ونفسه الا بحقه وحسابه على الله عز وجل » وأنزل الله عز وجـل في كتابه وذكر قوما فقال (انهم كانوا اذا قيل لهم لا إله الا الله يستكبرون) وقال الله جل ثناؤه (وألزمهم كلمة التقوى وكانوا أحق بها وأهلها) وهي لا إله الا الله محمد رسول الله فاستكبروا عنها واستكبر عنها المشركون يوم الحديبية فكاتبهم رسول الله ﷺ على قضية المدة وكذا رواه بهذه الزيادات ابن جرير من حديث الزهري والظاهر أنها مدرجة من كلام الزهري والله أعلم .

وقال مجاهد كلمة التقوى الاخلاص ، وقال عطاء بن أبي رباح هى لا إله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، وقال يونس بن بكير عن ابن اسحاق عن الزهري عن عروة بن المنذر (وألزمهم كلمة التقوى) لا إله إلا الله وحده لا شريك له

لا تدعوني قريش اليوم الى خطة يعظمون فيها حرمات الله وفيها صلة الرحم الا أعطيتهم اياها ثم زجرها فوثبت قال فعـدل عنهم حتى نزل بأقصى الحديبية على ثمد قليل الماء يتربضه الناس تربضا فلم يلبث الناس ان نزحوه وشكى الناس إلى النبي ﷺ العطش فانتزع سهما من كنانته وأعطاه رجلا من أصحابه يقال له ناجية بن عمير وهو سائق بدن النبي ﷺ فنزل في البئر فغرزه في جوفه فوالله مازال يجيش لهم بالري حتي صدروا عنه ، فبينماهم كذلك اذ جاء بديل بن ورقاء الخزاعي في نفر من قومه من خزاعة وكانوا عيبة نصح رسول الله ﷺ من أهل تهامة فقال اني تركت كعب بن لؤي وعامر ابن لؤي نزلوا على أعداد مياه الحديبية معهم العوذ المطافيل وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت فقال النبي ﷺ إنا لم نجيء لقتال أحد ولـكنا جئنا معتمرين وان قريشا قد نهكتهم الحرب وأضرت بهم فان شاؤا ماددتهم مدة ويخلوا بيني وبين الناس فان أظهر فان شاؤا أن يدخلوا فيما دخل فيه الناس فعلوا

وقال الثوري عن سلمة بن كهيل عن عباش بن ربعي عن علي رضي الله عنه (وألزمهم كلمة التقوى) قال لا إله إلا الله والله أكبر ، وكذا قال ابن عمر رضي الله عنهما ، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما قوله تعالى (وألزمهم كلمة التقوى) قال يقول شهادة أن لا إله الا الله وهي رأس كل تقوى ، وقال سعيد بن جبير [وألزمهم كلمة التقوى] قال لا إله الا الله والجهاد في سبيله ، وقال عطاء الخراساني هي لا إله الا الله محمد رسول الله

وقال عبد الله بن المبارك عن معمر عن الزهري [وألزمهم كلمة التقوى] قال بسم الله الرحمن الرحيم ، وقال قتادة [وألزمهم كلمة التقوى] قال لا إله إلا الله [وكانوا أحق بها و] كانوا (أهلها وكان الله بكل شيء عليما) أي هو عليم بمن يستحق الخير ممن يستحق الشر

وقد قال النسائي حدثنا ابراهيم بن سعيد حدثنا شبابة بن سوار عن أبي رزين عن عبد الله بن العلاء بن نوبر عن بشر بن عبيد الله عن أبي ادريس عن أبي بن كعب رضي الله عنه أنه كان يقرأ (إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية) ولو حميتم كما حموا لفسد المسجد الحرام فبلغ ذلك عمر رضي الله عنه فأغاظ له فقال انك لتعلم أني كنت أدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فيعلمني مما علمه الله تعالى ، فقال عمر رضي الله عنه بل أنت رجل عندك علم وقرآن فاقرأ وعلم مما علمك الله تعالى ورسوله

﴿ وهذا ذكر الاحاديث الواردة في قصة الحديبية وقصة الصلح ﴾

قال الامام أحمد حدثنا يزيد بن هارون أخبرنا محمد بن اسحاق بن يسار عن الزهري عن عروة ابن الزبير عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم رضي الله عنهما قالا : خرج رسول الله ﷺ يريد

والا فقد جموا وان هم أبوا فوالذي نفسي بيده لأقاتلنهم على أمري هذا حتى تنفرد سالفتي أو لينفذن الله أمره » فقال بديل سأبلغهم ما تقول فانطلق حتى أتى قريشا قال انا جئنا كم من عند هذا الرجل وسمعناه يقول قولا فان شئتم أن نعرضه عليكم فعلنا قال فقال سفهاؤهم لا حاجة لنا أن تخبرنا عنه بشيء ، وقال ذووا الرأي منهم هات ما سمعته يقول قال سمعته يقول كذا وكذا فحدثهم بما قال النبي ﷺ فقام عروة بن مسعود الثقفي فقال أي قوم الستم بالوالد ؟ قالوا بلى قال أولست بالولد ؟ قالوا بلى قال فهل تتهموني قالوا لا قال ألستم تعلمون أني استنفرت أهل عكاظ فلما بلحوا علي جئتكم بأهلي وولدي ومن أطاعني ؟ قالوا بلى قال فان هذا قد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها ودعوني آته قالوا ائته فأتاه فجعل يكلم النبي ﷺ فقال النبي ﷺ نحوا من قوله لبديل فقال عروة عند ذلك أي محمد أرأيت ان استأصلت أمر قومك هل سمعت بأحد من العرب اجتاح أصله قبلك ؟ وان تكن الاخرى فاني والله لارى وجوها واني لارى أشوابا من الناس خليقا أن يفروا ويدعوك ، فقال له أبو بكر الصديق

زيارة البيت لا يريد قتالا وساق معه الهدي سبعين بدنة وكان الناس سبعمائة رجل فكانت كل بدنة عن عشرة وخرج رسول الله ﷺ حتى اذا كان بعسفان لقيه بشر بن سفيان الكعبي فقال يارسول الله هذه قريش قد سمعت بمسيرك فخرجت معها العوذ المطافيل قد لبست جلود النمور يعاهدون الله تعالى أن لاتدخلها عليهم عنوة أبداً وهذا خالد بن الوليد في خيلهم قد قدموه إلى كراع الغميم فقال رسول الله ﷺ « ياويح قريش قد أكلتهم الحرب ماذا عليهم لو خلوا بيني وبين سائر الناس؟ فان أصابوني كان الذى أرادوا ، وإن أظهرني الله تعالى دخلوا في الاسلام وهم وافرون وإن لم يفعلوا قاتلوا وبهم قوة فماذا تظن قريش فوالله لاأزال أجاهدهم على الذي بعثني الله تعالى به حتى يظهرني الله عز وجل أو تنفرد هذه السالفة » ثم أمر الناس فسلكوا ذات اليمين بين ظهري الحمص على طريق تخرجه على ثنية المرار والحديبية من أسفل مكة ، قال فسلك بالجيش تلك الطريق فلما رأت خيل قريش قترة الجيش قد خالفوا عن طريقهم ركضوا راجعين إلى قريش فخرج رسول الله (ص) حتى اذا سلك ثنية المرار بركت ناقته فقال الناس خلأت فقال رسول الله [ص] « ماخلأت وماذلك لها بخلق ولكن حبسها حابس الفيل عن مكة ، والله لاتدعوني قريش اليوم إلى خطة يسألوني فيها صلة الرحم إلا أعطيتهم إياها » ثم قال [ص] للناس « انزلوا » قالوا يارسول الله مابالوادي من ماء ينزل عليه الناس فأخرج رسول الله [ص] سهما من كنانته فأعطاه رجلا من أصحابه فنزل في قليب من تلك القلب فغرزه فيه فجاش بالماء حتى ضرب الناس عنه بعطن ، فلما اطمأن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا بديل بن ورقاء في رجال من خزاعة فقال لهم كقوله لبشر بن سفيان فرجعوا إلى قريش فقالوا : يامعشر قريش انكم تعجلون على محمد [ص] إن محمداً لم يأت لقتال انما جاء زائراً لهذا البيت معظما لحقه فاتهموهم. قال محمد بن اسحاق قال الزهري وكانت خزاعة عيبة نصح رسول الله [ص] مشركها ومسلمها لايخفون

امصص بظر اللات أنحن نفرعنه وندعه ؟ فقال من ذا ؟ قالوا أبو بكر فقال أما والذي نفسي بيده لولا يد كانت الك عندي لم أجزك بها لاجبتك قال وجعل يكلم النبي (ص) وكلما كلمه أخذ بلحيته والمغيرة بن شعبة قائم على رأس النبي (ص) ومعه السيف وعليه المغفر فكلما أهوى عروة بيده إلى لحية النبي (ص) ضرب يده بنعل السيف أخر يدك عن لحية رسول الله (ص) فرفع عروة رأسه فقال من هذا ؟ قالوا المغيرة بن شعبة فقال أي غدر الست اسعى في غدرتك وكان المغيرة صحب قوما في الجاهلية فقتلهم وأخذ أموالهم ثم جاء فأسلم فقال النبي ﷺ أما الاسلام فأقبل وأما المال فلست منه في شيء ، ثم إن عروة جعل يرمق أصحاب النبي ﷺ بعينيه قالوا فو الله ما تنخم رسول الله ﷺ نخامة الا وقعت في كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده وإذا أمرهم ابتدروا أمره وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده وما يحدون اليه النظر تعظيما له فرجع عروة إلى أصحابه فقال أي قوم والله لقد وفدت على الملوك ووفدت على قيصر وكسرى

على رسول الله ﷺ شيئاً كان بمكة فقالوا وإن كان انما جاء لذلك فوالله لا يدخلها أبداً علينا عنوة ولا يتحدث بذلك العرب ثم بعثوا اليه مكرز بن حفص أحد بني عامر بن لؤي فلما رآه رسول الله ﷺ « قال هذا رجل غادر » فلما انتهى إلى رسول الله [ص] كلمه رسول الله [ص] بنحو مما تكلم به مع أصحابه ثم رجع إلى قريش فأخبرهم بما قال له رسول الله ﷺ فبعثوا اليه الحليس بن علقمة الكناني وهو يومئذ سيد الاحابيش فلما رآه رسول الله ﷺ قال « هذا من قوم يتألهون فابعثوا الهدي » فلما رأى الهدي يسيل عليه من عرض الوادي في قلائده قد أكل أوباره من طول الحبس عن محله رجع ولم يصل إلى رسول الله [ص] اعظاما لما رأى فقال يامعشر قريش لقد رأيت مالا يحل صد الهدي في قلائده قد أكل أوباره من طول الحبس عن محله قالوا اجلس انما أنت أعرابي لا علم لك ، فبعثوا اليه عروة بن مسعود الثقفي فقال يامعشر قريش إني قد رأيت مايلقى منكم من تبعثون الى محمد إذا جاءكم من التعنيف وسوء اللفظ وقد عرفتم أنكم إلي والد وأنا ولد وقد سمعت بالذي نابكم فجمعت من أطاعني من قومي ثم جئت حتى آسيتكم بنفسي قالوا صدقت ما أنت عندنا بمتهم فخرج حتى أتى رسول الله (ص) فجلس بين يديه فقال يامحمد جمعت أوباش الناس ثم جئت بهم لبيضتك لتفضها انها قريش قد خرجت معها العوذ المطافيل قد لبسوا جلود النمور يعاهدون الله تعالى أن لا تدخلها عليهم عنوة أبداً وايم الله لكأني بهؤلاء قد انكشفوا عنك غداً قال وأبو بكر [رض] قاعد خلف رسول الله [ص] فقال امصص بظر اللات أنحن ننكشف عنه ؟ قال من هذا يامحمد ؟ قال [ص] « هذا ابن أبي قحافة » قال أما والله لولا يد كانت لك عندي لكافأتك بها ولكن هذه بها ثم تناول لحية رسول الله [ص] والمغيرة بن شعبة [رض] واقف على رأس رسول الله [ص] بالحديد قال فقرع يده ثم قال أمسك يدك عن لحية رسول الله [ص] قبل والله أن لا تصل اليك قال ويحك ما أفظك

والنجاشي والله ان رأيت ملكا قط يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمد محمدا والله ان تنخم نخامة الا وقعت في كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده واذا أمرهم ابتدروا أمره واذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده وما يحدون اليه النظر تعظيما له وانه قد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها ، قال رجل من بني كنانة دعوني آته فقالوا ائته فلما أشرف على النبي ﷺ واصحابه قال رسول الله ﷺ هذا فلان وهو من قوم يعظمون البدن فابعثوها له فبعثت له واستقبله الناس يلبون فلما رأى ذلك قال سبحان الله ما ينبغي لهؤلاء ان يصدوا عن البيت فلما رجع إلى اصحابه قال رايت البدن قد قلدت واشعرت فما ارى ان يصدوا عن البيت ، ثم بعثوا اليه الحليس بن علقمة وكان يومئذ سيد الاحابيش فلما رآه رسول الله ﷺ ان هذا من قوم يتألهون فابعثوا بالهدي في وجهه حتى يراه فلما رأى الهدي يسيل عليه من عرض الوادي في قلائده قد اكل اوباره من طول الحبس رجع الى قريش ولم يصل الى رسول الله ﷺ اعظاما لما راى فقال يا معشر قريش إني

وأغلظك فتبسم رسول الله [ص] قال من هذا يامحمد؟ قال [ص] « هذا ابن أخيك المغيرة بن شعبة »
قال أغدر وهل غسلت سوأتك الا بالأمس؟ قال فكلمه رسول الله ﷺ بمثل ما كلم به أصحابه
وأخبره أنه لم يأت يريد حربا قال فقام من عند رسول الله [ص] وقد رأى مايصنع به اصحابه
لايتوضأ وضوءاً إلا ابتدروه ، ولا يبصق بصاقا إلا ابتدروه ولا يسقط من شعره شيء إلا أخذوه
فرجع الى قريش فقال : يامعشر قريش إني جئت كسرى في ملكه وجئت قيصر والنجاشي في ملكهما
والله مارأيت ملكا قط مثل محمد (ص) فى أصحابه ولقد رأيت قوما لايسلمونه لشيء أبداً فروا
رأيكم . أقال وقد كان رسول الله ﷺ قبل ذلك بعث خراش بن أمية الخزاعي إلى مكة وحمله على جمل
له يقال له الثعلب فلما دخل مكة عقرت به قريش وأرادوا قتل خراش فمنعتهم الاحابيش حتى أتى رسول
الله ﷺ فدعا عمر رضي الله عنه ليبعثه إلى مكة فقال يارسول الله اني أخاف قريشا على نفسي وليس
بها من بني عدي أحد يمنعني ، وقد عرفت قريش عداوتي اياها وغلظتي عليها ولكن أدلك على رجل
هو أعز مني بها عثمان بن عفان رضي الله عنه قال فدعاه رسول الله (ص) فبعثه يخبرهم أنه لم يأت
لحرب أحد وانما جاء زائراً لهذا البيت معظما لحرمته فخرج عثمان رضى الله عنه حتى أتى مكة فلقيه
أبان بن سعيد بن العاص فنزل عن دابته وحمله بين يديه وردفه خلفه وأجاره حتى بلغ رسالة رسول
الله (ص) فانطلق عثمان رضي الله عنه حتى أتى أبا سفيان وعظماء قريش فبلغهم عن رسول الله
(ص) ما أرسله به فقالوا لعثمان (رض) إن شئت أن تطوف بالبيت فطف به فقال ما كنت لافعل
حتى يطوف به رسول الله (ص) قال واحتبسته قريش عندها قال وبلغ رسول الله (ص) أن عثمان
رضي الله عنه قد قتل

قال محمد فحدثني الزهري أن قريشا بعثوا سهيل بن عمرو وقالوا ائت محمداً فصالحه ولا تكن في

قد رايت مالا يحل صد الهدي في قلائده وقد اكل اوتاره من طول الحبس عن محله فقالوا له اجلس
إنما انت رجل اعرابي لا علم لك فغضب الحليس عند ذلك فقال يا معشر قريش والله ما على هذا
حالفناكم ولا على هذا عاقدناكم ان تصدوا عن بيت الله من جاءه معظما له والذي نفس الحليس بيده
لتخلن بين محمد وبين ما جاء له أو لأنفرن بالاحابيش نفرة رجل واحد فقالوا له مه كف عنايا حليس
حتى نأخذ لأنفسنا بما ترضى به فقام رجل منهم يقال له مكرز بن حفص فقال دعوني آته فقالوا
ائته فلما أشرف عليهم قال النبي ﷺ هذا مكرز وهو رجل فاجر فجعل يكلم النبى (ص) فبينما
هو يكلمه إذ جاء سهيل بن عمرو قال عكرمة فلما رآه النبي [ص] قال قد سهل لكم من أمركم قال
الزهري في حديثه فجاء سهيل بن عمرو فقال هات اكتب بيننا وبينكم كتابا فدعا رسول الله (ص)
على بن أبي طالب رضي الله عنه فقال له « اكتب بسم الله الرحمن الرحيم » فقال سهيل أما الرحمن فوالله
ما أدري ما هو ؟ ولكن اكتب باسمك اللهم كما كنت تكتب فقال المسلمون والله لا نكتبها الا

صلحه إلا أن يرجع عنا عامه هذا فوالله لاتحدث العرب أنه دخلها علينا عنوة أبدا فأتاه سهيل بن عمرو فلما رآه رسول الله (ص) قال قد أراد القوم الصلح حين بعثوا هذا الرجل فلما انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تكلما وأطالا الكلام وتراجعا حتى جرى بينهما الصلح فلما التأم الامر ولم يبق إلا الكتاب وثب عمر بن الخطاب (رض) فأتى أبا بكر رضي الله عنه فقال يا أبا بكر أو ليس برسول الله؟ أو لسنا بالمسلمين؟ أو ليسوا بالمشركين؟ قال بلى قال فعلام نعطي الدنية في ديننا؟ فقال أبو بكر رضي الله عنه الزم غرزه حيث كان فاني أشهد أنه رسول الله فقال عمر رضي الله عنه وأنا أشهد ثم أتى رسول الله ﷺ فقال يارسول الله أو لسنا بالمسلمين أو ليسوا بالمشركين قال ﷺ «بلى» قال فعلام نعطي الدنية في ديننا؟ فقال ﷺ «انا عبد الله ورسوله لن اخالف أمره ولن يضيعني» ثم قال عمر رضي الله عنه مازلت أصوم وأصلي وأتصدق وأعتق من الذي صنعت مخافة كلامي الذي تكلمت به يومئذ حتى رجوت ان يكون خيرا

قال ثم دعا رسول الله (ص) علي بن ابي طالب رضي الله عنه فقال «اكتب بسم الله الرحمن الرحيم» فقال سهيل لا اعرف هذا ولكن اكتب باسمك اللهم فقال رسول الله [ص] «اكتب باسمك، اللهم هذا ماصالح عليه محمد رسول الله» فقال سهيل بن عمرو لو شهدت انك رسول الله لم اقاتلك ولكن اكتب هذا ماصالح عليه محمد بن عبد الله وسهيل بن عمرو على وضع الحرب عشر سنين يأمن فيها الناس ويكف بعضهم عن بعض على انه من اتى رسول الله [ص] من اصحابه بغير إذن وليه رده عليه ومن اتى قريشا ممن مع رسول الله (ص) لم يردوه عليه وان بيننا عيبة مكفوفة وانه لا أسلال ولا اغلال، وكان في شرطهم حين كتبوا الكتاب: انه من احب ان يدخل في عقد محمد [ص] وعهده دخل فيه ومن أحب ان يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه فتواثبت خزاعة فقالوا نحن في

بسم الله الرحمن الرحيم فقال النبي [ص] لعلي «اكتب باسمك اللهم - ثم قال - اكتب هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله» فقال سهيل والله لو كنا نعلم انك رسول الله ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك ولكن اكتب محمد بن عبد الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «والله اني لرسول الله وان كذبتموني اكتب يا علي محمد بن عبد الله» قال الزهري وذلك لقوله لا يسألوني خطة يعظمون فيها حرمات الله الا أعطيتهم اياها فكتب: هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو واصطلحا على وضع الحرب عن الناس عشر سنين يأمن فيه الناس ويكف بعضهم عن بعض فقال له النبي [ص] وعلى أن تخلوا بيننا وبين البيت فنطوف به فقال سهيل والله لا تتحدث العرب انا أخذنا ضغطة ولكن ذلك من العام المقبل فكتب، فقال سهيل وعلى انه لا يأتيك منا رجل وان كان على دينك الا رددته الينا قال المسلمون سبحان الله كيف رد إلى المشركين وقد جاء مسلما؟

وروى أبو اسحاق عن البراء قصة الصلح وفيه قالوا لو نعلم أنك رسول الله مامنعناك شيأ ولكن

عقد رسول الله [ص] وعهده وتواثبت بنو بكر فقالوا نحن في عقد قريش وعهدهم ، وأنك ترجع عنا عامنا هذا فلا تدخل علينا مكة وانه إذا كان عام قابل خرجنا عنك فتدخلها بأصحابك وأقمت بها ثلاثا معك سلاح الراكب لا تدخلها بغير السيوف في القرب فبينا رسول الله [ص] يكتب الكتاب إذ جاءه ابو جندل بن سهيل بن عمرو في الحديد قد انفلت الى رسول الله [ص]

قال وقد كان اصحاب رسول الله [ص] خرجوا وهم لا يشكون في الفتح لرؤيا رآها رسول الله [ص] فلما رأوا مارأوا من الصلح والرجوع وما تحمل رسول الله [ص] على نفسه دخل الناس من ذلك امر عظيم حتى كادوا ان يهلكوا ، فلما رأى سهيل اباجندل قام اليه فضرب وجهه وقال يا محمد قد تمت القضية بيني وبينك قبل أن يأتيك هذا قال « صدقت » فقام اليه فأخذ بتلابيبه قال وصرخ أبو جندل بأعلى صوته يا معشر المسلمين أتردونني إلى أهل الشرك فيفتنوني في ديني ؟ قال فزاد الناس شرا إلى مابهم فقال رسول الله ﷺ « يا أبا جندل اصبر واحتسب فان الله تعالى جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا ، إنا قد عقدنا بيننا وبين القوم صلحا فأعطيناهم على ذلك وأعطونا عليه عهدا وإنا لن نغدر بهم » قال فوثب اليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه فجعل يمشي مع أبي جندل الى جنبه ويقول اصبر ابا جندل فانما هم المشركون وانما دم احدهم دم كلب قال ويدني قائم السيف منه قال يقول رجوت ان يأخذ السيف فيضرب به اباه قال فضن الرجل بأبيه ، قال ونفذت القضية فلما فرغا من الكتاب وكان رسول الله (ص) يصلي في الحرم وهو مضطرب في الحل قال فقام رسول الله (ص) فقال « يأيها الناس انحروا واحلقوا » قال فما قام احد ، قال ثم عاد (ص) بمثلها فما قام رجل ثم عاد ﷺ بمثلها فما قام رجل فرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل على أم سلمة رضي الله عنها فقال

أنت محمد بن عبد الله قال « أنا رسول الله وأنا محمد بن عبدالله » ثم قال لعلي رضي الله عنه « امح رسول الله قال علي لا والله لا أمحوك أبدا قال فأرنيه فاراه اياه فمحاه النبي (ص) بيده وفي رواية فاخذ رسول الله (ص) الكتاب وليس يحسن أن يكتب فكتب هذا ما قاضى محمد بن عبدالله قال البراء صالح على ثلاثة أشياء على أن من أتاه من المشركين رد اليهم ومن أتاهم من المسلمين لم يردوه وعلى أن يدخلها من قابل ويقيم بها ثلاثة أيام ولا يدخلها الا بجلبان السلاح السيف والقوس ونحوه وروى ثابت عن أنس أن قريشا صالحوا النبي (ص) فاشترطوا ان من جاءنا منكم لم نرده عليكم ومن جاءكم منا رددتموه علينا فقالوا يا رسول الله أنكتب هذا؟ قال نعم انه من ذهب منا اليهم فأبعده الله ومن جاءنا منهم سيجعل الله له فرجا ومخرجا

رجعنا إلى حديث الزهري قال فبينما هم كذلك إذ جاء أبو جندل بن سهيل بن عمرو يرسف في قيوده قد انفلت وخرج من أسفل مكة حتى رمى بنفسه بين أظهر المسلمين فقال سهيل هذا يامحمد أول ما أقاضيك عليه أن ترده إلي فقال النبي [ص] « انا لم نقض الكتاب بعد » قال فوالله إذا لا أصالحك

« يا أم سلمة ماشأن الناس ؟ » قالت يارسول الله قد دخلهم ما رأيت فلا تكلمن منهم إنسانا واعمد إلى هديك حيث كان فانحره واحلق فلو قد فعلت ذلك فعل الناس ذلك فخرج رسول الله [ص] لايكلم أحداً حتى إذا أتى هديه فنحره ثم جلس فحلق قال فقام الناس ينحرون ويحلقون حتى إذا كان بين مكة والمدينة في وسط الطريق نزلت سورة الفتح ، هكذا ساقه أحمد من هذا الوجه وهكذا رواه يونس بن بكير وزياد البكائي عن أبي إسحاق بنحوه ، وقد رواه أيضاً عن عبد الرزاق عن معمر عن الزهري به نحوه وخالفه في أشياء وفيه اغراب

وقد رواه البخاري رحمه الله في صحيحه فساقه بسياقات حسنة مطولة بزيادات جيدة فقال في كتاب الشرط من صحيحه حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا عبد الرزاق أنا معمر أخبرني الزهري أخبرني عروة بن الزبير عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم يصدق كل واحد منهما حديث صاحبه قالا : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم زمن الحديبية في بضع عشرة مائة من أصحابه فلما أتى ذا الحليفة قلد الهدي وأشعره وأحرم منها بعمرة وبعث عينا له من خزاعة وسار حتى اذا كان بغدير الاشطاط أتاه عينه فقال ان قريشا قد جمعوا لك جموعا وقد جمعوا لك الاحابيش وهم مقاتلوك وصادوك ومانعوك فقال ﷺ « أشيروا أيها الناس علي أترون أن نميل على عيالهم وذراري هؤلاء الذين يريدون أن يصدونا عن البيت » وفي لفظ « أترون أن نميل على ذراري هؤلاء الذين أعانوهم فان يأتونا كان الله قد قطع عنقا من المشركين وإلا تركناهم محزونين »

وفي لفظ « فان قعدوا قعدوا موتورين مجهودين محزونين وإن نجوا يكن عنقا قطعها الله عزوجل

على شيء أبدا فقال النبي [ص] « فاجزه لي » فقال فما أنا بمجيره لك قال « بلى فافعل » قال ما أنا بفاعل ثم جعل سهيل يجره ليرده الى قريش قال أبو جندل أي معشر المسلمين أرد الى المشركين وقد جئت مسلما ألا ترون ما قد لقيت؟ وكان قد عذب عذابا شديدا في الله

وفي الحديث أن رسول الله ﷺ قال « يا أبا جندل احتسب فان الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا إنا قد عقدنا بيننا وبين القوم عقدا وصلحا وانا لا نغدر » فوثب عمر يمشي إلى جنب أبي جندل فقال اصبر فانما هم المشركون ودم أحدهم كدم كلب ويدني قائم السيف منه قال عمر رجوت أن يأخذ السيف فيضرب به أباه فضن الرجل بأبيه، وقد كان أصحاب رسول الله ﷺ خرجوا وهم لا يشكون في الفتح لرؤيا رآها رسول الله (ص) فلما رأوا ذلك دخل الناس أمر عظيم حتى كادوا يهلكون وزادهم أمر أبي جندل شراً الى ما بهم

قال عمر والله ما شككت منذ أسلمت الا يومئذ قال الزهري في حديثه عن عروة عن مروان والمسور ورواه أبو وائل عن سهل بن حنيف قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه فأتيت النبي ﷺ فقلت ألست نبي الله حقا ؟ قال « بلى » قلت ألسنا على الحق وعدونا على الباطل ؟ قال « بلى » قلت أليس قتلانا

أم ترون أن نؤم البيت فمن صدنا عنه قاتلناه » فقال أبو بكر رضي الله عنه يارسول الله خرجت عامداً لهذا البيت لا تريد قتل أحد ولا حربا فتوجه له فمن صدنا عنه قاتلناه ، وفي لفظ فقال أبو بكر رضي الله عنه الله ورسوله أعلم انما جئنا معتمرين ولم نجيء لقتال أحد ولكن من حال بيننا وبين البيت قاتلناه فقال النبي ﷺ « فروحوا اذن »

وفي لفظ « فامضوا على اسم الله تعالى » حتى اذا كانوا ببعض الطريق قال النبي ﷺ إن خالد بن الوليد في خيل لقريش طليعة فخذوا ذات اليمين فوالله ماشعر بهم خالد حتى اذا هم بقترة الجيش فانطلق يركض نذيراً لقريش ، وسار النبي ﷺ حتى اذا كان بالثنية التي يهبط عليهم منها بركت به راحلته فقال الناس حل حل فألحت فقالوا خلأت القصواء خلأت القصواء فقال النبي ﷺ « ماخلأت القصواء وما ذاك لها بخلق ولكن حبسها حابس الفيل - ثم قال [ص] - والذي نفسي بيده لا يسألوني خطة يعظمون فيها حرمات الله تعالى إلا أعطيتهم إياها » ثم زجرها فوثبت فعدل عنهم حتى نزل بأقصى الحديبية على ثمد قليل الماء يتبرضه الناس تبرضاً فلم يلبث الناس حتى نزحوه وشكي إلى رسول الله [ص] العطش فانتزع [ص] من كنانته سهما ثم أمرهم أن يجعلوه فيه فوالله مازال يجيش لهم بالري حتى صدروا عنه ، فبينماهم كذلك إذ جاء بديل بن ورقاء الخزاعي في نفر من قومه من خزاعة وكانوا عيبة نصح رسول الله [ص] من أهل تهامة فقال إني تركت كعب بن لؤي وعامر بن لؤي نزلوا أعداد مياه الحديبية معهم العوذ المطافيل وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت فقال النبي [ص] « انا لم نجيء لقتال أحد ولكن جئنا معتمرين وإن قريشا قد نهكتهم الحرب فأضرت بهم فان شاءوا ماددتهم مدة ويخلوا بيني وبين الناس

في الجنة وقتلاهم في النار قال « بلى » قلت فلم نعطى الدنية في ديننا اذن؟ قال اني رسول الله واست أعصيه وهو ناصري؟ قلت أو ليس كنت تحدثنا انا سنأتي البيت فنطوف به ؟ قال « بلى أفأخبرتك انا نأتيه العام؟ » قلت لا قال فانك آتيه ومطوف به قال فاتيت أبا بكر فقلت يا أبا بكر أليس هذا نبي الله حقا قال بلى قلت ألسنا على الحق وعدونا على الباطل ؟ قال بلى قلت أليس قتلانا في الجنة وقتلاهم في النار قال بلى قلت فلم نعطى الدنية في ديننا اذن؟ قال أيها الرجل انه رسول الله وليس يعصي ربه وهو ناصره فاستمسك بغرزه فوالله انه على الحق قلت أليس كان يحدثنا أنا سنأتي البيت فنطوف به قال بلى أفاخبرك انك تأتيه العام؟ قلت لا قال فانك آتيه ومطوف به قال الزهري قال عمر فعملت لذلك أعمالا قال فلما فرغ من قضية الكتاب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه « قوموا فانحروا ثم احلقوا » قال فوالله ما قام منهم رجل حتى قال ذلك ثلاث مرات فلما لم يقم منهم أحد قام فدخل على أم سلمة فذكر لها مالقي من الناس فقالت أم سلمة يانبي الله أتحب ذلك ؟ اخرج ثم لا تكلم أحدا منهم كلمة حتى تنحر بدنك وتدعو حالقك فيحلقك فخرج فلم يكلم أحدا منهم حتى فعل ذلك نحر بدنه ودعا حالقه فحلقه فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا وجعل بعضهم يحلق بعضا حتى كاد بعضهم يقتل بعضا غما وحزنا قال ابن عمر وابن عباس حلق رجال

فان أظهر فان شاءوا أن يدخلوا فيما دخل فيه الناس فعلوا وإلا فقد جموا ، وإن هم أبوا فوالذي نفسي بيده لأقاتلنهم على أمري هذا حتى تنفرد سالفتي أو لينفذن الله أمره »

قال بديل سأبلغهم ماتقول فانطلق حتى أتى قريشا فقال انا قد جئنا من عند هذا الرجل وسمعناه يقول قولا فان شئتم أن نعرضه عليكم فعلنا فقال سفهاؤهم لاحاجة لنا أن تخبرنا عنه بشيء ، وقال ذوو الرأي منهم هات ماسمعته يقول قال سمعته يقول كذا وكذا فحدثهم بماقال رسول الله [ص] فقام عروة بن مسعود فقال : أي قوم ألستم بالوالد ؟ قالوا بلى ، قال أولست بالولد ؟ قالوا بلى ، قال فهل تتهموني ؟ قالوا لا ، قال ألستم تعلمون أني استنفرت أهل عكاظ فلما بلحوا علي جئتكم بأهلي وولدي ومن أطاعني ؟ قالوا بلى ، قال فان هذا قد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها ودعوني آته قالوا ائته فأتاه فجعل يكلم النبي [ص] فقال النبي [ص] نحواً من قوله لبديل بن ورقاء فقال عروة عند ذلك أي محمد أرأيت إن استأصلت امر قومك هل سمعت بأحد من العرب اجتاح أصله قبلك ؟ وإن تك الاخرى فاني والله لا أرى وجوها وإني لأرى أشوابا من الناس خليقا أن يفروا ويدعوك . فقال له أبو بكر رضي الله عنه امصص بظر اللات أنحن نفر وندعه ؟ قال من ذا ؟ قالوا أبو بكر ، قال أما والذي نفسي بيده لولا يد لك عندي لم أجزك بها لأجبتك قال وجعل يكلم النبي (ص) فكلما كلمه أخذ بلحيته (ص) والمغيرة بن شعبة (رض) قائم على رأس النبي ﷺ ومعه السيف وعليه المغفر وكلما هوى عروة بيده إلى لحية النبي (ص) ضرب يده بنعل السيف وقال أخر يدك عن لحية رسول الله ﷺ فرفع عروة رأسه وقال من هذا ؟ قالوا المغيرة بن شعبة قال أي غدر ألست أسعى في غدرتك ؟ وكان المغيرة ابن شعبة (رض) صحب قوما في الجاهلية فقتلهم وأخذ أموالهم ثم جاء فأسلم فقال النبي ﷺ « أما الاسلام فأقبل ، وأما المال فلست منه في شيء » ثم إن عروة جعل يرمق أصحاب النبي صلى الله عليه

يوم الحديبية وقصر آخرون فقال رسول الله (ص) « يرحم الله المحلقين - قالوا والمقصرين قال - يرحم الله المحلقين - قالوا يارسول الله والمقصرين قال - والمقصرين - قالوا يارسول الله فلم ظاهرت الترحم للمحلقين دون المقصرين ؟ قال - لأنهم لم يشكوا » قال ابن عمر وذلك انه تربص قوم وقالوا لعلنا نطوف بالبيت ، قال ابن عباس وأهدى رسول الله (ص) يوم الحديبية في هداياه جملا لابي جهل في رأسه برة من فضة ليغيظ المشركين بذلك وقال الزهري في حديثه ثم جاءه نسوة مؤمنات فانزل الله تعالى (ياأيها الذين آمنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات - حتى بلغ - بعصم الكوافر) فطلق عمر رضى الله عنه يومئذ امرأتين كانتا له في الشرك فتزوج احداهما معاوية بن أبي سفيان والاخرى صفوان بن أمية قال فنهاهم أن يردوا النساء وأمر برد الصداق قال ثم رجع النبي (ص) الى المدينة فجاءه أبو بصير عتبة بن أسيد رجل من قريش وهو مسلم وكان ممن حبس بمكة فكتب فيه أزهر بن عبدعوف والاخنس بن شريق الثقفي الى رسول الله [ص] وبعثا في طلبه رجلا من بني عامر بن لؤي ومعه مولى لهم فقدما على

وسلم بعينيه قال فوالله ماتنخم رسول الله ﷺ نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده واذا أمرهم ابتدروا أمره ، واذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه واذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده ومايحدون النظر اليه تعظيما له ﷺ فرجع عروة إلى أصحابه فقال أي قوم والله لقد وفدت على الملوك ووفدت على كسرى وقيصر والنجاشي والله ان رأيت ملكا قط يعظمه اصحابه ما يعظم أصحاب محمد محمدا والله ان تنخم نخامة الا وقعت في كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده ، واذا أمرهم ابتدروا امره واذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه ، واذا تكلم خفضوا اصواتهم عنده وما يحدون النظر اليه تعظيما له ، وانه قد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها فقال رجل منهم من بني كنانة دعوني آته فقالوا ائته فلما اشرف على النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم قال النبي ﷺ « هذا فلان وهو من قوم يعظمون البدن فابعثوها له » فبعثت له واستقبله الناس يلبون فلما رأى ذلك قال سبحان الله ما ينبغي لهؤلاء أن يصدوا عن البيت فلما رجع الى أصحابه قال رأيت البدن قد قلدت وأشعرت فما ارى ان يصدوا عن البيت . فقام رجل منهم يقال له مكرز بن حفص فقال دعوني آته فقالوا ائته فلما اشرف عليهم قال النبي ﷺ « هذا مكرز وهو رجل فاجر » فجعل يكلم النبي ﷺ فبينما هو يكلمه إذ جاء سهيل بن عمرو . وقال معمر أخبرني أيوب عن عكرمة انه قال لما جاء سهيل بن عمرو قال النبي ﷺ « قد سهل لكم من أمركم »

قال معمر قال الزهري في حديثه فجاء سهيل بن عمرو فقال هات اكتب بيننا وبينك كتابا فدعا النبي ﷺ بعلي رضي الله عنه وقال « اكتب بسم الله الرحمن الرحيم » فقال سهيل بن عمرو أما الرحمن فوالله ماأدري ماهو ولكن اكتب باسمك اللهم كما كنت تكتب فقال المسلمون والله لانكتبها إلا بسم الله الرحمن الرحيم فقال النبي ﷺ « اكتب باسمك اللهم - ثم قال - هذا ماقاضى عليه

رسول الله [ص] وقالا العهد الذي جعلت لنا فقال رسول الله [ص] « ياأبا بصير انا قد أعطينا هؤلاء القوم ما قد علمت ولا يصلح في ديننا الغدر وان الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا » ثم دفعه الى الرجلين فخرجا به حتى بلغا ذا الحليفة فنزلوا يأكلون من تمر لهم فقال ابو بصير لأحد الرجلين والله اني لارى سيفك هذا يافلان جيدا فاستله الآخر من غمده فقال أجل والله انه لجيد لقد جربت به ثم جربت به فقال أبو بصير أرني انظر اليه فاخذه وعلاه به فضربه حتى برد وفر الآخر حتى أتى المدينة فدخل المسجد يعدو فقال رسول الله [ص] حين رآه « لقد رأى هذا ذعرا » فلما انتهى الى النبى صلى الله عليه وسلم قال « ويلك مالك » قال قتل والله صاحبى واني لمقتول فوالله ما برح حتى طلع ابو بصير متوشحا السيف حتى وقف على رسول الله [ص] فقال يانبي الله قد والله أوفى الله ذمتك قد رددتني اليهم ثم أنجاني الله منهم فقال النبي [ص] « ويل امه مسعر حرب لو كان معه أحد » فلما سمع ذلك عرف أنه سيرده اليهم فخرج حتى أتى سيف البحر وبلغ المسلمين الذين

رسول الله » فقال سهيل والله لو كنا نعلم انك رسول الله ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك ولكن اكتب محمد بن عبد الله فقال النبي ﷺ « والله اني لرسول الله وإن كذبتموني ، اكتب محمد بن عبدالله » قال الزهري وذلك لقوله « والله لا يسألوني خطة يعظمون فيها حرمات الله تعالى إلا أعطيتهم اياها » فقال له النبي ﷺ « على أن تخلوا بيننا وبين البيت فنطوف به » فقال سهيل والله لا تتحدث العرب أنا أخذنا ضغطة ولكن ذلك من العام المقبل فكتب فقال سهيل وعلى أن لا يأتيك منا رجل وان كان على دينك الا رددته الينا فقال المسلمون سبحان الله كيف يرد الى المشركين وقد جاء مسلما ؟ فبينما هم كذلك اذ جاء أبو جندل بن سهيل بن عمرو يرسف في قيوده قد خرج من أسفل مكة حتى رمى بنفسه بين أظهر المسلمين فقال سهيل هذا يا محمد أول من أقاضيك عليه ان ترده الي فقال النبي ﷺ « إنا لم نقض الكتاب بعد » قال فوالله اذاً لا اصالحك على شيء أبدا ، فقال النبي ﷺ « فأجزه لي » قال ما أنا بمجيز ذلك لك قال « بلى فافعل » قال ما أنا بفاعل قال مكرز بلى قد أجزناه لك قال أبو جندل أي معشر المسلمين أرد الى المشركين وقد جئت مسلما ألا ترون ما قد لقيت ؟ وكان قد عذب عذابا شديداً في الله عز وجل

قال عمر رضي الله عنه فأتيت نبي الله ﷺ فقلت ألست نبي الله حقا ؟ قال ﷺ « بلى » قلت ألسنا على الحق وعدونا على الباطل ؟ قال ﷺ « بلى » قلت فلم نعطى الدنية في ديننا اذا ؟ قال ﷺ اني رسول الله ولست أعصيه وهو ناصري قلت أولست كنت تحدثنا أنا سنأتي البيت ونطوف به قال ﷺ « بلى أفأخبرتك أنا نأتيه العام ؟ » قلت لا قال ﷺ « فانك آتيه ومطوف به » قال فأتيت أبا بكر فقلت يا أبا بكر أليس هذا نبي الله حقا ؟ قال بلى قلت ألسنا على الحق وعدونا على الباطل ؟ قال بلى قلت فلم نعطي الدنية في ديننا اذا ؟ قال أيها الرجل انه رسول الله وليس يعصي ربه وهو ناصره فاستمسك بغرزه فوالله انه على الحق قلت أوليس كان يحدثنا انا سنأتي البيت ونطوف به ؟ قال بلى قال أفأخبرك انك تأتيه العام ؟ قلت لا قال فانك تأتيه وتطوف به

احتبسوا بمكة قول رسول الله ﷺ لأبي بصير « ويل امه مسعر حرب لو كان معه أحد » فخرج عصابة منهم اليه وانفلت أبو جندل بن سهيل فلحق بابي بصير حتى اجتمع اليه قريب من سبعين رجلا فوالله ما يسمعون بعير خرجت لقريش الى الشام إلا اعترضوا لها فقتلوهم وأخذوا أموالهم فأرسلت قريش الى النبي ﷺ تناشده الله والرحم لما أرسل اليهم فمن أتاه فهو آمن ، فأرسل اليهم النبي صلى الله عليه وسلم فقدموا عليه المدينة فأنزل الله تعالى (وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم وكان الله بما تعملون بصيرا - حتى بلغ - حمية الجاهلية) وكانت حميتهم انهم لم يقروا انه نبي الله صلى الله عليه وسلم ولم يقروا ببسم الله الرحمن الرحيم وحالوا بينه وبين البيت قال الله تعالى ﴿هم الذين كفروا﴾ يعني كفار مكة ﴿وصدوكم عن المسجد الحرام﴾ أن تطوفوا به

قال الزهري قال عمر رضي الله عنه فعملت لذلك أعمالا . قال فلما فرغ من قضية الكتاب قال رسول الله (ص) لأصحابه «قوموا فانحروا ثم احلقوا» قال فوالله ماقام منهم رجل حتى قال (ص) ذلك ثلاث مرات فلما لم يقم منهم أحد دخل (ص) على أم سلمة رضي الله عنها فذكر لها مالقي من الناس قالت له أم سلمة (رض) يانبي الله أتحب ذلك اخرج ثم لاتكلم أحدا منهم كلمة حتى تنحر بدنك وتدعو حالقك فيحلقك فخرج رسول الله (ص) فلم يكلم أحداً منهم حتى فعل ذلك نحر بدنه ودعا حالقه فحلقه فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا وجعل بعضهم يحلق بعضا حتى كاد بعضهم يقتل بعضا غما ثم جاءه نسوة مؤمنات فأنزل الله عز وجل (ياأيها الذين آمنوا اذاجاءكم المؤمنات مهاجرات - حتى بلغ - بعصم الكوافر) فطلق عمر رضي الله عنه يومئذ امرأتين كانتا له في الشرك فتزوج إحداهما معاوية ابن أبي سفيان والاخرى صفوان بن أمية ، ثم رجع النبي (ص) إلى المدينة فجاءه ابو بصير رجل من قريش وهو مسلم فأرسلوا في طلبه رجلين فقالوا العهد الذي جعلت لنا فدفعه إلى الرجلين فخرجا به حتى إذا بلغا ذا الحليفة فنزلوا يأكلون من تمر لهم فقال ابو بصير لاحد الرجلين والله إني لأرى سيفك هذا يافلان جيدا فاستله الآخر فقال أجل والله انه لجيد لقد جربت منه ثم جربت فقال أبو بصير أرني أنظر اليه فامكنه منه فضربه حتى برد وفر الآخر حتى أتى المدينة فدخل المسجد يعدو فقال رسول الله (ص) حين رآه « لقد رأى هذا ذعرا » فلما انتهى إلى النبي (ص) قال قتل والله صاحبي واني لمقتول فجاء ابو بصير فقال يارسول الله قد والله أوفى الله ذمتك قد رددتني اليهم ثم نجاني الله تعالى منهم فقال النبي (ص) « ويل امه مسعر حرب لو كان معه أحد » فلما سمع ذلك عرف أنه سيرده اليهم فخرج حتى أتى سيف البحر قال وتفلت منهم أبو جندل بن سهيل فلحق بأبي بصير فجعل لايخرج من قريش رجل قد أسلم إلا لحق بأبي بصير حتى اجتمعت منهم عصابة فوالله مايسمعون بعير

﴿ والهدي ﴾ أي وصدوا الهدي وهي البدن التي ساقها رسول الله [ص] وكانت سبعين بدنة ﴿معكوفا﴾ محبوسا يقال عكفته عكفا اذا حبسته وعكوفا لازم كما يقال رجع رجعا ورجوعا ﴿ أن يبلغ محله ﴾ منحره وحيث يحل نحره يعني الحرم ﴿ ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات ﴾ يعني المستضعفين بمكة ﴿ لم تعلموهم ﴾ لم تعرفوهم ﴿ أن تطؤوهم ﴾ بالقتل وتوقعوا بهم ﴿ فتصيبكم منهم معرة بغير علم ﴾ قال ابن زيد معرة يعني اثم وقال ابن اسحاق غرم الدية وقيل الكفارة لان الله أوجب على قاتل المؤمن في دار الحرب اذا لم يعلم إيمانه الكفارة دون الدية فقال (فان كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة) وقيل هو ان المشركين يعيبونكم ويقولون قتلوا أهل دينهم والمعرة المشقة يقول لولا أن تطؤوا رجالا مؤمنين ونساء مؤمنات لم تعلموهم فيلزمكم بها كفارة أو يلحقكم سبة ، وجواب لولا محذوف تقديره لاذن لكم في دخولها ولكنه حال بينكم وبين ذلك ﴿ ليدخل الله في رحمته من يشاء ﴾ فاللام في ليدخل متعلق بمحذوف دل عليه معنى الكلام يعني حال بينكم وبين ذلك ليدخل الله في رحمته في دين الاسلام

خرجت لقريش إلى الشام إلا اعترضوا لها فقتلوهم وأخذوا أموالهم فأرسلت قريش إلى النبي ﷺ تناشده الله والرحم لما أرسل اليهم فمن أتاه منهم فهو آمن فأرسل النبي ﷺ وأنزل الله عز وجل (وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة - حتى بلغ - حمية الجاهلية) وكانت حميتهم انهم لم يقروا انه رسول الله ولم يقروا ببسم الله الرحمن الرحيم وحالوا بينهم وبين البيت ، هكذا ساقه البخاري ههنا وقد أخرجه في التفسير وفي عمرة الحديبية وفي الحج وغير ذلك من حديث معمر وسفيان بن عيينة كلاهما عن الزهري به

ووقع في بعض الاماكن عن الزهري عن عروة بن مروان والمسور بن عن رجال من أصحاب النبي (ص) بذلك وهذا أشبه والله أعلم ولم يسقه أبسط من ههنا وبينه وبين سياق ابن إسحاق تباين في مواضع وهناك فوائد ينبغي إضافتها إلى ماهنا ولذلك سقنا تلك الرواية وهذه والله المستعان وعليه التكلان ولا حول ولا قوة إلا بالله العزيز الحكيم

وقال البخاري في التفسير حدثنا أحمد بن إسحاق السلمي حدثنا يعلى حدثنا عبد العزيز بن سياه عن حبيب بن أبي ثابت قال أتيت أبا وائل أسأله فقال كنا بصفين فقال رجل ألم تر إلى الذين يدعون الى كتاب الله فقال علي بن أبي طالب (رض) نعم فقال سهل بن حنيف اتهموا أنفسكم فلقد رأيتنا يوم الحديبية يعنى الصلح الذي كان بين النبي (ص) والمشركين ولو نرى قتالا لقاتلنا فجاء عمر (رض) فقال ألسنا على الحق وهم على الباطل ؟ أليس قتلانا في الجنة وقتلاهم في النار ؟ فقال بلى قال ففيم نعطى الدنية في ديننا ونرجع ولما يحكم الله بيننا فقال (ص) « ياابن الخطاب اني رسول الله ولن يضيعني الله أبداً » فرجع متغيظا فلم يصبر حتى جاء أبا بكر (رض) فقال يا أبا بكر ألسنا على الحق وهم على الباطل ؟ فقال يا ابن الخطاب انه رسول الله ولن يضيعه الله ابداً فنزلت سورة الفتح

وقد رواه البخاري ايضاً في مواضع أخر ومسلم والنسائي من طرق أخر عن ابي وائل سفيان

من يشاء من اهل مكة بعد الصلح قبل أن تدخلوها ﴿ لو تزيلوا ﴾ لو تميزوا يعني المؤمنين من الكفار ﴿ لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا أليما ﴾ بالسبي والقتل بأيديكم

وقال بعض أهل العلم لعذبنا جواب لكلامين أحدهما لولا رجال والثاني لو تزيلوا ثم قال (ليدخل الله في رحمته من يشاء) يعنى المؤمنين والمؤمنات وقوله في رحمته أي في جنته وقال قتادة في هذه الآية ان الله يدفع بالمؤمنين عن الكفار كما دفع بالمستضعفين من المؤمنين عن مشركي مكة ﴿ اذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية ﴾ حين صدوا رسول الله (ص) وأصحابه عن البيت ولم يقروا ببسم الله الرحمن الرحيم وأنكروا محمداً رسول الله (ص) والحمية الانفة يقال فلان ذو حمية اذا كان ذا غضب وأنفة قال مقاتل قال أهل مكة قد قتلوا أبناءنا واخواننا ثم يدخلون علينا فتتحدث العرب انهم دخلوا علينا على رغم

ابن سلمة عن سهل بن حنيف به ، وفي بعض ألفاظه ياأيها الناس اتهموا الرأي فلقد رأيتني يوم ابي جندل ولو أقدر على أن أرد على رسول الله (ص) أمره لرددته ، وفي رواية فنزلت سورة الفتح فدعا رسول الله (ص) عمر بن الخطاب (رض) فقرأها عليه

وقال الامام احمد حدثنا عفان حدثنا حماد عن ثابت عن أنس رضي الله عنه قال : ان قريشا صالحوا النبي (ص) وفيهم سهيل بن عمرو فقال النبي (ص) لعلي رضي الله عنه « اكتب بسم الله الرحمن الرحيم » فقال سهيل لاندري مابسم الله الرحمن الرحيم ولكن اكتب باسمك اللهم فقال (ص) « اكتب من محمد رسول الله - قال لو نعلم أنك رسول الله لاتبعناك ولكن اكتب اسمك واسم أبيك فقال النبي (ص) - اكتب من محمد بن عبدالله » واشترطوا على النبي (ص) أنه من جاء منكم لم نرده عليكم ومن جاءكم منا رددتموه علينا فقال يارسول الله أنكتب هذا ؟ قال (ص) « نعم انه من ذهب منا اليهم فابعده الله » رواه مسلم من حديث حماد بن سلمة به

وقال احمد أيضاً حدثنا عبدالرحمن بن مهدي عن عكرمة بن عمار قال حدثني سماك عن عبد الله ابن عباس (رض) قال لما خرجت الحرورية اعتزلوا فقلت لهم ان رسول الله (ص) يوم الحديبية صالح المشركين فقال لعلي رضي الله عنه « اكتب ياعلي هذا ما صالح عليه محمد رسول الله - قالوا لو نعلم انك رسول الله ماقاتلناك فقال رسول الله (ص) - امح ياعلي اللهم انك تعلم أني رسولك امح ياعلي واكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبدالله » والله لرسول الله خير من علي وقد محا نفسه ولم يكن محوه ذلك يمحاه من النبوة » أخرجت من هذه؟ قالوا نعم ورواه ابوداود من حديث عكرمة بن عمار اليماني بنحوه

وروى الامام أحمد عن يحيى بن آدم عن زهير بن حرب عن محمد بن عبدالرحمن بن أبي ليلى عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : نحر رسول الله ﷺ يوم الحديبية سبعين بدنة فيها جمل لأبي جهل فلما صدت عن البيت حنت كما تحن إلى أولادها

أنفنا واللات والعزى لايدخلونها علينا فهذه ﴿ حمية الجاهلية ﴾ التي دخلت قلوبهم ﴿ فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين ﴾ حتى لم يدخلهم مادخلهم من الحمية فيعصوا الله في قتالهم ﴿ وألزمهم كلمة التقوى ﴾ قال ابن عباس ومجاهد والضحاك وقتادة وعكرمة والسدي وابن زيد وأكثر المفسرين كلمة التقوى لاإله إلا الله وروي عن أبي بن كعب مرفوعا

وقال علي وابن عمر كلمة التقوى لاإله إلا الله والله أكبر وقال عطاء بن ابي رباح هي لاإله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير وقال عطاء الخراساني هي لا إله إلا الله محمد رسول الله وقال الزهري هي بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ وكانوا أحق بها ﴾ من كفار مكة ﴿ وأهلها ﴾ أي وكانوا أهلها في علم الله لان الله تعالى اختار لدينه وصحبة نبيه أهل الخير

لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلنّ المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلّقين

رءوسكم ومقصرين لا تخافون فعلم مالم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحا قريبا (٢٧) هو

الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله و كفى بالله شهيداً (٢٨)

كان رسول الله ﷺ قد رأى في المنام أنه دخل مكة وطاف بالبيت فأخبر أصحابه بذلك وهو بالمدينة فلما ساروا عام الحديبية لم يشك جماعة منهم أن هذه الرؤيا تتفسر هذا العام فلما وقع ما وقع من قضية الصلح ورجعوا عامهم ذلك على أن يعودوا من قابل وقع في نفس بعض الصحابة رضي الله عنهم من ذلك شيء حتى سأل عمر بن الخطاب رضي الله عنه في ذلك فقال له فيما قال أفلم تكن تخبرنا انا سنأتي البيت ونطوف به ؟ قال « بلى أفأخبرتك أنك تأتيه عامك هذا ؟ » قال لا ، قال ﷺ « فانك آتيه ومطوف به » وبهذا أجاب الصديق (رض) أيضاً حذو القذة بالقذة ولهذا قال تبارك وتعالى (لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله) هذا لتحقيق الخبر وتوكيده وليس هذا من الاستثناء في شيء

وقوله عز وجل (آمنين) أي في حال دخولكم ، وقوله (محلقين رءوسكم ومقصرين) حال مقدرة لأنهم في حال دخولهم لم يكونوا محلقين ومقصرين وانما كان هذا في ثاني الحال كان منهم من حلق رأسه ومنهم من قصره

وثبت في الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « رحم الله المحلقين » قالوا والمقصرين يارسول الله ؟ قال صلى الله عليه وسلم « رحم الله المحلقين » قالوا والمقصرين يارسول الله ؟ قال صلى الله عليه وسلم « رحم الله المحلقين » قالوا والمقصرين يارسول الله ؟ قال صلى الله عليه وسلم « والمقصرين » في الثالثة أو الرابعة

وقوله سبحانه وتعالى (لا تخافون) حال مؤكدة في المعنى فأثبت لهم الامن حال الدخول ونفى عنهم الخوف حال استقرارهم في البلد لا يخافون من أحد وهذا كان في عمرة القضاء في ذي القعدة سنة سبع فان النبي ﷺ لما رجع من الحديبية في ذي القعدة رجع إلى المدينة فأقام بها ذا الحجة والمحرم وخرج في صفر إلى خيبر ففتحها الله عليه بعضها عنوة وبعضها صلحا وهي اقليم عظيم كثير النخل

﴿ وكان الله بكل شيء عليما * لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين ﴾ وذلك ان النبي ﷺ أري في المنام بالمدينة قبل أن يخرج إلى الحديبية أنه يدخل هو وأصحابه المسجد الحرام آمنين ويحلقون رؤسهم ويقصرون فأخبر بذلك أصحابه ففرحوا وحسبوا أنهم داخلوا مكة عامهم ذلك فلما انصرفوا ولم يدخلوا شق عليهم ذلك فأنزل الله هذه الآية .

والزروع فاستخدم من فيها من اليهود عليها على الشطر وقسمها بين أهل الحديبية وحدهم ولم يشهدها أحد غيرهم إلا الذين قدموا من الحبشة جعفر بن أبي طالب وأصحابه وابو موسى الاشعري وأصحابه رضي الله عنهم ولم يغب منهم أحد قال ابن زيد إلا أبا دجانة سماك بن خرشة كما هو مقرر في موضعه ثم رجع إلى المدينة . فلما كان في ذي القعدة من سنة سبع خرج ﷺ إلى مكة معتمراً هو وأهل الحديبية فأحرم من ذي الحليفة وساق معه الهدي قيل كان ستين بدنة فلبى وسار أصحابه يلبون ، فلما كان (ص) قريبا من مر الظهران بعث محمد بن سلمة بالخيل والسلاح أمامه، فلما رآه المشركون رعبوا رعبا شديداً وظنوا أن رسول الله [ص] يغزوهم وأنه قد نكث العهد الذي بينهم وبينه من وضع القتال عشر سنين فذهبوا فأخبروا أهل مكة فلما جاء رسول الله [ص] فنزل بمر الظهران حيث ينظر إلى أنصاب الحرم بعث السلاح من القسي والنبل والرماح إلى بطن يأجج وسار إلى مكة بالسيوف مغمدة في قربها كما شارطهم عليه فلما كان في أثناء الطريق بعثت قريش مكرز بن حفص فقال يا محمد ما عرفناك تنقض العهد ، فقال [ص] « وما ذاك ؟ » قال دخلت علينا بالسلاح والقسي والرماح ، فقال عليه الصلاة والسلام « لم يكن ذلك وقد بعثنا به إلى يأجج ؟ » فقال بهذا عرفناك بالبر والوفا وخرجت رءوس الكفار من مكة لئلا ينظروا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى أصحابه رضي الله عنهم غيظا وحنقا ، وأما بقية أهل مكة من الرجال والنساء والولدان فجلسوا في الطرق وعلى البيوت ينظرون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فدخلها عليه الصلاة والسلام وبين يديه أصحابه يلبون والهدي قد بعثه إلى ذي طوى وهو راكب ناقته القصواء التي كان راكبها يوم الحديبية وعبد الله بن رواحة الانصاري آخذ بزمام ناقة رسول الله [ص] يقودها وهو يقول :

باسم الذي لا دين إلا دينه ... باسم الذي محمد رسوله ... خلوا بني الكفار عن سبيله

اليوم نضربكم على تأويله ... كما ضربناكم على تنزيله ... ضربا يزيل الهام عن مقيله

ويذهل الخليل عن خليله ... قد أنزل الرحمن في تنزيله ... في صحف تتلى على رسوله

بان خير القتل في سبيله ... يا رب إني مؤمن بقيله

فهذا مجموع من روايات متفرقة قال يونس بن بكير عن محمد بن اسحاق حدثني عبد الله بن أبي بكر بن حزم قال لما دخل رسول الله ﷺ مكة في عمرة القضاء مشى عبد الله بن رواحة بين يديه وهو يقول :

خلوا بني الكفار عن سبيله ... إني شهيد انه رسوله ... خلوا فكل الخير في رسوله

يارب إني مؤمن بقيله ... نحن قتلناكم على تاويله ... كما قتلناكم على تنزيله

وروي عن مجمع بن حارثة الانصاري قال شهدنا الحديبية مع رسول الله ﷺ فلما انصرفنا عنها إذا الناس يهزون الاباعر فقال بعضهم مابال الناس . فقال : أوحي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال : فخرجنا نوجف فوجدنا النبي (ص) واقفا على راحلته عند كراع الغميم فلما اجتمع اليه الناس قرأ (إنا فتحنا

ضربا يزيل الهام عن مقيله ويذهل الخليل عن خليله

وقال عبد الرزاق حدثنا معمر عن الزهري عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال لما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة في عمرة القضاء مشى عبد الله بن رواحة رضي الله عنه بين يديه وفي رواية وابن رواحة آخذ بغرزه وهو (رض) يقول

خلوا بني الكفار عن سبيله قد نزل الرحمن في تنزيله بان خير القتل في سبيله

يارب اني مؤمن بقيله نحن قتلناكم على تاويله كما قتلناكم علي تنزيله

اليوم نضربكم على تأويله ضربا يزيل الهام عن مقيله ويذهل الخليل عن خليله

وقال الامام أحمد حدثنا محمد بن الصباح حدثنا اسماعيل يعنى ابن زكريا عن عبد الله يعنى ابن عثمان عن أبي الطفيل عن ابن عباس رضي الله عنهما قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل مر الظهران في عمرته بلغ أصحاب رسول الله (ص) ان قريشا تقول ما يتباعثون من العجف فقال أصحابه لو انتحرنا من ظهرنا فا كلنا من لحمه وحسونا من مرقه أصبحنا غدا حين ندخل على القوم وبنا جمامة قال (ص) لا تفعلوا ولكن اجمعوا لي من أزوادكم فجمعوا له وبسطوا الانطاع فا كلوا حتى تركوا وحشاكل واحد منهم في جرابه ، ثم أقبل رسول الله (ص) حتى دخل المسجد وقعدت قريش نحو الحجر فاضطبع صلى الله عليه وسلم برداثه ثم قال « لايرى القوم فيكم غميزة » فاستلم الركن ثم رمل حتى اذا تغيب بالركن اليماني مشى الى الركن الاسود فقالت قريش ماترضون بالمشي أما إنكم لتنقرون نقر الظباء ففعل ذلك ثلاثة أشواط فكانت سنة قال أبو الطفيل فاخبرني ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ فعل ذلك في حجة الوداع

وقال أحمد أيضا حدثنا يونس بن محمد حدثنا حماد بن زيد حدثنا أيوب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قدم رسول الله ﷺ وأصحابه مكة وقد وهنتهم حمى يثرب ولقوا منها سوءا فقال المشركون إنه يقدم عليكم قوم قد وهنتهم حمى يثرب ولقوا منها شرا وجلس المشركون من الناحية التي تلي الحجر فأطلع الله تعالى نبيه ﷺ على ماقالوا فأمر رسول الله ﷺ أصحابه أن يرملوا الاشواط الثلاثة ليرى المشركون جلدهم قال فرملوا ثلاثة أشواط وأمرهم أن يمشوا بين الركنيين حيث لايراهم المشركون ولم يمنع النبي ﷺ أن يرملوا الاشواط كلها إلا ابقاء عليهم فقال المشركون

لك فتحا مبينا) فقال عمر أوفتح هو يارسول الله؟ قال« نعم والذي نفسي بيده » ففيه دليل على أن المراد بالفتح صلح الحديبية وتحقق الرؤيا كان في العام المقبل فقال جل ذكره [لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق] أخبر ان الرؤية التي أراها إياه في مخرجه إلى الحديبية انه يدخل هو وأصحابه المسجد الحرام صدق وحق قوله (لتدخلن) يعني وقال لتدخلن وقال ابن كيسان لتدخلن من قول رسول الله (ص) لاصحابه حكاية عن رؤياه فأخبر الله عن رسول الله (ص) انه قال ذلك وانما استثنى مع علمه بدخولها

أهؤلاء الذين زعمتم ان الحمى قد وهنتهم هؤلاء أجلد من كذا و كذا. أخرجاه في الصحيحين من حديث حماد بن زيد به. وفي لفظ قدم النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم صبيحة رابعة يعني من ذي القعدة فقال المشركون إنه يقدم عليكم وقد وهنتهم حمى يثرب فأمرهم النبي ﷺ أن يرملوا الاشواط الثلاثة ولم يمنع أن يرملوا الاشواط كلها إلا الابقاء عليهم، قال البخاري وزاد ابن سلمة يعني حماد بن سلمة عن أيوب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال لما قدم النبي ﷺ لعامه الذي استأمن قال ارملوا ليري المشركين قوتهم والمشركون من قبل قينقاع، وحدثنا محمد حدثنا سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما قال إنما سعى النبي (ص) بالبيت وبالصفا والمروة ليرى المشركون قوته، ورواه في مواضع أخر ومسلم والنسائي من طرق عن سفيان بن عيينة به

وقال أيضا حدثنا علي بن عبد الله حدثنا سفيان حدثنا اسماعيل بن أبي خالد أنه سمع ابن أبي أوفى يقول لما اعتمر رسول الله صلى الله عليه وسلم سترناه من غلمان المشركين ومنهم أن يؤذوا رسول الله (ص) انفرد به البخاري دون مسلم، وقال البخاري أيضا حدثنا محمد بن رافع حدثنا شريح بن النعمان حدثنا فليح وحدثني محمد بن الحسين بن ابراهيم حدثنا أبي حدثنا فليح بن سليمان عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما قال ان رسول الله (ص) خرج معتمرا فحال كفار قريش بينه وبين البيت فنحر هديه وحلق رأسه بالحديبية وقاضاهم على أن يعتمر العام المقبل ولا يحمل سلاحا عليهم إلا سيوفا ولا يقيم بها إلا ما أحبوا فاعتمر (ص) من العام المقبل فدخلها كما كان صالحهم فلما أن أقام بها ثلاثا أمروه أن يخرج فخرج صلى الله عليه وسلم وهو في صحيح مسلم أيضا

وقال البخاري أيضا حدثنا عبيد الله بن موسى عن اسرائيل عن أبي إسحاق عن البراء (رض) قال اعتمر النبي ﷺ في ذي القعدة فأبى أهل مكة أن يدعوه يدخل مكة حتى قاضاهم على أن يقيموا بها ثلاثة أيام فلما كتبوا الكتاب كتبوا هذا: ما قاضى عليه محمد رسول الله قالوا لا نقر بهذا ولو نعلم انك رسول الله ما منعناك شيئا ولكن اكتب محمد بن عبد الله قال ﷺ أنا رسول الله وأنا محمد بن عبدالله ثم قال ﷺ لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه « امح رسول الله » قال رضي الله عنه لا والله لا امحوك أبدا فأخذ رسول الله ﷺ الكتاب وليس يحسن يكتب فكتب « هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله أن لا يدخل مكة بالسلاح الا بالسيف في القراب وأن لا يخرج من أهلها بأحد أراد أن يتبعه

باخبار الله تعالى تأدبا بآداب الله حيث قال له (ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غداً إلا أن يشاء الله) وقال أبو عبيدة ان بمعنى اذ مجازه اذ شاء الله كقوله (ان كنتم مؤمنين)

وقال الحسين بن الفضل يجوز أن يكون الاستثناء من الدخول لان بين الرؤيا وتصديقها سنة ومات في تلك السنة ناس فمجاز الآية لتدخلن المسجد الحرام كلكم إن شاء الله، وقيل الاستثناء واقع على الامر لا على الدخول لان الدخول لم يكن فيه شك كقول النبي (ص) عند دخول المقبرة « وإنا إن

وأن لا يخرج من أصحابه أحدا ان أراد أن يقيم بها، فلما دخلها ومضى الاجل اتوا عليا فقالوا قل لصاحبك اخرج عنا فقد مضى الاجل فخرج النبي ﷺ فتبعته ابنة حمزة رضي الله عنه تنادي ياعم ياعم فتناولها علي رضي الله عنه فأخذ بيدها وقال لفاطمة رضي الله عنها: دونك ابنة عمك فحملتها فاختصم فيها علي وزيد وجعفر رضي الله عنهم فقال علي رضي الله عنه أنا أخذتها وهي ابنة عمي وقال جعفر رضي الله عنه ابنة عمي وخالتها تحتي وقال زيد رضي الله عنه ابنة أخي فقضى بها النبي ﷺ لخالتها وقال «الخالة بمنزلة الام» وقال لعلي رضي الله عنه «أنت مني وأنا منك» وقال لجعفر رضي الله عنه «أشبهت خلقي وخلقي» وقال ﷺ لزيد رضي الله عنه «أنت أخونا ومولانا» قال علي رضي الله عنه ألا تتزوج ابنة حمزة؟ رضي الله عنه قال ﷺ «انها ابنة أخي من الرضاعة» تفرد به من هذا الوجه

وقوله تعالى (فعلم مالم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحاً قريبا) أي فعلم الله عز وجل من الخيرة والمصلحة في صرفكم عن مكة ودخولكم اليها عامكم ذلك مالم تعلموا أنتم فجعل من دون ذلك أي قبل دخولكم الذي وعدتم به في رؤيا النبي (ص) فتحاً قريبا وهو الصلح الذي كان بينكم وبين أعدائكم من المشركين. ثم قال تبارك وتعالى مبشراً المؤمنين بنصرة الرسول (ص) على عدوه وعلى سائر أهل الارض (هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق) أي بالعلم النافع والعمل الصالح فان الشريعة تشتمل على شيئين علم وعمل فالعلم الشرعي صحيح والعمل الشرعي مقبول فاخبارها حق وإنشاآتها عدل (ليظهره على الدين كله) أي على أهل جميع الاديان من سائر أهل الارض من عرب وعجم ومليين ومشركين (وكفى بالله شهيداً) أي انه رسوله وهو ناصره والله سبحانه وتعالى أعلم

محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون

شاء الله بكم لاحقون» فالاستثناء راجع الى اللحوق باهل لا إله إلا الله لا إلى الموت ﴿محلقين رؤسكم﴾ كلها ﴿ومقصرين﴾ باخذ بعض شعورها ﴿لا تخافون فعلم ما لم تعلموا﴾ ان الصلاح كان في الصلح وتأخير الدخول وهو قوله (ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات) الآية ﴿فجعل من دون ذلك﴾ أي من قبل دخولكم المسجد الحرام ﴿فتحا قريبا﴾ وهو صلح الحديبية عند الاكثرين وقيل فتح خيبر ﴿هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيداً﴾ على أنك نبي صالح صادق فيما تخبر ﴿محمد رسول الله﴾ تم الكلام ههنا

قال ابن عباس شهد له بالرسالة ثم قال مبتدئا ﴿والذين معه﴾ قالوا وفيه واو الاستئناف أي والذين معه من المؤمنين ﴿أشداء على الكفار﴾ غلاظ عليهم كالاسد على فريسته لا تأخذهم فيهم رأفة ﴿رحماء بينهم﴾ متعاطفون متوادون بعضهم لبعض كالولد مع الوالد كما قال (أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين) ﴿تراهم ركعا سجدا﴾ أخبر عن كثرة صلاتهم ومداومتهم عليها ﴿يبتغون فضلا من الله﴾

فضلا من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من أثر السجود، ذلك مثلهم في التورىٰة، ومثلهم في الانجيل كزرع أخرج شطئه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما (٢٩)

يخبر تعالى عن محمد (ص) انه رسوله حقا بلا شك ولا ريب فقال (محمد رسول الله وهذا مبتدأ وخبر وهو مشتمل على كل وصف جميل ثم ثنى بالثناء على أصحابه رضي الله عنهم فقال (والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم) كما قال عز وجل (فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين) وهذه صفة المؤمنين أن يكون أحدهم شديداً عنيفا على الكفار ، رحيما برأ بالاخيار ، غضوبا عبوسا في وجه الكافر ضحوكا بشوشا في وجه أخيه المؤمن كما قال تعالى (ياأيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة) وقال النبي (ص) «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر» وقال (ص) «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا» وشبك (ص) بين أصابعه كلا الحديثين في الصحيح

أن يدخلهم الجنة ﴿ ورضوانا ﴾ أن يرضى عنهم ﴿ سيماهم ﴾ أي علامتهم ﴿في وجوههم من أثر السجود﴾ اختلفوا في هذه السيماء فقال قوم هو نور وبياض في وجوههم يوم القيامة يعرفون به انهم سجدوا في الدنيا وهو رواية عطية العوفي عن ابن عباس

قال عطاء بن أبي رباح والربيع بن أنس استنارت وجوههم من كثرة ماصلوا وقال شهر بن حوشب تكون مواضع السجود من وجوههم كالقمر ليلة البدر . وقال آخرون هو السمت الحسن والخشوع والتواضع وهو رواية الوالبي عن ابن عباس قال ليس بالذي ترون لكنه سيما الاسلام وسجيته وسمته وخشوعه وهو قول مجاهد ، والمعنى ان السجود أورثهم الخشوع والسمت الحسن الذي يعرفون به . وقال الضحاك هو صفرة الوجه من السهر وقال الحسن اذا رأيتهم حسبتهم مرضى وما هم بمرضى . قال عكرمة وسعيد بن جبير هو أثر التراب على الجباه قال أبو العالية لانهم يسجدون على التراب لا على الاثواب . وقال عطاء الخراساني دخل في هذه الآية كل من حافظ على الصلوات الخمس ﴿ ذلك ﴾ الذي ذكرت ﴿ مثلهم ﴾ صفتهم ﴿ في التوراة ﴾ ههنا تم الكلام

ثم ذكر نعتهم في الانجيل فقال ﴿ ومثلهم ﴾ صفتهم ﴿ في الانجيل كزرع أخرج شطأه ﴾ قرأ ابن كثير وابن عامر شطأه بفتح الطاء وقرأ الآخرون بسكونها وهما لغتان كالنهر والنهر وأراد فراخه يقال أشطأ الزرع فهو مشطيء اذا أفرخ قال مقاتل هو نبت واحد فاذا خرج مابعده فهو شطؤه . وقال السدي هو أن يخرج معه الطاقة الاخرى قوله ﴿ فآزره ﴾ قرأ ابن عامر فأزره بالقصر والباقون

وقوله سبحانه وتعالى [تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا] وصفهم بكثرة العمل وكثرة الصلاة وهي خير الاعمال ووصفهم بالاخلاص فيها لله عزوجل والاحتساب عند الله تعالى جزيل الثواب وهو الجنة المشتملة على فضل الله عزوجل وهو سعة الرزق عليهم ورضاه تعالى عنهم وهو أكبر من الاول كما قال جل وعلا (ورضوان من الله أكبر)

وقوله جل جلاله (سيماهم في وجوههم من أثر السجود) قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما سيماهم في وجوههم يعني السمت الحسن وقال مجاهد وغير واحد يعني الخشوع والتواضع

وقال ابن أبي حاتم ثنا أبي حدثنا علي بن محمد الطنافسي حدثنا حسين الجعفي عن زائدة عن منصور عن مجاهد (سيماهم في وجوههم من أثر السجود) قال الخشوع قلت ما كنت أراه الا هذا الاثر في الوجه فقال ربما كان بين عيني من هو أقسى قلبا من فرعون

وقال السدي الصلاة تحسن وجوههم ، وقال بعض السلف من كثرت صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار ، وقد أسنده ابن ماجه في سننه عن اسماعيل بن محمد الصالحي عن ثابت بن موسى عن شريك عن الاعمش عن أبي سفيان عن جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله (ص) « من كثرت صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار » والصحيح أنه موقوف

بالماء أي قواه وأعانه وشد أزره ﴿ فاستغلظ ﴾ غلظ ذلك الزرع ﴿ فاستوى ﴾ أي تم وتلاحق نباته وقام ﴿ على سوقه ﴾ على أصوله ﴿ يعجب الزراع ﴾ أعجب ذلك زراعه ، هذا مثل ضربه الله عز وجل لأصحاب محمد (ص) في الانجيل انهم يكونون قليلا ثم يزدادون ويكثرون

قال قتادة مثل أصحاب رسول الله (ص) في الانجيل مكتوب انه : سيخرج قوم ينبتون نبات الزرع يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وقيل الزرع محمد والشطء أصحابه والمؤمنون

وروي عن مبارك بن فضالة عن الحسن قال (محمد رسول الله والذين معه) أبو بكر الصديق رضي الله عنه (أشداء على الكفار) عمر بن الخطاب رضي الله عنه (رحماء بينهم) عثمان بن عفان رضي الله عنه (تراهم ركعا سجداً) علي بن أبي طالب رضي الله عنه (يبتغون فضلا من الله) بقية العشرة المبشرين بالجنة وقيل (كمثل زرع) محمد (أخرج شطأه) أبو بكر (فآزره) عمر (فاستغلظ) عثمان يعني استغلظ عثمان للاسلام (فاستوى على سوقه) علي بن طالب استقام الاسلام بسيفه (يعجب الزراع) قال هم المؤمنون ﴿ ليغيظ بهم الكفار ﴾ قول عمر لاهل مكة بعد ما أسلم لا يعبد الله سراً بعد اليوم

حدثنا أبو حامد احمد بن محمد الشجاعي السرخسي إملاء أنا أبو بكر عبد الله بن احمد القفال ثنا أبو احمد عبد الله بن محمد الفضل السمرقندي ثنا شيخي أبو عبد الله محمد بن الفضل البلخي ثنا أبو رجاء قتيبة بن سعيد ثنا عبد العزيز بن محمد الدراوردي عن عبد الرحمن بن حميد عن أبيه عن عبد الرحمن بن عوف ان النبي ﷺ

وقال بعضهم ان للحسنة نورا في القلب وضياء في الوجه وسعة في الرزق ومحبة في قلوب الناس وقال أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه ما أسر أحد سريرة الا أبداها الله تعالى على صفحات وجهه وفلتات لسانه، والغرض أن الشيء الكامن في النفس يظهر على صفحات الوجه فالمؤمن اذا كانت سريرته صحيحة مع الله تعالى أصلح الله عز وجل ظاهره للناس كما روي عن عمر بن الخطاب (رض) أنه قال من أصلح سريرته أصلح الله تعالى علانيته

وقال أبو القاسم الطبراني حدثنا محمود بن محمد المروزي حدثنا حامد بن آدم المروزي حدثنا الفضل بن موسى عن محمد بن عبيد الله العرزمي عن سلمة بن كهيل عن جندب بن سفيان البجلي رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ « ما أسر أحد سريرة الا ألبسه الله تعالى رداءها إن خيرا فخير وان شرا فشر » العرزمي متروك

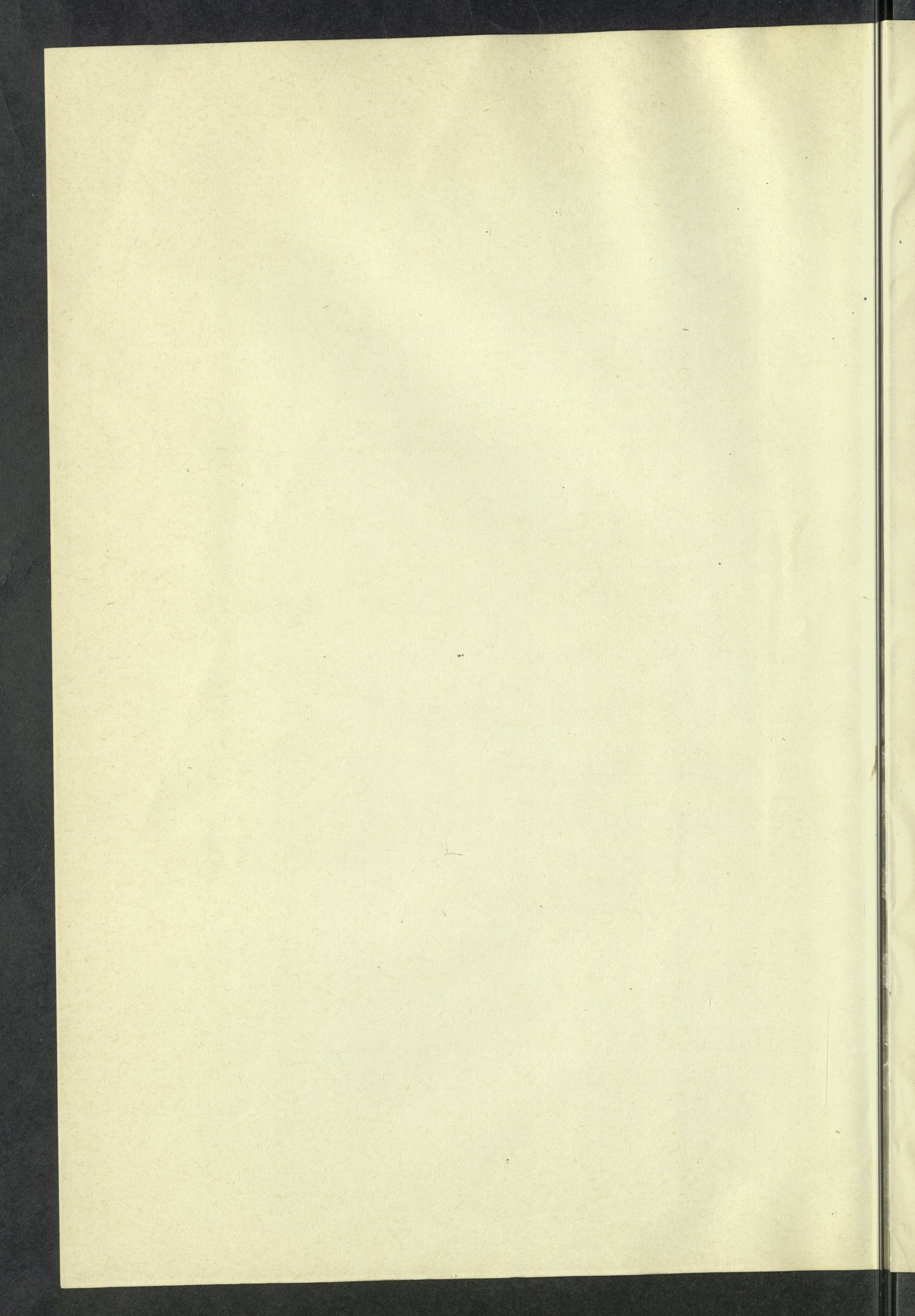
وقال الامام احمد حدثنا حسن بن موسى حدثنا ابن لهيعة حدثنا دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال « لو أن أحدكم يعمل في صخرة صماء ليس لها باب ولا كوة لخرج عمله للناس كائنا ما كان »

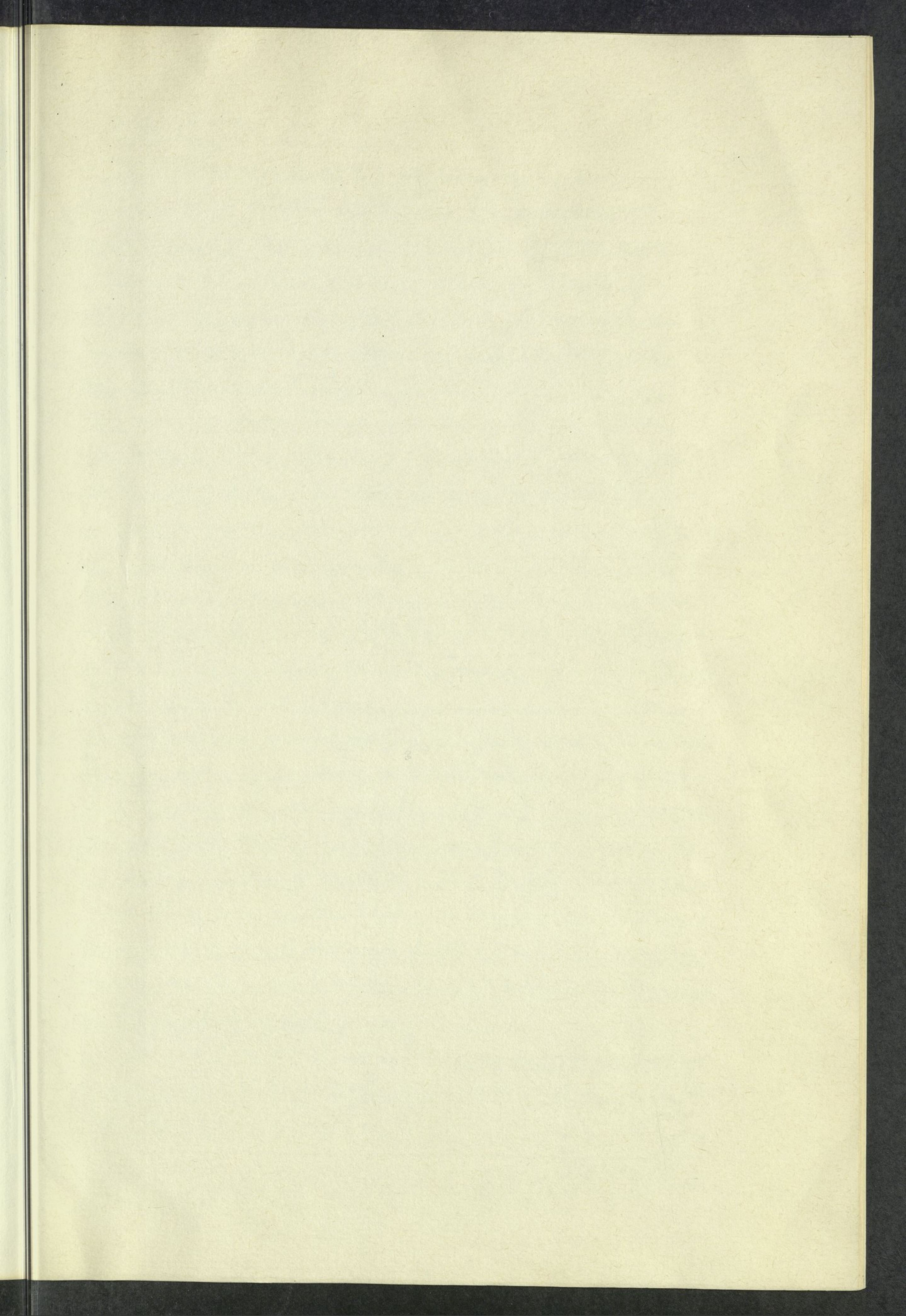
قال « أبو بكر في الجنة وعمر في الجنة وعثمان في الجنة وعلي في الجنة وطلحة في الجنة والزبير في الجنة وعبد الرحمن بن عوف في الجنة وسعد بن أبي وقاص في الجنة وسعيد بن زيد في الجنة وأبو عبيدة بن الجراح في الجنة »

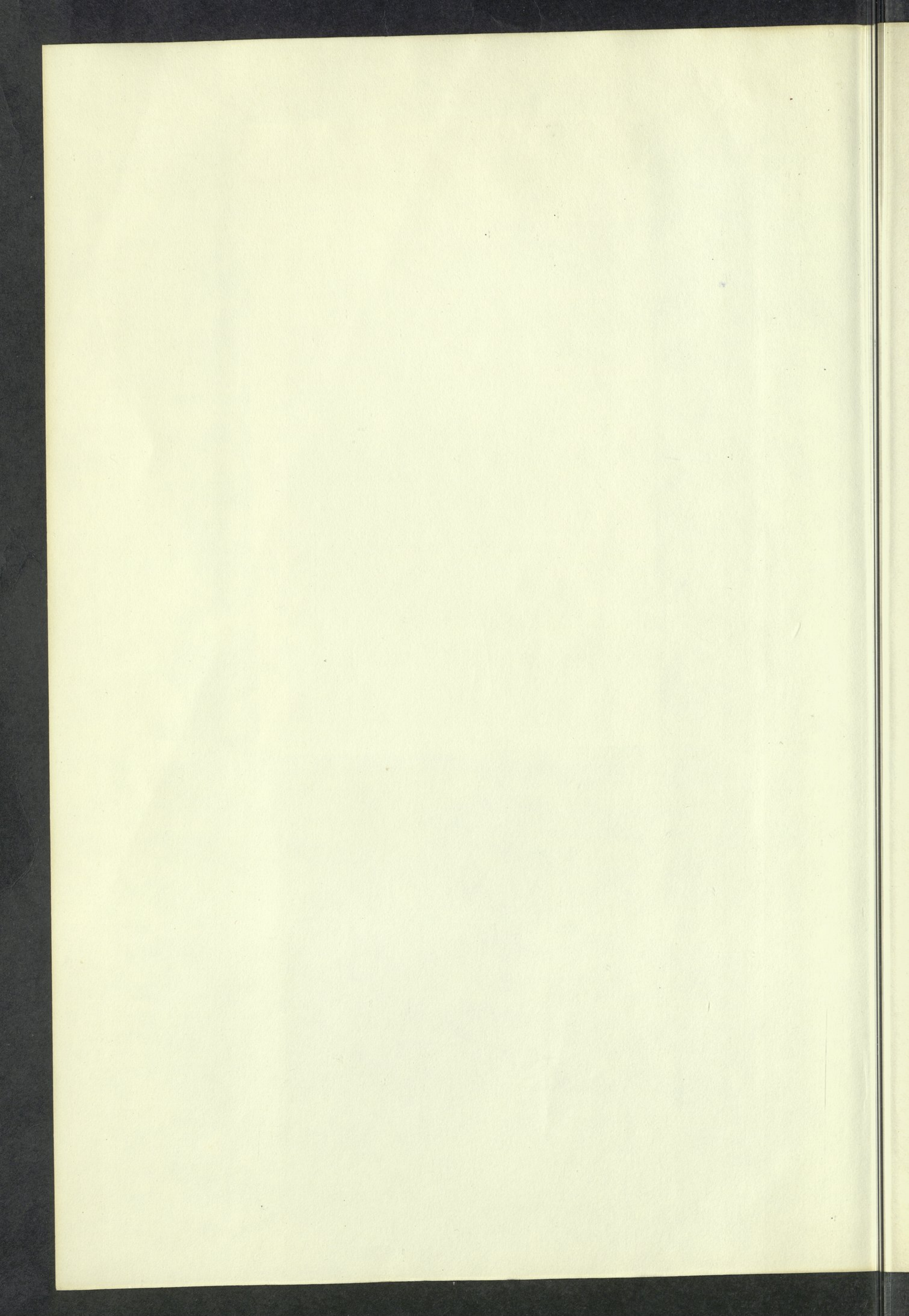
حدثنا أبو المظفر محمد بن احمد التميمي أنا ابو محمد عبد الرحمن بن عثمان بن القاسم حدثنا خيثمة ابن سليمان بن حيدرة الاطرابلسي ثنا احمد بن هاشم الانطاكي ثنا قطبة بن العلاء ثنا سفيان الثوري عن خالد الخزاعي عن أبي قلابة عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ « قال ارحم أمتي بأمتي أبو بكر وأشدهم في أمر الله عمر، وأصدقهم حياء عثمان، وأفرضهم زيد بن ثابت، وأقرؤهم أبي بن كعب، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل، ولكل أمة أمين وأمين هذه الامة أبو عبيدة بن الجراح » ورواه معمر عن قتادة مرسلا وفيه وأقضاهم علي

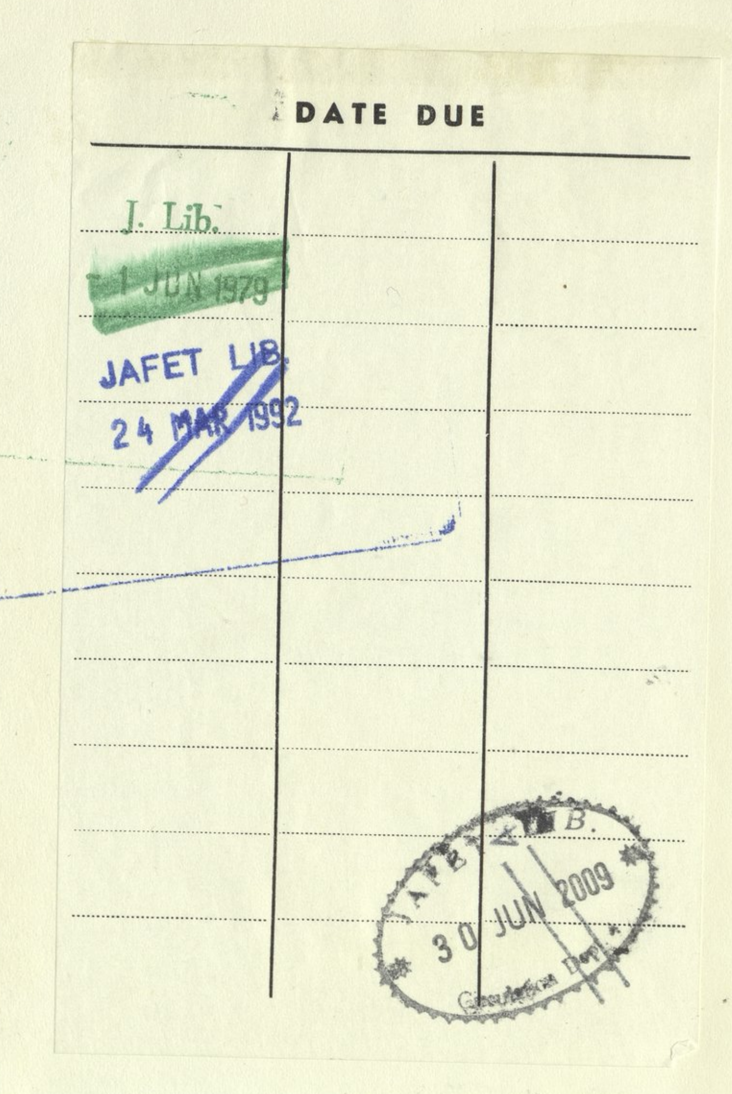
أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا احمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل ثنا معلي بن أسد ثنا عبد العزيز المختار قال ثنا خالد بن الحذاء عن أبي عثمان قال « حدثني عمرو بن العاص ان النبي ﷺ بعثه على جيش ذات السلاسل قال فأتيته فقلت أي الناس أحب اليك ؟ قال « عائشة » فقلت، من الرجال ؟ قال « أبوها » قلت ثم من ؟ قال « عمر » فعد رجالا فسكت مخافة أن يجعلني في آخرهم

أخبرنا أبو منصور عبد الملك وأبو الفتح نصر بن الحسين أنا علي بن احمد بن منصور بن محمد ابن الحسين بن شاذويه الطوسي بها قال ثنا ابو الحسن محمد بن يعقوب انا الحسن بن محمد بن أحمد ابن كيسان النحوي ثنا ابو اسحاق ابراهيم بن شريك الاسدي ثنا ابراهيم بن اسماعيل هو ابن يحيى








DATE DUE
J. Lib.
1 JUN 1979
JAFET LIB.
24 MAR 1992
JAFET LIB.
30 JUN 2009

